

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون - تيارت -

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مخبر الخطاب الحجاجي أصوله ومرجعياته وآفاقه في الجزائر

أطروحة دكتوراه طور ثالث (ل م د) شعبة دراسات نقدية، تخصص نقد ودراسات أدبية

موسومة بـ:

## تجليات الدرس البياني في البحث الإعجازي حتى نهاية القرن السادس الهجري

- إعداد الطالبة:

زينة جيهاد.

- إشراف:

أ.د سبع بلمرسلي.

أعضاء لجنة المناقشة

| الاسم واللقب  | الرتبة               | مؤسسة الإرتباط                           | الصفة        |
|---------------|----------------------|------------------------------------------|--------------|
| بن شريف محمد  | أستاذ التعليم العالي | جامعة ابن خلدون تيارت                    | رئيسا        |
| سبع بلمرسلي   | أستاذ التعليم العالي | جامعة ابن خلدون تيارت                    | مشرفا ومقررا |
| عدة قادة      | أستاذ التعليم العالي | جامعة ابن خلدون تيارت                    | مشرفا مساعدا |
| رزايقية محمود | أستاذ التعليم العالي | جامعة أحمد بن يحيى<br>الونشريسي-تيسمسيلت | مناقشا       |
| صالحى جمال    | أستاذ محاضراً        | جامعة ابن خلدون تيارت                    | مناقشا       |
| طرش لخضر      | أستاذ محاضراً        | م/ج الشريف بوشوشة-أفلو                   | مناقشا       |

السنة الجامعية: 1446هـ - 1447هـ / 2024-2025م

# شكرو عرفان

الحمد لله الذي وفقني لإنجاز هذا البحث

وامتثالاً لقول النبي ﷺ "لا يشكر الله من لا يشكر الناس"

أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الدكتور "سبع بلمرسلي" على قبوله الإشراف

على هذا البحث، وعلى نصحه وتوجيهه، وتصويبه وتدقيقه، وصبره وتواضعه،

فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما أتوجه بالشكر الجزيل لأعضاء لجنة المناقشة الموقرة

التي تجشمت عناء قراءة متن هذا البحث وتصحيح جزئياته،

كما لا يفوتني أن أشكر أساتذتي الذين رافقوني طيلة مشواري الجامعي،

فلهم مني فائق الشكر والاحترام على ما قدموه من نصح وتشجيع،

فحفظهم الله ونفع بعلمهم.

# إهداء

أهدي ثمرة جهدي:

إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله ورعاهما.

إلى إخوتي الكرام.

إلى كل من شجعني ودفعتني للمضي قدما.



# مقدمة



الحمد لله الذي أنزل على عبده الفرقان، والصلاة والسلام على سيد ولد عدنان، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان، وبعد:

القرآن الكريم كلام الله المعجز بهديه وأسلوبه، المنزل بلسان عربي مبين محكم الآيات وفريد النظم والتعبير، فهو معجزة الله الخالدة التي أحييت الناس وأخرجتهم من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الحق؛ إذ جمع هديه بين مصالح البشر الدينية والدنيوية من إصلاح للعقيدة، وتهذيب للأخلاق، وبيان للتشريع والعبادات والمعاملات، وذكر للقصص وأخبار الأمم السابقة وعظا وتثبيتا للنفوس، بغية إنشاء إنسان متكامل عقلا وروحا وجسدا، فقد بلغ النبي ﷺ ما أنزل إليه من ربه، ولكن قريشا واجهت الحق بالكذب والإعراض، فتحدهم بأن يأتوا بسورة من مثله، فعجزت جهابذتهم عن الإتيان بشيء من مثله ليقينهم بأنه الحق المنزل، وإن امتنعت ألسنتهم عن التصريح بذلك، فهم أهل اللغة والأعلم بتعاريف القول وبلاغة الأساليب، فقد استوت لديهم ملكة البيان.

انتصر الحق وتوسعت الرقعة الإسلامية وامتزج المسلمون بشعوب أخرى، مما ولد انحرافا في الذوق العربي الأصيل، وضعفا في الملكات، وشيوعا للحن بين الأعاجم الذين لا يفقهون اللغة العربية وأساليبها وامتد ذلك لألسنة العرب، مما دفع العلماء للتصدي لهذه المعضلة باستقاء اللغة من ينابيعها الصافية جمعا، وحفظا، وتدوينا، وتفسير معاني القرآن الكريم وغريب ألفاظه ودراسة أساليبه لاستجلاء أسرارها، متصدين بذلك لموجات الطعن والتشكيك... فكان أن زرعت مع بدايات الدرس القرآني البذور الأولى للدرس البياني الذي سما وتبلور في رحاب البحث التفسيري والإعجازي.

وقد اختلفت رؤى الأعلام حول وجوه الإعجاز في القرآن، وكانت بلاغة القرآن وبيانه أبرز الوجوه التي غلب القول بها، وقد أدى السعي إلى إثباتها وإبرازها إلى نتاج فيض من الملاحظات البيانية التي نمت وتطورت بعد ذلك حتى غدت علما مؤصلا له قائما بذاته، تغيا العلماء من خلاله إدراك أبعاد القرآن وأغراضه، متخذين من الأبحاث البلاغية سبيلا للوصول إلى حقيقة الإعجاز وتحليلاته، فأضحت الغاية بذلك باعثا لنشأة ونضج مباحث البيان العربي.

فالبيان وبلاغة القول سمة تأصلت في نفوس العرب وترجمت في موروثهم الأدبي، إذ برزت في جزالة اللفظ وإصابة المعنى وسلامة الذوق، لذا جاء التحدي فيما برع فيه القوم، فالقرآن الكريم معجزة خالدة تضمنت دلائل الهداية والتشريع وسائر مقومات الأمة.

فالقرآن الكريم قبس انبثقت منه الدراسات اللغوية والبلاغية التي عمدت إلى استخراج درره واكتناه أسرارهِ معلنة عن ميلاد درس جديد (الدرس البياني)، حيث برزت جهود البيانيين في دراستهم للمفردة القرآنية، والبحث في التراكيب وإبراز جمالياتها وفنيتها، إلى جانب اهتمامهم ببراعة التصوير ودقته وأثره في تجسيد المعاني المجردة في صورة محسوسة شاخصة نابضة بالحركة، لذا جاء موضوع البحث "تجليات الدرس البياني في البحث الإعجازي حتى نهاية القرن السادس الهجري" مبرزاً إسهامات وجهود الأعلام في تشييد الصرح البلاغي.

وانطلق البحث من إشكالية مفادها: ما تجليات الدرس البياني في البحث الإعجازي حتى نهاية القرن السادس الهجري؟ وقد تفرعت عنها مجموعة من التساؤلات منها:

- كيف أسهم البحث الإعجازي في بلورة مباحث البلاغة والبيان؟

- ما ملامح خط تدرج البحث البياني في ظل الدرس الإعجازي؟

- هل تأثر الدرس البياني بما تأثر به الدرس الإعجازي؟

- هل من أعلام أسهموا أكثر من غيرهم في إرساء معالم الدرس البياني؟

أما عن أسباب ودوافع اختياري لهذا البحث فتكمن في رغبتني في البحث عن جانب مهم من تراثنا العربي، يتعلق بدراسة أفصح وأبين كلام، كلام الله تعالى، وكيف أفاد منه الدارسون في التأصيل لعلم البيان العربي، في ظرف يعد فترة زهو في تاريخ الحضارة الإسلامية، تفتقت فيه العلوم والفنون، ونمت فيه الحركة الفكرية والعلمية عند المسلمين... كل ذلك إثراء للمكتبتين العربية والقرآنية وسعيًا في التحسيس بالجهود التي قام بها الأوائل في التأسيس لعلوم القرآن عموماً وللفنون البيان العربي خصوصاً.

فتهدف الدراسة إلى استجلاء مباحث الدرس البياني عند علماء المعاني والبلاغة والإعجاز القرآني من خلال تتبع آثارهم حتى نهاية القرن السادس الهجري، والوقوف على:

- تحليلات الدرس البياني في البدايات الأولى للدرس الإعجازي .
  - كيفية ملمة تلکم التحليلات الأولى وبلورتها في فكرة تؤسس لعلم البيان .
  - تدرج فكرة البيان وتحليلاتها بعد ذلك حتى نهاية القرن السادس الهجري .
  - أهم الأعلام الذين أسهموا من خلال الدرس الإعجازي في التأسيس للدرس البياني .
  - أهم الجهود المبذولة في الوصول بالدرس البياني إلى مرحلة الاستقرار .
- ولقد تم تقديم مادة البحث على شكل مقدمة وأربعة فصول وخاتمة.
- مقدمة: فيها عرض عام لتصور البحث خطته، منهجه، وأهميته.

- **الفصل الأول:** وعنوانه "تحليلات الدرس البياني عند علماء النحو والمعاني حتى نهاية القرن الخامس الهجري"، وفيه تتبع للدرس البياني عند بعض اللغويين والنحاة، وأصحاب المعاني، سعياً للوصول لإسهاماتهم البيانية وجهودهم في بلورة الفكر البلاغي؛ إذ انبثق عنه:

- **المبحث الأول:** تحليلات الدرس البياني عند علماء اللغة والنحو حتى نهاية القرن الخامس الهجري.

- **المبحث الثاني:** تحليلات الدرس البياني عند أصحاب المعاني حتى نهاية القرن الخامس الهجري.

- **الفصل الثاني:** وعنوانه "تحليلات الدرس البياني عند علماء البلاغة والإعجاز حتى نهاية القرن الخامس الهجري" وتضمن:

- **المبحث الأول:** تحليلات الدرس البياني عند علماء البلاغة حتى نهاية القرن الخامس الهجري.

- **المبحث الثاني:** تحليلات الدرس البياني عند علماء القرآن والإعجاز حتى نهاية القرن الخامس الهجري.

- **الفصل الثالث :** وهو بعنوان " البيان العربي أسسه ومباحثه من عبد القاهر الجرجاني إلى نهاية القرن السادس الهجري"، وفيه تلخيص للمرحلة التي سبقت عبد القاهر الجرجاني في محاولة للملمة آراء الأعلام السابقين والتي تلففها عبد القاهر الجرجاني، فجمع شتاتها وأحكم بنياتها، وفند بعضها، وصاغ تصوره البياني مؤسسا لنظرية النظم، كما تمت دراسة المرحلة التي تلت عبد القاهر الجرجاني التي مثلت مرحلة نضج للدرس البياني واكتمال لمعالمه؛ فكان مكونا من ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول:** خلاصة البحث البياني حتى ما قبيل عبد القاهر الجرجاني.

- **المبحث الثاني:** نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني والتأسيس للدرس البياني.

- **المبحث الثالث:** الدرس البياني بعد عبد القاهر الجرجاني حتى نهاية القرن السادس .

-**الفصل الرابع:** وعنوانه "مستويات البحث البياني في الدرس الإعجازي من التأسيس حتى نهاية القرن السادس الهجري"، تناول دراسة البيانيين لمباحث المفردة القرآنية، والتراكيب، وجمالية الأسلوب القرآني، وفنية التصوير، فكان مؤلفا من أربعة مباحث:

- **المبحث الأول:** مباحث المفردة القرآنية في الدرس الإعجازي من التأسيس حتى نهاية القرن السادس الهجري.

- **المبحث الثاني:** مباحث التركيب القرآني في الدرس الإعجازي من التأسيس حتى نهاية القرن السادس الهجري.

- **المبحث الثالث:** مباحث الأسلوب القرآني في الدرس الإعجازي من التأسيس حتى القرن السادس الهجري.

- **المبحث الرابع:** جمالية التصوير القرآني في الدراسات الإعجازية من التأسيس حتى نهاية القرن السادس الهجري.

وخاتمة مسجلة لأهم النتائج التي توصل إليها البحث.

واقترضت طبيعة الموضوع اعتماد المنهج التكاملي، الجامع بين التأريخ في تتبع جهود البيانين في معالجتهم للدرس البياني على امتداد ستة قرون، ورصد تطور البلاغة من قرن إلى قرن، والوصفي في دراسة وتحليل الظواهر البلاغية المبثوثة في ثنايا المصنفات بعد جمعها وتبويبها، والتداولي في بيان خصوصية استعمال اللغة بإيراد المعنى الواحد بأساليب متعددة وتراكيب متفاوتة تبعا لأحوال المخاطبين.

واستندت في بحثي على مجموعة من المصادر والمراجع، كان عمادها مصنفات البيانين: (البيان والتبيين) للجاحظ، (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة، و(دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) لعبد القاهر الجرجاني، وكتب التفسير: (الكشاف) للزمخشري، و(المحرر الوجيز) لابن عطية الأندلسي، و(زاد المسير) لابن الجوزي و(تفسير الفخر الرازي)، وكتب الإعجاز البلاغي... كما استعنت ببعض الكتب والدراسات التي كان لها أثر في التأصيل للبحث البلاغي وفضل في بيان إسهامات النحاة، أو البلاغيين، أو علماء الإعجاز منها: كتاب (أثر النحاة في البحث البلاغي) لعبد القادر حسين، وكتاب (أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري) لمحمد زغلول سلام، وكتاب (البلاغة تطور وتاريخ) لشوقي ضيف، وكتاب (مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني) لمحمد محمد أبو موسى، وغيرها من الكتب التي كان لها دور في إنارة معالم هذه الدراسة.

أما ما تعلق بالدراسات السابقة للموضوع فتجلت في: كتاب (التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس) لحماي صمود، فقد استطاع المؤلف من خلاله إبراز الأبعاد التاريخية للفكر البلاغي عند العرب حتى القرن السادس، جاعلا من الجاحظ محورا لدراسته وظهر ذلك جليا في تبويبه للكتاب على النحو التالي: البلاغة قبل الجاحظ، الحدث الجاحظي، البلاغة بعد الجاحظ؛ إذ وحاول استجلاء النظرية الأدبية من خلال مزج التراث بالحدث، ولكن غوص المؤلف في مصطلحات الحداثة أحال دون الظفر بتحليلات الجاحظ البلاغية، إلى جانب عدم إشارته إلى جهود الطوائف الأخرى التي ساهمت في رسم معالم الدرس البلاغي.

وكتاب (البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري) لرابح دوب، والذي تتبع فيه المؤلف نشأة البلاغة ومراحل تطورها من عصر النبي ﷺ وصحابته، إلى القرن الثاني والثالث والرابع، فبحث في الدرس البلاغي عند الدارسين للقرآن (سيبويه، الفراء، أبو عبيدة، وابن قتيبة وأبو العباس المبرد)، وتطرق لآراء البلاغية للمعتزلة، وعالج الفكر البلاغي عند الطبري في تفسيره جامع البيان، كما تحدث عن الجاحظ ورؤيته البلاغية، والباقلاني وجهوده في الإعجاز القرآني، أما وجه الاختلاف بين الدراستين فيمكن في فترة الدراسة والمدونات والأعلام الذين تناولتها كل دراسة بما يوحي بالتنوع وتباين الهدف المسطر.

وكتاب (قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية) لعبد العزيز عبد المعطي عرفه، عمد فيه المؤلف إلى بيان مدى إسهام قضية الإعجاز القرآني في نشأة البلاغة العربية وأطوارها في العصور المختلفة، موضحاً دور الفراء وأبي عبيدة في المحافظة على سلامة الذوق العربي، وجهود الجاحظ وابن قتيبة وابن المعتز في الدفاع عن النظام القرآني والأدب العربي بوجه عام، كما تطرق لوجوه البلاغة في القرن الرابع الهجري لتعليل وجه الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، فتقاطعت هذه الدراسة مع دراساتي في إشكال واحد هو: دور البحث الإعجازي في نشأة وتطور الدرس البياني أو البلاغي، بينما تباينت في المنهج المتبع؛ فلم يركز بحثي على مدرسة بعينها، كما اعتمد على القرآن الكريم والتفسير اللغوي في استجلاء معالم الدرس البياني في مختلف المراحل.

وكتاب (التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري) لوليد قصاب، حيث تناول فيه الكاتب جهود المعتزلة منذ نشوئهم في القرن الثاني الهجري على يدي واصل بن عطاء إلى نهاية القرن السادس الهجري، كاشفاً عن الجهود البلاغية للزمخشري؛ إذ يعد القرن السادس ذروة نضج الآراء الكلامية والبلاغية، فيتقاطع هذا المؤلف مع بحثي في اعتماده الحقبة الزمنية نفسها، وإثباته نضج واكتمال البحث البلاغي في القرن السادس الهجري مثلها خصوصاً الزمخشري، بينما يختلفان في تركيز دراسته على فرقة معينة (المعتزلة) مبيناً دورها في إرساء معالم الدرس البلاغي، وتأثير مذهبها الاعتزالي في ذلك، بينما لم يقتصر هذا البحث على طائفة

معينة، وإنما تتبع مراحل نشأة الدرس البياني مذ كان ملاحظات مبثوثة في المصنفات وصولاً إلى مرحلة النضج والاكتمال، موضحاً دور عبد القاهر الجرجاني في تأسيس علم البلاغة وتأثيره الكبير في البيانيين من بعده.

فقد وقفت هذه الدراسة عند تحليلات الدرس البياني في رحاب البحث الإعجازي في حقبة ممتدة ( ستة قرون )، وذلك بتتبع جهود الأعلام البيانية من علماء اللغة والنحو، وعلماء البلاغة، وعلماء القرآن والإعجاز، سعياً لإبراز منهج كل علم ودوره في بلورة الدرس البياني، بدءاً بالإرهاصات والملاحظات البيانية المبثوثة في المصنفات والفنون البلاغية المتداخلة، ثم مرحلة تأسيس البيان العربي ووضوح معالمه، وصولاً إلى مرحلة الاكتمال والتطبيق، كما تمت معالجة مستويات البحث البياني في الدرس الإعجازي من خلال دراسة البيانيين للمستوى الإفرادي، والتركيب، والأسلوبي، والتصويري.

ولاشك أن بحثاً يروم إلى الكشف عن تحليلات الدرس البياني في البحث الإعجازي ستعترض سبيله العديد من المصاعب والمعوقات، ولعل أبرزها:

- الامتداد الزمني للبحث الذي شمل ستة قرون جعل جمع متفرقات المادة العلمية المتشعبة وتبويبها والوقوف على جزئياتها أمراً صعباً.
- قلة المدونات البلاغية التي خصت بعض الأعلام بالدراسة ووضحت منهجهم البلاغي وبخاصة المفسرين.
- تداخل المباحث البلاغية خاصة في المراحل الأولى من نشأة البلاغة وغياب التبويب في المصنفات جعل حصر المادة البلاغية أمراً شاقاً.
- الفكر المذهبي لبعض الأعلام وتأثيره في تحليلاتهم البلاغية.

فقد سعت بجدّ وإخلاص في الإجابة عن الإشكالية المسطرة، وإضاءة جوانب هذا البحث، وتحليل جزئياته، فإن أصبت فلله الحمد والمنة، وإن تعثرت خطاي فلقصور بشري، ولكني سأعمل على الامتثال للملاحظات والتصويبات المقدمة.

وفي الأخير أتقدم بخالص شكري وامتناني للأستاذ المشرف بلمرسلي سبيع الذي تعهد هذا البحث برعايته وتوجيهاته السديدة، وأسهم في تذليل صعوباته، فكان عوناً في جميع المراحل التي قطعها البحث، فجزاه الله عني خير الجزاء وأدامه ذخراً ينهل الطلاب من فيض علمه .



# تحریر

عرف العرب بالفصاحة والبلاغة، والدقة في اختيار الألفاظ المعبرة عن المعاني الكامنة في النفوس، فأعربوا عن أفكارهم وتصوراتهم بنسيج فريد من الخطب، التي اتسمت بجزالة اللفظ، وبلاغة الأسلوب، وشدة الوقع في نفوس المستمعين بما يحملهم على الإذعان والاستجابة، كما نال الشعر مكانة راسخة في فنون القول لديهم؛ إذ اتخذوا منه آلية للتأريخ لحروبهم، وتخليد مآثرهم، والذود عن حماتهم، وترسيخ قيمهم الأخلاقية فجعلوا من الأسواق الأدبية ميدانا للتفاضل وسيلا لإذكاء روح التنافس بين الشعراء والخطباء، فبلغوا الذروة في البيان، والبراعة في التعبير، والتفنن في الأساليب.

وكانت البيئة العربية حاضنة لأنوار الهداية، ونزول المعجزة الخالدة، فقد أرسل الله عز وجل نبيه ﷺ لهداية الناس، وإخراجهم من الظلمات والانحراف إلى النور وطريق الحق، وأيده « بأفضل معجزاته وأكملها وأجلها وأعظمها القرآن الذي نزل عليه بأفصح اللغات، وأصحّها، وأبلغها، وأوضحها، وأثبتها، وأمتنها، بعد أن لم يكن كاتباً ولا شاعراً ولا قارئاً، ولا عارفاً بطريقة الكتابة، واستدعاء من خطباء العرب العرباء وبلغائهم وفصحائهم أن يأتوا بسورة من مثله، فأعرضوا عن معارضته، عجزا عن الإتيان بمثله، فتبين بذلك أن هذه المعجزة أعجزت العالمين عن آخرهم».<sup>(1)</sup>

أقام النبي - ﷺ - الحجة على قومه؛ وتحداهم أن يأتوا ولو بسورة من مثل القرآن؛ عجزوا وأدركوا أنه يستحيل أن يكون من كلام البشر، فأذعن بعضهم وآمن، وعاند منهم من عاند وكفر !

وتضمن القرآن الكريم العديد من القضايا المتعلقة بالتوحيد، والقيم والمعاملات، والتشريع...، بهدف ترسيخ الإيمان وتعزيز اليقين، وتقويم الأنفس، وتنظيم حياة الأفراد

<sup>1</sup> - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي: محمد الدين محمد بن يعقوب، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، د/ط، ج 67/1

والمجتمعات؛ حيث امتاز الأسلوب القرآني بدقة اختيار الألفاظ، وجمالية الإيجاز، وبلاغة التصوير وانسجام الفواصل القرآنية، ما دفع العلماء للبحث عن سر إعجازه.

وقد شغلت قضية إعجاز القرآن الكريم اهتمام العلماء؛ إذ اختلفت آراؤهم حول وجوه إعجازه، ونتج عن بحث ذلك فيض من الدراسات البلاغية التي كان مبدؤها ملاحظات مبثوثة في المصنفات لتنمو تدريجياً وتتطور فتغدو علماً مؤصلاً قائماً بذاته، وتسعى هذه الدراسة لتتبع تطور الدرس البياني في رحاب البحث الإعجازي.. وقد ضمّ موضوعها بعض المصطلحات والمسميات التي لا بد من تجليتها قبل الخوض في تفاصيله، وهي:

#### - البيان:

ورد مصطلح ( البيان ) في المعاجم العربية، ودل على معان عديدة: منها الوضوح والانكشاف، وهو ما أشار إليه ابن فارس (ت 395هـ)، حيث قال « ( بَيَّنَّ ) الباء والياء والنون أصل واحد، وهو بُعِدَ الشيء وانْكَشَفَ ... وبَانَ الشيء و أَبَانَ إذا اتَّضَحَ وانْكَشَفَ وفلانٌ أَبَيَّنُ مِنْ فلانٍ، أي أَوْضَحَ كَلَامًا مِنْهُ ».<sup>(1)</sup>

في حين عرفه ابن منظور (ت 711هـ) بقوله « الْبَيَانُ: ما بُيِّنَ به الشيء من الدلالة وغيرها، وبَانَ الشيء بَيَانًا: اتَّضَحَ، فهو بَيِّنٌ، والجمع أَبْيَنَاءُ، مثل: هَيِّنْ وَأَهْيِنَاءُ، وكذلك أَبَانَ الشيء فهو مُبَيِّنٌ... والْبَيَانُ: الفصاحة واللّسن وكلام بيّن فصيح، والْبَيَانُ: الإفصاح مع الذكاء، والْبَيِّن من الرجال: الفَصِيحُ... وفلان أَبَيَّنُ من فلان، أي: أفصح منه وأوضح كلامًا »<sup>(2)</sup>، فدل على أن البيان هو الوضوح والفصاحة من خلال التعبير عن المقصود، والظهور والكشف والإبلاغ.

<sup>1</sup> - معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن زكريا، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د/ط، ت، ج 327/1-328

<sup>2</sup> - لسان العرب، ابن منظور، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1999، ج 563/1-564

وجاء في كتاب التعريفات «البيان: عبارة عن إظهار المتكلم المراد للسامع»<sup>(1)</sup>، فهو يؤكد على جانب الوضوح في تأدية المقصود باختلاف طرق وأساليب التعبير.

وذكر التهانوي أن البيان «عبارة عن أمر يتعلق بالتعريف والإعلام، وإنما يحصل الإعلام بدليل، والدليل محصل للعلم، فهذا أمور ثلاثة: إعلام، وتبيين، ودليل يحصل به الإعلام، أو علم يحصل من الدليل، ولفظ البيان يطلق على كل واحد من تلك المعاني الثلاثة»<sup>(2)</sup>، فهو يشير إلى قدرة المتكلم في نقل المعرفة إلى المتلقي وإظهار المعاني المجهولة بواسطة الدليل، لتحقيق بذلك غاية البيان وهي الإفهام.

ووردت لفظة (البيان) ومشتقاته في القرآن الكريم؛ حيث جاء في قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: 1-4]، والمقصود بالبيان أي: «علمه كيف يبين عما في ضميره نطقاً وكتابة»<sup>(3)</sup>. وفي قوله تعالى ﴿الَّذِي تَلَّى الْكُتُبَ وَالْقُرْآنَ مُبِينٌ﴾ [الحجر: 1]، لفظ (مبين) بمعنى «يبين لمن تأمله وتدبره رشده وهداه»<sup>(4)</sup>.

والمراد بالبيان في قوله تعالى ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 138]، أي: «دلالة ظاهرة، تبين للناس الحق من الباطل، وأهل السعادة من أهل الشقاوة، وهو الإشارة إلى ما أوقع الله بالمكذابين»<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> - التعريفات، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2003، ص: 51

<sup>2</sup> - موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تح: رفيق العجم وآخرون، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 1996، ج349/1

<sup>3</sup> - المختصر في تفسير القرآن الكريم، جماعة من علماء التفسير، مركز تفسير للدراسات القرآنية، المملكة العربية السعودية، ط3، 1436هـ، ص: 531.

<sup>4</sup> - تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري: أبو جعفر محمد، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية دار هجر، جيزة، ط1، 2001، ج5/14.

<sup>5</sup> - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي: عبد الرحمن بن ناصر، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2، 2002، ص: 158

وأما في قوله تعالى ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿ [القيامة: 16-19]، فالخطاب موجه للنبي صلى الله عليه وسلم والمقصود (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) أي: «بيان ما فيه من حلاله وحرامه وأحكامه لك مفصلة». (1)

وكذلك قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 89]، وتفسيره «بيان (لكل شيء) يحتاج إليه من الأمر والنهي، والحلال والحرام، والحدود والأحكام، و (هدى) من الضلالة، و (رحمة وبشرى) بشارة (للمسلمين)». (2)

واشتمل حديث الرسول الله ﷺ لفظ (البيان) في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه؛ في باب الخطبة «حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن زيد بن أسلم، قال: سمعت ابن عمر يقول: جاء رجلان من المشرق فخطبا، فقال النبي ﷺ: إن من البيان لسحرا» (3)، فهو بلاغة المتكلم في إظهار المقصود، وتفننه في القول ليؤثر في المخاطبين، ويستميل قلوبهم ويأخذ عقولهم.

ونخلص مما سبق ذكره إلى أن لفظ (البيان) في المعجم يحمل دلالة الظهور و الكشف عن المعاني القائمة في النفس، من خلال التنويع في طرائق التعبير وأساليبه بما يحقق غاية الإفهام.

اختلفت نظرة البلاغيين لمفهوم (البيان)، فقد عقد له الجاحظ بابا وعرفه بأنه «اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصولة كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان

<sup>1</sup> - تفسير الطبري: ابن جرير الطبري، ج 504/23

<sup>2</sup> - تفسير البغوي معالم التنزيل، البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود، تح: محمد عبد الله النمر وأخرون، دار طيبة، الرياض، د/ط، 1409هـ، ج 38/14

<sup>3</sup> - صحيح البخاري، البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، دار ابن كثير، دمشق، ط 1، 2002، رقم: 5146، ص: 1312

الدليل؛ لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضححت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع»<sup>(1)</sup>، فالبيان عنده هو القدرة على الإبانة والإفصاح عما في النفس بواسطة الألفاظ أو غيرها من الوسائل لتحقيق غاية الفهم والإفهام .

وحدد ابن وهب أقسام البيان فقال « البيان أربعة أوجه: فمنه بيان الأشياء بذواتها، وإن لم تبين بلغتها، ومنه البيان الذي يحصل في القلب عند إعمال الفكر واللب، ومنه البيان باللسان، ومنه البيان بالكتاب الذي يبلغ من بُعد أو غاب»<sup>(2)</sup>، فهو يشير إلى طرق تأدية المعاني، واستنباط المعرفة عن طريق التفكير والتأمل، وتداولها بالتعبير والنقل.

في حين اعتبر عبد القاهر الجرجاني (البيان) مرادفاً للفصاحة والبلاغة والبراعة؛ حيث قال «فصل في تحقيق القول على البلاغة والفصاحة، والبيان والبراعة، وكل ما شاكل ذلك، مما يعبر عن فضل بعض القائلين على بعض، من حيث نطقوا وتكلموا، وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد...، ومن المعلوم أن لا معنى لهذه العبارات وسائر ما يجري مجراها مما يفرد فيه بالنعته والصفة، وينسب فيه الفضل والمزية إليه دون المعنى: غير وصف الكلام بحسن الدلالة، وتامها فيما له كانت دلالة... ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن يؤثر المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته، ويختار له اللفظ الذي هو أخص به، وأكشف عنه وأتم له، وأحرى بأن يكسبه نبلا، ويظهر فيه المزية»<sup>(3)</sup>، فقد نظر للبيان بمعناه الشامل باعتباره أداة لدراسة نظم الكلام وأساليبه، وحسن الصياغة وتحقيق التآلف بين

<sup>1</sup> - البيان والتبيين: الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998، 76/1.

<sup>2</sup> - البرهان في وجوه البيان، ابن وهب: أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم، تح: حفي محمد شرف، مكتبة الشباب، القاهرة، د/ط، 1969، ص: 56.

<sup>3</sup> - دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، شرح وتقديم: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د/ط، 2003، ص: 97.

الألفاظ والمعاني، والتمكن من التعبير عن المعاني القائمة في النفس من خلال توخي معاني النحو ومراعاة مقتضيات المقام.

وعدّ السكاكي (البيان) علماً من علوم البلاغة (المعاني، البيان، البديع) وعرفه بأنه « محاولة إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه»<sup>(1)</sup>، فهو يشير إلى اختلاف الطرق في تأدية المعنى الواحد، وتنوع الأساليب التعبيرية، إذ يمكن التصريح بالمعاني أو توظيف الصور البيانية من التشبيه، والاستعارة، والكناية، لينسجم الكلام مع مقتضيات المقام.

ونخلص مما سبق إلى أن مفهوم البيان قد تطور من كونه إظهاراً للمعاني بوسائل مختلفة تهدف لتحقيق الإفهام، إلى آلية للكشف عن نظم الكلام وجودة التراكيب وحسن الصياغة، ليغدو بعدها علماً مؤصلاً ينفرد بمباحثه ويشكل ضرباً من علوم البلاغة.

#### - الدرس:

وضح الراغب الأصفهاني (ت 502هـ) المفهوم اللغوي لمصطلح (الدّرس)، قال «(دَرَسَ): دَرَسَ الدَّارُ معناه بقي أثرها، وبقاء الأثر يقتضي انمحاءه في نفسه فلذلك فيسر الدُّرُوس بالانمحاء، وكذا دَرَسَ الكتاب ودَرَسْتُ العِلْمَ تناولت أثره بالحفظ، ولما كان تناول ذلك بمداومة القراءة عُيِّرَ عن إدامة القراءة بالدَّرْسِ، قال تعالى ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ [الأعراف: 169]، قال تعالى ﴿بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: 79]، قال تعالى ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِّنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ [سبأ: 44]»<sup>(2)</sup>، فحمل معنى المداومة على القراءة، والحفظ والتعلم المستمر، وبقاء الأثر والمحو.

<sup>1</sup> - مفتاح العلوم، السكاكي: أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر مُجَدِّد، تعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1987، 2، ص: 329 .

<sup>2</sup> - المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن مُجَدِّد، تح: مركز الدراسات والبحوث، مكتبة نزار مصطفى الباز، د/ط، ت، ص: 223.

وجاء في لسان العرب في مادة ( درس ) « دَرَسَ الْكِتَابَ يَدْرُسُهُ دَرْسًا وَدِرَاسَةً وَدَارَسَهُ، مِنْ ذَلِكَ كَأَنَّهُ عَانَدُهُ حَتَّى انْقَادَ لِحَفْظِهِ، وَقَدْ قَرِئَ بِهِمَا: وَلِيَقُولُوا دَرَسْتُ، وَلِيَقُولُوا دَارَسْتُ، وَقِيلَ: دَرَسْتُ قَرَأْتُ كُتُبَ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَدَارَسْتُ: ذَاكَرْتُهُمْ، وَقَرِئَ: دَرَسْتُ وَدَرُسْتُ أَيِ هَذِهِ أَخْبَارٍ قَدْ عَفَتْ وَانْحَتَتْ، وَدَرُسْتُ أَشَدَّ مَبَالِغَةً<sup>(1)</sup>، فَدَلَ عَلَى الْقِرَاءَةِ، وَالْمَذَاكِرَةِ، وَالْحَفْظِ، كَمَا يَشِيرُ إِلَى « الْمَقْدَارِ مِنَ الْعِلْمِ يُدْرَسُ فِي وَقْتِ مَا ( ج ) دُرُوسٌ وَأُدْرَاسٌ »<sup>(2)</sup>.

أما البياني فهو النظر في أساليب الكلام، وتحليل التراكيب فيه، وتأمل مواقع الكلمات من سياقاتها، والوقوف على أسرار الاختيارات والعدولات فيها، من خلال تقليب أوجه الكلام بين البدائل الممكنة، طلباً للمزية والحسن في الاختيار والكشف الجمالية فيه، ومعرفة الطرق المختلفة في تأدية المعاني بما يتناسب مع مقتضيات المقام..

#### - الإعجاز:

الإعجاز مصدر مشتق من الجذر الثلاثي (عجز)، عرفه الجوهري (ت393هـ) بقوله « العجز: الضعف، تقول: عَجَزْتُ عَنْ كَذَا أَعْجِزُ بِالْكَسْرِ عَجْزًا وَمَعْجِزَةً وَمَعْجِزَةً وَمَعْجِزًا بِالْفَتْحِ أَيْضًا عَلَى الْقِيَاسِ... قَالَ ثَعْلَبُ: سَمِعْتُ ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ يَقُولُ: لَا يُقَالُ عَجَزَ الرَّجُلُ بِالْكَسْرِ إِلَّا إِذَا عَظُمَ عَجْزُهُ... وَالتَّعْجِيزُ: التَّشْبِيهُ، وَكَذَلِكَ إِذَا نُسِبَتْ إِلَى الْعَجْزِ، وَعَاجَزَ فَلَانٌ؛ إِذَا ذَهَبَ فَلَمْ يُوصَلْ إِلَيْهِ... وَالْمَعْجِزَةُ: وَاحِدَةُ مُعْجِزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ »<sup>(3)</sup>.

وعرفه ابن فارس (ت395هـ) بقوله « العين والجيم والزاء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على الضَّعْفِ، وَالْآخَرُ عَلَى مُؤَخَّرِ الشَّيْءِ، فَالْأَوَّلُ عَجَزَ عَنِ الشَّيْءِ يَعْجِزُ عَجْزًا، فَهُوَ عَاجِزٌ، أَيِ: ضَعِيفٌ، وَقَوْلُهُمْ إِنَّ الْعَجْزَ نَقِيزُ الْحَزْمِ فَمِنْ هَذَا؛ لِأَنَّهُ يَضْعُفُ رَأْيُهُ، وَيَقُولُونَ: ( الْمَرْءُ يَعْجِزُ لَا مَحَالَةَ )، وَيُقَالُ: أَعْجِزَنِي فَلَانٌ، إِذَا عَجِزْتَ عَنْ طَلْبِهِ وَإِدْرَاكِهِ... »

<sup>1</sup> - لسان العرب، ابن منظور، ج4/329.

<sup>2</sup> - المعجم الوسيط، مجموعة من الباحثين، مكتبة الشروق الدولية (دم)، ط4، 2004، ص: 280.

<sup>3</sup> - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري: إسماعيل بن حماد، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1990، ج3/883-884.



وأما الأصل الآخر فالعجز: مؤخر الشيء، والجمع أعجاز، حتى إنهم يقولون: عجز الأمر، وأعجاز الأمور<sup>(1)</sup>، فتدور المعاني اللغوية للفظ (عجز) على: عدم القدرة على إدراك الشيء، الضعف، ومؤخر الشيء، والتأخر والقصور، والفوت والتشيط.

أما المعجزة فهي «أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة، وهي إما حسية وإما عقلية»<sup>(2)</sup>، ففي التعريف بيان لشروط المعجزة فقولها (أمر خارق للعادة) أي: يتجاوز القدرة البشرية، يظهره الله على يد نبي من الأنبياء أو رسول من الرسل فيكون دليلاً على صدق نبوته أو رسالته. وتنقسم إلى معجزة حسية كعصا موسى عليه السلام، وناقصة صالح عليه السلام.. ومعجزة عقلية وهي القرآن الكريم. أما (التحدي) فلا إقامة الدليل على الجاحدين والمكذابين للأنبياء والرسل. ومعنى (سالم عن المعارضة) أن لا يمكن للبشر أن يأتوا بمثله رغم قيام الداعي لذلك.

وعرف محمود محمد شاكر المعجزة بأنها «الآية الكاشفة عن عجز الخلائق، المبطللة لجميع قدراتهم على مثلها، المبينة عن قدرة الله الذي لا يعجزه شيء في السماوات والأرض»<sup>(3)</sup>.

أما مصطلح إعجاز القرآن فهو مركب إضافي المراد به «إظهار صدق النبي صلى الله عليه وسلم في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة وهي القرآن وعجز الأجيال بعدهم»<sup>(4)</sup>، حيث عجز الكافرون عن معارضة القرآن الكريم والإتيان بمثله، رغم امتلاكهم لآليات البيان وبراعتهم في اللغة وأساليبها، فتقرر عجزهم وبقي التحدي قائماً، وهو ما عبر عنه ابن حجر بقوله «ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة، وخرقه للعادة في أسلوبه وبلاغته وأخباره بالمغيبات، فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر

<sup>1</sup> - معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج4/232-233

<sup>2</sup> - الإتيان في علوم القرآن، السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، د/ط، ت، ج3/4

<sup>3</sup> - مداخل إعجاز القرآن، أبو فهر محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، مصر، ط1، 2002، ص: 17

<sup>4</sup> - مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 1996، ص: 265

فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون يدلّ على صحة دعواه... ، فعمّ نفعه من حضر ومن غاب ومن وجد ومن سيوجد»<sup>(1)</sup>.

وأرجع الرافعي حقيقة الإعجاز إلى أمرين فقال « وإنما الإعجاز شيان: ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة، ومزاوته على شدة الإنسان واتصال عنايته، ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه، فكأن العالم كله في العجز إنسان واحد، ليس له غير مدته المحدودة بالغة ما بلغت»<sup>(2)</sup>، فتفرد القرآن الكريم ببلاغته وأسلوبه، وأحكامه التشريعية، وإخباره عن الأولين، وإنبائه بحوادث المستقبل، وكشفه عن الحقائق الكونية المتعلقة بالآفاق والأنفس، ليظهر بذلك قصور البشر عن الإتيان بمثله، فهو خطاب هداية موجه لجميع البشر، فعمق دلالاته يتجاوز الإطار المكاني والزمني، والبحث عن أغراضه وأسراره وحقيقة إعجازه مستمرة توجب المعرفة والتدبر.

#### - البحث:

وضح الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ) الدلالة اللغوية لكلمة (البحث) قال «الْبَحْثُ: طَلَبُكَ شَيْئًا فِي الثُّرَابِ، وَسُؤَالُكَ مُسْتَخِيرًا، تقول: أَسْتَبْحِثُ عنه وأَبْحَثُ، وهو يَبْحَثُ بَحْثًا»<sup>(3)</sup>، فدل على الطلب، والتفتيش، والاستقصاء وبذل الجهد في موضوع ما.

وعرفه ابن فارس (ت395هـ) بقوله «الباء والحاء والشاء، أصل واحد، يدل على إثارة الشيء»<sup>(4)</sup>، فهو يشير إلى التتبع والتحري وجمع المسائل المرتبطة بموضوع معين.

<sup>1</sup> - فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تح: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، مُجَدِّ فؤاد عبد الباقي، دار الرشيد، الجزائر، د/ط، 2000، مج8/666

<sup>2</sup> - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، مراجعة: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، ط3، 2003، ص: 117

<sup>3</sup> - كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، الفراهيدي: الخليل بن أحمد، تح: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ج1/115

<sup>4</sup> - معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج1/204

أما ( البحث ) اصطلاحاً فهو « دراسة مبنية على تقص وتتبّع، لموضوع معين، وفق منهج خاص، لتحقيق هدف معين »<sup>(1)</sup>، فهو محاولة لاكتشاف المعرفة وجمع المعلومات وتحليلها ونقدها بهدف الوصول للحقائق.

#### - التجليات:

يشير لفظ ( التجليات ) في المعاجم اللغوية إلى الوضوح والانكشاف، فقد جاء في معجم مقاييس اللغة في مادة ( جلو ) «(جلو): الجيم واللام والحرف المعتل أصل واحد، وقياس مطّرد، وهو انكشاف الشيء وبروزه، يقال: ... جَلَوْتُ السَّيْفَ جَلَاءً، وقال الكسائي: السَّمَاءُ جَلَوَاءٌ، أي مُصْحِيّة، ويقال: تَجَلَّى الشيء إذا انكشَفَ»<sup>(2)</sup>.

ووضح الزمخشري المعاني التي تضمنتها مادة ( جَلَا ) والسياقات التي ترد فيها، قال «جَلَا لي الشيءُ وَانْجَلَى وَتَجَلَّى، وَجَلَّاهُ لي فُلَانٌ، وَجَلَّوْا عَنْ بِلَادِهِمْ جَلَاءً، وَوَقَعَ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءُ، وَأَجَلَيْنَاهُمْ عَنْهَا وَجَلَّوْنَاهُمْ، وَيُقَالُ لِلْقَوْمِ إِذَا كَانُوا مُقْبِلِينَ عَلَى شَيْءٍ مُحْدِقِينَ بِهِ ثُمَّ انْكَشَفُوا عَنْهُ: أَخْرَجُوا عَنْهُ وَأَجَلَّوْا عَنْهُ، ... وَمَا أَقْمَتُ عَنْدهُ إِلَّا جَلَاءً يَوْمَ وَاحِدٍ أَيْ بَيَاضَهُ، وَانْجَلَّتْ عَنْهُ الْهَمُومُ، وَقَدْ أَجَلَّوْا الْهَمُومَ بَكْذَا، وَجَلَّاهُ اللَّهُ عَنْكَ الْمَرَضَ، وَهَذَا أَمْرٌ جَلِيٌّ غَيْرُ خَفِيٍّ وَأَخْبَرَنِي عَنْ جَلِيَّةِ الْأَمْرِ وَهِيَ مَا ظَهَرَ مِنْ حَقِيقَتِهِ»<sup>(3)</sup>، فدلّت على الوضوح والانكشاف، والخروج، والرحيل، والإزالة والذهاب، وإظهار الحقيقة، والتنظيف والصقل ومن ذلك قولهم « جَلَى السَّيْفَ وَالْفِضَّةَ وَالْمِرْآةَ وَنَحْوَهَا - جَلِيًّا، وَجَلَاءً: كَشَفَ صَدَّاءُهَا وَصَقَلَهَا»<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - البحث العلمي حقيقته ومصادره ومادته ومناهجه وكتابته وطابعته ومناقشته، عبد العزيز بن عبد الرحمن بن علي الربيع، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2، 2000، ج1/22

<sup>2</sup> معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج1/468

<sup>3</sup> - أساس البلاغة، الزمخشري: جاز الله محمود أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد، تح: مُجَدِّدُ بَاسِلِ عَيُونِ السُّود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ج1/145-146

<sup>4</sup> - المعجم الوسيط، مجموعة من الباحثين، ص: 132

أما ( التجلي ) في اصطلاح الصوفيين فهو « ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب »<sup>(1)</sup>، والمقصود ظهور الحقائق والأسرار وانكشافها للقلب.

والمراد بـ ( التجليات ) في موضوع هذه الدراسة ( تجليات الدرس البياني في البحث الإعجازي حتى نهاية القرن السادس الهجري ) هو توضيح وبيان جهود العلماء في التأصيل للدرس البياني من خلال بحثهم في قضية الإعجاز.

ونشير إلى البيان المقصود هو البيان بمفهومه العام، المتمثل في التعبير عن المعاني القائمة في النفس من أفكار ومشاعر، وتنويع المتكلم للأساليب وطرائق التعبير عنها، وحسن صياغته للتراكيب بما يكشف عن سمو معانيها، وجزالة ألفاظها، وروعة تناسقها، بمراعاة معاني النحو ومقتضيات المقام، وليس البيان الذي استقر مفهومه عند البلاغيين المتأخرين بجعله أحد أقسام علم البلاغة ( علم المعاني، علم البيان، وعلم البديع ).. حيث تتبع هذا البحث جهود العلماء من النحاة، وأصحاب المعاني، والبلاغيين، وعلماء القراءات، وعلماء الإعجاز، في بلورة مباحث الدرس البياني؛ إذ اتخذت البلاغة وسيلة لفهم معاني القرآن الكريم، وتبين مقاصده وأغراضه، والكشف عن وجوه الإعجاز، ليتطور الدرس البياني في رحاب البحث الإعجازي وترسم معالمه وتتمايز مسائله، حيث شملت الدراسة فترة امتدت حتى القرن السادس الهجري، شكلت نهضة فكرية وتطورا في المعارف والفنون؛ إذ تبلور الدرس البياني على يد عبد القاهر الجرجاني بتأسيسه لنظرية النظم وتحديد له لأبعاد البلاغة؛ لتتلوها مرحلة النضج والاكتمال على يد الزمخشري والرازي وابن عطية وابن الجوزي.. من خلال تفسيرهم للقرآن الكريم، ووقوفهم على مفرداته وتراكيبه وأساليبه وبديع تصويره، وسيتم تفصيل هذه المفاهيم في ثنايا فصول ومباحث هذه الدراسة.

<sup>1</sup> - الفتوحات المكية، ابن عربي: أبو بكر محي الدين محمد بن علي، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999، مج4، ص: 171

## الفصل الأول:

تجليات الدرس البياني عند علماء النحو والمعاني حتى نهاية

القرن الخامس الهجري

- المبحث الأول: تجليات الدرس البياني عند علماء اللغة

والنحو حتى نهاية القرن الخامس الهجري.

- المبحث الثاني: تجليات الدرس البياني عند أصحاب

المعاني حتى نهاية القرن الخامس الهجري.

### المبحث الأول: تجليات الدرس البياني عند علماء اللغة والنحو حتى نهاية القرن الخامس الهجري

اتسعت الرقعة العربية بفعل الفتوحات الإسلامية وامتدت أطرافها لتشمل مشارق الأرض ومغاربها، وضمت بذلك أطيافاً وأجناساً متعددة الثقافات، متباينة اللغة والمنطق. وقد سعى الوافدون الجدد إلى فهم الدين وتدبر معانيه وأسلوبه، بيد أن ضعف قريحتهم العربية حال دون ذلك وأدى إلى تفشي اللحن والعجمة، فاستغلقت المعاني وفتحت الأبواب أمام الطاعنين والمشككين في القرآن الكريم، فانبرى العلماء للتصدي لهذه الظاهرة من خلال استقاء اللغة من ينابيعها الصافية من أفواه العرب الفصحاء وتجميعها وتصنيفها ووضع القواعد والمعايير التي تعصم الألسن من الوقوع في الزلل، فكانت بداية للتأليف في اللغة وعلومها من نحو وبلاغة وصرف... فشكلت هذه المعارف وحدة شاملة مترابطة الأواصر متصلة المباحث والمفاهيم مبنوثة في المصنفات.

وعرفت المرحلة الأولى تداخلاً في المعارف والعلوم مما جعل ضبط مسائلها وقضاياها أمراً صعباً، فوصفت من قبل أحد الباحثين بأنها «أقل المراحل وضوحاً، وأكثرها استعصاء على الضبط الدقيق؛ لأنها تمثل طور نشأة العلم، وبداية التعرض لمسائله البيانية».<sup>(1)</sup>

وقد كانت نشأة الدرس البلاغي في رحاب الدراسات النحوية حيث اتصلت بمباحثه بها واتصف بسماتها، فالملاحظات التي أبدتها النحاة واللغويون الأوائل كانت لبنات أساسية في صرح البيان العربي «فبداية البلاغة والنقد على أيدي النحويين واللغويين والرواة كانت بداية سليمة لأنها اتخذت نقطة انطلاقها من أساس متين هو الصوت اللغوي أو الحرف وتدرجت منه إلى الكلمة ثم نظام الجملة، ولم تنظر إلى هذا النظام نظرة آلية مقررة، بل نظرة نفسية مرتبطة بالموقف والقائل

<sup>1</sup> - التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس، حمادي صمود، منشورات الجامعة التونسية، دط، 1981، ص: 19.

## الفصل الأول: تجليات الدرس البياني عند علماء النحو والمعاني حتى نهاية القرن الخامس الهجري

والسامع...ومن هنا كان النحاة واللغويون من واضعي أسس البلاغة العربية من حيث لا يعتدون ذلك». (1)

ومهمة النحاة تجلت في سن القوانين لتحقيق السلامة اللغوية والضبط المعياري للتركيب، وتجاوزت جهودهم أحيانا الوقوف على صحة الإعراب وتتبع أواخر الكلم، فطرحوا بذلك بذورا وملاحظات تتعلق بنظم الجمل والعلاقات الكامنة بين الألفاظ، كاشفين عن مدى صحتها وامتناعها، تلقفها البلاغيون بعدهم واستفادوا منها في تأسيس فكرهم البياني لتتجلى وشائج الصلة بين العلمين وخاصة في باب "علم المعاني" وقضاياها المتعلقة بالإسناد والتقديم والتأخير والحذف... وهي مسائل نحوية اصططغت بلمسات بيانية لتكشف جمالية الأساليب والغرض من الخرق المعياري ودراسة التركيب المختلفة واستجلاء معانيها. مما يؤكد أن «النحاة هم أصحاب الفضل الأول في نشأة البلاغة على الرغم من أنها كانت في البداية نظرات متناثرة هنا وهناك ضمن مباحثهم النحوية ثم أتيح لمن أعقبهم أن يصوغ من هذه النظرات العابرة قواعد بلاغية ذات صبغة علمية». (2)

### - الدرس البياني عند سيبويه (ت 180هـ):

لقد حظي كتاب سيبويه بمكانة عظيمة وشهرة واسعة لما تضمنه من قضايا نحوية مهمة ؛ إذ عده البعض دستورا تستمد منه الأجيال اللاحقة قواعدا وتستلهم منه عبق اللغة وأسرارها «فالفرق ما بينه وبين الكتب التي جاءت بعد عصره، كفرق ما بين كتاب في الفتوى وكتاب في القانون، ذاك يجمع

<sup>1</sup> - اللغة الفنية، ميدلتون موري وآخرين، تعريب: محمد حسن عبد الله، دار المعارف، د/ ط-ت، ص: 14-15.

<sup>2</sup> - أثر النحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، دار غريب، القاهرة، دط، 1998، ص: 03.

## الفصل الأول: تجليات الدرس البياني عند علماء النحو والمعاني حتى نهاية القرن الخامس الهجري

جزئيات يدرسها ويصنفها ويصدر أحكاما فيها، والآخر يجمع كليات يصنفها ويثقفها لنطبق على الجزئيات»<sup>(1)</sup>.

عقد سيبويه مادته النحوية تحت أبواب مفصلا ومدعما إياها بالشواهد، وبحث في صحة التراكيب وفسادها، وقدر المحذوفات ليكشف اللثام عن الدلالات، وفاضل بين الأساليب ورجح بعضها على بعض، مما ينم عن عمق ثقافته واطلاعه الواسع وبراعته في اللغة وفقهها؛ حيث شكلت اللغة عنده وحدة شاملة لحقول معرفية متداخلة نحوية وبلاغية، ومن المسائل البيانية التي عالجها في مؤلفه:

### - الأساليب الإنشائية:

درس سيبويه أساليب التخاطب عند العرب محمدا قواعدها وآلياتها مراعيًا صحة التأليف وإصابة المعنى، وبين خروج بعضها عن معناها الحقيقي إلى أغراض أخرى تفهم من السياق ففي "باب ما جرى من الأسماء التي لم تؤخذ من الفعل مجرى الأسماء التي أخذت من الفعل أشار إلى خروج الاستفهام عن معناه وإفادته معنى التوبيخ فقال «وذلك قولك: أتميمًا مرة وقيسيًا أخرى، كأنك قلت: أتحول تميمًا مرة وقيسيًا أخرى، فأنت في هذه الحال تعمل في تثبيت هذا له، وهو عندك في تلك الحال في تلون وتنقل، وليس يسأله مسترشدا عن أمر هو جاهل به ليفهمه إياه ويخبره عنه، ولكنه وبخه بذلك»<sup>(2)</sup>، فلم يستفهم السائل عن أمر يجهله ولكنه أنكر موقف المخاطب وتلونه .

كما أورد أمثلة عن الاستفهام التوبيخي من شعر العرب كقول أحدهم<sup>(3)</sup>:

<sup>1</sup> - سيبويه إمام النحاة، علي النجدي ناصف، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1979، ص: 163-164.

<sup>2</sup> - الكتاب: كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988، ج 343/1.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 344/1 .



أَفِي السِّلْمِ أَعْيَارًا جَفَاءً وَغِلْظَةً      وَفِي الْحَرْبِ أَشْبَاهَ الْإِمَاءِ الْعَوَارِكِ.

فالشاعر لم يستفهم طلبا للمعرفة، وإنما عاب تخاذل القوم في الحرب وجبنهم، وتستريحهم بلباس الشجاعة في حالة السلم فوبخهم لذلك.

وضرب مثالا آخر في قولهم للرجل: (أطربًا وأنت قنصري)، وبين دلالة ألف الاستفهام والغرض منه بقوله «ومما يدللك على أن ألف الاستفهام ليست بمنزلة هل أنك تقول للرجل: أطربًا وأنت تعلم أنه قد طرب، لتوبخه وتقرره»<sup>(1)</sup>.

وقد يخرج الاستفهام عن معناه الأصلي لمعنى بلاغي آخر وهو التنبيه عن الضلالة ومن الشواهد التي ذكرها قوله تعالى ﴿الْم (1) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [السجدة: 1-3]، قال سيبويه «فجاء هذا الكلام على كلام العرب، قد علم تبارك وتعالى ذلك في قولهم، ولكن هذا على كلام العرب ليعرفوا ضلالتهم»<sup>(2)</sup>، وأيضاً في قوله تعالى: ﴿أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَنِينَ﴾ [الزخرف: 16] قال «فقد علم النبي -ﷺ- والمسلمون: أن الله -عز وجل- لم يتخذ ولداً، ولكنه جاء على حرف الاستفهام ليصروا ضلالتهم ألا ترى أن الرجل يقول للرجل: السعادة أحب إليك أم الشقاء؟ وقد علم أن السعادة أحب إليه من الشقاء، وأن المسئول سيقول: السعادة، ولكنه أراد أن يبصر صاحبه وأن يعلمه»<sup>(3)</sup>، فتضمن الاستفهام دلالة التبصير بضلالة السامع ليفند قولهم ويقر بحقيقة غيهم وهو من مذاهب العرب وأساليبها في الكلام .

<sup>1</sup> - كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، د/ط، ج3/ 176 .

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج3/ 173.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج3/ 173.

وقد يحمل الاستفهام معنى التعجب ومن ذلك قوله «أُنْكَ تقول سبحان الله من هو؟ وما هو؟  
فهذا استفهام فيه معنى التعجب».<sup>(1)</sup>

كما تحدث عن أسلوب النداء وعدوله عن دلالة الوضعية المتمثلة في طلب الإقبال ولفت  
انتباه السامع إلى دلالة بلاغية أخرى، فقال «هذا باب ما يكون النداء فيه مضافا إلى المنادى بحرف  
الإضافة وذلك في الاستغاثة والتعجب كقول مهلهل:

يَا لِبَكْرٍ أَنْشُرُوا لِي كُلِّيًّا      يَا لِبَكْرٍ أَيِّنَ أَيِّنَ الْفِرَارِ

فاستغاث بهم لينشروا له كلييا، وهذا منه وعيد وتهديد، وأما قوله: يا لبكر أين الفرار، فإنما  
استغاث بهم لهم، أي: لم تفرون؟ استطالة عليهم ووعيدا».<sup>(2)</sup>

فقد جعل سيبويه الغرض من هذا النداء التهديد والوعيد، أما صيغة الاستغاثة في قوله  
(فاستغاث بهم) باعتبار اللفظ (حرف نداء متبوعا بلام الاستغاثة) أما المعنى فهو الوعيد والتهديد،  
فالشاعر لا يستنجد بأعدائه وإنما يسخر منهم ويتوعددهم بالقتل .

وتنبه لخروج الأمر والنهي عن دالتيهما الأصليتين، إلى معان مغايرة تستشف من السياق،  
فيقول في (باب الأمر والنهي) «واعلم أن الدعاء بمنزلة الأمر والنهي، وإنما قيل: دعاء، لأنه استعظم أن  
يقال: أمر أو نهي وذلك قولك: اللهم زيذا فاغفر ذنبه، وزيدا فأصلح شأنه، وعمرا ليجزه الله  
خيرا...»<sup>(3)</sup>، فجاء الأمر بمعنى الدعاء والالتماس لأنه من أدنى مرتبة إلى أعلى منزلة وهو خطاب  
البشر لربهم . وأيضا بين إفادة الأمر للإباحة في مثل «جالس عمرا أو خالدا أو بشرا، كأن قلت:

<sup>1</sup> - الكتاب: سيبويه، ج 2/181.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 2/215.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 1/142.

## الفصل الأول: تجليات الدرس البياني عند علماء النحو والمعاني حتى نهاية القرن الخامس الهجري

جالس أحد هؤلاء ولم ترد إنسانا بعينه، ففي هذا دليل على أن كلهم أهل أن يجالس، كأنك قلت: جالس هذا الضرب من الناس، وتقول: كل لحما أو خبزا أو تمرا، كأنك قلت: كل أحد هذه الأشياء فهذا بمنزلة الذي قبله»<sup>(1)</sup>.

وذكر سيبويه استعمال الخبر بمعنى الإنشاء فقال «فتقول زيدا قطع الله يده، وزيدا أمر الله عليه العيش، لأن معناه معنى زيدا ليقطع الله يده»<sup>(2)</sup>، فدل الخبر على معنى الدعاء فخرج بذلك عن موضعه للإنشاء.

### - المسند والمسند إليه:

اهتم سيبويه بالخصائص التعبيرية للتركيب وحسن اختيار الألفاظ ووضعها داخل السياق الذي يقتضيها، فبناء العبارة يترتب عنه بناء للمعاني المختلجة في النفس وتصوير للخواطر والمشاعر ونقلها للسامعين، يقول محمد أبو موسى «وهذه الخواطر لا تنكشف إلا بالتدقيق في منازع الصياغة وأحوال المباني، وأن البحث في هذه الخواطر والمنازع والصور هو نفسه البحث في أحوال المباني»<sup>(3)</sup>.

فالجملّة العربية تتكون من ركنين أساسيين: المسند والمسند إليه تربطهما علاقة إسنادية وهي «ضم كلمة أو ما يجري مجراها إلى أخرى بحيث يفيد أن مفهوم إحداهما ثابت لمفهوم الأخرى أو منفى عنه»<sup>(4)</sup>، فصحة الكلام وتماهه أو نقصانه مرتبطة بتلك العلاقة.

وتحدث سيبويه عن المسند والمسند إليه فقال «وهما ما لا يغني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدءاً، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه، وهو قولك: عبد الله أخوك، وهذا أخوك

<sup>1</sup> - الكتاب: سيبويه، ج 3/184.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1/142.

<sup>3</sup> - دلالات التركيب دراسة بلاغية، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1987، ص: 8.

<sup>4</sup> - معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط2، 2007، ص: 121.

## الفصل الأول: تجليات الدرس البياني عند علماء النحو والمعاني حتى نهاية القرن الخامس الهجري

ومثل ذلك: يذهب عبد الله، فلا بد للفعل من الاسم، كما لم يكن للاسم الأول بد من الآخر في الابتداء»<sup>(1)</sup>.

فالتراكيب اللغوية قائمة على التآلف بين المباني ضمن علاقات وظيفية كالفاعلية والمفعولية والحالية ... وفق نسق معين لتجلية المعاني وتقفي نهج العرب في الكلام، وإحداث تغييرات في مواقع الكلمات يتبعه تغييرات في تصوير المعاني وعدول عن القالب النحوي الذي يفرضه السياق لينتج عنه أساليب متعددة، وهو ما أشار إليه سيويه في حديثه عن "التقديم والتأخير" موضحاً أثره الدلالي والمقصد منه فقال «فإن قدمت المفعول، وأخرت الفاعل ... كقولك: ضرب زيداً عبداً الله ... وكان حد اللفظ فيه أن يكون مقدماً وهو عربي جيد كثير، وإنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم بيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يهماهم ويعنياهم»<sup>(2)</sup>، فالسر البلاغي تجلّى في الاهتمام بالمقدم والعناية به والتنبيه عليه.

وأضفى هذا الغرض بظلاله على الظروف والأسماء فقال «والتقديم ههنا والتأخير فيما يكون ظرفاً أو اسماً، في العناية والاهتمام، ومثله فيما ذكرت لك في باب الفاعل والمفعول وجميع ما ذكرت، والإلغاء والاستقرار عربي جيد كثير، فمن ذلك قوله عز وجل: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الاخلاص:4] وأهل الجفاء من العرب يقولون: ولم يكن كفواً أحد، كأنهم أخروها حيث كانت غير مستقرة»<sup>(3)</sup>.

ويبيّن المواضع التي يحسن فيها التقديم أو التأخير والمواضع التي يستهجن فيها، وربطها بالمعنى ومراعاة المقام، وأورد الشواهد لذلك فقال «وذلك قولك: أزيد عندك أم عمرو؟، وأزيد لقيت أم بشرا؟... فأنت مدع أن المسئول قد لقي أحدهما أو أن عنده أحدهما إلا أن علمك قد استوى فيهما لا تدري أيهما هو ... واعلم أنك إذا أردت هذا المعنى فتقديم الاسم أحسن، لأنك لا تسأله عن اللقي،

<sup>1</sup> - الكتاب: سيويه، ج 23/1.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 34/1.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، 56/1.

## الفصل الأول: تجليات الدرس البياني عند علماء النحو والمعاني حتى نهاية القرن الخامس الهجري

وإنما تسأله عن أحد الاسمين لا تدرى أيها هو، فبدأت الاسم، لأنك تقصد أن يبين لك أي الاسمين في هذا الحال وجعلت الاسم الآخر عديلاً للأول، وصار الذي لا تسأله عنه بينهما... وإنما كان تقديم الاسم ههنا أحسن ولم يجوز للاسم الآخر إلا أن يكون مؤخرًا لأنه قصد أحد الاسمين، فبدأ بأحدهما»<sup>(1)</sup>.

فكشف الغاية من تقديم الاسم على الفعل لأنه المراد بالاستفهام، فكانت العناية به والاهتمام، وآخر الفعل لمعرفة السائل به، فمراعاة قصدية المستفهم اقتضت نظم الكلام بطريقة خاصة أكسبته الحسن .

وأحياناً يكون التقديم سبباً في فساد التركيب ووقوع اللبس في المعاني وعدم القدرة على الإبانة وفي ذلك يقول سيبويه « ويحتملون قبح الكلام حتى يضعوه في غير موضعه، لأنه مستقيم ليس فيه نقض، فمن ذلك قول عمر بن أبي ربيعة:

صَدَدْتُ فَأَطَلْتُ الصُّدُودَ وَقَلَمًا      وَصَالَ عَلَى طُولِ الصُّدُودِ يَدُومُ

وأصل الكلام: قل ما يدوم وصالاً<sup>(2)</sup> فتقديم الشاعر للفاعل (وصال) على فعله (يدوم) أوقعه في سوء التركيب .

<sup>1</sup> - الكتاب: سيبويه، 1/ 169-170.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1/ 31.

- الحذف:

أثر عن العرب تفضيلها للإيجاز والاختصار وبلاغة القول، فحذفت بذلك فضول الكلمات والعبارات وتركت ما يدل عليها ليقينها بقدرة السامع على تقدير المحذوفات قال سيبويه: «واعلم أنهم مما يحذفون الكلم وإن كان أصله في الكلام غير ذلك، ويحذفون ويعوضون ويستغنون بالشيء الذي أصله في كلامه أن يستعمل حتى يصير ساقطاً»<sup>(1)</sup>.

ويرد الحذف عنده لعلة بلاغية يستدعيها النظم ويحسن بها الكلام، قال: «هذا باب ما يكون فيه المصدر حيناً لسعة الكلام والاختصار: وذلك قولك: متى سير عليه؟ فيقول: مَقْدَمَ الحاج، وخُفُوقَ النجم، وخلافةً فلانٍ، وصلاةَ العَصْرِ، وإنما هو: زمنَ مَقْدَمَ الحاج، وحين خُفُوقِ النجم، ولكنه على سعة الكلام والاختصار»<sup>(2)</sup>، فبين الغرض منه وهو الاختصار والإيجاز .

واعتبر المجاز بالحذف من الاتساع والرغبة في الإيجاز فقال: «وسمنا من العرب من يقول ممن يوثق به: اجتمعت أهل اليمامة، لأنه يقول في كلامه: اجتمعت اليمامة، يعني أهل اليمامة، فأنث الفعل في اللفظ لليمامة، فترك اللفظ يكون عليه من سعة الكلام»<sup>(3)</sup>، فإسناد الفعل لغير فاعله من المجاز الذي عده ضرباً من الاتساع . ومثل ذلك قوله: «مما جاء على اتساع الكلام والاختصار قوله تعالى ﴿وَسَلِّ الْقُرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ [يوسف: 82] إنما يريد: أهل القرية فاختصر وعمل الفعل في القرية كما كان عاملاً في الأهل ولو كان ههنا ... ومثل ذلك في كلامهم: بنو فلان يطؤون الطريق، يريد يطؤونهم أهل الطريق ...»<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - الكتاب: سيبويه، ج 1/24-25.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1/222.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 1/53.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 1/212-213.

## الفصل الأول: تجليات الدرس البياني عند علماء النحو والمعاني حتى نهاية القرن الخامس الهجري

فحذف المضاف (أهل) وأقيم المضاف إليه (القرية) مكانه وبذلك تغير حكمها الإعرابي، وهو مشاع في كلام العرب وقد حمله سيبويه على السعة والاختصار .

وتحدث أيضا عن الإضمار وأجازه شريطة علم المخاطب به، ومثل له بقول عمرو بن شأس:

بَنِي أَسَدٍ هَلْ تَعْلَمُونَ بَلَاءَنَا إِذَا كَانَ يَوْمًا ذَا كَوَاكِبٍ أَشْنَعَا

فقال «أضمر لعلم المخاطب بما يعني، وهو اليوم وسمعت بعض العرب يقول أشنعا ويرفع ما قبله، كأنه قال: إذا وقع يوم ذو كواكب أشنعا»<sup>(1)</sup>.

وقدر سيبويه المضمر في قوله تعالى ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ [مُحَمَّد: 21]، فقال «فإما يكون أضمر الاسم وجعل هذا خبره كأنه قال: أمري طاعة وقول معروف، أو يكون أضمر الخبر فقال: طاعة وقول معروف أمثل»<sup>(2)</sup>.

وجاء في باب "ما ينصب في الألف" قوله «تقول أعبد الله ضربته، وأزيدا مررت به، وأعمرا اشتريت له ثوبا، ففي كل هذا قد أضمرت بين الألف والاسم فعلا هذا تفسيره... وقال جرير<sup>3</sup>:

أَنْعَلَبَةَ الْفَوَارِسِ أَمْ رِيَا حَا عَدَلَتْ بِهِمْ طُهْيَةَ وَالْخِشَابَا»<sup>(4)</sup>

وعلق عبد القادر حسين على بيت جرير فقال «فأضمر هنا فعلا دل عليه ما بعده فكأنه قال: أظلمت ثعلبة عدلت بهم طهية، ونحوه من التقدير ويفهم من كلام سيبويه أن الفعل قد أضمر هنا لقصد الاختصار والاحتراز من العبث»<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> - الكتاب: سيبويه، ج4/1 .

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج4/141.

<sup>3</sup> - ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تح: نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، القاهرة، ط3، د/ت، مج1، ص: 814

<sup>4</sup> - المصدر السابق، ج 1 / 101-102.

<sup>5</sup> - أثر النحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، ص: 80.

وقد تبدأ العرب الكلام بالإضمار ثم تتبعه بالتفسير، وأوضح سيبويه ذلك بقوله « وذلك لأنهم بدؤوا بالإضمار لأنهم شرطوا التفسير وذلك نَوْؤًا.... فقولهم: (نَعَمْ رَجُلًا عَبْدُ اللَّهِ)، كأنك قلت: (حَسْبُكَ بِهِ رَجُلًا عَبْدُ اللَّهِ).... و(حَسْبُكَ بِهِ رَجُلًا) مثل (نَعَمْ رَجُلًا) في العمل، وفي المعنى، وذلك لأنهما ثناء في استيجابهما المنزلة الرفيعة... إنما بدؤوا بالإضمار على شريطة التفسير... فالذي تقدم لازم له التفسير حتى يبينه»<sup>(1)</sup>، فذكر الإضمار والتفسير لكنه لم يبين الغرض البلاغي المنوط بهما .

### - التعريف والتكثير:

تطرق سيبويه لمبحث التعريف والتكثير وبين دوره في الإبانة والإفهام وتوصيل المعاني للسامع، فذكر أحوال المسند إليه وأوجب تعريفه لأنه محكوم عليه ومعلوم لدى المخاطب ولتجنب اللبس في الكلام فقال: «واعلم أنه إذا وقع في هذا الباب نكرة ومعرفة، فالذي تشغل به كان المعرفة، لأنه حد الكلام، لأنهما شيء واحد وليس بمنزلة قولك: ضرب رجل زيدا ؛ لأنهما شيئان مختلفان، وهما في كان بمنزلةتهما في الابتداء إذا قلت: عبد الله منطلق، تبتدئ بالأعرف ثم تذكر الخبر، وذلك قولك: كان زيدٌ حليمًا، وكان حليمًا زيدٌ، لا عليك أقدمت أم أخرت، إلا أنه على ما وصفت لك في قولك: ضرب زيدا عبدُ الله، فإذا قلت: كان زيدٌ فقد ابتدأت بما هو معروف عنده»<sup>(2)</sup>، فالابتداء يكون بالمعرفة لأنه معلوم في حين تضفي النكرة غموضا في التركيب .

ويأتي التكثير خدمة لغرض دلالي يستوجه المقام، وقد مثل له سيبويه بقوله «يقول الرجل: أتاني رجل، يريد واحدا في العدد لا اثنين فيقال: ما أتاك رجل، أي أتاك أكثر من ذلك، أو يقول أتاني رجل لا امرأة فيقال: ما أتاك رجل، أي امرأة أتاك ويقول: أتاني اليوم رجل أي في قوته ونفاذه، فتقول

<sup>1</sup> - الكتاب: سيبويه، ج 2/176.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1/47.



ما أتاكَ رجل، أي أتاكَ الضعفاء»<sup>(1)</sup>، فيأتي التكرير عنده بغرض الوحدة في العدد أو الجنس أو التعظيم.

#### - القصر:

تناول سيبويه أسلوب القصر واقترب من دلالاته البلاغية التي تكمن في تخصيص شيء بشيء في الكلام ونفيه عما سواه وإن لم يصرح بالمصطلح، حيث قال « فأما الوجه الذي يكون الاسم بمنزله قبل أن تلحق إلا، فهو أن تدخل الاسم في شيء تنفي عنه ما سواه، وذلك قوله: ما أتاني إلا زيد، وما لقيت إلا زيدا، وما مررت إلا بزيد ... أدخلت إلا لتوجب الأفعال لهذه الأسماء ولتنفي ما سواها، فصارت هذه الأسماء مستثناة»<sup>(2)</sup>، فقد أفصح عن طريقة من طرائق القصر وهي: النفي والاستثناء جاعلا من الأفعال مقصورة على الأسماء بواسطة (إلا).

وذكر قصر التعيين بعبارة موجزة فقال «ومنه مررت برجل راکع لا ساجدٍ، لإخراج الشك أو لتأكيد العلم فيهما»<sup>(3)</sup>، فيرى أن المخاطب متردد في وصف حالة الرجل أهى ركوع أم سجود فقام المتكلم بإزالة هذا الشك.

#### - الفصل والوصل:

أدرك سيبويه أهمية الفصل والوصل في تحديد المعاني وتبينها ففي " باب بدل المعرفة من النكرة والمعرفة من المعرفة وقطع المعرفة من المعرفة مبتدأة " قال: « أما بدل المعرفة من النكرة فقولك: (مَرَرْتُ بِرَجُلٍ عَبْدٍ لِلَّهِ)، كأنه قيل له: (بِمَنْ مَرَرْتُ ؟) أو ظن أنه يقال له ذلك، فأبدل مكانه من هو أعرف

<sup>1</sup> - الكتاب: سيبويه، ج 1/55.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 2/310.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 1/430.

منه...»<sup>(1)</sup>. فأثارت جملة ( مَرَرْتُ بِرَجُلٍ ) سؤالاً ( مَنْ هُوَ؟ أَوْ بِمَنْ مَرَرْتُ؟ ) فجاءت الجملة ( مَرَرْتُ

بِرَجُلٍ عَبْدٍ لِلَّهِ )، جواباً لهذا السؤال ففصلت الجملتان لكمال الاتصال بينهما، ومثله قول الشاعر:

وَلَقَدْ خَبَطَنَ بِيُوتَ يَشْكُرُ خَبْطَةً      أَخْوَالَنَا وَهُمْ بَنُو الْأَعْمَامِ

قال «كأنه حين قال ( خَبَطَنَ بِيُوتَ يَشْكُرُ )، قيل له: ما هم؟ فقال: ( أَخْوَالَنَا وَهُمْ بَنُو

الْأَعْمَامِ )، وقد يكون ( مَرَرْتُ بِعَبْدٍ لِلَّهِ أَخُوكَ )، كأنه قيل له: من هو؟ أَوْ مَنْ عَبْدُ اللَّهِ؟، فقال:

أَخُوكَ»<sup>(2)</sup>، فالفصل بين السؤال والجواب دفع السامع لطرح السؤال وهو من شبه كمال الاتصال.

وتحدث عن الاستئناف البياني فقال: «... وتقول ( مَرَرْتُ بِرَجُلٍ الْأَسَدِ شِدَّةً )، كأنك قلت:

( مَرَرْتُ بِرَجُلٍ كَامِلٍ )، لأنك أردت أن ترفع شأنه وأن شئت استأنفت، كأنه قيل له: ما هو؟»<sup>(3)</sup>،

فجعل الجملة الثانية جواباً لسؤال مقدر وفصل بين الجملتين لشبه كمال الاتصال .

#### - التشبيه والمجاز:

جعل سيبويه الكلام أقساماً وأضرباً «فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم

قبيح، وما هو محال كذب . فأما المستقيم الحسن فقولك: ( أَتَيْتُكَ أَمْسٍ وَسَاتِيكَ غَدًا )، وأما المحال فأن

تنقض أول كلامك بآخره فتقول: ( أَتَيْتُكَ غَدًا، وَسَاتِيكَ أَمْسٍ )، وأما المستقيم الكذب فقولك:

( حَمَلْتُ الْجَبَلَ )، ( وَشَرِبْتُ مَاءَ الْبَحْرِ ) ونحوه، وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو

قولك: ( قَدْ زَيْدًا رَأَيْتُ )، و( كَيْ زَيْدٌ يَأْتِيكَ ) وأشباه ذلك . وأما المحال الكذب فأن تقول: ( سَوْفَ

أَشْرَبُ مَاءَ الْبَحْرِ أَمْسٍ )»<sup>(4)</sup>، فمعيار التفاضل في الكلم كامن في صحة التركيب وصدق المعنى

ومطابقته للواقع فإن اختل ركن ترتب عنه فساد في التأليف .

1 - الكتاب: سيبويه، ج 14/2.

2 - المصدر نفسه، ج 16/2.

3 - المصدر نفسه، ج 17/2 .

4 - المصدر نفسه، ج 26-25/1.

## الفصل الأول: تجليات الدرس البياني عند علماء النحو والمعاني حتى نهاية القرن الخامس الهجري

والتعابير عنده قد ترد على وجه الحقيقة أو المجاز المدرج تحت ضرب المستقيم الكذب الذي عدل عنه للاتساع، حيث ذكر التشبيه فقال «ومثله في الاتساع قوله عز وجل ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الْآلِيِّ يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ [البقرة: 170] فلم يشبهوا بما ينعق، وإنما شبهوا بالمنعوق به، وإنما المعنى: مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذي لا يسمع ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب به بالمعنى»<sup>(1)</sup>، فالغرض من التشبيه هو الإيجاز والاختصار.

وتحدث عن المجاز العقلي واعتبره توسعا واختصارا في الكلام قال: «وتقول: (مُطِرَ قَوْمُكَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) على الظرف... وإن شئت رفعتَه على سعة الكلام كما قيل: (صِيدَ عَلَيْهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ)، وهو (نَهَارُهُ صَائِمٌ، وَلَيْلُهُ قَائِمٌ)، وكما قال جرير:

لَقَدْ لَمْتِ يَا أُمَ غَيْلَانَ فِي السُّرَى  
وَنَمْتُ وَمَا لَيْلُ الْمُطِيِّ بِنَائِمٍ»<sup>(2)</sup>  
فأسند الصيام والقيام إلى الزمان والأصل: الشخص صائم في النهار قائم في الليل، وفي بيت جرير وصف الليل بالنوم اتساعا ومجازا، كما استدل بقول الشاعر:

أَمَّا النَّهَارُ فَفِي قَيْدٍ وَسِلْسِلَةٍ  
وَاللَّيْلُ فِي قَعْرِ مَنْحُوتٍ مِنَ السَّاجِ  
قال «فكأنه جعل النهار في قيد والسلسلة»<sup>(3)</sup>، فالجواز العقلي في جعل النهار في سلسلة وإنما السجين هو الذي يقيد في النهار بسلسلة وفي الليل يحبس في بطن منحوت .

وفي موضع آخر قال «سَرَقْتُ اللَّيْلَةَ أَهْلَ الدَّارِ، فتجري الليلة على الفعل في سعة الكلام، كما قال: صيد عليه يومان... والمعنى إنما هو في الليلة وصيد عليه في اليومين، غير أنهم أوقعوا الفعل عليه لسعة الكلام... ومثل ما أجري مجرى هذا في سعة الكلام والاستخفاف قوله عز وجل ﴿بَلْ مَكْرُ

<sup>1</sup> - الكتاب: سيبويه، ج 212/1.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 160/1.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 161/1.

أَيْلٍ وَالنَّهَارِ» [سبأ: 33] فالليل والنهار لا يمكنان ولكن المكر فيهما»<sup>(1)</sup> فأُسند الفعل لغير فاعله ودلت القرينة على المعنى المقصود؛ إذ نسب الفعل للظرفية الزمانية مجازاً .

- تأكيد المدح بما يشبه الذم:

ذكر سيبويه في كتابه المحسن البديعي تأكيد المدح بما يشبه الذم وأورد عنه أمثلة نقلها البلاغيون لاحقاً في مؤلفاتهم، ومن ذلك قول النابغة الذبياني<sup>2</sup>:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ  
بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

فقال «أي ولكن سيوفهم بهن فلول»<sup>(3)</sup>، فالشاعر لم يقصد بقوله (فلول السيوف) ذم الممدوح والتقليل من شأنه وإنما عني بذلك كمال الشجاعة والإقدام.

وعلق سيبويه على بيت النابغة الجعدي<sup>4</sup>:

فَتَى كَمَلْتَ خَيْرَاتُهُ غَيْرَ أَنَّهُ  
جَوَادٌ فَلَا يُبْقِي مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا

قال «كأنه قال: ولكنه مع ذلك جواد»<sup>(5)</sup>، فقد أثبت للممدوح اتصافه بخصال حميدة ثم أعقبها بصفة الجود بعد أداة الاستثناء بغرض التأكيد.

<sup>1</sup> - الكتاب: سيبويه، ج 1/176.

<sup>2</sup> - ديوان النابغة الذبياني، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ط2، دت، ص:44.

<sup>3</sup> - المصدر السابق، ج 2/326.

<sup>4</sup> - ديوان النابغة الجعدي، تح: واضح الصمد، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص:188.

<sup>5</sup> - الكتاب: سيبويه، ج 2/327.

- التجريد:

تناول سيبويه التجريد في "باب ما يختار فيه الرفع ويكون فيه الوجه في جميع اللغات" فقال «ولو قال: أما أبوك فلك أب، لكان على قوله: فلك به أب أو فيه أب، وإنما يريد بقوله: فيه أب: مجري الأب على سعة الكلام»<sup>(1)</sup>، فقوله: لك به أب أو لك فيه أب نوع من التجريد غايته التوسيع في الكلام .

اتسم نهج سيبويه في تحليله للظاهرة اللغوية بالشمولية، فدراسته لم تقتصر على تتبع أواخر الكلم والوقوف على صحة التراكيب النحوية أو فسادها وحسب بل انتظمت تحتها علوم أخرى؛ إذ نثر ملاحظات بيانية مهمة امتد أثرها في مصنفات العلماء من بعده. قد أدرك المزية في الخروج عن القاعدة وخرقها فبين الغرض من التقديم والتأخير والحذف وتعرض لأساليب وصور من النظم كالقصر والمجاز رابطا النحو بالمعاني .

- الدرس البياني عند المبرد ( ت 286هـ ) :

نثر أبو العباس محمد بن يزيد المبرد في كتبه جملة من القضايا البيانية، التي أثرت الدرس البلاغي وتنقلها العلماء من بعده وبسطوا القول فيها ؛ إذ يعد كتابه "الكامل في اللغة والأدب" مصدرا جامعاً لضروب من الآداب كالخطب والأشعار والأمثال والمواعظ، وبين الغرض من تأليفه فقال: «والنية فيه أن نفسر كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب، أو معنى مستغلق وأن نشرح ما يعرض فيه من

---

<sup>1</sup> - الكتاب: سيبويه، ج 1/389-390.

## الفصل الأول: تجليات الدرس البياني عند علماء النحو والمعاني حتى نهاية القرن الخامس الهجري

الإعراب شرحا وافيا، حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفيا، وعن أن يرجع إلى أحد في تفسيره مكتفيا»<sup>(1)</sup>.

ولا تخلو مؤلفاته الأخرى من المسائل البيانية كالمقتضب وكتاب البلاغة الذي دونه ليجيب عن سؤال أحمد بن الواثق حول البلاغة الذي نصه: «أي البلاغتين أبلغ؟ أبلغة الشعر، أم بلاغة الخطب والكلام المنثور والسجع، وأيتهما أبلغ عندك؟»<sup>(2)</sup>.

فأجابه المبرد بقوله: «إن حق البلاغة إحاطة القول بالمعنى، واختيار الكلام، وحسن النظم؛ حتى تكون الكلمة مقاربة أختها، ومعاضدة شكلها، وأن يقرب بها البعيد، ويحذف منها الفضول»<sup>(3)</sup>.  
فقدم المبرد مفهوما شاملا للبلاغة يتمثل في انتقاء الألفاظ المناسبة الدالة على المعاني المرادة، وحسن النظم والإيجاز في القول دون إخلال بالمعنى واستحضار المتلقي والمقام بهدف إنجاح عملية التواصل اللغوي.

### - التعقيد اللفظي والمعنوي:

أدرك المبرد دور الألفاظ في ترجمة المعاني ومكونات النفس لذا دعا إلى حسن اختيارها ومراعاة موقعها في التركيب لتجنب التعقيد اللفظي «فيكون الكلام خفي الدلالة على المعنى لخلل واقع في نظمه وتركيبه بحيث لا يكون ترتيب الألفاظ على وفق المعاني بسبب تقديم أو تأخير، أو فصل أو

<sup>1</sup> - الكامل في اللغة والأدب، المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد، تعليق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1997، ج1/05.

<sup>2</sup> - البلاغة، المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد، تح: رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط2، 1985، ص: 80.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 81.

حذف أو نحو ذلك مما يترتب عليه صعوبة فهم المراد»<sup>(1)</sup>، وبين ذلك في دراسته لبیت الفرزدق فقال «ومن أقبح الضرورة، وأهجن الألفاظ، وأبعد المعاني قوله:

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمْلَكًا      أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ

مدح بهذا الشعر إبراهيم بن هشام... خال هشام بن عبد الملك فقال: وما مثله في الناس إلا مملكا يعني بالملك هشاما، أبو أم ذلك المملك أبو هذا الممدوح، ولو كان هذا الكلام على لكان قبيحا، وما كان يكون إذا وضع الكلام في موضعه أن يقول: وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملك، أبو أم هذا المملك أبو هذا الممدوح، فدل على أنه خاله بهذا اللفظ البعيد، وهجنه بما أوقع فيه من التقديم والتأخير»<sup>(2)</sup>، فوجه التعقيد يكمن في تقديمه المستثنى منه والصفة على الموصوف والخبر على المبتدأ مما أوقعه في فساد النظم لتنازع الألفاظ في مواقعها فلم يبلغ المعنى المراد .

كما تحدث عن التعقيد المعنوي الذي يُعرف بأنه خفاء في «الدلالة على المعنى المراد للخلل في انتقال الذهن من المعنى الأول المفهوم من اللفظ لغة، إلى المعنى الثاني المقصود، بحيث يكون المعنى الثاني من الأول بعيدا عن الفهم يحتاج إلى تكلف، بسبب استعمال اللفظ في المعنى المخالف للمعنى الأول»<sup>(3)</sup>. حيث أشار إليه المبرد عند تعليقه على بيت العباس بن الأحنف:

سَأَطْلُبُ بُعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرُبُوا      وَتَسْكُبَ عَيْنَايَ الدُّمُوعَ لِتَجْمُدَا

<sup>1</sup> - البلاغة الاصطلاحية، عبده عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1992، ص: 27.

<sup>2</sup> - الكامل في اللغة والأدب: المبرد، ج28/1.

<sup>3</sup> - البلاغة: المبرد، ص: 28.

## الفصل الأول: تجليات الدرس البياني عند علماء النحو والمعاني حتى نهاية القرن الخامس الهجري

قال المبرد «يقول: أغترب فأكسب ما يطول به مقامي معكم، وقربي منكم؛ فهذا أحسن، والأول أوضح»<sup>(1)</sup>، فالبعد عن التعقيد اللفظي والمعنوي شرط من شروط فصاحة الكلام وإبلاغ المعاني للسامع.

### - الخبر وأضرابه:

تحدث المبرد عن الخبر فعرفه بقوله: «الخبر ما جاز على فائله التصديق والتكذيب»<sup>(2)</sup>، وبين أن للكلام ضرباً يراعي فيها المتكلم أحوال المخاطبين ونفسياتهم فيؤلف ما يتناسب مع تلكم الأحوال ومن ذلك ما رواه الجرجاني عن ابن الأنباري أنه قال: «ركب المتفلسف الكندي إلى أبي العباس وقال له: إني لأجد من كلام العرب حشوا: فهم يقولون: عبد الله قائم، ثم يقولون: إن عبد الله قائم، ثم يقولون: إن عبد الله لقائم، فالألفاظ متكررة والمعنى واحد! فقال المبرد: بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ، فقوهم عبد الله قائم إخبار عن قيامه، وقوهم إن عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل، وقوهم إن عبد الله لقائم جواب عن إنكار منكر قيامه فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني»<sup>(3)</sup>، فلا بد من استحضار المتلقي عند إلقاء الكلام، فإن كان خالي الذهن متقبلاً له لا توظف المؤكدات وإن كان متردداً في قبوله يستعان بمؤكد واحد أما إذا كان منكراً للخبر وجب تأكيده حسب درجة إنكاره .

### - الأساليب الإنشائية:

بين المبرد خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى دلالات بلاغية أخرى واستدل على ذلك بشواهد من القرآن الكريم والشعر العربي، فرأى أنه يفيد التوبيخ في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ هَٰذَا وَتَمِيزْ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ﴾

<sup>1</sup> - البلاغة: المبرد، ص: 85.

<sup>2</sup> - المقتضب، المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة الإحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط2، 1386، ج3/89.

<sup>3</sup> - دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص: 312.



مَزِيَمٌ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿ [ المائدة: 116 ] قال «إنما هو توبيخ وليس باستفهام، وهو جل وعز العالم بأن عيسى لم يقله».<sup>(1)</sup>

ويدل على التعجب والإنكار، قال المبرد « فأما التعجب والإنكار فقول المشركين ﴿ أءَأَنَا لَمَبْعُوثُونَ (47) أَوْ ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴾ [ الواقعة: 50-51 ] ».<sup>(2)</sup>

وقد يفيد الاستفهام التقرير ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [ الزمر: 60 ]<sup>(3)</sup>، كما استشهد بقول جرير<sup>4</sup>:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونٌ رَاحَ

قال: «وأنت تعلم أنه لم يستفهم، ولكن قررهم بأنه كذلك وأنه قد ثبت لهم»<sup>(5)</sup>، وبين خروج الأمر إلى غرض الوعيد قال «وأما قوله عز وجل ﴿ ذُرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَمْتَعُوا ﴾ [ الحجر: 03 ]، فعلى الجواب فإن قال قائل: فأمر الله بذلك ليخوضوا ويلعبوا؟ قيل: مخرجه من الله عز وجل على الوعيد كما قال عز وجل ﴿ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾ [ فصلت: 40 ] ».<sup>(6)</sup>

ويحمل النهي دلالة النصح والإرشاد قال « فإذا نُهِيتَ عن هذا قلت: لا تأت زيدا أو عمرا أو خالدا، أي لا تأت هذا الضرب من الناس، كما قال الله عز وجل ﴿ وَلَا تُطِيعُوا أَهْلَ مَا أَوْكُفُّوا ﴾ [ الإنسان: 24 ] ».<sup>(7)</sup>

<sup>1</sup> - الكامل في اللغة والأدب: المبرد، ج 1/172-173.

<sup>2</sup> - المقتضب: المبرد، ج 3/308.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 3/292.

<sup>4</sup> - ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تح: نعمان محمد أمين طه، مج 1، ص: 89.

<sup>5</sup> - المصدر السابق، ج 3/292.

<sup>6</sup> - المقتضب: المبرد، ج 2/84.

<sup>7</sup> - المصدر نفسه، ج 3/301.

ووضح خروج الخبر عن معناه ليدل على الدعاء فقال «وذلك قولك: ليغفر الله لزيد وتقول: اللهم اغفر لي كما تقول: اضرب عمرا فأما قولك: غفر الله لزيد، ورحم الله زيدا، ونحو ذلك فإن لفظه لفظ الخبر ومعناه الطلب؛ وإنما كان كذلك لعلم السامع أنك لا تخبر عن الله عز وجل، وإنما تسأله»<sup>(1)</sup>.

ويفيد القسم قال المبرد «كما أن قولك: علم الله لأقومن إنما لفظه لفظ رزق الله، ومعناه القسم؛ لأنك في قولك ( علم ) مستشهد»<sup>(2)</sup>.

#### - الإيجاز:

يعد الإيجاز من الأساليب البلاغية التي يلجأ إليها المتكلم لتجنب الإطالة وحذف الفضول من الكلام لمعرفة السامع بالمحذوف، قال المبرد: « وفي القرآن مختصرات، فإن مجاز كلام العرب يحذف كثيرا من الكلام إذا كان فيما يبقى دليل على ما يلقي فمن ذلك ﴿وَسَّيْلُ الْقَرْيَةِ﴾ [يوسف: 82] لما كانت القرية والغير لا يسألان، ولا يجيبان علم أن المطلوب غيرهما»<sup>(3)</sup>.

ومثل لذلك بقول الرسول ﷺ: "كفى بالسلامة داء" حيث أعجب المبرد بجزالة ألفاظه وإيجازه فقال «فانظر إلى هذا الكلام، الذي لا زيادة فيه ولا نقصان لا يطول المعنى، ولا يقصر عنه، وانظر إلى فخامته وجزالته؛ يقول: "كفى بالسلامة داء" فأى كلام أوعظ أو زجر في القلب أوقر؟ إن هذا الكلام ليجل عن أن يبلغه وصف أو يحيط بكنهه قول»<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - المقتضب: المبرد، ج 2/130.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 2/130.

<sup>3</sup> - ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد، المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد، تح: أحمد محمد سليمان أبو الرعد، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ط 1، 1989، ص: 77.

<sup>4</sup> - البلاغة: المبرد، ص: 90.

ويرد الحذف بغرض الإيجاز قال «فأما قوله: ﴿وَالشَّمْسُ وَضَعَهَا﴾ [ الشمس: 1] فإنما وقع القسم على قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا﴾ وحذفت اللام لطول القصة لأن الكلام إذا طال كان الحذف أجمل<sup>(1)</sup>.

وقد يحذف الفعل تجنباً للإطالة والتكرير مع وجود قرينة دالة على المحذوف قال المبرد « وقد يحذف الفعل في التكرير وفي العطف وذلك قولك: رأسك والحائط ورأسه والسيف يا فتى، فإنما حذف الفعل للإطالة والتكرير، ودل على الفعل المحذوف بما يشاهد من الحال ومن أمثال العرب: رأسك والسيف، ومن أمثالهم: أهلك والليل، وقد دل هذا على أنه يريد: بادر أهلك والليل. والأول على أنه: نح رأسك من السيف، وتقدير الفعل: اتق رأسك والسيف<sup>(2)</sup> ».

وأشار إلى حذف المبتدأ في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِمْ أَزْبَعَةً أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: 234] قال: « والمعنى: أزواجهم يتربصن بأنفسهن<sup>(3)</sup> »، واشترط المبرد في حذف المبتدأ وجود قرينة دالة عليه فقال: « فإذا ذكرت ما يدل على الشيء فهو كذكرك إياه، ألا ترى أنهم يقولون: من كذب كان شراً يريدون كان الكذب، وقال الله عز وجل ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [ آل عمران: 180]؛ لأن المعنى: البخل هو خير لهم، فدل عليه بقوله يبخلون<sup>(4)</sup> ». وقد يحذف الخبر كما في قوله تعالى ﴿وَمَا أَذْرَبْكَ مَا لَصَاقَتُكَ﴾ [ الحاقة: 03] قال المبرد « فلم يقع بعد ذلك تفسير، ومجاز هذا عند أهل النظر حذف الخبر لعلم المخاطب، يريد تعظيم الأمر كقولك: لو رأيت فلانا وفي يده السيف، أي: لرأيت بارعاً، فاستغنى عن ذلك<sup>(5)</sup> ».

1 - المقتضب: المبرد، ج 2/336.

2 - المصدر نفسه، ج 3/215.

3 - ما اتفق لفظه واختلف معناه، المبرد، ص: 82-83.

4 - المصدر السابق، ج 2/134.

5 - المصدر نفسه، ص: 34.

- التقديم والتأخير:

اشتراط المبرد في تقديم الكلام وتأخيره سلامة المعنى وبلوغ القصد فقال: «ألا ترى أنك إذا قلت: (ظَنَنْتُ زَيْدًا أَخَاكَ)، وإنما يقع الشك في الأخوة، فإن قلت: (ظَنَنْتُ أَخَاكَ زَيْدًا)، أوقعت الشك في التسمية، وإنما يصلح التقديم والتأخير إذا كان الكلام موضحا عن المعنى؛ نحو: (ضَرَبَ زَيْدًا عَمْرُو) لأنك تعلم بالإعراب الفاعل والمفعول، فإن كان المفعول الثاني مما يصح موضعه إن قدمته فتقديمه حسن، نحو قولك: (ظَنَنْتُ فِي الدَّارِ زَيْدًا)، و(عَلِمْتُ خَلْفَكَ زَيْدًا)»<sup>(1)</sup>، وبين جواز تقديم المفعول به فقال «ولو قلت: (عُلَامُهُ كَانَ زَيْدٌ يَضْرِبُ)، كان جيدا أن تنصب (الغلام) بـ (يضرب)، لأنه ما جاز أن يتقدم من الأخبار جاز تقديم مفعوله»<sup>(2)</sup>.

وقدم المبرد أمثلة عن تقديم الحال في قوله تعالى: ﴿حُشًّا أَبْصَرْتُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾

[القمر: 7] وكذلك قول الشاعر:

مُزِيدًا يَخْطُرُ مَا لَمْ يَرِنِي      وَإِذَا يَخْلُو لَهُ حَمِي رَتَعُ<sup>(3)</sup>

ضرب المبرد أمثلة عن التقديم والتأخير من القرآن والشعر العربي ولكنه لم يوضح السر البلاغي

من وروده.

<sup>1</sup> - المقتضب: المبرد، ج 3/95-96.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 4/101.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 4/169-170.

- التشبيه:

ذكر المبرد تداول العرب للتشبيه في كلامهم بكثرة فقال: «والتشبيه جار كثير في كلام العرب حتى لو قال قائل: هذا أكثر كلامهم، لم يبعد»<sup>(1)</sup>، ويُنَّ حد التشبيه الذي يكسب به الحسن فقال «واعلم أن للتشبيه حدا لأن الأشياء تشابه من وجوه، وتباين من وجوه، فإنما ينظر إلى التشبيه من أين وقع ؟ فإذا شبه الوجه بالشمس والقمر، فإنما يراد به الضياء والرونق، ولا يراد به العظم والإحراق»<sup>(2)</sup>.

ويؤكد ذلك في موضع آخر فيقول «لأن الشيء لا يشبه الشيء في جميع حالاته، وإنما يشبهه من حيث تشبهه به، ولا يكون إلا في مقدمة تقول: كان خالد القسري مثل حاتم الطائي، لم ترد الزمان والقدم، ولم ترد الجاهلية والإسلام، ولم ترد أن القبيلة تجتمع عليهما، ولكنك ذكرت جود خالد فقرنته بحاتم لما سبق له وكذلك لو قلت: كان جرير كامري القيس بعد أن تذكر الشعر والمرتبة فيه، فهذا دليل التشبيه فإن قلت: هذا مثيل هذا وقد قدمت نحو مما ذكرنا علم أنك حقرت من حيث حقرت المشبه به فبالمعنى يصلح اللفظ ويفسد»<sup>(3)</sup>، فقصد المبرد بحد التشبيه ما عرف عند البلاغيين بوجه الشبه أي الصفة المشتركة بين المشبه والمشبه به .

وخصص للتشبيه بابا طريفا جمع فيه الشواهد الشعرية وأبدى إعجابه وتفضيله لها، حيث قسمه إلى أربعة أنواع فقال «والعرب تشبه على أربعة أضرب: فتشبيه مفرط، وتشبيه مصيب، وتشبيه مقارب، وتشبيه بعيد يحتاج إلى تفسير ولا يقوم بنفسه، وهو أخشن الكلام»<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - الكامل في اللغة والأدب: المبرد، ج 70/3.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 41/3.

<sup>3</sup> - المقتضب: المبرد، ج 273/2.

<sup>4</sup> - المصدر السابق، ج 95/3.

فالتشبيه المفرط: هو التشبيه « المبالغ فيه، أو المبالغ في الصفة التي تجمع بين المشبه والمشبه به»<sup>(1)</sup> ومثل له بقول الخنساء<sup>2</sup>:

وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُّ الْهُدَاةُ بِهِ      كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ

قال « فجعلت المهتدي يأتم به وجعلته كنار في رأس العلم، والعلم الجبل وقال الله جل ثناؤه: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ [ الرحمن: 24]». <sup>(3)</sup>

وأيضاً قوله «فمن التشبيه المفرط المتجاوز قولهم للسخي: هو كالبحر وللشجاع: هو كالأسد وللشريف سما حتى بلغ النجم». <sup>(4)</sup>

التشبيه المصيب: عده المبرد من أهم الأقسام «لأنه يحقق صفات التطابق بين الأطراف الخارجية لعناصر المشابهة، ويقوم على لياقة عقلية واضحة»<sup>(5)</sup>، ومثل له بشواهد منها قوله « فأحسن ما جاء بإجماع الرواة ما مر لامرئ القيس في كلام مختصر، أي البيت الواحد من تشبيه شيء في حالتين مختلفتين بشيئين مختلفين وهو قوله<sup>6</sup>:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا      لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي

<sup>1</sup> - في البلاغة العربية علم المعاني - البيان - البديع، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، د/ ط - ت، ص: 268.

<sup>2</sup> - ديوان الخنساء، شرح: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2004، ص: 46

<sup>3</sup> - الكامل في اللغة والادب: المبرد، ج3/36.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 95/3.

<sup>5</sup> - الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1992، ص: 177.

<sup>6</sup> - ديوان امرئ القيس، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، القاهرة، ط5، د/ت، ص: 38.

فهذا مفهوم المعنى فإن اعترض معترض فقال: فهلا فصل فقال: كأنه ربطا العناب وكأنه يابسا الحشف قيل له: العربي الفصيح الفطن اللقن يرمي بالقول مفهوما، ويرى ما بعد ذلك من التكرير»<sup>(1)</sup>.

وقول امرئ القيس في وصف الليل<sup>2</sup>:

كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فِي مَصَامِيهَا      بِأَمْرَاسٍ كَتَّانٍ إِلَى صُمٍّ جُنْدَلٍ

قال المبرد: «فهذا في ثبات الليل وإقامته»<sup>(3)</sup>، خيل إلى الشاعر من طول الليل وثباته كأن نجومه شدت بحبال مما اعترته من هموم وأحزان فيه فتمنى انجلاءه .

التشبيه المقارب: وهو «التشبيه الصريح الذي يقوم بنفسه، ولا يحتاج إلى تفسير أو تأويل، لأنه ظاهر مكشوف يتسم بالبساطة والوضوح»<sup>(4)</sup>، ومثل له بثلاثة أبيات فقال: «ومن حلو التشبيه وقريبه، وصريح الكلام وبلغه قول ذي الرمة:

وَرَمَلٍ كَأَوْرَاكِ الْعَادَى قَطَعْتُهُ      وَقَدْ جَلَّلَتْهُ الْمُظْلِمَاتُ الْحَادِسُ

وقول عقبة بن سبق العنزيث:

لَهُ بَيْنَ حَوَاشِيهِ      نُسُورٌ كَنُورِ الْقَسَبِ

ثم علق عليه بقوله: «فهذا تشبيه مقارب جدا»<sup>(5)</sup>.

أما التشبيه البعيد: فيرى المبرد أنه تشبيه «يحتاج إلى التفسير، ولا يقوم بنفسه، وهو أخشن الكلام»<sup>(6)</sup>، ومثل له بقول الشاعر:

<sup>1</sup> - الكامل في اللغة والأدب: المبرد، ج 25/3.

<sup>2</sup> - ديوان امرئ القيس، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ص: 19.

<sup>3</sup> - الكامل في اللغة والأدب: المبرد، ج 67/3.

<sup>4</sup> - المختصر في تاريخ البلاغة، عبد القادر حسين، دار غريب، القاهرة، ط2، 2000، ص: 64.

<sup>5</sup> - المصدر السابق، ج 84/3.

<sup>6</sup> - المصدر نفسه، ج 95/3.

بَلْ لَوْ رَأَيْتَنِي أُخْتُ جِيرَانِنَا      إِذْ أَنَا فِي الدَّارِ كَأَنِّي حِمَارٌ

قال المبرد «فإنما أراد الصحة، فهذا بعيد لأن السامع يستدل عليه بغيره»<sup>(1)</sup>، فيظن السامع أن المقصود من تشبيه الشاعر نفسه بالحمار البلادة والغباء ولكن المعنى المراد هو القوة البدنية وهذا ما لا يصل إليه إلا عن طريق التفسير والتأويل.

أطلق المبرد مسميات مختلفة على العديد من المسميات على التشبيه مثل: التشبيه العجيب، والمصيب، والحسن والحسن جدا، والجيد، والحلو، والملح، والمفرط، والقاصد والطريف وغير المطروق والمطرود، والسخيف والمتعدد ويسميه الجامع والمختصر، فلم يضع ضوابط تميز كل قسم عن الآخر وإنما جعل من الشواهد دليلا عليها، كما لم يعلل سبب الحسن أو القبح الكامن في الأبيات التي ذكرها .

#### - الاستعارة:

أشار المبرد للاستعارة أثناء تعليقه على بيت جرير:

هَذَا سَوَادَةٌ يَجْلُو مُقْلَتِي لَحْمٍ      بَاذٍ يُصْرَصِرُ فَوْقَ المَرْقَبِ العَالِي

قال: « (يجلو مقلي لحم ) شبه مقليته بمقليتي البازي، ويقال (طائر لحم) من هذا وقوله: يصرصر يعني يصوت يقال: صرصر البازي والصقر، وما كان من سباع الطير، ويقال: صرصر العصفور: وأحسبه مستعاراً، لأن الأصل فيه أن يستعمل في جوارح الطير ». <sup>(2)</sup>

ويرى أحمد السيد الصاوي أن نظرة المبرد للاستعارة «نظرة غير محدودة من حيث إنه لم يعدها من البديع أو البيان، وإنما أراد أن ألفاظا وعبارات أو أبياتا اجتازت معناها وموضعها الأصلي،

<sup>1</sup> - الكامل في اللغة والأدب: المبرد، ج 98/3.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 179/1.



## الفصل الأول: تجليات الدرس البياني عند علماء النحو والمعاني حتى نهاية القرن الخامس الهجري

واستعملت في معنى أو موضع آخر، أما عن العلاقة بين المعنيين فلا يشير إليها المبرد، كما لم يبين الغرض الذي من أجله يتم هذا النقل في الاستعارة<sup>(1)</sup>.

### - المجاز:

أورد المبرد المجاز في مصنفاته وأدرك انتقال اللفظ من معناه الوضعي إلى معنى آخر دل عليه السياق ومن الأمثلة التي ذكرها قوله تعالى: ﴿وَأَجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: 84] قال «قال: ثناء حسناً»<sup>(2)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرْزِيكَ أَغْصِرُ - حَمْرًا﴾ [يوسف: 36] قال «أي أعصر عنبا فيصير إلى هذا الحال»<sup>(3)</sup>.

فهو مجاز مرسل علاقته اعتبار ما سيكون، كما أشار المبرد للمجاز العقلي في قوله: «واعلم أن قولهم: ﴿فِي عَيْشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: 21]، ورجل طاعم - كاس، إنما هو على ذا ومعناه: عيشة فيها رضا ورجل له طعام وكسوة وكذلك: هَمَّ ناصب إنما هو فيه نصب»<sup>(4)</sup>، فبين أن الفعل أسند لغير فاعله فقال: «وحقيقة اللغة غير ذلك قال الله عز وجل ﴿بَلْ مَكْرُ الْيَلِّ وَالنَّهَارِ﴾ [سبأ: 33] فإن تأويله: بل مكرهم في الليل والنهار»<sup>(5)</sup> فنسب المكر للزمان والأصل أن ينسب لمن يمكرون فيه، ومن الشعر الذي استشهد به قول الشاعر:

لَقَدْ لُمْتِنَا يَا أُمَّ غَيْلَانَ فِي السُّرَى  
وَنَمَتِ وَمَا لَيْلُ الْمَطِيِّ بِنَائِمِ

<sup>1</sup> - مفهوم الاستعارة، أحمد السيد الصاوي، ص: 36-37.

<sup>2</sup> - الكامل في اللغة والأدب: المبرد، ج 1/296.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 3/69.

<sup>4</sup> - المقتضب: المبرد، ج 3/163.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ج 4/331.

قال المبرد «والمعنى: بنائم المطي فيه»<sup>(1)</sup>.

- الكناية:

تحدث المبرد عن الكناية وبين أضرارها فقال: «والكلام يجري على ضروب، فمنه ما يكون في الأصل لنفسه، ومنه ما يكفى عنه غيره، ومنه ما يقع مثلاً فيكون أبلغ في الوصف»<sup>(2)</sup>، فكأنه يشير إلى الدلالة الضمنية للمعنى الظاهر، والكناية عنده تقع على ثلاثة أضرب:

الضرب الأول: «للتعمية والتغطية كقول النابغة الجعدي:

أَكْنَى بِغَيْرِ اسْمِهَا وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ  
خَفِيَّاتِ كُلِّ مُكْتَتَمٍ»<sup>(3)</sup>

والضرب الثاني: تجنب اللفظ الخسيس، قال المبرد «ويكون من الكناية وذلك أحسنها الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره»<sup>(4)</sup>، ومثل لها بقول الله عز وجل في المسيح ابن مريم وأمه ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: 75] قال «وإنما هو كناية عن قضاء الحاجة»<sup>(5)</sup>.

أما الضرب الثالث: فيرد للتعظيم والتفخيم قال المبرد: «ومنه اشتقت الكنية وهو أن يعظم الرجل أن يدعى باسمه، ووقعت في الكلام على ضربين: وقعت في الصبي على جهة التفاؤل: أن يكون له ولد ويدعى بولده كناية عن اسمه، وفي الكبير أن ينادى باسم ولده صيانة لاسمه وإنما يقال: كني عن كذا بكذا أي ترك كذا إلى كذا لبعض ما ذكرنا»<sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> - الكامل في اللغة والأدب: المبرد، ج 4/331.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 2/214.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 2/215.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 2/215.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ج 2/216.

<sup>6</sup> - المصدر نفسه، ج 2/216.

وجعل عبد القادر حسين لكل ضرب عنوانا فقال: «الضرب الأول الذي جاء للتعمية والتغطية إنما هو نوع من الكناية اللغوية، والضرب الثاني نلاحظ فيه العدول عن اللفظ الخسيس إلى غيره مما يدل على معناه وإنما هو من الكناية الاصطلاحية، وأما الضرب الثالث الذي اشتقت منه الكنية فهو من باب التسمية»<sup>(1)</sup>.

- أسهم المبرد في إثراء الدرس البلاغي بما قدمه من مسائل بيانية مهمة؛ إذ كان له السبق في الإشارة إلى الخبر وأضر به نافية الحشو عن كلام العرب وداعيا إلى مراعاة أحوال المخاطبين ونفسياتهم، وإلى ترتيب الألفاظ وفق المعاني الكامنة في النفس لتجنب فساد النظم أو غموض الدلالة، كما أفرد للتشبيه بابا وقسمه إلى أقسام مدرجة تحت مسميات مختلفة، معتمدا على استقراءاته للشعر العربي، وتحدث عن الكناية بمدلولها البلاغي مبينا المواطن التي ترد فيها .

#### - الدرس البياني عند ابن جني (ت 392هـ):

درس ابن جني في مصنفاته العديد من القضايا اللغوية كالنحو والتصريف كما تطرق للأصوات والحروف ودلالاتها عند التألف حيث أبدع في هذا الباب وفتح المجال للمتأخرين فاقتبسوا أفكاره وتوسعوا فيها .

وقد نثر معارفه معتمدا على منهج التحليل والتعليل ودقة الملاحظة إذ تبنى إشارات خاطفة وتعمق في دراستها مخرجا إياها للوجود كفكرة مكتملة واضحة المعالم.<sup>(2)</sup>

حيث حاول اللغويون الوقوف على دقائق اللغة وتبين أسرارها كاشفين عن سر إعجاز القرآن الكريم، فبحثوا في تراكيبه ومعانيه مشيرين بذلك إلى قضايا بلاغية مهمة؛ إذ نجد في ثنايا كتب ابن جني تلکم المباحث - البلاغية - منها:

<sup>1</sup> - أثر النحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، ص: 228.

<sup>2</sup> - ينظر: ابن جني النحوي، فاضل صالح السمرائي، دار النذير، د/ط، 1969، ص: 207-212-216-218.

- الأساليب الإنشائية:

- الاستفهام:

ذكر ابن جني خروج الاستفهام عن معناه الوضعي إلى معان بلاغية تقتضيها الضرورة الدلالية فقال «وذلك أن المستفهم عن الشيء قد يكون عارفا به مع استفهامه في الظاهر عنه، لكن غرضه في الاستفهام عن أشياء منها أن يري المسئول أنه خفي عليه ليسمع جوابه عنه، ومنها أن يتعرف حال المسئول هل هو عارف بما السائل عارف به ومنها أن يري الحاضر غيرها أنه بصورة السائل المسترشد لما له في ذلك من الغرض؛ ومنها أن يعد ذلك لما بعده مما يتوقعه، حتى إذا حلف بعد أنه قد سأل عنه حلف صادقا فأوضح بذلك عذرا»<sup>(1)</sup>، فبين أن الغرض المنوط بالاستفهام ليس مقصورا على سؤال المرء عما يجهله بل قد يتعداه إلى أمور أخرى فقال «ومن المعاني التي يسأل السائل عما يعرفه لأجلها وبسببها فلما كان السائل في جميع هذه الأحوال قد يسأل عما هو عارفه، أخذ بذلك طرفا من الإيجاب لا السؤال عن مجهول الحال وإذا كان كذلك جاز لأجله أن يجرى في بعض الأحوال ذلك الحرف لصريح ذلك المعنى»<sup>(2)</sup>.

وقد يفيد الاستفهام التوبيخ قال ابن جني «قول الرجل لصاحبه الذي لا يشك في جهله: أجاهل أنت؟ توبيخا له، وتقبيحا عليه ومعناه: إني قد نهتك على حالك فانتبه لها، واحتط لنفسك منها...»<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - الخصائص، ابن جني: أبو الفتح عثمان، تح: محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، لبنان، ط2، د/ت، ج2/ 464.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 2/ 464-465.

<sup>3</sup> - المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني: أبو الفتح عثمان، تح: علي الجندي ناصف وآخرون، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة/دط، 1994، ج 291/2-292.

- النهي:

يقول ابن جني في قراءة العامة: (فلا يَنَازَعَنَّكَ في الأمر) لقوله تعالى ﴿فَلَا يَنَازَعُكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الحج: 67] «أي فأثبت على يقينك في صحة دينك ولا تلتفت إلى فساد أقوالهم، حتى إذا رأوك كذلك أمسكوا عنك ولم يَنَازِعوك، فلفظ النهي لهم ومعناه له، ﷺ ومثله قولهم: لا أرينك هاهنا ألا ترى أن معناه: لا تكن هنا فأراك؟ فالنهي في اللفظ لنفسه ومحصول معناه للمخاطب»<sup>(1)</sup>.

- الحذف:

عد ابن جني الحذف وسيلة إبلاغية استوجبها المقام وحملت في طياتها أبعاداً فنية «فكلما قويت الدلالة على المحذوف كان حذفه أسوغ»<sup>(2)</sup>، وجعل له معياراً ضابطاً تمثل في الفائدة الدلالية والأمن من اللبس. ومثل لذلك بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [النحل: 98] قال «وتأويله - والله أعلم - فإذا أردت قراءة القرآن، فاكتفى بالمسبب الذي هو القراءة من السبب الذي هو الإرادة»<sup>(3)</sup>.

فالحذف من أساليب المتداولة عند العرب فهو يعتري عناصر الجملة ويكسبها جمالية ومن ذلك حذف المفعول والمضاف...، يقول ابن جني «وحذف المفعول كثير وفصيح، وعذب، ولا يركبه إلا من قوي طبعه وعذب وضعه»<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - المحتسب: ابن جني، ج 86/2.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 180-179/1.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 173/3.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 335/2.

وكشف عن فنية التعبير فقال «وعلى ذكر حذف المفعول فما أعربه وأعذبه في الكلام، ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ أَمْرَاتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ [القصص: 23] أي تذودان إبلهما ولو نطق بالمفعول، لما كان في عذوبة حذفه ولا في علوه وأنشدنا أبو علي للحطيئة:

منعمة تصون إليك منها كصونك من رداء شرعي

أي: تصون الحديث وتخزنه<sup>(1)</sup>. كما اعتبر حذف المضاف ضرباً من الاتساع وكثير الورد في اللغة فقال « وحذف المضاف في القرآن والشعر فصيح الكلام في عدد الرمل سعة ».<sup>(2)</sup>

ويعقب محمد مشبال على ذلك بقوله «يرى ابن جني الحذف اتساعاً أي لوناً من التركيب الفرعي العدولي المشتق أو المحول عن تركيب أصلي لم تتعرض فيه قرينة التضام إلى الترخص؛ إنه بخلاف التراكيب الأصلية التي تتصف بالشيوع، نادر لا يستخدم إلا لأغراض بلاغية وجمالية»<sup>(3)</sup>، لأن الأصل هو الذكر فأن وقع حذف في النسق اللغوي تشكلت عنه دلالات إضافية ابتغاهما المتكلم .

ومثل ابن جني لذلك فقال «ألا ترى أنك إذا قلت: بنو فلان يطؤون الطريق ففيه من السعة وإخبار عما لا يصح وطؤه فتقول على هذا: أخذنا على الطريق الوطء لبني فلان، ومررنا بقوم موطئين بالطريق... أفلا ترى وجه الاتساع عن هذا المجاز ».<sup>(4)</sup>

وورد حذف المضاف في قوله تعالى ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى﴾ [البقرة: 189] فسرهما بقوله «أي: بر من اتقى وإن شئت كان تقديره: ولكن ذا البر من اتقى، والأول أجود ؛ لأن حذف المضاف ضرب من الاتساع، والخبر أولى بذلك من المبتدأ، لأن الاتساع بالأعجاز أولى منه بالصدور».<sup>(5)</sup>

<sup>1</sup> - المحتسب: ابن جني، ج 333/1.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 188/1.

<sup>3</sup> - البلاغة والأصول دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي نموذج ابن الجني، محمد مشبال، أفريقيا الشرق، المغرب، د/ط، 2007، ص: 147 .

<sup>4</sup> - الخصائص: ابن جني، ج 446/2.

<sup>5</sup> - المحتسب: ابن جني، ج 362 / 2.

كما قد يحذف الحال وذلك في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: 185] قال أبو الفتح «أي: فمن شاهده صحيحا بالغا، فطريقه أنه لما دلت الدلالة عليه من الإجماع والسنة جاز حذفه تخفيفا وأما لو عريت الحال من هذه القرينة وجرد الأمر دونها لما جاز حذف الحال على وجهه»<sup>(1)</sup>. فلا بد من علم المخاطب بالمحذوف أو وجود دليل عليه حتى لا يغدو المحذف مصدرا للتعمية.

#### -الالتفات:

حمل ابن جني الالتفات شحنات دلالية وأبعاداً جمالية فهو قائم على التنوع؛ إذ يرى أنه «كلما اختلفت الجمل كان الكلام أفانين وضروبا، فكان أبلغ منه إذا لزم شرحا واحدا»<sup>(2)</sup>.

ومن الشواهد التي أوردها قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 05] قال «فليس ترك الغيبة إلى الخطاب هنا اتساعا وتصرفا، بل هو لأمر أعلى ومهم من الغرض أعنى وذلك أن الحمد معنى دون العبادة ألا تراك قد تحمد نظيرك ولا تعبد؛ لأن العبادة غاية الطاعة والتقرب بها ... فلما كان كذلك استعمل لفظ (الحمد) لتوسطه مع الغيبة، فقال ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ولما صار إلى العبادة التي هي أقصى أمد الطاعة قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فخاطب بالعبادة إصراراً بها وتقرباً منه (عز اسمه) بالانتهاء إلى محدود منها»<sup>(3)</sup>.

وتبين أبو الفتح وجود الالتفات في قراءة الحسن: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة:

281] قال «فيه أنه ترك الخطاب إلى لفظ الغيبة كقوله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِّ وَجَرْتُمْ يَمًّا يَسْبَحُ﴾

1 - المحتسب: ابن جني، ج 2 / 378-379.

2 - المصدر نفسه، ج 2 / 198.

3 - المصدر نفسه، ج 1 / 146.

طَيْبَةٌ [يونس: 22] غير أنه تصور فيه معنى مطروقا هنا فحمل الكلام عليه وذلك كأنه قال: واتقوا يوما يرجع فيه البشر إلى الله فأضمر على ذلك فقال: يرجعون فيه إلى الله». (1)

وقوله تعالى ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [الفرقان: 77]، حيث ورد في قراءة ابن عباس وابن الزبير (فقد كذب الكافرون) قال «وهذا أيضا مما ترك فيه لفظ الحضور إلى الغيبة» (2)، فقد أدرك ابن الجني وقوع الالتفات في الضمائر بانتقال الخطاب من الغيبة إلى المخاطبة ومن المخاطبة إلى الغيبة بغية إثارة انتباه السامع وكسر رتابة الأساليب.

#### - الإيجاز والإطناب:

بين أبو الفتح ميل العرب للإيجاز وتفضيلها له بقوله «واعلم أن العرب إلى الإيجاز أميل، وعن الإكثار أبعد ألا ترى أنها في حال إطالتها وتكريرها مؤذنة باستكراه تلك الحال وملاها، ودالة على أنها إنما تجشمتها لما عناها هناك وأهمها، فجعلوا تحمل ما في ذلك على العلم بقوة الكلفة فيه دليلا على إحكام الأمر فيما هو عليه». (3)

وفي موضع آخر أوضح اعتماد العرب على الحذف تحقيقا للاختصار والإيجاز فقال: «ثم لنعد فنقول: إنهم إذا كانوا في حال إكثارهم وتوكيدهم مستوحشين منه، مصانعين عنه علم أنهم إلى الإيجاز أميل، وبه أعنى، وفيه أرغب، ألا ترى إلى ما في القرآن وفصيح الكلام: من كثرة الحذوف كحذف

<sup>1</sup> - المحتسب: ابن جني، ج 1/145.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 2/126.

<sup>3</sup> - الخصائص: ابن جني، ج 1/83.



المضاف، وحذف الموصوف والاكتفاء بالقليل من الكثير، كالواحد من الجماعة، وكالتلويح من التصريح»<sup>(1)</sup>.

#### - المجاز:

تفطن ابن جني للتغيرات التركيبية التي تحدث في النظام اللغوي المعياري وعده شجاعة اللغة، وأطلق عليه عدة مسميات: الانحراف، لطف المقاصد، التلفت والتثني موضحاً أن للغة أغراضاً أخرى إلى جانب الوظيفة التواصلية فقال «ومن المجاز من باب الشجاعة في اللغة: من الحذف، والزيادات والتقديم والتأخير، والحمل على المعنى، والتحريف»<sup>(2)</sup>.

والتمس جمالية اللغة وخصائصها التعبيرية وإمكاناتها الإيحائية وقدرتها على تجلية المعاني فقال «وكلام العرب كثير الانحراف ولطيف المقاصد والجهات وأعذب ما فيه تلفته وتثنيته»<sup>(3)</sup>.

وتحدث عن الحقيقة والمجاز مبيناً دلالاته والغرض من استعماله فقال «الحقيقة ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة، والمجاز بضد ذلك، وإنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة، وهي: الاتساع، والتوكيد، والتشبيه فإن عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة»<sup>(4)</sup>، وقد اقترب أبو الفتح في تعريفه للمجاز من الدلالة الاصطلاحية التي أقرها البلاغيون المتأخرون بجعله قسيماً للحقيقة متمثلاً في استعمال اللفظ في غير موضعه من اللغة .

---

<sup>1</sup> - الخصائص: ابن جني، ج 1/86.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 2/446.

<sup>3</sup> - المحتسب: ابن جني، ج 2/86.

<sup>4</sup> - المصدر السابق، ج 2/442.

## الفصل الأول: تجليات الدرس البياني عند علماء النحو والمعاني حتى نهاية القرن الخامس الهجري

واعتبر قوله ﷺ في الفرس " هو بحر " مجاز لأنه حمل دلالة الاتساع والتوكيد والتشبيه فقال « فالمعاني الثلاثة موجودة فيه أما الاتساع فلأنه زاد في أسماء الفرس التي هي فرس وطرف وجواد ونحوها ( البحر ) .... وأما التشبيه فلأن جريه يجري في الكثرة جرى المائة، وأما التوكيد فلأنه شبه العرض بالجوهر وهو أثبت في النفوس منه» . (1)

واستشهد أيضا بقوله تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ [ الأنبياء: 75 ] قال «هو مجاز، وفيه المعاني الثلاثة، أما السعة: فلأنه كان زاد اسما هو الرحمة، وأما التشبيه: فلأنه شبه الرحمة - وإن لم يصح دخولها - بما يجوز دخوله، فلذلك وضعها موضعه وأما التوكيد: فلأنه أخبر عن المعنى بما يخبر به عن الذات» (2)، فيعود ضمير الغيبة في ( أدخلناه ) على لوط عليه السلام، فقد أنجاه الله من العذاب والبلاء الذي حل بقومه.

وقوله تعالى ﴿وَسُئِلَ الْقَرْيَةُ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ [ يوسف: 82 ] قال « فيه المعاني الثلاثة أما الاتساع فلأنه استعمل لفظ السؤال مع ما لا يصح في الحقيقة سؤاله ... ألا تراك تقول: وكم من قرية مسئولة وتقول: القرى وتسألك ؛ كقولك: أنت وشأنك فهذا ونحوه اتساع، وأما التشبيه فلأنها شبهت بمن يصح سؤاله لما كان بها ومؤلفا لها، وأما التوكيد فلأنه في ظاهر اللفظ إحالة بالسؤال (على من) ليس من عادته الإجابة فكأنهم تضمنوا لأبيهم عليه السلام أنه إن سأل الجمادات والجبال أنبأته بصحة قولهم وهذا تناه في تصحيح الخبر أي لو سألتها لأنطقها الله بصدقنا فكيف لو سألت من من عادته الجواب» (3)، فهو مجاز مرسل علاقته حالية، حيث وجه السؤال للقرية والمقصود أهلها.

1 - الخصائص: ابن جني، ج 2/442-443.

2 - المصدر نفسه، ج 2/443.

3 - المصدر نفسه، ج 2/447.

وذكر المجاز المرسل في تعليقه على بيت أبي العباس:

ذَرِ الْآكِلِينَ الْمَاءَ ظُلْمًا؛ فَمَا أَرَى      يَنَالُونَ خَيْرًا بَعْدَ أَكْلِهِمُ الْمَاءَ

قال «هؤلاء قوم كانوا يبيعون الماء فيشترون بثمانه ما يأكلون؛ فقال: الآكلين الماء لأن ثمنه سبب أكلهم ما يأكلون»<sup>(1)</sup>، فحمل المعنى على المجاز علاقته السببية فالماء سبب لأكلهم وعيشهم.

وقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: 49] قال «وإنما هو في الحقيقة الدليل المهان، لكن معناه: ذق إنك أنت الذي كان يقال له: العزيز الكريم...»<sup>(2)</sup>، فهو مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان لأن مكانته وعزته في الحياة الدنيا صيرت إلى ذلة ومهانة في الآخرة.

وقد بالغ ابن جني في نظريته للمجاز وتوسع في ذلك حيث اعتبر العديد من التراكيب الحقيقة ذات صياغة مجازية فقال «اعلم أن أكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة... فقولك: قام زيد، معناه كان منه القيام، أي هذا الجنس من الفعل، ومعلوم أنه لم يكن منه جميع القيام، وكيف يكون ذلك وهو جنس والجنس يطبق جميع الماضي وجميع الحاضر، وجميع الآتي الكائنات من كل من وجد منه القيام، ومعلوم أنه لا يجتمع لإنسان واحد (في وقت واحد) ولا في مائة ألف سنة مضاعفة القيام كله الداخل تحت الوهم؛ هذا محال عند كل ذي لب، فإذا كان كذلك علمت أن (قام زيد) مجاز لا حقيقة، وإنما هو على وضع الكل موضع البعض للاتساع، والمبالغة، وتشبيه القليل بالكثير»<sup>(3)</sup>.

وأردف القول فقال «قولك خرجت فإذا الأسد وأنت لا تريد أنك (خرجت وجميع الأسد) التي يتناولها الوهم على الباب، هذا محال واعتقاده اختلال وإنما أردت: خرجت فإذا واحد من هذا

<sup>1</sup> - الخصائص: ابن جني، ج 3/176.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 2/461.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 2/447-448.

الجنس بالباب فوضعت لفظة الجماعة على الواحد مجازاً ... ومن ذلك أيضاً جاء الليل وانصرم النهار»<sup>(1)</sup>.

#### - الكناية:

تعد الكناية من الفنون البلاغية التي يوظفها المتكلم تجنباً للتصريح لأغراض دلالية يجليها السياق أشار إليها أبو الفتح في تعليقه على الأبيات الشعرية، كقول الشاعر:

قَدْ عَلِمْتُ إِنْ لَمْ أَجِدْ مُعِينًا      لِأَخْلَطَنَّ بِالْخُلُوقِ طِينًا<sup>(2)</sup>

قال «يعني امرأته، يقول: إن لم أجد من يعينني على سقي الإبل قامت فاستقت معي، فوقع الطين على خلوق يدها فاكتفى بالمسبب الذي هو اختلاط الطين بالخلق من السبب الذي هو الاستقاء معه»<sup>(3)</sup>، فلم يصرح بمساعدة زوجته له في السقي وإنما كنى عن ذلك باختلاط الطين بالخلق. وقول شاعر آخر:

إِنِّي إِذَا مَا خَبْتُ نَارًا لِمُرْمَلَةٍ      أُلْفَى بِأَرْفَعِ تَلٍّ رَافِعًا نَارِي

وقال أبو الفتح «وذلك (أنه إنما) يفخر ببروز بيته لقرى الضيف وإجارة المستصرخ؛ كما أنه إنما يذم من أخفى بيته وضاءل شخصه، بامتناعه من ذلك فكأنه قال إذا: إني إذا منع غيري وجبن، أعطيت وشجعت فاكتفى بذكر السبب هو التضائل والشخوص من المسبب وهو المنع والعطاء»<sup>(4)</sup>، فكنى عن كرمه وعطائه ببروز النار وعن صفة البخل بتضاؤلها فاكتفى بذكر السبب عن المسبب.

<sup>1</sup> - الخصائص: ابن جني، ج 449/2.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 173/3.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 174/3.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 175/3.

وقول الشاعر:

يَا نَاقَ ذَاتِ الْوَخْدِ وَالْغَيْقِ      أَمَّا تَرَيْنَ وَضَحَ الطَّرِيقِ

قال ابن جني «أي فعليك بالسير»<sup>(1)</sup>، فكنى عن أمره للناقة بالسير بوضوح الطريق .

#### - المبالغة:

تحدث أبو الفتح عن المبالغة مشيراً إلى صورها ودورها في تمكين المعاني وإثبات الصفات ومثل لذلك بقوله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [ الأنبياء: 37 ] قال « وذلك لكثرة فعله إياه واعتياده له وهذا أقوى معنى من أن يكون أراد: خلق العجل من الإنسان، لأنه أمر قد اطرده واتسع فحمله على القلب يبعد في الصنعة ويصغر المعنى ».<sup>(2)</sup>

وذكر الزيادة في اللفظ بغرض المبالغة في قوله تعالى: ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [ البقرة: 286 ] قال « فافتعل أقوى معنى من فعل وذلك لأن كسب الحسنة بالإضافة إلى اكتساب السيئة أمر يسير ومستصغر أفلا ترى أن الحسنة تصغر بالنسبة إلى جزائها ولما كان جزاء السيئة إنما هو مثلها ولم تحتقر إلى جزاء عنها عظم قدر السيئة وفخم لفظ العبارة عنها».<sup>(3)</sup>

<sup>1</sup> - الخصائص: ابن جني، ج 3/176.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 2/203-204.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 3/265.

- اللفظ والمعنى:

اهتم ابن جني بدلالة التراكيب وحسن الصياغة ولم يغفل دور الألفاظ في إبانة المعاني مقرا «أن المعاني تتلعب بالألفاظ»<sup>(1)</sup>، فتحقيق الغاية البلاغية يتم من خلال حسن انتقاء الألفاظ الدالة على المعاني المقصودة قال «فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظها وحسنوها وحملوا حواشيها وهذبوها، وصقلوا غروبها وأرهفوها فلا ترين أن العناية إذ ذاك إنما هي بالألفاظ بل هي عندنا خدمة منهم للمعاني وتنويه بها وتشريف منها»<sup>(2)</sup>.

ويبين أن الألفاظ المناسبة تحمل في طياتها المعاني الشريفة مؤكدا عدم تفضيل العرب للألفاظ على حساب المعاني فقال «فإن قلت: فإننا نجد من ألفاظهم ما قد نمقوه وزخرفوه ووشوه ودبحوه، ولسنا نجد - مع ذلك - تحته معنى شريفا بل لا نجد قصدا ولا مقاربا، ألا ترى إلى قوله:

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَيِّ كُلِّ حَاجَةٍ      وَمَسَحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحٌ  
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْحَدِيثِ بَيْنَنَا      وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ

فقد ترى إلى علو هذا اللفظ ومائه وصقله وتلاحم أنحائه، ومعناه مع هذا ما تحسه وتراه ... ولهذا نظائر كثيرة شريفة الألفاظ رفيعتها مشروفة المعاني خفيضتها»<sup>(3)</sup>.

تطرق ابن جني في مؤلفاته إلى العديد من المسائل البلاغية كالحذف والمجاز والكناية... مشيرا إلى التغيرات التي تطرأ على النظام اللغوي الأصلي مطلقا عليه مصطلح: شجاعة اللغة، إذ أدرك

<sup>1</sup> - المحتسب: ابن جني، ج 211/2.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 217/1.

<sup>3</sup> - الخصائص: ابن جني، ج 217/1-218.

## الفصل الأول: تجليات الدرس البياني عند علماء النحو والمعاني حتى نهاية القرن الخامس الهجري

حكمة اللغة وجمالية أساليبها سواء جاءت التراكيب مطابقة لمقتضى الظاهر أم خالفته فالضرورة الدلالية هي التي تفرض نوعا خاصا من التأليف.

### - الدرس البياني عند المجاشعي (ت 479هـ):

جمع أبو الحسن المجاشعي في مصنفه (النكت في القرآن الكريم) العديد من المسائل المتعلقة بإعراب القرآن الكريم؛ وفسر معانيه وفق منهج تعليمي، مستحضرا سؤال المتلقي ليتبعه بجواب مفصل، بغرض ترسيخ الأفكار وتثبيتها، مستدلا عليه بالقراءات القرآنية، والأوجه الإعرابية، وأقوال النحاة، وفي ثنايا الدراسات اللغوية والتصريفية عرض لكثير من القضايا البلاغية التي من شأنها أن توضح الرؤية البيانية للمؤلف وجهوده في إرساء معالم الدرس البياني، ومن الفنون التي تناولها:

### - الأساليب الإنشائية:

أدرك المجاشعي خروج الأساليب الإنشائية عن معناها الحقيقي إلى معان أخرى يقتضيها السياق، فقد بيّن إفادة الاستفهام لمعنى الإنكار في قوله تعالى ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق:3]، قال «فجواب إذا محذوف وتقديره: إذا متنا وكنا ترابا بعثنا أو رجعنا، ويدل عليه قوله: (ذلك رجع بعيد)، أي أمر لا ينال، وهو جحد منهم، كما تقول للرجل يخطئ في المسألة: لقد ذهب مذهبنا بعيدا من الصواب أي: أخطأت»<sup>(1)</sup>، فدل الاستفهام على معنى التعجب والإنكار، فالكافرون ينكرون البعث والإحياء والمحاسبة على الأعمال.

<sup>1</sup> - النكت في القرآن الكريم (في معاني القرآن الكريم وإعرابه)، المجاشعي: أبو الحسن علي بن فضال، تح: عبد الله عبد القادر الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ص: 455.

ومثله قوله تعالى ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي - مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي - سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الملك: 22]، قال «لا يقال ما معنى الاستفهام ههنا، وقد علم أن من يمشي على صراط مستقيم أهدى ممن يمشي مكباً؟ والجواب: أنه إنكار وتبكيك، وليس باستفهام في الحقيقة؛ لأن الاستفهام إنما يكون عن جهل من المستفهم بما يستفهم عنه، وهذا لا يجوز على التقدير تعالى، ومثل الإنكار قوله تعالى ﴿ ءَاللّٰهُ أَذْنٌ لَّكُمْ أَمْ عَلَىٰ اللّٰهِ تَقَرُّونَ ﴾ [يونس: 59]»<sup>(1)</sup>، فدل الاستفهام على الإنكار والتبكيك، فهو مثل ضرب للمؤمن والكافر؛ حيث شبه المؤمن بمن سلك طريقاً مستقيماً فهو مستوٍ في سيره عارفاً بوجهته، بينما شبه الكافر بمن سلك طريقاً ملتوياً، وهو يتعثر في سيره لا يعرف الطريق، ما يدفعه لتقصي آثار السائرين، لذا جاء الاستفهام منكراً تساوي الطرفان.

قال تعالى ﴿ أَلَيْسَ اللّٰهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴾ [التين: 8]، قال «والهمزة في ( أليس الله ) همزة تقرير، مثل الذي في قول جرير<sup>2</sup>:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونٌ رَاحَ

ودخلت (الباء) في خبر ( أليس ) وإن كان قد انتقض معنى النفي؛ لأن الهمزة وإن نقلت النفي إلى الإيجاب، فإنها لم تنقل (ليس) عن حكمها، وقيل: المعنى: أليس الله بأحكم الحاكمين صنعا وتقديراً؛ لأنه لا خلل فيه ولا اضطراب، ولا ما يخرج عما تقتضيه الحكمة».<sup>(3)</sup>

<sup>1</sup> - النكت في القرآن: المجاشعي، ص: 507.

<sup>2</sup> - ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تح: نعمان محمد أمين طه، مج1، ص: 89.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 562.



قال تعالى ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: 227]، قال « وانتصب قوله: (أي منقلب)؛ لأنه نعت مصدر محذوف تقديره: وسيعلم الذين ظلموا منقلبا أي منقلب ينقلبون، والعامل في (أي) (ينقلبون) ولا يجوز أن يعمل فيها (سيعلم)؛ لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله، وإنما يعمل فيه ما بعده، والعلّة في ذلك: أن الاستخبار قبل الخبر، ورتبة الاستخبار التقديم، فلم يجوز أن يعمل فيه الخبر؛ لأن الخبر بعده، وذلك أنه موضوع على أنه جواب مستخبر»<sup>(1)</sup>، فقد وضع المجاشعي أن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله وإنما يعمل فيه ما بعده، وعلل ذلك بأن الاستخبار قبل الخبر، ورتبة الاستخبار التقديم، فغلب على تخريجه الجانب النحوي، فالغرض من الاستفهام التهديد والوعيد وإيهام المآل مع الوعيد يزيد من خوف الظالمين لجهلهم بمصيرهم، فتذهب نفوسهم كل مذهب من هول المنقلب.

قال تعالى ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: 28]، وعده ابن الفضال من التذكير وسبب ذلك فيما يرى «أن الآية التي قبلها تذكر بالنعمة والعبرة... فكأنه قيل: أذكر النعمة في ذلك»<sup>(2)</sup>، فجاء الاستفهام بغرض التعجب والتوبيخ من كفرهم وقد خلقهم الله من العدم، وأنعم عليهم أصناف النعم، ثم يميتهم ويبعثهم ليجازيهم على أعمالهم.

وقف المجاشعي عند صيغة الأمر والمعاني التي يضيفي إليها السياق، وقد حصرها في أغراض معينة، قال ولفظ الأمر في الكلام على عشرة أوجه:<sup>(3)</sup>

<sup>1</sup> - النكت في القرآن: المجاشعي، ص: 368.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 129.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 412-413.

أحدها: الأمر لمن دونك نحو قولك لغلامك: قم.

الثاني: الندب نحو قوله تعالى ﴿فَكَاتِبُهُمْ إِنَّ عَلَّمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: 33].

الثالث: الإباحة، نحو قوله تعالى ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الجمعة: 10].

الرابع: الدعاء، نحو قوله تعالى ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [البقرة: 201].

الخامس: الرغبة، نحو قوله: ارفق بنفسك، أحسن إلى نفسك.

السادس: الشفاعة، نحو قولك: هب لي ذنبه، شفعي فيه.

السابع: التحويل (أي التسخير)، نحو قوله تعالى ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: 65].

الثامن: التهديد، نحو قوله تعالى ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: 40].

التاسع: الاختراع والإحداث، نحو قوله تعالى ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: 117].

العاشر: التعجب، نحو قوله تعالى ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ [مريم: 38].

دراسة المجاشعي لمعاني الأمر جملة واحدة يعود إلى المنهج التألفي الذي اعتمده، وهو منهج معهود في الدراسات البلاغية يقوم بذكر الموضوع جملة واحدة، فكشفه عن الأغراض دليل على فهمه للأساليب وفنون القول.

- القصر:

قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28]، قال «أجمع القراء على رفع

(العلماء) ونصب (اسم الله تعالى)، وهو الصواب الذي لا معدل عنه، إلا أن طلحة بن مصرف قرأ

كذلك ( إنما يخشى الله من عباده العلماء)، فرفع اسم الله ونصب العلماء... ومثل ذلك قولهم: ما تركت ذلك إلا خشيتك أي مراعاة لك، وقيل (يخشى) بمعنى يعلم، والمعنى: كذلك يعلم الله من عباده العلماء، وهذه التأويلات بعيدة<sup>(1)</sup>، فقد رفض المجاشعي كل تأويل يقول بعدم تقديم المفعول على الفاعل، فالملاحظ على تفسيره غلبة الطابع النحوي، وعدم ذكره للغرض من القصر، فالمراد من الآية تخصيص العلماء بالخشية من الله.

قال تعالى ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (19) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ [الليل: 19-20]، قال «يسأل عن نصب (ابتغاء)؟ الجواب: أنه استثناء منقطع، والمعنى: لكن ابتغاء وجه ربك، قال الفراء: نصب الابتغاء في جهتين: إحداهما: أن تجعل فيها نية إنفاقه، والأخرى: على اختلاف ما قبل (إلا) وما بعدها، والمعنى: ما ينفق إلا ابتغاء وجه ربه، ... وهذا هو الاستثناء المنقطع، قال: هذا مذهب أهل الحجاز فأما بنو تميم فإنهم يجعلون الثاني بدلا من الأول، وأنشد:

وَبَلَدَةٌ لَيْسَ بِهَا أَنْيْسٌ إِلَّا الْيَعَافِيرُ وَالْأَلْعَيْسُ<sup>(2)</sup>.

ففي الآية قصر الموصوف (وما لأحد عنده) على الصفة هي (ابتغاء وجه ربه)، والمراد أنه يعمل العمل خالصا لله لا يريد بذلك جزاء ولا شكورا.

ومثله قوله تعالى ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: 4]، قال «لم يكونوا تاركين صفته في كتابهم أنه نبي حتى ظهر، فلما ظهر تفرقوا واختلفوا»<sup>(3)</sup>، فهو يشير ضمنا إلى قصر صفة التعرف عند أهل الكتاب على مجيء البينة، وهو بعثه ﷺ بالكتاب المهيم على ما قبله

<sup>1</sup> - النكت في القرآن: المجاشعي، ص: 407.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 559.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 567.

من كتب، وذكره للأمثلة من طريقة القصر بالنفي والاستثناء دليل على فهمه لهذا الأسلوب، وإن لم يوضح غرضه البلاغي.

وقد يرد القصر من خلال توسط ضمير بين المسند والمسند إليه، ومن ذلك قوله تعالى ﴿قُلْ مَا تَوْفِّيتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: 117]، ووضح المجاشعي ذلك بقوله «ونصب (كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبُ)؛ لأنه خبر (كان) و(أنت) فصل، وقرأ الأعمش: (كنت أنت الرقيب) بالرفع، جعل (أنت) مبتدأ و(الرقيب) الخبر والجملة خبر (كان)،... ولا يدخل الفصل إلا بين معرفتين، أو بين معرفة ونكرة تقارب المعرفة، نحو: كنت أنت القائم، وكنت أنت خيراً منه»<sup>1</sup>، فقد استوعب المجاشعي هذا النمط من القصر وإن لم يفصح عن غايته.

#### - الإيجاز:

وقف المجاشعي عند بلاغة التعبير القرآني في قوله تعالى ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 179]، قال «ونظيره من كلام العرب: (القتل أنفى للقتل)، إلا أن ما في القرآن أوجه وأوجز، وأفصح وأكثر معان، والفرق بينهما في البلاغة من أربعة أوجه: وهو أنه أكثر في الفائدة، وأوجز في العبارة، وأبعد من الكلفة بتكرير الجملة، وأحسن تأليفاً بالحروف المتلائمة، أما الكثرة في الفائدة ففيه كل ما في (القتل أنفى للقتل)، وزيادة معاني حسنة، منها إبانة العدل لذكره القصاص؛ لأنه ليس في قولهم: (القتل أنفى للقتل) بيان أنه قصاص، ومنها إبانة الغرض المرغوب فيه وهو الحياة، ومنها الاستدعاء بالرغبة والرغبة وحكم الله به»<sup>(2)</sup>، وسبقه الرماني في بيان بلاغة الإيجاز في الآية القرآنية وقصور المثل العربي عن إفاء المعنى لما اعترى تركيبه من تكرار وكثرة الحروف، ولكنه تنبه

<sup>1</sup> - النكت في القرآن: المجاشعي، ص: 210-211.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 154.

## الفصل الأول: تجليات الدرس البياني عند علماء النحو والمعاني حتى نهاية القرن الخامس الهجري

للقيمة الصوتية وما يحدثه تجاور الأصوات، حيث ربط حسن التأليف بمخارج الحروف فمراعاتها يولد انسجاماً بين الوحدات الصوتية، ويبعدها عن التعقيد والتكلف.

ومن إيجاز القصر قوله تعالى ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْأَمْءَ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: 44]، قال المجاشعي « وقد جمعت هذه الآية من عجيب البلاغة أشياء:

منها: أن الكلام خرج مخرج الأمر على جهة التعظيم لفاعله من نحو: كن فيكون، من غير معاناة ولا لغوب.

ومنها: حسن تقابل المعاني.

ومنها: حسن ائتلاف الألفاظ.

ومنها: حسن البيان في تقدير الحال.

ومنها الإيجاز من غير إخلال.

ومنها تقبل الفهم على أتم الكمال إلى غير ذلك من المعاني اللطيفة... وأنت تراها هاهنا في غاية الإيجاز والاختصار والبيان».<sup>(1)</sup>

وذكر المجاشعي إيجاز الحذف مقدراً الجزء المحذوف ومسوغات الحذف، ففسر قوله تعالى ﴿قُلْ لَنْ رَّبِّي يَهْدِي بِالْحَقِّ عَالِمُ الْغُيُوبِ﴾ [سبأ: 48]، بأنه يجوز في (علام) الرفع والنصب، فأما من حيث

<sup>1</sup> - النكت في القرآن: المجاشعي، ص: 249-250.

الرفع فيجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوفاً، كأنه قال: هو علام الغيوب<sup>1</sup>، فالغرض من الحذف هو بيان أن علم الغيب لا ينصرف إلا لله.

وفي قوله تعالى ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: 185]، قال «رفع قوله ( فعدة من أيام آخر) بالابتداء، والخبر محذوف، كأنه قال: فعليه عدة من أيام آخر»<sup>(2)</sup>، فحذف الخبر إيجازاً للدلالة السياق عليه.

ومن الحذف قوله تعالى ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْهَمِّهِ﴾ [الإسراء: 71]، قال «ونصب (يوم) بفعل مضمر، تقديره: اذكر يوم ندعو»<sup>(3)</sup>، فحذف الفعل أبلغ للتنبيه على مجيء كل أمة مع شاهدها.

وأشار إلى حذف المفعول في قوله تعالى ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 179]، قال «وقيل في ( تتقون) قولان: أحدهما: لعلكم تتقون القتل بالخوف من القصاص وهو قول ابن زيد، الثاني: لعلكم تتقون ربكم باجتناب معاصيه»<sup>4</sup>، ففيه توجيه لما يحقن الدماء ويحمي النفوس، وينمي معاني التسامح والإخاء ويحقق العدالة، حيث اختزلت هذه المعاني الكثيرة في لفظ يسير، أما حذف مفعول ( تتقون) وتقديره: تتقون القتل أو المعاصي امتثالاً لشرع الله وأمره.

<sup>1</sup> - ينظر: النكت في القرآن: المجاشعي، ص: 402.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 162.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 296.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 155.

وحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه في قوله تعالى ﴿وَسَلِّ الْقُرْبَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ [يوسف: 82]، وفسر المجاشعي ذلك قال «وكان الأصل: واسأل أهل القرية، وأهل العير، ثم حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه للإيجاز؛ لأن المعنى مفهوم»<sup>(1)</sup>.

ووضح المجاشعي الغرض من الحذف في قوله تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: 27]، قال «ويسأل عن جواب (لو)؟ والجواب: أنه محذوف، وتقديره: لرأيت أمرا هائلا، وهذه الأجوبة تحذف لتعظيم الأمر وتفخيمه، نحو قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتُ﴾ [الرعد: 31]، يريد لكان هذا القرآن»<sup>(2)</sup>، فحذف جواب الشرط لتذهب النفس في تصوره كل مذهب، والتقدير: (لرأيت أمرا عظيما)، ففيه تصوير للهول ذلك اليوم وخوف الكافرين وتحسرهم لتفريطهم وعدم إيمانهم.

#### - التشبيه:

التشبيه من أساليب البيان الذي يهدف إلى توضيح المعاني وتقريبها من ذهن المتلقي، بما يعقده من مماثلة بين الأطراف، فيكسب التراكيب جمالية ورونقا، وقد سلك المجاشعي في دراسته للتشبيه منهجا خاصا، عمد فيه إلى بيان الدلالة المعجمية لعناصر التشبيه (المشبه والمشبّه به)، ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسْنَدَةٌ﴾ [المنافقون: 4]، قال «الخشب: جمع خشبة، مثل: بدن وبدنة...، فخشبة وخشب بمنزلة شجرة وشجر»<sup>(3)</sup>، فقد ركز على المعنى المعجمي للمشبّه به مكتفيا بذلك عن توضيح صورته، حيث شبه المنافقين بالخشب المسندة لحسن أجسامهم وفصاحة قولهم في الظاهر، بينما أضمر باطنهم الخراب

<sup>1</sup> - النكت في القرآن: المجاشعي، ص: 268.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 213-214.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 496.

والفراغ، فهو بلا إيمان شبيه بخشب غير ثابت، فوجه الشبه بينهما هو ما يوحيه الظاهر من ثبات وما يخفيه الباطن من تداع وانحيار.

قال تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ [الشورى: 32]، قال «الجواري: السفن، واحدها جارية قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: (الجواري)... بالياء في الوصل، ووقف ابن كثير وحده على الياء، وقرأ الباقر بحذف الياء في الوصل والوقف، فإثبات الياء هو الأصل في الوقف، وحذفها على التشبيه بحذفها مع التنوين؛ لأن التنوين وحرف التعريف يتعاقبان على الكلمة، فأعطي أحدهما حكم الآخر، فمن أثبتها في الوقف فعلى الأصل، ومن حذفها فعلى التشبيه بما وقف عليه من المنون، والأعلام: الجبال، واحدها: علم، قالت الخنساء<sup>1</sup>:

وَإِنْ صَحْرًا لَتَأْتُمُّ الْهُدَاةُ بِهِ      كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارُ<sup>(2)</sup>

فشرح المجاشعي معنى المعجمي للمشبه (الجواري) والمشبه به (الأعلام)، لكنه لم يوضح وجه الشبه الذي عقدت من أجله المماثلة، حيث شبهت الجواري بالأعلام لعظمتها وضخامتها.

قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ قُوفَةً حِجَابُهَا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (39) أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ طُلُمْتُ بِعَظْمِهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهُ﴾ [النور: 39-40]، قال ابن فضال «اللجة معظم البحر الذي لا يرى له ساحل، ومعنى الآية: أن أعمال الذين كفروا كسراب بقية في أنه يظن شيئاً وليس بشيء، وهذا من التشبيه المعجز؛ لأنه تشبيه ما له حقيقة بما ليس له حقيقة، لما كان عاقبة ما له حقيقة إلى لا شيء، (أو كظلمات) في أعمالهم مظلمة، وبالغ الله تعالى في صفة هذه الظلمات

<sup>1</sup> - ديوان الخنساء، شرح: حمدو طماس، ص: 46

<sup>2</sup> - النكت في القرآن: المجاشعي، ص: 436.



## الفصل الأول: تجليات الدرس البياني عند علماء النحو والمعاني حتى نهاية القرن الخامس الهجري

لكثرة حيرة الذين كفروا في أعمالهم وجهلهم»<sup>(1)</sup>، فشبه بطلان أعمال الكافرين يوم القيامة بصورتين: الأولى بصورة سراب يظنه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، وكذلك أعمال الكافرين لن تنفعهم في الآخرة، وأما الصورة الثانية فهي تشبيه أعمالهم بالظلمات وقد تراكمت فوق بعضها من ظلمة معتقد وظلمة مصير.

قال تعالى ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: 17]، قال «والاستيقاد: استفعال من الوقود بالضم، مصدر وقدت النار وقوداً، والوقود - بالفتح - الحطب، والنار معروفة ... والمعنى في الآية أن مثل المنافقين مثل قوم كانوا في ظلمة فأوقدوا نارا، فلما أضاءت النار ما حولها أطفأها الله وتركهم في ظلمات لا يبصرون، فالظلمة الأولى التي كانوا فيها الكفر، واستيقادهم النار قولهم: ( لا إله إلا الله محمد رسول الله ) فلما أضاءت لهم ما حولهم واهتدوا، خلو إلى شياطينهم، فافقوا وقالوا: إنما نحن مستهزؤون، فسلبهم الله نور الإيمان، وتركهم في ظلمات لا يبصرون»<sup>(2)</sup>، ففي تصوير لتخبط الكافرين في الضلال بإظهارهم للإيمان وإضمارهم للكفر؛ حيث شبهت حالتهم بمن استوقد نارا فلما سطع نورها وأضاءت ما حوله انطفأت ولم يهتدوا بذلك للمخرج.

### - الاستعارة:

أدرك المجاشعي حقيقة الاستعارة التي تقوم على استعمال لفظ في غير موضعه الأصلي لوجود علاقة مشابهة، فقد فسر قوله تعالى ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: 257]، حيث «يسأل عن معنى قوله ( يخرجهم من الظلمات إلى النور ) ؟ والجواب: أن الظلمات

<sup>1</sup> - النكت في القرآن: المجاشعي، ص: 360.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 113.

## الفصل الأول: تجليات الدرس البياني عند علماء النحو والمعاني حتى نهاية القرن الخامس الهجري

هاهنا: الكفر، والنور: الإيمان، وقال قتادة: من ظلمات الضلالة إلى نور الهدى<sup>(1)</sup>، فاستعير لفظ (الظلمات) ليدل على الكفر والجامع بينهما وهو عدم الاهتداء، بينما استعير لفظ (النور) للإيمان والجامع بينهما هو وضوح الطريق.

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُم عَلَىٰ تِجَرَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف: 10]، قال «التجارة طلب الربح في شراء السلعة، فاستعير هاهنا لطلب الربح في عمل الطاعة»<sup>(2)</sup>، فاستعير لفظ (التجارة) ليدل على العمل الصالح، والجامع بينهما طلب النفع والاجتهاد والكد فيه.

قال تعالى ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: 112]، قال «مما يسأل عنه أن يقال لم قال (لباس الجوع والخوف) والجوع لا يلبس؟ والجواب لما يظهر عليهم من الهزال وشحوب اللون، فصار كاللباس... ويسأل عن قوله تعالى (فأذاقها الله)؟ والجواب أنه استعارة، والعرب تقول: اركب هذا الفرس وذقه، أي: اختبره، وكذا يقولون: ذق هذا الأمر»<sup>(3)</sup>، ففي الآية استعارتان: تشبيه الجوع والخوف بالشيء الذي يذاق ويحس أثره، والاستعارة الثانية تشبيه الجوع والخوف باللباس حيث تملك الخوف والهلع قلوبهم وشملها كما يشمل اللباس الجسم كله.

قال تعالى ﴿فَأَمَّهُ هَٰوِيَّةٌ﴾ [القارعة: 9]، حيث ذكر في تفسيرها قولين:<sup>(4)</sup>

أحدهما: أنه يهوى على أم رأسه في النار.

والثاني: أمه هاوية أي: ضامته وكافلته هاوية، أي النار شبهت له بالأم؛ لأن الأم تضمه إليها

وتكفله، فصارت النار له كالأم.

<sup>1</sup> - النكت في القرآن: المجاشعي، ص: 167.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 492.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 286-287.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 570.

فشبهت النار بالأم لأنها ملجأ الكافر ومآله، فهي تحيط به كما تحيط الأم بابنها وتحميه عند الفرع، وفي ذلك نوع من التهمك، فهم من رعبهم وفزعهم يلجؤون إلى النار ولا يخرجون منها.

#### - الكناية:

لم يحدد المجاشعي المعنى الاصطلاحي للكناية، ولكن تفسيره لآيات يوضح فهمه لجوهرها، المتمثل في الانتقال من المعنى الحقيقي إلى معنى ملازم له، فقد فسر قوله تعالى ﴿وَيَا بَكَ فَطَوَّرْ﴾ [المذثر: 4]، قال « وقيل: المعنى قلبك فطهر، وكنى بالثياب عن القلب »<sup>(1)</sup>، فالثوب شيء ملازم للإنسان لذا جعلوه كناية عنه، فمن طهر باطنه فإنه يظهر ظاهره.

وفسر المجاشعي قوله تعالى ﴿وَأَلْمَمْتُ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ [القيامة: 29]، قال « الساق الشدة، يقال: قامت الحرب على ساقها، أي: شدة، وأصله: أن الإنسان إذا عانى أمراً شديداً كشف عن ساقه، ومنه قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: 42]، أي: عن شدة، قال الراجز:

قَدْ كَشَفْتُ عَنْ سَاقِهَا فَشُدُّوا

والمعنى: والتفت شدة آخر الدنيا بشدة أول يوم الآخرة، وقيل: المعنى: اشتد الأمر عند نزع النفس حتى يتقلب ساق على ساق، ويلتف بها عند تلك الحال»<sup>(2)</sup>، ففيه تصوير لمشهد الاحتضار وسكرات الموت وصعوبة الموقف، فمن شدته التصقت الساقان، فقد وردت (الساق) كناية عن هول الموت وشدته.

<sup>1</sup> - النكت في القرآن: المجاشعي، ص: 523.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 528-529.

قال تعالى ﴿إِزْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ [الفجر: 7]، قال «إزم: قيل: هي مدينة مبنية من الذهب والفضة في البرية غيبت عن الناس... وقيل ( ذات العماد): ذات طول، وهذا قول ابن عباس... وقال ابن زيد: ذات العماد في إحكام البناء»<sup>(1)</sup>، فهي كناية عن طول أجسامهم الدالة على قوة أصحابها.

---

<sup>1</sup> - النكت في القرآن: المجاشعي، ص: 555.

– المبحث الثاني: تجليات الدرس البياني عند أصحاب المعاني حتى نهاية القرن الخامس الهجري.

اهتم العلماء بدراسة أساليب القرآن الكريم وتدبر آياته ومعرفة تراكيبه في محاولة للوقوف على سر إعجازه فكان من ثمارها ميلاد الدرس البلاغي، فالجهود اللغوية كانت متقاربة في الطرح؛ إذ كان «التوجه منصبا حول لغة القرآن، ومعاني مفرداته، وسيرورة ألفاظه وكانت دائرة هذا الجهد اللغوي، متشعبة في بداية مسيرتها التصنيفية، وإن كانت متحدة في مظاهرها الدلالية، فالأسماء مختلفة والانجازات متقاربة، حتى كأن العطاء واحد في جوهره وإن تعددت عناوينه التي استقطبت الصيغ الآتية: معاني القرآن ومجاز القرآن وغريب القرآن»<sup>(1)</sup>.

فتعدد الثقافات واختلاف الألسن نتيجة اختلاط العرب بالأعاجم دفع اللغويين إلى جمع اللغة ووضع القواعد حيث اتخذ كلام العرب مرجعا لفهم ما أشكل من معاني القرآن الكريم والكشف عن تعابيره وصوره فسارعوا «لحفظه وتدوينه، وتفسيره، ودراسة أساليب القرآن الكريم البيانية، ومقابلتها بأساليب البلغاء ثم استخلاص عناصر الجودة في الأولى، ومواطن التقصير في الثانية؛ ليظهر امتياز القرآن الكريم على كلام الفصحاء الذين استوت لديهم ملكة البيان ومن أجل خدمتها خاضوا في مسائل البلاغة كالقول في المجاز وبيان مكانته في التعبير الفني الجميل والتشبيه والتعمق فيه والإيجاز والإطناب والالتفات وبيان الميزة البلاغية أين تكمن؟»<sup>(2)</sup>.

– الدرس البياني عند الفراء (ت 207هـ):

يعد أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء من الأعلام الذين حملوا لواء التفسير من خلال مصنفه "معاني القرآن"، وكان الباعث لتأليفه ما نقله الزبيدي عن أبي العباس أحمد بن يحيى أن «السبب في

<sup>1</sup> - مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغته العربية، محمد حسين الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص: 12-13.

<sup>2</sup> - قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، عبد العزيز عبد المعطي عرفه، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1985، ص: 5-6.

## الفصل الأول: تجليات الدرس البياني عند علماء النحو والمعاني حتى نهاية القرن الخامس الهجري

إملاء الفراء كتابه في القرآن أن عمر بن بكير وكان من أصحابه وكان مع الحسن ابن سهيل فكتب إليه: إن الأمير الحسن ما يزال يسألني عن أشياء من القرآن لا يحضرنى جواب عنها ؛ فإن رأيت أن تجمع لي أصولاً، أو تجعل في ذلك كتاباً نرجع إليه فعلت فلما قرأ الكتاب قال لأصحابه: اجتمعوا حتى أمِلَ عليكم كتاباً في القرآن، وجعل لهم يوماً»<sup>(1)</sup>.

عنون الفراء كتابه بـ (معاني القرآن) «وهذا التركيب يعني به ما يشكل في القرآن ويحتاج إلى بعض العناية في فهمه»<sup>(2)</sup>.

وبين محققا الكتاب النهج الذي اتبعه الفراء في مصنفه فهو «لم يفسر القرآن آية آية كما اعتاد المفسرون المتأخرون أن يسلكوا سبيل التأليف وإنما يتخير من الآيات ما أشكل فحسب، متبعا للترتيب التنازلي في القرآن... وهو في كل ذلك يدي بآرائه النحوية واللغوية»<sup>(3)</sup>.

كما اعتمد على نقل الآراء السابقة للمفسرين إلى جانب إدراجه لذوقه الخاص الذي ينم عن مدى إطلاعه وتفقهه باللغة العربية وأساليبها «فهو إلى جانب تحكيمه النقل فيما يوضح من معان ويقرر من حقائق كان يخلد إلى ذوقه الخاص وفهمه المتميز، فقد آمن أن اللغة تتطور تطورا لا يخضع لمنطق الدرس أو قواعده فغني بالإشارة إلى تعدد أساليب العرب في التعبير، وبعضها بعيد عن المؤلف فيظن فيه الخطأ وانطلق من قوله تعالى (وشروه بثمن بخس دراهم معدودة) يحدد دخول الباء على الثمن والمبيع والمبادل»<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي: أبو بكر محمد بن الحسن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، د.ت، ص: 132.

<sup>2</sup> - معاني القرآن، الفراء: أبو زكريا يحيى بن زياد، تح: محمد علي النجار، أحمد يوسف النجاتي، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983، ج1، ص: 12.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج1/13.

<sup>4</sup> - الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، محمد حسين آل ياسين، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط1، 1980، ص: 106.

## الفصل الأول: تجليات الدرس البياني عند علماء النحو والمعاني حتى نهاية القرن الخامس الهجري

وأشار الفراء إلى مسائل وملاحظات أصبحت فيما بعد مباحث بلاغية مهمة ذات اصطلاحات محددة وهذا ما يؤكد رابح دوب في قوله «والفراء بما أبداه في كتابه معاني القرآن من تخريجات وتوجيهات أبداه متفرقة هي من صميم البلاغة كما عرفت عند المتأخرين»<sup>(1)</sup>.

والجدير بالإشارة أن «الاصطلاحات البلاغية أول ما نشأت لم تكن واضحة المعالم دقيقة التعريفات والضوابط وإنما نشأت بسيطة لا تزيد عن الملاحظات»<sup>(2)</sup>.

ومرد ذلك إلى أن هذا العلم كان في طور النشأة ومادة مباحثه لم تكتمل بعد ولن يتم ذلك إلا بتراكم المعارف والمفاهيم ومن المباحث البلاغية التي تناولها الفراء في كتابه:

### - الاستفهام:

بين الفراء خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى أغراض بلاغية أخرى كالأمر ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُ﴾ [آل عمران: 20] قال الفراء «هو استفهام ومعناه أمر، ومثله قوله - تعالى -: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّتَّبِعُونَ﴾ [المائدة: 91] استفهام وتأويله: انتهوا»<sup>(3)</sup>.

وقد يفيد الاستفهام التعجب أو التوبيخ أو يقتربان معا في الدلالة كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَشْوَكَاءَ فَأَخِيكُمْ ثُمَّ يُبَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: 28]، حمل الفراء الاستفهام في الآية «على وجه التعجب والتوبيخ؛ لا على الاستفهام المحض (أي) ويحكم كيف تكفرون»<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري، رابح دوب، دار الفجر، مصر، ط2، 1999، ص: 82.

<sup>2</sup> - أثر النحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، دار غريب، القاهرة، د/ط، 1998، ص: 19.

<sup>3</sup> - معاني القرآن: الفراء، ج 202/1.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 23/1.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: 50]، قال «إن شئت جعلت ماذا استفهاما محضا على جهة التعجب؛ كقوله: ويلهم ماذا أرادوا باستعجال العذاب؟ وإن شئت عظمت أمر العذاب فقلت: بماذا استعجلوا»<sup>(1)</sup>.

وأيضاً قوله تعالى ﴿أَتُخَذُ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ [ص: 63] قال الفراء «هو من الاستفهام الذي معناه التعجب والتوبيخ فهو يجوز بالاستفهام وبطرحة»<sup>(2)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ [الصافات: 153] قال «استفهام وفيه توبيخ لهم»<sup>(3)</sup>، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: 17] قال «عجبهم من حمل الإبل أنها تحمل وقرها بركة ثم تنهض به، وليس شيء من الدواب يطيق ذلك إلا البعير»<sup>(4)</sup>.

وقد يحمل دلالة النهي ومن ذلك قوله تعالى ﴿قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: 76] قال «هذا من قول اليهود لبعضهم؛ أي: لا تحدثوا المسلمين بأنكم تجدون صفة محمد ﷺ في التوراة وأنتم لا تؤمنون به، فتكون لهم الحجة عليكم»<sup>(5)</sup>.

#### - التقديم والتأخير:

تناول الفراء مبحث التقديم والتأخير مبينا مواضعه ودوره في تجلية المعاني، ومن الشواهد التي أوردها قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَلَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أُرِيكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: 152].

<sup>1</sup> - معاني القرآن: الفراء، ج 467/1.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 411/2.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 394/2.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 358/3.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ج 50/1.



قال « إنه مقدم ومؤخر معناه: حتى إذا تنازعتم في الأمر فشلتكم ».<sup>(1)</sup>

وقوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ خَفِيٌّ عَنْهَا ﴾ [الأعراف: 187] قال « كأنك خفي عنها مقدم ومؤخر ؛ ومعناه يسألونك عنها كأنك خفي بها ويقال في التفسير كأنك خفي أي كأنك عالم بها ».<sup>(2)</sup>

وأيضاً قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَىٰ- إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [آل عمران: 55] قال: « إن هذا مقدم ومؤخر والمعنى فيه: إني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد إنزالي إياك في الدنيا فهذا وجه وقد يكون الكلام غير مقدم ومؤخر ؛ فيكون معنى متوفيك: قابضك ».<sup>(3)</sup>

والمتأمل للأمثلة التي ذكرها الفراء في مبحث التقديم والتأخير وطريقة تحليله لها يدرك اعتماده على تبيان موضع التقديم أو التأخير وكشفه للمعاني المرادة من التراكيب دون استجلاء الأغراض البلاغية الكامنة وراءها.

كما أورد التقديم والتأخير في قوله تعالى: ﴿ هَذَا فَلْيَذوقوه حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾ [ص: 57] قال الفراء « والغساق بهذا مقدما ومؤخرا والمعنى هذا حميم وغساق وإن شئت جعلته مستأنفا وجعلت الكلام قبله مكتفيا؛ كأنك قلت: هذا فليذوقوه ثم قلت منه حميم ومنه غساق »<sup>(4)</sup>، وقوله تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ﴾ [الأعلى: 5] قال: « أخرج المرعى أحوى فجعله غثاء، فيكون مؤخرا معناه

<sup>1</sup> - معاني القرآن: الفراء، ج 238/1.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 399/1.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 219/1.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 410/2.

## الفصل الأول: تجليات الدرس البياني عند علماء النحو والمعاني حتى نهاية القرن الخامس الهجري

التقديم»<sup>(1)</sup>، فقد اهتم باستقامة النظم فضم الألفاظ بطريقة مخصوصة مع مراعاة القواعد النحوية تتولد عنها المعاني مخصوصة .

### - الحذف:

تعددت مسميات الحذف عند الفراء فعرف بالترك والإسقاط والإضمار وهي مصطلحات دلت على الظاهرة ذاتها « فهو يسمي الحذف تركا كما في قوله تعالى: ﴿ سَرَّيْلَ تَقِيْمُ الْخَرِّ ﴾ [النحل: 81]، والمعنى: تقي الحر والبرد فترك لأن معناه معلوم أو إسقاطا كما في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ ﴾ [آل عمران: 106]، أي: فيقال أكفرتهم فلما سقط القول سقطت الفاء معه وربما سمي الحذف إضمارا إذا كان المحذوف ضميرا كما في قوله تعالى ﴿ فَأَخْوِئْكُمْ فِي الدَّيْسِ ﴾ [التوبة: 11]، فمعناه فهم إخوانكم يرتفع مثل هذا من الكلام بأن يضمن له اسما مكنيا عنه ».<sup>(2)</sup>

ومما ذكره قوله تعالى ﴿ ضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ أَيْمَنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ ﴾ [آل عمران: 112] قال « يقول: إلا أن يعتصموا بحبل من الله، فأضمر ذلك »<sup>(3)</sup> فحذف الفعل وفاعله إيجازا واختصارا.

وقوله تعالى ﴿ فَإِنْ أَسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِي نَفْسًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ ﴾ [الأنعام: 36] قال « فافعل، مضمرة، بذلك جاء التفسير وذلك معناه وإنما تفعله العرب في كل موضع يعرف فيه معنى الجواب؛ ألا ترى أنك تقول للرجل: إن استطعت أن تتصدق وإن رأيت أن تقوم معنا، بترك الجواب، لمعرفتك بمعرفته به فإذا جاء ما لا يعرف جوابه إلا بظهوره أظهرته ».<sup>(4)</sup>

<sup>1</sup> - معاني القرآن: الفراء، ج 3 / 256.

<sup>2</sup> - أثر النحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، ص: 136.

<sup>3</sup> - المصدر السابق، ج 1 / 230.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 1 / 331-332.

اعتمد الفراء على التفسير المتناقل في تأويله لآيات وهو ما تؤكد عبارة (بذلك جاء التفسير)، فبين أن الحذف وقع لأنه كان معلوم لدى المخاطب ولا يؤدي تركه إلى لبس في الكلام أو فساد في المعنى .

وفي قوله تعالى ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ [ الأنبياء: 81 ] قال « أضمر: وسخرنا - والله أعلم - وقد رفع عاصم فيما أعلم (ولسليمان الريح) لما لم يظهر التسخير أنشدني بعض العرب:

وَرَأَيْتُمْ لِمُجَاشِعٍ نِعَمًا      وَبَنَى أَبِيهِ جَامِلٌ رُغْبًا

يريد: ورأيتم لبني أبيه فلما يظهر الفعل رفع باللام»<sup>(1)</sup>، فقد استدلل الفراء على وجود الحذف بالقراءات القرآنية وكلام العرب، مبينا أن الغرض من إضمار الفعل: (سخر) هو الإيجاز والاختصار.

ومثله قوله تعالى ﴿سُئِلَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ [ الإسراء: 77 ] قال «نصب السنة على العذاب المضمّر، أي يعذبون كسنة من قد أرسلنا " ولا تَجِدُ لُسْتِنَا تحويلا »<sup>(2)</sup>، فقدر المحذوف وبين أثره الإعرابي في الاسم الذي يليه موضحا بذلك المعنى المراد .

وقوله تعالى ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [ البقرة: 175 ] قال الكسائي « سألني قاضي اليمن وهو بمكة فقال: اختصم إلي رجلان من العرب فحلف أحدهما على حق صاحبه فقال له ما أصبرك على الله»<sup>(3)</sup>، ونقل الفراء قول الكسائي وعلق عليه بقوله «وفي هذا أن يراد بها : فما أصبرهم على عذاب

<sup>1</sup> - معاني القرآن: الفراء، ج 2/356.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 2/129.

<sup>3</sup> - معاني القرآن، الكسائي : علي بن حمزة، تقديم : عيسى شحاته عيسى، دار القباء، القاهرة، د/ط، 1998، ص: 82.

## الفصل الأول: تجليات الدرس البياني عند علماء النحو والمعاني حتى نهاية القرن الخامس الهجري

الله ثم تلقى العذاب فيكون كلاماً، كما تقول ما أشبه سخاءك بجاتم»<sup>1</sup>، فحذف المضاف إليه من الآية وهو كلمة العذاب.

وقوله تعالى ﴿هَٰذَا نِ حُصَمَانِ أَخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج: 19] قال الفراء «أي في دين ربهم»<sup>2</sup>، حيث وقع الحذف في المفردة ودل عليه السياق فالخصومة جرت بين المسلمين وأهل الكتاب إذ فضل كل فريق ديانتته على ديانة الآخر .

وأيضاً ورد في قوله تعالى ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى: 3] فسرهما بقوله «ويقال: قدر فهدى وأضل، فاكتمى من ذكر الضلال بذكر الهدى لكثرة ما يكون معه»<sup>(3)</sup>، فبين الفراء أن الهداية والضلالة كلمتان متقابلتان تستدعي إحداهما الأخرى، فحذف الكلمة الثانية (أضل) لكثرة الاستعمال ومعرفة المخاطب بها .

وقد يقع الحذف في المفردة أو التركيب وهو ما أشار إليه الفراء في تفسيره لقوله تعالى ﴿أَمْثَلًا مِّثْلًا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق: 3] قال «كلام لم يظهر قبله ما يكون هذا جواب له، ولكن معناه مضمر إننا كان والله أعلم ﴿قُ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ لتبعث بعد الموت، فقالوا: أنبعث إذا كنا تراباً؟ فجحدهوا البعث ثم قالوا: ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾»<sup>(4)</sup>، فالحذف عبارة عن جملة (لتبعث بعد الموت) دلت عليه قوله (أَمْثَلًا مِّثْلًا وَكُنَّا تُرَابًا) فاستفهامهم حمل دلالة الإنكار لخبر قد سمعوه وهو البعث والإحياء من جديد.

<sup>1</sup> - معاني القرآن: الفراء، ج1/103.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج2/219.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج3/256.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج3/75-76.

## الفصل الأول: تجليات الدرس البياني عند علماء النحو والمعاني حتى نهاية القرن الخامس الهجري

ويمكن القول: إن الحذف من الأساليب العربية التي أدرك الفراء أثرها في التراكيب، فدرس هذا اللون من التعبير وقدر المحذوف سواء أكان مفردة أم تركيباً مستجلباً الغاية منه وهي الإيجاز والاختصار، كما اشترط لوقوعه علم المخاطب به وإلا كان الذكر أبلغ .

### - الالتفات:

عالج الفراء الالتفات كأسلوب تعبيري تداوله العرب وعرفوه كما «توسع في تصوير الخصائص التعبيرية كالدلالة بلفظ الخصوص على معنى العموم ولفظ العموم على معنى الخصوص وكمخاطبة الواحد مخاطبة الاثنين، وتنبيهه في ثانيا ذلك إلى الصورة العامة للالتفات وإن لم يقترح اسمه الاصطلاحي»<sup>(1)</sup>.

حيث أشار إلى ذلك في قوله تعالى ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ (20) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿ [ القيامة: 20-21] قال: «وقراها ابن كثير بل يحبون بالياء ؛ والقرآن يأتي أن يخاطب المنزل عليهم أحيانا وحيناً يجعلون كالغيب، كقوله ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [ يونس: 22] «<sup>(2)</sup>. فتنبه الفراء إلى انتقال الكلام في الآية من المخاطبة إلى الغيبة، إذ تحدث عن الالتفات مبكراً وصار ما مثل به ماثلاً في مصنفات البلاغيين المتأخرين .

### - الفصل والوصل:

أدرك الفراء أهمية الفصل والوصل ودوره في الكشف عن المعاني، واصطبغت تحليلاته بالعلمية والوضوح ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَعْبِدُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [ إبراهيم: 6]، وفي

<sup>1</sup> - البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط9، د.ت، ص: 30.

<sup>2</sup> - معاني القرآن: الفراء، ج3/211-212.

سورة البقرة في قوله تعالى ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاهُ مِّنْ آلٍ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّجُونَ أَبْغَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: 49].

قال « فمعنى الواو أنه يمسهم العذاب غير التذبيح كأنه قال: يعذبونكم بغير الذبح وبالذبح ومعنى طرح الواو كأنه تفسير لصفات العذاب وإذا كان الخبر من العذاب أو الثواب مجملا في كلمة ثم فسره فاجعله بغير الواو وإذا كان أوله غير آخره فبالواو»<sup>(1)</sup>.

وقد علق عبد القادر حسين على ذلك بقوله « ومعنى هذا كمال يقول الفراء نفسه أن الواو تطرح إذا كانت الثانية بيانا للأولى أو ما نسميه الاتصال فالذبح توضيح للعذاب وتفسير له ولا يقع حرف العطف بين التفسير والمفسر أما إذا كان المراد بالكلام الثاني غير الأول فيثبت الوصل وتذكر الواو باعتبار أن الذبح شيء غير مسموم العذاب»<sup>(2)</sup>.

فوقع الفصل لأن بين الجملتين كمال الاتصال، إذ وردت الجملة الثانية بيانا وتفصيلا لما أجمل معناه في الجملة الأولى فبينهما اتحاد في المعنى وهو ما أدركه الفراء والتمس بعده الدلالي، فالفصل والوصل يوظف لغاية يضمنها المتكلم خطابه .

#### - التشبيه والتمثيل:

أسس الفراء لفن التشبيه من خلال استيفاء أركانه ومن الشواهد التي أوردها قوله تعالى ﴿طَلَّهَا كَأَنَّهٗ زُفُوفُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصفات: 65]، قال « فأن فيه في العربية ثلاثة أوجه أحدها أن تشبه طلوعها في قبحه برءوس الشياطين؛ لأنها موصوفة بالقبح، وإن كانت لا ترى وأنت قائل للرجل: كأنه شيطان

<sup>1</sup> - معاني القرآن: الفراء، ج 2 / 69.

<sup>2</sup> - أثر النحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، ص: 146.

إذا استقبحته، والآخر أن العرب تسمى بعض الحيات شيطانا وهو حية ذو عرف . قال الشاعر، وهو يذم امرأة له:

عَنْجَرْدٌ تَخْلِفُ حِينَ أَخْلَفُ      كَمِثْلِ شَيْطَانِ الْحَمَاطِ أَعْرِفُ

ويقال: إنه نبت قبيح يسمى برءوس الشياطين، والأوجه الثلاثة تذهب إلى معنى واحد في القبح<sup>(1)</sup>.

وعن قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن: 37] قال «أراد بالوردة الفرس الوردة تكون في الربيع وردة إلى الصفرة، فإذا كان بعد ذلك كانت وردة إلى الغبرة فشبه تلون السماء بتلون الوردة من الخيل وشبهت الوردة في اختلاف ألوانها بالدهن ويقال: إن الأديم أحمر»<sup>(2)</sup>.

يقول محمد زغلول سلام: «قد أجاد إدراك التشبيه بأقسامه وعرف أنه مركب هنا من قسمين أو صورتين متعاقبتين صورة السماء منشقة، وصورة الدهان والصورتان الأخيرتان مركبتان لتوضح وجه الشبه والفراء يوضح معنى المشبه به في هاتين الصورتين فيوضح معنى الوردة وينبه إلى وجه الشبه وهو أحوال تلونها»<sup>(3)</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ [البقرة: 19]، قال « فشبه الظلمات بكفرهم، والبرق إذا أضاء لهم فمشوا فيه بإيمانهم، والرعد ما أتى في القرآن من التخويف وقد قيل فيه وجه آخر، قيل: إن الرعد إنما ذكر مثلا لخوفهم من القتال إذا دعوا إليه »<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - معاني القرآن: الفراء، ج 387/2.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 117/3.

<sup>3</sup> - أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، محمد زغلول سلام، مكتبة الشباب، القاهرة، ط1، د.ت، ص: 57.

<sup>4</sup> - المصدر السابق، ج 17/1.

كما بين الفراء المخالفة الحاصلة بين طرفي التشبيه إفرادا وجمعا في قوله تعالى ﴿وَإِذَا عَشِيتُمْ مَوْجَ كَالظُّلَلِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [لقمان: 32]، قال « فشبه بالظلل والموج واحد ؛ لأن الموج يركب بعضه بعضا ويأتي شيء بعد شيء»<sup>(1)</sup>، ووجه الشبه يكمن في شدة السواد بين السحاب والموج .

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ [البقرة: 171] قال الفراء « أضاف المثل إلى الذين كفروا، ثم شبههم بالراعي، ولم يقل: كالغنم والمعنى - والله أعلم - مثل الذين كفروا ( كمثل البهائم ) التي لا تفقه ما يقول الراعي أكثر من الصوت فلو قال لها: ارعى أو اشربي، لم تدر ما يقول لها، فكذلك مثل الذين كفروا فيما يأتيهم من القرآن وإنذار الرسول فأضيف التشبيه إلى الراعي والمعنى - والله أعلم - في المرعي»<sup>(2)</sup>، فبين المعنى المراد من الآية وهو تشبيه الكافرين في إعراضهم عن الحق وعدم استجابتهم لدعوة الرسول بالأنعام التي تسمع الصوت ولا تهددي لمعناه فكأنما على قلوبهم غشاوة فالقرآن لا يؤثر بها .

فمعالجته للأمثلة تنبئ عن فهم جديد منه لهذا الأسلوب البياني وقد كانت تحليلاته له أوضح من أبي عبيدة حيث كشف عن المماثلة التي عقدت بين المشبه والمشبه به والصفة المشتركة بينهما ( وجه الشبه) منقبا بذلك عن بلاغة التصوير وجمالية التعبير .

أما التمثيل فقد ذكره في تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: 17]، قال « فإنما ضرب المثل - والله أعلم - للفعل لا لأعيان الرجال، وإنما هو مثل للنفاق، فقال مثلهم كمثل الذي استوفد نارا؛ ولم يقل: الذين استوفدوا وهو كما قال تعالى ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: 19] وقوله ﴿مَا

<sup>1</sup> - معاني القرآن: الفراء، ج 2/330.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1/99.



خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كُنُفُسٌ وَجِدَةٌ ﴿ [ لقمان: 28 ] ولو كان التشبيه للرجال لكان مجموعاً كما قال ﴿ كَانَهُمْ حُشْبٌ مُسْنَدَةٌ ﴾ [ المنافقون: 4 ] أراد القيم والأجسام»<sup>(1)</sup>، فشبه فعل المنافقين الذين يتظاهرون بالإيمان ويخفون الكفر بموقد النار الذي يهتدي بها في ظلمته فإذا انطفأت عاد إلى الظلمة من جديد فوجه الشبه منتزع من متعدد وهو الاضطراب في تبين طريق الصواب .

#### - الاستعارة:

يرى أحمد مطلوب أن الفراء قد «أشار إلى أسلوب الاستعارة ولكنه لم يسمها»<sup>(2)</sup>، إذ تبين انتقال اللفظ إلى غير ما وضع له في أصل اللغة لوجود علاقة مشابهة بينهما وذلك في تفسيره لقوله تعالى ﴿ يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾ [ القلم: 42 ] قال « يريد: القيامة والساعة لشدها»<sup>(3)</sup>، فاستعيرت عبارة الكشف عن الساق لتعبر عن هول الموقف وشدة الأمر على المشركين عند قيام الساعة.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَجِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴾ [ ص: 15 ] قال « الإفاقة من الرضاع إذا ارتضعت البهمة أمها ثم تركتها حتى تنزل شيئاً من اللبن، فتلك الإفاقة والفواق بغير الهمز إلى معنى آخر فسر الفواق بمعنى الراحة»<sup>(4)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّئًا فَأَخَيَّرَهُ ﴾ [ الأنعام: 122 ]، قال «أي كان ضالاً فهديناه»<sup>(5)</sup>، فشبه الضال عن طريق الحق بالميت الذي بث فيه نور الهداية الحياة.

1 - معاني القرآن: الفراء، ج 15/1.

2 - معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، ص: 83.

3 - المصدر السابق، ج 279/3.

4 - المصدر نفسه، ج 400/2.

5 - المصدر نفسه، ج 353/1.

وعن قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [الأنعام: 122] قال «يعني إيمانه»<sup>(1)</sup>، فشبه الإيمان بالنور الذي يزيل عنه الحيرة ويهديه السبيل القويم.

وقوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: 7] قال: أي «هن الأصل»<sup>(2)</sup>؛ حيث شبهت الآيات المحكمات بأُم الكتاب فهي الأصل الذي يرد إليه المتشابه.

وفسر قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ [فاطر: 19] قال «الأعمى هاهنا الكافر والبصير المؤمن»<sup>(3)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾ [فاطر: 20] بالقول «الظلمات الكفر والنور الإيمان»<sup>(4)</sup>، فشبه الكافر بالأعمى لعدم قدرته على تبين الحق والمؤمن بالبصير لأنه اهتدى إليه واتبعه.

فذكر الفراء أمثلة عن الاستعارة لكنه لم يطلق عليها اسم الاستعارة، فالمصطلح استعمل بعد الفترة التي تلتها فورد في مصنفات الجاحظ وابن قتيبة وغيرهم من الأعلام .

#### - المجاز:

عرف المجاز في كلام العرب وتصاريف لغتها وضروب استعمالاتها وقد ذكره الفراء في تفسيره لقوله تعالى ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: 113] قال «السجود في هذا الموضع اسم الصلاة لا السجود ؛ لأن التلاوة لا تكون في السجود ولا الركوع»<sup>(5)</sup>، فقد منعت القرينة

<sup>1</sup> - معاني القرآن: الفراء، ج 1/353.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1/190.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 2/369.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 2/369.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ج 1/231.

القريضة (التلاوة) من إرادة المعنى الحقيقي وحمل المعنى على المجاز ؛ إذ أطلق ( الجزء) السجود وأريد به (الكل) الصلاة بجميع أركانها من سجود وركوع وتلاوة فهو: مجاز مرسل علاقته الجزئية.

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الصفافات: 78] قال «يقول: أبقينا له ثناء حسنا في الآخرين».<sup>(1)</sup>

وأيضا في قوله تعالى: ﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل: 5]، قال: «هو ما ينتفع به من أوبارها»<sup>(2)</sup>، ففي الآية مجاز مرسل علاقته اعتبار ما سيكون (المال) حيث يستفيد الناس من أصواف الأنعام فيحيكون منها ثيابا تقيهم البرد وتمنحهم الدفء.

ومن المجاز العقلي قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: 18] قال الفراء «فجعل العصف تابعا لليوم في إعرابه، وإنما العصف للريح، وذلك جائز على الجهتين، إحداهما أن العصف وإن كان للريح فإن اليوم يوصف به ؛ ولأن الريح فيه تكون، فجاز أن يقول يوم عاصف كما يقول: يوم بارد ويوم حار والوجه الآخر أن يريد في يوم عاصف الريح فتحذف الريح لأنها قد ذكرت في أول الكلمة»<sup>(3)</sup>، فأسند العصف لغير فاعله الحقيقي (اليوم) والأصل أن ينسب للريح فحذفت الأخيرة وحلت كلمة اليوم مكانها فهو مجاز عقلي .

وقوله تعالى ﴿قَالَ سَأُوَيِّ إِلَيَّ جَبَلٌ يَعْصِيَنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ [هود: 43]، قال الفراء « فمن في موضع نصب، لأن المعصوم خلاف للعاصم والمرحوم معصوم...ولكن لو جعلت العاصم في تأويل معصوم كأنك قلت: لا معصوم اليوم من أمر الله لجاز رفع (من)

<sup>1</sup> - معاني القرآن: الفراء، ج 387/2.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 96/2.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 74-73/2.

## الفصل الأول: تجليات الدرس البياني عند علماء النحو والمعاني حتى نهاية القرن الخامس الهجري

ولا تنكرن أن يخرج المفعول على الفاعل، ألا ترى قوله ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ ذَافِقٍ﴾ [الطارق: 6] بمعناه والله أعلم: مدفوق وقوله ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: 21] معناه مرضية<sup>1</sup>، أسند الفعل إلى الفاعل مجازا فقال عاصم والأصل معصوم فهو مجاز عقلي.

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ [العلق: 17] قال: «قومه والعرب تقول: النادي يشهدون عليك والمجلس يجعلون: النادي والمجلس والمشهد والشاهد القوم قوم الرجل»<sup>(2)</sup>، يتأول الفراء القرآن على وفق ما عهدت العرب من الأساليب حيث نسب الفعل للنادي وحذفت كلمة الأهل والتقدير: فليدع أهل النادي.

وفي تفسيره لقوله تعالى ﴿بَلْ مَكْرُ أَيْلٍ وَالنَّهَارِ﴾ [سبأ: 33] قال «المكر ليس لليل والنهار، وإنما المعنى: بل مكرهم بالليل والنهار، وقد يجوز أن نضيف الفعل إلى الليل والنهار، ويكونا كالفاعلين لأن العرب تقول: نهارك صائم وليلك نائم، وعزم الأمر وإنما عزمه القوم فهذا مما يعرف معناه فتتسع به العرب»<sup>(3)</sup>. فأسند فعل المكر للزمان (الليل والنهار) في حين أن الفاعل الحقيقي هم الناس الذين يمحرون فيهما وهو مما اعتادته العرب من أفانين القول.

أما قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَيِّهِ يَأْتَا بَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: 4] قال «فإن النون والواو إنما تكونان في جمع ذكران من الجن والإنس وما أشبههم فيقال: الناس ساجدون، والملائكة والجن ساجدون: فإذا عدوت هذا صار المؤنث والمذكر إلى

<sup>1</sup> - معاني القرآن: الفراء، ج 2/15-16.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 3/279.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 2/363.

## الفصل الأول: تجليات الدرس البياني عند علماء النحو والمعاني حتى نهاية القرن الخامس الهجري

التأنيث إنما جاز في الشمس والقمر والكواكب بالنون والياء لأنهم وصفوا بأفاعيل الآدميين ومثله ﴿وَقَالُوا لَجُلُودُهُمْ لَمْ يَشْهَدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: 21] فكأنهم خاطبوا رجالا إذا كلمتهم وكلموها<sup>(1)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَّحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: 16] قال «ربما قال القائل: كيف تربح التجارة وإنما يربح الرجل التاجر؟ وذلك من كلام العرب: ربح يبيعك فحسن القول بذلك، لأن الربح والخسران إنما يكونان في التجارة، فعلم معناه ومثله من كلام العرب: هذا ليل نائم، ومثله من كتاب الله ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ [الحج: 21] وإنما العزيمة للرجال»<sup>(2)</sup>، فنسب الربح للتجارة مجازا في حين أن الفاعل الحقيقي هو التاجر. فقد فهم الفراء المجاز العقلي بمعناه الاصطلاحي المتمثل في إسناد الفعل لغير فاعله مع وجود قرينة صارفة للمعنى الظاهر فكان له السبق في دراسة هذا المبحث؛ إذ استفاد البلاغيون من شواهدة ونقلوها في مؤلفاتهم.

### - الكناية:

وردت الكناية عند الفراء «بمعنى الستر أو الإخفاء عامة فهي إخفاء معنى أو إخفاء لفظ أو استبدال غيره به»<sup>(3)</sup>، فهو فن تعبيرى متداول عند العرب إذ توظفه للتلميح عن المعنى لنبوه عن الذوق أو لما فيه من تصريح غير مستحب.

ومما كنى الله عنه قال: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكَ مِنَ الْغَائِطِ﴾ [المائدة: 6]، فصرح الفراء بالكناية بمدلولها الاصطلاحي فقال: «أو جاء أحدكم من الغائط كناية عن خلوة الرجل إذا أراد الحاجة»<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - معاني القرآن: الفراء، ج 2/24-25.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1/14-15.

<sup>3</sup> - أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع، محمد زغلول سلام، ص: 55.

<sup>4</sup> - المصدر السابق، ج 303/1.

فورد الكناية بغرض العدول عن اللفظ الخسيس إلى غيره الذي يحمل معناه. وأيضا في قوله تعالى:

﴿وَلَكِنْ لَا تُؤَاغِدُوهُمْ سِرًّا﴾ [البقرة: 233] قال: «بمعنى النكاح»<sup>(1)</sup>.

#### - المشكلة:

تعرض الفراء لمصطلح المشكلة في تفسيره لآيات من الذكر الحكيم ولعله «كان أول من ارتاد مفهوم المشكلة، ومثل لها بأمثلته التي توارثها البحث البلاغي من بعده، ولا يقدر في ريادته أنه لم يسم المشكلة بمصطلحها المتعارف»<sup>(2)</sup>، وذلك في قوله تعالى ﴿فَإِنْ أَنْتَهُوا فَلَا عُذُونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 192] قال الفراء: «فإن قال قائل: رأيت قوله ﴿فَلَا عُذُونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ عدوان هو وقد أباحه الله لهم ؟ قلنا: ليس بعدوان في المعنى، إنما هو لفظ على مثل ما سبق قبله، ألا ترى أنه قال ﴿فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: 194]، فالعدوان من المشركين في اللفظ ظلم في المعنى والعدوان الذي أباحه الله وأمر به المسلمين إنما هو القصاص فلا يكون القصاص ظلما وإن كان لفظه واحدا»<sup>(3)</sup>، فقد استعمل أسلوبا تعليميا معروفا بالفنقلة (فإن قلت: ... قلت) لما له من أثر في تثبيت المعاني وتقريبها من خلال استحضار تساؤلات المتلقي والإجابة عنها وهو النهج الذي اعتمده الزمخشري فيما بعد فكان الفراء سباقا إليه.

وفي قوله تعالى: ﴿صَبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صَبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: 138] قال «قيل: صبغة الله ؛ لأن بعض النصارى كانوا إذا ولد مولود جعلوه في ماء لهم، يجعلون ذلك تطهيرا لهم

<sup>1</sup> - معاني القرآن: الفراء، 153/1.

<sup>2</sup> - التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، أحمد سعد محمد، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، د-ت، ص: 491.

<sup>3</sup> - المصدر السابق، ج 117/1.

## الفصل الأول: تجليات الدرس البياني عند علماء النحو والمعاني حتى نهاية القرن الخامس الهجري

كالختانة ...، اختن إبراهيم عليه السلام فقال: صبغة الله، يأمر بها محمدًا عليه السلام فجرت الصبغة على الختانة، لصبغهم الغلمان بالماء»<sup>(1)</sup>.

عالج الفراء في مصنفه الكثير من الأساليب البيانية إجراء وتطبيقا وإن لم يسم لها مصطلحا، فرد التعبير القرآني إلى التعبير العربي المؤلف مفسرا الآيات التي اشكل فهمها مستجليا معناها ومبينا جمالية نظمها، كما زواج بين الاجتهاد في التأويل والتفسير الأثري، متجنباً بذلك الوقوع في الحرج خاصة في الآيات المتعلقة بالذات الإلهية، وقد استثمر من بعده تلك المعالجة وعملوا على ضبط المصطلح وتطوير بحثه .

### - الدرس البياني عند أبي عبيدة (ت 210هـ):

يعد "مجاز القرآن" من المؤلفات المهمة التي عرفت سبقا في التأليف وجزءا من ثروة معرفية شملت فنونا لغوية ومباحث عدة، إذ فهم أبو عبيدة النص القرآني في ضوء معهود العرب من أساليب كلامها حيث استوقفته معاني الآيات وتفسير غريب الألفاظ وبلاغة النظم، مما مكنه من نيل مكانة عظيمة في الدراسات البلاغية، فالملاحظات التي أبدتها مهدت لعلم قائم بذاته؛ أي « أنه حين تعرض للنصوص القرآنية أشار إلى ما تدل عليه من حقيقة أو مثل أو تشبيه أو كناية وما يتضمن من ذكر أو حذف أو تقديم أو تأخير، فوضع بذلك اللبنة الأولى في صرح الدراسات البلاغية للقرآن، وقد يكون في ذلك بعض التجاوز في التحديد ولكنه منهج مبدئي يخط، وله بذلك موضعه من التقدير»<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - معاني القرآن: الفراء، ج 1/86-63.

<sup>2</sup> - خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم، محمد رجب البيومي، الشركة المصرية، د.ط، 1971، ص: 46.

## الفصل الأول: تجليات الدرس البياني عند علماء النحو والمعاني حتى نهاية القرن الخامس الهجري

ويرجع المؤرخون الحاجة إلى التأليف في مجازات القرآن إلى أن إبراهيم بن إسماعيل الكاتب أحد كتاب الفضل ابن الربيع سأل أبا عبيدة عن معنى آية من القرآن فأجاب عن السؤال واعتزم أن يؤلف مجاز القرآن. (1)

فقد عالج فيه ما أشكل فهمه من أساليب التعبير القرآني من تركيب مضمّر أو مصرح أو صورة ذات أبعاد دلالية، مبيناً أن السلف والمسلمين الأوائل كانوا على علم باللغة وتصاريفها فلم يحتاجوا التفسير وأنه حادث لاختلاط العرب بغيرهم ووقوع اللحن فقال «فلم يحتج السلف ولا الذين أدركوا وحيه إلى النبي - ﷺ - أن يسألوا عن معانيه وعما فيه مما في كلام العرب مثله من الوجوه والتلخيص وفي القرآن مثل ما في الكلام العربي من وجوه الإعراب ومن الغريب والمعاني». (2)

فالقرآن الكريم معجزة لغوية نزلت بلسان عربي مبين وبأساليب العرب المعهودة وفي أرقى صورة من النظم «ففي القرآن ما في الكلام العربي من الغريب والمعاني، ومن المحتمل من مجاز ما اختصر، ومجاز ما حذف، ومجاز ما كلف عن خبره ومجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد ووقع على الجميع، ومجاز ما جاء لفظه لفظ الجميع ووقع معناه على الاثنين، ومجاز ما جاء لفظه خبر الجميع على لفظ خبر الواحد ومجاز ما جاء الجميع في موضع الواحد ... وكل هذا جائز قد تكلموا به» (3)، فالأساليب التي سماها مايزال البلاغيون والبيانيون ثابتين على تسميته لها ؛ إذ له جهد واضح في السبق والتأسيس لعلمي البلاغة والإعجاز القرآني.

<sup>1</sup> - ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي: جمال الدين أبي الحسن علي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1955، ج3/277-278.

<sup>2</sup> - مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي، تح: محمد فؤاد سركين، مكتبة الخانجي، القاهرة، د/ط-ت، ج1، ص: 08.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 18/1.



وتعد كتب معاني القرآن من المصادر الأولى للتفسير اللغوي للقرآن الكريم والذي يشمل التفسير البياني فهو جزء فيه، فقد شكلت وكتب الغريب النواة الأولى لهذا الفن من فنون التفسير حيث اتخذوا التفسير بالرأي منهجا في دراستهم، فأول أبو عبيدة الآيات معتمدا على « فقهه باللغة العربية وأساليبها واستعمالاتها والنفاد إلى خصائص التعبير فيها عد هذا الاتجاه قريبا من التفسير بالرأي وهو الأمر الذي كان يتحاشاه كثير من اللغويين المعاصرين له فقد تعرض أبو عبيدة لكثير من النقد من أمثال الأصمعي وأضرابه»<sup>(1)</sup>.

وقد قسم محمد العمري المجازات عند أبي عبيدة إلى قسمين<sup>(2)</sup>:

1- مجازات هي عبارة عن إشكالات ذات طبيعة تاريخية تتعلق بتطور اللغة معجما ولهجات وتقنيات كتابية.

2- مجازات نصية أي إنها تدخل في نسيج النص وتسافر معه عبر تاريخه وتفسح المجال واسعا للمؤول.

واعتبر حمادي صمود جهد أبي عبيدة منصبا في الكشف عن أساليب التعبير القرآني ومقارنتها بأساليب العرب فيقول « فكان لا هم له إلا ربط حبل الأسباب بين النص القرآني وسبل العرب في التعبير بصرف النظر عما يعلق بتلك الأساليب من مقاصد فنية وبهذه الكيفية يمكننا إدراج مجاز القرآن ضمن زمرة المؤلفات التي تتحرك من منطلق عقائدي تدافع عن القرآن وتذب عنه وتقف في وجهه من تسول لهم أنفسهم الطعن فيه وإن جاءت اللهجة - هنا - خافتة خفية »<sup>(3)</sup>، فالدفاع عن القرآن الكريم ضد الطاعنين كان العامل الأساسي في نشأة الإعجاز القرآني والتأليف فيه والذي توسع فيما

<sup>1</sup> - قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة، عبد العزيز عبد المعطي عرفه، ص: 101.

<sup>2</sup> - البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، محمد العمري، أفريقيا الشرق، المغرب، د.ط، 1999، ص: 92.

<sup>3</sup> - التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس، حمادي صمود، ص: 95.

## الفصل الأول: تجليات الدرس البياني عند علماء النحو والمعاني حتى نهاية القرن الخامس الهجري

بعد على يد أعلام: كالرماني والخطابي والباقلاني والجرجاني الذين بسطوا أفكارهم وبينوا أوجه الإعجاز مستدلين بالشواهد من كلام العرب .

وتناول أبو عبيدة في كتابه مباحث بلاغية فصل بعضها وأورد أمثلة عن البعض الآخر في محاولة منه للوقوف على غرضها ودورها في إبانة المعنى، ومن تلکم الفنون:

### - الاستفهام:

قد يخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي الذي يتمثل في « طلب العلم بالشيء بواسطة أداة من أدواته »<sup>(1)</sup>، إلى معاني بلاغية أخرى كالنهي أو الإخبار أو التهديد والوعيد... إلخ.

فورد بمعنى الإيجاب: التقرير في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ [البقرة: 29] قال أبو عبيدة « جاءت على لفظ الاستفهام، والملائكة لم تستفهم ربحاً، قال تبارك وتعالى ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ولكن معناها معنى الإيجاب: أي أنك ستفعل، وقال جرير فأوجب ولم يستفهم لعبد الملك بن مروان:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْذَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحٍ. <sup>(2)</sup>

وقوله تعالى ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ [العنكبوت: 68] فسرهما بقوله « مجازه الإيجاب لأن هذه الألف يكون للاستفهام والإيجاب فهي هاهنا للإيجاب »<sup>(3)</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [هود: 24] قال «وليس موضع ( هل ) هاهنا موضع الاستفهام ولكن موضعها هاهنا موضع

<sup>1</sup> - كتاب علوم البلاغة البيان والمعاني والبدیع، أحمد مصطفى المراغي، شركة القدس، القاهرة، ط1، 2012، ص: 60.

<sup>2</sup> - مجاز القرآن: أبو عبيدة، ج1/35-36.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 2/118.

الايجاب أنه لا يستويان وموضع تقرير وتخبير أن هذا ليس كذلك، ولها في غير موضع آخر موضع (قد)، قال ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ [الإنسان: 01] معناها: قد أتى على الإنسان<sup>(1)</sup>، فأفاد الاستفهام: التحقيق حيث فهم أبو عبيدة معنى الحرف بخلاف ظاهره أو مجيء حرف متضمنا معنى حرف آخر مما يجعله يحمل دلالات سياقية مختلفة. .

وفي قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ [سبأ: 40]، قال « مجاز الألف هاهنا مجاز الايجاب والإخبار والتقرير وليست ألف الاستفهام بل هي تقرير للذين عبدوا الملائكة<sup>(2)</sup>، فحمل الاستفهام معنى التقرير.

وقد يفيد الاستفهام معنى النهي والتهديد ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتُ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ [المائدة: 116]، قال « هذا باب تفهيم وليس استفهام عن جهل ليعلمه، وهو يخرج مخرج الاستفهام، وإنما يراد به النهي عن ذلك ويتهدد به، وقد علم قائله أكان ذلك أم لم يكن<sup>(3)</sup>».

وفي قوله تعالى ﴿ أَفَسِحَّرَ هَذَا أَمْ أَنُفِّسُ لَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الطور: 15]، قال: « ليس باستفهام بل هو توعده<sup>(4)</sup>، فدل على غرض الوعيد.

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة: 05]، حمل الاستفهام دلالة الإخبار، قال أبو عبيدة: «هذا كلام هو إخبار، خرج مخرج الاستفهام ؛ وليس

<sup>1</sup> - مجاز القرآن: أبو عبيدة، ج 287/1.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 150/2.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 184-183/1.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 231/2.

هذا إلا في ثلاثة مواضع، هذا أحدها والثاني: ما أبالي أقبلت أم أدبرت، والثالث: ما أدري أوليت أم جاء فلان»<sup>(1)</sup>.

فقد تفتن أبو عبيدة إلى خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى أغراض بلاغية أخرى كالتقرير، التهديد والوعيد، النهي ... والتي تفهم من السياق فيستقيم النظم ويتحدد بها المعنى المراد.

#### - الإيجاز:

عرف الإيجاز عند أبي عبيدة بمصطلح " المجاز المكفوف عن خبره " وهو أسلوب تلجأ إليه العرب تخفيفاً لعلم المستمع به ومن الأمثلة التي ذكرها، قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى ﴾ [ الرعد: 31] قال «مجازه مجاز المكفوف عن خبره، ثم استؤنف فقال ﴿ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ فمجاهزه: لو سيرت به الجبال لسارت، أو قطعت به الأرض لتقطعت، ولو كلم به الموتى لنشرت، والعرب قد تفعل مثل هذا لعلم المستمع به استغناء عنه واستخفافاً في كلامهم»<sup>(2)</sup>.  
فقدر أبو عبيدة المحذوفات في الآية الكريمة وبين الغرض منها وهو: الإيجاز، كما استحضر المتلقي واشتراط علمه وفهمه لهذا الأسلوب .

وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعَجَلَ يَكْفُرِهِمْ ﴾ [ البقرة: 92] قال أبو عبيدة « سقوه حتى غلب عليهم، مجازه مجاز المختصر ؛ أشربوا في قلوبهم العجل: حب العجل، وفي القرآن ﴿ وَسُلِّ الْقَرْيَةَ ﴾ [ يوسف: 82 ] مجازه أهل القرية»<sup>3</sup>، فحذف المضاف في الآية ( حُب ) وأقيم المضاف إليه (العجل) مكانه اختصاراً لعلم المخاطب به.

<sup>1</sup> - مجاز القرآن: أبو عبيدة، ج 31/1.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 331/1.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 47/1.

وأيضاً في قوله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: 191] قال «العرب تختصر الكلام ليخففوه لعلم المستمع بتمامه فكأنه في تمام القول يقولون: ربنا ما خلقت هذا باطلاً»<sup>(1)</sup>، فحذف الفعل (يقولون) إيجازاً وهو أسلوب متداول عند العرب.

وفي قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [الرعد: 36]، فسرهما أبو عبيدة بقوله «مجازه مجاز المكفوف عن خبره والعرب تفعل ذلك في كلامها، وله موضع آخر مجازه: للذين استجابوا لربهم الحسنى مثل الجنة، موصول صفة لها على الكلام المؤول»<sup>(2)</sup>.

كما أشار إلى الحذف والإضمار ووجوه المخاطبات، ومثل لها بآيات من الذكر الحكيم في قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: 25] قال أبو عبيدة «مجازه مختصر الذي فيه ضمير كقولك: يقولون سلام عليكم»<sup>(3)</sup>، وقوله تعالى: ﴿فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: 11] قال «مجازه مختصر الذي فيه ضمير، كقولك: فهم إخوانكم»<sup>(4)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْطَلِقُ الْأَمْلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمْسُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ﴾ [ص: 5] قال «فهذا مختصر فيه ضمير مجازه ﴿وَأَنْطَلِقُ الْأَمْلَأُ مِنْهُمْ﴾، ثم اختصر إلى فعلهم وأضر فيه: وتواصوا أن امشوا أو تنادوا

<sup>1</sup> - مجاز القرآن: أبو عبيدة، ج 1/ 111.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 333/ 1-334.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 330/ 1.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 253/ 1.

أن امشوا أو نحو ذلك، وفي آية أخرى ﴿ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ﴾ [ البقرة: 25]، فهذا من قول الكفار، ثم اختصر إلى قول الله، وأضمر فيه قل يا مُحَمَّد " يضل به كثيرا " فهذا من كلام الله ». (1)

والإيجاز الذي خصه أبو عبيدة بالدراسة هو إيجاز الحذف حيث وضح أغراضه التي عمدتها الاتكاء على علم السامع بالمحذوف، فالحذف عنده يقع على مستوى المفردات أو الجمل .

#### - الإطناب:

تحدث أبو عبيدة عن الإطناب مسميا إياه "بالمجاز المكرر للتوكيد" وبين مواضعه بإعادة اللفظ أو الجملة، وسره البلاغي الذي قصره على التوكيد حيث يقول « ومن مجاز المكرر للتوكيد قال: ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ [ يوسف: 4]، أعاد الرؤية وقال ﴿ أُولَئِكَ فَأُولَئِكَ ﴾ [ القيامة: 33]، أعاد اللفظ وقال: ﴿ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصَيَّامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتَ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ [ البقرة: 196] وقال: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [ المسد: 1]» (2)، فالتكرار عند أبي عبيدة ضرب من الإطناب ؛ إذ بين الغاية منه ومثل له بالشواهد.

#### - التقديم والتأخير:

أشار أبو عبيدة إلى مواطن التقديم والتأخير في التعابير القرآنية، ولكنه لم يقف عند غرضه البلاغي وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَقْدِرُونَ ﴾ [ الأنعام: 2]، قال « مقدم ومؤخر،

<sup>1</sup> - مجاز القرآن: أبو عبيدة، ج 8/1.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 12/1.

مجازة يعدلون برهم أي: يجعلون له عدلا، تبارك وتعالى عما يصفون وقوله تعالى: ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾<sup>(1)</sup> مقدم ومؤخر مجازة وعنده أجل مسمى، أي وقت مؤقت.

وفي قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا كَذِبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: 72] قال أبو عبيدة «مقدم ومؤخر، مجازة كذبوا فريقا ﴿وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ مجازة: يقتلون فريقا»<sup>(2)</sup>.

وأیضا في قوله تعالى: ﴿وَنَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [الحج: 5]، فسرهما أبو عبيدة بقوله «ومن مجاز المقدم والمؤخر، أراد رب وتاهتزت وقال ﴿لَمْ يَكْدِ يَرَهَا﴾ [النور: 40] أي لم يرها ولم يكد»<sup>(3)</sup>. بين أبو عبيدة موضع التقديم والتأخير في الآيات الكريمة وأول المعاني والدلالات دون الوقوف عند الغرض أو الفائدة الدلالية من إيراده.

#### - الالتفات:

تعرض أبو عبيدة لأسلوب الالتفات باعتباره طريقة من طرائق العرب في التعبير، فقد تخر عن الشاهد والمعنى للغائب ثم ترجع إلى الشاهد، ومن ذلك قوله «ومن مجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الشاهد، ثم تركت مخاطبته هذه إلى مخاطبة الغائب، قال الله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ [يونس: 22] أي بكم، ماجاء خبره عن الغائب ثم خطب الشاهد، قال ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَمُتُّنَ﴾ (33) أَوَّلُ لَكَ فَأَوَّلِي [القيامة: 34/33]»<sup>(4)</sup>، وقوله تعالى ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ

<sup>1</sup> - مجاز القرآن: أبو عبيدة، ج 1/175.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1/173.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 1/12.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 1/11.

عَهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ» [التوبة: 1] ثم خاطب شاهدا ﴿فَسِيخُوا فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(1)</sup>، فأدرك أبو عبيدة وقوع الالتفات في الضمائر الذي يكسر رتابة الأسلوب ويثير انتباه المتلقي.

وفي قوله تعالى ﴿الَّذِي تَلَّىٰ كَآفًا الْكُتُبِ الْحَكِيمِ﴾ [يونس: 1] قال أبو عبيدة « مجازها: هذه آيات الكتاب الحكيم أي القرآن والحكيم مجازه المحكم المبين الموضح والعرب قد تضع فعيل في معنى مُفْعَلٍ»<sup>(2)</sup>، فجعل العدول من صيغة مفعول إلى فعيل ضربا من الالتفات إذ كان المصطلح عاما أول الأمر يشمل العدول بمفهومه الواسع .

كما ذكر الالتفات عند احتجاجه لقراءتي (مالك)، بجر الكاف ونصبها في سورة الفاتحة وذهب إلى أن النصب فيها على النداء « مجازه: يا مالك يوم الدين، لأنه يخاطب شاهدا ؛ ألا تراه يقول ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ﴾ فهذه حجة لمن نصب، ومن جره قال: هما كلامان ... ومجاز من جر ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أنه حدث عن مخاطبة الغائب، ثم رجع فخاطب شاهدا فقال ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾<sup>(3)</sup>، فبين أن الالتفات واقع في الضمائر حيث عدل عن الغيبة إلى المخاطبة.

وقال أبو عبيدة «ومن مجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد الذي له جماع منه ووقع معنى الواحد على الجميع قال ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [غافر: 67] في موضع أطفالا ... ومن مجاز ما جاء من لفظ خبر الجميع على لفظ الواحد، قال ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: 4] في موضع: ظهراء»<sup>(4)</sup>، فوقع العدول في العدد من الأفراد إلى الجمع.

<sup>1</sup> - مجاز القرآن: أبو عبيدة، ج 1/253.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1/272.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 1/22-24.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 1/08-09 .



فكانت نظرة أبي عبيدة للالتفاتات شاملة حيث تضمن العدول في الضمائر والصيغ والعدد، وقد تبني بعض البلاغيين آراءه في حين خص البعض الآخر الالتفات بالعدول في الضمائر وحسب .

#### - التشبيه والتمثيل:

اتخذت العرب من التشبيه وسيلة لإبانة المعنى ورسم صورة تمثيلية موحية ذات أبعاد جمالية وفنية كثر تداولها عندهم، وقد ذكره أبو عبيدة في تفسيره لقوله تعالى ﴿ طَلَمَهَا كَالَّذِي رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ [الصفات: 65] عندما سأله سائل عن وقوع الوعد والإيعاد بما عرف مثله وهذا لم يعرف مثله فأجابه أبو عبيدة بقوله: إنما كلم الله العرب على قدر كلامهم، أما سمعت قول امرئ القيس<sup>1</sup>:

أَيَقْتُلُنِي وَالْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي      وَمَسْنُونَةُ زُرْقٍ كَأَنِّيَابِ أَغْوَالِ

وهم لم يروا الغول قط ولكنه لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به.<sup>(2)</sup>

وقوله تعالى: ﴿ فَأَتَى اللَّهَ بُيُوتَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ ﴾ [النحل: 26] قال «مجازه مجاز المثل والتشبيه، والقواعد الأساس إذا استأصلوا شيئاً قالوا هذا الكلام، وهو مثل ؛ والقواعد واحدها قاعدة»<sup>(3)</sup>، فأدرك أبو عبيدة وجود استعارة تمثيلية وإن لم يسمها باسمها حيث شبه القوم الذين مكروا وأخذتهم العزة بقوتهم بقوم أقاموا بنياناً ذا دعائم فاستأصله الله فسقط البناء على أصحابه فهلكوا.

وقوله تعالى: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة: 221] قال أبو عبيدة هي «كناية وتشبيه»<sup>(4)</sup>، فقد شبهت النساء بالحرث، وقوله تعالى ﴿ حَمَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ [البقرة: 106] قال «ثم انقطع النصب، فصار خبراً فارتفعت فصار (غشاوة) كأنها في التمثيل، قال ﴿وَعَلَى

<sup>1</sup> - ديوان امرئ القيس، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ص: 33

<sup>2</sup> - ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة: القفطي، ج 278/3.

<sup>3</sup> - مجاز القرآن: أبو عبيدة، ج 359/1.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 73/1.

أَبْصَرَهُمْ غَشَاوَةٌ ﴿١﴾ أي غطاء»<sup>(1)</sup>، فشبه حالة الكافرين في إعراضهم عن الحق بالذي ختم قلبه وسمعه، وعدم تدبرهم في دلائل وحدانية الله بهيئة الغشاوة.

وأيضاً قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَكْسَى بُيُوتَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَكْسَى بُيُوتَهُ عَلَىٰ شِقَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ ﴾ [التوبة: 109]، قال « ومجاز الآية: مجاز التمثيل لأن ما بنوه على التقوى أثبت أساساً من البناء الذي بنوه على الكفر والنفاق فهو على شفا جرف، وهو ما يحرف من سيول الأودية فلا يثبت البناء له»<sup>(2)</sup> اعتبره أبو عبيدة تمثيلاً فالبناء الثابت الذي أساسه التقوى متجذر في الأرض صامد، أما البناء الذي دعائمه النفاق ينهار بصاحبه فيهلك كالبناء الذي أسس على طرف بال يتداعى للاهتزاز والسقوط.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ [الإسراء: 29] فقال « مجازه في موضع قوله: لا تمسك عما ينبغي لك أن تبذل من الحق، وهو مثل وتشبيهه »<sup>(3)</sup>، شبه المنع عن العطاء باليد المغلولة التي تعد مصدراً للانفاق فتعطلها توقف البذل.

وقوله تعالى: ﴿ فَارْجِعْ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ﴾ [إبراهيم: 9] قال « مجازه مجاز المثل، وموضعه موضع كفوا عما أمروا بقوله من الحق ولم يؤمنوا به ولم يسلموا ويقال: رد يده في فمه، أي أمسك إذا لم يجب»<sup>(4)</sup>، فهو تمثيل لحالة كفرهم وكتماهم للحق بحالة الواضع يده على فمه ممتنعاً عن الكلام.

فالخلاصة أن معالجة أبي عبيدة للتشبيه والتمثيل لا تعدو كونها مقارنة لغوية حيث يقول محمد زغلول سلام «معرفة أبي عبيدة بالتشبيه والتمثيل لونيين من ألوان التعبير ... وفهمه للصورة البيانية

<sup>1</sup> - مجاز القرآن: أبو عبيدة ج 31/1.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 269/1.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 73/2.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 336/1.

## الفصل الأول: تجليات الدرس البياني عند علماء النحو والمعاني حتى نهاية القرن الخامس الهجري

بوجه عام لا تتعدى الفهم اللغوي فهو تعرض لكل الفنون البيانية المتعلقة بالأسلوب يعتبرها من المجاز اللغوي»<sup>(1)</sup>، في حين كانت دراسة الفراء للتشبيه أعمق، حيث أجلي أركانه ووضح أغراضه البلاغية، ولكن هذا لا يلغي تأثير أبي عبيدة؛ إذ استفاد البلاغيون من المادة علمية التي جمعها في هذا الباب.

### - الاستعارة:

تعد الاستعارة ضرباً من المجاز ذا علاقة تشبيهية، وتقوم على المبالغة في التصوير القائم على حذف المشبه أو المشبه به، فأبو عبيدة «لا ينص صراحة على الاستعارة في كتابه مجاز القرآن ويظهر أنه وجد في كلمة المجاز ما يغني عن الاستعارة لأنهما لم يتميزا عن بعضهما ولم يحددا إلا في وقت متأخر»<sup>(2)</sup>.

ومن الأساليب الاستعارية التي ذكرها قوله تعالى: ﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام:30] قال «مجازه فجربوا وليس في ذوق الفم»<sup>(3)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَتَذْهَبْ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال:46] فقد قال «تنقطع دولتكم»<sup>(4)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ [هود:56] قال: «إلا هي في قبضته ومملكه وسلطانه»<sup>(5)</sup>.

وعن المثال الأخير أوضح رابح دوب المدلول الذي ضمته الصورة المركبة بقوله: «وصف اللفظ هنا واجب لاستحالة إرادة معناه اللفظي في جانب الله فهو استعارة تمثيلية شبهت حالة النفوس في

<sup>1</sup> - أثر القرآن في تطور النقد العربي، محمد زغلول سلام، ص: 47.

<sup>2</sup> - قضية الإعجاز وأثرها في تدوين البلاغة العربية، عبد العزيز معطي عرفه، ص: 115.

<sup>3</sup> - مجاز القرآن: أبو عبيدة، ج 26/1.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 247/1.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ج 248/1.

## الفصل الأول: تجليات الدرس البياني عند علماء النحو والمعاني حتى نهاية القرن الخامس الهجري

كونها متصرفة لله يصنع بها ما يشاء، بهيئة قابض على آخر من ناصيته فهو لا يستطيع الإفلات منه لتمكنه من السيطرة عليه وهو من تمثيل المعقول بالمحسوس»<sup>(1)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [آل عمران: 27] قال أبو عبيدة «أي: الطيب من الخبيث والمسلم من الكافر»<sup>(2)</sup>.

وأيضاً قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: 10] فسرهما بقوله «أي: شك ونفاق»<sup>(3)</sup>، حيث شبه النفاق والشك بالمرض لما يترتب عنهم من مفاسد وأضرار وقد دلت القرينة على امتناع أن يكون المرض العضوي سببا في وصف الشخص بالنفاق .

وقوله تعالى: ﴿وَمَا زَمَيْتُ إِذْ زَمَيْتُ وَلَكِنَّ اللَّهَ زَمَى﴾ [الأنفال: 17]، قال: «مجازه: ما ظفرت ولا أصبت ولكن الله أيديك وأظفرك وأصاب بك ونصرك ويقال رمى الله لك أي نصرك الله وصنع لك»<sup>(4)</sup>.

فاستعير لفظ الرمي للدلالة على النصر، وقوله تعالى: ﴿وَيُثَبِّتُ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: 11]، قال أبو عبيدة: «مجازه: يفرغ عليهم وينزله عليهم فيثبتون لعدوهم»<sup>(5)</sup>.

أما الاستعارات والتشبيهات المتعلقة بالذات الإلهية والعقيدة فأبو عبيدة لم يجد عن موقف اللغويين «فيأخذ بظاهر القول إلى أمد محدود غايته المعنى المجازي القريب، وهو المذهب الذي عرفوا به ولا مهم عليه المعتزلة، ولكنه قد يعتمد أحيانا إلى التحلل من التشبيه، ويدور حول بعض عبارات القرآن

<sup>1</sup> - البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري، رابح دوب، ص: 119.

<sup>2</sup> - مجاز القرآن: أبو عبيدة، ج 1/90.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 1/32.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 1/244..

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ج 1/242.

حتى لا يدخل دائرة الحرج أو التجسيم»<sup>1</sup>، فقد فسر قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: 66] قال «أي خير الله ممسك».<sup>(2)</sup>

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يونس: 03] قال «مجازه ظهر على العرش، وعلا عليه ويقال: استويت على ظهر البيت وعلى ظهر الفرس».<sup>(3)</sup>

يقول صاحب الاتجاهات اللغوية والبلاغية في التفسير معقبا على تفسير أبي عبيدة للآية «هو تفسير لغوي يغفل فيه صاحبه فاعل الاستواء وما يجب له من تنزيه عن الظهور والعلو الحسين فضلا عن المكانية، وهذا مما أخذ عليه، فهو لم يحكم في عبارة القرآن غير اللغة ولا يلفت إلى التفسير الأثري في معالجته لها، ولا للمعاني الشرعية التي تدل عليها باعتبارها من الأمور التي لا يجوز تجاهلها حيال نص ديني له قدسيته».<sup>(4)</sup>

#### - المجاز:

انصرف مصطلح المجاز عند أبي عبيدة إلى معان بلاغية أخرى، ولكن هذا لا ينفي معرفته بمدلوله الاصطلاحي، فقد التمس في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾ [الأنعام: 06] قال «مجاز السماء هاهنا مجاز المطر يقال: ومازلنا في سماء، أي في مطر، وما زلنا نطأ السماء أي أثر المطر، وأنى أخذتكم هذه السماء؟ ومجاز (أرسلنا): أنزلنا وأمطرنا».<sup>(5)</sup>

<sup>1</sup> - أثر القرآن في تطور النقد العربي، زغلول سلام، ص: 47.

<sup>2</sup> - مجاز القرآن: أبو عبيدة، ج 1/170.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 1/273.

<sup>4</sup> - الاتجاهات اللغوية والبلاغية في التفسير، محي الدين بلتاجي، حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 06، 1988، ص: 83.

<sup>5</sup> - المصدر السابق، ج 1/186.

## الفصل الأول: تجليات الدرس البياني عند علماء النحو والمعاني حتى نهاية القرن الخامس الهجري

وأوضح رابع دوب سحر الصورة البلاغية بقوله « فقد اشتهر عند علماء البيان أن السماء بمعنى المطر مجاز مرسل علاقته المجاورة، أما تأويله: أرسلنا بأنزلنا فهو مجاز لغوي استعاري، شبه فيه الإرسال بالانزال بجامع البلوغ في كل - والله أعلم - جعل المطر كأنه يسعى لإرواء الناس ودفعهم»<sup>(1)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: 30] قال أبو عبيدة: «نصلي تقول: قد فرغت من سبحتي أي من صلاتي»<sup>(2)</sup>، فذكر الجزء ( التسييح) وقصد به الكل (الصلاة) فهو مجاز مرسل علاقته الجزئية.

وقوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 03] قال « أي اخترت لكم »<sup>(3)</sup>، فهو مجاز مرسل علاقته السببية ومثله قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ [البقرة: 250] قال « أنزل علينا»<sup>(4)</sup>.

وأيضاً قوله تعالى: ﴿وَيَهْبِطُ مِنْ أَيْدِيهِمْ﴾ [التوبة: 67]، قال « أي يمسكون أيديهم عن الصدقة والخير يقال: قبض فلان عنا يده أي منعنا»<sup>(5)</sup>، عده أبو عبيدة مجازاً فقبط أيديهم يعني امتناعهم عن الصدقة، بينما اعتبره البلاغيون كناية عن الشح.

<sup>1</sup> - البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري، رابع دوب، ص: 110.

<sup>2</sup> - مجاز القرآن: أبو عبيدة، ج 36/1.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 153/1.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 77/1.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ج 363/1.

وقوله تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل: 05] قال «أي ما استفدى به من أوبارها ومنافع سوى ذلك»<sup>(1)</sup>، فهو مجاز مرسل علاقته اعتبار ما يؤول إليه من الاستفادة من أوبار الأنعام.

كما تطرق أبو عبيدة في دراسته للمجاز العقلي المتمثل في إسناد الفعل لغير فاعله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءٌ وَنِدَاءٌ﴾ [البقرة: 171] قال «إنما الذي ينعق الراعي، ووقع المعنى على المنعوق به وهي الغنم؛ تقول: كالغنم التي لا تسمع التي ينعق بها الراعي؛ والعرب تريد الشيء فتحوله إلى شيء من سببه، ويقولون: أعرض الحوض على الناقة وإنما تعرض الناقة على الحوض»<sup>(2)</sup>.

وقال أيضا «ومن مجاز ما يحول فعل الفاعل إلى المفعول به أو إلى غير المفعول قال: ﴿مَا لَكُمْ مَفَاتِحُهُ لَتَنُوتُوا بِالْعُصْبَةِ﴾ [القصص: 76] والعصبة هي التي تنوء بالمفاتيح»<sup>(3)</sup>.  
وقوله تعالى: ﴿نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الرعد: 41] فسرهما أبو عبيدة بقوله «مجازه: ننقص من في الأرض ومن في نواحيها من العلماء والعباد، وفي آية أخرى ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: 82] مجازه: وسل من في القرية»<sup>(4)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ [يونس: 67] قال «له مجازان أحدهما: أن العرب وضعوا أشياء من كلامهم في موضع الفاعل، والمعنى: أنه مفعول لأنه ظرف يفعل فيه غيره لأن النهار لا يبصر ولكنه يبصر فيه الذي ينظر، وفي القرآن ﴿فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ وإنما يرضى بها الذي يعيش فيها»<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> - مجاز القرآن: أبو عبيدة، ج 1/356.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1/63.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 1/12.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 1/334.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ج 1/279.

وجملة القول أن المجاز يحمل عند أبي عبيدة دالتين: الأولى بمعنى التفسير والتأويل فمجاز القرآن معناه الطريق لفهم معاني الآيات القرآنية، والثانية اصطلاحية وهي استعمال اللفظ في غير ما وضع له في اللغة فهو عنده قسيم للحقيقة؛ إذ أدرج العديد من المسائل البيانية تحت مصطلح المجاز ومثل لها بشواهد قرآنية وكلام العرب، في حين تبلور مفهوم المجاز عند البلاغيين من بعده وغدا أكثر ضبطاً.

#### - الكناية:

عالج أبو عبيدة الكناية واقترب من مدلولها البلاغي يقول أحمد مطلوب: «ومن أقدم الذين عرضوا للكناية أبو عبيدة وهي عنده ما فهم من الكلام ومن السياق من غير أن يذكر اسمه صريحاً في العبارة فهي تستعمل قريبة من المعنى البلاغي»<sup>(1)</sup>.

ومن الأمثلة التي أوردها قوله تعالى: ﴿فَسَاوُكُمْ حَرْثَ لَكُمْ﴾ [البقرة: 223] قال أبو عبيدة «كناية وتشبيه قال: فأتوا حرثكم أنى شئتم»<sup>(2)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾ [المائدة: 7] قال «كناية عن إظهار لفظ قضاء الحاجة في البطن»<sup>(3)</sup>، وذكرها في موضع آخر في قوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾ [النساء: 43] قال «كناية عن حاجة ذى البطن، والغائط: الفيح من الأرض المتصوب وهو أعظم من الوادي»<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، ص: 568.

<sup>2</sup> - مجاز القرآن: أبو عبيدة، ج 1/73.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 1/155.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 1/128.



وأيضاً في قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ يَهْلِبُ كَفْيَهُ عَلَى مَا أَتَقَى فِيهَا وَهِيَ حَاطِيَةٌ عَلَى عُزُوشِهَا﴾ [الكهف: 42]، قال « فقال: أي فأصبح نادماً، والعرب تقول ذلك للنادم، أصبح فلان يقلب كفيه ندماً وتلهفاً على ذلك وعلى ما فاتته». <sup>(1)</sup>

تناول أبو عبيدة في مصنفه "مجاز القرآن" العديد من المباحث البلاغية، فكشف عن الصيغ التعبيرية المختلفة في القرآن الكريم وطريقة نظمها من تقديم وتأخير أو حذف أو تكرير ليلاّمس بها المعنى قلوب السامعين، كما وردت بعض الصور البيانية تحت مصطلح المجاز واستترت خلفه وبعضها الآخر تداخل مع غيره من المسائل فنظرته لم تكن واضحة، ولكنه أدرك خروج التعبير عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر مجازاً ومثل له بكلام العرب.

#### - الدرس البياني عند الزجاج (ت 311هـ) :

يعتبر كتاب "معاني القرآن وإعرابه" لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج مصدراً معرفياً أصيلاً، عالج فيه قضايا صرفية ونحوية وبلاغية في ثنايا تفسيره لآيات الذكر الحكيم.

فقد أُلّف الكتاب في فترة عرفت نضجاً فكرياً؛ إذ «عاش الزجاج في القرن الثالث الهجري، وفترة من أول القرن الرابع، وهذا الزمن الذي عاش فيه من أخصب العصور الفكرية في التاريخ العربي، ونضجت فيه ثمار العلوم في مختلف أنواعها وغني بعلماء كثيرين ذوي شهرة واسعة في شتى ميادين العلوم». <sup>(2)</sup>

<sup>1</sup> - مجاز القرآن: أبو عبيدة، 404/1.

<sup>2</sup> - مقدمة معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: أبو إسحاق إبراهيم بن السري، تح: عبد الجليل عبده الشلي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1988، ج1، ص: 10-11.

وتناول في دراسته القرآنية مسائل بلاغية في محاولة منه للوقوف على نظم الكلام وطريقة تركيبه اللغوي، واستجلاء الدلالات الإضافية الناتجة عنه لمعرفة الغرض المنوط به .

ومن المباحث البيانية التي أوردتها:

#### - الاستفهام:

أوضح الزجاج مواضع خروج الاستفهام عن معناه الوضعي إلى سياقات دلالية أخرى وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: 44]، قال: «فالألف ألف الاستفهام، ومعناه التقرير والتوبيخ هاهنا، كأنه قيل لهم: أنتم على هذه الطريقة ومعنى هذا الكلام - والله أعلم - أنهم كانوا يأمرُونَ أتباعهم بالتمسك بكتابهم ويتركون هم التمسك به، لأن جحدهم النبي ﷺ هو تركهم التمسك به»<sup>1</sup>، فبين إفادة الاستفهام للتقرير والتوبيخ ومثله قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مِنْ سَفِهَةِ نَفْسِهِ ﴾ [البقرة: 130] قال «معنى ( من ) التقرير والتوبيخ، ولفظها لفظ الاستفهام وموضعها رفع بالابتداء والمعنى ما يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه».<sup>(2)</sup>

وأيضاً في قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَتِيمَةٍ مِّن رِّبِّهِمْ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُ ﴾ [محمد: 14]، قال الزجاج « وهذه ألف توقيف وتقرير، لأن الجواب معلوم كما أنك إذا قلت: من يفعل السيئات يشق ومن يفعل الحسنات يسعد، ثم قلت: الشقاء أحب إليك أم السعادة؟ فقد علمت أن الجواب السعادة فهذا مجرى ألف التوقيف والتقرير ».<sup>(3)</sup>

<sup>1</sup> - معاني القرآن وإعرابه: الزجاج، ج1/125.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج1/209.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 5/09.

وقوله تعالى: ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: 116] فسرهما بقوله « فالمسألة ههنا على وجه التوبيخ للذين ادعوا عليه لأفهم مجمعون أنه صادق الخبر وأنه لا يكذبهم و( هو ) الصادق عندهم فذلك أكد في الحجة عليهم وأبلغ في توبيخهم، والتوبيخ ضرب من العقوبة». (1)

وقد يحمل الاستفهام دلالة التعجب ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: 28]، قال « استفهام في معنى التعجب وهذا التعجب إنما هو للخلق وللمؤمنين، أي اعجبوا من هؤلاء كيف يكفرون وقد ثبتت حجة الله عليهم». (2)

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبرَاهِيمَ فِي رِيسِهِ﴾ [البقرة: 258]، قال « هذه الكلمة يوقف بها المخاطب على أمر يعجب منه، ولفظها لفظ استفهام تقول في الكلام: ألم تر إلى فلان صنع كذا وكذا، وهذا مما أعلمه النبي ﷺ حجة على أهل الكتاب ومشركي العرب لأنه نبأ لا يجوز أن يعلمه إلا من وقف عليه بقراءة كتاب أو تعليم معلم، أو بوحى من الله عز وجل». (3)

وقوله تعالى: ﴿أَفَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَفَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الرعد: 5] قال الزجاج «أي في موضع عجب لأنهم أنكروا البعث، وقد بين لهم من عظم خلق السموات والأرض مما يدل أن البعث أسهل في القدرة مما قد تبيينوا». (4)

<sup>1</sup> - معاني القرآن وإعرابه: الزجاج، ج 2/222.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1/107.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 1/340.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 3/138.

- الأمر:

ومن الأساليب الإنشائية التي عالجها خروج الأمر عن معناه الحقيقي إلى معان بلاغية أخرى وذلك في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [البقرة: 168]، قال «هذا على ضربين: أحدهما الإباحة لأكل جميع الأشياء إلا ما حظر الله عز وجل من الميتة وما ذكر معها»<sup>(1)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: 282] قال الزجاج «فأمر الله عز وجل بالإشهاد والكتاب قال بعض أهل اللغة هذا أدب من الله عز وجل وليس بأمر حتم»<sup>(2)</sup>.

وأیضا في قوله تعالى: ﴿وَعَاثُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ﴾ [النور: 34] قال «هذا - عند أكثر الفقهاء - على الندب، للمولى أن يعطيه شيئا مما يفارقه عليه أو من يستعين به على قضاء نجومه وله ألا يفعل، وكذلك له أن يكتبه إذا طلب المكاتبه وله ألا يكتبه ومخرج هذا الأمر مخرج الإباحة»<sup>(3)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: 6]، قال الزجاج «المعنى إذا أردتم القيام إلى الصلاة وإنما جاز ذلك لأن في الكلام والاستعمال دليلا على معنى الإرادة»<sup>(4)</sup>.

وقد يفيد الدعاء في قوله تعالى: ﴿فَادْعُوا لِرَبِّكُم مَّا تَدْعُونَ﴾ [البقرة: 61]، قال «معنى الدعاء كأنه قال: أخرج لنا»<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> - معاني القرآن وإعرابه: الزجاج، ج 1/241.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1/361.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 4/41.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 2/152.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ج 1/142.

وحمل الأمر دلالة الإغراء في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: 185]، فسرهما الزجاج بقوله « ومعنى من شهد: من كان شاهدا غير مسافر فليصمه ومن كان مسافرا أو مريضا فقد جعل له أن يصوم عدة أيام المرض وأيام السفر ومن أيام آخر ومن نصب شهر رمضان نصبه على وجهين أحدهما أن يكون بدلا من أيام معدودات، والوجه الثاني على الأمر كأنه قال عليكم شهر رمضان على الإغراء ».<sup>(1)</sup>

- الخبر:

تناول الزجاج الأسلوب الخبري في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُنَ أَلْسِنَهُمْ بِالْكِتَابِ﴾ [آل عمران: 78] قال « هذه اللام (وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا) تؤكد الكلام زيادة على تأكيد (إن) لأن معناها تأكيد الكلام، ولذلك صار الضم يوصل بها في الإيجاب تقول: والله إن زيدا قائم، وكذلك تصل الضم باللام فيقول والله لزيد قائم، ولا تلي هذه اللام (أن) لا يجوز: إن لزيدا قائم بإجماع النحويين كلهم وأهل اللغة»<sup>(2)</sup>، فقد أشار لإلى مؤكدات الخبر التي يستوجبها المقام ويوردها المخاطب لإبانة المعنى .

وبين خروج الخبر عن معناه لغرض آخر كالأمر مثلا وذلك في قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَتُ يُرَضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: 233] قال «اللفظ لفظ الخبر والمعنى الأمر كما تقول: حسبك درهم، فلفظه لفظ الخبر ومعناه: اكتف بدرهم وكذلك معنى الآية: لترضع الوالدات».<sup>(3)</sup>

<sup>1</sup> - معاني القرآن وإعرابه: الزجاج، ج 1/253-254.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1/366.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 1/267.

وقوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: 64] قال «لفظ يحذر لفظ الخبر ومعناه الأمر، لأنه لا لبس في الكلام في أنه أمر فهو كقولك: ليحذر المنافقون وعلى هذا يجوز في كل ما يؤمر به أن تقول يفعل ذلك فينوب عن قولك ليفعل ذلك»<sup>(1)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾ [التوبة: 122] قال «هو لفظ خبر فيه أمر»<sup>(2)</sup>.

#### - الحذف:

بين الزجاج بعض مواضع الحذف في القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [الحج: 48] قال «المعنى: ثم أخذتها بالعذاب واستغنى عن ذكر العذاب لتقدم ذكره في قوله تعالى ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾»<sup>(3)</sup>، فبرر الزجاج وقوع الحذف لأن السامع على علم بالمحذوف الذي سبق ذكره .

وقوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ [الأنفال: 43] قال «رويت عن الحسن أن معناه في عينك التي تنام بها وكثير من أصحاب النحو يذهبون إلى هذا المذهب ومعناه عندهم: إذ يريكم الله في موضع منامك أي بعينك ثم حذف الموضع وأقام مكانه»<sup>(4)</sup>.

#### - التقديم والتأخير:

تناول الزجاج مبحث التقديم والتأخير عند تفسيره لقوله تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ﴾ [المائدة: 44] قال «فيها نور أي بيان أمر رسول الله ﷺ حق وفيه بيان الحكم الذي جاءوا يستفتون فيه النبي ﷺ ويجوز أن يكون المعنى على التقديم والتأخير على معنى: إنا أنزلنا التوراة

<sup>1</sup> - معاني القرآن وإعرابه: الزجاج، ج 2/370-371.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 2/385.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 3/433.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 2/419.

## الفصل الأول: تجليات الدرس البياني عند علماء النحو والمعاني حتى نهاية القرن الخامس الهجري

فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم بها النبيون الذين أسلموا والربانيون»<sup>(1)</sup>، فالتقديم أفاد التخصيص بحيث قصر وجود الهدى والنور في التوراة.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَنُوحٌ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: 7] فسرهما بقوله «موضع إذ نصب المعنى اذكر إذ أخذنا، فذكره الله ﷺ في أخذ الميثاق قبل نوح وجاء في التفسير: إني خلقت قبل الأنبياء وبعثت بعدهم فعلى هذا القول لا تقديم في الكلام ولا تأخير، وهو على نسقه»<sup>(2)</sup>، فالتقديم ورد استنادا للسبق الزمني.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: 7] قال «القراءة بالنصب، وقد قرئت بالخفض وكلا الوجهين جائز في العربية، فمن قرأ بالنصب فالمعنى: فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلكم إلى الكعبين وامسحوا برؤوسكم، على التقديم والتأخير، والواو جائز فيها ذلك»<sup>(3)</sup>.

### - العطف ودلالته:

أدرك الزجاج الدلالة التي يتضمنها حرف العطف "الواو" وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَكْهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ﴾ [الرحمن: 67] قال «قال بعض أهل اللغة، ومنهم يونس النحوي وهو يتلو الخليل في القدم والحدق: إن الرمان والنخل من أفضل الفاكهة وإنما فصلا بالواو لفضلهما واستشهد في ذلك بقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَلِنَّ اللَّهُ عَدُوًّا لِلْكَافِرِينَ﴾ [

<sup>1</sup> - معاني القرآن وإعرابه: الزجاج ج 2/178.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 4/216.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 2/152.

البقرة: 98] فقال لفضلهما فصلا بالواو<sup>(1)</sup>، والفصل المقصود هنا ليس الفصل البلاغي المتمثل في ترك العطف بين الجمل وإنما أفاد تخصيص الفضل للمفردات الواردة بعد الواو.

ومثله قوله تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: 236] قال «والله أمر بالمحافظة على جميع الصلوات إلا أن هذه الواو إذا جاءت مخصصة فهي دالة على الفضل الذي تخصصه». <sup>(2)</sup>

#### - التكرار:

ذكر الزجاج مصطلح التكرار والغرض منه التوكيد في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: 4] قال «فكرر رأيتهم توكيدا، المعنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر لي ساجدين فكرر (رأيتهم) لما طال الكلام». <sup>(3)</sup>

وقوله تعالى: ﴿وَمَعَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (19) وَعَدُّمُ اللَّهِ مَعَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ ﴿ [الفتح: 19-20] قال « وهذا التكرير تكرير في الوعد، أي فجعل هذه يعني خير». <sup>(4)</sup>

#### - تصريف الكلام:

قد تستعمل العرب في مخاطبتها لفظ المفرد وتريد به الجماعة أو تورده لفظ الجمع وتقصد به المفرد والمثنى وتعرض الزجاج لذلك في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾

<sup>1</sup> - معاني القرآن وإعرابه: الزجاج، ج 103/5.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 320/1.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 91/3.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 25/5.



[البقرة: 232] قال «وإنما حقيقة ذلك وذلك مخاطبة الجميع فالجميع لفظه لفظ الواحد فالمعنى ذلك أيها القبيل يوعظ به من كان يؤمن بالله وقوله عز وجل بعد هذا ﴿ذَلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ يدل على أن ذلك وذلك مخاطبة للجماعة». (1)

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 61] قال الزجاج «فتأويله من آمن بالله واليوم الآخر وآمن بالنبي ﷺ فلهم أجرهم وجزا أن يقال فلهم لأن من لفظها لفظ الواحد وتقع على الواحد والاثنين والجمع والتأنيث والتذكير، فيحمل الكلام على لفظها فيوحد ويذكر ويحمل على معناها فيثنى ويجمع ويؤنث». (2)

#### - التشبيه:

أشار الزجاج إلى التشبيه كلون تعبيرى يهدف لتوضيح المعنى عبر صورة موحية في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الْإِيزِيِّ يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءٌ وَنِدَاءٌ﴾ [البقرة: 171] قال «وضرب الله عز وجل لهم هذا المثل، وشبههم بالغنم المنعوق بها بما لا يسمع منه إلا الصوت، فالمعنى مثلك يا محمد ومثلهم كمثل الناعق والمنعوق به بما لا يسمع لأن سمعهم ما كان ينفعهم فكانوا في شركهم وعدم قبولهم ما يسمعون بمنزلة من لم يسمع» (3)، فشبه دعاء النبي ﷺ الكافرين للإيمان بالناعق للأغنام الذي يدعوها فتسمع صوته ولا تعي معناه.

وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: 5] قال «الأسفار الكتب الكبار واحدا سفر فأعلم الله عز وجل أن اليهود مثلهم في تركهم استعمال

<sup>1</sup> - معاني القرآن وإعرابه: الزجاج، ج 311/1.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 146/1.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 242/1.

## الفصل الأول: تجليات الدرس البياني عند علماء النحو والمعاني حتى نهاية القرن الخامس الهجري

التوراة والإيمان بالنبي عليه السلام الذي يجذبه عندهم فيها كمثل الحمار يحمل أسفارا»<sup>(1)</sup>، فشبه الكافرين في عدم انتفاعهم بهدي التوراة بالحمار الذي يحمل كتباً ولا يستفيد منها.

وقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمٍ لَا يَبْصُرُونَ﴾ [البقرة: 17] قال «هذا مثل ضربه الله عز وجل للمنافقين في تحملهم بظاهر الإسلام وحقنهم دماءهم بما أظهروا فمثل ما تحملوا به من الإسلام كمثل النار التي يستضيء بها المستوقد»<sup>(2)</sup>، فهو تشبيه تمثيلي إذ شبه فيه صورة المنافقين المتظاهرين بالإيمان بصورة الذي استوقد ناراً ليستضيء بها ثم انطفأت فلم يبصر شيئاً.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخْبِطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَيْمِ﴾ [البقرة: 275] قال الزجاج «الذين يأكلون الربا لا يقومون في الآخرة إلا كما يقوم المجنون من حال جنونه»<sup>(3)</sup>، فصور حالة أكلي الربا بحالة المجنون المتخبط.

وأيضاً قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [البقرة: 6] قال «معنى ختم في اللغة وطبع معنى واحد وهو التغطية على الشيء والاستيثاق من أن لا يدخله شيء كما قال عز وجل ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ وقال جل ذكره ﴿كَأَلَّا بَلَّ رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ معناه غلب على قلوبهم ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ وكذلك ﴿بَلَّ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ وهم كانوا يسمعون ويبصرون ويعقلون ولكنهم لم يستعملوا هذه الحواس استعمالاً يجزي عنهم فصاروا كمن لا يسمع ولا يبصر»<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - معاني القرآن وإعرابه: الزجاج، ج 5/170.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1/93.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 1/358.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 1/82.

## الفصل الأول: تجليات الدرس البياني عند علماء النحو والمعاني حتى نهاية القرن الخامس الهجري

أدرك الزجاج التشبيه التمثيلي وورود وجه الشبه صورة منتزعة من متعدد والذي يستوجب إمعان فكر وتدقيق لاستجلاء الصورة التي تخلف أثرا في نفس القارئ.

### - المجاز والاستعارة:

عد المجاز وسيلة لإظهار المعنى بلفظ تجاوز معناه الأصلي إلى معنى مغاير إذ « استعمل المجاز فيما يشبه الطريق من الأمور التي تتخذ وسيلة إلى بعض الأغراض فقالوا جعل مُجَدَّ ذلك الأمر مجازا إلى حاجته أي اتخذه وسيلة إلى قضائها مع شيء من هذا الوسط، ثم استعملت هذه الكلمة في العلوم لمعان خاصة سواء أكان هذا استعمالا في غير ما وضعت له بعامة أو لونا من ألوان التخصيص، وتساءلوا بعد هذا هل هو مفعول بمعنى الفاعل أو مفعول ؟ »<sup>(1)</sup>

وأورد الزجاج أمثلة عن الاستعارة باعتبارها ضربا منه وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ﴾ [البقرة: 50] قال « وواعدنا هنا جيد بالغ لأن الطاعة في القبول بمنزلة المواعدة فهو من الله عز وجل ومن موسى قبول وإتباع فجرى مجرى المواعدة »<sup>(2)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُتَّقِينَ بِأَنَّهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: 138] قال « معنى أليم موجه قال بشر أي اجعل في مكان بشارتهم لهم العذاب العرب تقول تحتك الضرب وعتابك السيف أي لك بدلا من التحية »<sup>(3)</sup>، فالبشارة تكون للخير السار ولكنها حملت دلالة مجازية في الآية.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (8) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ [المعارج: 8-9] قال الزجاج «العهن الصوف والمهل دردي الزيت»<sup>(4)</sup>، فهو مجاز مرسل علاقته اعتبار ما سيكون.

<sup>1</sup> - المجاز وأثره في الدرس اللغوي، مُجدد بدري عبد الجليل، دار النهضة العربية، بيروت، د/ط، 1980، ص: 39.

<sup>2</sup> - معاني القرآن وإعرابه: الزجاج، ج 1/133.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 1/120.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 5/220.

ومن الاستعارة قوله تعالى: ﴿سَتَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمُ الْأُنْيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: 181] قال «ذوقوا هذه الكلمة تقال للشيء يؤس من العفو يقال ذق ما أنت فيه أي لست بمخلص منه».<sup>(1)</sup>

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَحَتِ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: 15] قال «ومعنى الكلام أن كل من ترك شيئاً وتمسك بغيره، فالعرب تقول للذي تمسك قد اشتراه، وليس ثم شراء ولا بيع، ولكن رغبته فيه بتمسكه به كربة المشتري بماله ما يرغب فيه»<sup>(2)</sup>، فهي استعارة تصريحية.

#### - المشاكلة:

تعرض الزجاج للاتفاق والانسجام اللفظي الذي يتمثل في مماثلة الكلمتين في اللفظ واختلافهما في المعنى في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ أَلَّهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 193] قال «أي من ظلم فقاتل فقد اعتدى، فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم، وسمي الثاني اعتداء لأنه مجازة اعتدا فسمي بمثل اسمه لأن صورة الفعلين واحدة وإن كان أحدهما طاعة والأخرى معصية والعرب تقول ظلمني فلان فظلمته أي جازيته بظلمه».<sup>(3)</sup>

تطرق الزجاج في مصنفه "معاني القرآن وإعرابه" لجملة من القضايا البلاغية في محاولة منه للالتماس المعاني القرآنية، فتحدث عن الأساليب الإنشائية والخبرية وبين خروج كل منهما عن معناه الوضعي إلى معان بلاغية أخرى وتناول الحذف والتقديم والتأخير والتكرار، وكشف مدلول الصورة البيانية من تشبيه واستعارة موحى سحرها وبراعة تركيبها كما تناول أيضا المشاكلة.

<sup>1</sup> - معاني القرآن وإعرابه: الزجاج، ج 494/1.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 92/1.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 264/1-265.

- الدرس البياني عند أبي جعفر النحاس (ت 338هـ):

عرف التأليف في مراحل الأولى تداخلا معرفيا في معالجته للقضايا اللغوية والنحوية والبلاغية فشكل بذلك وحدة شاملة في وقوفه على معاني القرآن الكريم والتعرض لما أشكل فهمه من نظمه وتراكيبه، فقد اتجه الزجاج في كتابه معاني القرآن الكريم « اتجاها تفسيريا فلم يهتم بالنحو كل الاهتمام ولم يعطه اهتمامه الأول باعتباره نحويا، بل عمد إلى بيان المعاني وأحكام القرآن والناسخ والمنسوخ وما تدعو إليه الحاجة من بيان الغريب والاشتقاق والإعراب ويذكر من القراءات ما يحتاج إلى تفسير معناه». (1)

وللكتاب أهمية عظيمة باعتباره تفسيرا لغويا ضم بين دفتيه مسائل متنوعة في النحو واللغة والقراءات والتفسير استمدتها النحاس من موارد أصلية، وأوضح الزبيدي ذلك في قوله « وله كتب في القرآن مفيدة منها كتاب المعاني وكتاب إعراب القرآن جلب فيه الأقوال وحشد الوجوه ولم يذهب في ذلك مذهب الاختيار والتعليل ». (2)

فقد أشار في كتابه إلى قضايا بيانية أثناء تفسيره لآيات القرآنية ومقارنته لها بأسلوب العرب في كلامها ومخاطباتها، ومن تلكم الأساليب:

- الأساليب الإنشائية:

تحدث النحاس عن مواطن خروج بعض الأساليب الإنشائية عن معناها الوضعي إلى معان أخرى وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ [الكهف: 232] قال «هذا على التهديد» (3)، فظاھر أمر وحقيقته وعيد وتهديد.

1 - النحو وكتب التفسير، إبراهيم عبد الله رفيده، الدار الجماهيرية، ليبيا، ط3، 1990، ص: 471.

2 - طبقات النحويين واللغويين: الزبيدي، ص: 239.

3 - معاني القرآن الكريم، النحاس: أبو جعفر، تح: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ط1، 1988، ج4/232.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾ [الأنعام: 12] قال: «هذا احتجاج عليهم لأنهم مقرون أن ما في السموات والأرض لله فأمر الله النبي ﷺ أن يحتج عليهم بأن الذي خلق ما في السموات والأرض قادر على أن يحييهم بعد الموت»<sup>(1)</sup>، فحمل الاستفهام دلالة التبييت والتقرير.

#### - الحذف:

ذكر النحاس الحذف وبين سبب وروده الذي تمثل في علم المستمع به في قوله تعالى: ﴿مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ [الأنعام: 16] قال «المعنى من يصرف عنه العذاب، ثم حذف لعلم السامع وكذلك معنى من يصرف»<sup>(2)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: 106] قال «في الكلام محذوف والمعنى: والمعنى: فأما الذين اسودت وجوههم فيقال لهم: أكفرتم بعد إيمانكم»<sup>(3)</sup>.

#### - المشاكلة:

وردت المشاكلة في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: 15] فسرّها النحاس بقوله «يجازيهم على استهزائهم فسمى جزاء الذنب باسمه، لازدواج الكلام وليعلم أنه عقاب عليه وجزاء به»<sup>(4)</sup>، فالازدواج اللفظي قصد به الاتفاق اللفظي والاختلاف في المعاني وقد ذكره قبله كل من الفراء والزجاج في مصنفاتهم.

<sup>1</sup> - معاني القرآن الكريم، النحاس، ج 404/2.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 405/2-406.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 457/1.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 96/1.

- التمثيل والتشبيه:

تناول النحاس التشبيه وتأويله بقوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ [آل عمران: 117] قال «ومعنى الآية: أنه شبه ما ينفقونه على قتال النبي ﷺ وأصحابه في بطلانه بريح» ﴿أَصَابَتْ حَزَّتْ قَوْمَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكْنَاهُ﴾ أي: زرع قوم عاقبهم الله بذلك فهلك زرعهم فكذلك أعمال هؤلاء لا يرجعون منها إلى شيء<sup>(1)</sup>، فهو تشبيه تمثيلي شبه ما ينفقه الكافرون في محاربة النبي ﷺ بزرع أفسدته الرياح فصور ضياع الجهد هباء.

وأيضاً قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ [البقرة: 16] قال «ويقال: كيف قال اشتروا وإنما يقال: اشترت كذا بكذا إذا دفعت شيئاً وأخذت غيره والجواب أنهم كفروا بعد الإيمان فصار الكفر لهم بدلاً من الإيمان وصاروا بمنزلة من باع شيئاً بشيء<sup>(2)</sup>».

- الاستعارة:

وقف النحاس عند الأسلوب الاستعاري في القرآن الكريم في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: 04] قال «يقال لمن كثر الشيب في رأسه: اشتعل رأسه شيباً»<sup>(3)</sup>، فأوضحت الصورة كثرة انتشار الشيب في الشعر كسرعة لهيب النار .

وقوله تعالى: ﴿فَمَا رِيحَتِ تَجَرَّتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: 15] قال «فأنزلوا منزلة من اتجر لأن الريح والخسران إنما يكونان في التجارة ومثله في قول العرب: خسر بيعه لأنه من عرف المعنى»<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - معاني القرآن الكريم: النحاس ، ج 1/464-465.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1/98-99.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 4/308.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 1/100-101.

وقوله تعالى: ﴿وَعَايَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ [يس: 37] قال «يقال: سلخت الشيء من الشيء: أي أزلته فيه وخلصته حتى لم يبق منه شيء»<sup>(1)</sup>، حيث جسدت الصورة فنية التعبير القرآني وجماليته.

#### - الكناية:

أشار النحاس إلى الكناية في قوله تعالى: ﴿فَسَاوُوا حَرْثَ لَكُمْ فَاتُّوا حَرْثَكُمْ أُنْىَ شَتَّمْ وَقَدِّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ- الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 223] قال «أي: موضع حرث لكم كما تقول: هذه الدار منفعة لك أي مكان نفع لك فالمعنى: أنكم تحرثون منهن الولد»<sup>(2)</sup>.

تناول النحاس بعض المسائل البيانية خلال دراسته القرآنية ؛ إذ تحدث عن الأساليب الإنشائية وبين مواطن خروجها عن معناه الحقيقي لتتضمن دلالات سياقية أخرى، كما أورد الحذف مشروطاً علم السامع به وقد تعرض لهذا المبحث علماء قبله كسيبويه والفراء...، ووقف عند جمالية الصورة البيانية من تشبيه واستعارة وكناية عن هول الموت وشدته.

حاولت الدراسة الوقوف عند تجليات الدرس البياني عند النحاة والبلاغيين فقد أسهموا في تشييد الصرح البلاغي من خلال الإشارات البيانية التي بثوها في مصنفاتهم ؛ إذ كانت غايتهم الأسمى تبين إعجاز القرآن الكريم، فبحثوا في تراكيبه ودقة أساليبه وبديع نظميه، فقد تشابه الطرح اللغوي في مراحل التأليف الأولى فتعددت المسميات وتقاربت الإنجازات (كتب معاني القرآن) فاشتكت في جوانب واختلفت في أخرى، فمنهم من فصل في الظاهرة البلاغية وآخر أجمل فإذا عقدنا مقارنة بين

<sup>1</sup> - معاني القرآن الكريم: النحاس، ج 492/5.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 185/1.



## الفصل الأول: تجليات الدرس البياني عند علماء النحو والمعاني حتى نهاية القرن الخامس الهجري

---

كتابي الفراء وأبي عبيدة نجد اختلافًا في ظواهر عامة منها طغيان الناحية اللغوية عند أبي عبيدة وتحكيمه اللغة في تفسيره لآيات القرآنية أما الفراء فقد اتسم بحثه بغلبة الطابع النحوي وعلم القراءات واعتمد على التفسير بالمأثور، كما اختلفا في علاجهما لبعض الاستعمالات اللغوية<sup>(1)</sup>، وتبين النحاة كسيبويه والمبرد وابن جني والمجاشعي خروج بعض التراكيب عن مدلولاتها الوضعية إلى معان بلاغية أخرى، كما تعمق المبرد في دراسته للتشبيه حيث أفرد له بابًا وقسمه إلى أقسام مدعمة بشواهد شعرية.

وقد غدت هذه الدراسات مهادا لتأسيس البلاغة بعلموها الثلاثة: المعاني - البيان - البديع.

---

<sup>1</sup> - ينظر: الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، محمد حسين آل ياسين، ص: 111-112.

## الفصل الثاني:

تجليات الدرس البياني عند علماء البلاغة والإعجاز

حتى نهاية القرن الخامس الهجري

- المبحث الأول: تجليات الدرس البياني عند علماء البلاغة

حتى نهاية القرن الخامس الهجري.

- المبحث الثاني: تجليات الدرس البياني عند علماء القرآن

والإعجاز حتى نهاية القرن الخامس الهجري.

- المبحث الأول: تجليات الدرس البياني عند علماء البلاغة حتى نهاية القرن الخامس الهجري.

عرف القرن الثالث الهجري نهضة فكرية عظيمة اتسمت بتعدد روافدها المعرفية نتيجة التمازج بين الثقافة العربية والثقافات الأجنبية (اليونانية والهندية)، فاستقى العرب علومهم وقاموا بترجمتها مما خلف أثرا كبيرا في نفوسهم؛ إذ انتشرت المجالس العلمية وازدهرت الترجمة وتم التأليف في فنون شتى وظهرت فرق إسلامية مختلفة الاتجاهات والآراء واشتد الصراع بينها، وطفقت الشعوبية تروج لأفكارها وتشكك في البيان العربي وتطعن في الإعجاز القرآني وتجذب أنصارا ومؤيدين، وقد تصدى لتلك الموجات أعلام أجلاء دافعوا عن اللغة العربية وسحر تراكيبها، وبدع أساليبها مظهرين وجوه الإعجاز مؤسسين بذلك للدرس البلاغي حيث عالجوا مسائل بيانية عديدة فتقاطعت رؤى بعضهم واختلفت أخرى ومن البلاغيين الذين أسهموا في إثراء الفكر البلاغي: الجاحظ، وابن قتيبة، ابن المعتز ...

- الدرس البياني عند الجاحظ ( ت 255هـ):

تعد مصنفات الجاحظ من المصادر المعرفية العظيمة التي حوت في طياتها علومنا وفنوننا شتى؛ إذ غدت ترجمانا لروح العصر العباسي فأظهرت ثقافته المتشعبة والممزوجة بمختلف الأعراق، فقد دافع عن القرآن الكريم ضد الطاعنين والمشككين وبين فضل اللغة العربية ومكانتها مستجليا مكنوناتها وأسرارها التي تدل على براعته وتضلعه في اللغة وأصبحت منهلا للدارسين؛ إذ «ظلت كتاباته وملاحظاته في البيان والبلاغة معينا لا ينفد لمد الأجيال التالية بكثير من قواعدها كل يستمد منها حسب قدرته ومهارته الذهنية»<sup>(1)</sup>.

فقد بث قضايا بلاغية مهمة في كتابيه الحيوان والبيان والتبيين إذ اعتبر هذا الأخير «قطب التأليف الأدبي عند الجاحظ ومعدن تفكيره البلاغي وملاحظته البيانية»<sup>(2)</sup>.

كما تحدث عنه أبو هلال العسكري ووصفه فقال «هو ... كثير الفوائد، جم المنافع لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة، والفقر اللطيفة والخطب الرائعة والأخبار البارة وما حواه من أسماء الخطباء، وما نبه عليه من مقاديرهم في البلاغة والخطابة، وغير ذلك من فنونه المختارة، ونوعته

<sup>1</sup> - البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط9، د/ت، ص: 57.

<sup>2</sup> - التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس، حمادي صمود، منشورات الجامعة التونسية، د/ط، 1981، ص: 145.

المستحسنة إلا أن الإبانة عن حدود البلاغة وأقسام البيان والفصاحة مبثوثة في تضاعيفه، ومنتشرة في أثنائه فهو ضالة بين الأمثلة لا توجد إلا بالتأمل الطويل والتصفح الكثير»<sup>(1)</sup>.

ويشير أبو هلال العسكري في نصه إلى المنهج الذي اعتمده الجاحظ في كتابه، فلم تنتظم مباحثه تحت أبواب كما كان كثير الاستطراد في علاجه للمسائل اللغوية مما يشتت انتباه القارئ في تبين القضية الرئيسة وهو ما يستدعي طول تأمل وتدبر، وقد برر بدوي طبانة افتقار كتاب الجاحظ للمنهج العلمي بقوله « وتلك سمة الجاحظ في أكثر تأليفه، ذلك بأنه رجل واسع المعرفة ضليع في الثقافة، عظيم الخبرة رحب العقل والتفكير، ومن هنا تزامت عليه الأفكار وتسابقت إلى قلمه، فحشد كل ما استطاع أن يسجل مما جال بفكره في كتابه وكان هذا السر فيما نرى من فقد التنظيم العلمي حتى ليصعب الاهتداء في جنبات مؤلفاته إلى الفكرة والرأي»<sup>(2)</sup>.

وتطرق في كتبه لجملة من القضايا البيانية راسماً حدودها ومدعماً إياها بالشواهد النثرية والشعرية، كما كشف عن عدة مفاهيم مترابطة كالفصاحة والبيان والبلاغة فشرحها ومثل لها، ومن المباحث التي ذكرها:

#### - البلاغة:

تحدث الجاحظ عن البلاغة واعتبرها « اسماً جامعاً تجري في وجوه كثيرة فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جواباً، ومنها ما يكون ابتداءً، ومنها ما يكون شعراً ومنها ما يكون سجعا وخطباً، ومنها ما يكون رسائل، فعمامة ما يكون في هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى، والإيجاز هو البلاغة »<sup>(3)</sup>.

ونقل آراء اللغويين والأعراب وغيرهم من الأمم فاستحسن بعضها وعقب على الأخرى، ومن التعاريف التي أوردها سؤال معاوية لصحار بن عياش العبدي فقال « ما تعدون البلاغة فيكم ؟ قال:

<sup>1</sup> - كتاب الصنائع الكتابة والشعر، العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط2، د/ت، ص: 11.

<sup>2</sup> - البيان العربي دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، بدوي طبانة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1958، ص: 50.

<sup>3</sup> - البيان والتبيين، الجاحظ، ج1/116.

الإيجاز، فقال له معاوية، أو كذلك تقول يا صحرار ؟ قال صحرار: أقلني يا أمير المؤمنين، ألا تبطنى ولا تخطئ<sup>(1)</sup>».

وذكر مفهومهما جامعا للبلاغة وفضله فقال «وقال بعضهم - وهو من أحسن ما اجتبيناه ودوناه - لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك»<sup>(2)</sup>.

وبين الجاحظ آلة البلاغة موضحا شروط البليغ فقال « أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللحظ، متخير اللفظ، لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السوق، ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة، ولا يدقق المعاني كل التدقيق ولا ينقح الألفاظ كل التنقيح، ولا يصفى كل التصفية، ولا يهذبها غاية التهذيب، ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيمًا، أو فيلسوفًا عليمًا ... ومن علم حق المعنى أن يكون الاسم له طبقًا، وتلك الحال له وفقا، ويكون الاسم له لا فاضلا ( لا مفضولا)، ولا مقصرا، ولا مشتركا، ولا مضمنا»<sup>(3)</sup>.

كما دعا لضرورة احترام المقام وقدرات السامعين فقال « ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات»<sup>(4)</sup>، فلا بد من استحضار الملتقي ومراعاة الظروف الخارجية المحيطة بالخطاب لإنجاح العملية التواصلية .

#### - البيان:

عقد الجاحظ بابا للبيان وعرفه بأنه « اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل؛ لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم

<sup>1</sup> - البيان والتبيين: الجاحظ، ج 1/96.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1/115.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 1/92-93.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 1/138-139.

والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع»<sup>(1)</sup>، فالبيان عنده هو القدرة على الإبانة والإفصاح عما في النفس بواسطة الألفاظ أو غيرها من الوسائل لتحقيق غاية الفهم والإفهام .

وتأثر الجاحظ بالإمام الشافعي فقد كان مطلعاً على مصنفاته ؛ إذ ورد مفهوم البيان عنده بأنه « اسم جامع لمعان مجتمعة الأصول، ومتشعبة الفروع، فأقل ما في تلك المعاني المجتمعة المتشعبة: أنها بيان لمن خوطب بها، ممن نزل القرآن بلسانه، متقاربة الاستواء عنده، وإن كان بعضها أشد تأكيد بيان من بعض، ومختلفة عند من يجهل لسان العرب»<sup>(2)</sup>.

اشترك الإمام الشافعي والجاحظ في تعريفهما للبيان بأنه ( اسم جامع ) واختلفا في جوانب أخرى وذلك أن البيان عند الجاحظ أدلة مهما كان نوعها لغوية أو غير لغوية، في حين يرى الشافعي أن البيان مراتب يتفاوت الناس في بلوغها.

وفي موضع آخر عرفه الجاحظ بأنه « الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان، الذي سمعت الله عز وجل يمدحه ويدعو إليه ويحث عليه، بذلك نطق القرآن، وبذلك تفاخرت العرب وتفاضلت على أصناف العجم»<sup>(3)</sup>.

كما ربط دلالة اللفظ على معناه ووضوحه بالبيان فقال « فعلى قدر وضوح الدلالة، وصواب الإشارة وحسن الاختصار، ودقة المدخل، يكون إظهار المعنى، وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح وكانت الإشارة أبين وأنور كان أنفع وأنجع»<sup>(4)</sup>.

وبين أهمية البيان وفضله في تجلية المعاني المكنونة في النفس والكشف عن الأفكار والخواطر فقال «المعاني القائمة في صدور الناس، المتصورة في أذهانهم، والمختلجة في نفوسهم ... مستورة خفية، وبعيدة وحشية ... لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجة أخيه وخليطه ... وإنما يحي تلك المعاني ذكرهم لها، وإخبارهم عنها واستعمالهم إياها، وهذه الخصال هي التي تقر بها من الفهم، وتجليها

<sup>1</sup> - البيان والتبيين: الجاحظ، 76/1.

<sup>2</sup> - الرسالة، الشافعي: محمد بن إدريس، تح: أحمد محمد شاكر، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1938، ص: 21.

<sup>3</sup> - المصدر السابق، ج 75/1.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج75/1.

للعقل وتجعل الخفي منها ظاهرا، والغائب شاهدا، والبعيد قريبا»<sup>1</sup>، فاللغة مخزون ذهني محبوب يتم الكشف عنه من خلال التداول .

وجعل الغاية من البيان هي الإفهام والتفهم فقال « مدار الأمر على البيان والتبين، وعلى الإفهام والتفهم»<sup>(2)</sup>، معللا نظريته العامة للبيان بقوله " لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجرى القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضححت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع»<sup>(3)</sup>.

ودرس الجاحظ أصناف الدلالات التي تتم من خلالها عملية الفهم والإبانة فقال « وجعل البيان على أربعة أقسام: لفظ، وخط، وعقد، وإشارة، وجعل بيان الدليل الذي لا يستدل تمكنه المستدل من نفسه، واقتياده كل من فكر فيه إلى معرفة ما استخزن من البرهان، وحشي من الدلالة، وأودع من عجيب الحكمة فالأجسام الخرس صامتة، ناطقة من جهة الدلالة، ومعربة من جهة صحة الشهادة»<sup>(4)</sup>، فالتواصل عنده يتم بواسطة اللغة أو بعلامات غير لغوية كالإشارة وغيرها التي تعرب عن دلالة معينة.

ووضع معايير تتحقق بفضلها العملية البيانية فقال « البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة، وإلى ترتيب ورياضة وإلى تمام الآلة، وإحكام الصنعة، وإلى سهولة المخرج وجهارة المنطق، وتكميل الحروف وإقامة الوزن، وأن حاجة المنطق إلى الحلاوة كحاجته إلى الجزالة والفخامة وأن ذلك من أكثر ما تستمال به القلوب وتثنى به الأعناق، وتزين به المعاني»<sup>(5)</sup>، فقرن البيان بالسلامة النطقية والتخلص من عيوب النطق.

البيان عند الجاحظ أعم من البلاغة فهو يعنى بجميع أصناف الدلالات التي تؤدي غرض الفهم والإفهام أما البلاغة فتميزت بجمال العبارة والأسلوب، فالفرق بين آلة البلاغة والبيان يكمن في أن « آلة البيان: هي كل ما لا وجود ولا تمام للبيان إلا بوجوده وتمامه ... وإن كان من فرق بينها وبين آلة

<sup>1</sup> - البيان والتبيين: الجاحظ، ج 1/75.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1/11.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 1/76.

<sup>4</sup> - الحيوان: الجاحظ، ج 1/33-34.

<sup>5</sup> - المصدر السابق، ج 1/14.

البلاغة فهو في الإلحاح في الأولى، على ما يلزم لحسن الأداء، وفي الثانية على ما يلزم لحسن التأثير ومن ثم كان ارتباط آلة البيان بالعجز والفصاحة أكثر ولاسيما فصاحة الحروف والكلمات، وارتباط آلة البلاغة بالنظارة والمخاطبين أكثر، ولاسيما طبقاتهم وحالاتهم<sup>(1)</sup>.

#### - الفصاحة:

ارتبط مدلول الفصاحة بالبلاغة في المراحل الأولى من التأليف البلاغي وقد حملت معنى الظهور والبيان كما أن «الجاحظ لم يضع حدا واضحا بينهما وإنما أجراها بمعنى واحد في مواضع كثيرة من كتابه»<sup>(2)</sup>.

حيث تطرق لفصاحة الألفاظ وبين دورها في بناء التراكيب « فإذا كانت الكلمة حسنة استمتعنا بها على قدر ما فيها من الحسن»<sup>(3)</sup>، أما إذا كانت الألفاظ غريبة متنافرة الحروف استكرهت وبعدت عن الغرض الدلالي المنوط بها وفي ذاك يقول الجاحظ « أما أنا فلم أر قط أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب، فإنهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا»<sup>(4)</sup>، وأكد في موضع آخر على ضرورة توظيف الكلمات المتداولة وتجنب غيرها من الكلمات الغريبة لنجاح التواصل فقال «وكما لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميا، وساقطا سوقيا، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبا وحشيا ؛ إلا أن يكون المتكلم بدويا أعرايبا فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس ... وكلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم في طبقات»<sup>(5)</sup>.

وأشار إلى عيب من عيوب الفصاحة المتمثل في تنافر الحروف فقال « اللفظ ينبغي أن يكون: خفيفا على اللسان سهلا وكما خرج من ينبوعه ونجم من معدنه»<sup>(6)</sup>. كما تحدث عن تنافر الكلمات مبينا أن اضطراب موقعها وتعقيدها يؤدي إلى فساد في التأليف فقال « إذا كان الشعر مستكرها وكانت ألفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلا لبعض، كان بينها ما بين أولاد العلات، وإذا

<sup>1</sup> - مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، الشاهد البوشيخي، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط2، 1995، ص: 127-128.

<sup>2</sup> - معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط2، 2007، ص: 545.

<sup>3</sup> - البيان والتبيين: الجاحظ، ج 203/1.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 137/1.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ج 144/1.

<sup>6</sup> - المصدر نفسه، ج 136/1.



كانت الكلمة ليس موقعها إلى جنب أختها مرضيا موافقا، كان على اللسان عند إنشاء ذلك الشعر مؤونة»<sup>(1)</sup>، لذا لابد من حسن تخير الألفاظ الدالة على المعاني المرادة ومراعاة تألف حروفها وانتظام كلماتها داخل النسق اللغوي.

ومثل بقول الأصمعي «ومن ألفاظ العرب ألفاظ تتنافر وإن كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنشد إنشادها إلا ببعض الاستكراه فمن ذلك قول الشاعر:

وَقَبْرُ حَرْبٍ مِمَّا كَانَ قَفْرٌ      وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ»<sup>(2)</sup>

وعلق الجاحظ على البيت فقال «ولما رأى من لا علم له أن أحدا لا يستطيع أن ينشد هذا البيت ثلاث مرات في نسق واحد فلا يتتبع ولا يتلجلج، وقيل لهم إن ذلك إنما اعتراه إذ كان من أشعار الجن، صدقوا بذلك»<sup>(3)</sup>، فالتعقيد في البيت يكمن في تقارب مخارج الحروف وتنافرهما كما رتبت الألفاظ خلاف ترتيب المعاني مما ولد خللا في النظم.

أدرك الجاحظ العلاقات الكامنة بين الألفاظ الفصيحة داخل التراكيب والتي تفضي إلى حسن النظم والانسجام الدلالي؛ إذ يرى طه الحاجري «أن الجاحظ كان يذهب إلى إطلاق كلمة النظم إلى ما وراء نظم الكلمات وترتيبها واختلاف أوضاعها في التعبير عن معانيها، على الأصل الذي بنى عليه عبد القاهر كلامه، فكان يطلقها على نظم الحروف وتلاؤمها ومزاجها وانسجام أجراسها»<sup>(4)</sup>.

كما اهتم بالصياغة وبلاغة الأسلوب وما يفضي إليه من براعة التصوير والجنوح إلى الخيال فقال «وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم أنه قد أفرغ إفراغا واحدا، وسبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان»<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> - البيان والتبيين: الجاحظ، ج 1/66-67.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1/65.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 1/65.

<sup>4</sup> - الجاحظ حياته وآثاره، طه الحاجري، دار المعارف، مصر، ط2، 1969، ص: 324.

<sup>5</sup> - المصدر السابق، ج 1/67.

- الخبر:

قسم الجاحظ الخبر إلى ثلاثة أقسام: صادق وكاذب وثالث لا يوصف بالصدق ولا الكذب، إذ يرى أن الصادق: ما طابق الواقع والاعتقاد معاً، والكاذب: ما خالف الواقع والاعتقاد معاً، أما من طابق الواقع وخالف الاعتقاد، أو طابق الاعتقاد وخالف الواقع فلا يسميه صدقاً ولا كذباً.<sup>(1)</sup>

وقد خالف في نظريته للخبر نظرة المبرد الذي عرفه بأنه ما جاز على قائله التصديق والتكذيب وهو المفهوم الذي شاع بين البلاغيين المتأخرين.

- الإيجاز:

ذكر الجاحظ الإيجاز في مواضع كثيرة من كتابه وبين تفضيل العرب له إذ عدوا الإيجاز بلاغة فقال «فأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره»<sup>(2)</sup>، وعرفه في موضع آخر فقال «ولو أن قائلاً قال لبعضنا: ما الإيجاز؟ لظننت أنه يقول: الاختصار».<sup>(3)</sup>

واستحسن هذا الأسلوب الذي يورد المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة فقال: «رب قليل يغني عن الكثير كما أن رب كثير لا يتعلق به صاحب القليل بل رب كلمة تغني عن الخطبة»<sup>(4)</sup>، فالعرب تفضل القول الموجز ليسهل فهمه وحفظه وأيضاً لتجنب الإطالة دفعا للسمامة .

وقد بين حقيقته فقال «والإيجاز ليس يعنى به قلة الحروف واللفظ، وقد يكون الباب من الكلام من أتى عليه فيما يسع بطن طومار فقد أوجز، وكذلك الإطالة وإنما ينبغي له أن يحذف بقدر ما لا يكون سبباً لإغلاقه، ولا يردد وهو يكتفي في الإفهام بشطره، فما فضل عن المقدار فهو الخطل»<sup>(5)</sup>، فهو يهدف إلى استجلاء المعاني بألفاظ مختصرة مستوفية الدلالات وليس بالحذف المبالغ فيه والذي يؤدي إلى لبس وخلل في التركيب .

<sup>1</sup> - ينظر: البلاغة فنونها وأفعالها (علم المعاني)، فضل حسن عباس، دار الفرقان، الأردن، ط4، 1992، ص: 104-105.

<sup>2</sup> - البيان والتبيين: الجاحظ، ج82/1.

<sup>3</sup> - الحيوان: الجاحظ، ج91/1.

<sup>4</sup> - المصدر السابق، ج7/2.

<sup>5</sup> - المصدر السابق، ج91/1.

وأورد شواهد عن الإيجاز منها ما رواه عن جعفر بن يحيى أنه كان يقول كتابه « إن استطعتم أن يكون كلامكم كله مثل التوقيع فافعلوا»<sup>(1)</sup>، بهدف استعاب القراء لفحوى ما كتبوا فيتمكنوا من حفظه .

ووصف الله تعالى خمر أهل الجنة فقال: ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ﴾ [ الواقعة: 22] قال الجاحظ «وهاتان الكلمتان قد جمعتا جميع عيوب خمر أهل الجنة».<sup>(2)</sup>

#### - الإطناب:

صنف الجاحظ الكلام إلى صنفين: طويل وهو الإطناب وقصير وهو الإيجاز ولا ثالث لهما فقال: «إن العرب تجعل الحديث والبسط، والتأنيس والتلقي بالبشر، من حقوق القرى ومن تمام الإكرام به وقالوا: من تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهلة وإطالة الحديث عند المواكلة وقال الشاعر:

حَافِي حَافِ الضَّيْفِ وَالْبَيْتُ بَيْتُهُ      وَمَ يُلْهِني عَنْهُ غَزَالٌ مَقْنَعُ  
أَحَدِيَّتُهُ إِنَّ الْحَدِيثَ مِنَ الْقَرَى      وَتَغْلُمُ نَفْسِي أَنَّهُ سَوْفَ يَهْجَعُ»<sup>(3)</sup>

فقد بين في حديثه أن المقام هو الذي يستدعي الإطناب لإيصال المعاني المرادة إلى السامعين وأكد ذلك في موضع آخر فقال: «وجملة القول في الترداد، أنه ليس فيه حد ينتهي إليه ولا يؤتى على وصفه وإنما ذلك على قدر المستمعين ومن يحضره من العوام والخواص وقد رأينا الله عز وجل ردد ذكر قصة موسى وهود، وهارون وشعيب، وإبراهيم ولوط، وعاد وثمود وكذلك ذكر الجنة والنار وأمور كثيرة لأنه خاطب جميع الأمم من العرب وأصناف العجم وأكثرهم غبي غافل أو معاند مشغول الفكر ساهي القلب»<sup>(4)</sup>، ولأن التكرار ضرب من الإطناب فقد ذكر الغرض منه وهو توضيح المعاني للسامعين مع مراعاة الفروق الإدراكية بينهم إذ تلقيهم للخطاب لا يكون بالمستوى ذاته من الفهم .

<sup>1</sup> - الحيوان: الجاحظ، ج 1/115.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 3/86.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 1/10.

<sup>4</sup> - البيان والتبيين: الجاحظ، ج 1/105.

- التشبيه:

عقد الجاحظ بابا للتشبيه في كتابه البيان والتبيين سماه بـ (باب من الشعر فيه تشبيه الشيء بالشيء)، واستحسن تشبيه امرئ القيس الذي شبه شيئين بشيئين فقال «وقالوا: ولم نر في التشبيه كقوله حين شبه شيئين بشيئين في حالتين مختلفين في بيت واحد فقال<sup>1</sup>:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا      لَدَى وَكْرِهَا الْعُتَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي<sup>(2)</sup>

ولكنه حاول تبين وجه الشبه في قوله تعالى ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ (64) طَلْعَهَا كَأَنَّ رُءُوسَ الشَّيَاطِينِ [الصفات: 64-65] فقال «وليس أن الناس رأوا شيطانا قط على صورته؟ ولكن لما كان الله تعالى قد جعل في طباع جميع الأمم استقباح صور الشياطين واستسماجه وكرهته وأجرى على السنة جميعهم ضرب المثل في ذلك رجع بالإيحاش والتنفير وبالإخافة والتفريع إلى ما قد جعله الله في طباع الأولين والآخرين وعند جميع الأمم على خلاف طبائع جميع الأمم، وهذا التأويل أشبه من قول من زعم من المفسرين أن رؤوس الشياطين نبات ينبت باليمن».<sup>(3)</sup>

وعقب صاحب كتاب التراث النقدي والبلاغي عند المعتزلة على تأويل الجاحظ بقوله «فالجاحظ قد رفض التفسير اللغوي الحسي للتشبيه ... سواء كان ذلك نباتا ينبت باليمن أم شجرا كربه المنظر فهذه كلها مدلولات مادية، ولكنها لا تثير في الخيال مثل ما تثيره كلمة ( الشيطان ) من الخوف والرعب، فكأن مهمة هذا التشبيه إثارة الخيال عن طريق استدعاء تلك الصورة المخيفة إليه، وهي صورة الشيطان».<sup>(4)</sup>

ويتضح من خلال الشواهد السابقة عدم تناول الجاحظ للصورة التشبيهية وتفصيله لأركانها (المشبه / المشبه به)، فلم يظهر جمالياتها؛ إذ اهتمامه كان منصبا على الجانب التطبيقي أكثر من التنظير، فلم يبين دلالة القاعدة البلاغية وقوانينها، بل كانت آراء جزئية.

<sup>1</sup> - ديوان امرئ القيس، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ص: 38

<sup>2</sup> - الحيوان: الجاحظ، ج 53/3.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 39/4-40.

<sup>4</sup> - التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري، وليد قصاب، دار الثقافة، الدوحة، قطر، د/ط، 1985، ص: 78.

### - المثل:

تناول الجاحظ المثل وبين غرضه البلاغي وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: 26] قال « فقللها كما ترى وحقرها، وضرب بها المثل. وهو مع ذلك جل وعلا لم يمسح أحدا من حشو أعدائه وعظمائهم بعوضة ».<sup>(1)</sup>

وقوله تعالى ﴿وَإِنْ أَوْهَنْ أَلْيُيُوتَ لَبِئْسَ الْأَعْنَكُوبُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: 41] قال الجاحظ « فدل بوهن بيته على وهن خلقه، فكان هذا القول دليلا على التصغير والتقليل ».<sup>(2)</sup>

وكذلك قوله تعالى ﴿كَثَلِ الْجَمَارِ يَتَحَوَّلُ أَشْفَارًا﴾ [الجمعة: 05] قال « فجعله مثلا في الجهل والغفلة، وفي قلة المعرفة وغلظ الطبيعة ».<sup>(3)</sup>

### - الاستعارة:

عرف الجاحظ الاستعارة بقوله هي « تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه »<sup>(4)</sup>، وذكر أمثلة عنها قال « تقول العرب: قَتَلْتُ أَرْضَ جَاهِلِيَّهَا، وَقَتَلَ أَرْضًا عَالِيَّهَا، وتقول: ذَبَحَنِي الْعَطَشُ، والمسك الذبيح، وَرَكِبَ بَنُو فُلَانٍ الْفُلَاةَ فَقَطَعَ الْعَطَشُ أَعْنَاقَهُمْ »<sup>(5)</sup>، فهي استعارات مكنية فيه تشخيص للجماد ووضعها موضع الإنسان .

ومن الاستعارة قوله تعالى ﴿هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الواقعة: 56] قال الجاحظ « والعذاب لا يكون نزلا، ولكن لما قام العذاب لهم في موضع النعيم لغيرهم، سمي باسمه »<sup>(6)</sup>، وأيضا قوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ [غافر: 49] قال « والخزنة: الحفظة وجهنم لا يضيع منها شيء فيحفظ ولا يختار دخولها إنسان فيمنع منها، ولكن لما قامت الملائكة مقام الحافظ الخازن سميت به ».<sup>(7)</sup>

<sup>1</sup> - الحيوان: الجاحظ، ج 37/4.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 38/4.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 38/4.

<sup>4</sup> - البيان والتبيين: الجاحظ، ج 153/1.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ج 318/2.

<sup>6</sup> - المصدر نفسه، ج 153/1.

<sup>7</sup> - المصدر نفسه، ج 153/1.

كما سمي الجاحظ الاستعارة بديعا عند تعليقه على بيت الأشهب بن رميلة حيث قال:

هُمْ سَاعِدُ الدَّهْرِ الَّذِي يُتَّقَى بِهِ وَمَا خَيْرُ كَفٍّ لَا تَنْوُءُ بِسَاعِدٍ

قال « قوله (هم ساعد الدهر)، إنما هو مثل، وهذا الذي تسميه الرواة البديع »<sup>(1)</sup>، وربما تداخلت بعض المصطلحات البيانية مع غيرها فالدرس البلاغي مازال في مرحلة التأسيس ومباحثه لم تنضج بعد .

وبين أن استعمال لفظ مكان لفظ من باب السعة في اللغة فقال « وإنما جازت هذه الألفاظ في صناعة الكلام حين عجزت الأسماء عن اتساع المعاني »<sup>(2)</sup>، فعدت الاستعارة وسيلة تصويرية تعرب عن المعاني وخواطر النفس.

حملت الاستعارة عند الجاحظ دلالتين متباينتين: الأولى وردت بمعناها اللغوي الذي تعود فيه للأصل أي الإعارة بمعناها المادي، والثانية: استعمال كلمة في غير ما وضعت له في أصل اللغة لتدل على معنى جديد.<sup>(3)</sup>

#### - المجاز:

يرى الجاحظ أن المجاز مفخرة العرب فهو استعمال اللفظ في غير حقيقته ويفضي إلى اتساع في اللغة وتولد معان جديدة، حيث قال « وهذا الباب هو مفخر العرب في لغتهم، وبه وبأشباهه اتسعت ».<sup>(4)</sup>

وذكر الجاحظ شواهد عن المجاز فقال « وإذا قالوا: أكله الأسد، فإنما يذهبون إلى الأكل المعروف، وإذا قالوا: أكله الأسود فإنما يعنون النهش واللدغ والعض فقط . وقال الله عز وجل ﴿ أَلْيَسَ أَهْدَىٰ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمٌ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْنَاهُ ﴾... ويقولون في باب آخر: فلان يأكل الناس، وإن لم يكن يأكل من طعامهم شيئا ... وكذلك قول دهمان النهري:

<sup>1</sup> - البيان والتبيين: الجاحظ، ج 4/55.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1/141.

<sup>3</sup> - ينظر: الرؤية البيانية عند الجاحظ، إدريس بللميح، دار الثقافة، المغرب، ط 1، 1984، ص: 211.

<sup>4</sup> - الحيوان: الجاحظ، ج 5/426.

سَأَلْتَنِي عَنْ أَنْاسٍ أَكَلُوا شَرِبَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ وَأَكَلْ

فهذا كله مختلف، وهو كله مجاز <sup>(1)</sup>، فحملت التراكيب على المجاز لإفادة المعاني المرادة .

واعتبر المجاز من أساليب العرب وطرقها في الكلام فقال « وقد جاء في كلام العرب أن يقولوا: جاءت السماء اليوم بأمر عظيم » <sup>(2)</sup>، فنسب للسماء الفعل وهي مما لا يصدر منها على وجه الحقيقة، كما وظف الشاعر هذا المعنى في شعره فقال:

إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضٍ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا

علق الجاحظ عليه بقوله « فزعموا أنهم يرعون السماء، وأن السماء تسقط » <sup>(3)</sup>، فهي تعابير مجازية استعملتها العرب من باب السعة في اللغة .

فقد أدرك الجاحظ الدلالة الاصطلاحية للمجاز فهو مقابل للحقيقة واستعمال للفظ في غير موضعه مع وجود قرائن وعلاقات سياقية تكشف عن المعاني .

#### - الكناية:

اعتبر الجاحظ الكناية وسيلة تصويرية يستوجبها المقام فقال « رب كناية تربي على إفصاح، ولحظ يدل على ضمير » <sup>(4)</sup>، فلا بد للمتكلم من مراعاة نفسية المخاطب والظروف المحيطة بالخطاب « فلكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ ... فالإفصاح في موضع الإفصاح، والكناية في موضع الكناية، والاسترسال في موضع الاسترسال » <sup>(5)</sup>.

وبين فضل الكناية والغاية منها فقال « جماع البلاغة البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة، ثم قال: ومن البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة، أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها، إذا كان الإفصاح أوعر طريقة » <sup>(6)</sup>، فربط البلاغة بالقدرة على تبليغ المعنى وإقناع المستمع من خلال الاستعانة بالكناية كآلية تعبيرية .

1 - الحيوان: الجاحظ، ج 27/5-28.

2 - المصدر نفسه، ج 425/5.

3 - المصدر نفسه، ج 425/5.

4 - البيان والتبيين: الجاحظ، ج 7/2.

5 - المصدر السابق، ج 39/3.

6 - البيان والتبيين: الجاحظ، ج 88/1.

وساق أمثلة عن الكناية فقال « قال شريح: الحدة كناية عن الجهل، وقال أبو عبيدة: العارضة كناية عن البذاء، وقال: وإذا قالوا فلان مقتصد فتلك كناية عن البخل، وإذا قالوا للعامل مستقص فتلك كناية عن الجور»<sup>(1)</sup>، فالعرب كانت تكني عن المعاني لدواعي بلاغية كالرغبة عن اللفظ الخسيس أو بغرض التفاؤل وتجنباً للطيرة بسبب اعتقاد اجتماعي سائد، ومن ذلك قول الجاحظ «فسموه غراب البين ثم كرهوا إطلاق ذلك الاسم له مخافة الزجر والطيرة، وعلموا أنه نافذ البصر صافي العين حتى قالوا: أصفى من عين الغراب ... فسموه الأعور كناية، كما كنوا طيرة عن الأعمى فكنوه أبا بصير وبها اكتنى الأعشى بعد أن عمى ولذلك سمو الملدوغ والمنهوش سليماً وقالوا للمهالك من الفياض: المفاز»<sup>(2)</sup>. فهم الجاحظ الكناية بمفهومها العام وهي التعبير عن المعاني تلميحاً لا تصريحاً، فالمتكلم لا يقصد الدلالة الظاهرية في التراكيب وإنما معانيها الخفية .

- أثمرت جهود الجاحظ في تأسيس الدرس البلاغي من خلال ما أضفاه من بحث دقيق في القضايا البيانية فتعرض لمفاهيم ومصطلحات متداخلة ومتقاربة في الاستعمال ( البلاغة - والبيان - والفصاحة)، والتي اعتبرها العلماء ذات دلالة واحدة في تلك الفترة، فقد حدد معالمها؛ إذ اعتبر البيان أوسع من البلاغة فإذا كانت البلاغة تهتم بالأسلوب والفنية الأدبية فإن غاية البيان تكمن في الفهم والإفهام أي: في القدرة على إيصال المعاني بتوظيف عدة وسائل: لفظ، خط، عقد وإشارة ...

كما أولى اهتماماً بالصياغة والتعابير الفنية فتطرق للتشبيه والاستعارة والمجاز والكناية، فدرس التشبيه دراسة تطبيقية صرفة دون الإشارة إلى أركانه وقواعده في حين حملت الاستعارة عنده دلالتين: الأولى لغوية بمعنى الإعارة والثانية أخذ كلمة من مجال معين واستعمالها بمعنى جديد، أما المجاز فقد اقترب من دلالاته الاصطلاحية وهي استعمال اللفظ في غير ما وضع له في اللغة . ودلت الكناية عنده على معنى الستر واخفاء المعاني تحت تراكيب ظاهرية.

وقد فتحت هذه الدراسة آفاقاً لعلم البلاغة نحو التخصص والتعمق في مباحثه؛ إذ تلقفها البلاغيون من بعده وحاولوا تطويرها والكشف عن جمالياتها .

<sup>1</sup> - البيان والتبيين: الجاحظ، ج 1/263.

<sup>2</sup> - الحيوان: الجاحظ، ج 2/315-316.



- الدرس البياني عند ابن قتيبة (ت276هـ):

حاول ابن قتيبة في مدوناته التصدي للسهام التي صوبها الطاعنون والمشككون في نظم القرآن الكريم ومجآبتها من خلال منهج وظيفي أبرز من خلاله سحر اللغة العربية وجماليتها وكشف عن أسرارها البيانية التي خفيت عن العامة بسبب جهلهم بلغة العرب وطرائقهم في التعبير .

فعرف عنه سعة المعرفة وغزارة التأليف فقد « كان صادقا فيما يرويهِ عالما باللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه والشعر والفقه كثير التصنيف والتأليف وكتبه بالجل مرغوب فيها»<sup>(1)</sup>، كما ألف في الدراسات البلاغية ومن أبرز كتبه: تأويل مشكل القرآن فلم ينهج فيه منهج المفسرين في تتبع معاني الآيات وإنما بين أسرارهِ وبيانه .

واتسمت كتبه بحسن التبويب والترتيب حيث وضعت المباحث البلاغية تحت أبواب مدعمة بالشواهد، إذ خطا بالدرس البلاغي خطوة عظيمة نحو التنظيم المحكم والحصص الدقيق للمادة العلمية، فله فضل كبير فقد « كانت البلاغة في ميسر الحاجة إليه، خاصة في تلك الفترة المتقدمة، حيث كانت مفرقة هنا وهناك لا ينظمها عقد، ولا يجمعها شمل، وقد توفر لها ابن قتيبة فوفاه حقها من التنظيم والتبويب، كما حددها المتأخرون وحصروها في كتبهم»<sup>(2)</sup>.

فقد أدرك الإعجاز البياني للقرآن الكريم وبديع نظمه فقال « وقطع منه بمعجز التأليف أطماع الكائدين، وأبانه بعجيب النظم عن حيل المتكلفين، وجعله متلوا لا يعمل على طول التلاوة، ومسموعا لا تمجده الآذان، وغضا لا يخلق على كثرة الرد وعجيبا لا تنقضي عجائبه، ومفيدا لا تنقطع فوائده، ونسخ به سالف الكتب»<sup>(3)</sup>، فدرس أساليبه وكشف صيغه وتراكيبه مبينا نزوله بلغة العرب وطرقها في القول فقال «وللعرب مجازات في الكلام، ومعناها: طرق القول ومآخذه ففيها الاستعارة، والتمثيل، والقلب والتقديم، والتأخير، والحذف والتكرار، والإخفاء والإظهار، والتعريض والإفصاح، والكناية والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم، ولفظ العموم لمعنى الخصوص ... وبكل هذه المذاهب نزل

<sup>1</sup> - الفهرست، ابن النديم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د/ط، ت، ص: 115.

<sup>2</sup> - أثر النحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، ص: 180.

<sup>3</sup> - تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم، تح: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط2، 1973، ص: 03.

القرآن»<sup>(1)</sup>، فجمع هذا النص العديد من القضايا البلاغية تحت عبارة (مجازات الكلام) والتي تعد خاصية تعبيرية تفردت بها اللغة العربية عن غيرها من اللغات، ومن المسائل التي ذكرها:

#### - الخبر:

يرى ابن قتيبة أن الأسلوب الخبري هو نمط تعبري يحتمل الصدق والكذب، فقسم الكلام إلى أضرب فقال: «والكلام أربعة: أمر، خبر، واستخبار، ورغبة؛ ثلاثة لا يدخلها الصدق والكذب، وهي: الأمر والاستخبار والرغبة، وواحد يدخله الصدق والكذب وهو الخبر»<sup>(2)</sup>.

#### - الأساليب الإنشائية:

تناول ابن قتيبة الأساليب الإنشائية في معرض حديثه عن مخالفة ظاهر اللفظ معناه، مبينا خروجها عن دلالتها الحقيقية إلى معان أخرى يستوجبها السياق، فذكرها ومثل لها بالشواهد ومنها:

#### - الاستفهام:

قد يخرج الاستفهام عن معناه الوضعي المتمثل في طلب العلم بأمر مجهول ليفيد معان بلاغية أخرى، قال ابن قتيبة: «ومنه أن يأتي الكلام على مذهب الاستفهام وهو تقرير كقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: 116] ومنه أن يأتي على مذهب الاستفهام وهو تعجب كقوله ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (1) عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ [النبأ: 1-2] كأنه قال: عم يتساءلون يا محمد؟ ثم قال: عن النبي العظيم يتساءلون»<sup>(3)</sup>.

كما يدل الاستفهام على التوبيخ قال «ومنه أن يأتي على مذهب الاستفهام، وهو توبيخ، كقوله تعالى ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ﴾ [الشعراء: 165]»<sup>(4)</sup>، ومنه فالاستفهام عن ابن قتيبة يفيد ثلاثة معان: التقرير، التعجب أو التوبيخ.

<sup>1</sup> - تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، ص: 20-21.

<sup>2</sup> - أدب الكاتب، ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم، شرحه وقدمه: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988، ص: 11.

<sup>3</sup> - المصدر السابق، ص: 279.

<sup>4</sup> - تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، ص: 280.

### - الأمر:

بين ابن قتيبة مخالفة التركيب لدلالته الظاهرة التي يفيدها فقال «ومنه أن يأتي الكلام على لفظ الأمر وهو تهديد قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: 40]<sup>(1)</sup>، ومثله قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الجمعة: 10] وردت «على لفظ الأمر وهو إباحة».<sup>(2)</sup>

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: 281] فقال «على لفظ الأمر وهو فرض»<sup>(3)</sup>، كما يفيد التأديب قال «أن يأتي على لفظ الأمر وهو تأديب كقوله: ﴿وَأَشْهِدُوا ذُوِي عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: 2]<sup>(4)</sup>، فالأمر قد يخرج عن معناه ليدل على: التهديد، الإباحة، الفرض أو التأديب ...

### - الدعاء:

التمس ابن قتيبة الأغراض البلاغية من الدعاء فقال «الدعاء على جهة الذم، لا يراد منه الوقوع، كقوله تعالى: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ﴾ [عبس: 17]».<sup>(5)</sup>

ويفيد التعجب فقال «وقد يراد بهذا التعجب من إصابة الرجل في منطقته، أو شعره أو في رميته، فيقال: قاتله الله ما أحسن ما قال ... والله دره ما أحسن ما احتج به».<sup>(6)</sup>

### - الحذف:

عقد ابن قتيبة باباً للحذف سماه "باب الحذف والاختصار" وضح فيه التغيرات التي تعتري التراكيب من إسقاط للكلمة أو الكلمتين وأحياناً الجملة، ومن الأمثلة التي أوردها قوله «أن تحذف المضاف وتقيم المضاف إليه وتجعل الفعل له، كقوله تعالى: ﴿وَأَشْرِبُوا فِي فَلْوِهِمُ الْعِجْلَ﴾ [البقرة: 93] أي: حبه و﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ﴾ [البقرة: 197] أي: وقت الحج».<sup>(7)</sup>

<sup>1</sup> - ، تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، ص: 280.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 280.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 280-281.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 280.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص: 274.

<sup>6</sup> - المصدر نفسه، ص: 276.

<sup>7</sup> - المصدر نفسه، ص: 210.

وبين وقوع الحذف في الفعل فقال « أن توقع الفعل على شيئين وهو لأحدهما، تضرر للآخر فعله، مثل قوله تعالى ﴿ فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾ [يونس: 71]، أي: وادعوا شركاءكم». (1)

ويشمل الحذف الكلمة والكلمتين قال ابن قتيبة «حذف الكلمة والكلمتين كقوله تعالى ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ﴾ [البقرة: 126]، والمعنى: يقولون: ربنا تقبل منا». (2)

#### - التقديم والتأخير:

ربط ابن قتيبة القلب بالتقديم والتأخير فقال « ومن المقلوب أن يقدم ما يوضحه التأخير، ويؤخر ما يوضحه التقديم ». (3)

ومن الشواهد التي ذكرها قوله تعالى ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: 74] قال «أي: اجعل المتقين لنا إماما في الخير ». (4)

وقوله تعالى ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلِّفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ﴾ [إبراهيم: 47] قال «أي: مخلف رسله وعده، لأن الإخلاف قد يقع بالوعد كما يقع بالرسل فتقول: أخلفت الوعد، وأخلفت الرسل». (5)

وأیضا قوله تعالى: ﴿ فَلَيْسَ لَهُمْ عَذَابٌ إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: 77] قال «أي: فإني عدو لهم، لأن كل من عاديته عاداك» (6)، ومثله قوله تعالى ﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾ [القيامة: 14] قال «أي: بل على الإنسان من نفسه بصيرة، يريد شهادة جوارحه عليه ؛ لأنها منه فأقامه مقامها». (7)

ومن خلال ما ورد يتضح لنا إشارة ابن قتيبة إلى موضع الشاهد دون أن يبين الغرض البلاغي من إيراده.

1 - تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، ص: 212-213.

2 - المصدر نفسه، ص: 216.

3 - المصدر نفسه، ص: 193.

4 - المصدر نفسه، ص: 200.

5 - المصدر نفسه، ص: 193.

6 - المصدر نفسه، ص: 193.

7 - المصدر نفسه، ص: 193.

- الإيجاز:

عرف ابن قتيبة الإيجاز بقوله «جمع الكثير من معانيه في القليل من لفظه»<sup>(1)</sup>، وربطه بالمقام فليس بمحمود في كل موضع فهو يرى أن لكل مقام مقالاً معللاً ذلك بقوله «ولو كان الإيجاز محموداً في كل الأحوال، لجرده الله تعالى في القرآن ولم يفعل الله ذلك، ولكنه أطال تارة للتوكيد، وحذف تارة للإيجاز، وكرر تارة للإفهام...»<sup>(2)</sup>، إذ لا بد من مراعاة ظروف الخطاب وأحوال المتلقي لنجاح العملية البلاغية.

وساق أمثلة عن الإيجاز منها قوله تعالى ﴿حُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: 199] قال «كيف جمع لها بهذا الكلام كل خلق عظيم؛ لأن في (أخذ العفو): صلة القاطعين، والصفح عن الظالمين، وإعطاء المانعين وفي (الأمر بالعرف): تقوى الله، وصلة الأرحام، وصون اللسان عن الكذب، وغيض الطرف عن الحرمات... وفي (الإعراض عن الجاهلين): الصبر، الحلم وتنزيه النفس عن ممارسة السفه ومنازعة اللجوج»<sup>(3)</sup>، فحملت الآية بألفاظها القليلة معاني جليلة جليلة كثيرة، فذكرت أخلاقاً فاضلة بصورة شاملة التي يجب أن يتحلى بها المؤمن.

- الإطناب:

عمدت العرب على التنويع في أساليبها وكسر رتابة الخطاب؛ إذ لم تلتزم نهجاً واحداً في التعبير بل تفننت في ذلك ما بين إيجاز وإطناب بغية تحقيق غايات سياقية حيث يقول ابن قتيبة «ومن مذهبهم التكرار لإرادة التوكيد والإفهام، كما أن من مذهبهم الاختصار: إرادة التخفيف والإيجاز؛ ولأن افتتان المتكلم والخطيب في الفنون، وخروجه عن شيء إلى شيء أحسن من اقتصاره في المقام على فن واحد»<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، ص: 03.

<sup>2</sup> - أدب الكاتب: ابن قتيبة، ص: 20.

<sup>3</sup> - المصدر السابق، ص: 4-5.

<sup>4</sup> - تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، ص: 235.

وأوضح المواطن التي تستوجب الإطناب فقال « وليس يجوز لمن قام مقاماً في تحضيض على حرب، أو حمالة بدم، أو صلح بين العشائر أن يقلل الكلام ويختصره، ولا لمن كتب إلى عامة كتاباً في فتح أو استصلاح أن يوجز». (1)

كما ذكر نماذج عن الإطناب منها تكرار الكلام من جنس واحد، بعضه يجزئ عن بعض بغرض التوكيد والتقرير ومثل بقوله تعالى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: 01] قال « ولا موضع أولى بالتكرار للتوكيد على السبب الذي نزلت فيه ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ لأنهم أرادوه على أن يعبد ما يعبدون ليعبدوا ما يعبد، وأبدؤا في ذلك وأعادوا، فأراد الله عز وجل حسم أطماعهم وإكذاب ظنونهم، فأبدأ وأعاد في الجواب ». (2)

#### - الالتفات:

اقترب ابن قتيبة من المفهوم البلاغي للالتفات المتمثل في نقل الكلام من صيغة من الصيغ الثلاث التكلم والخطاب والغيبة إلى أخرى منها لغرض بلاغي؛ إذ يقول « ومنه أن مخاطب الشاهد بشيء ثم تجعل الخطاب له على لفظ الغائب، كقوله عز وجل: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكَ وَجَرَّجْنَاهُمْ فِيحَ طَيْبَةٍ وَفَرَّخُوْا بِهَا﴾ [يونس: 22].

وقول الشاعر<sup>3</sup>:

يَا دَارَ مَيَّةَ بِالْعَلْيَاءِ فَالْسِّنْدِ أَقْوَتْ      وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَبْدِ<sup>(4)</sup>

وتحويل الخطاب من شخص لغيره ومثل لذلك بقوله تعالى ﴿قَالُوا يَسْمَعْصِيُوكُمْ﴾ الخطاب للنبي ﷺ ثم قال للكفار: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، فبدل على ذلك قوله ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [هود: 14]. (5)

<sup>1</sup> - أدب الكاتب: ابن قتيبة، ص: 21.

<sup>2</sup> - تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، ص: 237.

<sup>3</sup> - ديوان النابغة الذبياني، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ص: 14.

<sup>4</sup> - المصدر السابق، ص: 289.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص: 290.

- التشبيه:

أولى ابن قتيبة اهتماما خاصا بمبحث التشبيه وبين فضله في إصابة المعنى، وقرن جودة الشعر به وساق أمثلة على ذلك منها قول امرئ القيس:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا      لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي

قال «... شبه شيعين بشيعين في بيت واحد، وأحسن التشبيه»<sup>(1)</sup>.

وذكر تشبيهات من القرآن الكريم منها قوله تعالى ﴿أَنظِلُّوْا إِلَى ظِلِّ ذِي ظُلُمٍ شُعَبٍ (30) لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِ (31) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ - (32) كَأَنَّهُ جِمْلَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات: 30-33] قال «فمن قرأه بتسكين الصاد، أراد القَصْرَ من قصور مياه الأعراب، ومن قرأه الْقَصَرَ شبهه بأعناق النخل ويقال بأصوله: إذا قطع ووقع تشبيه الشرر بالقصر في مقاديره، ثم شبهه في لونه بالجماليات الصفراء، وهي السود، والعرب تسمي السود من الإبل صفرا... والشرر إذا تطاير فسقط وفيه بقية من لون النار أشبه شيء بالإبل السود؛ لما يشوبها في الصفرة»<sup>(2)</sup>، عرضت الآية مشهد الكافرين وهم يساقون إلى العذاب، وحالة الهول الذي كانوا يعانونه عند رؤيتهم لدخان جهنم وشررها الشبيه في عظمه بالقصر ولونه وحركته بالجمال، فهو تشبيه ركبت أجزاؤه لتفصح عن شدة الموقف.

بين ابن قتيبة أن التشبيه هو مماثلة بين شيئين اشتركا في صفة أو أكثر؛ إذ كشف أركانه والتمس بعضها من أسرارها.

- الاستعارة:

عرف ابن قتيبة الاستعارة بقوله «فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة، إذا كان المسمى بها بسبب من الأخرى، أو مجاورا لها، أو مشاكلا»<sup>(3)</sup>، فاقترب بهذا المفهوم من المجاز المرسل وعلاقاته خاصة السببية والمجاورة.

<sup>1</sup> - الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ط2، 1967، ج1/134.

<sup>2</sup> - المصدر السابق، ص: 320-321.

<sup>3</sup> - تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، ص: 135.

فقد تستعمل الكلمة الواحدة للدلالة على معان أخرى ؛ إذ أوضح ذلك بقوله « الأخذ أصله باليد، ثم يستعار في مواضع: فيكون بمعنى القبول قال الله تعالى ﴿ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ﴾ [ آل عمران: 81]، أي: قبلتم عهدي ... وقال تعالى ﴿ خُذِ الْعَقْوَ ﴾ [ الأعراف: 199] أي: اقبله ويكون بمعنى الحبس والأمر قال الله تعالى ﴿ فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَائِدَ ﴾ [ يوسف: 78]، أي: احبسه والأخذ: التعذيب، قال تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ ﴾ [ هود: 102] أي: تعذيبه»<sup>(1)</sup>، فحملت دلالة لغوية بإعارة كلمة مكان كلمة أخرى .

وارتبطت الاستعارة عنده بالمجاز، إذ لم يفرق بينهما في مواضع عدة من كتابه ومرد ذلك «تردده بين الذوق الأدبي والتحرر في الفكر وبين التبعية التقليدية للمذهب العقدي والمذهب اللغوي وكان من نتائج هذا التردد ... خلط واضطراب أمام الظاهرة الواحدة» .<sup>(2)</sup>

#### - المجاز :

اعتبر ابن قتيبة المجاز مقابلاً للحقيقة وتوسع في دراسته حيث عقد له باباً مبيناً نظرة الناس إليه فقال «وأما المجاز فمن جهته غلط كثير من الناس في التأويل، وتشعبت بهم الطرق»<sup>(3)</sup>. فهو أسلوب معهود عند العرب تستعين به في صياغة كلامها ولو عدلت عنه لفسدت المعاني ؛ إذ رد على المنكرين للمجاز بقوله «ولو كان المجاز كذباً وكل فعل ينسب إلى غير الحيوان باطلاً لكان أكثر كلامنا فاسداً، لأننا نقول: نبت البقل، وطالت الشجرة، وأينعت الثمرة، وأقام الجبل ورخص السعر ...، ولو قلنا للمنكر لقوله: ﴿ جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ ﴾ [ الكهف: 76]: كيف أنت قائلًا في جدار رأيته على شفا انخيار؟ ... لم يجد بداً من أن يقول: جدار يهيم أن ينقض، أو يكاد أن ينقض أو يقارب أن ينقض وأيا ما قال فقد جعله فاعلاً ولا أحسبه يصل إلى هذا المعنى في شيء من ألسنة لفات العجم، إلا بمثل هذه الألفاظ»<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة ، ص: 502-503.

<sup>2</sup> - البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع، رابح دوب، ص: 151.

<sup>3</sup> - المصدر السابق، ص: 103.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 132-133.



وذكر المجاز العقلي في قوله ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأُمُورُ﴾ [مُحَمَّد: 21] قال «وإنما يعزم عليه، وقوله: ﴿فَمَا رِيحَتِ ثِيَابَهُمْ﴾ [البقرة: 15]، وإنما يريح فيها . وقوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف: 18] وإنما كذب به»<sup>(1)</sup>، فقد أدرك إسناد الفعل لغير فاعله في الآيات الكريمة ومثله قوله تعالى: ﴿وَسُئِلَ الْقُرَيْةُ﴾ [يوسف: 82] قال «أراد أهل القرية»، وقال: ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [مُحَمَّد: 04]، أي: يضع أهل الحرب السلاح»<sup>(2)</sup>.

#### - الكناية:

لم يضع ابن قتيبة حدا فاصلا بين العديد من قضايا بيانية؛ إذ تجاذبت وتقاطعت فحملت الكناية عنده دلالتين: لغوية تمثلت في قوله «الكناية أنواع، ولها مواضع منها أن تكني عن اسم الرجل بالأبوة؛ لتزيد من الدلالة عليه إذا أنت راسلته أو كتبت إليه: إذ كانت الأسماء تتفق أو لتعظمه في المخاطبة بالكنية؛ لأنها تدل على الحنكة وتخبر عن الاكتهال»<sup>(3)</sup>، والثانية اصطلاحية ومن ذلك قوله «وكلام العرب، إيماء، وإشارة، وتشبيه يقولون: (فلان طويل النجاد)، والنجاد: حمائل السيف، وهو لم يتقلد سيفاً قط وإنما يريدون: أنه طويل القامة، فيدلون بطول نجاهه على طوله، لأن النجاد القصير لا يصلح على الرجل الطويل، ويقولون: (فلان عظيم الرماد) ولا رماد في بيته ولا على بابه وإنما يريدون: أنه كثير الضيافة، فناره وارية أبداً، وإذا كثرت وقود النار كثرت الرماد»<sup>(4)</sup>، فالتكلم لا يقصد الدلالة الظاهرية للعبارة وإنما يبغى الدلالة المستترة التي تدرك من خلال السياق .

- إن الغاية الأساسية التي سعى ابن قتيبة لبلوغها هي الكشف عن التعابير والأسرار القرآنية التي لم يدركها العامة، مبيناً أنه نزل بلغة العرب وأساليبها المعهودة جاعلاً إعجازه في بديع نظمته؛ إذ قطع بذلك شكوك الطاعنين وتصدى لهم من خلال مصنفاته التي تميزت بحسن الترتيب والتبويب، و التي عاجلت عدة قضايا بلاغية كالأساليب الإنشائية التي أدرك خروجها عن مقتضى الظاهر لتفيد دلالات معينة، الحذف الذي يقع في التراكيب ويمس الكلمة والجملة ويرد بغرض الاختصار، كما تناول

<sup>1</sup> - تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، ص: 132.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 170.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 256.

<sup>4</sup> - تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم، صححه وضبطه: محمد زهري النجار، مكتبة الكليات الأزهرية، د/ط- ت، ص: 163.

أسلوب الإطناب والإيجاز موضحا مواطن ورودهما داعيا لضرورة مراعاة المقام وأحوال المخاطبين، ومثل للتشبيه ووسع من دائرة المجاز الذي اختلط بمفهوم الاستعارة عنده، وتعرض لألوان من البديع .

#### - الدرس البياني عند ابن المعتز (ت 296هـ):

عَدَّ عبد الله بن المعتز مؤسسا لعلم البديع حيث نحى بالدرس البلاغي منحى جديدا يهدف لتنمية الذائقة الأدبية، ودافع عن البيان العربي مؤكدا معرفة المتقدمين بتلك الفنون وأنها ليست بدعا ولا استحداثا من قبل المحدثين ؛ إذ قال « قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله ﷺ، وكلام الصحابة، والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع، ليعلم أن بشارا ومسلما وأبا نواس، ومن تقليلهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن، ولكنه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى بهذا الاسم فأعرب عنه ودل عليه». (1)

وبين الغرض من تأليفه للكتاب فقال «وإنما غرضنا في هذا الكتاب تعريف الناس أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى شيء من أبواب البديع». (2)

فلم يقتصر البديع عنده على وجوه تحسين الكلام اللفظية والمعنوية بل شمل مباحث بلاغية أخرى كالتشبيه والاستعارة والكناية وغيرها، مما يعكس الثقافة الأدبية لذلك العصر حيث استعمل البديع مرادفا للبلاغة « فالبديع الجديد، والغريب، والبارع، والعجيب، ومن هنا فهم البلاغيون القدماء مصطلح البديع، على أنه درجة خاصة من التميز يظفر بها الفنان المطبوع، لذا نراهم يوسعون دائرته تارة ويجعلونها مرادفة للبلاغة، وأخرى يضيّقونها ويجعلونها خاصة بالتفرد في فنون بعينها». (3)

كما حمل البديع دلالات مغايرة لما استقر عليه فهم المتأخرين؛ إذ كان يعني «الإكثار من استخدام الصورة والإكثار من استخدام المحسنات، والميل بالمعاني القديمة إلى وجه جديد من الاستعمال مغاير لما جرى عليه العرف، فكلمة البديع تعني التجديد بصفة عامة سواء أكان التجديد في الصياغة أو التجديد في المعاني بقلبها أو تغييرها أو تحسينها». (4)

1 - كتاب البديع، ابن المعتز: عبد الله، تعليق: إغناطيوس كراتشكوفسكي، دار المسيرة، بيروت، ط3، 1982، ص: 01.

2 - المصدر نفسه، ص: 03.

3 - البديع تأصيل وتحديد، منير سلطان، منشأة المعارف، الإسكندرية، د/ط، 1986، ص: 11.

4 - فن البديع، عبد القادر حسين، دار الشروق، بيروت، ط1، 1983، ص: 18.

حصر ابن المعتز البديع في خمسة فنون هي: الاستعارة، التجنيس، المطابقة، ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها والمذهب الكلامي، أما المحسنات فجعلها في ثلاثة عشر محسناً منها: الالتفات، التشبيه ولزوم ما لا يلزم، الكناية، التعريض وغيرها. كما أنه لم يجد حرجاً في إضافة البلاغيين لفنون أخرى وعبر عن ذلك بقوله «البديع اسم موضوع لفنون من الشعر يذكرها الشعراء ونقاد المتأدين منهم فأما العلماء باللغة والشعر القديم فلا يعرفون هذا الاسم ولا يدرون ما هو وما جمع فنون البديع ولا سبقني إليه أحد وألفته سنة أربع وسبعين ومائتين ... ويعلم الناظر أنا اقتصرنا بالبديع على الفنون الخمسة اختياراً من غير جهل بمحاسن الكلام ولا ضيق في المعرفة فمن أحب أن يقتدي بنا ويقتصر بالبديع على تلك الخمسة فليفعّل ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئاً إلى البديع ولم يأت غير رأينا فله اختياره»<sup>(1)</sup>، فقد فتح ابن المعتز باباً للتوسع وإثراء البديع بمحسنات لفظية ومعنوية مما صيره علماً خصباً متنوعاً الفنون.

عمد ابن المعتز إلى تجميع مادته العلمية والتمثيل لها بشواهد من كلام العرب، مبدياً وجه الاستحسان في البعض والقصور في بعض الآخر في بلوغ معالم الجودة وإصابة المعاني، مما ينمي في القارئ الذوق في تبين الكلام الجيد من رديئه «فالكاتب عربي في مادته فشواهد مستمدة من شواهد السابقين ومنهجه عربي أملاه التفكير العقلي لدى المسلمين حول إعجاز القرآن وقيمة الأدب العربي القديم وطريقة العرب في كلامها»<sup>(2)</sup>.

ويرى بدوي طبانة أن كتاب البديع «كان أول كتاب تناول الأدب تناولاً فنياً، وشرح بعض عناصر الحسّن فيه، وبه انتقل النقد إلى طور جديد هو طور العناية بالصورة، وتوجيهه إلى دراسة الشكل، وقد كان الجهد كله منصرفاً إلى نقد المعاني والإشادة بقوتها وفخامتها»<sup>(3)</sup>.

فقد أدرك ابن المعتز دور المباحث البيانية في تحسين الكلام وتبليغ المعاني داعياً إلى حسن توظيفها؛ إذ عرف البلاغة فقال: «البلاغة البلوغ إلى المعنى، ولم يطل سفر الكلام»<sup>(4)</sup>، وذكر فنونا عدة بعضها يندرج في علم البيان والآخر في علم البديع وفصل فيها حيث شملت:

<sup>1</sup> - البديع: ابن المعتز، ص: 58.

<sup>2</sup> - قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، عبد العزيز عبد المعطي عرفه، ص: 285.

<sup>3</sup> - قدامة بن جعفر والنقد الأدبي، بدوي طبانة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1969، ص: 31.

<sup>4</sup> - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د/ط، 1978، ج77/3.

### - الاستعارة :

عرف ابن المعتز الاستعارة بقوله هي « استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها »<sup>(1)</sup>، مبينا الغاية منها والتي تكمن في توضيح المعنى والكشف عن جمالية الصورة، ومثل لها بشواهد من القرآن الكريم والحديث النبوي والشعر العربي، ومنها « قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: 07]، وقوله تعالى: ﴿وَخَفِضَ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: 24]، وقوله تعالى: ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا﴾ [مريم: 04] »<sup>(2)</sup>، فوردت الاستعارة في الآية الأولى في لفظ (أُمُّ)، وفي الآية الثانية (جناح) أما في الآية الأخيرة فقد استعير لفظ (اشتعل) ليدل على سرعة انتشار الشيب في الرأس بسرعة اللهب .

### - التجنيس:

عرف التجنيس بقوله «هو أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها»<sup>(3)</sup>، كما تحدث عن جناس الاشتقاق فقال «... منه ما تكون الكلمة تجانس أخرى في تأليف حروفها ومعناها، ويشترك منها، ومثل قول الشاعر:

يَوْمٌ خَلَجَتْ عَلَى الْخَلِيجِ نَفُوسُهُمْ      غَضَبًا وَأَنْتَ بِمِثْلِهَا مُسْتَأْمٌ<sup>(4)</sup>

فورد الجنس في الكلمتين (خلجت) أي: جذبت، و(الخليج) البحر الصغير حيث اتفقت الكلمتان في الاشتقاق والبناء .

وذكر ضربا آخر من الجنس وهو «أن يكون تجانسها في تأليف الحروف دون المعنى مثل قوله تعالى: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: 44] ومثل قول الرسول ﷺ " الظلم ظلمات" »<sup>(5)</sup>، فقد تشابهت الألفاظ نطقا واختلفت في المعاني .

<sup>1</sup> - البديع: ابن المعتز، ص: 02.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 03.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 25.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 25.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص: 25.

- المطابقة:

نقل ابن المعتز تعريف الخليل للمطابقة فقال « يقال: طابقت بين الشئين إذا جمعتها على حذو واحد ... فالقائل لصاحبه: ( أتيناك لتسلك بنا سبيل التوسع فأدخلتنا في ضيق الضمان )، قد طابق بين السعة والضيق في هذا الخطاب ».<sup>(1)</sup>

ومثل لها بشواهد منها « قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: 179]، قول الحسن: كثرة النظر إلى الباطل تذهب بمعرفة الحق من القلب »<sup>2</sup>، فقد ضمت الآية الكريمة طباقا تمثل في (القصاص) وهو الموت الذي قابله لفظ ( الحياة )، أما قول الحسن فالمطابقة وردت في اللفظين (الباطل ) و(الحق) .

- رد أعجاز الكلام على ما تقدمها:

قسم ابن المعتز هذا الباب إلى ثلاثة أقسام، فالضرب الأول « ما يوافق آخر كلمة فيه آخر كلمة في نصفه الأول مثل قول الشاعر:

تَلْقَى إِذَا مَا الْأَمْرُ كَانَ عَرْمَرَمًا      فِي جَيْشٍ رَأَى لَا يُقْلُ عَرْمَرَمًا.<sup>(3)</sup>

والثاني «ما يوافق آخر كلمة منه أول كلمة في نصفه الأول كقوله:

سَرِيعٌ إِلَى ابْنِ الْعَمِّ يَشْتِمُ عِرْضَهُ      وَلَيْسَ إِلَى دَاعِي النَّدَى سَرِيعًا.<sup>(4)</sup>

أما نوع الثالث فتمثل في «ما يوافق آخر كلمة فيه بعض ما فيه كقول الشاعر:

عَمِيدُ بَنِي سُلَيْمٍ أَقْصَدَتْهُ      سِهَامُ الْمَوْتِ وَهِيَ لَهُ سِهَامٌ.<sup>(5)</sup>

<sup>1</sup> - البديع: ابن المعتز، ص: 36.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 37.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 47.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 48.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص: 48.

- المذهب الكلامي:

نقل تسميته عن الجاحظ فقال « وهذا باب ما أعلم أي وجدت في القرآن منه شيئا، وهو ينسب إلى التكلف تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا »<sup>(1)</sup>، ومثل لذلك بشواهد منها « قول أبي الدرداء: (إن أخوف ما أخاف عليكم أن يقال: علمت فماذا عملت) ».<sup>(2)</sup>

وقد تباينت نظرتهم للمذهب الكلامي على ما استقر عند البلاغيين المتأخرين؛ إذ عرف بأنه «إيراد حجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام نحو: قوله تعالى ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ اللَّهِ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: 22]».<sup>(3)</sup>

أما القسم الثاني فسماه بـ "محاسن الكلام" وتناول فيه ثلاثة عشر لونا، حيث وسع من دائرة البديع فضمنه مباحث من البيان كالتشبيه والكناية والتعريض؛ إذ « اهتم بنوع خاص من ألوان البيان، هو أساليب البديع وألوان الترف في الأداء »<sup>(4)</sup>، ومنها:

- الالتفات:

عرفه بأنه «انصراف المتكلم عن مخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى مخاطبة وما يشبه ذلك»<sup>(5)</sup>، ومثل له بشواهد منها «قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَوِيلَةٍ﴾ [يونس: 22]»<sup>(6)</sup>، فانتقل الخطاب في الآية الكريمة من مخاطبة إلى الغيبة ومثله أيضا « بقوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: 19] ثم قال ﴿وَسِرُّوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [إبراهيم: 21] »<sup>7</sup>، فحول الكلام من مخاطبة ( يذهبكم ) إلى الغيبة ( برزوا ).

1 - البديع: ابن المعتز، ص: 53.

2 - المصدر نفسه، ص: 54.

3 - التلخيص في علوم البلاغة، القزويني: الخطيب، ضبطه وشرحه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، ط1، 1904، ص: 374.

4 - ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان، محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط2، 1991، ص: 571.

5 - البديع: ابن المعتز، ص: 58.

6 - المصدر نفسه، ص: 58-59.

7 - المصدر نفسه، ص: 59.

كما تحدث عن نوع آخر من الالتفات فقال « ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر ومثل له بقول جرير<sup>1</sup> :

مَتَى كَانَ الْحَيَامُ بِذِي طُلُوحٍ      سُقِيتِ الْغَيْثَ أَيَّتُهَا الْحَيَامُ  
أَتَنْسَى يَوْمَ تَصْقُلُ عَارِضِيهَا      يُعُودُ بِشَامَةٍ سُفْيَ الْبَشَامِ<sup>(2)</sup>

مما يدل على تأثر ابن المعتز بالأصمعي في هذا الطرح ؛ إذ «حكى عن إسحاق الموصلي أنه قال: قال لي الأصمعي: أتعرف التفاتات؟ جرير؟ قلت: وما هو؟ فأنشدني:

أَتَنْسَى إِذْ تُودِعُنَا سُلَيْمَى      يُعُودُ بِشَامَةٍ سُفْيَ الْبَشَامِ

ثم قال: أما تراه مقبلا على شعره، إذ التفت إلى البشام فدعا له»<sup>(3)</sup>، فقد انتقل جرير من الإخبار في أول البيت إلى الدعاء في آخره فقال (سقي البشام) .

فقد ارتبط مفهوم الالتفات بالاعتراض عند بعض العلماء، حيث عرفه ابن رشيق - الالتفات - بقوله « فهو اعتراض عند القوم، وسماه آخرون الاستدراك ... وسبيله أن يكون الشاعر أخذاً في معنى ثم يعرض له غيره فيعدل عن الأول إلى الثاني فيأتي به، ثم يعود إلى الأول من غير أن يخل في شيء مما يشد الأول»<sup>(4)</sup>.

فالالتفات عند ابن المعتز حمل دالتين: الأولى تمثلت في الانتقال من صيغة من الصيغ الثلاث إلى أخرى وهو ما عرف عند المتأخرين، والثاني دل على انتقال من معنى إلى آخر فكان أقرب للاعتراض والرجوع منه إلى الالتفات .

<sup>1</sup> - ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تح: نعمان محمد أمين طه، مج1، ص: 278

<sup>2</sup> - البديع: ابن المعتز، ص: 59.

<sup>3</sup> - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق: أبو علي الحسن القيرواني، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط2، 1955، ج46/2..

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 45/2

- الاعتراض:

عده ابن المعتز من محاسن الكلام فقال «ومن محاسن الكلام أيضا والشعر اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه ثم يعود إليه فيتمه في بيت واحد»<sup>(1)</sup>، ومثل له « بقول كثير:

لَوْ أَنَّ الْبَاخِلِينَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ      رَأَوْكَ تَعَلَّمُوا مِنْكَ الْمَطَالَ »<sup>(2)</sup>.

- التعريض والكناية:

جعل ابن المعتز الكناية والتعريض من المحسنات فقدم أمثلة عنهما دون أن يوضح الغرض البلاغي من إيرادهما ولم يتوسع في هذا الباب حيث قال « ومنها التعريض والكناية ... وقال آخر في حجام:

أَبُوكَ أَبٌ مَازَالَ لِلنَّاسِ مُوجِعًا      لَأَعْنَأِقِيهِمْ نَقْرُ كَمَا تَنْقُرُ الصَّقْرُ

إِذَا عَوَّجَ الْكُتَّابُ يَوْمًا سَطُورَهُمْ      فَلَيْسَ بِمُعَوَّجٍ لَهُ أَبَدًا سَطْرُ »<sup>(3)</sup>.

- التشبيه:

يعد التشبيه من الوسائل التعبيرية التي استعانت بها العرب للإعراب عن معانيها وتوضيح مقاصدها؛ إذ كثر تداول هذا الفن فهو أصل الاستعارة، ولكنه لم يحظ بنصيب من الدراسة عند ابن المعتز مقارنة بالاستعارة التي جعلها الباب الأول من البديع، فقد اعتبره من محاسن الكلام فقال «ومنها حسن التشبيه قال امرئ القيس:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا      لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشْفُ الْبَالِي »<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - البديع: ابن المعتز، ص: 59.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 60.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 65.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه ص: 68-69.



وقد نال هذا البيت استحسان العديد من الأعلام لما ضمه من صورة تشبيهية بديعة حيث شبه الشاعر قلوب الطير التي اصطادتها العقاب بالعناب لأنها غضة حمراء أما القلوب القديمة اليابسة فشبها بالحشف أي التمر الجاف، فجمع بذلك تشبيهين في تركيب واحد .

#### - الدرس البياني عند ابن وهب ( ت 335هـ):

تغير مسار الدراسات البيانية في القرن الرابع الهجري نتيجة الانفتاح الثقافي على مختلف المعارف والفنون، مما حفز البلاغيين على الإبداع والتأصيل والاهتمام بوجوه الإعجاز القرآني كاشفين عن الاتجاه الفني للأدب بصفة عامة « فتحول الدراسات والأبحاث البيانية من الاهتمام بشروط إنتاج الخطاب إلى الاهتمام بتحليل الخطاب تحليلًا بيانيًا منطقيًا لم يكن بسبب هجوم العقل اليوناني على المتكلمين المعتزلة وتحولهم المزعوم من الأدب إلى الفلسفة، إن الذي حدث، في الواقع، هو أن التيار الآخر من الدراسات البيانية الذي كونه الفقهاء وعلماء الأصول هو الذي امتد تأثيره إلى الساحة البلاغية، فصرف الناس من الاهتمام بالخطابة، أي بشروط وتقنيات إنتاج الخطاب البليغ إلى الإنكباب على دراسة قوانين تفسير الخطاب المبين »<sup>(1)</sup>.

فلم يغرق الدرس البلاغي في الفلسفة والتحليل المنطقي بل بحث في الجمالية الأدبية وهو ما سعى إليه ابن وهب في كتابه: البرهان في وجوه البيان ؛ إذ أعاد صياغة البيان العربي معتمدا في ذلك على مرجعيات متكاملة فقد « جمع إلى علمه بالأدب وروايته علمه بالتأويل وبالفقه وأصول التشريع والمنطق والفلسفة اليونانية »<sup>(2)</sup>، وهو ما مكنه من استنباط القوانين وتفسير الخطاب ووضع أصول البيان وتبيين مسائله في محاولة لتأسيس نظرية بيانية الاتجاه « ولذلك جاءت مادة كتابه مادة بيانية محضة تستقي نماذجها من السلطات المرجعية البيانية الأساسية ( القرآن، الحديث، أقوال علي بن أبي طالب، الخطب والشعر والأمثال العربية ... ) وتعتمد إلى حد كبير نتائج أعمال البيانيين السابقين والمعاصرين له أمثال الجاحظ وابن المعتز وقدامة في ميدان البلاغة وغير هؤلاء من علماء الأصول من متكلمين وفقهاء »<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط9، 2009، ص: 31.

<sup>2</sup> - البيان العربي دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، بدوي طبانة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1958، ص: 69.

<sup>3</sup> - بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، محمد عابد الجابري، ص: 33.

فقد اطلع ابن وهب على دراسات السابقين ومنها كتاب الجاحظ "البيان والتبيين" والذي كان حافزا دفعه للتأليف وتدارك النقص الذي وقع فيه، حيث قال « إنما ذكر فيه أخبارا منتحلة وخطبا منتخبة ولم يأت فيه بوظائف البيان، ولا أتى على أقسامه في هذا اللسان»<sup>(1)</sup>، فالمسائل البيانية عند الجاحظ كانت متناثرة لا تنتظم تحت أبواب مما صعب على الدارسين استجلاء آرائه .

أما ابن وهب فقد اتبع منهجا يفضي به إلى بسط أفكاره بطريقة منظمة من ناحية التبويب، وعبر عن ذلك بقوله « وقد ذكرت في كتابي هذا جملا من أقسام البيان، وفقرا من آداب حكماء أهل هذا اللسان، لم نسبق المتقدمين إليها، ولكن شرحت في بعض قولي ما أجملوه، واختصرت في بعض ذلك ما أطالوه، ووضحت في كثير منه ما أوعروه، وجمعت في مواضيع منه ما فرقوه، ليخف بالاختصار حفظه، ويقرب بالجمع والإيضاح فهمه»<sup>(2)</sup>، موضحا الهدف الذي يصبو إليه إذ يذكر « جملا من أقسام البيان آتية على أكثر أصوله، محيطة بجماهير فصوله»<sup>(3)</sup>.

فقد استفاد ابن وهب من المادة البيانية عند الجاحظ ولكنه ضبطها ورتب مباحثها؛ إذ يرى مُجدِّ العمري أن «الإجراء المنهجي الذي قام به ابن وهب إزاء الجاحظ أنه حاول إدماج المواد البلاغية المتوفرة في نسق ذي طبيعة معيارية»<sup>(4)</sup>.

كما أن العصر الذي عاش فيه ابن وهب ساهم في بلورة فكرة البيان عنده، ووسمها بصبغة عكست ثقافته السائدة فهو « عصر ازدهار الدراسات المنطقية في الثقافة العربية الإسلامية، عصر أبي بشر بن متى والفارابي... العصر الذي انفجر فيه الصدام بين النحاة والمناطق، بين النظام المعرفي البياني والنظام المعرفي البرهاني...، فكان طبيعيا أن يعكس في مشروعه بعض مظاهر هذا الصدام »<sup>(5)</sup>.

حيث مزج بين الاتجاه الأصولي (الإمام الشافعي) والاتجاه البلاغي (الجاحظ) مشكلا رؤيته البيانية ذات النزعة العلمية فتناول «شروط المعرفة والأسباب الموصلة إليها ووسائل التبليغ والتواصل

<sup>1</sup> - البرهان في وجوه البيان، ابن وهب، ص: 49

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 51.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 49.

<sup>4</sup> - الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة والشعر، مُجدِّ العمري، أفريقيا الشرق، المغرب، د/ط، 2001، ص: 72-73.

<sup>5</sup> - بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، مُجدِّ عابد الجابري، ص: 33.

ونزعته العلمية (تداول المعرفة، واستثمارها في الواقع الملموس)<sup>(1)</sup>، فاستنبط القوانين التي تمكنه من تفسير الخطاب وتحقيق الإبلاغ وتداول المعرفة وبين وظائف البيان وأصوله وفروعه بالإضافة إلى تناوله للعديد من القضايا البلاغية، منها:

#### - البيان:

تعددت الطرائق التي تفصح بها العرب عن مقاصدها وأفكارها وخواطرها؛ حيث وسع ابن وهب من مجال البيان وحدد أقسامه ووجوهه في: بيان الاعتبار، بيان الاعتقاد، بيان العبارة، بيان الكتاب.

#### 1- بيان الاعتبار:

وضح ابن وهب بيان الاعتبار بقوله «إن الأشياء تبين بذواتها لمن تبين، وتعبّر بمعانيها لمن اعتبر، وإن بعض بياها ظاهر، وبعضه باطن»<sup>(2)</sup>.

وقسمه إلى قسمين: ظاهر يدرك بالحس، وباطن يستدل عليه بالقياس حيث قال «إن الظاهر من ذلك ما أدرك بالحس كتبيننا حرارة النار، وبرودة الثلج على الملاقة لهما، ... والباطن ما غاب عن الحس، واختلفت العقول في إثباته، فالظاهر مستغن بظهوره عن الاستدلال عليه والاجتماع عليه لأنه لا خلاف له، والباطن هو المحتاج إلى أن يستدل عليه بضروب الاستدلال، ويعتبر بوجوه المقاييس والأشكال والطريق إلى علم باطن الأشياء في ذواتها والوقوف على أحكامها ومعانيها من جهتين: هما القياس والخبر»<sup>(3)</sup>، ويتفق هذا الوجه مع ما ذكره الجاحظ في أصناف الدلالات عن بيان النصفة أو الحال فالجمادات صامتة في نفسها ناطقة بظواهرها والكون بطبيعته وسمائه وأنهاره... صامت ولكنه معرب عن عظمة الخالق، فالدلالة لم تتم عن طريق اللغة ولكن بآليات غير لغوية معبرة.

#### 2- بيان الاعتقاد:

تحدث ابن وهب عن بيان الاعتقاد فقال «إن الأشياء إذا تبينت بذواتها للعقول، وترجمت عن معانيها للقلوب، وصار ما ينكشف للمتبين من حقيقتها معرفة وعلمًا مركوزين في نفسه وهذا

<sup>1</sup> - الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة والشعر، محمد العمري، ص: 84.

<sup>2</sup> - البرهان في وجوه البيان: ابن وهب، ص: 65.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 65.

البيان على ثلاثة أضرب: فمنه حق لا شبهة فيه، ومنه علم مشتببه يحتاج إلى تقويته بالاحتجاج فيه، ومنه باطل لا شك فيه»<sup>(1)</sup>.

واعتمد في تحليله لكل ضرب على الحجج والأدلة المنطقية مستحضرا تساؤلات المتلقي في محاولة منه لإقناعه وتبديد شكوكه حيث قال «فأما الحق الذي لا شبهة فيه، فهو علم اليقين، واليقين ما ظهر عن مقدمات قطعية، كظهور الحرارة للمتطبب عند توقد اللون، وسرعة النبض، واحمرار اللون»<sup>(2)</sup>، فاعتمد حجج قطعية للوصول إلى نتيجة ثابتة .

والنوع الثاني المشتبه «الذي يحتاج إلى التثبت فيه، وإقامة الحجة على صحته»<sup>(3)</sup>، فهو لا يقوم لوحده دون استدلال يدعمه، أما النوع الثالث فهو «الباطل الذي لا شبهة فيه فما ظهر عن مقدمات كاذبة مخالفة للطبيعة مضادة للعقل، أو جاء من أخبار الكاذبين الذين يخبرون بالبحال، وما يخالف العرف والعادة»<sup>(4)</sup>.

وتدل تلك التفريعات والتقسيمات على تأثر ابن وهب بالمنطق الأرسطي فوظفه بما يخدم نظريته وفكره، دون أن يبالغ في ذلك تجنباً للغموض والتكلف الذي قد يبعده عن القصد؛ إذ تقاطع هذا النوع مع دلالة النصبة عند الجاحظ .

### 3- بيان العبارة:

ذكر ابن وهب بيان العبارة فقال هو «البيان بالقول، فهو العبارة، وقد قلنا: إنه يختلف باختلاف اللغات وإن كانت الأشياء المبين عنها غير مختلفة في ذواتها، وإن منه ظاهراً وإن منه باطناً، وأن الظاهر منه غير محتاج إلى تفسيره، وإن الباطن هو المحتاج إلى تفسيره وهو الذي يتوصل إليه بالقياس والنظر والاستدلال والخبر»<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> - البرهان في وجوه البيان: ابن قتيبة، ص: 86.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 86.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 86-87.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 88.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص: 92.

ويتمثل هذا الضرب في قدرة المتكلم على التعبير عن أفكاره والإفصاح عما في نفسه بواسطة الكلام؛ لذا لا بد له من امتلاك آليات ومهارات لغوية تمكنه من بلوغ المراد؛ إذ ورد هذا الصنف من البيان عند الجاحظ تحت عنوان دلالة اللفظ.

#### 4- بيان بالكتاب:

بين ابن وهب أن بيان العبارة مقصور على الشاهد دون الغائب وأن نفعه محصور في فئة دون غيرها، ولو اتخذه العرب وسيلة للإبلاغ وتوصيل المعلومات لضاع علم كثير، لذا لا بد من الاعتماد على الكتابة لتقييد المعارف حيث عده «نعمة الله - عز وجل - على عباده فيما ألهمهم إياه من الكتابة، ودللنا على حكمته سبحانه في ذلك، وأنه أراد إتمام منافعهم وإيجاب الحجة عليهم، فإنه لولا الكتاب الذي قيد علينا أخبار من مضى من الرسل، ونقل إلينا ما أتوا به من الكتب لما قامت - لله سبحانه - حجة علينا إذ كنا لم نشاهدهم ولم نسمع حججهم، ولم نعاين آياتهم وانقرضت العلوم والروايات بانقراض أهلها ... ولذلك قيل: الكتاب أحد اللسانين لأنك إذا قرأت كتاباً كأنك قد سمعت لفظ صاحبه ... وقالوا: اللسان مقصور على الشاهد والقلم ينطق في الشاهد والغائب»<sup>(1)</sup>، وتتفق مع دلالة الخط عند الجاحظ.

استفاد ابن وهب من أصناف الدلالة عند الجاحظ (اللفظ، الخط، النصبة...) في صياغته للبيان، فوضع حدوده وأقسامه والتي تمثلت في: بيان الاعتبار، الاعتقاد، العبارة، والكتاب مبينا طريقة كل ضرب في إبانته للمعاني .

#### - البلاغة:

التمس ابن وهب الجمالية في اللغة بالإضافة إلى الوظيفة البلاغية لها ورسم حدود الكلام البليغ حيث عرف البلاغة بأنها « القول المحيط بالمعنى المقصود، مع اختيار الكلام، وحسن النظام، وفصاحة اللسان»<sup>(2)</sup>، وشرح هذا المفهوم المجمل بقوله « وإنما أضيف إلى الإحاطة بالمعنى اختيار الكلام، لأن العامي قد يحيط قوله بمعناه ... إلا أنه بكلام مردول من كلام أمثاله، فلا يكون موصوفاً بالبلاغة، وزدنا فصاحة اللسان لأن الأعجمي واللحان قد يبلغان مرادهما بقولهما فلا يكونان موصوفين

<sup>1</sup> - البرهان في وجوه البيان: ابن وهب ، ص: 255.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 129.

بالبلاغة، وزدنا حسن النظام لأنه قد يتكلم الفصيح بالكلام الحسن الآتي على المعنى، ولا يحسن ترتيب ألفاظه»<sup>(1)</sup>.

فقد كشف عن شروط التركيب البليغ والتي تجلت في أربعة عناصر: - الإحاطة بالمعنى، - اختيار الكلام: بتوظيف ألفاظ فصيحة بعيدة عن الغرابة والتكلف، - حسن النظام: مراعاة النظام النحوي وترتيب الألفاظ وفق المعاني، - فصاحة اللسان: السلامة من اللحن فليس كل من أبلغك قصده بليغ بل لابد من حسن التأليف وبراعة التصوير .

كما بين ابن وهب أن البلاغة لا تتجلى في استعمال الألفاظ الغريبة ولا في استغلاق المعاني والتكلف في الأساليب بل هي بلوغ المراد وتوصيل المعاني لقلب السامع من خلال إصابة المقدار في التراكيب فتكون الألفاظ مساوية للمعاني حيث قال «لا يظن أن البلاغة إنما هي الإغراب في اللفظ، والتعمق في المعنى فإن أصل الكلام الفصيح من الكلام ما أفصح عن المعنى والبليغ ما بلغ المراد ... ولذلك قال بعضهم في وصف البلاغة: هي أن يتساوى فيها اللفظ والمعنى، فلا يكون اللفظ أسبق إلى القلب من المعنى، ولا المعنى أسبق إلى القلب من اللفظ... لأن الكلام إنما وضع ليعرف به السامع مراد القائل»<sup>(2)</sup>.

ودعا لضرورة مراعاة المقام وأحوال المخاطبين ومستوياتهم حتى تتحقق الغاية التواصلية؛ إذ قال «ومن الصواب أن يعرف أوقات الكلام، وأوقات السكوت، وأقدار الألفاظ وأقدار المعاني، ومراتب القول، ومراتب المستمعين له، وحقوق المجالس، وحقوق المخاطبات فيها، فيعطى كل شيء من ذلك حقه»<sup>(3)</sup>، وهو ما أشار إليه علماء البلاغة قبله، فجعلوا لكل مقام مقالاً يعنى فيه بالظروف الخارجية للخطاب ونفسية المتلقي.

#### - الفصاحة :

تحدث ابن وهب عن فصاحة الألفاظ ولكنه لم يحدد شروطاً واضحة لها وإنما جعل من جزالة اللفظ وركاكته معياراً لفصاحته أو سخفه، وقام بالتمثيل لذلك فقال «وأما جزالة اللفظ فكقوله:

وَعَلَى عَدُوِّكَ يَا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ      رَصَدَانِ: ضَوْءُ الشَّمْسِ وَالْإِظْلَامُ  
فَإِذَا تَنَبَّهَ رُعْنُهُ وَإِذَا غَفَا      سَلَّتْ عَلَيْهِ سَيُوفُكَ الْأَخْلَامُ

<sup>1</sup> - البرهان في وجوه البيان: ابن وهب، ص: 129.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 163.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 207.

وأما سخافة اللفظ، وركاكته فمثل قول الآخر:

يَا عُتْبَ سَيِّدَتِي أَمَا لَكَ دَيْنٌ      حَتَّى مَتَى قَلْبِي لَدَيْكَ رَهِينٌ  
فَأَنَا الصَّبُورُ لِكُلِّ مَا حَمَلْتَنِي      وَأَنَا الشَّقِيُّ الْبَائِسُ الْمُسْكِينُ<sup>(1)</sup>

لم يقصر الفصاحة في الألفاظ بل شملت التراكيب أيضا حيث قال « وأما الفصيح من الكلام: فهو ما وافق لغة العرب، ولم يخرج عما عليه أهل الأدب، ولتصحيح ذلك وضع النحو، وجمعه وضعت الكتب في اللغة، وذكر المستعمل منها والشاذ والمهمّل، وحق من نشأ في العرب أن يستعمل الاقتداء بلغتهم، ولا يخرج عن جملة ألفاظهم، ولا يقنع من نفسه بمخالفتهم فيخطئوه ويلحنوه<sup>(2)</sup>، فجعل فصاحة الكلم مرتبطة باستعمال الكلمات المتداولة عند العرب وتجنب الغريب والمهمّل منها وما خالف لغتهم، إلى جانب التقيد بالقوانين النحوية مبينا أن الخروج عن مذهبهم يؤدي إلى ضعف في التأليف وتنافر في الألفاظ وتعقيد في المعاني .

#### - التقديم والتأخير:

أدرك ابن وهب التغيرات التي تحدث في التراكيب من تقديم في عناصر الجملة أو تأخير في الرتبة لهدف يتغيه المتكلم، مشيرا لكثرة ورود هذا الأسلوب في القرآن الكريم فقال « أما التقديم والتأخير فهو واضح لمن أراد أن يعرفه، وهو في القرآن الكريم كثير... »<sup>(3)</sup>.

وذكر شواهد قرآنية وبين موضع التقديم والتأخير كقوله عز وجل: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [ النحل: 73 ] قال ابن وهب « أراد ما لا يملك لهم رزقا من السموات والأرض ولا يستطيعون شيئا<sup>(4)</sup>، فقد التمس موطن التقديم والتأخير دون أن يوضح الغرض البلاغي من توظيفه ولا الفائدة الدلالية التي استدعت العدول عن النظام المعياري للجمل .

<sup>1</sup> - البرهان في وجوه البيان: ابن وهب، ص: 141.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 205.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 124.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 126.

### - الحذف:

تعديل العرب في تعابيرها عن الذكر إلى الحذف بغرض الإيجاز والاختصار فهي تختزل المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة معبرة ذات إيجاء، فقد عرفه ابن وهب بقوله « وأما الحذف: فإن العرب تستعمله للإيجاز والاختصار، والاكتفاء بيسير القول إذا كان المخاطب عالماً بمرادها فيه، وذلك كقول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [يس: 45] وسكت عن تمام الكلام لعلم المخاطب به، وكأن تقدير ذلك: وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم استكبروا وعتوا وتمادوا»<sup>(1)</sup>، ومثله أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: 10] قدر ابن وهب موضع الحذف في الآية فقال «حذف ما بعده لعلم المخاطب به، وإن كان التقدير: ولولا فضل الله عليكم ورحمته لعذبكم بما فعلتم»<sup>(2)</sup>.

### - الالتفات :

عُرف الالتفات عند ابن وهب بمصطلح الصرف حيث ذكره ومثله له بشواهد فقال « وأما الصرف: فإنهم يصرفون القول من المخاطب إلى الغائب ومن الواحد إلى الجماعة كقوله عز وجل ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: 22] وكقول الشاعر :

وَتِلْكَ الَّتِي لَا وَصَلَ إِلَّا وَصَالُهَا      وَلَا صُرْمَ إِلَّا مَا صَرَمَتْ يَضِيرُ<sup>(3)</sup>.

فقد اقترب من المفهوم البلاغي للالتفات المتمثل في تحويل الخطاب من التكلم إلى مخاطبة أو إلى الغيبة، وتجلى ذلك في الآية الكريمة حيث انتقل الكلام من مخاطبة (كنتم في الفلك) إلى الغيبة (جرين بهم)، أما الشاعر فقد صرف حديثه من الغيبة (لَا وَصَلَ إِلَّا وَصَالُهَا) إلى الخطاب (مَا صَرَمَتْ يَضِيرُ).

### - الفصل والوصل:

تحدث ابن وهب عن الفصل والوصل تحت عنوان القطع والعطف مبيناً كثرة وروده في القرآن الكريم الذي جاء وفق نهج العرب في كلامها وأساليبها المعهودة فقال « فهو واضح لمن أراد أن يعرفه،

<sup>1</sup> - البرهان في وجوه البيان: ابن وهب ، ص: 121.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 121.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 122.



وهو في القرآن كثير، ومنه مما قطع الكلام فيه، وأخذ في فن آخر من القول ثم عطف بتمام القول الأول عليه قوله عز وجل: ﴿حُزِمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعُمَّاتُكُمْ﴾ [النساء: 23]، ومثله ﴿حُزِمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ وَمَا أَهْلُ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذُكِّيتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكَ فِسْقٌ﴾ [المائدة: 04]، ثم قطع الكلام وأخذ في كلام آخر فقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، ثم رجع إلى الكلام الأول فقال: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: 04]»<sup>(1)</sup>.

حمل الفصل عند ابن وهب دلالة الانتقال من معنى إلى معنى آخر مغاير ثم العودة إلى المعنى الأول مجددا وضرب مثالا فقال «ومثل ذلك ما حكاه عن لقمان في وصيته لابنه إذ قال له: ﴿يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13-16] ثم قطع وأخذ في آخر فقال: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَذَا عَلَى وَهْنٍ﴾ إلى قوله: ﴿فَأَنْبَأْتُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ثم رجع إلى تمام القول في وصية لقمان فقال: ﴿يَبْنِي إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمُوتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ إلى آخر الآيات»<sup>(2)</sup>، فقد اختلفت نظرتيه للفصل والوصل عن نظرة البلاغيين المتمثلة في العطف بين الجملتين أو ترك العطف بينهما ؛ إذ حدد معناه بالانصراف من معنى إلى آخر ثم الرجوع إلى المعنى الأول لإتمامه.

#### - التشبيه:

يعتبر التشبيه من الوسائل التعبيرية التي تهدف للكشف عن المعاني بتركييب تصويرية بديعة من خلال إخراج الدلالة الخفية إلى الجلية فيزيد ذلك من وضوحها ورفعها ؛ إذ يعد مسلكا صعبا لا يدرك أسرار الجميع، وقد بين ابن وهب إعجابه بهذا الفن فقال «وأما التشبيه فمن أشرف كلام العرب، وفيه تكون الفطنة والبراعة»<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - البرهان في وجوه البيان: ابن وهب، ص: 124-125.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 125.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 107.

وقسم التشبيه إلى ظاهري ومعنوي حيث قال « والتشبيه ينقسم إلى قسمين: تشبيه الأشياء في ظواهرها وألوانها ومقدارها، كما شبهوا اللون بالخمرة، والقدر بالغصن، وكما شبه الله عز وجل النساء في رقة ألوانهن بالياقوت، وفي نقاء أبشارهن بالبيض قال الله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيَاضٌ مُّكْنُونٌ﴾ [الصفات:49]»<sup>(1)</sup>، فهذا النوع ظاهري إذ تمت المماثلة بين الأمور الحسية ( المشبه والمشبه به ) موضحا الصفة المشتركة بينهما .

أما الثاني فهو التشبيه المعنوي وشرحه بقوله « ومنه تشبيه المعاني كتشبيههم الشجاع بالأسد، والجواد بالبحر، والحسن الوجه بالبدر، وكما شبه الله عز وجل أعمال الكافرين في تلاشيها مع ضلالتهم أنها حاصلة لهم بالسراب الذي إذا دخله الظمآن الذي وعد نفسه به لم يجده شيئا، وكما شبه من لا يقنع بالموعظة بالأصم الذي لا يسمع ما يخاطب به، وشبه من ضل عن طريق الهدى بالأعمى الذي لا يبصر ما بين يديه، ومن هذا النوع من التشبيه قول الشاعر<sup>2</sup>:

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي      وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ<sup>(3)</sup>

عدد ابن وهب الصور التي يرد فيها طرفا التشبيه فقد يكون المشبه والمشبه به عقليين أو يكون المشبه حسيا والمشبه به عقليا أو تشبيه شيء معنوي بآخر حسي، كما قد يكون الطرفان منتزعين من متعدد مشكلين بذلك صورة موحية ذات دلالة، وهو تشبيه تمثيلي.

#### - الاستعارة :

يرى ابن وهب أن الاستعارة ضرب من المجاز وقد لجأ إليها العرب من باب التوسع « لأن ألفاظهم أكثر من معانيهم، وليس هذا في لسان غير لسانهم، فهم يعبرون عن المعنى الواحد بعبارات كثيرة، وربما كانت مفردة له، وربما كانت مشتركة بينه وبين غيره، وربما استعملوا بعض ذلك في موضع بعض على التوسع والمجاز»<sup>(4)</sup>، وكأنه يطوف بدلالاتها اللغوية من إعارة لفظ مكان آخر لضرورة دلالية مبينا تفرد اللغة العربية في إيراد المعنى الواحد بصيغ مختلفة .

<sup>1</sup> - البرهان في وجوه البيان: ابن وهب، ص: 108.

<sup>2</sup> - ديوان النابغة الذبياني، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ص: 38

<sup>3</sup> - المصدر السابق، ص: 108-109.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 115.

وساق أمثلة للاستعارة منها قوله تعالى ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَجَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مًسْتُورًا﴾ (45) وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴿ [الإسراء: 45-46]، حدد ابن وهب الاستعارة فقال « وذلك لأنهم كانوا عند تلاوة القرآن قد حجبوا قلوبهم عن فهمه، وصدفوا بأسماعهم عن تدبره، فجاز أن يقال على المجاز والاستعارة: إن الذي تلا ذلك عليهم جعلهم كذلك، والدليل، وأن حقيقة الأمر أنهم هم الفاعلون دون غيرهم»<sup>(1)</sup>، فالحق لا ينفذ إلى قلوبهم لأنهم لا يسمعون القرآن الكريم ولا يتدبرون معانيه فضلوا بذلك السبيل .

لم يكشف ابن وهب عن جمالية الاستعارة ولا عن غرضها البلاغي، كما أنه لم يحدد أطرافها وإنما اكتفى بالتمثيل لها، فلم تظهر لمسة الجاحظ والبلاغيين السابقين في هذا المبحث خاصة وأن بعضهم قد اقترب من دلالتها الاصطلاحية .

#### - التعريض:

درس ابن وهب التعريض وبين الأغراض البلاغية من استعماله، فالعدول عن التصريح إلى الكناية يكون لضرورة سياقية تخدم الدلالة حيث فقال «التعريض بالشيء من غير تصريح، أو الكناية عنه بغيره... والعرب تفعل ذلك لوجوه تستعمله في أوقات ومواطن؛ فمن ذلك ما استعملوه للتعظيم، أو التخفيف، أو للاستحياء، أو للبقايا، أو للانصاف أو الاحتراس»<sup>(2)</sup>.

وعمد لتفصيل كل غرض ممثلاً له بشواهد ومن ذلك إنكاره لفعل قبيح وذم صنيع صاحبه تعريضاً دون تصريح بذلك تجنباً لمواجهته فقال « فأما ما يستعمل من التعريض للإعظام، فهو أن يريد [مرید] تعريف ما فوقه قبيحاً إن فعله فيعرض له بذلك من فعل غيره، ويقبح له ما ظهر منه، فيكون قد قبح له ما أتاه من غيره أن يواجهه به، وفي ذلك يقول الشاعر:

أَلَا زُبَّ مَنْ أَطْبَبْتُ فِي دَمِّ غَيْرِهِ      لَدَيْهِ عَلَى فِعْلٍ أَنَا عَلَى عَمْدٍ  
لِيَعْلَمَ عِنْدَ الْفِكْرِ فِي ذَاكَ أَنَّ مَا      نَصِيحَتُهُ فِيمَا خَطَبْتُ بِهِ تَصْدَى<sup>(3)</sup>

<sup>1</sup> - البرهان في وجوه البيان: ابن وهب، ص: 116.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 109.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 109-110.

وقد يطلب المرء حاجته دون أن يفصح عنها ويستوجب هذا فهم المتلقي لمراده وإجابته لما ابتغاه وجعل ابن وهب ذلك تحت غرض التخفيف فقال «وأما التعريض للتخفيف: فهو أن يكون لك إلى رجل حاجة فتجيئه مسلما لا تذكر حاجتك فيكون ذلك اقتضاء له وتعريضا بمرادك منه، وفي ذلك يقول الشاعر:

أَرْوَحُ لَتَسْلِيمٍ عَلَيْكَ وَأُعْتَدِي وَحَسْبُكَ بِالتَّسْلِيمِ مِنِّي تَقَاضِيًا»<sup>(1)</sup>

وذكر غرضا آخر للتعريض تمثل في الاستحياء من التصريح باللفظ لنبوه فيستبدل بما يدل عليه كناية ويصيب بذلك قصده وهو ما عبر عنه بقوله «وأما التعريض للاستحياء فالكناية عن الحاجة بالنجو والعدرة والنجو: المكان المرتفع...، وبالعائط وهو الموضع الواسع فكنى عن الحاجة بالمواضع التي تقصد لوضعها فيها»<sup>(2)</sup>، فقد اقترب من الدلالة الاصطلاحية للكناية في ابتغاء المعنى الخفي من التركيب مع جواز إرادة المعنى الظاهري .

#### - الدرس البياني عند قدامة بن جعفر ( ت 337هـ ) :

رسم قدامة بن جعفر في كتابه " نقد الشعر " صورة شاملة لمفهوم الشعر وحدوده وضوابطه، واضعا بذلك المصطلحات والمسميات وفق منهج علمي دقيق، في محاولة منه لتخليص النقد من الفوضى التي اصطبغ بها؛ إذ أغرق في الذوقية والانطباعات الذاتية والأحكام العامة .

وجدد في مسار التأليف البلاغي من خلال المزج بين الثقافتين العربية واليونانية، فقد « كان قدامة أحد البلغاء الفصحاء والفلاسفة الفضلاء ومن يشار إليه في علم المنطق»<sup>(3)</sup>.

ويظهر تأثره بالفكر اليوناني في تبويبه وفهرسته للكتاب فجعله ثلاثة فصول تناول في الفصل الأول: مفهوم الشعر وبين أجزائه وتحدث في الفصل الثاني: معايير الجودة في الشعر، أما الفصل الثالث فدرس فيه عيوب الشعر منتهجا طريقة الفلاسفة وأهل المنطق.

<sup>1</sup> - البرهان في وجوه البيان: ابن وهب، ص: 110.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 110.

<sup>3</sup> - الفهرست، ابن النديم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د/ط، ت، ص: 188.

وأوضح الباعث على تأليفه للكتاب الذي تمثل في اهتمام العلماء ببعض أقسام الشعر كعروضه ووزنه وقوافيه ومقاطعته وغريبه ومعانيه، في حين أغفلوا دراسة قسم هام وهو تحليل جيد الشعر من رديئه، وفي ذلك يقول: «أما علم جيد الشعر من رديئه، فإن الناس يخطئون في ذلك منذ تفقهوا في العلم، فقليلًا ما يصيبون، ولما وجدت الأمر كذلك، وتبينت أن الكلام في هذا الأمر أخص بالشعر من سائر الأقسام الأخرى، وأن الناس قد قصدوا في وضع كتاب فيه، رأيت أن أتكلم في ذلك بما يبلغه الوسع». (1)

فقد اتبع قدامة منهجا علميا دقيقا حصر فيه المادة العلمية وضبط حدودها « فتأليف هذا الكتاب في ذاته هو بناء هيكل منطقي، تصوره قدامة بعقله المجرد وقد جرى قدامة هذا العقل الشكلي إلى نهاية شوطه، غير ناظر إلى حقائق الشعر ولا متقيد بها» (2)، مستبعدا بذلك الذوق الذي لا يخضع لضوابط صارمة ويختلف من متلقٍ لآخر .

واستنبط بذلك العديد من الفنون البلاغية ؛ إذ أضاف محسنات بدعية جديدة وغير مسميات محسنات أخرى، كما اشترك مع ابن المعتز في بعض الأنواع، وجعل البلاغة مجسدة في ألوان البديع التي يبلغ بها الجودة، فقال «وأحسن البلاغة: التصريح، والسجع، واتساق البناء، واعتدال الوزن، واشتقاق لفظ من لفظ، وعكس ما نظم من بناء وتلخيص العبارة بألفاظ مستعارة وإيراد الأقسام موفورة بالتمام، وتصحيح المقابلة بمعان متعادلة، وصحة التقسيم ... والمبالغة في الرصف بتكرير الوصف، وتكافؤ المعاني في المقابلة، والتوازي، وإرداف اللواحق، وتمثيل المعاني» (3)، حيث ربط جودة الشعر بمباحث البلاغة مركزا بذلك على المفردات والتراكيب مبينا مدى تألفها أو تنافرها، ومن القضايا البيانية التي عالجها:

#### - الفصاحة:

جعل قدامة بن جعفر الفصاحة في الألفاظ إذ ينبغي للفظ «أن يكون سمحا، سهل مخارج الحروف في موضعها، عليه رونق الفصاحة، مع الخلو من البشاعة» (4)، وتطرق لعيوب اللفظ التي تخرجه

1 - نقد الشعر، أبو الفرج قدامة بن جعفر، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د/ط، ت، 62.

2 - النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة، محمد مندور، نضرة مصر، القاهرة، د/ط، 1996، ص: 68.

3 - جواهر الألفاظ، أبو الفرج قدامة بن جعفر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص: 03.

4 - نقد الشعر: قدامة بن جعفر، ص: 74.

من دائرة الفصاحة وتغرقه في التكلف وتبعده عن القصد ومن ذلك «أن يكون ملحونا وجاريا على غير سبيل الإعراب واللغة، وقد تقدم من استقصى هذا الباب، وهم واضعو صناعة النحو، وأن يرتكب الشاعر فيه ما ليس يستعمل ولا يتكلم به إلا شاذاً، وذلك هو الحوشي الذي مدح عمر بن الخطاب زهيراً بجانبته له وتنكبه إياه فقال: كان لا يتتبع حوشي الكلام»<sup>(1)</sup>، فمن الفصاحة عدم مخالفة القواعد النحوية وتجنب الغريب من الألفاظ واعتماد المتداول من الكلام .

كما ذكر شرطاً آخر وهو اجتناب المعازلة في اللفظ بحيث يغدو الكلام متداخلاً يحمل في طياته لبساً، فإذا استوفت الألفاظ تلك الشروط وخلت من العيوب وسمت بالفصاحة وبلغت الغاية في تأدية المعاني المرادة .

عاج قدامة بن جعفر جملة من القضايا البيانية المندرجة تحت باب علم المعاني كالتميم والالتفات والمساواة والإشارة وهي أساليب يلجأ إليها الشاعر في إيراد المعاني حيث وضحاها ودعمها بالشواهد مبينا مواطن الجودة فيها .

#### - التتيم:

تناول العلماء التتيم إذ عُرف عند الجاحظ بمصطلح "إصابة المقدار" وسماه ابن المعتز بـ "الاعتراض"، في حين عرفه قدامة بقوله «هو أن يذكر الشاعر المعنى فلا يدع من الأحوال التي تتم بها صحته وتكمل معها جودته شيئاً إلا أتى به»<sup>(2)</sup>، وكأن المتكلم يستحضر تأويلات وتساؤلات المتلقي فيدفعه ذلك ليتيم كلامه بعبارة تحمل توضيحاً وتفسيراً لما سبق ذكره .

ومثل لذلك بقول طرفة<sup>3</sup>:

صَوَّبُ الرِّبْعِ وَدَيْمَةُ تَهْمِي

فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا

<sup>1</sup> - نقد الشعر: قدامة بن جعفر، ص: 172.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 144.

<sup>3</sup> - ديوان طرفة بن العبد، عبد الرحمن المصطاوي، حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص: 82.

وعلق عليه بقوله « قوله ( غير مفسدها ) إتمام لجودة ما قاله لأنه لو لم يقل غير مفسدها لعيب»<sup>(1)</sup>، فلو اكتفى الشاعر بقوله ( فسقى ديارك ) لفهم السامع أن المطر حمل الهلاك للديار ولكنه أتبع قوله بعبارة ( غير مفسدها ) لينفي هذا المعنى.

#### - الالتفات:

حمل الالتفات عند قدامة دلالة مغايرة لما تداوله البلاغيون السابقون له حيث عرفه بقوله «هو أن يكون الشاعر آخذا في معنى، فكأنه يعترضه إما شك فيه أو ظن بأن رادا يرد عليه قوله، أو سائلا يسأله عن سببه، فيعود راجعا إلى ما قدمه، فإما أن يذكر سببه أو يحل الشك فيه»<sup>(2)</sup>، وهذا المفهوم أقرب للاعتراض منه للدلالة الاصطلاحية للالتفات المتمثل في انصراف المتكلم من صيغة من الصيغ الثلاث إلى أخرى.

ومثل بقول الرماح بن ميادة:

فَلَا صَرْمُهُ يَبْدُو وَفِي الْبَأْسِ رَاحَةٌ      وَلَا وَصْلُهُ يَبْدُو لَنَا فَتُكَارِئُهُ

وعقب عليه بقوله « فكأنه [ وهو ] يقول: ( وفي البأس راحة ) التفت إلى المعنى لتقدير معارضا يقول له ما تصنع بصرمة ؟ فقال: لأن في البأس راحة»<sup>(3)</sup>، حيث تفتن الشاعر لسؤال افتراضي قد يطرحه المتلقي فأتبعه بجملة اعتراضية وضحت وأزالت الإبهام .

#### - المساواة :

اعتبرها قدامة ضربا من ائتلاف اللفظ مع المعنى وعرفها بقوله « هو أن يكون اللفظ مساويا للمعنى حتى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه »<sup>4</sup>، فهو أسلوب يعتمد على إيراد الألفاظ بقدر المعاني فلا إطناب ممل ولا إيجاز مخل.

<sup>1</sup> - نقد الشعر: قدامة بن جعفر، ص: 144.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 150.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 151.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 153.

وساق لها أمثلة منها « قول زهير<sup>1</sup> :

وَمَهْمَا يَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ      وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعَلِّمُ<sup>(2)</sup>

حاول الشاعر أن يبين أن طبيعة الإنسان وخصاله لا تخفى على الناس وإن اجتهد في إخفائها، واستعان للتعبير عن هذا المعنى بألفاظ مساوية له .

#### - الإشارة:

عرف الإعجاز عند قدامة بمصطلح الإشارة وحده «أن يكون اللفظ القليل مشتملا على معان كثيرة بإيحاء إليها أو لمحة تدل عليها»<sup>(3)</sup>، مشيرا إلى وصف البعض للبلاغة بالإعجاز وقدرة على اختلال المعاني في اللفظ اليسير .

ومثل لذلك بقول امرئ القيس<sup>4</sup> :

فَإِنْ تَهْلِكُ شَنْوَةٌ أَوْ تَبْدَلُ      فَسِيرِي إِنْ فِي غَسَّانٍ خَالًا  
لِعِزِّهِمْ عَزَزْتُ وَإِنْ يَذِلُّوا      فَذُلُّهُمْ أَنَالُكَ مَا أَنَالَا

وعلق على البيتين بقوله « فبينة هذا الشعر على أن ألفاظه في قصرها قد أشير بها إلى معان طوال، فمن ذلك قوله (تهلك أو تبدل)، ومنه قوله (إن في غسان خالا)، ومنه ما تحته معان كثيرة وشرح وهو قوله (أنالك ما أنالا)<sup>(5)</sup>، فجاءت عبارات موجزة ولكنها ضمت العديد من المعاني .

كما تناول القضايا المتعلقة بعلم البيان كالتشبيه والتمثيل والاستعارة والكناية ودعمها بشواهد استجلى من خلالها مواطن الجودة والقصور مبينا أثرها في خدمة المعاني وتصويرها بطريقة موحية ذات أبعاد فنية ومما عرضه:

<sup>1</sup> - ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح: حماد طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2005، ص: 70

<sup>2</sup> - نقد الشعر: قدامة بن جعفر، ص: 153.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 154-155.

<sup>4</sup> - ديوان امرئ القيس، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ص: 311

<sup>5</sup> - المصدر السابق، ص: 155.



- التشبيه:

أوضح قدامة حقيقة التشبيه ورسم حدوده مشيراً إلى أن أحسن التشبيهات ما اشترك فيه الشيئان (المشبه / والمشبّه به) في صفات وأوجه عديدة أكثر من تباينهما، وهو ما عبر عنه بقوله «إن الشيء لا يشبه بنفسه لا بغيره من كل الجهات إذ كان الشيئان إذا تشابها من جميع الوجوه ولم يقع بينهما تغاير البتة اتحداً، فصار الاثنان واحداً، فبقي أن يكون التشبيه إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معانٍ تعمهما، وتوصفان بها وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما بصفتها وإذا كان الأمر كذلك، فأحسن التشبيه هو ما وقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها حتى يدني بهما إلى حال الاتحاد».<sup>(1)</sup>

ووضع ضوابط للتشبيهات التي استحسناها وقسمها إلى ضرب فقال: «فمنها أن تجتمع تشبيهات كثيرة في بيت واحد وألفاظ يسيرة كما قال امرؤ القيس:

لَهُ أَيُّطَلَا ظِيٍّ وَسَاقًا نَعَامَةً      وَإِرْخَاءَ سَرَحَانٍ وَتَقْرِيْبُ تَثْقُلِ

فأتى بأربعة أشياء مشبهة بأربعة أشياء وذلك أن مخرج قوله: له أيطلا ظي إنما هو على أن له أيطلان كأيطلي الظبي وكذا ساقان كساقى نعامة وإرخاء السرحان وتقريب كتقريب التثفل»<sup>(2)</sup>، فقد استطاع الشاعر جمع تشبيهات عديدة في بيت واحدة مشكلاً بذلك صورة بديعة؛ إذ شبه أيطلا فرسه بأيطلا الظبي وساقيه بساقى النعامة وطريقة عدوه بالذئب وتقريبه بتقريب الثعلب .

والضرب الثاني فهو «أن يشبه شيء في تصرف أحواله بأشياء تشبهه في تلك الأحوال كما قال امرؤ القيس يصف الدرع في حال طيها<sup>3</sup> :

وَمَشْدُودَةَ السَّكِّ مَوْضُوءَةً      تَصَّاءُلُ فِي الطَّيِّ كَالْمِبْرَدِ

<sup>1</sup> - نقد الشعر: قدامة بن جعفر، ص: 124.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 127.

<sup>3</sup> - ديوان امرئ القيس، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ص: 187.

ثم وصفها في حال النشر في هذه الأبيات فقال:

تَفَيْضُ عَلَى الْمَرْءِ أَرْدَانَهَا      كَفَيْضِ الْأُتَى عَلَى الْجَدِيدِ<sup>(1)</sup>

شبه الشاعر الدرع في طيه وتداخل بعضه ببعض وصغر حجمه بالمبرد، أما في حالة بسطه فهو كالأرض ذات الحصى ممتدة الأطراف .

أما النوع الثالث فهو ابتداء الشاعر صورة تشبيهية تخالف النمط التعبيري للشعراء السابقين، مما يكسب المعاني رونقا وعدولا عن المألوف حيث قال « ومن أبواب التصرف في التشبيه أن يكون الشعراء قد لزموا طريقة واحدة من تشبيه شيء بشيء فيأتي الشاعر من تشبيهه بغير الطريق التي أخذ فيها عامة الشعراء، فمن أمثال ذلك أن أكثر الشعراء يشبهون الخوذ بالبيض كما قال سلامة بن جندل:

كَأَنَّ نَعَامًا بَاضَ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ      بَنَهِيَ الْقِدَافِ أَوْ بَنَهِيَ مُحَقِّقٍ

... وأكثر الشعراء يلتزمون هذا التشبيه فقال أبو شجاع الأزدي :

فَلَمْ أَرَ إِلَّا الْحِيلَ تَعْدُو كَأَنَّمَا      سَنُورَهَا فَوْقَ الرُّؤْسِ الْكُؤَاكِبِ<sup>(2)</sup>

عرض قدامة أضرب التشبيه عرضا علميا معللا عامل الاستحسان الذي لا يخضع للذوق ولا انطباع الشخصي، وإنما للمقدرة اللغوية الفذة التي تمكن الشاعر من إيراد تشبيه المستوفي الأركان يشخص الأحوال ويقرب المعنى البعيد ويبعث الجودة في التصوير .

<sup>1</sup> - نقد الشعر: قدامة بن جعفر، ص: 127-128.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 128-129.

- التمثيل :

جعل قدامة التمثيل من نعوت ائتلاف اللفظ والمعنى فقال «هو أن يريد الشاعر إشارة إلى معنى فيضع كلاما يدل على معنى آخر وذلك المعنى الآخر والكلام ينبئان عما أراد أن يشير إليه»<sup>(1)</sup>.

ومثل بقول الرماح بن ميادة:

أَلَمْ تَكُنْ فِي يُمْنِي يَدَيْكَ جَعَلْتَنِي      فَلَا تَجْعَلْنِي بَعْدَهَا فِي شِمَالِكَا  
وَلَوْ أَنِّي أَذْنَبْتُ مَا كُنْتُ هَالِكَا      عَلَى خَصْلَةٍ مِنْ صَالِحَاتِ مَهَالِكَا

وشرح الجانب التصوري في البيت فقال «فعدل أن يقول في البيت الأول أنه كان عنده مقدما فلا يؤخره أو مقربا فلا يبعده، أو مجتبي فلا يتجنبه إلى أن قال: إنه كان في يميني فلا يجعله في اليسرى، ذهابا نحو الأمر الذي قصد الإشارة إليه بلفظ ومعنى بجريان مجرى المثل له، والإبداع في المقالة»<sup>(2)</sup>، فقد أراد الشاعر أن يعبر عن معنى معين فلم يستعمل اللفظ الموضوع له بل استعان بلفظ يصلح أن يكون مثالا لما فيه من زيادة في المعنى؛ إذ حملت كلمة (اليمين) دلالة القرب وقوة العلاقة بينهما في تضمنت كلمة (الشمال) معنى البعد والجفاء، وكأنه يطالبه بأن لا يجعله مهانا بعدما كان مكروما ذا مكانة شريفة .

- الاستعارة :

ذكر قدامة الاستعارة في معرض حديثه عن المعازلة في الكلام فقال «هو أن يدخل بعضه فيما ليس من جنسه وما هو غير لائق به وما أعرف ذلك إلا فاحش الاستعارة»<sup>(3)</sup>، وساق أمثلة لها مبديا عدم استحسانه لتركيبها ونسيجها التصوري مخالفا بذلك آراء نقاد كثر ومن ذلك تمثيله بيت امرئ القيس<sup>4</sup>:

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَطَّي بِصُلْبِهِ      وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكَلْكَلٍ

<sup>1</sup> - نقد الشعر: قدامة بن جعفر، ص: 159-160.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 160.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 174.

<sup>4</sup> - ديوان امرئ القيس، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ص: 18.

ثم عقب عليه بقوله «فكأنه أراد أن هذا الليل في تطاوله كالذي يتمطى بصلبه لأن له صلبا وهذا مخرج لفظه إذا تَوَمَّل»<sup>(1)</sup>، فقد عاب هذا الأسلوب الاستعاري رغم أنه اعتبر من أروع الصور الشعرية .

#### - الإرداف:

لم يصرح قدامة بلفظ الكناية وإنما تحدث عن الإرداف الذي يعد صورة قريبة منها، وعرفه بقوله «هو أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى، بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له، فإذا دل على التابع أبان عن المتبوع»<sup>(2)</sup>.  
ومثل بشواهد شعرية منها قول الشاعر :

بَعِيدَةُ مَهْوَى الْقُرْطِ إِمَّا لَتَوْفَلِ      أَبْوَهَا وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ فَهَاشِمُ

وشرحه بقوله «وإنما أراد الشاعر أن يصف طول الجيد فلم يذكره بلفظه الخاص به، بل أتى بمعنى هو تابع لطول الجيد، وهو بعد مهوى القرط»<sup>(3)</sup>، فلم يصرح باللفظ وإنما كنى عنه بقوله ( بعيدة مهوى القرط) مشيرا بذلك للدلالة المقصودة .

كما أضفى قدامة على البديع صبغة جديدة امتزجت بالفلسفة والمنطق وقسمه إلى ضربين: لفظي ومعنوي، فوضع بذلك المصطلحات وجمع المادة العلمية مستدلا عليها بأشعار العرب والمأثور من كلامهم ؛ إذ يعد « أول من شرع للبديع شرعة الامتزاج بالفلسفة - ولاسيما المنطق - وقد بدا ذلك في صفحات كتابه ... كما أنه أول من لفت الأذهان إلى تقسيم ألوان البديع إلى لفظي وإلى معنوي وأما ثانيا: فكل ما في الكتاب من مصطلحات علم البديع عربي في روحه عربي في مادته ليس للثقافات الأجنبية أي يد فيه »<sup>(4)</sup>، ومن المحسنات البديعية التي درسها:

<sup>1</sup> - نقد الشعر: قدامة بن جعفر، ص: 175.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 157.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 157-158.

<sup>4</sup> - الصبغ البديعي في اللغة العربية، أحمد إبراهيم موسى، دار الكتاب العربي، القاهرة، د/ط، 1969، ص: 146.

- التكافؤ :

أطلق قدامة على الطباق اسم التكافؤ وعرفه بقوله « هو أن يصف الشاعر شيئاً أو يذمه ويتكلم فيه أي كان فيأتي بمعنيين متكافئين، والذي أريد بقولي متكافئين في هذا الموضع أي متقابلين إما من جهة المصادرة أو السلب والإيجاب أو غيرها من أقسام التقابل»<sup>1</sup>، وحاول تتبع هذا المحسن في أشعار العرب فقال «مثل قول أبي الشعب العبسي:

خُلُو الشَّمَائِلِ وَهُوَ مُرٌّ بِأَسْلٍ      يَحْمِي الذِّمَارَ صَبِيحَةَ الإِرْهَانِ

فقوله: (مر وحلو) تكافؤ»<sup>(2)</sup>، حيث جمع الشاعر بين معنيين متضادين بغرض إبانة المعنى وتمكين الخصال في الممدوح .

- المطابق والمجانس:

جعل قدامة المطابق والمجانس من صفات الشعر وأدرجهما في باب ائتلاف اللفظ والمعنى وحدد دلالتهم بقوله «ومعناها أن تكون في الشعر معان متغايرة قد اشتركت في لفظة واحدة وألفاظ متجانسة مشتقة، فأما المطابق: فهو ما يشترك في لفظة واحدة بعينها ... مثل قول الأفوه الأزدي:

وَأَقْطَعُ الْهَوَجْلَ مُسْتَأْنَسًا      يَهْوَجِلُ عِيدَانَةَ عَنْتَرِيْسٍ

لفظة الهوجل في هذا الشعر واحدة قد اشتركت في معنيين لأن الأول يعني الأرض، والثاني الناقة»<sup>(3)</sup>، فالمطابق في نظره ضرب من الجناس ويتمثل في اتفاق الكلمتين في اللفظ واختلافهما في المعنى.

<sup>1</sup> - نقد الشعر: قدامة بن جعفر، ص: 147-148.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 148.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 162-163.

أما المجانس فعرفه بقوله «أن تكون المعاني اشتراكهما في ألفاظ متجانسة على جهة الاشتقاق، كقول حيان بن ربيعة الطائي:

لَقَدْ عَلِمَ الْقَبَائِلُ أَنَّ قَوْمِي  
هُمْ حَدَّ إِذَا لَبَسَ الْحَدِيدُ»<sup>(1)</sup>.

ويتضح مما سبق تقسيم قدامة للجناس إلى ضربين: المطابق ما كان بين الجوامد والجناس وما ارتبط بالمشتقات .

أنهى قدامة فصول كتابه (نقد الشعر) مستوفيا بذلك غايته من التأليف وهي التماس المعايير التي تتم بها الجودة الشعرية؛ معتبرا الشعر صناعة فنية تستوجب الخضوع لمقاييس بلاغية بغية الوصول لدرجة التجويد والكمال وفق منهج علمي دقيق مزج فيه بين الثقافة العربية والفلسفة والمنطق مما مكنه من حصر المسائل ووضع التعاريف وتحديد المفاهيم؛ حيث بحث في وجوه الائتلاف بين العناصر الشعرية الأربعة: اللفظ، المعنى، الوزن، والقافية والعيوب التي قد تحيد بها عن الجمالية، فتناول بذلك العديد من القضايا البيانية كالفساحة والمساواة والإشارة والتشبيه ... إلى جانب تقسيمه للمحسنات البديعية للفظية والمعنوية فكان جهدا عظيما نحو التأسيس للدرس البلاغي استفاد منه البلاغيون المتأخرون .

#### - الدرس البياني عند أبي هلال العسكري ( ت 395هـ):

يعد كتاب " الصناعتين: الكتابة والشعر " لأبي هلال العسكري « أول محاولة لقراءة أعمال البلاغيين العرب الرواد قراءة شاملة تستهدف الخروج بصيغة عامة تجمع المتفرق»<sup>(2)</sup>، إذ سعى من خلاله إلى بيان أسس البلاغة ووجوه البيان بغية فهم إعجاز القرآن الكريم، فهو معجز «بما خصه الله من حسن التأليف، وبراعة التركيب، وما شحنه من الإيجاز البديع، والاختصار اللطيف، وضمنه من الحلاوة، وجلله من رونق الطلاوة، مع سهولة كلمه وجزالتها، وعذوبتها وسلاستها، إلى غير ذلك من

<sup>1</sup> - نقد الشعر: قدامة بن جعفر، ص: 163.

<sup>2</sup> - البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، محمد العمري، ص: 289.

محاسنه التي عجز الخلق عنها، وتحيرت عقولهم فيها»<sup>(1)</sup>، فجعل البلاغة وسيلة للوقوف على سر إعجازه.

كما سعى من خلال مؤلفه إلى تزويد الكتاب والشعراء بآليات تمكنهم من التمييز بين جيد الكلام وورديه، وتنمية ذائقتهم الأدبية بمعرفة أساليب اللغة وألفاظها البليغة ليصلوا من خلالها إلى جوهر البيان.

فقد كشف عن العديد من القضايا البيانية وفق تبويب ممنهج مستفيدا من جهود السابقين ومؤسسا لبعض الفنون في علم البديع، فمن المباحث التي ذكرها:

#### - البلاغة:

عرف أبو هلال العسكري البلاغة فقال «البلاغة: كل ما تبلغ به قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك، مع صورة مقبولة ومعرض حسن»<sup>(2)</sup>، فهو يشير إلى عناصر العملية التواصلية ودورها في تحقيق مقاصد الخطاب، وإحداث تأثير في نفوس المتلقين، من خلال ما يمتلكه المتكلم من مهارات اللغوية والبيانية تمكنه من الإيفاء بالمعاني وانتقاء الألفاظ المناسبة. وذكر في كتابه رأيين عن الفصاحة<sup>(3)</sup>:

الأول: إن الفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد وإن اختلف أصلاهما، لأن كل واحد منها إنما هو الإبانة عن المعنى والإظهار له.

الثاني: إن الفصاحة والبلاغة مختلفان ذلك أن الفصاحة تمام آلة البيان فهي تتعلق باللفظ، لأن الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى، والبلاغة إنما هي إنهاء المعنى إلى القلب فكأنها مقصورة على المعنى.

فهناك اعتبارات للفصاحة لما تتضمنه من الآلة المتعلقة بإقامة الحروف ومراعاة التآلف بينها، إذ لا يمكن اعتبار الألفج والتمتام فصيحين للنقصان الذي اعتري نطقهما، كما لا يمكن اعتبار كل مقيم

<sup>1</sup> - الصناعتين: أبو هلال العسكري، ص: 7.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 16.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 13-14.

للحروف بليغا بل لا بد من إحكامه للصياغة اللفظية من جزالة اللفظ وجودة السبك، والقدرة على الإيفاء بالمعاني.

#### - الإيجاز:

اعتبر أبو هلال العسكري الإيجاز: « قصور البلاغة على الحقيقة، وما تجاوز مقدار الحاجة فهو فضل داخل في باب الهذر والخلط، وهما من أعظم أدواء الكلام، وفيهما دلالة على بخل صاحبه الصناعة»<sup>(1)</sup>، فيكون إيراد استجابة لمقتضيات المقام، وقسمه إلى قسمين: إيجاز قصر وإيجاز حذف.

فإيجاز القصر عنده « تقليل الألفاظ وتكثير المعاني وهو قول الله عز وجل ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [ البقرة: 179 ] »<sup>(2)</sup>، ويبيّن فضلها على قولهم ( القتل أنفى للقتل) بما لا يخرج عما قاله الرماني.

ومثل بقوله تعالى ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾ [ الأنعام: 82 ]، قال « دخل تحت الأمن جميع المحبوبات، لأنه نفى به أن يخافوا شيئا أصلا من الفقر والموت، وزوال النعمة والجور، وغير ذلك من أصناف المكاره، فلا ترى كلمة أجمع من هذه»<sup>(3)</sup>، أما إيجاز الحذف فقد وضع وجوهه من حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، أو حذف الفعل، أو حذف جواب اختصارا لعلم المخاطب به، ونقل ذلك بشواهد عن ابن قتيبة وأضاف أمثلة أخرى.

#### - المساواة:

عرف المساواة بقوله « هي أن تكون المعاني بقدر الألفاظ والألفاظ بقدر المعاني لا يزيد بعضها على بعض وهو المذهب المتوسط بين الإيجاز والإطناب، وإليه أشار القائل بقوله: كأن ألفاظه قوالب لمعانيه، أي لا يزيد بعضها على بعض»<sup>(4)</sup>، ومثل لها بقوله تعالى ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾

<sup>1</sup> - الصناعتين: أبو هلال العسكري ، ص: 179.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 181.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 182.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 185.



[الرحمن: 72]، ويظهر من تعريفه تأثره الكبير بقدامة بن جعفر، فهما من أعمدة المدرسة الأدبية في البلاغة.

#### - الإطناب:

وضح أبو هلال الفرق بين الإطناب والتطويل قال « الإطناب بلاغة، والتطويل عيٌّ؛ لأن التطويل بمنزلة سلوك ما يبعد جهلا بما قرب، والإطناب بمنزلة سلوك طريق بعيد نزه يحتوي على زيادة فائدة»<sup>(1)</sup>، فليس الإيجاز بمحمود في كل موضع؛ إذ هناك مواضع تستوجب الإطناب لما يحمله من خصائص التوكيد وإقرار الحقائق وتثبيتها في أذهان المتلقين، فهو محمود في المواعظ، والخطب التي تعقد للصلح بين العشائر، وفي المديح الذي فيه تفصيل وبيان لخصال المدح.

وقد التمس الأغراض التي يفيدها ومنها التوكيد ومثل له بقوله تعالى ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (3) ثم كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿ [ التكاثر: 3-4].

وتكرر قوله تعالى ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ في سورة الرحمن، وفسره «بأنه عدد فيها نعماء وأذكر عباده آلاءه، ونبههم على قدرها، وقدرته عليها، ولطفه فيها، وجعلها فاصلة بين كل نعمة ليعرف موضع ما أسداه إليهم منها»<sup>(2)</sup>، فدلائل قدرته تعالى ووحدانيته تجلت في نعمه التي سخرها للعباد، لذا جاء التكرار منبها على عظم الآيات، داعيا إلى شكر المنعم عز وجل، وتأكيذا على أحقيته تعالى بالعبادة.

#### - التشبيه:

عقد أبو هلال العسكري للتشبيه فصلا كاملا، وعرفه بأنه « الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه، ناب التشبيه منابه أو لم ينب»<sup>(3)</sup>، ويبيّن جماليته في إكساب المعنى وضوحا وتأكيذا، لذا كثر تردد صورته في مستويات التعبير الشعرية والنثرية، واتسعت دائرة وروده في

<sup>1</sup> - الصناعتين: أبو هلال العسكري، ص: 197.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 200.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 245.

الخطاب الأدبي الإنساني، فهو وسيلة تصويرية يستعين بها العرب والعجم في تقريب المعاني وتجسيدها في صورة تستمد قوتها من الخيال.

وجعل أجود التشبيه وأبلغه ما يقع على أربعة أوجه<sup>(1)</sup>:

الأول: إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة، وهو قول عز وجل ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوا كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: 39]، فأخرج ما لا يحس إلى ما يحس، والمعنى الذي يجمعهما بطلان المتهوم مع شدة الحاجة وعظم الفاقة.

الثاني: إخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة، كقوله تعالى ﴿وَإِذْ تَقَنَّا الْجِبِلَ فَوَقَّهْمُ كَانَهُ ظِلَّةٌ﴾ [الأعراف: 171]، والمعنى الجامع بين المشبه والمشبه به الانتفاع بالصورة.

الثالث: إخراج ما لا يعرف بالبدية إلى ما يعرف بها، فمن هذا قوله عز وجل ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [آل عمران: 133]، والجامع بين الأمرين العظم؛ والفائدة فيه التشويق إلى الجنة بحسن الصفة.

الرابع: إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ماله قوة فيها، كقوله عز وجل تعالى ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ [الرحمن: 24]، والجامع بين الأمرين العظم، والفائدة البيان عن القدرة في تسخير الأجسام العظام في أعظم ما يكون من الماء.

ونجد هذا التقسيم نفسه عند الرماني، وامتازت تحليلاتهما للصورة التشبيهية بالوقوف على وجه الشبه الذي يمثل الصفة المشتركة بين المشبه والمشبه به، مما يدفع المتلقي إلى التماس جمالية هذا التصوير والمعاني المدرجة ضمنه.

#### - الاستعارة:

أدرج العسكري الاستعارة ضمن أبواب البديع، وعرفها بأنها «نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض إما يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه، أو

<sup>1</sup> - الصناعتين: أبو هلال العسكري، ص: 246-247-248.

تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه»<sup>(1)</sup>، فهو يشترط وجود مسوغ لنقل عبارة عن موضعها إلى استعمال آخر بما يحقق زيادة الفائدة وإلا كانت الحقيقة أولى استعمالاً، فقد جعل الاستعارة المصيبة التي تتضمن الأوصاف السابقة (الإبانة، التأكيد والمبالغة، وحسن المعرض)، إلى جانب أنه أكثر إيضاحاً لأغراض الاستعارة من غيره، بما يعد إضافة للبحث البياني.

ومثل للاستعارة بقوله تعالى ﴿وَأَقْدِمُهُمْ هَوَاءً﴾ [إبراهيم: 43]، قال «أي لا تعي شيئاً؛ لأن المكان إذا كان خالياً فهو هواء حتى يشغله شيء، وقولك: هذا أوجز من قولك: لا تعي شيئاً، فلا يجازيه فضل الحقيقة»<sup>(2)</sup>، فيه تصوير لمشهد فرع الكافرين يوم القيامة، وهم مسرعون لإجابة الداعي، وقلوبهم خالية يتركها الخوف ولا تستوعب ما حدث.

#### - ابن رشيق القيرواني (ت 456هـ):

عنى ابن رشيق في مصنفه (العمدة في صناعة الشعر ونقده) بفن الشعر، فبسط الحديث عن بنيته وأوزانه وقوافيه مقرناً ذلك بالبلاغة وفنونها لما تحدثه من جودة في التراكيب، فكان جامعاً لآراء سابقيه عن صناعة الشعر ووسائله البيانية، فشكل بذلك محطة مهمة في التأليف البلاغي، جسدت ما وصل إليه علم البلاغة حتى عصر المؤلف، وهو ما ذهب إليه شوقي ضيف بأن «قيمة العمدة في تاريخ البلاغة ترجع إلى دقة جمعه لآراء المتقابلة في فنونها المختلفة»<sup>(3)</sup>، وهو ما ينم عن سعة اطلاعه وبصره بالشعر وفنون القول البليغ، إذ يرد كل تأليف بنظم مخصوص يستجيب لمقتضيات المقام، ومن القضايا البيانية التي ذكرها:

- **البلاغة:** أفرد ابن رشيق للبلاغة باباً ذكر فيه بعض التعريفات المبثوثة في كتاب البيان والتبيين للجاحظ مضيفاً إليها آراء قيلت من بعده، حيث قال «وقيل لأحدهم: ما البلاغة؟ فقال:

<sup>1</sup> - الصنائع: أبو هلال العسكري، ص: 274.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 275.

<sup>3</sup> - البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، ص: 152.

إصابة المعنى وحسن الإيجاز»<sup>(1)</sup>، فهي قدرة المتكلم على التعبير عن مقصده بلفظ يسير دون إخلال بدلالة أو تعقيد في نظم.

وذكر تعريفًا آخر للبلاغة قال « وقيل: البلاغة حسن العبارة مع صحة المعاني»<sup>(2)</sup>، فلا بد من تحقيق التآلف بين الألفاظ والمعاني ووضع كل لفظة موضعها الفني المقصود حتى يستقيم النظم .

ونقل قول عبد الله بن مُحمَّد بن جميل المعروف بالباحث « البلاغة الفهم والإفهام وكشف المعاني بالكلام، ومعرفة الإعراب، والاتساع في اللفظ، والسداد في النظم، والمعرفة بالقصد، والبيان في الأداء، وصواب الإشارة، والمعرفة بالقول، والاكتفاء بالاختصار عن الإكثار، وإمضاء العزم على حكومة الاختيار»<sup>(3)</sup>، وكأنه جمع في قوله الأسس التي تقوم عليها البلاغة من اختيار الألفاظ المناسبة للمعاني، ومراعاة رتبها داخل النظم والعلاقة النحوية القائمة بين الكلمات، والتعبير عن المعاني الكثيرة باللفظ اليسير، فإذا اتحدت هذه العناصر تحققت غاية البلاغة في الفهم والإفهام .

#### - الإيجاز:

تبع ابن رشيق الرماني في نظريته للإيجاز والذي جعله على ضريين « مطابق لفظه معناه: لا يزيد عليه، ولا ينقص عنه، كقولك ( سل أهل القرية)، ومنه ما فيه حذف للاستغناء عنه في ذلك الموضع، كقوله عز وجل ﴿وَسَلِّ الْقُرْيَةَ﴾ [يوسف: 82]»<sup>(4)</sup>، فالإيجاز عنده يقوم على التعبير عن المعنى الكثير باللفظ اليسير.

وشرع ابن رشيق يفصل ويستدل بالأمثلة على كل ضرب، وذكر أن أهل الصناعة يسمون الضرب الأول: المساواة ومثل له بقول الشاعر:

|                                            |                                              |
|--------------------------------------------|----------------------------------------------|
| يَا أَيُّهَا الْمُتَحَلِّي غَيْرَ شِمَمِهِ | إِنَّ التَّخْلُقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخُلُقُ  |
| وَلَا يُؤَاتِيكَ فِيمَا نَابَ مِنْ حَدَثٍ  | إِلَّا أَخْوَتَقَةٍ فَانْظُرْ بِمَنْ تَتَّقُ |

<sup>1</sup> - العمدة: ابن رشيق القيرواني، ج 1 / 242.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1 / 244.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 1 / 247.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 1 / 250.

وعلق عليه بقوله: «فهذا شعر لا يزيد لفظه على معناه، ولا معناه على لفظه شيئا»<sup>(1)</sup>، والملاحظ من هذا القول اعتباره للمساواة ضربا من الإيجاز ولكنهما في الأصل متباينان، لأن المساواة موافقة المعاني للألفاظ فلا يزيد بعضها على بعض، أما الإيجاز فهو التعبير عن الكثير من المعاني بألفاظ قليلة.

أما الضرب الثاني فيسمونه الاكتفاء وهو يندرج ضمن المجاز حيث «يحذفون بعض الكلام لدلالة الباقي على الذاهب، من ذلك قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ الْمَوْتُ﴾ [الرعد: 21]، كأنه قال: لكان هذا القرآن، ومثله قولهم: لو رأيت عليا بين الصفين، أي: رأيت أمرا عظيما، وإنما كان معدودا من أنواع البلاغة؛ لأن نفس السامع تتسع في الظن والحساب، وكل معلوم فهو هين، لكونه محصورا»<sup>(2)</sup>، فالمقصود به إيجاز الحذف الذي يتم بإسقاط عنصر من عناصر الجملة لدلالة قرينة الحال أو السياق عليه، فيكون حذفه طلبا للاختصار، أو تحريكا لمخيلة المتلقي في تقدير المحذوف ليفتح بذلك باب التأويل، أو يرد لخدمة غرض آخر يتغيه المتكلم.

#### - البيان:

نقل عن الرماني تعريفه للبيان فقال «الكشف عن المعنى حتى تدركه النفس من غير عقلة، وإنما قيل ذلك لأنه قد يأتي التعقيد في الكلام الذي يدل، ولا يستحق اسم البيان»<sup>(3)</sup>، فهو يقوم على إظهار المعاني الخفية بألفاظ منتقاة تتسم بحسن الوقع، والبعد عن التكلف، فتؤدي المعنى المراد الموافق لمقتضى الحال.

ومن الشواهد التي أوردها قول أبي بكر رضي الله عنه في بعض مقاماته (وليت أموركم ولست بخيركم، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت [الله] فلا طاعة لي عليكم)، وعلق عليه ابن رشيق بقوله «فقد بلغ بهذه الألفاظ الموجزة غاية البيان»<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - العمدة: ابن رشيق القيرواني، ج1/250.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج1/251.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج1/254.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج1/256.

### - النظم:

ذكر ابن رشيق قول الجاحظ « أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغا واحدا، وسبك سبكا واحدا؛ فهو يجري على اللسان كما يجري على الدهان»<sup>(1)</sup>، وفيه إشارة إلى حسن التأليف الذي يقوم على مناسبة الألفاظ للمعاني، وسلامتها من تنافر الحروف والتعقيد والغرابة فتنتظم الألفاظ وفق نسق خاص يراعى فيه مقتضيات المقام.

ووضح أن التقديم والتأخير لا يرد اعتباطا في النظم، بل لابد من مسوغ يميز للألفاظ تغيير مواقعها وإلا حدث فساد ولبس في التركيب، قال « ومن الشعراء من يضع كل لفظة موضعها لا يعدوه؛ فيكون كلامه ظاهرا غير مشكل، وسهلا غير متكلف، ومنهم من يقدم ويؤخر: إما لضرورة وزن، أو قافية وهو أعذر، وإما ليدل على أنه يعلم تصريف الكلام، ويقدر على تعقيده، وهذا هر العيُّ بعينه، وكذلك استعمال الغرائب والشذوذ التي يقل مثلها في الكلام، فقد عيب على من لا تعلق به التهمة»<sup>(2)</sup>.

ومثل بقول الشاعر:

نُقْلِقُ هَامًا لَمْ تَنْلُهُ أَكْفُنَا      بِأَسْيَافِنَا هَامَ الْمُلُوكِ الْقَمَاقِمِ

شرحه بقوله «أراد: نفلق بأسيافنا هام الملوك القماقم، ثم نبه وقرر فقال: هاما لم تنله أكفنا، يريد أي قوم لم نملكهم ونقهرهم، وهذا عند الصدور المذكورين بالعلم تكلف وتعمل، لا تعرفه العرب المطبوعين»<sup>(3)</sup>.

### - المجاز:

المجاز من الأساليب المعهودة في كلام العرب، وهو أبلغ من الحقيقة وأحسن وقعا في النفوس إذا عبر به عن المعاني المطلوبة، ومفهومه عند ابن رشيق « أن يسمى الشيء باسم ما قاربه أو كان منه بسبب»<sup>(4)</sup>، ومثل له بقول جرير بن عطية:

<sup>1</sup> - العمدة: ابن رشيق القيرواني، ج1/257.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج1/260.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج1/260.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج1/266.

إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضٍ قَوْمٌ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا

قال: «أراد المطر لقربه من السماء، ويجوز أن تريد بالسماء السحاب؛ لأن كل ما أظلك فهو سماء، وقال ( سقط ) يريد سقوط المطر الذي فيه، وقال ( رعيناه ) والمطر لا يرعى، ولكن أراد النبات الذي يكون عنه؛ فهذا كله مجاز»<sup>(1)</sup>، فهو مجاز مرسل علاقته سببية، فالضمير في قوله ( رعيناه ) يدل على الأثر الناتج عن المطر وهو النبات.

#### - التشبيه:

عرف ابن رشيق التشبيه بأنه « صفة الشيء بما قاربه وشاكله، من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته؛ لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه»<sup>(2)</sup>، فهو يقوم على المقاربة بين شيئين في صفة أو أكثر؛ إذ يكون الوصف في المشبه به أقوى منه في المشبه، ووضح جمالية التشبيه ودوره في إخراج المعنى الخفي إلى الجلي، وتقريب المعاني إلى الأذهان، وإكساب التراكيب فنية ورونقا.

وأورد تقسيم الرماني للتشبيه قال « التشبيه على ضربين والأصل واحد: فأحدهما التقدير، والآخر التحقيق؛ فالذي يأتي على التقدير التشبيه من وجه واحد دون وجه، والذي يأتي على التحقيق التشبيه على الإطلاق، وهو التشبيه بالنفس، مثل تشبيه الغراب بالغراب»<sup>(3)</sup>.

ومن الأمثلة التي ذكرها قول امرئ القيس:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا لَدَى وَكْرِهِا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي

قال «فشبه شيئين بشيئين في بيت واحد، واتبعه الشعراء في ذلك»<sup>4</sup>، فقد وصف وكر العقاب وكثرة صيدها للطيور، فشبه الرطب من قلوب الطير الذي تغذي به فراخها بالعناب، واليابس منها بالحشف البالي.

<sup>1</sup> - العمدة: ابن رشيق القيرواني، ج1/266.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج1/286.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج1/287.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج1/290.

- الاستعارة:

جعل ابن رشيق الاستعارة من أبواب البديع ومن محاسن الكلام إذا احتلت مكانها المناسب في التركيب، ووضح مفهومها بذكر آراء الأعلام السابقين؛ إذ نقل عن القاضي الجرجاني قوله «الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصلي، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها، وملاكها بقرب التشبيه، ومناسبة المستعار للمستعار له، وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة، ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر»<sup>1</sup>، ففيه إشارة إلى العلاقة القائمة بين المستعار منه والمستعار له، وهي: علاقة المشابهة.

وذكر تعريف الرماني «الاستعارة استعمال العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة»<sup>(2)</sup>، فالغرض من استعمال لفظ في غير موضعه، هو الإبانة وتوضيح المعاني، التي عجزت الحقيقة عن تجليتها.

وقدم أمثلة للاستعارة من القرآن الكريم ومن ذلك قوله تعالى ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ﴾ [الحاقة: 11]، وقوله عز وجل ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْفَصْبُ﴾ [الأعراف: 154]، وقوله تعالى ﴿إِذَا الْقُتُوبُ فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ (7) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [الملك: 7-8]، فاعتبر الشهيق والغيط استعارتان<sup>(3)</sup>، فكتفى بالإشارة للاستعارة دون بيان جماليتهما أو تحديد عناصرها.

- الدرس البياني عند ابن سنان الخفاجي (ت 466هـ):

عنى ابن سنان بالفصاحة والبلاغة موضحا معالمهما، مجليا حقيقة البلاغة وما ينطوي فيها من صور بيانية وفنون تعبيرية تركز على اللفظ الفصيح والنظم البديع، حيث ارتبطت الفصاحة عنده بالظهور والبيان، أما البلاغة فلم يضع تعريفا لها، وإنما وضح حدود التمايز بينها وبين الفصاحة فقال «والفرق بين الفصاحة والبلاغة، أن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ، والبلاغة لا تكون إلا وصفا للألفاظ مع المعاني، لا يقال في كلمة واحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثلها بليغة، وإن قيل

<sup>1</sup> - العمدة: ابن رشيق القيرواني، ج 1/270.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1/271.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 1/275.



فيها فصيحة، وكل كلام بليغ فصيح، وليس كل فصيح بليغا»<sup>(1)</sup>، حيث حصر الفصاحة في الألفاظ والبلاغة في المعاني والألفاظ، وبذلك تكون الفصاحة شطر البلاغة، فقلوه (كل كلام بليغ فصيح وليس كل فصيح بليغا) يؤكد أن سلامة الألفاظ في النطق وغيرها من الشروط لا يرتقي بها إلى دائرة البلاغة، بل لابد من اختيار الألفاظ المناسبة ونظمها وفق نسق معين يراعى فيه مقتضيات المقام.

وفصل في شروط الفصاحة في اللفظ المفرد والتأليف المركب، فشروط اللفظة الفصيحة: أن تتألف اللفظة من حروف متباعدة، ويكون وقعها حسنا، وأن لا تكون متوعدة وحشية، ولا ساقطة عامية، وأن تكون جارية على العرف العربي الصحيح غير شاذة، وأن لا يعبر بها عن معنى آخر مكروه، وأن تكون معتدلة غير كثيرة الحروف، وأن تكون الكلمة مصغرة في موضع عبر بها عن شيء لطيف أو خفي أو ما يجري مجرى ذلك.<sup>(2)</sup>

أما الشروط الخاصة بفصاحة المركب فهي: أن لا يكون في الكلام تقديم وتأخير يؤدي إلى إفساد معناه وإعرابه، وأن لا يكون الكلام مقلوبا فيفسد المعنى ويصرفه عن وجهه، وأن يكون حسن الاستعارة والكناية، وأن لا يقع فيه حشو ولا معازلة فيكون شديد المداخلة يركب بعضه بعضا، وأن لا يعبر عن المديح بالألفاظ المستعملة في الذم والعكس، وأن لا يستعمل في المنظوم والمنثور ألفاظ المتكلمين والنحويين والألفاظ التي يختص بها بعض المهن.<sup>(3)</sup>

فقد اهتم بالصوت من خلال دراسته للحروف ومخارجها بما يحقق التلاؤم عند التقائها، وباللفظة المفردة من ناحية بنيتها التركيبية والحروف المؤلفة لها موضعا شروط فصاحتها، ثم انتقل إلى التركيب وتألف الألفاظ داخل النسق محددًا ضوابط الكلام البليغ المحقق لمقاصد الخطاب.

وتناول ابن سنان في مصنفه جملة من الفنون البلاغية منها:

<sup>1</sup> - سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي: أبو محمد عبد الله بن محمد، تعليق: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر، د/ط، 1952، ص: 60.

<sup>2</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ص: 66-67-69-78-82-92-95-97.

<sup>3</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ص: 128، 170، 183، 192، 195، 199.

- التقديم والتأخير:

ذكر التقديم والتأخير عند حديثه عن شروط التأليف، مؤكداً على ضرورة وضع الألفاظ موضعها ومراعاة رتبها، تجنباً للبس وانغلاق المعاني قال «فمن وضع الألفاظ موضعها ألا يكون في الكلام تقديم وتأخير حتى يؤدي ذلك إلى فساد معناه وإعراجه في بعض المواضع، أو سلوك الضرورات حتى يفصل فيه بين ما يقبح فصله في لغة العرب كالصلة والموصول وما أشبهها»<sup>(1)</sup>، فلا يمكن العدول عن نظام بناء الجملة إلا لغرض بلاغي يتغيه الناظم بتقديم عنصر أو تأخير، فلا بد من مراعاة العلاقات النحوية بين الألفاظ لتجنب التعقيد.

ومن أمثلة التقديم والتأخير الذي يتنافى مع شروط صحة تأليف الكلام، قول الفرزدق في مدح إبراهيم بن إسماعيل خال هشام بن عبد الملك:

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُلْكًا      أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِئُهُ

وعلق عليه بقوله «ففي هذا البيت من التقديم والتأخير ما قد حال معناه وأفسد إعراجه؛ لأن مقصوده (وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملكا أبو أمه أبوه)، يعني هشاماً لأن أبا أمه أبو الممدوح»<sup>(2)</sup>.

- التشبيه:

عرف ابن سنان التشبيه بقوله «هو أن يقال أحد الشيئين مثل الآخر في بعض المعاني والصفات، ولن يجوز أن يكون أحد الشيئين مثل الآخر من جميع الوجوه، حتى لا يعقل بينهما تباين البتة»<sup>(3)</sup>، حيث اعتبر من صحة المعاني صحة التشبيه وجعله قسمين: تشبيه حسن: يشبه المشبه المشبه به في أكثر صفاته ومعانيه، والتشبيه الرديء: يشترك المشبه والمشبه به في صفات أقل.

والأصل في حسن التشبيه عنده أمران<sup>(4)</sup>:

<sup>1</sup> - سر الفصاحة: ابن سنان الخفاجي، ص: 125.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 125.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 290.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 290.

أولاً: أن يمثل الغائب الخفي الذي لا يعتاد بالظاهر المحسوس المعتاد، فيكون حسن هذا لأجل إيضاح المعنى وبيان المراد.

ثانياً: أن يمثل الشيء بما هو أعظم وأحسن وأبلغ منه، فيكون حسن ذلك لأجل الغلو والمبالغة.

ففي قوله بيان لجمالية التشبيه؛ وخصائصه التصويرية التي تسهم في بلورة المعاني من خلال تجلية الأشياء الخفية في صورة محسوسة شاخصة تتسم بالفنية والمبالغة التي تحرك مخيلة المتلقي وتدفعه للبحث عن المراد.

فقد مثل للضرب الأول (تشبيه الشيء الخفي بالظاهر المحسوس) بقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور : 39]، أما الضرب الثاني (تشبيه الشيء بما هو أعظم منه على وجه المبالغة) فمثاله قوله تعالى ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ [الرحمن : 24].<sup>(1)</sup>

#### - الاستعارة:

اعتبر ابن سنان الاستعارة من شروط فصاحة التأليف المركب، وعرفها بأنها «تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل والإبانة»<sup>(2)</sup>، مؤكداً أن الحقيقة هي الأصل وأن الاستعارة هي الفرع، فنقل معاني المفردات من معناها الأصلي إلى معان أخرى في تركيب لغوي معين يكون مقيداً بغرض الإبانة وتوضيح المعاني.

وقسم الاستعارة إلى قسمين: استعارة حسنة واستعارة قبيحة، قال «وهي على ضربين: قريب مختار، وبعيد مطرح، فالقريب المختار: ما كان بينه وبين ما استعير له تناسب قوي وشبه واضح، والبعيد مطرح: إما أن يكون لبعده مما استعير له في الأصل، أو لأجل أنه استعارة مبنية على استعارة، فتضعف لذلك، والقسمان معا يشملهما وصفي بالبعد»<sup>(3)</sup>، فهو يؤكد على وضوح الجامع (وجه الشبه) بين المستعار منه والمستعار له حتى تحقق الجمالية والفائدة الدلالية، فإن لم تكن صفة مشتركة قوية بينهما فسد النظم ووقع اللبس.

<sup>1</sup> - ينظر: سر الفصاحة: ابن سنان الخفاجي، ص: 291.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 134.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 136.

وحلل الأسلوب الاستعاري في قوله تعالى ﴿وَأَشْئَمَّ عَلَى الرَّأْسِ شَيْئًا﴾ [مريم : 04]، قال «استعارة: لأن الاشتعال للنار، ولم يوضع في أصل اللغة للشيب، فلما نقل إليه بان المعنى لما اكتسبه من التشبيه؛ لأن الشيب لما كان يأخذ في الرأس ويسعى فيه شيئاً فشيئاً حتى يحيله إلى غير لونه الأول، كان بمنزلة النار التي تشتعل في الخشب وتسري حتى تحيله إلى غير حاله المتقدمة»<sup>(1)</sup>، فاستعير لفظ (الاشتعال) من (النار) التي تمثل المستعار منه، (للشيب) وهو المستعار له، لوجود علاقة مشابهة بينهما تكمن في سرعة الانتشار، فالنار لا تبقى شيئاً إلا أحرقتة مثل الشيب الذي انتشر في جميع الرأس.

#### - الكناية:

تحدث ابن سنان عن الإرداف قال «ومن نعوت البلاغة والفصاحة أن تتراد الدلالة على المعنى، فلا يستعمل اللفظ الخاص الموضوع له في اللغة، بل يؤتى بلفظ يتبع ذلك المعنى ضرورة، فيكون في ذكر التابع دلالة على المتبوع، وهذا يسمى "الإرداف" و"التبعية" لأنه يؤتى فيه بلفظ هو ردف اللفظ المخصوص بذلك المعنى وتابعه»<sup>2</sup>، فالناظم لا يصرح عن المعنى المراد مباشرة باللفظ الموضوع له في اللغة، وإنما يشير إليه بألفاظ أخرى تحقيقاً لأغراض بلاغية معينة يستوجبها المقام.

وذكر أمثلة كثيرة منها قول عمر بن أبي ربيعة:

بَعِيدَةٌ مَهْوَى الْقُرْطِ إِمَّا لِنَوْفَلٍ      أَبُوهَا وَإِمَّا عَبْدِ شَمْسٍ وَهَاشِمٍ

وشرحها بقوله «إنما أراد أن يصف هذه المرأة بطول العنق، فلو عبر عن ذلك باللفظ الموضوع له لقال (طويلة العنق) فعدل عن ذلك، وأتى بلفظ يدل عليه وليس هو الموضوع له، فقال (بعيدة مهوى القرط) فعدل ببعد مهوى قرطها على طول الجيد، وكان في ذلك من المبالغة ما ليس من قوله (طويلة العنق)؛ لأن بعد مهوى القرط يدل على طول أكثر من الطول الذي يدل عليه (طويلة العنق)؛ لأن كل بعيدة مهوى القرط طويلة العنق وليس كل طويلة العنق بعيدة مهوى القرط، إذا كان

<sup>1</sup> - سر الفصاحة: ابن سنان الخفاجي، ص: 134.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 270.

طول في عنقها يسيرا»<sup>(1)</sup>، فلم يصرح بطول العنق مباشرة وإنما عبر عنه بالكناية لما تحمله من مبالغة في الوصف.

---

<sup>1</sup> - سر الفصاحة: ابن سنان الخفاجي، ص: 270-271.

المبحث الثاني : تجليات الدرس البياني عند علماء القرآن والإعجاز حتى نهاية القرن الخامس الهجري.

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين في بيئة بلغت الذروة في البيان والفصاحة، وتحداهم أن يأتوا بسورة من مثله، فعجزوا ليقينهم وإدراكهم أن نظمه وتصويره خارج عن حدود الطاقة الإنسانية، وأن أسلوبه مغاير لما عرفوه من أجناس الكلام وضروب القول، ولم يتكلموا في وجوه إعجازه لأن الدليل قائم في نفوسهم، ومع اتساع الرقعة الإسلامية وتعدد الثقافات، ونشاط الحركة العلمية وتدوين المصنفات، ظهرت أفكار مضادة وشبهات أثبتت من قبل الطاعنين للتشكيك في بيان القرآن، ما دفع العلماء للتصدي لتلك الموجات من خلال دراسة التعبير القرآني، والبحث في ألفاظه، ومعانيه، وتراكيبه، ودقة تصويره، في محاولة منهم لاستجلاء أسرار إعجازه، وكان أن اختلفت دراستهم الإعجازية، فهناك من حاول الجمع بين النظريات المختلفة التي قبلت قبله وسعى للتوفيق بينها، فند البعض وجوها وأثبت أخرى، في حين حظي الإعجاز البلاغي بإجماع الباحثين لوروده في جميع سور القرآن، وهو ما أكدته عائشة عبد الرحمن في قولها «اختلفت مذاهب السلف من علماء الإسلام في بيان الإعجاز، وتعددت أقوالهم في وجوهه، لكن إعجازه البلاغي لم يكن قط موضع خلاف، وإنما كان الجدل بين الفرق الإسلامية، في اعتباره الوجه في الإعجاز، أو القول بوجوه أخرى معه»<sup>(1)</sup>، فالبحث في قضية الإعجاز كان الباعث الرئيس في نشأة البلاغة وتدوين مباحثها، حيث عدت وسيلة للاستدلال الجمالية النظم «ذلك أن الناظرين في إعجاز القرآن إنما ينظرون في آيات معجزة.. معجزة.. ويشهدون أمرا لا يمكن أن يقع في مجال الفكر، ولا أن يضبط في قوالب المنطق وإنما هم - في مواجهة البيان القرآني - ينظرون في سماء تنزل منها عبقریات الفنون جميعها، وفرق كبير بين الحقائق العلمية، والحقائق الفنية»<sup>(2)</sup>، فبحث علماء البلاغة في جمالية التراكيب وما يعتريها من تقديم وتأخير، وذكر وحذف، وفصل ووصل... ساعين لالتماس غرضها البلاغي، كما درسوا الصور البيانية موضحين فنياتها وأثرها في تقوية المعاني، فغدت جهودهم لبنات أساسية أسهمت في بناء الصرح البلاغي وخطت به نحو التحديد وبلورة المصطلحات.

<sup>1</sup> - الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق دراسة قرآنية لغوية وبيانية، عائشة بنت الرحمن ( بنت الشاطي )، دار المعارف، القاهرة، ط3، د/ت، ص: 79.

<sup>2</sup> - إعجاز القرآن، الإعجاز في دراسات السابقين دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، ط1، 1974، ص: 155.

- الإعجاز القرآني عند الجاحظ ( ت 255هـ):

تحدث الجاحظ عن معجزة النبي - ﷺ - موضحاً أن المعجزة تكون من جنس ما برع فيه القوم ؛ إذ تفرد العرب بالفصاحة والبيان الذي مكنهم من نظم القصائد الطوال والخطب البديعة المنتقاة، فبعث الله عز وجل نبيا منهم يتلو عليهم آياته، ويهديهم طريق الحق وينذرهم عواقب غيهم وكفرهم ويقر لهم الشرائع، وأيده بمعجزة خالدة - القرآن الكريم - عجزوا عن الإتيان بمثله رغم براعتهم في القول..، يقول « وكذلك دهر محمد - ﷺ - كان أغلب الأمور عليهم، وأحسنها عندهم، وأجلها في صدورهم، حسن البيان، ونظم ضروب الكلام، مع علمهم له، وانفرادهم به، فحين استحكمت لفهمهم، وشاعت البلاغة فيهم، وكثر شعراؤهم، وفاق الناس خطباؤهم، بعثه الله عز وجل فتحدهم بما كانوا لا يشكون أنهم يقدرون على أكثر منه...».(1)

فالحجة كانت قاطعة كشفت عجز العرب عن التحدي ومعارضة القرآن الكريم ذلك « أن مُحمداً - ﷺ - مخصوص بعلامة لها في العقل موقع، كموقع فلق البحر من العين، وذلك قوله لقريش خاصة، وللعرب عامة، مع ما فيها من الشعراء والخطباء والبلغاء، والدهاة، والحلماء، وأصحاب الرأي والمكيدة، والتجارب، والنظر في العاقبة: إن عارضتموني بسورة واحدة فقد كذبت في دعواي، وصدقتهم في تكذبي»(2)، ولكنهم امتنعوا لعدم تمكنهم من محاكاة نظم القرآن وبلاغته ومعانيه، ليقينهم أنه الحق فجحداً بذلك وأعلنوا العداوة وخاضوا الحرب ضد النبي - ﷺ - ولو كان بمقدورهم لأجابوا التحدي وهم أرباب البيان ؛ إذ « لا يجوز أن يكون مثل العرب في كثرة عددهم، واختلاف عللهم، والكلام كلامهم، وهو سيد عملهم، فقد فاض بياهم، وجاشت به صدورهم، وغلبتهم قوتهم عليه عند أنفسهم حتى قالوا في الحيات والعقارب ... ولهم - بعد - أصناف النظم، وضروب التأليف، كالقصيد، والرجز، والمزدوج، والمتجانس ... فقد هجوه من كل جانب، وهاجى أصحابه شعراءهم، ونازعوا خطباءهم، وحاجوه في الموقف وخاصموه في المواسم، وبادوه العداوة، وناصبوه الحرب ».(3)

<sup>1</sup> - حجج النبوة ضمن رسائل الجاحظ، القسم الأول من الفصول المختارة في كتب الجاحظ، اختيار الإمام عبيد الله بن حسان، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1991، ج 279/3.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 273/3.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 273/3-274.

واشترط الجاحظ في الإعجاز وجود التحدي، وعلم المخاطب بالوصف المتحدى به واستدل على ذلك بالحجج العقلية حيث قال « ونحن - أبقاك الله - إذا ادعينا للعرب أصناف البلاغة من القصيد والأرجاز، ومن المنشور والأسجاع، ومن المزدوج وما لا يزدوج، فمعنا العلم على أن ذلك لهم شاهد صادق؛ من الديباجة الكرّمة، والرونق العجيب، والسبك والنحت الذي لا يستطيع أشعر الناس اليوم، ولا أرفعهم في البيان أن يقول مثل ذلك، إلا في اليسير والنبذ القليل»<sup>(1)</sup>، أدرك العرب بلاغة القرآن الكريم وهم أهل فصاحة ودراية بضروب الكلام فعجزوا عن التحدي، ليمتد ذلك بالتبع لمن بعدهم وقد فسد ذوقهم ومعرفتهم باللغة وأسرارها وأساليبها .

كما اهتم الجاحظ بأساليب القرآن الكريم ومعانيه وجمالية تراكيبه وألفاظه، وحاول الوقوف على أوجه إعجازه التي جعلها في وجهين: الأول إعجاز القرآن بنظمه والآخر إعجازه بالصرف.

فقد ألف كتابا لم يصلنا وهو "نظم القرآن" حيث أشار إليه في صدر كتابه الحيوان فقال بأنه «في الاحتجاج لنظم القرآن وغريب تأليفه وبديع تركيبه»<sup>(2)</sup>، ويقول عنه أيضا «ولي كتاب جمعت فيه آيا من القرآن، لتعرف بها فصل ما بين الإيجاز والحذف، وبين الزوائد والفضول والاستعارات فإذا قرأتها رأيت فضلها في الإيجاز والجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة»<sup>(3)</sup>.

فالباعث على تأليفه هو الرد على المنافقين الطاعنين في القرآن الكريم؛ والمنكرين لفصاحته مقرا بأن إعجاز القرآن يتجلى في بديع نظمه وأسلوبه فقال «وفي كتابنا المنزل الذي يدلنا على أنه صدق، نظمته البديع الذي لا يقدر على مثله العباد، مع ما سوى ذلك من الدلائل التي جاء بها»<sup>(4)</sup>.

ويؤكد الجاحظ في موضع آخر نزول القرآن بلسان العرب، وألفاظها ولكنه تفرد من ناحية النظم ما جعله مغايرا لما عهدته من كلام منظوم ومنثور حيث قال «ولو أراد أنطق الناس أن يؤلف من هذا الضرب سورة واحدة، طويلة أو قصيرة، على نظم القرآن وطبعه، وتأليفه ومخرجه لما قدر عليه ولو استعان بجميع قحطان ومعد بن عدنان»<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> - البيان والتبيين: الجاحظ، ج 29/3.

<sup>2</sup> - الحيوان، الجاحظ، ج 9/1.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 86/3.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 90/4.

<sup>5</sup> - حجج النبوة ضمن رسائل الجاحظ، ج 229/3.



فالنظم عند الجاحظ حمل دلالة واسعة؛ إذ يعد نسقا من الألفاظ المؤلفة ذات معاني محددة مقصودة، تهدف للكشف عن حقائق مترابطة وتشكيل صورة متكاملة، فقد احتج لبديع نظم القرآن الكريم بقوله «لأن رجلا من العرب لو قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة واحدة، طويلة أو قصيرة، لتبين له في نظامها ومخارجها، وفي لفظها وطبعها، أنه عاجز عن مثلها، ولو تحدى بها أبلغ العرب لظهر عجزه عنها»<sup>(1)</sup>، فهو يهتم بدقائق النظم من الألفاظ وبنيتها التركيبية من حيث سلامة حروفها من التنافر وبعد مخارجها وحسن إيقاعها وموقعها داخل العبارة ليتحقق بذلك الفهم والإبانة .

وعقد موازنة بين النص القرآني والنص الأدبي قال «وفرقت ما بين نظم القرآن وتأليفه، ونظم سائر الكلام وتأليفه، فليس يعرف فروق النظر واختلاف البحث إلا من عرف القصيد من الرجز، والمخمس من الأسجاع، والمزاج من المنشور والخطب من الرسائل، وحتى يعرف العجز الذي هو صفة الذات»<sup>(2)</sup>، فالكشف عن وجه الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم مقرون بمعرفة أساليب العرب ومذاهبها في القول .

كما اعتقد الجاحظ بإعجاز القرآن بالصرفة فقال « ومثل ذلك ما رفع من أوهام العرب، وصرف نفوسهم عن المعارضة للقرآن، بعد أن تحداهم الرسول بنظمه، ولذلك لم نجد أحدا طمع فيه، ولو طمع فيه لتكلفه، ولو تكلف بعضهم ذلك فجاء بأمر فيه أدنى شبهة لعظمت القضية على الأعراب وأشبه الأعراب، والنساء وأشبه النساء، ولألقى ذلك للمسلمين عملا، ولطلبوا المحاكمة والتراضي ببعض العرب، ولكثر القيل والقال »<sup>(3)</sup>.

ومما سبق ذكره يتضح جمع الجاحظ بين الوجهين: البلاغي والقول بالصرفة في دراسته للإعجاز القرآني، ولعل قوله بالصرفة نابع من تأثره بأستاذة النظام، ولكنه يقر بالنظم المعجز للقرآن ويستدل على ذلك بألفاظ القرآن ومعانيه، وتراكيبه وصوره البيانية، جاعلا من المعرفة بلغة العرب وأساليبها سبيلا لإدراك ذلك واستنباطه .

<sup>1</sup> - حجج النبوة ضمن رسائل الجاحظ، ج 229/3.

<sup>2</sup> - الرسالة العثمانية، الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر، ضمن رسائل الجاحظ السياسية، تقديم: علي أبو ملح، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط الأخيرة، 2002، ص: 137.

<sup>3</sup> - الحيوان: الجاحظ، ج 89/4.

- الإعجاز القرآني عند ابن قتيبة ( ت 276هـ):

عرض ابن قتيبة في كتابه " تأويل مشكل القرآن " للشبهات التي أثرت حول القرآن الكريم وقام بدحضها، وإقامة الحجة على قائلها، مبينا دوافعهم المبطنة واستغلالهم لأصحاب الإيمان الضعيف من العامة، ممن يجهلون أصول الدين وخصائص اللغة العربية وأساليبها التي أنزل بها القرآن، فقال « وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون، ولغوا فيه وهجروا ﴿ فَيَقُولُونَ مَا تَشَبَّهُ مِنْهُ أَبْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ [ آل عمران: 07]، بأفهام كليلية، وأبصار عليلية، ونظر مدخول، فحرفوا الكلم عن مواضعه، وعدلوه عن سبله، ثم قضوا عليه بالتناقض، والاستحالة في اللحن، وفساد النظم والاختلاف وأدلوا في ذلك بعلل ربما أمالت الضعيف الغمر، والحدث الغر، واعتزضت بالشبه في القلوب، وقدحت بالشكوك في الصدور». (1)

فالنص يبين أن الفئة التي اعترضت على القرآن هم جماعة من الملحدون، واعتمدوا في ذلك على التشابه وقاموا بتحريف العبارات القرآنية عن مواضعها، وعدلوا بها عن المسار الصحيح، مستنديين في ذلك إلى حجج ظاهرية واهية أفرزتها عقولهم القاصرة، ليؤثروا بها على الضعفاء من المسلمين، فحكموا على القرآن الكريم بالتناقض واللحن وفساد النظم والاختلاف، الأمر الذي دفع ابن قتيبة للتصدي لهم ونقض مزاعمهم فقال « فأحببت أن أنضح عن كتاب الله، وأرمي من ورائه بالحجج النيرة، والبراهين البينة، وأكشف للناس ما يلبسون، فألفت هذا الكتاب جامعا لتأويل مشكل القرآن، مستنبطا ذلك من التفسير بزيادة في الشرح والإيضاح، وحاملا ما أعلم فيه مقالا لإمام مطلع على لغات العرب؛ لأري المعاند موضع المجاز، وطريق الإمكان، من غير أن أحكم فيه برأي، أو أقضي عليه بتأويل، ولم يجز لي أن أنص بالإسناد إلى من له أصل التفسير، إذ كنت لم أقتصر على وحي القوم حتى كشفته...». (2)

وجعل إعجاز القرآن الكريم في نظمه وبلاغته وتأليفه المعجز، الذي فاق سائر النظم التي ألفتها العرب وتداولتها، وهو ما عبر عنه بقوله «... قطع منه بمعجز التأليف أطماع الكائدين، وأبانه بعجيب النظم عن حيل المتكلفين، وجعله متلوا لا يمل على طول التلاوة، ومسموعا لا تمجه الأذان،

<sup>1</sup> - تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، ص: 22.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 23.

وغضا لا يخلق على كثرة الرد، وعجيبا لا تنقضي عجائبه، ومفيدا لا تنقطع فوائده، ونسخ به سالف الكتب، وجمع الكثير من معانيه في القليل من ألفاظه»<sup>(1)</sup>، فكشف عن مميزات النظم القرآني المؤلف من الألفاظ ذات النسق الصوتي الفريد، وتراكيبه التصويرية البديعة، ومعانيه الخالدة ؛ إذ أنزله الله تعالى ناسخا لما قبله من الكتب السماوية وحفظه من التحريف والتبديل.. فأسرار النظم عند ابن قتيبة تجلت فيما يأتي:<sup>(2)</sup>

- ما فيه من الجمال التوقيعي الفريد والنسق الصوتي البديع، الناشئ من تقسيم الحركة والسكون فيه تقسيما عادلا، وهذا ما يشير إليه بقوله: "جعله متلوا لا يمل على طول التلاوة، وغضا مسموعا لا تمجه الأذان".

- ما فيه من معان خالدة، وما حواه من علوم خارجة عن متناول البشر وهذا هو معنى قوله "لا يخلق عن كثرة الرد، وعجيبا لا تنقضي عجائبه، ومفيدا لا تنقضي فوائده".

- ما فيه من المعاني البلاغية التي تعتمد على دقة التعبير وإجادة التصوير بأسلوب يثير الخيال، ويحفز العمل، وهذا واضح من كلامه عن الإيجاز والمجاز.

واشترط على من يخوض غمار تفسير القرآن الكريم، وتبين سر إعجازه وفضله العلم باللغة العربية وأساليبها ومذاهب القول والتعبير عند العرب فقال «فإنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره، واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خص الله به لغتها دون جميع اللغات؛ فإنه ليس في جميع الأمم أمة أوتيت من العارضة والبيان، واتساع المجال، ما أوتيته العرب خصيصاً من الله، لما أَرهصه في الرسول، وأراد من إقامة الدليل على نبوته بالكتاب، فجعله علمه، كما جعل علم كل نبي من المرسلين من أشبه الأمور بما في زمانه المبعوث فيه».<sup>(3)</sup>

<sup>1</sup> - تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، ص: 03.

<sup>2</sup> - القضايا البلاغية والأدبية واللغوية عند ابن قتيبة، لآلو ترجمان أحمد، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2019، ص: 52.

<sup>3</sup> - المصدر السابق، ص: 12.

حيث تميزت اللغة العربية بخصائص جعلتها تتفرد عن غيرها من اللغات، من ناحية بناء الألفاظ، وخاصة الإعراب، والاشتقاق، والشعر، والمجاز وغيرها من المميزات التي بسط ابن قتيبة القول فيها وشرحها كالآتي<sup>(1)</sup>:

- "ألفاظ العرب" مبنية على ثمانية وعشرين حرفاً وهي أقصى طوق اللسان وألفاظ جميع الأمم قاصرة عن ثمانية وعشرين.

- ولها "الإعراب" الذي جعله الله وشياً لكلامها، وحلية لنظامها، وفارقاً في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين، والمعنيين المختلفين .

- وقد يفرقون بحركة البناء في الحرف الواحد بين المعنيين نحو: (هُزَّأَ، وَهُزَّأَتْ) و(سُخِّرَ، وَسُخِّرَتْ) و(ضُحِكَ، وَضُحِكَ) و(خُدَّعَ، وَخُدَّعَتْ) .

- وقد يفرقون بين المعنيين المتقاربين بتغيير حرف في الكلمة حتى يكون تقارب ما بين اللفظين، كتقارب ما بين المعنيين مثل: النار إذا طفئت: هَامِدَةٌ فإن سكن الهمزة وبقي من جمرها شيء قيل: حَامِدَةٌ .

- وقد يكتنف الشيء معانٍ فيشتق لكل معنى منها اسم من اسم ذلك الشيء... ويقولون: وجدت الضالة ووجدت في الغضب، ووجدت في الحزن، ووجدت في الاستغناء ثم يجعلون الاسم في الضالة: (وُجِدًا) و(وَجِدَانًا) وفي الحزن (وَجْدًا) وفي الغضب (مَوْجِدَةً) وفي الاستغناء (وُجْدًا) .

وتميز العرب بفن الشعر ومقدرتهم التصويرية الفذة؛ إذ اتخذوا منه وسيلة للإعراب عن مشاعرهم وخواطرهم، وتقصيد أيامهم ووقائعهم، والفخر بأنسابهم وأمجادهم وتخليد مآثرهم، فغدا مرآة عاكسة للأوضاع السياسية والاجتماعية والفكرية السائدة آنذاك، وقد أدرك ابن قتيبة منزلة الشعر عندهم فقال « وللعرب الشعر الذي أقامه الله تعالى لها مقام الكتاب لغيرها وجعله لعلومها مستودعاً، ولآدابها حافظاً، ولأنسابها مقيداً، ولأخبارها ديواناً لا يرث على الدهر ولا يبيد على مر الزمان، وحرسه بالوزن، والقوافي وحسن النظم، وجودة التعبير من التدليس والتغيير، فمن أراد أن يحدث فيه شيئاً عسر ذلك عليه، ولم يخف له كما يخفى في الكلام المنشور»<sup>(2)</sup>، حيث يعتمد الشاعر في نظمه للقصيد على حسن

<sup>1</sup> - تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، ص: 14-15-16-17.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 17-18 .

اختيار الألفاظ وجودة إقامة الوزن والقوافي، والقدرة على اختزال المعاني الكثيرة في اللفظ اليسير، ومراعاة العلاقة القائمة بين الكلمات داخل التركيب، بغرض التعبير عن المقصود وتحقيق التواصل .

فالنظم القرآني بني على هذه الخصائص، ونزل بكل مذاهب العرب وأساليبها، لذا لا يمكن ترجمته مثل الكتب السماوية السابقة، وهو ما أكدّه ابن قتيبة بقوله «وبكل هذه المذاهب نزل القرآن؛ ولذلك لا يقدر أحد من التراجم، على أن ينقله إلى شيء من الألسنة، كما نقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرومية، وترجمت التوراة والزيور، وسائر كتب الله تعالى بالعربية؛ لأن العجم لم تتسع في المجاز اتساع العرب»<sup>(1)</sup>، فانتظام المعاني في صور مجازية جعل من ترجمة ألفاظها إلى لغات أخرى أمرا متعذرا، فنقلت المعاني دون الألفاظ.

ومثل ابن قتيبة بقوله تعالى: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ [الكهف: 11] قال «إن أردت أن تنقله بلفظه، لم يفهمه المنقول إليه، فإن قلت: أثمانهم سنين عددا، لكنت مترجما للمعنى دون اللفظ»<sup>(2)</sup>، فصورت الآية الكريمة عناية الله عز وجل بفتية أهل الكهف وحمايتهم من كيد وظلم قومهم، بأن ألقى النوم عليهم سنين عددا ومنع نفاذ الأصوات إلى آذانهم، كي لا يستيقظوا حتى يأذن الله لهم بذلك، وهو ما حملته الألفاظ ولو ترجمت إلى لغة أخرى لنقل معناها دون اللفظ .

وقارن بين الأسلوب القرآني وكلام العرب، ليقر بتفوق النظم القرآني وتفردّه، وقصور الشعراء والخطباء عن الإتيان بمثله، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: 179]، قال « يريد أن سافك الدم إذا أقيد منه ارتدع من كان يهيم بالقتل، فكان في القصاص حياة وهو قتل وأخذه الشاعر فقال:

أَبْلَغُ أَبَا مَالِكٍ عَنِّي مُغْلَغَلَةً      وَفِي الْعَتَابِ حَيَاةٌ بَيْنَ أَقْوَامِ

يريد أنهم إذا تعاتبوا أصلح ما بينهم العتاب فكفوا عن القتل، فكان في ذلك حياة»<sup>(3)</sup>، فبلاغة الآية القرآنية فاق التعبير الشعري؛ إذ حملت الآية دلالة القصاص المفضي للحياة، فالقاتل الذي يهيم بالقتل

<sup>1</sup> - تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، ص: 21.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 21.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 06.

ويعلم أن صنيعه سيهلكه ويؤدي به إلى حتفه، سيكف عن ذلك ويردع فتكون له الحياة ولغيره، ويسود الأمن المجتمع وتحفظ الأرواح، بينما يعلن الشاعر في بيته أن الأمن سائد بين القوم مادام العتاب موجودا فهم بخير، فإذا ارتفع العتاب من بينهم خبأت صدورهم الضغائن وأفصحت عنها ألسنتهم، فجاء قاصرا عن بلوغ المعنى القرآني .

وذكر أيضا قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْقَادِرُونَ﴾ [ المنافقون: 04 ]، فقال «فدل على جنبهم واستشرافهم لكل ناعر، ومرهج على الإسلام وأهله . وأخذ الشاعر - وأنى له هذا الاختصار - فقال:

### ولو أنها عصفورة لحسبتها مسومة تدعو عبيدا وأزما

يقول: لو طارت عصفورة لحسبتها من جنبك خيلا تدعو هاتين القبيلتين»<sup>(1)</sup>، فعبرت الآية الكريمة عن فزع المنافقين من كل صوت، وترقبهم الدائم مخافة أن يكشف الله أسرارهم وما تخفي صدورهم من كفر وتآمر ضد المسلمين، فحذر الله نبيه منهم وبين معاداتهم للإسلام، في حين صور الشاعر خوفه الشديد، فلو رأى عصفورة لاعتقد أنها من الخيل التي أعدت لحرب القبيلتين (عبيد وأزما)، ونلمح بلاغة النظم القرآني في تصوير الفزع، بينما لم يبلغ الشاعر الغاية في تصويره للمعنى المراد.

وأوضح ابن قتيبة مسألة التشابه التي أثارها الطاعنون في القرآن الكريم، الذين بحثوا الغاية والحكمة من إنزال الله عز وجل له وهو يريد لعباده الهدى والبيان، ليجيبهم بقوله «إن القرآن نزل بألفاظ العرب ومعانيها، ومذاهبها في الإيجاز والاختصار والإطالة والتوكيد والإشارة إلى الشيء، وإغماض بعض المعاني حتى لا يظهر عليه إلا اللقن، وإظهار بعضها، وضرب الأمثال لما خفي ولو كان القرآن كله ظاهرا مكشوبا حتى يستوي في معرفته العالم والجاهل، لبطل التفاضل بين الناس، وسقطت المحنة، وماتت الخواطر، ومع الكفاية يقع العجز والبلادة»<sup>(2)</sup>، وجود التشابه في القرآن الكريم يظهر التفاضل بين الناس، فلو كان كله محكما لما ظهر التمايز بين العالم والجاهل، فهو يدفع العلماء للبحث عن دقائق المعاني القرآنية، والتدبر فيها للكشف عن مراد الله عز وجل، والإصابة في تأويله فضل من الله يختص به من يشاء من عباده .

<sup>1</sup> - تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة ، ص: 08.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 86.

- الإعجاز القرآني عند الواسطي ( ت 306 هـ ) :

ومن الأعلام الذي ألفوا في الإعجاز مُحمَّد بن يزيد الواسطي، فقد وضع « كتابا في إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه، وهو كتاب قد اهتم به عبد القاهر الجرجاني، فشرحه شرحا كبيرا سماه (المعتضد) وشرحا أصغر منه»<sup>(1)</sup>، ورجح بعض الباحثين اطلاعه على كتب الجاحظ والاستفادة من أفكاره وخاصة كتابه (نظم القرآن)، فبنى عليه وبسط القول في الإعجاز، وهو ما اعتقده محمود مُحمَّد شاكر فقال «ولكن الذي لا ريب فيه أن أبا عبد الله الواسطي المعتزلي قرأ كتب الجاحظ، ولا سيما كتابه (نظم القرآن)، وهو أول ما أُلِفَ في معنى (إعجاز القرآن)، فكتب أبو عبد الله كتابا سماه (إعجاز القرآن)، وكانت لهذا الكتاب شهرة مستفيضة عند المتقدمين من أصحاب البلاغة، وكلهم اعتمد عليه فيما كتب فأنا أظن أنه هو أول من استخرج ما كان دانيا في كتب أبي عثمان وتجاوزه لسانه فولد لفظ (الإعجاز) و(إعجاز القرآن)، وأكثر من ذكرهما مقترنين بلفظ (التحدي)»<sup>(2)</sup>، ولكن الكتاب مفقود مما يجعل الحكم عليه واستجلاء آرائه البيانية أمرا غير ممكن .

- الإعجاز والبلاغة عند الرماني ( 384 هـ ):

كتب أبو الحسن علي بن عيسى الرماني رسالته "النكت في إعجاز القرآن" جوابا عن سؤال شخص طلب منه تفسير هذه النكت في إجمال دون التطويل بالحجاج؛ حيث دافع فيها عن القرآن الكريم وبين وجوه إعجازه وجعلها في سبعة أوجه مستفيدا في ذلك من آراء السابقين في الإعجاز ساعيا للتوفيق بينها، فقال «وجوه إعجاز القرآن تظهر في سبع جهات: ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة، والتحدي للكافة، والصرفة، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية، ونقض العادة، وقياسه بكل معجزة»<sup>(3)</sup>، ولم يلتزم الرماني في شرحه للوجوه بالترتيب المذكور، بل بدأ حديثه عن البلاغة وتوسع فيها محددا ماهيتها، وأقسامها ومثلا لها بالشواهد القرآنية، ومرد ذلك اهتمامه البالغ بها سعيا منه لبناء تصور شامل للبلاغة القرآنية، في حين اكتفى بذكر بقية الوجوه بصورة موجزة تعكس ما توافق عليه السابقون .

<sup>1</sup> - التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري، وليد قصاب، ص: 298.

<sup>2</sup> - مداخل إعجاز القرآن، أبو فهر محمود مُحمَّد شاكر، ص: 28.

<sup>3</sup> - النكت في إعجاز القرآن، الرماني: أبو الحسن علي بن عيسى، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: مُحمَّد خلف الله أحمد، مُحمَّد زغلول سلام، دار المعارف، مصر ط3، 1976، ص: 75.

فيرى أن القرآن معجز ببلاغته ونظمه ؛ فقد عرف البلاغة بأنها « إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ »<sup>(1)</sup>، حيث ركز في تعريفه على جانبين: فكرة إيصال المعنى والأثر النفسي المترتب عن ذلك، والثاني حسن الصياغة وبراعة التعبير؛ إذ لابد للمؤلف من مراعاتهما عند انشائه للكلام حتى يتمكن من مشاركة القارئ أفكاره وخواطره وأحاسيسه بنظم بليغ .

ونفى أن تكون البلاغة مجرد إفهام للمعنى أو تحقيق اللفظ على المعنى، معللا ذلك بقوله «لأنه قد يفهم المعنى متكلمان أحدهما بليغ، والآخر عيبى، ولا البلاغة أيضا بتحقيق اللفظ على المعنى، لأنه قد يحقق اللفظ على المعنى وهو غث مستكره ونافر متكلف»<sup>(2)</sup>، فهو يحدد معايير البلاغة ويربطها بحسن اختيار الألفاظ المناسبة للمعاني حتى تؤثر في نفوس المتلقين، ويرد بذلك على المنتصرين للفظ دون المعنى ويضعف رأيهم، مؤكدا أن البلاغة تقوم على حسن النظم والبعد عن التكلف، وليست مقصورة على الوظيفة النفعية فقط المتمثلة في الإفهام والإيصال ؛ لأنه جانب تشترك فيه سائر أنواع الكلام، وإنما البلاغة تهتم بالشقين الوظيفي النفعي والجمالي الفني المميز لها .

ونقل صاحب زهر الآداب عن الرماني قوله « البلاغة ما حط التكلف عنه، وبني عن التبيين، وكانت الفائدة أغلب عليه من القافية، بأن جمع مع ذلك سهولة المخرج، مع قرب المتناول، وعذوبة اللفظ مع رشاقة المعنى، وأن يكون حسن الابتداء كحسن الانتهاء، وحسن الوصل، كحسن القطع في المعنى والسمع، وكانت كل كلمة قد وقعت في حقها، إلى جنب أختها حتى لا يقال: لو كان كذا في موضع كذا لكان أولى وحتى لا يكون فيه لفظ مختلف ولا معنى مستكره»<sup>(3)</sup>، فالغرض من توظيف الأساليب البلاغية خدمة المعاني وتحقيق الفائدة الدلالية، من خلال المعرفة بأسرار اللغة وخصائصها: من مواضع الفصل والوصل، وحسن الابتداء، وتلاؤم الألفاظ داخل التركيب، ومراعاة القرائن السياقية، والبعد عن التكلف والغراب والصنعة اللفظية التي تخلف فسادا في النظم وتغرقه في التعقيد وتنحرف به عن مساره الصحيح .

1 - النكت في إعجاز القرآن، الرماني، ص: 75-76.

2 - المصدر نفسه، ص: 75.

3 - زهر الآداب وثمر الألباب: أبو إسحاق إبراهيم بن علي المصري القيرواني، تح: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط 1، 1953، ج 1 / 100.



كما قسم الرماني البلاغة إلى طبقات جاعلا بلاغة القرآن في أعلى طبقة، فقال «منها ما هو في أعلى طبقة، ومنها ما هو في أدنى طبقة، ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة، فما كان في أعلاها طبقة فهو معجز، وهو بلاغة القرآن، وما كان منها دون ذلك فهو ممكن، كبلاغة البلغاء من الناس ...»<sup>(1)</sup>، فاعتبر الأسس البلاغية للقرآن الكريم هي نفسها الأسس البلاغية لكلام البشر، مقسما البلاغة إلى طبقات: فبلاغة القرآن في الذروة وبلاغة البلغاء في الأواسط وبلاغة العامة من الناس في أدنى طبقة، وهذه خصيصة تفرد بها المعتزلة دون غيرهم من الفرق الإسلامية التي ترى بأن البلاغة القرآنية فائقة في وصفها سائر البلاغات ولا تنسب إلى المعهود من أساليب كلامهم .

وبعدما فرغ من تحديد مفهوم البلاغة وتبيان مستوياتها، قام بدراسة مفصلة لأقسامها باعتبارها وجهها من وجوه إعجاز القرآن الكريم؛ فقد حصرها في عشرة أقسام هي: الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمن، والمبالغة، وحسن البيان.<sup>(2)</sup>

وانتقد مؤلف تاريخ النقد الأدبي عند العرب هذا التقسيم لانتمائه لمصادر مختلفة، وعدم وجود أساس رابط للمباحث المذكورة، قال «إن هذه القسمة لأنواع البلاغة تنتمي إلى مصادر مختلفة، فبعضها في الصورة وبعضها في النظم وبعضها في المعنى، ومنها ما يتصل باللفظة الواحدة (كالفواصل)، ولاختلاف مصادرها كانت قسمة متداخلة غير منطقية».<sup>(3)</sup>

وإذا تأملنا في المصادر التالية ( الصورة، النظم، المعنى )، نجد أنها كلها تدخل في فلك البلاغة ولا يمكن أن يتحقق التمايز بين المباحث البلاغية، والعلم في طور النشأة، وهذا لا ينقص من الجهد العظيم الذي بذله الرماني في التأسيس للصرح البلاغي، حيث شرع في تفسير كل قسم من أقسام البلاغة، محددًا ماهيته ومستدلا له:

<sup>1</sup> - النكت في إعجاز القرآن: الرماني، ص: 75.

<sup>2</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ص: 76.

<sup>3</sup> - تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط 4، 1983، ص: 340.

- باب الإيجاز:

حاول رسم صورة متكاملة للإيجاز وقدمه على الفنون البلاغية، وعلل السبب في ذلك إلى «...فضيلته على سائر الكلام...وعلوه على غيره من أنواع البيان»<sup>(1)</sup>، فوضع له عدة تعاريف فهو «تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى، وإذا كان المعنى يمكن أن يعبر عنه بألفاظ كثيرة، ويمكن أن يعبر عنه بألفاظ قليلة، فالألفاظ القليلة إيجاز»<sup>(2)</sup>، وعرفه في موضع آخر بأنه «تهذيب الكلام بما يحسن به البيان، والإيجاز تصفية الألفاظ من الكدر وتخليصها من الدرن، والإيجاز البيان عن المعنى بأقل ما يمكن من الألفاظ والإيجاز إظهار المعنى الكثير باللفظ اليسير»<sup>(3)</sup>، فالإيجاز يقوم على اختزال العديد من المعاني في ألفاظ يسيرة، وحسن صياغة الجمل الموجزة المعبرة دون الإخلال بالمعاني، وعلق محمد أبو موسى على تعاريف الرماني للإيجاز بقوله « وكل هذا يؤكد في الإيجاز أمرين: الأول: الوفاء بالمعنى بدقائقه وخصوصياته ... الثاني: الاقتصاد في اللفظ، وهذا يعني البراعة في استخدام الكلمات القليلة وإدارتها في هيئة خاصة تفي فيها بالغرض، فعلى الأديب أن يتروى في اختيار الكلمة التي تصيب شاكلة المعنى ... ثم يتروى في صياغة الجملة ليثبت في هياتها، ويسكب في أعطافها قدرا كبيرا من معناه»<sup>(4)</sup>.

وقسم الرماني الإيجاز إلى قسمين: إيجاز حذف وإيجاز قصر «فالحذف إسقاط كلمة للاجتماع عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام»<sup>(5)</sup>، فهو يعتمد على إسقاط عنصر من عناصر الجملة وإقامة الدليل عليه، والدليل إما لفظي أو معنوي يدرك من سياق التركيب، فلا يجوز الحذف بغير دليل لما يترتب عن ذلك من إخلال في المعنى أو اللبس فيه .

فالحذف عنده شامل لكل أجزاء الجملة، ومن الأمثلة التي أوردها قوله «فمن الحذف ﴿وَسَلِّ الْقُرْآنَ﴾ [يوسف: 82]، ومنه ﴿وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ أَكْفَرًا﴾ [البقرة: 179]، ومنه ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: 01]، ومنه ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ [محمد: 21]»<sup>(6)</sup>، ولم يقدر الرماني المحذوفات

1 - النكت في إعجاز القرآن: الرماني، ص: 80.

2 - المصدر نفسه، ص: 76.

3 - المصدر نفسه، ص: 80.

4 - الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 2، 1997، ص: 90.

5 - المصدر السابق، ص: 76.

6 - المصدر نفسه، ص: 76.

لعلم المخاطب بها ولكثرة ورودها في كتب السابقين، ولكنه قدر المحذوف عند حذف الأجوبة فقال «وهو أبلغ من الذكر وما جاء منه في القرآن كثير لقوله جل ثناؤه: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتُ﴾ [الرعد: 31]، كأنه قيل: لكان هذا القرآن . ومنه ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: 73]، كأنه قيل: حصلوا على النعيم المقيم الذي لا يشوبه التنغيص والتكدير». (1)

وأشار إلى الأثر النفسي الذي يحدثه الحذف فقال «وإنما صار الحذف في مثل هذا أبلغ من الذكر لأن النفس تذهب فيه كل مذهب، ولو ذكر الجواب لقصر على الوجه الذي تضمنه البيان، فحذف الجواب في قولك: لو رأيت عليا بين الصفين، أبلغ من الذكر لما بيناه» (2)، فالأصل في بناء الجملة ذكر جميع عناصرها ول مقتضيات بلاغية يكون الحذف أبلغ من الذكر ل علم المخاطب بالمحذوف أو رغبة في الإيجاز، كما تظهر بلاغة الحذف في فتحها بابا للتأويل ؛ إذ تسمح للخيال بنسج العديد من التصورات والرؤى التي تذهب بالنفس كل مذهب، بينما يحصر المعنى عند ذكر المحذوف في الوجه الذي يريده المؤلف .

أما إيجاز القصر فحده « بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف » (3)، فهو أسلوب يعتمد تضمين المعاني الكثيرة في بنية لفظية قليلة، مما يستوجب فطنة ومهارة لغوية حتى تستوفي جميع الجزئيات فلا يضيع المعنى .

ويعتبر إيجاز القصر أشد غموضا وذلك « للحاجة إلى العلم بالمواضع التي يصلح فيها من المواضع التي لا يصلح » (4)، ومن الأمثلة التي استدلت بها قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَادُوا﴾ [المنافقون: 04] وقوله تعالى: ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ [الفتح: 21] (5)، لكنه لم يتطرق للمعاني الكثيرة التي تضمنتها الآيتان بتراكيب موجزة، فقد كشفت الآية الأولى عن فزع المنافقين من فضح أسرارهم، وما تخفيه صدورهم من عداوة للمسلمين وتآمر للنيل منهم، فهم في ترقب

1 - النكت في إعجاز القرآن: الرمانى، ص: 76-77.

2 - المصدر نفسه، ص: 77.

3 - المصدر نفسه، ص: 76.

4 - المصدر نفسه، ص: 77.

5 - ينظر: المصدر نفسه، ص: 77.

وخوف دائم، في حين بينت الآية الثانية المغانم التي وعد الله المسلمين بها ومكنهم من نيلها رغم صعوبتها فقد يسرها لهم ورزقهم من فضله ونعمه .

وأجرى موازنة بين قوله تعالى ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:179] وبين قول العرب: القتل أنفى للقتل، موضحا جمالية التعبير القرآني وإيجازه ومراعاته للعديد من خصائص الأسلوبية، فقال «وقد استحسّن الناس من الإيجاز قولهم: القتل أنفى للقتل، وبينه وبين لفظ القرآن تفاوت في البلاغة والإيجاز، وذلك يظهر في أربعة أوجه: إنه أكثر في الفائدة، وأوجز في العبارة وأبعد من الكلفة بتكرير الجملة، وأحسن تألفا بالحروف المتلائمة»<sup>(1)</sup>، ثم شرع في تفصيل وشرح كل وجه: أما الكثرة في الفائدة فحملت الآية معاني كثيرة، كإبانة العدل لذكر القصاص، وإبانة الغرض المرغوب فيه لذكر الحياة، والاستدعاء بالرغبة والرغبة لحكم الله به، أما البنية التركيبية لقولهم: (القتل أنفى للقتل) فتألفت من أربعة عشر حرفا، بينما يتألف قوله تعالى ﴿الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ من عشرة أحرف، وأما بعده من الكلفة بالتكرير الذي فيه مشقة على النفس ففي قولهم: (القتل أنفى للقتل) وقع التكرار الذي قصر في البلاغة، و أما الحسن بتأليف الحروف المتلائمة فتأتى ببعد مخارج الحروف؛ فإن الخروج من الفاء إلى اللام أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة لبعدها من اللام، وكذلك الخروج من الصاد إلى الحاء أعدل من الخروج من الألف إلى اللام، فباجتماع هذه الأمور المذكورة فاق الأسلوب القرآني من حيث البلاغة والحسن المثل العربي.<sup>(2)</sup>

والملاحظ في دراسة الرماني لهذا المبحث عدم توسعه في معالجة الإطناب؛ إنما حديثه عنه جاء عرضا؛ حينما ذكر الفرق بين الإيجاز والتقصير فقال «الإيجاز بلاغة، والتقصير عي كما أن الإطناب بلاغة والتطويل عي، والإيجاز لا إخلال فيه بالمعنى المدلول عليه، وليس كذلك التقصير، لأنه لا بد فيه من الإخلال، فأما الإطناب فإنما يكون في تفصيل المعنى وما يتعلق به في المواضع التي يحسن فيها ذكر التفصيل»<sup>(3)</sup>، فاعتبر الإطناب بلاغة لأنه يعتمد على تفصيل المعنى المجمل، والبحث في جزئياته، ومحاولة الإحاطة بجميع جوانبه، بالمقابل عد التطويل عيا لما فيه من إخلال بالمعنى .

<sup>1</sup> - النكت في إعجاز القرآن: الرماني، ص: 77.

<sup>2</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ص: 77-78.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 78-79.

ودعا لضرورة مراعاة المقام عند توظيف الإعجاز أو الإطناب فقال «... فإن لكل واحد من الإعجاز والإطناب موضعا يكون به أولى من الآخر، لأن الحاجة إليه أشد، والاهتمام به أعظم»<sup>(1)</sup>.

توسع الرماني في دراسته للإعجاز محددًا طبيعته وأقسامه وجماليته، وعده وسيلة بلاغية تظهر سر الإعجاز القرآني، الذي يظهر جليا عندما ينتظم الكلام.

#### - باب التشبيه:

عرف الرماني التشبيه بقوله «هو العقد على أن أحد الشئيين يسد مسد الآخر في حس أو عقل»<sup>(2)</sup>، حيث ربطه بالحس والعقل واشترط وجود صفة مشتركة بين المشبه والمشبه به، كما عده آلية تصويرية تظهر بلاغة الشعراء والبلغاء، ومقدرتهم الفنية التي تتباين فيصيب بعضهم المعنى ويكسبه حسنا وبيانا عجيبا، في حين يخفق الآخرون في بلوغ المراد، فيغدو تشبيها مستكرها متكلفا، أقحم في التركيب إقحامًا، بينما شده التشبيه القرآني فقام بتحليله وبيان جماليته وتفرد الذي جعله في أعلى طبقة من حيث البلاغة .

وقسم الرماني التشبيه باعتبار طرفيه إلى تشبيه حسي وآخر معنوي أو نفسي، فقال «التشبيه الحسي فكما بين وذهبين يقوم أحدهما مقام الآخر ونحوه، وأما التشبيه النفسي فنحو تشبيه قوة زيد بقوة عمرو، فالقوة لا تشاهد ولكنها تعلم»<sup>(3)</sup>، فالطرفان يسد أحدهما مكان الآخر في الحس أو العقل، أما التشبيه الذي يتكون من طرفين أحدهما معنوي والآخر حسي، فقد أشار إليه ضمنا في رسالته ومثل له بالكثير من الشواهد .

وليحقق التشبيه غايته في إخراج المعنى الخفي إلى الواضح، جعله على أربعة أوجه هي: <sup>(4)</sup>

- إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة نحو: تشبيه المعدم بالغائب.

- إخراج ما لم تجر به عادة إلى ما جرت به عادة، نحو: تشبيه البعث بعد الموت بالاستيقاظ بعد النوم .

<sup>1</sup> - النكت في إعجاز القرآن: الرماني، ص: 79.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 80.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 80-81.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 81.

- إخراج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة نحو: تشبيه إعادة الأجسام بإعادة الكتاب.

- إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة في الصفة نحو: تشبيه ضياء السراج بضياء النهار.

واستشهد الرماني لكل ضرب من التشبيه بأمثلة قرآنية، مما ينم عن مقدرته الفائقة على التحليل الفني، وامتلاكه للآليات اللغوية، والذوق الفريد، فمثل بقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: 39]، قال « فهذا بيان قد أخرج ما لا يقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة، وقد اجتمعا في بطلان المتهم مع شدة الحاجة وعظم الفاقة، ولو قيل يحسبه الرائي ماء ثم يظهر أنه على خلاف ما قدر لكان بليغا، وأبلغ منه لفظ القرآن، لأن الظمآن أشد حرصا عليه وتعلق قلب به، ثم بعد هذه الخيبة حصل على الحساب الذي يصيره إلى عذاب الأبد في النار»<sup>(1)</sup>، شبه المثل القرآني أعمال الكافرين بالسراب الذي يخيل للظمآن بأنه ماء، فالجامع بينهما هو خيبة المآل؛ فالكافر يظن أن سعيه وعمله في دنيا سينفعه يوم القيامة ولكنه يلقي العذاب، فحالته كالظمآن الذي يصور له عطشه أن السراب ماء، فإذا بلغه وجده غير ذلك وخاب توقعه، فوضح الرماني روعة التعبير القرآن ودقته في الاختيار بين البدائل المتعددة، حيث عبر بلفظ (الظمآن) الذي يعكس شدة حرص العطشان على الحصول على الماء وتعلق قلبه به، ولم يوظف لفظ (الرائي) الذي يقصر دلالة وبلاغة عن لفظ (الظمآن).

ومثل الرماني للنوع الثاني (إخراج ما لم تجر به عادة إلى ما جرت به عادة) بقوله تعالى ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ [يونس: 24]، قال « وهذا بيان قد أخرج ما لم تجر به عادة إلى ما قد جرت به وقد اجتمع المشبه والمشبه به في الزينة والبهجة ثم الهلاك بعده، وفي ذلك العبرة لمن اعتبر، والموعظة لمن تفكر في أن كل فان حقير وإن طال مدتة، وصغير وإن كبر قدره»<sup>(2)</sup>، فشبهت الحياة في سرعة انقضائها بالمطر الذي ينزل من السماء، فتشقق به الأرض ويخرج النبات مما يأكل الناس والأنعام، وتأخذ لونها الزاهي وتتجمل بالزهر المختلف، حتى إذا فرح أهلها بالزينة والبهجة أتاها الهلاك كأنه لم تكن من قبل، وفي هذا التشبيه موعظة وتذكير للناس بفناء الدنيا وزوالها فليست بمستقر دائم.

<sup>1</sup> - النكت في إعجاز القرآن: الرماني، ص: 82.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 83.

أما ( إخراج ما لا يعلم بالبدية إلى ما يعلم بالبدية )، فمثل له بقوله تعالى ﴿كَانَ هُمْ أَعْمَارًا مَخْلُوعًا﴾ [الحاقة: 07]، فقال « وهذا تشبيه قد أخرج ما لا يعلم بالبدية إلى ما يعلم، وقد اجتمعا في خلو الأجساد من الأرواح، وفي ذلك الاحتقار لكل شيء يؤول به الأمر إلى ذلك المآل»<sup>(1)</sup>، حيث اعتقد قوم عاد أن قوتهم البدنية وطول قامتهم تنجيهم من العذاب، فكفروا بالحق وكذبوا الرسول، وتكبروا وظلموا، فأرسل الله عليهم رياحا قوية دامت سبع ليال وثمانية أيام حسوما، استأصلتهم فلم تبق غير مساكنهم لتكون عبرة لمن بعدهم، فشبها بالنخل الخالية الجوف، ففيه احتقار للنهاية التي صيروا إليها .

ومثل للضرب الرابع ( إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة فيها ) بقوله تعالى ﴿وَالْجِبَالُ أَوَّلُ الْبُحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ [الرحمن: 24]، فقال « فهذا تشبيه قد أخرج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة فيها، وقد اجتمعا في العظم، إلا أن الجبال أعظم . وفي ذلك العبرة من جهة القدرة فيما سخر من الفلك الجارية مع عظمها، وما في ذلك من الانتفاع بها وقطع الأقطار البعيدة فيها»<sup>(2)</sup>، فشبهت السفن وهي تجري في البحار بالأعلام ( الجبال ) حيث اشتركا الطرفان في صفة واحدة وهي العظم.

ونخلص مما سبق إلى انتهاج الرماني نهجا جديدا في دراسته للتشبيه؛ إذ لم يتأثر بالسابقين ممن أفاضوا في التشبيه وأقسامه، وإنما عرض تصويره الخاص من خلال تعريفه له، وبيان أركانه: المشبه، والمشبه به، والجامع (وجه الشبه)، وإظهار الفائدة من توظيفه حيث ركز على فكرة خروج المشبه من الحالة التي عليها إلى صورة أكثر وضوحا، فبين خروج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه، وخروج ما لم تجر به عادة إلى ما جرت به، وخروج ما لا يعلم بالبدية إلى ما يعلم، وخروج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة في الصفة، ومثل لها بالعديد من الشواهد القرآنية، وقام بتحليلها والوقوف عند ووجه الشبه أي الصفة الجامعة بين الطرفين، كما اشترط لانعقاد التشبيه وجود أداة التشبيه ووجه الشبه، مؤكدا أن الغاية من إيراد التشبيه سياقية تخدم المعنى، لذا لا بد من الاهتمام بالصياغة فقال «فكيف إذا تضمن مع ذلك حسن النظم، وعذوبة اللفظ، وكثرة الفائدة، وصحة الدلالة»<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - النكت في إعجاز القرآن: الرماني، ص: 84.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 85.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 82.

- باب الاستعارة:

اعتبر الرماني الاستعارة قسيما للحقيقة، فعرّفها بأنها « تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة»<sup>(1)</sup>، حيث يتم نقل العبارة من معناها الحقيقي إلى المعنى المجازي بهدف البيان والإيضاح، فقد اكتفى بذكرها عن ذكر المجاز واقترب في ذلك من تعريف سابقه كالجاحظ وابن قتيبة « وزاد بأن بسط حيز الاستعارة فجعلها للعبارة لا الكلمة ولا الشيء، ثم رآها تحولاً معنوياً من المعنى اللغوي أو الأصلي إلى معنى آخر مجازي على جهة النقل»<sup>(2)</sup>.

وحدد الرماني أركان الاستعارة فقال «وكل استعارة فلا بد فيها من أشياء: مستعار ومستعار له، ومستعار منه، فاللفظ المستعار قد نقل عن أصل إلى فرع للبيان»<sup>(3)</sup>، فيستعان بالأسلوب الاستعاري للإبانة وتوضيح التعبير، عندما يعجز التعبير الحقيقي عن الإيفاء بالمعاني مما يضيفي الاستعارة بلاغة وحسناً «فكل استعارة حسنة فهي توجب بلاغة بيان لا تنوب منابه الحقيقة، وذلك أنه لو كانت تقوم مقامه الحقيقة، لكانت أولى به، ولم تجز الاستعارة، وكل استعارة فلا بد لها من حقيقة وهي أصل الدلالة على المعنى في اللغة، كقول امرئ القيس في صفة الفرس: (قيد الأوابد) والحقيقة فيه: مانع الأوابد، وقيد الأوابد أبلغ وأحسن»<sup>(4)</sup>، فلا تكون الاستعارة حسنة حتى تؤدي وظيفة البيان، لذا وظفها الشاعر في تعبيره ( قيد الأوابد ) وعدل عن التعبير الحقيقي (مانع الأوابد)، لأنه لا يؤدي الدلالة المقصودة ولا يفصح عن مراده .

ووضع حدوداً فاصلة بين التشبيه والاستعارة فقال « والفرق بين الاستعارة والتشبيه أن ما كان من التشبيه بأداة التشبيه في الكلام فهو على أصله، لم يغير عنه في الاستعمال، وليس كذلك الاستعارة؛ لأن مخرج الاستعارة مخرج ما العبارة ليست له في أصل اللغة»<sup>(5)</sup>، فهو يرجع الفرق بينهما إلى وجود أداة التشبيه في الأسلوب التشبيه بينما تحذف الأداة في الأسلوب الاستعاري، كما تستعمل

<sup>1</sup> - النكت في إعجاز القرآن: الرماني، ص: 85.

<sup>2</sup> - أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، محمد زغلول سلام، تقديم: محمد خلف الله أحمد، مكتبة الشباب، المنيرة، ط1، د/ت، ص: 239.

<sup>3</sup> - المصدر السابق، ص: 86.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 86.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص: 85-86.



العبارة على حقيقتها في التشبيه بينما تنقل العبارة في الاستعارة من معناها الموضوع لها في أصل اللغة إلى معنى آخر يقتضيه السياق.

عمد الرماني في تحليله للشواهد الاستعارية على ذكر الأصل الحقيقي للعبارة المستعارة، والموازنة بين التعبيرين (الحقيقي والمجازي)، فكشف عن الجامع بينهما ووضح بلاغة الاستعارة فقال « وكل استعارة بليغة فهي جمع بين شيئين بمعنى مشترك بينهما يكسب بيان أحدهما بالآخر كالتشبيه، إلا أنه بنقل الكلمة ».<sup>(1)</sup>

ومن الأمثلة التي أوردها قوله تعالى ﴿وَأَيُّةٌ لَهُمُ الْيَوْمَ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلَمُونَ﴾ [يس:37]، قال الرماني « نسلخ مستعار، وحقيقته: يخرج منه النهار والاستعارة أبلغ لأن السلخ إخراج الشيء مما لا بسه وعسر انتزاعه منه لالتحامه به »<sup>2</sup>، فالنظم البديع للاستعارة بين انحسار ضوء النهار عن الكون وخروجه تدريجياً، ليحل مكانه الظلام، ولبلوغ هذا المعنى استعير لفظ (السلخ) ليدل على صعوبة الفصل بينهما وشدة التحامهما .

ومثل أيضاً بقوله تعالى ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: 04]، فقال « أصل الاشتعال للنار وهو في هذا الموضع أبلغ وحقيقته كثرة شيب الرأس، إلا أن الكثرة لما كانت تتزايد تزايداً سريعاً صارت في الانتشار والإسراع كاشتعال النار ... وله موقع في البلاغة عجيب، وذلك أنه انتشر في الرأس انتشاراً لا يتلافى كاشتعال النار »<sup>(3)</sup>، فبلاغة التعبير تجلت في استعارة لفظ (الاشتعال)، حيث شبه كثرة الشيب في الرأس باشتعال النار؛ فالجامع بين المستعار منه والمستعار له هو: سرعة الانتشار .

اهتم الرماني في دراسته للاستعارة بالجانب التطبيقي حيث حلل العديد من الشواهد القرآنية، مستفيداً في ذلك من الآراء النظرية للبلاغيين السابقين، إذ حدد أطراف الصورة الاستعارية وبين الجامع بين التعبير الحقيقي والمجازي، مشيراً في ذلك إلى حقيقة النقل الذي يبدأ من الطرف المعنوي العقلي ليصل إلى الطرف الحسي العيني فتظهر بذلك بلاغة التصوير، مؤكداً أن الاستعارة لون تعبيرى ذو وظيفة بيانية يلجأ إليه للتعبير عن الدلالة عندما تعجز الحقيقة عن تأديتها، كما أوضح الفرق بين

<sup>1</sup> - النكت في إعجاز القرآن: الرماني، ص: 86.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 89.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 88.

التشبيه والاستعارة، فالكلمات في التشبيه تحمل معانيها الحقيقية بينما الكلمات في الاستعارة تنقل عن معناها الأصلي الذي وضعت له لتدل على معنى آخر مقصود .

#### - باب التلاؤم:

أدرك الرماني أهمية الصوت في بناء الكلام والإعراب عن المعاني، ففصاحة التركيب مرتبطة بتلاؤم حروفه وبعد مخارجه، فالتلاؤم عنده « نقيض التنافر، والتلاؤم تعديل الحروف في التأليف، والتأليف على ثلاثة أوجه: متنافر، ومتلائم في الطبقة الوسطى، ومتلائم في الطبقة العليا».<sup>(1)</sup>

وأورد أمثلة لكل ضرب من التأليف، حيث مثل للمتنافر بقول الشاعر:

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٍ      وَلَيْسَ قُورْبٌ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ

وعلق عليه بقوله «وذكروا أن هذا من أشعار الجن لأنه لا يتهيأ لأحد أن ينشده ثلاث مرات فلا يتتبع، وإنما السبب في ذلك ما ذكرنا من تنافر الحروف»<sup>(2)</sup>، وعلة التنافر قرب مخارج الحروف مما يصعب عملية نطقها، فيولد عن ذلك التعقيد وضعف التأليف، وجعل التأليف المتلائم في الطبقة الوسطى واستشهد لذلك<sup>(3)</sup>:

|                                                 |                                       |
|-------------------------------------------------|---------------------------------------|
| رَمَتْنِي وَسَتُرُّ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا | عَشِيَّةَ آرَامِ الْكَنَاسِ رَمِيمٌ   |
| رَمِيمٌ الَّتِي قَالَتْ لَجِيرَانِ بَيْتِهَا    | ضَمِنْتُ لَكُمْ أَلَا يَزَالُ يَهِيمُ |
| أَلَا رُبَّ يَوْمٍ لَوْ رَمَتْنِي رَمَيْتُهَا   | وَلَكِنْ عَهْدِي بِالنَّضَالِ قَدِيمٌ |

وأعاد السبب في التلاؤم إلى « تعديل الحروف في التأليف، فكلما كان أعدل كان أشد تلاؤماً»<sup>(4)</sup>، وذكر القسم الثالث ولم يستشهد له، ولكنه قال « والمتلائم في الطبقة العليا القرآن كله، وذلك بين لمن تأمله»<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - النكت في إعجاز القرآن: الرماني، ص: 94-95.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 95.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 95.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 96.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص: 95.

وهذه الشواهد ذكرها الجاحظ من قبل عندما تعرض لعيوب النطق والعلل التي ينحرف بها اللسان، واستفاد الرماني من آرائه وبنى تصوره عليها، وجعل الفائدة من التلاؤم «حسن الكلام في السمع، وسهولته في اللفظ، وتقبل المعنى له في النفس لما يرد عليها من حسن الصورة وطريق الدلالة»<sup>(1)</sup>.

#### - الفواصل:

وظف الرماني مصطلح الفاصلة في دراسته للنظم القرآني، حيث جعلها بديلا لمصطلح السجع المرتبط بالنثر والقافية في الشعر، وعرفها بقوله «الفواصل حروف متشاكلة المقاطع، توجب حسن إفهام المعاني»<sup>(2)</sup>.

وكان غرضه الأساسي تنزيه القرآن الكريم من السجع، ما دفعه لوضع الحدود الفاصلة بين الفواصل والأسجاع معتبرا الأخيرة مجرد أصوات متشاكلة، مستنبطا ذلك من دلالتها اللغوية المأخوذة من سجع الحمامة التي تتشاكل أصواتها بدون فائدة، فهو يرى أن توظيف الأسجاع يضيفي تكلفا في التراكيب ولا يخدم المعاني، بينما الفواصل تضطلع بوظيفتين: الإبانة عن المعاني وجمالية الإيقاع النابع من الانسجام الصوتي، وعبر عن ذلك بقوله «الفواصل تابعة للمعاني، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها ... إذ كان الغرض الذي هو حكمة إنما هو الإبانة عن المعاني التي الحاجة إليها ماسة، فإذا كانت المشكلة وصلة إليه فهو بلاغة، وإذا كانت المشكلة على خلاف ذلك فهو عيب ولكنة»<sup>(3)</sup>.

وقسم الفاصلة القرآنية إلى قسمين «أحدهما على الحروف المتجانسة والآخر على الحروف المتقاربة، فالحروف المتجانسة كقوله تعالى ﴿طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ (1) إِلَّا تَذِكْرًا لِمَن يَخْشَى- ﴿طه: 1-2﴾، وكقوله ﴿وَالطُّور﴾ (1) وَكَتَبَ مُسْطُور﴾ [الطور: 1-2]، وأما الحروف المتقاربة فكالميم من النون، كقوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (3) مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ (4) ﴿ [الحمد: 3-4]، وكالدال من الباء، نحو: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [ق: 1]، ثم قال ﴿هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [ق: 2]»<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - النكت في إعجاز القرآن: الرماني، ص: 96.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 97.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 97.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 98.

والفائدة من الفواصل تتجلى في دلالتها على المقاطع وتحسينها الكلام بالتشاكل « فالحسن في الفواصل: الحروف المتقاربة؛ لأنه يكتنف الكلام من البيان ما يدل على المراد في تمييز الفواصل والمقاطع »<sup>(1)</sup>.

#### - التجانس:

عرف الرماني التجانس بأنه « بيان بأنواع الكلام التي يجمعها أصل واحد في اللغة »<sup>(2)</sup>، فقصره على الألفاظ التي يجمعها أصل اشتقاقي واحد، وجعله قسماً: مزوجة ومناسبة .

حيث وضع المزوجة في التعبير القرآني، قال: « المزوجة تقع في الجزء كقوله تعالى ﴿ فَمَنْ أَعْتَذِرْ عَلَيْنَا مَا أَعْتَدْنَا عَلَيْهِمْ لَمَّا كَانُوا فِي السَّيْرِ ﴾ [البقرة: 194]، أي جازوه بما يستحق طريق العدل، إلا أنه أستعير للثاني لفظ الاعتداء لتأكيد الدلالة على المساواة في المقدار، فجاء على مزوجة الكلام لحسن البيان»<sup>(3)</sup>، حيث وقع التجانس في لفظي ( الاعتداء ) فحمل الأول دلالة الحقيقية وهي الظلم والعدوان، أما الثاني فدل على مجازاة الاعتداء أي العقوبة المقررة، ولكي لا يكون ضميم في القصاص وظفت الاستعارة لتأكيد مسألة المساواة فيكون الجزء بالمثل .

أما القسم الثاني من التجانس فهو المناسبة « وهي تدور في فنون المعاني التي ترجع إلى أصل واحد، فمن ذلك قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ آلِهَةٍ فُلُوبِهِمْ ﴾ [التوبة: 127]، فجونس بالانصراف عن الذكر صرف القلب عن الخير، والأصل فيه واحد وهو الذهاب عن الشيء، أما هم فذهبوا عن الذكر، وأما قلوبهم فذهب عنها الخير»<sup>(4)</sup>، فمعاني الألفاظ مشتركة في أصل واحد وهو الذهاب، فالمزوجة تقع في اللفظ والمناسبة تقع في المعنى.

#### - التصريف:

اهتم الرماني بالتصريف في المباني ورصد اختلاف المعاني التي تحملها، فقال « تصريف المعنى في المعاني المختلفة، كتصريفه في الدلالات المختلفة، وهو عقدها به على جهة التعاقب، فتصريف المعنى في

<sup>1</sup> - النكت في إعجاز القرآن: الرماني، ص: 98.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 99.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 99.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 100.

المعاني كتصريف الأصل في الاشتقاق في المعاني المختلفة، وهو عقدها به على جهة المعاقبة، كتصريف الملك في معاني الصفات، فصرف في معنى مالك، وملك، وذو الملكوت، والمليك، وفي معنى التملك والتمالك، والإملاك، والتملك، والمملوك<sup>(1)</sup>، فصيغ من كلمة (الملك) اشتقاقاً مختلفة تحمل دلالات مقصودة يستوجبها السياق، وهذه الميزة - الاشتقاق - اختصت بها اللغة العربية دون غيرها من اللغات.

وذكر التصريف في المعنى مبيناً سر التكرار في القصص القرآنية، ومثل لذلك بقصة موسى عليه السلام، حيث وردت في سور عديدة وبصيغ تعبيرية مختلفة، وفي ذلك رد على الجاهلين بجمالية التكرار وفائدته، حيث عد هذا النوع من التصريف وجهاً للإعجاز البلاغي.<sup>(2)</sup>

#### - التضمين :

التضمين فن بلاغي يهدف لتحسن الكلام وتقويته، وعرفه الرماني بقوله « تضمين الكلام هو حصول معنى فيه من غير ذكر له باسم أو صفة هي عبارة عنه»<sup>(3)</sup>، فهو يشير إلى المعنى الذي يثبه السياق، ولم يقصد المدلول البلاغي المتمثل في إدراج الشاعر أو الناثر في نظمه وتراكيبه كلاماً آخر لغيره بغرض تأكيد المعنى المقصود.

وقسم التضمين إلى قسمين فقال «التضمين على وجهين: أحدهما ما كان يدل عليه الكلام دلالة الإخبار، والآخر ما يدل عليه دلالة القياس»<sup>(4)</sup>، فذكر الشيء بأنه محدث يدل على المحدث دلالة الإخبار، أما دلالة القياس فهو إيجاز في كلام الله عز وجل خاصة لأنه تعالى محيط بدقائق المعاني.

كما نجد تقسيماً آخر للتضمين غير التقسيم السابق، وهذا أسلوب انتهجه الرماني في معالجته للمسائل البلاغية حيث نظر إليها من زوايا مختلفة، وحاول تقريبها للمتلقى بصيغ تعبيرية متباعدة وتفرعات متعددة، فقال «والتضمين على وجهين: تضمين توجبه البنية، وتضمين يوجبه معنى العبارة من حيث لا يصلح إلا به، ومن حيث جرت به العادة بأن يعقد به، فأما الذي توجبه نفس البنية،

<sup>1</sup> - النكت في إعجاز القرآن: الرماني، ص: 101.

<sup>2</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ص: 101-102.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 102.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 102.

فالصفة بمعلوم يوجب أنه لا بد من عالم، وكذلك مكرم، وأما الذي يوجهه معنى العبارة من حيث لا تصلح إلا به، فكالصفة بقاتل يدل على مقتول من حيث لا يصح معه معنى قاتل، ولا مقتول، فهو على دلالة التضمنين»<sup>(1)</sup>، ففي تضمين الصفات إيجاز واستغناء عن التفصيل المستوحى من البنية أو معنى العبارة.

وأورد مثالا من القرآن فيه معنى التضمنين، فقال «كل آية لا تخلو من تضمين لم يذكر باسم أو صفة، فمن ذلك: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" قد تضمن التعليم لاستفتاح الأمور على التبرك به والتعظيم لله بذكره، وأنه أدب من آداب الدين وشعار للمسلمين، وأنه إقرار بالعبودية واعتراف بالنعمة التي هي من أجل النعم، وأنه ملجأ الخائف ومعتمد للمستنجد»<sup>(2)</sup>، فتضمنت الآية معان كثيرة لم يصرح بها .

#### - المبالغة:

عالج الرماني المبالغة مستفيدا من آراء البلاغيين السابقين الذين عالجوها معالجة أدبية صرفة، أو ضمن أبواب أخرى كالتشبيه والاستعارة، فجمع تلك الأفكار ووضعها في باب واحد مبينا أشكالها وشواهدا، فعرّفها بأنها «الدلالة على كبر المعنى على جهة التغيير عن أصل اللغة لتلك الإبانة»<sup>3</sup>، فالمبالغة تتم من خلال التغييرات التي تطرأ على أبنية الأسماء في أصل اللغة، فتحملها دلالة توكيد لمعناها الأصلي بهدف توضيح المعاني وإبانة المقصود .

فيتأتى الحسن في المبالغة بالاعتدال في التصوير الخيالي وتوضيح المعاني والمبالغة على وجوه منها<sup>(4)</sup>:

- المبالغة في الصفة المعدولة عن الجارية بمعنى المبالغة مثل: رحمان عدل عن راحم للمبالغة .

- الضرب الثاني: المبالغة بالصيغة العامة في موضع الخاصة، كقول القائل: أتاني الناس، ولعله لا يكون أتاها (إلا) خمسة فاستكثرهم، وبالغ في العبارة عنهم.

<sup>1</sup> - النكت في إعجاز القرآن: الرماني ، ص: 103.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 103-104.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه: 104.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 104-105-106.

- الضرب الثالث: إخراج الكلام مخرج الإخبار عن الأعظم الأكبر للمبالغة نحو: قوله عز وجل ﴿وَجَاءَ رُبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: 22]، يقول «فجعل مجيء دلائل الآيات مجيئاً له على المبالغة في الكلام» .

- الضرب الرابع: إخراج الممكن إلى الممتنع للمبالغة، نحو قوله تعالى ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: 40].

- الضرب الخامس: إخراج الكلام مخرج الشك للمبالغة في العدل والمظاهرة في الحجاج، فمن ذلك قوله تعالى ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَّ هُنَّ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: 24].

- الضرب السادس: حذف الأجوبة للمبالغة كقوله تعالى ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص: 01]، كأنه قيل: لجا الحق أو لعظم الأمر أو لجاء بالصدق . كل ذلك يذهب إليه الوهم لما فيه من التفخيم .

فوضح الرماني من خلال الأضرب السابقة مقاصد المبالغة وغايتها في إثبات المعاني وتقريبها للسامع، وتقوية الصفة والتنويع في التعبيرات الأدبية بتوظيف الصيغة العامة موضع الخاصة والكلام الممكن إلى الممتنع وغيرها.

#### - باب البيان:

البيان عند الرماني «هو الإحضار لما يظهر به تميز الشيء من غيره في الإدراك»<sup>(1)</sup>، وجعله أقساماً فقال «البيان على أربعة أقسام: كلام، وحال، وإشارة، وعلامة»<sup>2</sup>، وهو تقسيم أورده الجاحظ من قبل عندما تحدث عن البيان وأصناف الدلالة (اللفظ، الإشارة، العقد، الخط والحال)، مما يدل على تأثر الرماني بفكره واستعانة به في تأسيس تصورات البيانية .

فقوله: (الكلام الذي يظهر به تميز الشيء عن غيره)، فيه تحديد لمجال البيان وتحليصه من كلام المخلط والفاسد والمحال الذي لا يفهم به معنى، ومثل لذلك بنماذج مبينة فساد تأليفها، مؤكداً أن للحديث معالم ومقاصد لا بد من توخيها حتى لا يخالف الذوق العام وما تعارف عليه الناس من قيم وأخلاق، ويكون فيه التناسب بين الألفاظ والمعاني.

<sup>1</sup> - النكت في إعجاز القرآن: الرماني، ص: 106.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 106.

ففرق بين نوعين من الكلام: الأول: ما كان ينطوي على فساد وعي، والثاني ما يتميز بحسن البيان وجعله مراتب فقال «وحسن البيان في الكلام على مراتب: فأعلاها مرتبة ما جمع أسباب الحسن في العبارة من تعديل النظم حتى يحسن في السمع ويسهل على اللسان وتتقبله النفس تقبل البرد، وحتى يأتي على مقدار الحاجة فيما هو حقه من المرتبة»<sup>(1)</sup>، فتعديل النظم يقوم على عناصر تتمثل في مراعاة تلاؤم الحروف داخل الكلمة حتى يسهل نطقها، ومراعاة انتظام الكلمات وما يجاورها في السياق حتى يحسن تأليفها ووقوعها في الأسماع .

فالخطاب القرآني حمل معاني عديدة من وعد ووعيد وتقريع وتحسير وتحذير وترغيب... في نظم فريد، عجز العرب عن محاكاته والإتيان بمثله، وقد أدرك الرماني هذه الخاصية ( حسن البيان ) وجعلها وجهاً للإعجاز البلاغي فقال « والقرآن كله في نهاية حسن البيان، فمن ذلك قوله تعالى ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (25) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ [ الدخان: 26 ]، فهذا بيان عجيب يوجب التحذير من الاغترار بالإمهال»<sup>(2)</sup>.

وبعدما فرغ الرماني من الحديث عن الإعجاز البلاغي والذي احتل جزءاً كبيراً من رسالته، ذكر بقية الوجوه دون تطويل وبعدما فرغ الرماني من الحديث عن الإعجاز البلاغي والذي احتل جزءاً كبيراً من رسالته، ذكر بقية الوجوه دون تطويل وهي: ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة، التحدي للكافة، الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية، نقض العادة بمخالفة القرآن سائر قوالب الكلام عند العرب، القياس بكل معجزة.<sup>(3)</sup>

#### - الإعجاز والبلاغة عند الخطابي ( ت 388هـ ) :

تعد رسالة "بيان إعجاز القرآن" لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي من أهم المصادر البلاغية التي عالجت مسألة الإعجاز وحددت معالمه، فقد بين موقفه من جهود السابقين في بيانهم لوجوه إعجاز القرآن الكريم، فرفض بعضها وأقر ببعضها، فقال «قد أكثر الناس في هذا الباب قديماً وحديثاً،

<sup>1</sup> - النكت في إعجاز القرآن : الرماني ، ص: 107.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 107.

<sup>3</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ص: 109، 110، 111 .



وذهبوا فيه كل مذهب من القول، وما وجدناهم صدروا عن ري<sup>(1)</sup>، فالمذاهب التي عرفت عندهم الصرفة التي قال بها النظام، والنظم الذي ذكره الجاحظ، كما اعتبر تلك الجهود غير صادرة عن الري وعلل ذلك بقوله « وذلك لتعذر معرفة وجه إعجاز القرآن، ومعرفة الأمر في الوقوف على كلفيته<sup>(2)</sup>، حيث اتبعوا آراء السابقين وما أفاضوا به في مسألة الإعجاز دون تحييص أو تحليل، إذ أرجع بعضهم الإعجاز إلى الصرفة وهو ما فنده الخطابي بقوله « دلالة الآية تشهد بخلافه، وهي قوله سبحانه ﴿ قُل لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: 88]، فأشار في ذلك إلى أمر طريقه التكلف والاجتهاد، وسبيله التأهب والاحتشاد، والمعنى في الصرفة التي وصفوها لا يلائم هذه الصفة، فدل على أن المراد غيرها والله أعلم<sup>(3)</sup>، فقصر قرائح العرب عن مجارة النظم القرآني والإتيان بمثل أساليبه وصوره، وظهر عجزهم عن التحدي وفضلوا قتال النبي ﷺ ومعاداته على معارضة القرآن الكريم لعدم تمكنهم من ذلك، وضعف آلياتهم البيانية، فهو معجزة خارقة للعادة .

وأوضح الخطابي أن الإخبار عن الأمور المستقبلية نوع من الإعجاز ولكنه ليس بالأمر العام الشامل لجميع سور القرآن، فقال «وزعمت طائفة أن إعجازه إنما هو فيما يتضمنه من الإخبار عن الكوائن في مستقبل الزمان، نحو قوله سبحانه ﴿ أَلَمْ عَلَيَّتِ الرُّومُ فِي أَذَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيِّئُونَ ﴾ (1) في بضع سنين ﴿ [ الروم: 01-04 ] ...، قلت: ولا يشك في أن هذا وما أشبهه من أخباره، نوع من أنواع إعجازه، ولكنه ليس بالأمر العام الموجود في كل سورة من سور القرآن، وقد جعل سبحانه في صفة كل سورة أن تكون معجزة بنفسها، لا يقدر أحد من الخلق أن يأتي بمثلها، فقال ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: 23]، من غير تعيين فدل على أن المعنى فيه غير ما ذهبوا إليه<sup>(4)</sup> .»

واتفق مع القائلين بإعجاز البلاغي، ولكنه عاب عليهم عدم إحكامهم للقول، ووقوفهم على كيفية بلاغة القرآن التي فاقت سائر البلاغات؛ إذ اعتبر دراستهم ضرباً من التقليد والظن، وهو ما

<sup>1</sup> - بيان إعجاز القرآن: الخطابي: أبو سليمان حمد بن محمد، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص: 21.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 21.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 23.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 23-24.

أكده بقوله « وزعم آخرون أن إعجازه من جهة البلاغة، وهم الأكثرون من علماء أهل النظر، وفي كيفيتها يعرض لهم الإشكال، وبصعب عليهم منه الانفصال، ووجدت عامة أهل هذه المقالة قد جروا في تسليم هذه الصفة للقرآن على نوع من التقليد، وضرب من غلبة الظن، دون التحقيق له وإحاطة العلم به»<sup>(1)</sup>، فلم يستطيعوا تصوير بلاغة القرآن رغم تأثرهم الشديد بها، الأمر الذي دفعهم للتسليم بوجودها، بينما عمد الخطابي إلى الكشف عن معالمها وحدوها جاعلا الكلام المحمود مراتبا فقال: «أجناس الكلام مختلفة، ومراتبها في نسبة التباين متفاوتة، ودرجاتها في البلاغة متباينة غير متساوية، فمنها البليغ الرصين الجزل، ومنها الفصيح القريب السهل، ومنها الجائر الطلق الرسل، وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمود»<sup>(2)</sup>، مما يظهر تأثره بفكرة مستويات الكلام عند الرماني، فقد جعل القسم الأول في أعلى طبقات الكلام وأرفعها، والقسم الثاني في أوسطها وأقصدها، والقسم الثالث في أدنى طبقة وأقربها، مشيرا إلى ورود الأقسام الثلاثة في القرآن وامتزاجها شكل «نمطا من الكلام يجمع بين صفتي الفخامة والعدوبة وهما على الانفراد في نعوتهما كالمضادين، لأن العدوبة نتاج السهولة، والجزالة والمتانة في الكلام تعالجان نوعا من الوعورة، فكان اجتماع الأمرين في نظمه مع نبو كل واحد منهما على الآخر فضيلة خص بها القرآن، يسرها الله بلطيف قدرته من أمره ليكون آية بينة لنبیه، ودلالة على صحة ما دعا إليه من أمر دينه»<sup>(3)</sup>، فالفخامة والعدوبة ميزتان اختصت بهما البلاغة القرآنية، حيث عجزت بلاغة البشر عن الإتيان بمثلهما في نظم واحد دون أن يحدث ذلك لبسا أو خلا في المعاني، وإنما جعلها الله آية لنبیه وحجة قاطعة لأطماع الكائدين لأنها تفوق حدود طاقة البشرية.

أما الكلام عند الخطابي فيقوم على عناصر: المعاني القائمة في النفس، والألفاظ الحاملة لها، والرباط الجامع بينهما، وهي خاصية تفرد بها التعبير القرآني، فلا ترى ألفاظا أفصح من ألفاظه ولا معاني أرقى من معانيه انتظمتا في تأليف بليغ متلائم، فقال «إنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى قائم، ورباط لهما ناظم، وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظما أحسن من تأليفها، وأشد تلاؤما وتشاكلا، من نظمه، وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد

<sup>1</sup> - بيان إعجاز القرآن: الخطابي، ص: 24.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 26.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 26.

لها العقول بالتقدم في أبوابها، والترقي إلى أعلى درجات الفضل في نوعها وصفاتها»<sup>(1)</sup>، فقد تعذر على البشر الجمع بين العناصر السابقة في تركيب بلاغة لعدم إحاطتهم بجميع ألفاظ اللغة والمعاني والأحوال، وهو ما فسره الخطابي بقوله «وإنما تعذر على البشر الإتيان بمثله لأمر: منها أن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة أو بألفاظها التي هي ظروف المعاني والحوامل لها، ولا تدرك أفهامهم جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ، ولا تكمل معرفتهم لاستفاء جميع وجوه النظم التي بها يكون ائتلافها، وارتباط بعضها ببعض، فيتوصلوا باختيار الأفضل عن الأحسن من وجوهها إلى أن يأتوا بكلام مثله»<sup>(2)</sup>، ففشل العرب في محاكاة الأسلوب القرآني لأن محاولتهم في الإيفاء بالجانب اللفظي والإيقاع الصوتي أحالهم دون بلوغ المعاني، فجاءت تعابير المدعين للنبوة قوالب مسجوعة مفرغة من المعاني، أقرت بكذبهم وأبطلت بمتانهم وما كانوا يسعون إليه؛ حيث يقوم الكلام على ثلاثية: اللفظ والمعنى والنظم وهي معايير التفاوت بين الأساليب فبوجودها يكون البيان وبغياب عنصر من عناصرها يحدث الخلل وفساد التأليف.

يرى الخطابي أن القرآن الكريم صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن النظم مضمنة أصح المعاني، حيث قال «واعلم أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظم التأليف مضمناً أصح المعاني... واضعاً كل شيء منها موضعه الذي لا يرى شيء أولى منه، ولا يرى في صورة العقل أمر أليق منه، مودعاً أخبار القرون الماضية... منبئاً عن الكوائن المستقبلية... ومعلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور، والجمع بين شتاها حتى تنتظم وتتسق أمر تعجز عنه قُوى البشر، ولا تبلغه قدرهم، فانقطع الخلق دونه، وعجزوا عن معارضته بمثله...»<sup>(3)</sup>، فالبلاغة القرآنية مخالفة للبلاغة المعهودة عند البشر من حيث المعاني والمادة اللغوية، مما أعجزهم عن الإتيان بمثلها.

فمناط البلاغة في النظم القرآني «وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به، الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه: إما تبدل المعنى الذي يكون معه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة»<sup>(4)</sup>، فظهرت البلاغة في دقة اختيار

<sup>1</sup> - بيان إعجاز القرآن: الخطابي، ص: 27.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 26-27.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 27-28.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 29.

المفردات وإدراك الفروق بين المترادفات ؛ فلو استبدلت كلمة مكان أخرى، أو وضعت في غير موضعها دون مراعاة الكلمات المجاورة لها، نتج عن ذلك فساد في المعنى أو زهاب الجمالية التعبيرية .

وجه الخطابي اهتمامه بالألفاظ التي تنتظم داخل التراكيب وتحمل شحنات دلالية، فوقف عندها وحاول استجلاء مزاياها الأسلوبية، فقال « ولم تقتصر فيما اعتمدناه من البلاغة لإعجاز القرآن، على مفرد الألفاظ التي منها يتركب الكلام، دون ما تضمنه من ودائعه التي هي معانيه، وملايسه التي هي نظوم تأليفه»<sup>(1)</sup>، مما يدل على أن النظم والمعاني ركنين من أركان الإعجاز البلاغي عند الخطابي، وأن جمالية الأسلوب تكمن في القدرة على التعبير عن المعاني القائمة في النفس بألفاظ فصيحة في نظوم حسنة التأليف والتلاؤم.

كما جعل للنظم رسوما وربطه بكفاءة المتكلم وثقافته فقال «وأما رسوم النظم، فالحاجة إلى الثقافة والحدق فيها أكثر؛ لأنها لجام الألفاظ وزمام المعاني، وبه تنتظم أجزاء الكلام، ويلتئم بعضه ببعض، فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان»<sup>(2)</sup>، فالألفاظ المفردة لا تكتسب المزية بمعزل عن التركيب، وإنما تستمد دلالتها بوجودها داخل نظم فريد تراعى فيه القواعد النحوية والعلاقات القائمة بين المفردات .

وذكر الخطابي وجهاً آخر للإعجاز غفل عنه الكثير من الناس وهو الإعجاز التأثري أو النفسي، فقال «وقد قلت في إعجاز القرآن وجهاً آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعة بالقلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً منظوماً ولا منشوراً، إذا قرع السمع، خلص له القلب من اللذة والحلاوة في حال ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه... قال تعالى ﴿لَوْ أَنزَلْنَاهُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشِيعًا مُّتَصِّدِعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: 21]»<sup>(3)</sup>، واستدل على وجود هذا الضرب من الإعجاز بتأثر نفر من العرب بعد سماعهم لآيات من القرآن الكريم، فاستقرت معانيها في نفوسهم وانشرحت لها صدورهم، فتحولت معاداتهم للنبي صلى الله عليه وسلم إلى موالاة وكفرهم إلى إيمان، بعد أن أيقنوا أنه كلام الله ولا يمكن لأي بشر أن يأتي بمثله أو يحاكي أساليبه .

<sup>1</sup> - بيان إعجاز القرآن: الخطابي، ص: 36.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 36.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 70.

كما رد على الطاعنين في بلاغة القرآن وأبطل مزاعمهم في فصاحة بعض الألفاظ القرآنية، وعدم وقوعها موقعا أمكن فقال «والجواب أن القول في وجود ألفاظ القرآن وبلاغتها على النعت الذي وصفناه صحيح لا ينكره إلا جاهل أو معاند، وليس الأمر في معاني هذه الآي على ما تأولوه ولا المراد في أكثرها على ما ظنوه وتوهموه»<sup>(1)</sup>، حيث اعترضوا على لفظ (أكله) في قوله تعالى ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ [يوسف: 17]، فقالوا إنما «يستعمل مثل هذا في فعل السباع خصوصا الافتراس، يقال: افترسه السبع، هذا هو المختار الفصيح في معناه، فأما الأكل فهو عام لا يختص به نوع من الحيوان دون نوع»<sup>(2)</sup>، فهم يرون في استبدال لفظ (الأكل) بلفظ (الافتراس) حسن نظم وبيان، في حين ينكر الخطابي قولهم ويوضح الغاية الدلالية من إيراد لفظ (الأكل) فيقول «الافتراس معناه في فعل السبع القتل فحسب، وأصل الفرس دق العنق. والقوم إنما ادعوا على الذئب أنه أكله أكلا، وأتى على جميع أجزائه وأعضائه، فلم يترك مفصلا ولا عظما؛ وذلك أنهم خافوا مطالبة أبيهم إياهم بأثر باق منه يشهد بصحة ما ذكروه، فادعوا فيه الأكل ليزيلوا عن أنفسهم المطالبة، والفرس لا يعطي تمام هذا المعنى؛ فلم يصلح على هذا أن يعبر عنه إلا بالأكل»<sup>(3)</sup>، فتمكن الخطابي من استجلاء المعنى القرآني بفضل ذائقته الأدبية ومعرفته بأسرار اللغة وأساليبها، موضحا الفعل الذي أسره إخوة يوسف عليه السلام (إلقاء أخيه في الحب)، وقولهم خلاف الحقيقة (أكله الذئب)، واستعمالهم للفظ (الأكل) فيه إخفاء وطمس لأي دليل أو أثر مادي قد يطالبون به من قبل أبيهم، وفي هذا تأكيد على بلاغة التعبير القرآني وإعجازه.

وأكد أن استعمال الاستعارة في بعض المواضع يكون أبلغ من الحقيقة، واستشهد بقوله تعالى ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: 94]، فقال «هو أبلغ من قوله: فاعمل بما تؤمر وإن كان هو في الحقيقة، والصدع مستعار، وإنما يكون ذلك في الزجاج ونحوه من فلز الأرض، ومعناه المبالغة في فيما أمر به حتى يؤثر في النفوس والقلوب تأثير الصدع في الزجاج ونحوه»<sup>(4)</sup>، أمر الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم بتبليغ الرسالة للناس كافة، واستعير لفظ (الصدع) ليدل على المبالغة في التبليغ ويكون لذلك وقع في نفوسهم كتأثير الصدع في الزجاج.

<sup>1</sup> - بيان إعجاز القرآن: الخطابي: 40-41.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 38.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 41.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 44.

ورد الخطابي الشبهة القائلة بأن وجود الحذف في القرآن الكريم يُشكل المعنى، موضحا الغاية البيانية منه وهي أن «حذف ما يستغنى عنه من الكلام نوع من أنواع البلاغة»<sup>(1)</sup>، فحذف الجواب في قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾ [الرعد: 31]، لأن «المذكور منه يدل على المحذوف والمسكوت عنه من جوابه، لأن المعقول من الخطاب عند أهل الفهم كالمنطوق به، والمعنى: ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى لكان هذا القرآن»<sup>(2)</sup>، فحذف الجواب لقدرة المخاطب على تقديره، مؤكدا أن الحذف في مثل هذا أبلغ من الذكر؛ لأن «النفس تذهب في الحذف كل مذهب، ولو ذكر الجواب لكان مقصورا على الوجه الذي تناوله الذكر؛ فحذف الجواب كقوله: لو رأيت عليا بين الصفين . وهذا أبلغ من الذكر لما وصفنا»<sup>(3)</sup>، فظهرت بلاغة الحذف في دفع القارئ لاستنباط المحذوف وعدم حصره في تأويل واحد من خلال التصريح به.

وعاب الخطابي على الطاعنين مقولتهم بقلة الغريب في القرآن مؤكدا أنه ليس شرطا في حدود البلاغة، وأن البلاغة القرآنية اتسمت بالفخامة والعدوبة فقال «وأما ما ذكروه من قلة الغريب في ألفاظ القرآن بالإضافة إلى الواضح منها، فليست الغرابة مما شرطناه في حدود البلاغة، وإنما يكثر وحشي الغريب في كلام الأوحاش من الناس، والأجلاف من جفاة العرب ... وإنما المختار منه النمط الأقصد الذي جاء به القرآن، وهو الذي جمع البلاغة والفخامة إلى العدوبة والسهولة»<sup>(4)</sup>، ففصاحة الألفاظ مرتبطة بسلامة حروفها من التنافر وحسن وقعها في السمع وكثرة تداولها عند العرب، فقد تجنب الفصحاء وحشي الكلام وغريبه لثقله وانغلاق معانيه، مما يبعد التأليف عن غايته الرئيسة وهي التواصل.

عقد الخطابي موازنة بين أبيات النابغة وأبيات امرئ القيس في وصفهما لليل وطوله وما يصاحب الإنسان فيه من هموم وأرق، فعبر النابغة عما يقاسيه بقوله<sup>(5)</sup>:

<sup>1</sup> - بيان إعجاز القرآن: الخطابي، ص: 52.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 52.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 52.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 37.

<sup>5</sup> - ديوان النابغة الذبياني، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ص: 40-41 .

كَلَيْنِي لَهْمٍ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ      وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيٍّ الْكَوَكِبِ  
تَطَاوَلَ حَتَّى قَلْتُ: لَيْسَ بُمُنْقَضٍ      وَلَيْسَ الَّذِي يَرْغَى النُّجُومَ بَأَيِّبِ  
وَصَدْرٍ أَرَاخَ اللَّيْلِ عَازِبٍ هَمِّهِ      تَضَاعَفَ فِيهِ الْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

فكشف الخطابي عن مواطن الحسن في الأبيات، فقال «افتتاح النابغة قصيدته بقوله:

كَلَيْنِي لَهْمٍ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبِ

متناه في الحسن، بليغ في وصف ما شكاه، من همه وطول ليله. ويقال إنه لم يبتدئ شاعر قصيدة بأحسن من هذا الكلام وقوله:

وَصَدْرٍ أَرَاخَ اللَّيْلِ عَازِبٍ هَمِّهِ

مستعار من إراحة الراعي الإبل إلى مباتها، وهو كلام مطبوع سهل يجمع البلاغة والعدوبة»<sup>(1)</sup>، فوجود الاستعارة في التركيب أضفى جمالية في التصوير وتوضيحا للمعاني، إلا أن الخطابي فضل أبيات امرئ القيس لما تضمنته من حسن نظم وبلاغة تشبيه وإبداع في ترجمة المعاني فقال<sup>(2)</sup>:

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرَخَى سُدُولَهُ      عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لَيْتَلِي  
فَقُلْتُ لَهُ لِمَا تَطَى بِجُوزِهِ      وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً بَكْلِكَلِ  
أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجَلِي      بَصُحٍّ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ  
فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ      بِكُلِّ مُغَارٍ الْفَتْلُ شُدَّتْ بِيَذْبَلِ

وحلل الخطابي الأبيات تحليلا بيانيا كشف فيه عن جمالية تراكيبها وتضافر أجزائها مشكلة صورة متكاملة، فقال «إلا أن في أبيات امرئ القيس من ثقافة الصنعة وحسن التشبيه وإبداع المعاني ما ليس في أبيات النابغة، إذ جعل لليل صلبا وأعجازا وكلكلا، وشبه تراكم ظلمة الليل بموج البحر في تلاطمه عند ركوب بعضه بعضا حالا على حال، وجعل النجوم كأنها مشدودة بحبال وثيقة فهي راكدة

<sup>1</sup> - بيان إعجاز القرآن: الخطابي، ص: 62-63.

<sup>2</sup> - ديوان امرئ القيس، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ص: 18-19.

لا تزول ولا ترح، ثم لم يقتصر على ما وصف من هذه الأمور حتى عللها بالبلوى ونبه فيها على المعنى وجعل يتمنى تصرم الليل بعود الصبح لما يرجو فيه من الروح، ثم ارتجع ما أعطى واستدرك ما كان قدمه وأمضاه، فزعم أن البلوى أعظم من أن يكون لها في شيء من الأوقات كشف وانجلاء ...»<sup>(1)</sup>، فظهرت جمالية التعبير في دقة اختياره للألفاظ وحسن نظمها، واستفاء العناصر الضرورية التي تمكنه من رسم صورة تشبيهية بديعة، حيث جعل ليل صلبا وأعجازا وكلكلا، وشبه ظلمته بأمواج البحر التي يركب بعضها بعضا، واعتبر نجومه محكمة القيد لا تزول من مكانها، ليؤثر هذا المشهد على نفسيته وتتجدد مآسيه ما دفعه لترقب موعد نجلاء الليل وعودة الصبح لتنجلي بذلك همومه وأحزانه فتصغر بذلك مصيبيته .

#### – الإعجاز والبلاغة عند الباقلاني ( ت 402هـ ) :

تصدى أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني في مؤلفاته لموجات المشككين بإعجاز القرآن الكريم، وسعى لإبطال مزاعم المغرضين، موضحا موقفه من آراء بعض الفرق الإسلامية، منكرًا تواني علماء عصره وتقصيرهم في هذا المبحث ؛ إذ يرى أن « بسط القول في الإبانة عن وجه معجزته، والدلالة على مكانه أحق بكثير مما صنفوا فيه من القول في الجزء [ والطفرة ] ودقيق الكلام في الأعراض، وكثير من بديع الإعراب وغامض النحو، فالحاجة إلى هذا أمس، والاشتغال به أوجب»<sup>(2)</sup>، فانصب اهتمامهم بالقضايا النحوية واللغوية وعلم الكلام وانحصرت دائرة عنايتهم بكتاب الله وفهم أساليبه ومعرفة وجوه إعجازه، وهو الأمر الذي دعا الباقلاني إلى تداركه ؛ لأن « أهم ما يجب على أهل دين الله كشفه، وأولى ما يلزم بحثه ؛ ما كان لأصل دينهم قواما، ولقاعدة توحيدهم عمادا ونظاما وعلى صدق نبينهم ﷺ برهانا، ولمعجزته ثبوتا وحجة ».<sup>(3)</sup>

وبرر عجز البعض وخشيتهم من ولوج عوالم التفسير فقال « وقد يعذر بعضهم في تفريط يقع منه فيه، وذهاب عنه ؛ لأن هذا الباب مما لا يمكن إحكامه إلا بعد التقدم في أمور شريفة المحل، عظيمة المقدار، دقيقة المسلك، لطيفة المأخذ»<sup>(4)</sup>، فلا بد للمفسر أن يكون ملما باللغة العربية

<sup>1</sup> – بيان إعجاز القرآن: الخطابي، ص: 63.

<sup>2</sup> – إعجاز القرآن، الباقلاني: أبو بكر محمد بن الطيب، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، د/ط، ت، ص: 05.

<sup>3</sup> – المصدر نفسه، ص: 3-4.

<sup>4</sup> – المصدر نفسه، ص: 05.



وعلموها ( نحواً وتركيباً واشتقاقاً ...)، عارفاً بطرق المتكلمين ومدركا لدقائق البيان العربي وأساره حتى يتمكن من فهم كتاب الله.

فصعوبة الإحاطة بجوانبه جعله قليل الطلاب، ووضح ذلك بقوله «واعلم أن هذا علم شريف المحل، عظيم المكان؛ قليل الطلاب، ضعيف الأصحاب؛ ليس له عشيرة تحميه، ولا أهل عصمة تفتن لما فيه، وهو أدق من السحر، وأهول من البحر، وأعجب من الشعر»<sup>(1)</sup>، ما دفعه لبناء نظريته في الإعجاز فند بها حجج المخالفين والمعارضين.

فقد أيد الله تعالى نبيه ﷺ بمعجزة خالدة ( القرآن الكريم ) عجز العرب عن بلوغها رغم فصاحة منطقتهم، وبراعة أساليبهم ومعرفتهم بسائر أوزان الكلام، فعدت حجة قاطعة وإثباتاً لنبوته ﷺ « والدليل على ذلك ما ظهر على يده ﷺ من الآيات الباهرة والمعجزات القاهرة، والحجج النيرة، الخارقة للعادة والخارجة عما عليه العادة وتركيب الطبيعة والله سبحانه لا يظهر المعجزات، ولا ينقض العادات، إلا للدلالة على صدق صاحبها، وكشف قناعه، وإيجاب الإقرار بنبوته والخضوع لطاعته، والانقياد لأوامره ونواهيه ». <sup>(2)</sup>

فالقرآن معجز لأنه « لا يقدر العباد عليه، وقد ثبت أن المعجز الدال على صدق النبي صلى الله عليه وسلم لا يصح دخوله تحت قدرة العباد، وإنما ينفرد الله تعالى بالقدرة عليه »<sup>3</sup>، فلا يمكن للأسلوب البشري الواقع في التفاوت من ناحية النظم والبلاغة أن يحاكي التعبير القرآني .

ويرجع الباقلاني الإعجاز إلى أمور ثلاثة: - إنبأؤه عن الغيب، قال « يتضمن الإخبار عن الغيوب، وذلك مما لا يقدر عليه البشر، ولا سبيل لهم إليه . فمن ذلك ما وعد الله تعالى نبيه -عليه السلام - أنه سيظهر دينه على الأديان، بقوله عز وجل ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [ التوبة: 33 ] ». <sup>(4)</sup>

1 - إعجاز القرآن، الباقلاني: ص: 184.

2 - كتاب تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، الباقلاني: أبو بكر محمد بن الطيب، تح: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص: 157.

3 - المصدر السابق، ص: 288.

4 - المصدر نفسه، ص: 33.

الوجه الثاني: أمية الرسول ﷺ قال « أنه كان معلوما من حال النبي ﷺ، أنه كان أميا لا يكتب، ولا يحسن أن يقرأ، وكذلك كان معروفا من حاله أنه لم يكن يعرف شيئا من كتب المتقدمين، وأقاصيصهم، وأنبائهم وسيرهم»<sup>(1)</sup>، فهي حجة دامغة أبطلت مزاعم الكافرين من أن القرآن الكريم من تأليف الرسول ﷺ .

أما الوجه الثالث: فهو بداعة النظم قال « أنه بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه»<sup>(2)</sup>، فأسلوب القرآن مغاير لأساليب العرب وأجناس كلامهم .

ورفض المذهب القائل بالصرفة معللا ذلك بقوله «ومما ييطل ما ذكره من القول بالصرفة أنه لو كانت المعارضة ممكنة - وإنما منع منها الصرفة - لم يكن الكلام معجزا، وإنما يكون المنع هو المعجز، فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه»<sup>(3)</sup>، حيث أدرك العرب التحدي المطلوب منهم، وهو أن يأتوا بسورة أو آية تماثل النظم القرآني ولكنهم عجزوا عن ذلك، ليس لأن قدرتهم سلبت ولكن ليقينهم أنه كلام إلهي لا قدرة للبشر على محاكاته، ما دفعهم لخوض حروب ضد النبي صلى الله عليه وسلم على قبول التحدي .

ولخص رؤيته للإعجاز بقوله « فالقرآن أعلى منازل البيان، وأعلى مراتبه ما جمع وجوه الحسن وأسبابه، وطرقه وأبوابه: من تعديل النظم وسلامته، وحسنه وبهجته، وحسن موقعه في السمع، وسهولته على اللسان، ووقوعه في النفس موقع القبول، وتصوره تصور المشاهد، وتشكله على جهته حتى يحل محل البرهان ودلالة التأليف، ما لا ينحصر حسنا وبهجة وسناء ورفعة...»<sup>(4)</sup>، فتفرد النظم القرآني برونق الألفاظ، وحسن تأليفها وتناسبها مع المعاني، وتلاؤمها الصوتي، وحسن وقعها في النفس وشدة تأثيرها، مما يجعلها مختلفة عن أجناس الكلام المعهودة عند العرب، حيث نفى الباقلاني الشعر عن القرآن الكريم واستدل على ذلك «أن الفصحاء منهم حين أورد عليهم القرآن، لو كانوا يعتقدونه شعرا، ولم يروه خارجا عن أساليب كلامهم لبادروا إلى معارضته؛ لأن الشعر مسخر لهم مسهل عليهم، ولهم فيه ما علمت من التصرف العجيب، والاقتدار اللطيف، فلما لم نرهم اشتغلوا بذلك، ولا عولوا عليه:

<sup>1</sup> - إعجاز القرآن: الباقلاني، ص: 34.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 35.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 30.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 276-277.

علم أنهم لم يعتقدوا فيه شيئاً مما يقدره الضعفاء في الصنعة»<sup>(1)</sup>، فالمهارة الشعرية متأصلة في نفوس العرب، حيث اتخذوا منها وسيلة للإعجاب عن خواطريهم ومشاعرهم، ومآثرهم وتسجيل وقائعهم وذودهم عن قبائلهم، وبرعوا في نظمه ومعرفة أوزانه وقوافيه، فلما أنزل عليهم القرآن أيقنوا أنه مخالف لما عهدوه من أساليب وما تداولوه من شعر، وأيضاً نفى عنه السجع فقال « ليس من باب السجع، ولا فيه شيء منه، وكذلك ليس من قبيل الشعر ... إذا تأمله المتأمل تبين - بخروجه عن أصناف كلامهم وأساليب خطابهم - أنه خارج عن العادة، وأنه معجز ».<sup>(2)</sup>

ورفض إثبات الإعجاز القرآني من خلال أقسام البلاغة التي حددها الرماني، مؤكداً أنها جزء من نظم متكامل وأن مزيته وحسنها تظهر داخل السياق وليس بعزل عنه، فقال « فأما الآية التي فيها ذكر التشبيه، فإن ادعى إعجازها لألفاظها ونظمها وتأليفها فإني لا أدفع ذلك وأصححه، ولكن لا أدعي إعجازها لموضع التشبيه »<sup>(3)</sup>، فلا مزية للفنون البلاغية إلا من خلال نظمها، وقسمها إلى قسمين<sup>(4)</sup>:

القسم الأول: ما يمكن الوقوع عليه والتعلم له، ويدرك بالتعلم؛ فما كان كذلك فلا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن به.

والقسم الثاني: فهو ما لا سبيل إليه بالتعلم والتعلم من البلاغات، فذلك هو الذي يدل على إعجازه .

كما رفض أن يكون البديع وجهاً للإعجاز ؛ إذ ليس في هذا الفن ما يخرق العادة ويخرج عن العرف ويمكن تدراكه بالتعلم والتدرب، فقال « لا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن من البديع الذي ادعوه في الشعر ووصفوه فيه وذلك: أن هذا الفن ليس فيه ما يخرق العادة، ويخرج عن العرف، بل يمكن استدراكه بالتعلم والتدرب به والتصنع له، كقول الشعر، ورصف الخطب، وصناعة الرسالة، والحدق في البلاغة . وله طريق يسلك، ووجه يقصد، وسلم يرتقى فيه إليه »<sup>(5)</sup>، وأدرج الشعراء هذا الفن في قصائدهم وتفاوتوا في ذلك ما بين معتدل أكسب نظمه حسناً وفنية، وما بين مبالغ أغرق نظمه

1 - إعجاز القرآن: الباقلائي، ص: 53.

2 - المصدر نفسه، ص: 35.

3 - المصدر نفسه، ص: 276.

4 - المصدر نفسه، ص: 275.

5 - المصدر نفسه، ص: 111.

بالبدیع حتی صار متكلفا مستهجنا، مما يدل على قدرتهم على اكتسابه وتعلمه وتوظيفه، ولا ينكر الباقلاني وجوده في القرآن ولكنه اعتبره جزءا من وحدة تركيبية متكاملة، رافضا فكرة التحليل الجزئي للعبارة، فكان يدرس السورة كاملة مستجليا ألفاظها وتراكيبها ومعانيها، محددًا مقدار المعجز من القرآن بـ « السورة قصيرة كانت أو طويلة أو ما كان بقدرها ... وإن كانت سورة الكوثر فذلك المعجز »<sup>(1)</sup>، فكل سورة تتضمن وحدة موضوعية ونظما بديعا وتأليفا عجيبا يعلو قمة البيان .

فوسع من دائرة البديع وجعله علما شاملا لكل مباحث البلاغة ( تشبيه، استعارة، ...)، ولم يسلبه كل الفضل فقال «إنما لم نطلق القول إطلاقا ؛ لأننا لا نجعل الإعجاز متعلقا بهذه الوجوه الخاصة، ووقفنا عليها، ومضافا إليها، وإن صح أن تكون هذه الوجوه مؤثرة في الجملة، آخذة بحظها من الحسن والبهجة، متى وقعت في الكلام على غير وجه التكلف المستبشع، والتعمل المتشنع »<sup>(2)</sup>، فهو يشير إلى الجمالية التي تضيفها الفنون البيانية في التراكيب من براعة في التصوير وإبانة للمعاني وحسن وقع في النفس، شريطة انتظامها داخل نسق معين وتأديتها لدور إبلاغي وإلا عد ورودها ضربا من التكلف الذي يصحبه فساد في النظم وانغلاق في المعاني.

أكد الباقلاني تفوق النظم القرآني على البيان العربي فقال « نظم القرآن جنس متميز، وأسلوب متخصص وقبيل عن النظر متخلص »<sup>(3)</sup>، وجعله النظم وجها للإعجاز محددًا معالمه التي ضل الدارسون عن وصفها ؛ وهو ما عبر عنه بقوله «فأما نهج القرآن ونظمه، وتأليفه ورصفه، فإن العقول تنيه من جهته، وتحار في بحره، وتضل دون وصفه»<sup>(4)</sup>.

وحصر الوجه البلاغي للإعجاز القرآني (أي بديع نظمه) في عشرة وجوه: منها ما يعود إلى جملة، ومنها ما يعود إلى أساليبه، ومنها ما يرجع إلى مفرداته، ومنها ما يرجع إلى حروفه، مؤكدا مخالفة القرآن للمعهود من طرق التعبير متداولة لدى العرب، فوضح ما تعلق بالجملة بقوله «أن نظم القرآن على تصرف وجوهه، وتباين مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من

<sup>1</sup> - إعجاز القرآن: الباقلاني، ص: 254.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 112.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 159.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 183.

ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد»<sup>(1)</sup>، فتعددت طرق التعبير لدى العرب من أعاريض الشعر على اختلاف أغراضها، وأنواع الكلام الموزون غير المقفى، والكلام المعدل المسجع والتي سعت لتوضيح المعاني وإبانيتها، أما النظم القرآني فخارج عن هذه الوجوه والطرق ويتميز بخصوصية ترجع إلى جملته .

ومن هنا ما يرجع إلى فصاحة أسلوبه؛ إذ «أنه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة، والتصرف البديع، والمعاني اللطيفة، والفوائد الغزيرة، والحكم الكثيرة، والتناسب في البلاغة والتشابه في البراعة»<sup>(2)</sup>، ومنها عدم وجود تفاوت في انتقاله من أسلوب إلى أسلوب «فهو عجيب النظم، بديع التأليف، لا يتفاوت ولا يتباين، على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها»<sup>(3)</sup>، فتناول القرآن مواضيع متباينة الأغراض من قصص ومواعظ، واحتجاج وأحكام، وإعذار، ووعد ووعيد، في نظم فريد متناهي في البلاغة، بينما يتفاوت أسلوب الشعراء فيصيبون في موضع ويقصرون في موضع آخر، وقد يحسنون الانتقال من غرض لآخر وقد يخفقون، ومنهم من ينظم أروع قصائد بلاغة وتصويرا، وقد لا تجود قريحته في موضع آخر ويضعف إبداعه، فيخيل للقارئ أن أسلوبه لشاعرين مختلفين، وسمة التفاوت لا تقتصر على الشعر فقط بل نجدها في الخطب والرسائل وسائر أجناس الكلام البشري، ذلك «أن كلام الفصحاء يتفاوت تفاوتاً بينا في الفصل والوصل، والعلو والنزول، والتقريب والتباعد، وغير ذلك مما ينقسم إليه الخطاب عند النظم»<sup>(4)</sup>.

ومما ذكره من الوجوه المتعلقة بالأسلوب «أن نظم القرآن وقع موقعا في البلاغة يخرج عن عادة كلام الجن، كما يخرج عن عادة كلام الإنس، فهم يعجزون عن الإتيان بمثله كعجزنا ويقصرون دونه كقصورنا»<sup>(5)</sup>، فلا يمكن محاكاة التعبير القرآني في ألفاظه ومعانيه ونظمه، ولو اجتمعت الإنس والجن على ذلك، لأنه خارج عن قدرتهم، فالقرآن الكريم اشتمل على الأساليب البلاغية المعروفة عند العرب من إيجاز وإطناب ومجاز وحقيقة ... ولكنه فاقها فصاحة وبلاغة، ليظهر بذلك عجزهم، ووضح الباقلائي ذلك فقال «وهو أن الذي ينقسم عليه الخطاب، من البسط والاقتصار، والجمع والتفريق،

<sup>1</sup> - إعجاز القرآن: الباقلائي، ص: 35.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 36.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 36.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 38.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص: 38.

والاستعارة والتصريح، والتجوز والتحقيق، ونحو ذلك من الوجوه التي توجد في كلامهم موجودة في القرآن . وكل ذلك مما يتجاوز حدود كلامهم المعتاد بينهم في الفصاحة والإبداع والبلاغة<sup>1</sup>، وتجلي الإعجاز أيضا في المعاني ذلك «أن المعاني التي يتضمنها في أصل وضع الشريعة والأحكام، والاحتجاجات في أصل الدين، والرد على الملحدين على تلك الألفاظ البديعة، ومواقف بعضها بعضا في اللطف والبراعة، مما يتعذر على البشر ويمتنع»<sup>(2)</sup>.

أما ما يرجع إلى الألفاظ، فبين «أن الكلام يتبين فضله ورجحان فصاحته، بأن تذكر منه الكلمة في تضاعيف كلام، أو تقذف ما بين شعر، فتأخذها الأسماع، وتتشوق إليها النفوس»<sup>(3)</sup>، حيث حملت بعض المفردات مدلولات ومعان جديدة لم تكن مألوفة ومتداولة عند العرب قبل الإسلام، كما أنها تميزت بالفصاحة والبعد عن الغرابة والتكلف، وهو ما أشار إليه الباقلاني عند حديثه عن النظم القرآني «أنه سهل سبيله؛ فهو خارج عن الوحشي المستكره، والغريب المستنكر، وعن الصنعة المتكلفة»<sup>(4)</sup>.

وبين ما يتعلق بحروفه موضحا «أن الحروف التي بني عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفا، وعدد السور التي افتتح فيها بذكر الحروف ثمان وعشرون سورة، وجملة ما ذكر من هذه الحروف في أوائل السور من حروف المعجم نصف الجملة، وهو أربعة عشر حرفا، ليدل المذكور على غيره، وليعرفوا أن هذا الكلام منتظم من الحروف التي ينظمون بها كلامهم»<sup>(5)</sup>، فهو يشير إلى الحروف المقطعة التي افتتحت بها السور، ووقع بها تحدي المشركين الذين عجزوا عن معارضة القرآن الكريم، وهو مركب من حروف لغتهم، ليظهر بذلك إعجازه .

وشرح الباقلاني الإعجاز الواقع بنظم الحروف فقال «ليس الإعجاز في نفس الحروف، وإنما هو في نظمها وإحكام رصفها، ... وليس نظمها أكثر من وجودها متقدمة، أو متأخرة، ومرتبة في الوجود، وليس لها نظم سواها، وهو كتتابع الحركات ... ووجود بعضها قبل بعض، ووجود بعضها بعد

<sup>1</sup> - إعجاز القرآن: الباقلاني، ص: 42.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 42.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 42.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 46.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص: 44.

بعض»<sup>(1)</sup>، فقصده بنظم الحروف نظم الكلمات، ومراعاة العلاقات القائمة بين الألفاظ من ناحية التقديم والتأخير بغرض الإبانة عن المعاني الكامنة في النفس، وليتأتى ذلك لابد من حسن تخير اللفظ المناسب؛ لأن «الكلام موضوع للإبانة عن الأغراض التي في النفوس، وإذا كان كذلك وجب أن يتخير من اللفظ ما كان أقرب إلى الدلالة على المراد، وأوضح في الإبانة عن المعنى المطلوب، ولم يكن مستكره المطلع في الأذن، ولا مستنكر المورد على النفس، حتى يتأبى بغيرته في اللفظ عن الإفهام، أو يمتنع بتعويض معناه عن الإبانة»<sup>(2)</sup>، ففي النص تحديد لمعالم الفصاحة المتمثلة في تلاؤم الألفاظ وبعدها عن الغرابة والتكلف، وحسن وقعها في السمع، لتحقيق بذلك الغاية الإبداعية من نظم الكلام، فقد بين الباقلائي اختلاف العلماء في تبيان مفهومها، فقال «وأما الفصاحة فقد اختلفوا فيها: فمنهم من عبر عن معناها بأنه: ما كان جنز اللفظ، حسن المعنى . وقد قيل: معناها: الاقتدار على الإبانة عن المعاني الكامنة في النفوس، على عبارات جلية، ومعان نقية بهية»<sup>(3)</sup>، لتظهر الفصاحة والبراعة عنده في تحقيق المناسبة بين الألفاظ والمعاني مع مراعاة مقتضى الحال، وتأثير في ذلك بالجاحظ الذي دعا إلى ضرورة مراعاة أحوال المخاطبين ومستوياتهم، ليعتد بذلك النظم فيكون كلام سيد الأمة مبيناً لكلام الأمة، فمتى جاءت الألفاظ وفقاً للمعاني ظهرت الفصاحة .

سعى الباقلائي لإبطال شبهة أثرت من قبل الملحنين، الداعين بختاننا بتوفق شعرهم على القرآن، ما دفعه للموازنة بين النظم القرآني والبيان العربي، واختار في دراسته قصيدتين اعتبرت من روائع الشعر (قصيدة امرئ القيس وقصيدة البحري المشهورة)، وحاول استجلاء عيوبهما ومواطن الخلل فيهما، فإذا سقط الشعر وهو رمز البلاغة والبيان عند العرب، ثبت الإعجاز بطريقة الاستدلال العكسي، وأوضح النهج الذي سيسلكه بقوله «إذا أردنا تحقيق ما ضمنه لك، فمن سبيلنا أن نعمل إلى قصيدة متفق على كبر محلها، وصحة نظمها، وجودة بلاغتها ورشاقة معانيها، وإجماعهم على إبداع صاحبها فيها ... فنقفك على مواضع خللها، وعلى تفاوت نظمها، وعلى اختلاف فصولها، وعلى كثرة فضولها، وعلى شدة تعسفها، وبعض تكلفها، وما تجمع من كلام رفيع، يقرن بينه وبين كلام

1 - كتاب تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل: الباقلائي، ص: 178.

2 - المصدر السابق، ص: 117.

3 - المصدر نفسه، ص: 127.

وضيع، وبين لفظ سوقي، يقرن بلفظ ملوكي»<sup>(1)</sup>، فقصد بعبارة (تحقيق ما ضمنه لك): أن النظم القرآني يفوق كل نظم وأن التعبير البشري يعتريه النقص والفساد .

اعترف الباقلاني بجودة شعر امرئ القيس وفصاحته، وابتدأه في طرق الشعر أمورا اتبعها الشعراء كذكر الديار والوقوف عليها، واستحدثه للصور والتشبيهات، وامتلاكه للصناعة والطبع، والأمور التي تحمد وتؤثر، ثم انتقل ليوضح مواضع الخلل التي وقع فيها، فحلل قول امرئ القيس<sup>2</sup>:

قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ      بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلٍ  
فَتُوضِحَ فَاَلْمُقْرَأَةُ لَمْ يَعْفُ رَسْمَهَا      لَمَّا نَسَجَتْهَا مِنْ جُنُوبٍ وَشَمَالٍ

فقال «... أنت تعلم أن ليس في البيتين شيء قد سبق في ميدانه شاعرا، ولا تقدم صانعا. وفي لفظه ومعناه خلل، فأول ذلك: أنه استوقف من يبكي لذكر الحبيب، وذكره لا تقتضي بكاء الخلي، وإنما يصح طلب الإسعاد في مثل هذا، على أن يبكي لبكائه... ثم في البيتين ما لا يفيد من ذكر هذه المواضع، وتسمية هذه الأماكن، من الدخول وحومل وتوضح والمقراة وسقط اللوى، وقد كان يكفي أن يذكر في التعريف بعض هذا . وهذا التطويل إذا لم يفد كان ضربا من العي»<sup>(3)</sup>.

فنقد القصيدة وأذهب محاسنها، ليختم تحليله بقوله « وقد بينا لك أن هذه القصيدة ونظائرها، تتفاوت في أبياتها تفاوتاً بيناً في الجودة والرداءة، والسلاسة والانعقاد، والسلامة والاخلال، والتمكن والاستصعاب، والتسهيل والاسترسال، والتوحش والاستكراه، وله شركاء في نظائرها، ومنازعون في محاسنها، ومعارضون في بدائعها»<sup>(4)</sup>.

وحلل الكثير من الآيات القرآنية، ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَأَنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: 192-195]، فقال « وهذه كلمات مفردة بفواصلها، ومنها ما يتضمن فاتحة وفاصلة، ومنها ما هي فاتحة وواسطة وفاصلة، ومنها كلمة بفاصلتها تامة . دل على أنه نزل على قلبه ليكون نذيرا، وبين أنه آية لكونه نبيا،

<sup>1</sup> - إعجاز القرآن: الباقلاني، ص: 156.

<sup>2</sup> - ديوان امرئ القيس، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ص: 08.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 160.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 182.



ثم وصل بذلك كيفية النذارة فقال ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (214) وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 214-215]، فتأمل آية آية، لتعرف الإعجاز، وتبين التصرف البديع، والتنقل في الفصول في آخر السورة»<sup>(1)</sup>، ويواصل تفسيره ووقوفه على البيان القرآني فيقول «ثم راع المقطع العجيب وهو قوله ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: 227]، هل يحسن [أحد] أن يأتي بمثل هذا الوعيد؟ وأن ينظم مثل هذا النظم، وأن يجد مثل هذه النظائر السابقة»<sup>(2)</sup>.

فإذا دقت في الآيات القرآنية «تعلم ورودها عن الإلهية، ودلالاتها عن الربوبية، وتحقق أن الخطب المنقولة عنهم، والأخبار الماثورة في كلماتهم الفصيحة، من الكلام الذي تعلق به الهمم البشرية، وما تحوم عليه الأفكار الآدمية، وتعرف مباينتها لهذا الضرب من القول»<sup>(3)</sup>، ليخلص إلى أن النظم القرآني مغاير لكلام العرب ونظمها.

ولعل الأوضاع السائدة في عصره هي التي دفعته لهجاء الشعر وتجرده من رونقه وخصائصه، وهو ما أوضحه محمود محمد مُجَدُّ شاكراً بقوله «الموازنة حملته على هتك الستار عن معلقة امرئ القيس ليكشف للناس عيبها وخللها، لا ليستخرج منها خصائص بياهم، وكيف كانت هذه الخصائص مفارقة لخصائص بيان القرآن»<sup>(4)</sup>، فلا يمكن سلب الشعر مزاياه وهو ديوان العرب، ووثيقة لتأريخ وقائعهم وسجلاتهم، وحجة يستدل بها على قواعدهم النحوية واللغوية، وعجز العرب عن معارضة القرآن رغم براعتهم في الشعر واقتدارهم عليه أكبر دليل على خصائص البيان القرآني مفارقة لخصائص الكلام البشري.

#### - الإعجاز والبلاغة عند القاضي عبد الجبار (ت 415هـ):

اهتم القاضي عبد الجبار ببلاغة القرآن الكريم وبحث عن سر إعجازه، مفندا الآراء التي ذكرت عن الإعجاز كالإخبار عن الغيوب مشيراً إلى أن التحدي وقع في القرآن بجملته لا ببعضه؛ إذ جاءت بعض السور فيها إخبار عن أمور غيبية لا جميع السور، موضحاً أن الفصاحة هي سر الإعجاز القرآني

<sup>1</sup> - إعجاز القرآن: الباقلاني، ص: 196.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 196.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 199.

<sup>4</sup> - الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، تقديم: مُجَدُّ عبد الله دراز، محمود مُجَدُّ شاكراً، دار الفكر، دمشق، سورية، 2000، ص: 46.

وربطها بجزالة اللفظ وحسن المعنى، وهو الرأي الذي تبناه شيخه أبو هشام الجبائي (ت 321هـ)، حيث اتفق معه في نفي صلاحية النظم وجهها للإعجاز بمعزل عن الفصاحة فقال «لا يصح عندنا أن يكون اختصاص القرآن بطريقة في النظم دون الفصاحة، التي هي جزالة اللفظ، وحسن المعنى، ومتى قال القائل: إني وإن اعتبرت طريقة النظم، فلا بد من اعتبار المزية في الفصاحة، فقد دعا إلى ما أردناه؛ لأنه إذا وجب اعتبار ذلك، فمتى حصل مثل تلك المزية في أي نظم كان، فقد صحت المباشرة»<sup>(1)</sup>، فقد أضاف إلى شيخه فكرة الجمع بين الفصاحة والنظم.

وضح القاضي مزية الكلام الفصيح بقوله «اعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام؛ وإنما تظهر في الكلام بالضم، على طريقة مخصوصة، ولا بد مع الضم من أن يكون لكل كلمة صفة؛ وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التي تتناول الضم، وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه، وقد تكون بالموقع، وليس لهذه الأقسام الثلاثة رابع»<sup>(2)</sup>، فلا فصاحة عنده للفظ المفرد وإنما تظهر مزيمته داخل السياق وما يحدث فيه من صور تركيبية، يتركز فيها على أمور ثلاث: الأول: الإبدال الذي يقوم على حسن اختيار الكلمة المناسبة للمعنى وطرح بدائل أخرى من كلمات مقاربة لها في الدلالة؛ لأنها لا تؤدي الغرض ذاته، والثاني: مراعاة الموقع ورتبتها داخل التركيب ودراسة ما يعتريها من تقديم وتأخير، أما الثالث: فهو الإعراب متعلق بالوظيفة النحوية التي تكتسبها اللفظة عند انتظامها داخل نسق معين.

أما المسألة الثانية التي عالجها فهي متعلقة بالمعاني؛ إذ يرى «أن المعاني وإن كان لا بد منها فلا تظهر فيها المزية، وإن كانت تظهر في الكلام لأجلها، ولذلك نجد المعبرين عن المعنى الواحد يكون أحدهما أفصح من الآخر، والمعنى متفق، وقد يكون أحد المعنيين أحسن وأرفع، والمعبر عنه في الفصاحة أدون، فهو مما لا بد من اعتباره وإن كانت المزية تظهر بغيره؛ وعلى أننا نعلم أن المعاني لا يقع فيها تزايد، فإذاً يجب أن يكون الذي يعتبر التزايد عند الألفاظ التي يعبر بها عنها»<sup>(3)</sup>، حيث يعتبر الألفاظ

<sup>1</sup> - المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار، تح: محمد مصطفى حلمي، أبو الوفا الغنيمي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأبناء والنشر، د/ط، د/ت، ج 16/198.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 16/199.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 16/199-200.

مشتركة بين المتكلمين وإنما تظهر المزية في براعة الأسلوب وحسن الصياغة التي تقوم على مراعاة الجانب الوضعي للغة (المعنى الاصطلاحي للكلمة)، ومعرفة طرق نظم الكلام.

ولم يخرج القاضي هذه الآراء إلى حيز التطبيق ولم يضرب أمثلة لها من القرآن الكريم، فكان حديثه عن الإعجاز حديثاً نظرياً لانشغاله بعلم الكلام؛ حيث غلب على معالجته البلاغية روح الجدل والفلسفة.<sup>(1)</sup>

فمن القضايا البلاغية التي عالجها: خروج الأساليب الإنشائية عن معناها الحقيقي إلى معانٍ أخرى، فيرى أن الأمر قد يخرج عن حقيقته إلى التهديد، أو التقرير، أو التوبيخ، أو التقرير بدلالة القرينة والمقام، ومثل لذلك بقوله « فأما قوله تعالى ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ [الإسراء: 50]، فالأمر فيه ظاهر أنه ليس أمراً، وكذلك قال في قوله ﴿وَأَسْتَفْزِرُّ مِنْ أَسْطَظَّتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ إنه تهديد وزجر، فليس لأحد أن يسأل عن ذلك، ولذلك قال بعده ﴿وَعَذَابُهُمْ شَدِيدٌ﴾ (2)، فجاء الأمر بغرض تعجيز الكافرين المنكرين للبعث والحساب بأن يكون حجارة أو حديدًا في الشدة والقوة كي يتحقق مطلبهم بعدم والبعث، ولكن مطلبهم باطل؛ لأن وعد الله نافذ.

ووضح دلالة الأمر في قوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 32]، بأنه ليس بتكليف ولا أمر بل هو تقرير وتقرير، وذلك أنه تعالى علم آدم عليه السلام الأسماء ليكون معجزاً له، فأراد أن يبين للملائكة أن هذا الاختصاص يوجب نبوته فقرهم بقوله (أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (3)، وفي ذلك بيان لفضل آدم عليه السلام وخلافته للأرض، وفي قوله تعالى (أَنْبِئُونِي) بصيغة الأمر تعجيز للملائكة على ما قالوه وبيان لقدرته تعالى النافذة.

وبيّن القاضي خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي، قال « وربما قيل في قوله تعالى ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ [الأعراف: 44-45]، هذا السؤال في الآخرة وكلهم يعرفون ذلك؟ وجوابنا: أنهم قالوه على وجه التوبيخ لهم لا على

<sup>1</sup> - التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة، وليد قصاب، ص: 185.

<sup>2</sup> - تنزيه القرآن عن المطاعن، القاضي عبد الجبار، تح: أحمد عبد الرحيم السايح، توفيق علي وهبة، مكتبة النافذة، الجيزة، ط1، 2006، ص: 256.

<sup>3</sup> - ينظر: متشابه القرآن، القاضي عبد الجبار، تح: عدنان محمد زرزور، دار التراث، القاهرة، د/ط، ت، ص: 39.

طريقة المسألة والتعرف وقوله (نَعَمْ) كالاقراراف بتقصيرهم في الدنيا وأنهم أهل الإنكار والتوبيخ ولذلك قال بعده ﴿فَأَذِّنْ مُؤَذِّنُ يَتَنَبَّهْنَ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (44) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾<sup>(1)</sup>، فدل الاستفهام على تقييع الكافرين وتوبيخهم لإعراضهم عن الحق وتكذيبهم للرسول، وفي ذلك تصوير لحالة الندم والانكسار التي تعتريهم.

#### - التقديم والتأخير:

أشار القاضي عبد الجبار إلى ظاهرة التقديم والتأخير في التركيب القرآني محددًا اللفظ المقدم أو المؤخر دون ذكره للغرض البلاغي منه، ومن ذلك قوله « وربما قيل: في قوله تعالى في قصة صالح ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ﴾ [الأعراف: 78] ثم قال ﴿فَقُولُوا عَنْهُمْ وَقَالَ يَلْفُظُونَ لَقَدْ أَهْلَفْتُمْ رَسُولًا رَيْيًا﴾ [الأعراف: 79]، فكيف يجوز أن يقول لهم ذلك، وقد هلكوا بأخذ الرجفة لهم؟ وجوابنا: إن في ذلك تقديمًا وتأخيرًا، ومثل ذلك يكثر في الكلام»<sup>(2)</sup>، فقد صرح بوجود تقديم وتأخير في التركيب دون أن يوضح الغرض البلاغي من وروده، مكتفيا ببيان شيوع استعماله في كلام العرب.

ومن التقديم والتأخير قوله « وربما قيل في قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: 01]، كيف يصح أن ينفي عنه أن يكون قيما كما نفى عنه العوج؟ وجوابنا: أنه لم يدخل في العوج وصار قوله (قيما) من صفات الكتاب، كما أن قوله (لينذر) من صفات الكتاب، فكأنه قال (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا) وجعله (قِيَمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ) وقد قيل: إنه مقدم ومؤخر في الذكر وهو مقدم، فكأنه قال: (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا) وذلك في المعنى يؤدي ما قدمناه في الفائدة»<sup>(3)</sup>، حدد موضع التقديم والتأخير ولكنه لم يوضح غرضه بلاغي.

#### - الإيجاز:

وقف القاضي عبد الجبار عند مواضع الحذف في القرآن الكريم مقدرا الجزء المحذوف، قال «وقوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ﴾ [القصص: 76-77]، لابد من حذف في الكلام وهو: لا

<sup>1</sup> - تنزيه القرآن عن المطاعن، القاضي عبد الجبار، ص: 172.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 173-174.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 261.

تفرح فرح من يظن أنه يدوم ويبقى، وقوله: ﴿وَأَبْغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ النَّارَ الْآخِرَةَ﴾ يدل على ما قلناه، فكأنهم أشاروا عليه الجمع أن ينفق في سبيل الله وينصرف عن الجمع الكثير<sup>(1)</sup>، فحذف متعلق الفعل لدلالة المقام عليه؛ إذ نهى عن الانغماس في ملذات الدنيا ونسيان دار الآخرة.

وأشار إلى حذف مفعول في قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: 04]، قال «بعد أن بيّن أن معنى الضلال هو العقاب وأن معنى الهدى هو الدلالة والبيان، ينبغي أن يكون المراد في هذا الموضع أنه (يضل من يشاء) بأنه يعاقبه ويهلكه جزاء له على كفره، ويهدي من يشاء إلى الثواب وطريق الجنة جزاء له على إيمانه، ولا بد من تقدير حذف في الكلام، فكأنه قال تعالى (ليبين لهم، فمن قبل يهده، ومن رد ذلك يضلّه) فيكون ما يقع من الهدى والضلال جزاء عليه محذوفاً ذكره»<sup>(2)</sup>.

ووضح دلالة حذف الصفة قال «وربما قيل في قوله تعالى ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: 79]، فإنه كان يأخذ كل سفينة، فكيف يصح أن يقول ذلك؟ وجوابنا: أن المراد بأخذ كل سفينة صحيحة غصباً، وذلك ما يعقل من الكلام بقوله: (فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا)؛ لأنه نبه بذلك على أن ذلك الملك كان ينصرف عن أخذ المغيّب من السفن إلى أخذ الصحيح»<sup>(3)</sup>، فقدّر الصفة المحذوفة بـ(صالحة) لمقتضيات السياق الذي دلت عليه القرينة (فأردت أن أعيبها) العائدة على السفينة.

#### - المجاز:

عرف القاضي عبد الجبار المجاز بقوله «إن التجوز هو أن توضع اللفظة في غير موضعها وأن يفاد بها غير ما وضعت له»<sup>(4)</sup>، فالمجاز عنده قائم على أمرين: الأول: النقل المتمثل في نقل لفظة عن معناها الأصلي واستعمالها في موضع آخر، الثاني: المعنى الجديد: وهو المعنى الناتج عن التركيب المجازي، ويكون مبيناً للمعنى الأصلي مع وجود رابط بين المعنيين الحقيقي والمجازي.

<sup>1</sup> - تنزيه القرآن عن المطاعن، القاضي عبد الجبار، ص: 333.

<sup>2</sup> - متشابه القرآن، القاضي عبد الجبار، ص: 414.

<sup>3</sup> - المصدر السابق، ص: 268.

<sup>4</sup> - المغني: القاضي عبد الجبار، ج 209/7.

فحدد العلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي مبرزاً جمالياتها في التركيب، فقد وضح دلالة المجاز المرسل الذي علاقته السببية قال « قد ثبت في اللغة أنه قد يجري اسم الشيء على ما هو جزء له، كما يجري اسم الجزء على الفعل... وهذه الطريقة في مذهب العرب معروفة»<sup>(1)</sup>، ويقصد بالجزء (المسبب) وبالفعل (السبب)؛ لأن الجزء مسبب عن الفعل كما الفعل سبب للجزء.

ومثل لذلك بقوله تعالى ﴿فَمَنْ أَعْتَذَرْتُ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَذِرُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَذَرْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: 194]، معتبرا لفظ (الاعتداء) مجازا عن القصاص.<sup>(2)</sup>

وقال «وربما قيل في قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [النساء: 63]، ما فائدة هذا التخصيص وهو عالم بسرائر القلوب؟ وجوابنا: أن ذلك تهديد من الله تعالى، وإذا خص قلوبهم بالذكر كان أقوى، ولا يمنع من كونه علما بكل شيء، إذ العادة جارية في الوعيد أن يخص كقول القائل لوكيله: احذر مخالفتي فإني عالم بما تأتيه»<sup>(3)</sup>، فذكر الجزء (القلب) وأريد به الكل وتخصيص القلب بالذكر لأهميته فبصلاحه يصلح الإنسان.

#### - التشبيه:

أدرك القاضي عبد الجبار أهمية التشبيه في توضيح المعاني وتقريبها؛ إذ يكمن دوره في إخراج المعاني الخفية إلى معان جلية محسوسة، مما يضيفي على التركيب جمالية ورونقا، فقد فسر قوله تعالى ﴿طُلُعًا كَأَنَّهُ زُغَبٌ شِيطَانِي﴾ [الصفاء: 65]، قال « فالغرض معقول لأهل اللغة، لأنهم إذا عرفوا في الجملة: أن خلق الشياطين فيه تشويه، وفي الطبع نفار، لم يمنع أن يزجرهم عن المعاصي بذكر النار وأطعمتها ويشبه طلوعها بذلك، وربما كان التمثيل بمثل هذه الأمور التي يذهب القلب فيها مذاهب مختلفة لخروجها عن طريق المشاهدة أبلغ، فكل ما يذكر من هذا الجنس فطريق الجواب عنه ما قدمناه»<sup>(4)</sup>، حيث ورد في الآية تشبيه أمر عقلي (شجرة الزقوم) بأمر عقلي (رؤوس الشياطين) بغرض تقريب الصورة للأذهان ليذهب الذهن في تصور هذا القبح ما يذهب، فالتشبيه هنا من حيث قبح المنظر.

<sup>1</sup> - متشابه القرآن، القاضي عبد الجبار، ص: 56-57.

<sup>2</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ص: 119.

<sup>3</sup> - تنزيه القرآن عن المطاعن، القاضي عبد الجبار، ص: 104.

<sup>4</sup> - المغني: القاضي عبد الجبار، ج 16/406.

ووضح جمالية التشبيه لاختلاف وجه الشبه فقال « فإن قيل ففي جملته ﴿فَالْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الشعراء: 32]، وقال في موضع آخر: ﴿كَانَ جَاآنَ﴾ [النمل: 10] وذلك كالمتناقض؟ جوابنا: أن المراد أنها كالثعبان في العظم، والجنان في سرعة حركتها من حيث خلقت من نار السموم<sup>(1)</sup>، فشبهت العصا بالثعبان ووجه الشبه بينهما عظم الشكل والهيئة، في حين شبهت بالجنان لسرعة حركتها واهتزازها.

#### - الاستعارة:

وضح القاضي عبد الجبار الاستعارة في قوله تعالى ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 72]، قال «المراد من ذهل عن تمييز الخير والشر في الدنيا فهو بأن يذهل عن ذلك في الآخرة أولى، وليس المراد إثبات العمى على الحقيقة بل هو ترغيب في التمسك في الطاعة»<sup>(2)</sup>، فاستعير لفظ (العمى) لبيان إعراض الكافرين عن تدبر آيات ودلائل قدرته تعالى في الحياة الدنيا، فليس العمى عمى بصر ولكنه عمى بصيرة، أما عمى الآخرة ففيه تصوير لحالة اضطرابهم وحيرتهم فشبهوا بالأعمى الذي لا يتبين خطوات سيره فيتعثّر في كل مكان ويسبب له المشاكل.

وفسر القاضي قوله تعالى ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: 257]، قال «ظاهره يقتضي أنه يخرجهم تعالى من ظلمة إلى نور، واستعمالها في الإيمان والكفر مجاز، ولا فرق بين من حمله على الكفر والإيمان ومن حمله على الجنة والنار، فقال: إن الذين آمنوا يخرجهم تعالى من طريق النار الذي هو ظلمات إلى طريق الجنة الذي هو نور»<sup>(3)</sup>، فشبه الإيمان بالنور والكفر بالظلمة، كما شبه طريق الجنة بالنور وطريق النار بالظلمة.

#### - الكناية:

ذكر القاضي الكناية في تفسيره لقوله تعالى ﴿فَرُدُّوْا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ [إبراهيم: 9]، قال «وقد ذكرنا من قبل أن ذلك ذم لهم، وهو كناية عن تركهم القبول منهم لا أن هنا استعمالاً لليد في

<sup>1</sup> - تنزيه القرآن عن المطاعن : القاضي عبد الجبار، ص: 322.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 256.

<sup>3</sup> - متشابه القرآن، القاضي عبد الجبار، ص: 133.

قولهم وبيأنهم»<sup>(1)</sup>، فالتعبير برد الأيدي في الأفواه فيه كناية عن استهزاء الكافرين وسخرتهم من رسلهم وقد دعوهم للحق.

ومن الكناية قوله تعالى ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: 29]، وضحاها القاضي بقوله « ليس المراد بذلك ما يقتضيه ظاهره، بل المراد ألا يضيق على نفسه وعلى من تلزمه نفقته، وهذا أفصح الكلام في وصف البخل، ولذلك قال تعالى بعده "ولا تبسطها كل البسط" منع بذلك من التبذير»<sup>2</sup>، فجعل الممتنع عن الإنفاق كالمشودة يده إلى عنقه وذلك كناية عن بخله، في حين جعل بسط اليد كناية عن الإسراف، لذا وجب الاعتدال في الإنفاق فلا إمساك ولا إسراف.

ومن المفسرين الذين أسهموا في إثراء الدرس البياني: ابن جرير الطبري (ت 310هـ)، وأبي الليث السمرقندي (ت 375هـ)، فقد قدموا إشارات هامة في مسائل بيانية عدة متخذين من البلاغة آلية لفهم معاني ومقاصد القرآن الكريم؛ كاشفين بذلك عن جمالية النظم القرآني وبراعة أساليبه.

#### - البلاغة عند ابن جرير الطبري (ت 310هـ):

أضفى ابن جرير في مصنفه "جامع البيان" تخریجات بلاغية فريدة تنم عن علمه باللغة وأساليبه ومواضع استعمالها؛ إذ بحث عن جمالية النظم القرآني وبديع تأليفه، تجلية منه لمعاني ومقاصد القرآن الكريم، فمن المباحث البلاغية التي ذكرها:

#### - الأساليب الإنشائية:

فقد أدرك الطبري خروج الاستفهام عن أصل وضعه المتمثل في طلب الفهم أو معرفة أمر مجهول، إلى أغراض بلاغية أخرى كالإنكار أو التوبيخ، أو التعجب...، ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: 28]، وضع دلالة الاستفهام بقوله « توبيخ مستعجب عبده، وتأنيب مسترجع خلقه من المعاصي إلى الطاعة، ومن

<sup>1</sup> - تنزيه القرآن عن المطاعن، القاضي عبد الجبار، ص: 233.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 254.



الضلال إلى الإنابة»<sup>(1)</sup>، فالاستفهام فيه إنكار وتوبيخ للكافر المعرض عن الحق وقد ظهرت له دلائل قدرته تعالى في خلقه من العدم، ثم إماتته، وبعثه من جديد.

عرض الطبري أقوال المفسرين في تأويلهم لقوله تعالى ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 44]، وحملهم دلالة الاستفهام على معنى التعجب، بينما يرى أن الاستفهام ورد بغرض التوبيخ والتعريض، قال «فالتأويل الذي يدل على صحته ظاهر التلاوة إذن: تأمرون الناس بطاعة الله وتركون أنفسكم تعصيه؟ فهلا تأمرونها بما تأمرون به الناس من طاعة ربكم جل وعز؟ معيرهم بذلك ومقبحا لهم ما أتوا به»<sup>(2)</sup>، فدل الاستفهام على التوبيخ والتعجب من أمرهم في إرادة الخير للغير وإهمال النفس منه؛ إذ لم يكونوا بتلك الاستقامة التي كانوا يدعون.

كما لاحظ خروج الأمر والنهي عن معنهما الحقيقي إلى دلالات أخرى، ففسر قوله تعالى ﴿قُلْ يَتَّقُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا كُنتُمْ فِي غَمَلٍ﴾ [الأنعام: 135]، قال «وقوله تعالى ذكره لنبيه: قل لقومك (يَتَّقُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا كُنتُمْ فِي غَمَلٍ) أمر منه له بوعيدهم، وتهديدهم، لا إطلاق لهم في عمل ما أرادوا من معاصي الله»<sup>(3)</sup>، ففي الأمر تهديد ووعيد لهم على تمسكهم بالكفر وعدواتهم للرسول ﷺ وتأكيده أن العقوبة للمؤمنين.

وذكر دلالة النهي في قوله تعالى ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن سَيِّئًا أَوْ أَخْطَاءً رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة: 286]، قال «وهذا تعليم من الله عباده المؤمنين دعاء؛ كيف يدعونه، وما يقولون في دعائهم إياه، ومعناه: قولوا: ربنا لا تؤاخذنا إن سينا شيئا فرضت علينا عمله، فلم نعمله، أو أخطأنا في فعل شيء نهيتنا عن فعله ففعلنا، على غير قصد منا إلى معصيتك»<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري: أبو جعفر محمد، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج448/1.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج616/1.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج567/9.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج155/5.

### - الحذف:

تطرق الطبري إلى بيان الحذف الذي يعتري التراكيب سواء بإسقاط المسند، أو المسند إليه، أو المفعول به، أو غيره من مكملات الجملة، تحقيقاً لأغراض بلاغية يستوجبها المقام، ومن ذلك حذف المبتدأ في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْحِكْمُ وَفُضِّلَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: 1]، قال «يعني هذا الكتاب الذي أنزله الله على نبيه محمد ﷺ وهو القرآن، ورفع قوله: (كُتِبَ) بنية: هذا كتاب»<sup>(1)</sup>، فحذف المبتدأ وتقديره: (هذا الكتاب)، وفيه إظهار لعظمة الكتاب.

ومن بلاغة حذف الخبر ما ذكره في تفسيره لقوله تعالى ﴿أَقَمْنِ شَرَحَ اللَّهِ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ قَوْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أَوْ لَتُنكَ فِي صَلَاحٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: 22]، قال «فهو على بصيرة مما هو عليه، ويقين بتنوير الحق في قلبه، فهو لذلك لأمر الله متبع، وعما نجاه منته فيما يرضيه كمن أقسى الله قلبه، وأخلاه من ذكره، وضيقه من استماع الحق واتباع الهوى، والعمل بالصواب، وترك ذكر الذي أقسى الله قلبه وجواب الاستفهام، اجتزاء بمعرفة السامعين المراد من الكلام، إذا ذكر أحد الصنفين، وجعل مكان ذكر الصنف الآخر الخبر عنه بقوله ﴿قَوْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾»<sup>(2)</sup>.

ووضح الغرض من حذف الفعل في قوله تعالى ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ [الشمس: 13]، قال «واحدروا ناقة الله وسقياها، وإنما حذرهم سقيا الناقة، لأنه كان تقدم إليهم عن أمر الله، وأن للناقة شرب يوم، ولهم شرب يوم آخر غير يوم الناقة»<sup>(3)</sup>، فحذف الفعل بغرض التحذير والتقدير: ذروا ناقة الله وسقياها.

### - التشبيه:

أدرك الطبري القيمة البلاغية للتشبيه، فهو يضيف على التراكيب رونقا ويزيد المعاني وضوحا وتأكيذا من خلال نقل المعنى الخفي إلى أمر محسوس مدرك ليؤثر بذلك على المتلقين، ومن الشواهد التي ذكرها: قوله تعالى ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: 39]، وبين الغاية من تشبيه القمر بالعرجون القديم قال «لأن ذلك من العَذَقِ، لا يكاد يوجد إلا متقوسا منحيا، إذا قدم

<sup>1</sup> - تفسير الطبري: ابن جرير الطبري، ج 308/12.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 189/20.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 449/24.

ويبس، ولا يكاد أن يصاب مستويا معتدلا، كأغصان سائر الأشجار وفروعها، فكذلك القمر إذا كان في آخر الشهر قبل استساراه، صار في انحنائه، وتقوسه نظير ذلك العرجون»<sup>(1)</sup>، فشبه القمر في نهاية رحلته وهو في حالة تناقص بالعرجون القديم وهو في حالة تقوس ويبس واصفرار، فكلاهما كان موضع اهتمام، ولكن ما لبث هذا الاهتمام يتلاشى مع انتهاء الغاية منهما.

وذكر الطبري في بيان وجه التشبيه في قوله تعالى ﴿طَلَّهَا كَأَنَّهَ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصافات: 65]، عدة وجوه منها «أن يكون مثل ذلك برؤوس الشياطين، على نحو ما قد جرى به استعمال المخاطبين بالآية بينهم، وذلك أن استعمال الناس قد جرى بينهم في مبالغتهم، وإذا أراد أحدهم المبالغة في تقبيح الشيء، قالوا: فكأنه شيطان»<sup>(2)</sup>، فالجامع بين شجرة الرقوم ورؤوس الشياطين هو قبح المنظر وما يحمله من صورة منفرة.

ومن التمثيل قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: 39]، قال الطبري «وهذا مثل ضربه الله لأعمال أهل الكفر به، فقال: والذين جحدوا توحيد ربهم وكذبوا بهذا القرآن، وبمن جاء به، مثل أعمالهم التي عملوها (كسرابٍ) ... يظن العطشان من الناس السراب ماء (حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا) ... فكذلك الكافرون بالله من أعمالهم التي عملوها في غرور، يحسبون أنها منجيتهم عند الله من عذابه، كما حسب الظمآن الذي رأى السحاب، فظنه ماء يرويه من ظمئه»<sup>(3)</sup>، فشبه بطلان عمل الكافرين وحرصهم الكبير على الاستكثار منه، ظنا أنهم ينالون بها رضا الله بحالة ظمآن يرى السراب فيحسبه ماء فإذا جد في الوصول إليه أدرك حقيقته وخاب ظنه، وكذلك الكفار لن ينالوا شيئا مما عملوا.

#### - الاستعارة:

صرح الطبري بمنهج العرب في نقلها للكلمات وتوظيفها لدلالة أخرى، لعلاقة مشابهة بين المعنى المستعار منه والمستعار له يُجَوِّزُ هذا النقل، فمن الاستعارة في القرآن قوله تعالى ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: 10]، قال «إنما يعني: في اعتقاد قلوبهم الذي يعتقدونه في الدين...

<sup>1</sup> - تفسير الطبري: ابن جرير الطبري، ج 19/436-437

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 19/554

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 17/326

والمرض الذي ذكره الله جل ثناؤه أنه في اعتقاد قلوبهم الذي وصفنا، هو شكهم في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله، وتحيرهم فيه، فلا هم به موقنون إيقان إيمان، ولا هم له منكرون إنكار إشراك<sup>(1)</sup>، فاستعير لفظ (المرض) ليعبر به عن النفاق والكفر الذي استحوذ على قلوبهم وتمكن منها، وذكر القلب لأنه مناط الصلاح، فبصلاحه يصدق القول ويستقيم العمل.

وقوله تعالى ﴿حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: 7]، فسرهما الطبري بقوله « فإن قال لنا قائل: وكيف يختم الله على القلوب، وإنما الختم طبع على الأوعية والظروف، والغلف؟ قيل: فإن قلوب العباد أوعية لما أودعت من العلوم... فمعنى الختم عليها، وعلى الأسماع التي بها تدرك المسموعات، ومن قبلها يوصل إلى معرفة حقائق الأنباء عن المغيبات، نظير معنى الختم على سائر الأوعية<sup>(2)</sup>، فالتعبير بلفظ (الختم) كأنه بيان لتلك الأقفال والحواجز التي تمنع نفاذ الهداية للقلوب ووصول الحقيقة للأسماع؛ فقد تمكنت كتمكن الظرف من المظروف عليه.

#### - الكناية:

للكناية دور مهم في آداء المعاني وتصويرها بصورة موحية موجزة، وقد وردت في قوله تعالى ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: 29]، فسرهما الطبري قال « وهذا مثل ضربه الله تبارك وتعالى للممتنع عن الإنفاق في الحقوق التي أوجبها في أموال ذوي الأموال في جعله كالمشدودة يده إلى عنقه، الذي لا يقدر على الأخذ بها والإعطاء<sup>(3)</sup>، فهي كناية عن البخل.

وقوله تعالى ﴿أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: 12]، قال الطبري « كما أنت كاره لو وجدت جيفة ممدودة أن تأكل منها، فكذلك فأكره غيبته وهو حي<sup>(4)</sup>، فهي كناية عن الغيبة وقد جاء التنفير منها بتصوير شخص يأكل جثة أخيه، بغرض الإغلاظ على المغتاب ليبتعد عنها.

<sup>1</sup> - تفسير الطبري: ابن جرير الطبري، ج 287/1.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 265/1.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 573/14.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: ج 381/21.

### - البلاغة عند أبي الليث السمرقندي (ت 375هـ):

تطرق السمرقندي في مصنفه (بحر العلوم) لجملة من الفنون البيانية، مبرزاً دور البلاغة في فهم معاني القرآن الكريم ومعرفة أساليبه، فقد أدرك خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى دلالات أخرى، ومثاله قوله تعالى ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَنًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: 28]، حيث نقل قول ابن عباس في بيانه لدلالة الاستفهام بأنه «على وجه التعجب، وقال الفراء: هو على وجه التوبيخ والتعجب، لا على وجه الاستفهام، فكأنه قال: ويحكم كيف تكفرون وتحدون بوحداية الله تعالى»<sup>(1)</sup>.

ووضح دلالة الاستفهام في قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: 130]، قال «عن سنته ودينه وهو الإسلام، ويقال: لفظه لفظ الاستفهام، ومعناه: التقرع والتوبيخ»<sup>(2)</sup>، فأفاد الاستفهام الإنكار، إذ لا يرغب عن ملة إبراهيم إلا من ضل وهلك.

وتناول مواضع التقديم والتأخير في التركيب القرآني، ففسر قوله تعالى ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 88]، حيث ورد التقديم والتأخير في قوله (فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ) قال «صار نصباً لأنه قدم المفعول»<sup>(3)</sup>، حيث أشار إلى موضع التقديم دون أن يوضح الغرض البلاغي منه.

وقوله تعالى ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 127]، قال السمرقندي نقلاً عن مقاتل «وفي الآية تقديم وتأخير، معناه: وإذ يرفع إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت»<sup>(4)</sup>، فلم يوضح الغاية من تأخير لفظ (إسماعيل) في التركيب رغم مشاركته عليه السلام لوالده في عملية البناء، ولعل المقصود أن واضع القواعد إبراهيم عليه السلام والمساعد هو إسماعيل عليه السلام.

<sup>1</sup> - تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، السمرقندي: أبو الليث نصر بن محمد، تح: علي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ج1/106.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج1/159.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج1/136.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج1/158.

كما وضع السمرقندي دلالة الحذف في قوله تعالى ﴿وَأَشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: 93]، قال « جعل حلاوة عبادة العجل في قلوبهم مجازة لكفرهم، ويقال: حب عبادة العجل فحذف الحب، وأقيم العجل مقامه؛ ومثل هذا يجري في كلام العرب، كما قال في آية أخرى ﴿وَسَلِّ الْقُرْيَةَ﴾ [يوسف: 82]، أي: أهل القرية»<sup>(1)</sup>، فحذف المضاف (حب) لبيان شدة تعلق قلوبهم بالعجل حيث سيطر عليها.

وكشف السمرقندي عن جمالية التصوير وأثره في توضيح المعاني وتثبيتها في نفوس المتلقين، فذكر المجاز في تفسيره لقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَحَتِ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: 16]، قال « (فما ربحت تجارتهم) فقد أضاف الربح إلى التجارة على وجه المجاز، والعرب تقول: ربحت تجارة فلان، وخسرت تجارة فلان، وإنما يريدون به: أنه ربح في تجارته، والله تعالى أنزل القرآن بلغة العرب على ما يتعارفون فيما بينهم، فلذلك قال: (فما ربحت تجارتهم) أي: فما ربحوا في تجارتهم»<sup>(2)</sup>، فهو مجاز عقلي أسند الربح للتجارة والأصل التاجر وفي ذلك بيان لخسران أعمال الكافرين، فقد أشار السمرقندي لهذا المعنى دون التصريح بتسميته مجازا عقليا.

وفسر قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ أَمْوَالَهُمُ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَكْفُرُونَ نَارًا وَتَصِفُوهَا نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾ [النساء: 10]، قال « يعني بغير حق أي حراما لأن الحرام يوجب النار فسماه الله باسمها»<sup>(3)</sup>، فلم يسم العلاقة التي جمعت (النار) بـ (أموال اليتامى)، وهي ما عرفت عند المتأخرين فيما بعد بالمجاز مرسل علاقته المسببية حيث أطلق (النار) وهي الجزء المستحق وأريد به السبب (أموال اليتامى).

وأشار السمرقندي إلى التشبيه محددًا أركانه، ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمٌ وَرَعْدٌ وَنُقُرٌ يُجْعَلُونَ أَصْبَعُهُمْ فِيْءِ أَذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذِرُ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُجِيبُ الْكُفْرِينَ﴾ [البقرة: 19]، قال «المطر هو القرآن؛ لأن في المطر حياة الخلق وإصلاح الأرض، وكذلك القرآن حياة القلوب فيه هدى للناس، وبيان من الضلالة وإصلاح الأرض، فلهذا المعنى شبه القرآن بالمطر، والظلمات: هي الشدائد والحن التي تصيب المسلمين، والشبهات التي في القرآن، والرعد: هو الوعيد الذي ذكر للمنافقين والكفار في القرآن، والبرق: ما ظهر من علامات نبوة محمد ﷺ

<sup>1</sup> - تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، السمرقندي: ج 1/138.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1/98.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 1/335.

ودلائله»<sup>(1)</sup>، فشبهت حالة تذبذب المنافقين بين إظهارهم للهداية وإضمارهم للكفر بصورة قد تكاملت أركانها بمطر السماء يصحبه برق ورعد، يستغل القوم وميضه للمشي ورؤية طريقهم فإذا اختفى عادوا للظلمة من جديد.

ووضح السمرقندي أركان الصورة التشبيهية (تمثيلية) في قوله تعالى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 261]، قال «شبه المتصدق بالزارع، وشبه الصدقة بالبذر، فيعطيه الله بكل صدقة سبعمئة حسنة»<sup>(2)</sup>، فنظر إلى التشبيه مفرق الأجزاء وربط المشبه بالمشبه به، ولكن وجه الشبه هنا قد انتزعت من متعدد، فشبه حال المنفقين في سبيل الله وتضاعف ثوابهم بحبة تنبت سبع سنابل ويتضاعف ثمرها، وفي ذلك حث على الإنفاق في سبيل الله وبذل الصدقات.

ومن التمثيل قوله تعالى ﴿أَيُّودُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَأَعْنَابٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضِعْفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 266]، قال السمرقندي «مثل الكافر كممثل شيخ كبير له بستان، وله أولاد صغار ضعفاء عجزة، لا حيلة لهم، ومعيشته ومعيشة ذريته من بستانه... (فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ) يعني: ريحا بها نار، أي فأتته السموم الحارة (فاحتترقت)، فأحترقت بستانه، ولم يكف له قوة أن يغرس مثل بستانه، ولم يكن عند ذريته خير يعينونه، فيبقى متحيرا، فكذلك الكافر إذا لقي ربه أحوج ما كان، فلا يجد خيرا، ولا يدفع عن نفسه، ولا يكون له معين، ولا يعود إلى الدنيا، كما لا يعود الشيخ الكبير شابا، وكان أحوج إليه»<sup>(3)</sup>، فشبهت حالة المنفق ماله رياء وعدم انتفاعه بالثواب يوم القيامة بحالة شيخ كبير أفنى عمره في العناية ببستانه وله ذرية ضعاف لا يعينونه فأصابه إعصار به نار فأهلكه، ومثله المرائي لن تنفعه صدقاته وهو في أمس الحاجة إليها، فقد أبدع السمرقندي في عرض التصوير واستوفى في بيان الأركان.

وذكر الكناية في تفسيره لقوله تعالى ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَأَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 149]، قال «يعني ندموا على ما صنعوا يقال سقط في

<sup>1</sup> - تفسير السمرقندي: أبو الليث السمرقندي، ج 1/100.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1/228.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 1/230-231.

يده إذا ندم وأصله أن الإنسان إذا ندم جعل يده على رأسه»<sup>(1)</sup>، ففيه كناية عن ندامة قوم موسى بعدما انحرفوا عن الحق.

وقد اعتمد المفسرون على العلل البلاغية في توجيه القراءات القرآنية، وبيان وجه الإعجاز المترتب عن تغاير القراءات واختلافها، والذي أسهم في إثراء البلاغة القرآنية، ومن هؤلاء العلماء: الفارسي (ت 377هـ) ومكي بن أبي طالب (ت 437هـ).

فمن المباحث البلاغية التي ذكرها الفارسي ظاهرة التقديم والتأخير في التركيب القرآني، فقد بين اختلاف القراء في قوله تعالى ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: 7]، فمنهم من قرأها رفعا (غشاوة) وهناك من قرأها نصبا (غشاوة)، وأول الفارسي لمن قرأها بالرفع قال « حجة من رفع فقال (وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ) أنه قد رأى الغشاوة لم تحمل على (ختم) ألا ترى أنه قد جاء في الأخرى ﴿وَحَتَمَ عَلَى سَمْعِهِمْ وَقَلْبِهِمْ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [الجاثية: 23]، فكما لا تحمل في هذه على (ختم) كذلك لا تحمل في هذه التي في مسألتنا فإذا لم نحملها على (ختم) قطعها عنه، وإذا قطعها عن ختم كانت مرفوعة إما بالظرف وإما بالابتداء»<sup>(2)</sup>، فقدم الأبصار على الغشاوة لأنها مناط البصيرة، ولا فائدة من الأسماع والأبصار مادام القلب مختوما لا يصل نور الهداية إليه.

وأما من نصب (غشاوة) قال الفارسي « أي بغشاوة فلما حذف الحرف وصل الفعل ومعنى ذلك: ختم عليه بغشاوة مثل جعل على بصره غشاوة؛ ألا ترى أنه إذا ختمها بالغشاوة فقد جعلها فيها»<sup>(3)</sup>، أي النصب على المفعول به بوجود الفعل (جعل) المعتدي للمفعولين، وفيه بيان لنوعية الغشاوة، فهي: غطاء نفاق يغشى أبصارهم.

وتنوعت القراءات في تقديم الفعل (قُتِلُوا) وتأخيره والتشديد والتخفيف في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِمَّنْ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ [آل عمران: 195]، قال أبو علي الفارسي « تقديم

<sup>1</sup> - تفسير السمرقندي: أبو الليث السمرقندي، ج 1/571.

<sup>2</sup> - الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد، الفارسي: أبو علي الحسن بن عبد الغفار، تح: بدر الدين قهوجي، بشير حويجاني، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح، أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، بيروت، ط 1، 1984، ج 1/309.

<sup>3</sup> - الحجة: الفارسي، ج 1/309.



( قَاتَلُوا ) على ( قُتِلُوا ) حسن لأن القتال قبل القتل، والتشديد حسن تكرر القتل فهو مثل ﴿ جُئِلَتْ عَذَنُ مُفْتَحَةٍ لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴾ [ ص: 50 ]، ومن خفف فقال: فإن (فعلوا) يقع على الكثير والقليل، والتثقيل تختص به الكثرة، ومن قرأ ( قُتِلُوا وَقَاتَلُوا ) كان حسنا لأن المعطوف بالواو يجوز أن يكون أولا في المعنى، وإن كان مؤخرا في اللفظ»<sup>(1)</sup>، فقدم ( قاتلوا ) إظهارا لبسالتهم وتصديهم للعدو، بينما قدم ( قتلوا ) في قراءة أخرى تكريما لشهادتهم ومدحا لما صنعوا.

وأشار الفارسي إلى تعدد القراءات في قوله تعالى ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ [ البقرة: 284 ]، فقد قرئت: بالضم ( فيغفر )، وقرئت بالجزم ( فيغفر )، قال « وجه قول من جزم أنه أتبعه ما قبله، ولم يقطعه منه، وهذا أشبه عليه كلامهم »<sup>(2)</sup>، وأما حجة من قرأها بالرفع قال « ومن لم يجزم وقطعه منه على أحد وجهين إما أن يجعل الفعل خبرا لمبتدأ محذوف فيرتفع الفعل لوقوعه موقع خبر المبتدأ، وإما يعطف جملة من فعل وفاعل على ما تقدمها »<sup>(3)</sup>، ففيه بيان لما تجازى به النفس من أعمال صالحة أو أعمال سيئة تستوجب العذاب، فقد أسهم التوجيه اللغوي للقراءات في تنمية الحس البياني ونمو وتقديم بحثه.

وذكر الكناية في تفسيره لتعدد قراءة ( خطيئته ) و ( خطيئة ) في قوله تعالى ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [ البقرة: 81 ]، فقرئت ( خطيئته ) قال « أن يكون المعنى أحاطت بحسنته خطيئته أي أحاطتها من حيث كان المحيط أكبر من المحاط به فيكون بمنزلة قوله ﴿وَإِنْ جَهَّمَ﴾ [ التوبة: 49 ] »<sup>(4)</sup>، فهي كناية عن صفة فتلك الخطيئة عظيمة الإحاطة، أما من قرأ ( خطيئاته ) « فجمع يدل على أن المراد به الكثرة »<sup>(5)</sup>.

وأشار مكّي بن أبي طالب إلى مسائل بلاغية منها: خروج الاستفهام عن معاناه الحقيقي إلى معان أخرى، ومثاله قوله تعالى ﴿وَكَاْنُوا يَهْوُونَ أُنْثَىٰ مِثْلًا وَكُنَّا عُرَابًا وَعِظْمًا أُنْثَىٰ لَمَبْعُوثُونَ﴾ [ الواقعة: 47 ]، فذهب إلى أن حجة «من استفهم في الأول والثاني أنه أتى بالكلام على أصله في التقرير والإنكار، أو

<sup>1</sup> - الحجة: الفارسي، ج 117/3.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 464/2.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 465/2.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 114/2.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ج 120/2.

التوبيخ بلفظ الاستفهام، ففيه معنى المبالغة والتوكيد، فأكد بالاستفهام هذه المعاني، وزاده توكيدا بإعادة لفظ الاستفهام في الثاني، فأجراها مجرى واحدا، وحجة من أخبر في أحدهما واستفهم في الآخر، أنه استغنى بلفظ الاستفهام في أحدهما عن الآخر؛ إذ دلالة الأول على الثاني كدلالة الثاني على الأول، وأيضا دخل عليها حروف الاستفهام، فاستغنى عن الاستفهام في الثاني بالأول<sup>(1)</sup>، فمن القراء من حمّله على الاستفهام الإنكاري من الكفار للبعث، وهناك من حمّله على الخبر في ذلك بيان لما كانوا يعتقدون من قبل .

وقوله تعالى ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمِنْتُ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكَ﴾ [الأعراف: 123]، قال مكي «وإنما حذفت ألف الاستفهام من اللفظ استخفافا، وحسن ذلك، لأن ما في الكلام من معنى التوبيخ والتقريع من فرعون للسحرة، يدل على الاستفهام الذي معناه الإنكار منه لفعلهم الإيمان»<sup>(2)</sup>، فمن القراء من حمّلها على الخبر وهناك من قرأها على الاستفهام (ءَأَمِنْتُ بِهِ) وفيه إنكار من فرعون لإيمان السحرة، وفي ذلك تصوير لشدة غروره وتكبره.

وتعددت القراءات في قوله تعالى ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُ يُوْسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ (89) قَالُوا أَيْئَلَيْكَ لَأَنْتَ يُوْسُفُ﴾ [يوسف: 89-90]، فهناك من القراء من قرأها بجمزة واحدة مكسورة على الإخبار (إنك)، في حين قرأها الباقون بـمـزتين: الأولى مفتوحة والثانية مكسورة على الاستفهام (أأنتك)، فسر مكي ذلك بقوله «وحجة من قرأه على الخبر أنهم لما عرفوا يوسف، وتيقنوا أنه هو، أتوا به (إن) لتأكيد ما بعدها، واستغنوا عن الاستخبار؛ لأن شيء قد ثبت عندهم فلا معنى للاستخبار عنه، وحجة من استفهم أنه أتى بلفظ الاستفهام الذي معناه الإلزام والإثبات، لم يستخبروا عن أمر جهلوه، إنما أتوا بلفظ يحققون به ما صح عندهم، من أنه هو يوسف»<sup>(3)</sup>، فمن حمّله على الخبر أراد به لازم الفائدة، أي: عرفوه فلن يبق إلا تأييده لذلك، أما من قرأه على الاستفهام فهو استفهام تقرير غرضه تأييده لمعرفتهم له.

<sup>1</sup> - الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تح: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1984، ج2/21.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج1/473.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج2/14.

ووضح مكّي اختلاف قراءة ( وَاتَّخِذُوا ) على الخبر، و ( وَاتَّخِذُوا ) على الأمر في قوله تعالى ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: 125]، قال « ( وَاتَّخِذُوا ) قرأه نافع وابن عامر بفتح الخاء، على الخبر، عمن كان قبلنا من المؤمنين أنهم اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، فهو مردود على ما قبله من الخبر وما بعده، والتقدير: اذكر يا محمد إذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا، واذكر إذ اتخذ الناس مقام إبراهيم مصلى، واذكر إذ عهدنا إلى إبراهيم، فكله خبر، ففيه معنى التنبيه والتذكير لما كان، فحمل على ما قبله وما بعده، ليتفق الكلام ويتطابق و (إِذْ) محذوفة مع كل خبر للدلالة (إِذْ) الأولى الطاهرة على ذلك»<sup>(1)</sup>، فمن قرأه على الخبر لما فيه من إخبار عن امتثالهم لأمر الله عز وجل، ولما فيه من تعظيم للبيت الله الحرام، ومقام إبراهيم وإظهار لخصوصية المكان.

أما حجة من قرأ ( اتَّخِذُوا ) على الأمر، قال مكّي « وقرأ الباقي بكسر الخاء على الأمر، بأن يتخذ من مقام إبراهيم مُصَلًّى، وبذلك أتت الروايات عن النبي ﷺ، وروي أن النبي عليه السلام أخذ بيد عمر رضي الله عنه، فلما أتيا المقام، قال عمر: هذا مقام أبينا إبراهيم؟ فقال النبي: نعم، فقال عمر: أفلا نتخذه مصلى؟ فأنزل الله جل ذكره (وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) على الأمر بذلك، أي: افعلوه»<sup>(2)</sup>، فالقراءة على الأمر فيه أمر للنبي ﷺ باتخاذ مقام إبراهيم مصلى، وبيان لامتنال النبي ﷺ والصحابة لذلك.

وذكر حجة حذف المفعول في قوله تعالى ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْكُنُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي إِلَّا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءَ وَأُبُونَا شَيْخَ كَبِيرٍ﴾ [القصص: 23]، موضحة تنوع القراءات، قال « وحجة من فتح الياء أنه جعله ثلاثيا غير متعدٍّ، من ( صَدَرَتْ الرِّعَاءُ تصدر)، إذا رجعت من سقيها، وحجة من ضم الياء أنه جعله رباعيا متعديا إلى مفعول محذوف فهو من ( أصدرت الإبل) إذا رددتها من السقي، وتقديره: حتى يُصْدِرَ الرِّعَاءَ مواشيهم من السقي»<sup>(3)</sup>، فحذف المفعول كان بغرض تأكيد العناية بثبوت الفعل لفاعله.

<sup>1</sup> - الكشف: مكّي بن أبي طالب، ج 1/263.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1/263.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 2/173.

ونخلص مما سبق إلى أن سعي علماء القرآن والإعجاز لفهم معاني القرآن الكريم وإدراك مقاصده، دفعهم للبحث عن دلالة ألفاظه ونظم تراكيبه، متخذين من المباحث البلاغية آلية لذلك، فتناولوا ظاهرة التقديم والتأخير مكتفين بالإشارة إلى العنصر المقدم أو المؤخر دون بيان للغرض البلاغي المراد، كما تطرقوا للحذف الذي يعتري التراكيب مقدرين المحذوف ومواطنه المتعددة مشيرين إلى المزية الدلالية التي يضيفها، إلى جانب اهتمامهم بجمالية الصورة البيانية موضحين أثرها في إخراج المعاني الخفية وتجسيدها في صورة محسوسة تثبت المعاني وتوضحها.

## الفصل الثالث:

البيان العربي أسسه ومباحثه من عبد القاهر الجرجاني

إلى نهاية القرن السادس الهجري.

- المبحث الأول: خلاصة البحث البياني حتى ما قبيل عبد القاهر الجرجاني.

- المبحث الثاني: نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني والتأسيس للدرس

البياني.

- المبحث الثالث: الدرس البياني بعد عبد القاهر الجرجاني حتى نهاية

القرن السادس الهجري.

- المبحث الأول: خلاصة البحث البياني حتى ما قبيل عبد القاهر الجرجاني.

اهتم علماء اللغة والبلاغة بالتراكيب وجمالية الأساليب، التي تتمحور حول كمال النظم، وحسن الصياغة، ودقة اختيار الألفاظ التي تتألف مع المعاني لتشكيل نسقا محكما؛ حيث درسوا اللفظة وأحوالها: فبحثوا في بنيتها الصرفية والمعاني التي يعرب عنها تغير مبانيها والذي يسهم في بلورة الدلالة الكلية للخطاب، فقد اعتنى ابن جني (392هـ) بالدلالة الصرفية وأطلق عليها مسمى الدلالة الصناعية، قال « الدلالة الصناعية أقوى من المعنوية من قبل أنها وإن لم تكن لفظا فإنها صورة يحملها اللفظ، ويخرج عليها ويستقر على المثال المعتزم بها، فلما كانت كذلك لحقت بحكمه، وجرت مجرى اللفظ المنطوق به، فدخلا بذلك في العلوم بالمشاهدة »<sup>(1)</sup>، فالتغيرات التي تحدث في بنية الكلمة تضيف دلالات إلى جذرها اللغوي، فتولد عنها أشكال متعددة للتعبير.

وعمد ابن جني إلى استخراج المعاني المستفادة من الأوزان والصيغ المجردة في محاولة لبيان العلاقة بين اللفظ وهيئته الصرفية والمعنى الذي تضفي إليه هذه الصيغة؛ حيث أشار إلى ارتباط دلالة صيغة ( فعلان) بحالة الاضطراب والحركة قال « قال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفعلان: إنها تأتي للاضطراب والحركة؛ نحو: الغليان والغثيان، فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال، ووجدت أنا من هذا الحديث أشياء كثيرة على سمت ما حداه ومنها ما مثلاه، وذلك أنك تجد المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير نحو الزعزعة، والقلقلة، والصلصلة... ووجدت أيضا الفَعْلَى في المصادر الصفات، إنما تأتي للسرعة، نحو: البشكى والجمزى والولقى »<sup>(2)</sup>، فلم يتوقف عند الدلالة الأصلية للمصادر وهي: الدلالة على الحدث، وإنما كشف عن دلالات إضافية تضمنتها كالاضطراب، والحركة، وهي معاني نقلها عن الخليل وسيبويه ليضيف إليها دلالة أخرى وهي التكرير، وهذا ما يدل على اهتمامه بالدلالة التي تعرب عنها المباني.

كما وضع ابن جني أن الزيادة في المباني يترتب عنها تغيير في المعاني، واستدل على ذلك بقوله «ومن ذلك جعلوا تكرير العين في المثال دليلا على تكرير الفعل، فقالوا: كَسَّرَ، وقَطَّعَ، وفَتَّحَ، وغَلَّقَ، وذلك أنهم لما جعلوا الألفاظ دليلا المعاني، فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل، والعين أقوى من

<sup>1</sup> - الخصائص: ابن جني، ج3/98.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج2/152-153.

الفاء واللام، وذلك لأنها واسطة لهما، ومكنوفة بهما، فصارا كأنهما سياج لها، ومبذولان للعوارض دونها»<sup>(1)</sup>، فالتضعيف في بنية الفعل أكسبه دلالات إضافية منها تقوية وتوكيد المعنى الدال عليه.

وقال عن قراءة أُبَيٍّ ﴿تَبَارَكَتِ الْأَرْضُ﴾ [النمل: 08]، «هو تفاعل من البركة، وهو توكيد لمعنى البركة، كقولك: (تعالى الله) فهو أبلغ من (علا)، وكقول العجاج: (تَفَاعَسَ العز بنا فَاقْعَسَسَا)، فهو أبلغ من (قَعَسَ)، كما أن (احدودب) أقوى من (حذب)، و(اعشوشب) أقوى من (أعشب)، وذلك لكثرة الحروف، وأصل هذا كله من (فَعَّل) في الفعل كقَطَّعت وكَسَّرت، ألا تراها أقوى معنى من قَطَّعت وكَسَّرت؟ وعليه جاء قوله ﴿أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ﴾ [القمر: 43]، فهو أبلغ من قادر، ولهذا جاء قوله ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: 286]، فعبّر عن لفظة الحسنة بكسب... وجاء (اكتسبت) في السيئة تنفيراً عنها، وتحويلاً وتشنيعاً بارتكابها»<sup>(2)</sup>، فهو يشير إلى دور البنية الصرفية للكلمة في تحديد المعاني، فكلما زادت الأحرف إلى جذرها اللغوي زادت بذلك الدلالات التي تضيف إليها كالمبالغة والكثرة وتقوية معنى الفعل، فقوله: (اعشوشب) معناه كثر نبت العشب وهو ما لا يعبر عنه الفعل (أعشب). كما جعل من الدلالة الصرفية وسيلة لإبراز الفرق بين لفظتي (كسبت واكتسبت)؛ حيث ارتبطت (كسبت) بالحسنة لأنها لا تقضي التكلف، أما (اكتسبت) فاقتزنت بالسيئة لأن في اكتساب الشر طلب وتكلف واندفاع تحركه أهواء النفس.

وكشف عن دلالة أخرى يفيدها التضعيف، ومثل لها بقوله: مَرَّضَت الرجل؛ أي داويته ليزول مرضه، وقالوا أيضاً عَجَّمت الكتاب، فجاءت (فَعَّلَت) للسلب أيضاً كما جاءت (أفعلت).<sup>(3)</sup>

وأشار إلى اشتراك عدة صيغ في الدلالة قال «فاعَل، وأفعل، وفَعَّل، كل واحد من هذه المثل جاء لمعنى، فأفعل للنقل وجعل الفاعل مفعولاً؛ نحو: دخل وأدخلته، وأخرج وأخرجته، ويكون أيضاً للبلوغ؛ نحو: أحصد الزرع، وأركب المهر، وأقطف الزرع، ولغير ذلك من المعاني»<sup>(4)</sup>، فجاءت هذه

<sup>1</sup> - الخصائص: ابن جني، ج2/155.

<sup>2</sup> - المحتسب: ابن جني، ج2/134.

<sup>3</sup> - ينظر: سر صناعة الإعراب، ابن جني: أبو الفتح عثمان، تح: حسن هندأوي، دار القلم، دمشق، ط2، 1993، ج1/39.

<sup>4</sup> - الخصائص: ابن جني، ج1/223.

الصيغ بغرض سلب المعنى أو إثباته، ومثل لصيغة ( أَفْعَلْتُ ) بقوله « أَشْكَيْتُ زَيْدًا إِذَا أَزَلْتُ مَا يَشْكُوهُ... وَأَعْجَمْتُ الْكِتَابَ أَزَلْتُ عَنْهُ اسْتِعْجَامَهُ... وَأَشْكَلْتُ الْكِتَابَ أَيَّ أَزَلْتُ عَنْهُ إِشْكَالَهُ ».<sup>(1)</sup>

أما إذا جاء الفعل على وزن ( فَاعَلَ ) أي بزيادة الألف في الوسط، فإنه يدل على المشاركة في الفعل من اثنين أو أكثر، وهو ما وضحه ابن جني بقوله « وَأَمَّا فَاعَلَ فَلِكُونَهُ مِنْ اثْنَيْنِ فَصَاعِدًا، نَحْوُ: ضَارَبَ زَيْدٌ عَمْرًا، وَشَاتَمَ جَعْفَرٌ بِشْرًا »<sup>(2)</sup>، فهو يعمل على استقرار الأبنية ويبحث عن الدلالة المشتركة بين الصيغ، التي تعد صوراً للألفاظ فكل كلمة وردت بذاك الوزن ( فَاعَلَ ) حملت نفس الدلالة (المشاركة).

وحدد الدلالة التي حملها بناء ( استفعل ) فقال : ويقع ( استفعل ) في الكلام لمعان<sup>(3)</sup> :

- منها الطلب نحو: اسْتَعْتَبْتُهُ، أي: طلبت إليه العُتْبَى، واسْتَعْفَيْتُهُ، أي: طلبت منه الإعفاء.

- ويكون ( استَفْعَلْتُ ) للشيء تصييه على هيئة ما، نحو: استعظمتها، أي: أصبته عظيمًا، واستكرمته؛ أي: أصبته كرمًا.

- وقد تأتي ( استَفْعَلْتُ ) بمعنى ( فَعَلْتُ ) منها، نحو: مَرَّ واستمرَّ، وقَرَّ واستقرَّ.

- وقد تأتي للتنقل من حال إلى حال نحو: اسْتَنَوَقَ الجمل .

ووضح المواضع التي تستعمل فيها صيغة ( مَفْعَلٍ ) و ( مِفْعَلٍ ) قال « مَفْعَلٍ وَمِفْعَلٍ ... الحرف الزائد في أولها وهو لمعنى؛ وذلك أن مَفْعَلًا يأتي للمصادر؛ نحو ذَهَبَ مَذْهَبًا، وَدَخَلَ مَدْخَلًا، وَخَرَجَ مَخْرَجًا؛ وَمِفْعَلًا يأتي للآلات والمستعملات؛ نحو: مِطْرَقٌ وَمِرْوَحٌ وَمَخْصَفٌ وَمِئْزَرٌ »<sup>(4)</sup>.

في حين أفادت صيغة ( مَفْعَلَةٌ ) الشيع والكثر من موضعين، قال ابن جني « أحدهما: المصدرية التي فيه، والمصدر إلى الشيع والعموم والسعة، والآخر التاء، وهي لمثل ذلك كرجل راوية، وعلامة، ونسابة، وهذرة ولذلك كثرت المفعلة فيما ذكرناه لإرادة المبالغة »<sup>(5)</sup>، فقد اعتمد على الأبنية

<sup>1</sup> - سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج 37/1-38-39.

<sup>2</sup> - الخصائص: ابن جني، ج 223/1.

<sup>3</sup> - المنصف شرح الإمام أبي الفتح عثمان بن جني النحوي لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني النحوي البصري، تح: إبراهيم مصطفى عبد الله أمين، إدارة إحياء التراث، ط 1، 1954، ج 77/1-78.

<sup>4</sup> - المصدر السابق، ج 224/1.

<sup>5</sup> - المحتسب: ابن جني، ج 136/2-137.



الصرفية في بيانه لمعاني الألفاظ حيث يصاغ المصدر الميمي على وزن (مَفْعَل)، كما يصاغ اسم المكان من مصدر الفعل إذا لحقت به التاء بفتح العين أو كسرهما بصيغة نفسها (مفعلة) والتي تدل على المكان الذي يكثر فيه الشيء، وأضاف إليها الأسماء التي تحمل دلالة الكثرة والمبالغة.

واستطاع تحديد الفرق الدلالي بين صيغتي (مَفْعَل ومَفْعَل) عند توجيه قراءة حسان بن عبد الرحمن في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: 67]، قال «القَوَامُ، بفتح القاف: الاعتدال في الأمر، ومنه قولهم: جارية حسنة القوام، إذا كانت معتدلة الطول والخلق، أما (القَوَام) بكسر القاف فإنه ملاك الأمر وعصامه، ... فكذلك قوله (وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) أي: ملاكا للأمر ونظاما وعصاما»<sup>(1)</sup>، فكان للصيغة الصرفية أثر في تجلية هذا الفرق.

واعتمد أبو هلال العسكري (395هـ) على الصيغة الصرفية في تحديد الفروق الدلالية بين الألفاظ، مؤكداً أن اختلاف الصيغ والأصول يؤدي إلى اختلاف المعاني، ومن ذلك قوله «الفرق بين الاستفهام والسؤال، وذلك أن الاستفهام لا يكون إلا لما يجهله المستفهم، أو يشك فيه، وذلك أن المستفهم طالب لأن يفهم، وقد يجوز أن يسأل فيه السائل عما يعلم وعما لا يعلم، فصيغة الاستفهام وهو استفعال، والاستفعال للطلب ينبئ عن الفرق بينه وبين السؤال؛ وكذلك كل ما اختلف صيغته من الأسماء والأفعال فمعناه مختلف»<sup>(2)</sup>، ففي قوله بيان للدلالة التي تحملها صيغة (استفعال) والتي تمثلت في طلب شيء ما؛ حيث استعان بها في توضيح دلالة الفعل واستجلاء الفرق الدلالي.

ومثله في تحديد الفرق بين الاضطراب والحركة وبيان دلالة (افتعل) قال «الفرق بين الاضطراب والحركة: أن الاضطراب حركات متوالية في جهتين مختلفتين وهو افتعال من ضرب يقال: اضطرب الشيء كأن بعضه يضرب بعضا فيتمخض، ولا يكون الاضطراب إلا مكروها في ما هو حقيقة فيه أو غير حقيقة ألا ترى أنه يقال: اضطربت السفينة، واضطرب حال زيد، واضطرب الثوب، وكل ذلك مكروه، وليست الحركة كذلك»<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - المحتسب: ابن جني، ج2/125.

<sup>2</sup> - الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، د/ط، ت، ص: 27.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 147.

ووضح أبو هلال العسكري الفرق بين (علّام) و(علّامة) استناداً على بنيتها الصرفية، قال «إن الصفة بعلّام صفة مبالغة، وكذلك كل ما كان على فعّال، وعلّامة وإن كان للمبالغة، فإن معناه ومعنى دخول الهاء فيه أنه يقوم مقام جماعة علماء، فدخلت الهاء فيه لتأنيث الجماعة التي في معناه»<sup>(1)</sup>، فاشتقت اللفظتين (علّام) و(علّامة) من (عالم) ولكن اختلاف وزنيهما حمل تغيراً في دلاليتهما؛ حيث صيغ (علّام) على وزن (فعّال) ليدل على من كثر علمه وفضله، بينما صيغ (علّامة) على وزن (فعّالة) فزيدت (الهاء) للمبالغة ليدل بذلك على من انتشر علمه ونفع به الأمة.

وأدرك اللغويون وأصحاب المعاني أن العدول عن استعمال صيغة إلى أخرى يكون لمسوغ دلالي، حيث لا يستقيم المعنى إلا بورودها « فالمعاني الوظيفية التي تعبر عنها المباني الصرفية هي بطبيعتها تتسم بالتعدد والاحتمال، فالمبنى الصرفي الواحد صالح لأن يعبر عن أكثر من معنى واحد ما دام غير متحقق بعلامة ما في سياق ما، فإذا تحقق المعنى بعلامة، أصبح نصاً في معنى واحد، تحدده القرائن اللفظية والمعنوية والحالية على السواء»<sup>(2)</sup>.

فقد فسر الفراء (207هـ) قوله تعالى ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: 21]، قال «فيها الرضاء، والعرب تقول: هذا ليل نائم، وسر كاتم، وماء دافق، فيجعلونه فاعلاً، وهو مفعول في الأصل، وذلك أنهم يريدون وجه المدح أو الذم، فيقولون ذلك لا على بناء الفعل، ولو كان فعلاً مصرحاً لم يقل ذلك فيه، لأنه لا يجوز أن تقول للضارب: مضروب، ولا للمضروب: ضارب؛ لأنه لا مدح فيه ولا ذم»<sup>(3)</sup>، فنابت صيغة اسم الفاعل (راضية) محل صيغة اسم المفعول (مرضية)، فإحلال صيغة مكان أخرى مما تداوله العرب في كلامهم، كما أسند الرضى للحياة من باب المجاز والأصل صاحبها راض بها.

وعدل عن اسم المفعول إلى المصدر في قوله تعالى ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾ [يوسف: 18]، قال الفراء «معناه: مكذوب، والعرب تقول للكذب مكذوب وللضعف: مضعوف، وليس له عَقْد رأي ومَعْقُود رأي؛ فيجعلون المصدر في كثير من الكلام

<sup>1</sup> - الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ص: 86-87.

<sup>2</sup> - اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، د/ط، 1994، ص: 163.

<sup>3</sup> - معاني القرآن: الفراء، ج3/182.

مفعولاً»<sup>(1)</sup>، حيث وصف الدم بالكذب (المصدر) بدل مكذوب (اسم مفعول)؛ لأن الدم موجود على القميص، ولكنه ليس دم يوسف عليه السلام وفي ذلك بيان لادعائهم الكاذب .

ووضح ابن جني الفرق الدلالي بين استعمال المصدر واسم الفاعل، قال « وإنما انصرفت العرب عنه في بعض الأحوال إلى أن وصفت بالمصدر لأمرين: أحدهما صناعي، والآخر معنوي، فأما الصناعي فليزيدك أنسا بشبه المصدر للصفة التي أوقعته موقعها، كما أوقعت الصفة موقع المصدر، في نحو قولك: ألقائما والناس قعود، ... ونحو ذلك، أما المعنوي، فلأنه إذا وصف بالمصدر صار الموصوف كأنه في الحقيقة مخلوق من ذلك الفعل، وذلك لكثرة تعاطيه له واعتياده إياه»<sup>(2)</sup>، فالعدول عن استعمال اسم الفاعل إلى المصدر يعود إلى المزية الدلالية التي يحدثها المصدر في التركيب؛ والذي يدل على المبالغة والتأكيد، وكأن المخاطب أصبح مصدرا للحدث، أو هو صورة مجسمة فيه، وهو المعنى الذي لا يفيد التعبير باسم الفاعل، فكان إحلال صيغة مكان أخرى بموجب سياقي.

ووقف ابن جني عند دلالة المصدر في توجيهه لقراءة مجاهد وأبي رزق لقوله تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ اللَّهُ عِبَادَهُمْ وَالْحَقُّ﴾ [النور: 25]، قال « الحق هنا وصف الله سبحانه، أي: يومئذ يوفيه الله الحق دينهم، وجاز وصفه تعالى بالحق لما في ذلك من المبالغة، حتى كأنه يجعله هو هو على المبالغة، فهو كقولنا: رجل خُصِمَ وقوم زُور»<sup>(3)</sup>، فالله عز وجل سيجازيهم على آثامهم وما اقترفته أيديهم وألسنتهم من بهتان وإفك مبين، فوعد الله حق ووعيده حق، وقراءة مجاهد (الحق) بالرفع على أنه نعت الجلالة، والتعبير بالمصدر فيه تأكيد ومبالغة بعدل الله عز وجل.

وفسر مكّي بن أبي طالب ورود المصدر بصيغة الجمع في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُمْتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَءُوفُونَ﴾ [المؤمنون: 08]، قال «قوله ( لأماناتهم) أمانة مصدر، وحق المصدر أن لا يجمع لدلالته على القليل والكثير من جنسه، لكنه لما اختلفت أنواع الأمانة لوقوعها على الصلاة والزكاة والطهر والحج وغير ذلك من العبادات جاز جمعها؛ لأنها لا تختلف أنواعها شابهت المفعول به، فجمعت كما يجمع المفعول به، وقد أجمعوا على الجمع في قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء:

<sup>1</sup> - معاني القرآن: الفراء، ج2/38.

<sup>2</sup> - الخصائص: ابن جني، ج3/259.

<sup>3</sup> - المحتسب: ابن جني، ج2/107.

[58] «<sup>(1)</sup>، فأجاز جمع المصدر ( الأمانة ) لاختلاف أنواعها وكثرة ضروبها؛ فهي تشمل التكاليف، والأموال المودعة، والنذور والأيمان، والعقود.

وشغلت ظاهرة التذكير والتأنيث اهتمام اللغويين والبلاغيين، فألفوا كتباً بعنوان ( المذكر والمؤنث )؛ حيث صنّفوا الألفاظ وفصلوا في جوانبها، ووضحوا سبب العدول عن المطابقة بين ركني الجملة ( المسند والمسند إليه )، وبينوا الدلالة المقترنة بهذه المخالفة؛ حيث فسر الفراء قوله تعالى ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَتْهًا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ [ يوسف: 30 ]، قال « فذكر الفعل لقلة النسوة ووقوع ( هؤلاء ) عليهن كما يقع على الرجال، ومنه قوله ﴿ فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ ﴾ [ التوبة: 05 ]، ولم يقل: أنسلخت، وكل صواب، وقال الله تبارك وتعالى ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ - وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [ الإسراء: 36 ] لقلتهن، ولم يقل: ( تلك )، ولو قيلت كان صواباً<sup>(2)</sup>، فالتذكير يدل على القلة ( قال نسوة ) و ( أنسلخ الأشهر ) لأنها أربعة أشهر فقط، بينما يدل التأنيث على الكثرة.

وجاء في قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنْقِضُوا بِمَا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ ذَرٍّ وَمِنْ دَمٍ لِّبَنَاءٍ خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾ [ النحل: 66 ]، فسرهما الفراء بقوله « وأما قوله ( مما في بطونه ) ولم يقل بطونها فإنه قيل - والله أعلم - إن النعم والأنعام شيء واحد، وهو جمعان، فرجع التذكير إلى معنى النعم إذ كان يؤدي عن الأنعام<sup>(3)</sup>، فناسب التذكير في قوله تعالى ( تُنْقِضُوا بِمَا فِي بُطُونِهِمْ ) سياق الآية، فهو يفيد القلة ويتحدث عن فائدة واحدة متعلقة باللبن السائغ، ولم يعدد المنافع الأخرى، لذا جاء التذكير موضحاً للمعنى، بينما جاءت بصيغة التأنيث في قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنْقِضُوا بِمَا فِي بُطُونِهِمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [ المؤمنون الآية: 21 ]؛ لأنه يعرض العديد من المنافع كالاستفادة من ألبانها، وأكل لحومها، وارتداء أصوافها وأوبارها والاستعانة بها في التنقل، وحمل الثقال.

ومثله قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا ﴾ [ الأنبياء: 32 ]، قال الفراء « لو قيل: محفوظة، يذهب بالتأنيث إلى السماء والتذكير إلى السقف كما قال: ( آمنة ناعسا تغشى ) و ( يغشى )،

<sup>1</sup> - مشكل إعراب القرآن، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تح: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1984، ص: 496-497.

<sup>2</sup> - معاني القرآن: الفراء، ج1/435.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج2/108.

وقيل: (سقفا) وهي سماوات؛ لأنها سقف على الأرض كالسقف على البيت»<sup>(1)</sup>، فجاء التعبير عن طريق التشبيه البليغ (السماء كالسقف المحفوظ)، فذكرت لفظة (محفوظا) لأنها وقعت نعتا (للسقف).

وأما قوله تعالى ﴿كَأَلْهَلٍ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ [الدخان: 45]، قال الفراء «قرأها كثير من أصحاب عبد الله: (تغلي) ... وقرأها الحسن (يغلي) جعلها للطعام أو المهمل، ومن أنشأها ذهب إلى تأنيث الشجرة»<sup>(2)</sup>.

وجاء في قوله تعالى ﴿كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: 105]، قال المبرد (285هـ) «فقال: كذبت لأهم جماعة، فتقديره: كذبت جماعة قوم نوح، أو جماعة نوح»<sup>(3)</sup>.

بينما جاء تذكير الفعل في قوله تعالى ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاتَّبَعَهَا مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: 275]، فسرهما مكي قال «قوله (فمن جاءه موعظة) ذكر جاء حمله على المعنى؛ لأنه بمعنى فمن: جاءه وعظ، وقيل: ذكر لأن تأنيث الموعظة غير حقيقي، إذا ذكر لها من لفظها»<sup>(4)</sup>، فلفظ (الموعظة) مؤنث مجازي ويجوز في فعله التذكير والتأنيث، أما من أولها على (الوعظ) كان اعتبارا للمعنى لا للفظ.

ومثله قوله تعالى ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثِيمِينَ﴾ [هود: 67]، قال مكي بن أبي طالب (ت 437هـ) «إنما حذفت التاء من (أخذ) لأنه قد فرق بين المؤنث وهو (الصيحة) وبين فعله وهو (أخذ) بقوله (الذين ظلموا) وهو مفعول أخذ، فقامت التفرقة مقام التأنيث، وقد قال في آخر السورة في قصة شعيب: (وأخذت) فجرى بالتأنيث على الأصل، ولم يعتد بالتفرقة، وقيل: إنما حذفت التاء، لأن التأنيث الصيحة غير حقيقي، إذ ليس لها ذكر من لفظها، وقيل: إنما حذفت التاء لأنه حمل على معنى الصياح، إذ الصيحة والصياح بمعنى واحد، وكذلك العلة في كل ما شابهه»<sup>(5)</sup>، فلفظ (الصيحة) مؤنث مجازي يجوز فيه التذكير والتأنيث، ودل التذكير هنا على

<sup>1</sup> - معاني القرآن: الفراء، ج 2/201.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 3/43.

<sup>3</sup> - المذكر والمؤنث، المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد، تح: رمضان عبد التواب، صلاح الدين الهادي، دار الكتب، د/ط، 1970، ص: 87.

<sup>4</sup> - مشكل إعراب القرآن: مكي بن أبي طالب، ص: 143.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص: 368.

شدة عقاب ثمود واستحقاقهم له نتيجة كفرهم، وتماديهم في العصيان، ولأن التذكير أقوى من التأنيث ناسب المعنى.

وفسر قوله تعالى ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة: 14]، قال «قوله ( بل الإنسان على نفسه بصيرة) ... الهاء في بصيرة للمبالغة، وقيل: لما كان معناه حجة على نفسه دخلت لتأنيث الحجة»<sup>(1)</sup>، وتأنيث ( بصيرة) لأن المراد بها الجوارح التي تشهد على الإنسان.

وأدرك أبو الفتح العدول الذي قد يطرأ على النظام اللغوي محاولا التماس الفنية والقصدية من إنشائه، محاولا رده إلى الأصل مستجليا بذلك خصائص اللغة، فبين الخرق العددي؛ إذ وقع المفرد موقع الجمع في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ [الحج : 5] قال «أي: أطفالا وحسن لفظ الواحد هنا؛ لأنه موضع تصغير لشأن الإنسان وتحقير لأمره، فلاق به ذكر الواحد لذلك، لقلته عن الجماعة، ولأن معناه نخرج كل واحد منكم طفلا ... وهذا مما إذا سئل عنه قالوا : وضع الواحد موضع الجماعة اتساعا في اللغة وأنسوا حفظ المعنى ومقابلة اللفظ به ؛ لتقوى دلالته عليه وتنضم بالشبه إليه»<sup>(2)</sup>، فبين الغرض من إبدال المفرد بالجمع وهو التحقير والتصغير .

وعدل عن الجمع إلى المفرد في قوله تعالى ﴿أَمِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَبَاءً ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ بِكُمْ قَوِّمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: 60]، قال الفراء «فقال: (ذات)، ولم يقل: (ذوات) وكل صواب، وإنما جاز أن يقول (ذات) للحدائق وهي جمع لأنك تقول، هذه حدائق، كما تقول: هذه حديقة ومثله قول تعالى ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: 170]، ولو يقل الحسن ﴿الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ [طه: 51]، ولو كانت حدائق ذوات بهجة كان صوابا»<sup>(3)</sup>، فجاءت لفظة ( ذات بهجة) بصيغة الإفراد لاعتبارين: الأول : أنها صفة لحدائق

<sup>1</sup> - مشكل إعراب القرآن: مكي بن أبي طالب، ج 2/316.

<sup>2</sup> - المحتسب: ابن الجني، ج 2/267.

<sup>3</sup> - معاني القرآن: الفراء، ج 2/297.

وهي جمع كثرة لما لا يعقل لذا جاز إفرادها، والثاني: ما ذكره الزجاج أنه جاز إفراد ( ذات بهجة ) لأن «المؤنث يخبر عنه في الجمع بلفظ الواحدة، كأنك قلت: جماعة ذات بهجة».<sup>(1)</sup>

ومثله قوله تعالى ﴿وَمَنْ مِّن مَّلِكٍ فِي السَّمٰوٰتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُرْضَىٰ﴾ [النجم:26]، فسرهما الفراء بقوله « قال ( لا تغني شفاعتهم شيئا ) فجمع، وإنما ذكر ملكا واحدا، وذلك أن (كم) تدل على أنه أراد جمعا، والعرب تذهب بأحد وبالواحد إلى الجمع في المعنى، يقولون: هل اختصم أحد اليوم، والاختصام لا يكون إلا للاثنتين فما زاد »<sup>(2)</sup>، ففي الآية توييح لمن عبد الملائكة وابتغى منها الشفاعة، وقد جاء لفظ (ملك) مفردا ولكنه في معنى الجمع؛ أي: (كثير من الملائكة)، كما أن (كم): هي خبرية معناها: التكثير، فإن كانت الملائكة لا تملك الشفاعة رغم سمو منزلتها، فكيف تملكها الأصنام؟ وفي ذلك دحض لدعواهم وإبطال لمعتقدهم.

كان اهتمام السابقين بالألفاظ كبيرا ويقدمونها على المعاني؛ إذ يعتبرون المعاني مشتركة بين الناس يتمكن الجميع من بلوغها، وإنما تظهر المزية في حسن اختيار اللفظ، وجودة الصياغة التي تتجلى في رصفها وفق نظام خاص، حيث ذكر الجاحظ (ت 255هـ) أن « أجود الشعر ما رأيت من متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم أنه قد أفرغ إفراغا واحدا، وسبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان »<sup>(3)</sup>؛ فيقوم التأليف على ركيزتين أساسيتين: جمال اللفظ وصحة المعنى، وقد عبر ابن رشيق (ت 456هـ) عن ذلك بقوله « اللفظ جسم، وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم: يضعف بضعفه، ويقوى بقوته، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصا للشعر وهجنة عليه، ... وكذلك إن ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظ، كالذي يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح... فإن اختل المعنى كله وفسد، بقي اللفظ مواتا لا فائدة منه »<sup>(4)</sup>، ولتحقيق التلاؤم بين اللفظ والمعنى حرص اللغويون والبلاغيون على دراسة الألفاظ وبيان أحوالها المتعددة من خلال تحليل بنيتها الصرفية واستنباط الدلالات المقترنة بها، ومعالجة قضايا أخرى متعلقة بها كالتذكير والتأنيث، والإفراد والجمع.

<sup>1</sup> - معاني القرآن وإعرابه: الزجاج، ج4/128.

<sup>2</sup> - معاني القرآن: الفراء، ج3/99.

<sup>3</sup> - البيان والتبيين: الجاحظ، ج 1/67.

<sup>4</sup> - العمدة: ابن رشيق القيرواني، ص: 124.

ودرس ابن سنان الخفاجي (ت466هـ) اللفظة المفردة، وحدد شروطا لفصاحتها وتمثلت: في تباعد مخارجها، وحسن وقعها وتأثيرها في السمع، وابتعادها عن الوحشية والعامية، وأن تكون جارية على العرف الصحيح؛ كما اعتبر كثرة الحروف المؤلفة للكلمة سببا في نقص فصاحتها، والذي يؤدي فسادا في النظم لعدم انسجامها مع الألفاظ المجاورة لها، وسبق وأن تطرق الجاحظ (ت255هـ) لمسألة فصاحة الألفاظ وبيّن دورها في بناء التراكيب، محددًا شروطها فإن تمت مراعاة هذه الجوانب تحققت العملية التواصلية.

بينما اعتبر القاضي عبد الجبار (ت415هـ) الفصاحة مرتبطة بالنظم، ولا تتحقق بجزالة الألفاظ وحسن المعاني فحسب، وإنما تظهر بضم الكلام على طريقة مخصوصة، وعند ترتيب الألفاظ لابد من مراعاة: الدلالة المعجمية التي تواضع عليها أهل اللغة، والدلالة الإعرابية التي تكتسبها داخل التركيب، والدلالة السياقية التي ترتبط بموقعها فتتقدم بذلك أو تتأخر؛ إذ تتحدد فصاحة الكلمة بملاءمتها لجارتها ومعناها الوظيفي داخل النسق تتآلف به الألفاظ، مما يضفي على المعنى جمالا ورونقا يمكنه من النفاذ لقلب السامع.

لم تقتصر دراسة اللغويين والبلاغيين على الجانب الإفرادي، بل بحثوا في التراكيب وجمالياتها وقدرتها على تأدية المعاني؛ إذ تنتظم الألفاظ وفق نسق معين، فتأخذ موقعها في التركيب تبعا لقصدية المتكلم والمقام، وأي تغيير في رتبة عنصر من عناصرها بتقديم أو تأخير، يكون لتحقيق أغراض بلاغية معينة، فالعدول عن النظام الأصلي لا يكون إلا لمسوغ دلالي، فهو آلية اعتمدها الأدباء والشعراء للتعبير عن أفكارهم وخواطره، لما يضيفه على التراكيب من جمالية وفنية، وأحيانا يكون سوء الرصف وتغيير مواقع الألفاظ سببا في فساد النظم وغموض المعاني، وهو ما عبر عنه أبو هلال العسكري (ت395هـ) بقوله «وحسن التأليف يزيد المعنى وضوحا وشرحا، ومع سوء التأليف ورداءة الرصف والتركيب شعبة من التعمية، فإذا كان المعنى سبيا، ورصف الكلام رديا، لم يوجد له قبول، ولم تظهر له طلاوة، وإذا كان المعنى وسطا، ورصف الكلام جيدا، كان أحسن موقعا، وأطيب مستمعا؛ فهو بمنزلة العقد إذا جعل كل خرزة منه إلى ما يليق بها كان رائعا في المرأى ... وحسن الرصف أن توضع الألفاظ



في مواضعها وتمكن في أماكنها، ولا يستعمل فيها التقديم والتأخير ... وسوء الرصف تقديم ما ينبغي تأخيره منها، ورصفها عن وجهها، وتغيير صيغها، ومخالفة الاستعمال في نظمها»<sup>(1)</sup>.

فالتقديم والتأخير من القضايا المهمة التي عالجها اللغويون والبلاغيون لارتباطها بالمعاني، فهي ضرب خاص من النظم؛ إذ تحتل الألفاظ مكانتها تبعا لترتيبها في النفس، وقد أدرك سيبويه (ت180هـ) أهمية التقديم والتأخير في إبانة المعاني، ووضح المواضع التي يستحسن فيه التقديم أو التأخير، مؤكدا أن كل تغيير في مواقع الكلمات يتبعه تغيير في تصوير المعاني، وأن تقديم الاسم أو الفعل في الجملة يكون لمراعاة قصدية المستفهم، ولكنه لم يتوسع في تحديد الأغراض التي اقتضت وروده، بل حصر الغاية من التقديم هي العناية والاهتمام بالعنصر المقدم حيث قال « وإنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعا يهما نهم ويعنيا نهم »<sup>(2)</sup>.

ولم يتعمق البلاغيون من بعده في تحليل التراكيب التي تتضمن التقديم أو التأخير، وإنما اكتفوا بالإشارة إلى العنصر المقدم أو المؤخر دون ذكر الغرض البلاغي وراءه، حيث ظهر ذلك جليا في مصنفات الفراء (ت207هـ) وأبي عبيدة (ت210هـ)، حيث فسر الفراء قوله تعالى ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان:02]، قال « وقوله: ( نبتليه ) والمعنى والله أعلم: جعلناه سميعا بصيرا لنبتليه، فهذه مقدمة معناها التأخير »<sup>(3)</sup>، حيث ذكر موضع التقديم دون بيان الغرض البلاغي منه، فالابتلاء لا يقع إلا بعد تمام الخلقة؛ إذ يمنح الإنسان وسائل الإدراك (السمع والبصر)، التي تعينه على التدبر في آيات الله ودلائل وحدانيته، ليصل بذلك إلى الحق ويلتزم بالتكاليف.

وفي تفسير قوله تعالى ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [طه: 129]، قال الفراء « يريد ولولا كلمة وأجل مسمى لكان لزاما (مقدم ومؤخر) »<sup>4</sup>، فقد أشار إلى موضع التقديم دون بيان غرضه.

<sup>1</sup> - الصناعتين: أبو هلال العسكري، ص: 167.

<sup>2</sup> - الكتاب : سيبويه، ج34/1 .

<sup>3</sup> - معاني القرآن: الفراء، ج3/214 .

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج2/195 .

ولم يختلف منهج المبرد (ت285هـ) في دراسته لمبحث التقديم والتأخير عن منهج أبي عبيدة والفراء؛ إذ ضرب أمثلة عن التقديم والتأخير من القرآن الكريم والشعر العربي، ولكنه لم يوضح السر البلاغي من وروده، وقد اشترط في تغيير رتبة الألفاظ والعدول عن الأصل سلامة المعنى وبلوغ القصد، ومثله ابن قتيبة (ت276هـ) فقد حدد موضع التقديم دون الإشارة إلى أغراضه، كما أن دراسة ابن سنان الخفاجي (466هـ) لظاهرة التقديم والتأخير لم تكن دراسة شاملة وإنما ذكره عند حديثه عن شروط التأليف التي تمثلت في وضع الألفاظ موضعها الذي لا ينكره الاستعمال، وأن لا يكون في الكلام تقديم وتأخير يؤدي إلى فساد المعنى، أو يكون هناك فصل بين الأشياء المتصلة كالمعطوف والمعطوف عليه، والصلة والموصول.<sup>(1)</sup>

وقد درس البلاغيون ظاهرة الحذف التي تعتري التراكيب، وقاموا بتقدير العنصر المحذوف، ولكنهم لم يركزوا على المعنى الجمالي الذي يحدثه هذا الحذف، وحصروا غرضه في الاختصار والإيجاز، وهو ما أشار إليه سيبويه (ت180هـ) في دراسته لهذا الظاهرة، كما تطرق إلى الحذف القائم على إسناد الفعل لغير فاعله، وهو من المجاز الذي عده ضربه من الاتساع؛ حيث كان تركيزه منصبا على صحة العبارة واكتمالها والبحث عن المضاف وتقديره، وبيان علة إقامة المضاف إليه مقامه، وذلك في تحليله لقوله تعالى ﴿وَسَلِّ الْقُرْآنَ أَلَيْ كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرِ أَلَيْ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ [يوسف: 82].<sup>(2)</sup>

وتعددت مسميات الحذف عند الفراء (ت207هـ) فعرف بالترك، والإسقاط، والإضمار، حيث عمد إلى تقدير المحذوف سواء أكان مفردة أو جملة، واشترط لوروده علم المخاطب به، وأن لا يؤدي حذفه إلى لبس أو فساد في المعنى، وجعل الغرض منه الاختصار والإيجاز.

أما الحذف عند الرماني (ت384هـ) فهو: إسقاط عنصر من عناصر الجملة وإقامة دليل عليه إما لفظي أو معنوي<sup>(3)</sup>، حيث اكتفى بتقدير المحذوف في الأجوبة، ولم يقدر باقي المحذوفات، معللا ذلك بعلم المخاطب بها، وكثرة ورودها في كتب السابقين، ولكن الملاحظ في منهجه بيانه للأثر

<sup>1</sup> - ينظر: سر الفصاحة: ابن سنان الخفاجي، ص: 125.

<sup>2</sup> - ينظر: الكتاب: سيبويه، ج1/212-213.

<sup>3</sup> - ينظر: النكت في إعجاز القرآن: الرماني، ص: 76.

النفسي الذي يحدثه الحذف؛ إذ يذهب بالنفس كل مذهب ويفتح للمتلقي بابا للتأويل، ولو ذكر المحذوف لقصر على الوجه الذي تضمنه البيان.

ووقف البلاغيون عند جمالية الأساليب المعهودة في كلام العرب، وبينوا مزاياها من ناحية الصياغة وقدرتها على تبليغ المعاني، والتي تظهر مقدرة الناظم في إيراد المعنى بصور متعددة، مراعيًا بذلك حالات المخاطبين ونفسياتهم وظروف المحيطة بالخطاب، فدرسوا الإيجاز، والإطناب، والالتفات، والاعتراض والتكرار...، فجاءت دراستهم متباينة من ناحية الإجمال، أو التفصيل، أو الاتباع، أو التجديد.

فقد عُرف الإيجاز عند أبي عبيدة (ت 210هـ) بمصطلح ( المجاز المكفوف عن خبره)، واعتبره أسلوباً تلجأ إليه العرب تخفيفاً لعلم المستمع بما حذف<sup>(1)</sup>، وذكر الجاحظ الإيجاز في مواضع كثيرة في مصنفه وبين تفضيل العرب له، فهو يعتمد على إيراد المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة، لذا جعل مكنى البلاغة فيه؛ إذ مثل له بشواهد وأكد تفرد الأسلوب النبوي بخاصية الإيجاز.<sup>(2)</sup>

بينما عرفه ابن قتيبة (ت 276هـ) بأنه جمع كثير من المعاني في القليل من اللفظ، وربطه بالمقام فليس محموداً في كل موضع؛ إذ لابد من مراعاة ظروف الخطاب وأحوال المتلقي، فأحياناً يكون الإطناب أبلغ من الإيجاز<sup>(3)</sup>، وذكر له شواهد من القرآن الكريم، في حين تناول المبرد (ت 285هـ) إيجاز الحذف وبين مواضعه (حذف الفعل، المبتدأ، الخبر ..) مؤكداً وجود قرينة دالة على المحذوف، جاعلاً الغاية من وروده تجنب الإطالة والتكرير.

أما قدامة (ت 337هـ) فقد عرفه بمصطلح (الإشارة) قال « أن يكون اللفظ القليل مشتملاً على معان كثيرة بإيماء إليها أو لمحة تدل عليها»<sup>(4)</sup>، ومثل له بشواهد شعرية.

وعمد الرماني (384هـ) على رسم صورة متكاملة للإيجاز وقدمه على الفنون البلاغية، وعرفه بأنه التعبير عن المعنى الكثير باللفظ اليسير، فهو يقوم عنده على ركيزتين: الأولى: الوفاء بالمعنى وخصوصياته، والثانية: الاقتصاد في اللفظ من خلال اختزال معاني كثيرة بألفاظ قليلة؛ إذ له الفضل في

<sup>1</sup> - ينظر: مجاز القرآن: أبو عبيدة، ج 1/331.

<sup>2</sup> - ينظر: البيان والتبيين: الجاحظ، ج 2/7.

<sup>3</sup> - ينظر: تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، ص: 03، ينظر: أدب الكاتب: ابن قتيبة، ص: 20.

<sup>4</sup> - نقد الشعر: قدامة بن جعفر، ص: 154-155.

تقسيمه إلى قسمين: إيجاز الحذف: الذي يقوم على إسقاط عنصر من عناصر الجملة وإقامة دليل عليه طلبا للاختصار وتجنباً للإطالة، وإيجاز قصر: يتمثل في تضمين المعاني الكثيرة في بنية لفظية قليلة.<sup>(1)</sup>

وتطرق القاضي عبد الجبار (ت 415هـ) إلى إيجاز الحذف وبحث في جوانبه، ورأى فيه باباً واسعاً لتأويل الآيات القرآنية، لتتوافق مدلولاتها مع مذهبه الاعتزالي، معتمداً في دراسته على منهج العرب في اللغة وتصاريح القول؛ إذ استعان بالقرائن السياقية في تحديد المحذوف مستجلباً بذلك فصاحة وبلاغة التراكيب.<sup>(2)</sup>

ويعد الالتفات من الأساليب التي تطرق إليها البلاغيون، موضحين أثره الجمالي في التراكيب، حيث ذكره الفراء (ت 207هـ) وأبو عبيدة (ت 210هـ) دون التصريح باسمه، فأشارا إلى أن العرب كانت تخاطب الشاهد مخاطبة الغائب، وتخاطب فتخبر عن الغائب والمعنى للشاهد<sup>(3)</sup>، وتحدث عنه ابن قتيبة (ت 276هـ) في كتابه (تأويل مشكل القرآن) في باب (مخالفة ظاهر اللفظ معناه) وعرفه بأنه نقل الكلام من صيغة من الصيغ الثلاث الكلم والخطاب والغيبة إلى أخرى لغرض بلاغي، واستشهد له بأمثله.<sup>(4)</sup>

وساهم ابن المعتز (ت 296هـ) في وضع حد ضابط له، فعرفه بأنه «انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك»<sup>(5)</sup>، ووسع دائرة الاستشهاد له من القرآن الكريم ومن الشعر العربي، حيث تحدث عنه ضمن فنون البديع، وذكر دلالة أخرى له، قال «ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر»<sup>(6)</sup>، فربط القيمة البلاغية للالتفات بالمعنى الذي يحمله، ولكنه لم يحدد الأغراض البلاغية المرتبطة بهذا الفن.

1 - ينظر: النكت في إعجاز القرآن : الرماني، ص: 76.

2 - بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار وأثره في الدراسات البلاغية، عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، د/ط، ت، ص: 200.

3 - ينظر: معاني القرآن : الفراء، ج3/211-212، مجاز القرآن : أبو عبيدة، ج1/11.

4 - ينظر: تأويل مشكل القرآن : ابن قتيبة، ص: 289.

5 - البديع : ابن المعتز، ص : 58.

6 - المصدر نفسه، ص: 59.

في حين أطلق إسحاق بن وهب (ق4هـ) مصطلح " الصرف " على الالتفات، قال « وأما الصرف : فإنهم يصرفون القول من المخاطب إلى الغائب ومن الواحد إلى الجماعة »<sup>(1)</sup>، فقد أضاف للالتفات معنى آخر وهو الانتقال من صيغة الأفراد إلى الجمع.

بينما حمل الالتفات عند قدامة (ت337هـ) دلالة مغايرة لما تداوله البلاغيون السابقون له حيث عرفه بقوله « هو أن يكون الشاعر أخذاً في معنى، فكأنه يعترضه إما شك فيه أو ظن بأن راداً يرد عليه قوله، أو سائلاً يسأله عن سببه، فيعود راجعاً إلى ما قدمه، فإما أن يذكر سببه أو يحل الشك فيه »<sup>(2)</sup>، وهذا المفهوم أقرب للاعتراض منه للالتفات الذي عرفه السابقون استعمالاً وحدده ابن المعتز اصطلاحاً.

وتحدث أبو هلال العسكري (ت 395هـ) عن الالتفات في باب البديع وجعله على ضربين<sup>(3)</sup>:

الأول: أن يفرغ المتكلم من معنى حتى إذا أنه يرد أن يجاوزه يلتفت إليه فيذكره بغير ما تقدم ذكره به.

الثاني: أن يكون الشاعر أخذاً في معنى وكأنه يعترضه شك أو ظن أن راداً يرد قوله أو سائلاً يسأل عن سببه فيعود راجعاً إلى ما قدمه فإما أن يؤكد أو يذكر سببه أو يزيل الشك عنه.

فتداخل هذا الفن عند العسكري بفن الاعتراض، قال أحمد مطلوب « وهذا هو الاعتراض أو الرجوع وقد عده العسكري النوع الثاني من الالتفات، أما النوع الأول: فهو ما ذكره الأصمعي، وبذلك يتضح أن الالتفات لم يكن واضحاً عند قدامة والعسكري وضوحه عند المتقدمين »<sup>(4)</sup>.

ولم يسلم ابن رشيق القيرواني (ت456هـ) من ظاهرة التداخل بين الفنون؛ إذ وقع في الالتباس بين الالتفات والاعتراض والاستدراك، فقد عرف الالتفات بقوله « فهو اعتراض عند القوم، وسماه آخرون الاستدراك ... وسبيله أن يكون الشاعر أخذاً في معنى ثم يعرض له غيره فيعدل عن الأول إلى

1 - البرهان في وجوه البيان: ابن وهب، ص: 122.

2 - نقد الشعر: قدامة بن جعفر، ص: 150.

3 - الصناعتين: أبو هلال العسكري، ص: 407.

4 - معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، ص: 175.

الثاني فيأتي به، ثم يعود إلى الأول من غير أن يخل في شيء مما يشد الأول»<sup>(1)</sup>، فيكون بذلك قد سلك نهج قدامة بن جعفر في تحديده لمفهوم الالتفات.

كما عرف أسلوب الاعتراض عند المتقدمين، حيث ذكره الفراء (ت207هـ) في تفسيره لقوله تعالى ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ (1) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (2) كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَاتِ حِينَ مَّوَاسٍ ﴿ص: 1-3﴾، قال «إن قوله (والقرآن) يمين اعتراض كلام دون موقع جوابها، فصار جوابها جواباً للمعتز ولها، فكأنه أراد: والقرآن ذي الذكر لكم أهلكننا، فلما اعترض قوله: (بل الذين كفروا في عزة وشقاق)، صارت (لكم) جواباً للعزة ولليمين»<sup>(2)</sup>.

ومن ذلك قوله تعالى ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْغَنِيُّ الْحَكِيمُ﴾ (18) إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ ﴿آل عمران: 18-19﴾، فقد ذكر الفراء قراءة ابن عباس فقال «وقرأ ابن عباس بكسر الأول وفتح (إن الدين عند الله الإسلام) وهو وجه جديد، جعل (أنه لا إله إلا هو) مستأنفة معترضة - كان الفاء تزداد فيها - وأقع الشهادة على أن الدين عند الله (ومثله قولك للرجل - اشهد إنني أعلم الناس بهذا - إنك عالم، كأنك قلت: اشهد - إني أعلم بهذا من غيري - إنك عالم»<sup>(3)</sup>.

وفسر قوله تعالى ﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُ مَا يُوعَدُونَ﴾ (93) رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿المؤمنون: 93-94﴾، قال «وقوله رب فلا تجعلني هذه الفاء جواب للجزاء لقوله (أما تريني) اعترض النداء بينهما كما تقول: إن تأتيني يا زيد فعجل»<sup>4</sup>، فقد حدد موضع الاعتراض ثم استدل عليه بكلام العرب.

ورد مصطلح الاعتراض عند ابن قتيبة (ت276هـ) وذلك عند تفسيره لقوله تعالى ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتَّخَذَ عِظَامُهُ﴾ (3) بَلَى قَلِيلٍ عَلَى أَن لُّسُوِي بَنَاءُهُ (4) بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (5) يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿[القيامة: 3-6]﴾، حيث قال «... وهذا وجه حسن لأن الفجور اعتراض بين كلامين من أسباب يوم القيامة، أولها (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتَّخَذَ عِظَامُهُ) والآخر (يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ

<sup>1</sup> - معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، ج 45/2.

<sup>2</sup> - معاني القرآن: الفراء، ج397/2.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج200/1.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج241/2.

الْقِيَمَةِ)، فكأنه قال: يحسب الإنسان أن لن نجتمع عظامه في الآخرة؟ بلى نقدر على أن نجتمع ما صغر منها ونؤلف بينه، أي: ليكذب بيوم القيامة وهو أمامه فهو (يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَمَةِ)، أي: متى يكون<sup>(1)</sup>.

أما ابن المعتز (ت 296هـ) فقد أفرد للاعتراض مبحثا خاصا في كتابه (البديع)، وعده من محاسن الكلام قال «ومن محاسن الكلام أيضا والشعر اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه ثم يعود إليه فيتمه في بيت واحد»<sup>(2)</sup>، ومثل له بقول كثير<sup>(3)</sup>:

وَلَوْ أَنَّ الْبَاخِلِينَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ      رَأَوْكَ تَعَلَّمُوا مِنْكَ الْمَطَالَا

وتحدث ابن جني (ت 392هـ) عن مفهومه، ومواقعه، وفائدته البلاغية، قال «اعلم أن هذا القبيل من هذا العلم كثير قد جاء في القرآن وفصيح الشعر وكلام العرب، وهو جار عند العرب مجرى التأكيد، فلذلك لا يشنع عليهم ولا يستنكر عندهم أن يعترض بين الفعل وفاعله، أو بين المبتدأ وخبره، وغير ذلك مما لا يجوز الفصل فيه بغيره إلا شاذًا أو متأولا»<sup>(4)</sup>، واستدل على ذلك بقوله سبحانه وتعالى ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: 75-77]، حيث حدد الاعتراض بقوله: «فهذا فيه اعتراضان: أحدهما قوله: (وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)، لأنه اعترض به بين القسم الذي هو قوله: (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ)، وبين جوابه الذي هو قوله: (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ)، وفي نفس [كذا] هذا الاعتراض اعتراض آخر، بين الموصوف الذي هو (قَسَمٌ) وبين [كذا] صفته التي هي (عظيم)، وهو قوله: (لو تعلمون)، فذانك اعتراضان كما ترى. ولو جاء

<sup>1</sup> - تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، ص: 347.

<sup>2</sup> - البديع: ابن المعتز، ص: 59.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 60.

<sup>4</sup> - الخصائص: ابن جني، ج 1/335.

الكلام غير معترض فيه لوجب أن يكون: فلا أقسم بمواقع النجوم، إنه لقرآن كريم، وإنه لقسم عظيم لو تعلمون»<sup>(1)</sup>.

وبعد أن ذكر ابن جني موضع الاعتراض في الآيات السابقات، راح يمثل له بالشعر العربي موضحاً موضعه، مما مكنه من استجلاء دلالاته النفسية واعتبره دليلاً على قوة النفس والتمكن في الفصاحة، قال «والاعتراض في شعر العرب ومنثورها كثير حسن، ودال على فصاحة المتكلم وقوة نفسه وامتداد نفسه»<sup>(2)</sup>.

وعرف أبو هلال العسكري الاعتراض قال «هو اعتراض كلام في كلام لم يتم، ثم أن ترجع إليه فتتمه»<sup>(3)</sup>، فلم يشترط أن يكون الاعتراض جملة، أو يكون له محل من الإعراب أو ليس له محل، وقدم أمثلة شعرية منها قول النابغة الجعدي: <sup>(4)</sup>

أَلَا زَعَمْتَ بَنُو سَعْدٍ بَأَيِّ - أَلَا كَذَبُوا - كَبِيرُ السِّنِّ فَإِنِّي

وقول الشاعر:

إِنَّ الثَّمَانِينَ وَبُلْغَتَهُ - قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إِلَى ثَرْجُمَانِ

وخالف ابن سنان الخفاجي (ت466هـ) السابقين في دراسته للاعتراض، حيث سماه: حشوا، قد يرد مفيداً أو غير مفيد، فلم تقتصر المغايرة في التسمية، بل في فهمه لجوهر هذا الأسلوب، إذ تحدث في كتابه (سر الفصاحة) عن وضع الألفاظ موضعها، بوصفه شرطاً من شروط تأليف الألفاظ الصحيح، فقال: «ومن وضع الألفاظ موضعها ألا تقع الكلمة حشواً، وأصل الحشو أن يكون المقصد بها إصلاح الوزن أو تناسب القوافي وحرف الروي إن كان الكلام منظوماً، وقصد السجع وتأليف الفصول إن كان الكلام منشوراً، من غير معنى تفيدته أكثر من ذلك، وهذا الباب يحتاج إلى شرح وبيان، وتفصيله أن كل كلمة وقعت هذا الموقع من التأليف فلا تخلو من قسمين: إما أن تكون أثرت في

<sup>1</sup> - الخصائص: ابن جني، ج 1/335.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1/341.

<sup>3</sup> - الصنائع: أبو هلال العسكري، ص: 410.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 410.



الكلام تأثيراً لولاها لم يكن يؤثر، أو لم تؤثر بل دخولها فيه كخروجها منه، وإذا كانت مؤثرة فهي على ضربين: أحدهما أن تفيد فائدة مختارة يزداد بها الكلام حسناً وحلاوة، والآخر: أن تؤثر في الكلام نقصاً وفي المعنى فساداً<sup>(1)</sup>.

ومثل بيت المتنبي في حديثه عن الاعتراض المحمود الذي يقول فيه:

وَتَحْتَقِرُ الدُّنْيَا احْتِقَارَ مُجْرِبٍ      يَرَى كُلَّ مَا فِيهَا - وَحَاشَاكَ - فَانِيَا

حيث استحسّن موضع الاعتراض، موضحاً فائدته الدلالية؛ إذ قال « - حاشاك - ها هنا لفظة لم تدخل إلاّ لكمال الوزن، لأنك إذا قلت - احتقار مجرب يرى كلّ ما فيها فانيا - كان كلاماً صحيحاً مستقيماً، فقد أفادت مع إصلاح الوزن دعاءً حسناً للممدوح في موضعه<sup>(2)</sup> ».

ونلاحظ من تعليقه على البيت تقليصه للأثر البلاغي للفظ (حشاك) بعديها حشوا وليس اعتراضاً، وحصر دلالتها في الدعاء الحسن للممدوح، بينما وردت بغرض تنزيه الممدوح من الدخول في الفناء، حيث انتبه محقق كتاب ابن سنان الخفاجي، عبد المتعال الصعيدي لذلك، وعلق بقوله « الحق أنّ هذا يقال له اعتراض لا حشو<sup>(3)</sup> »، مما يؤكد التباس مفهوم الاعتراض عنده وتداخله بالحشو.

ومن الأساليب التي عنى البلاغيون بدراستها " التكرار "، فقد تحدث الفراء عنه وبين غرضه البلاغي، وذلك في تفسيره لقوله تعالى ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (3) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿ [ التكاثر : 3-4 ] قال « قد يكررها العرب على التعليل والتخويف وهذا من ذاك<sup>(4)</sup> »، ومثله قوله تعالى ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ (6) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿ [ التكاثر : 6-7 ] قال «مرتين من التعليل أيضاً<sup>(5)</sup> »، فالغاية من التكرار عنده - في هذا الموضع - تتمثل في التعليل والتخويف .

تحدث أبو عبيدة (ت210هـ) عن الإطناب مسمياً إياه " بالمجاز المكرر للتوكيد " وبين مواضعه بإعادة اللفظ أو الجملة، وسره البلاغي الذي قصره على التوكيد<sup>(6)</sup>.

1 - سر الفصاحة: ابن سنان الخفاجي، ص: 170.

2 - المصدر نفسه، ص: 170.

3 - ينظر: الهامش المصدر نفسه، ص: 170.

4 - معاني القرآن: الفراء، ج 287/3.

5 - المصدر نفسه، ج 288/2.

6 - ينظر: مجاز القرآن، ج 12/1.

ووضح الجاحظ (255هـ) محاسن التكرار والغاية التي يرد من أجلها<sup>(1)</sup>؛ إذ يستعان به كآلية تعبيرية بغرض التوكيد أو التقرير أو الإفهام أو غيرها من المقاصد، فهو ضرورة استوجبها المقام، وهو الرأي نفسه الذي اعتمده ابن قتيبة حيث عدّ التكرار من مذاهب العرب، والذي يرد بغرض التوكيد والإفهام، واستشهد بآيات قرآنية موضحا غرضه البلاغي كالتوكيد والتقرير والإفهام والتحذير، كما جاء تكرار القصص القرآني تثبيتا لقلب النبي ﷺ<sup>(2)</sup>.

أما ابن رشيق القيرواني (ت456هـ) فقد اعتبر التكرار من أساليب العرب التي لا يخلو منها أي فن، وقسمه إلى ثلاثة أقسام: تكرار اللفظ دون المعنى ويرى أنه أكثر الأساليب تداولاً في كلام العرب، وتكرار المعنى دون اللفظ وهو أقلها استعمالاً، وتكرار اللفظ والمعنى وعده من مساوئ التكرار بل حكم عليه بالخذلان<sup>(3)</sup>.

وذكر المواضع التي يستحسن فيها ورود التكرار والمواضع التي يستهجن فيها، فمن الأغراض التي يفيدها: التشويق والاستعذاب، والتنويه بالمكرر في المدح تفخيماً له، والتقرير والتوبيخ، التعظيم، الوعد والوعيد، الرثاء وجعله أكثر الأغراض استعمالاً لهذه الظاهرة وعلل ذلك بالحالة النفسية التي تملك المصاب.

واستدل على المواضع التي لا يستحسن فيها التكرار بقصيدة ابن الزيات:

أَتَعْرِفُ أَمْ تُقِيمُ عَلَى التَّصَايِي؟      فَقَدْ كَثُرَتْ مُنَافَلَةُ الْعِتَابِ  
إِذَا ذُكِرَ السُّلُوكُ عَنِ التَّصَايِي      نَفَرَتْ مِنْ اسْمِهِ نَفَرِ الصِّعَابِ

حيث استنكر هذا التكرار لتقليله من جودة الشعر<sup>(4)</sup>، فتكرار لفظة (التصايي) في البيتين لم يضيف فائدة للتركيب بل أكسبه ضعفاً في التأليف وانغلاقاً في المعنى .

ونخلص مما سبق إلى أن اهتمام النحاة والبلاغيين بجودة التراكيب وحسن الصياغة، والتألف بين المباني من خلال العلاقات النحوية القائمة بين الألفاظ داخل النسق اللغوي، كان الغرض منها إيصال

<sup>1</sup> - ينظر : البيان والتبيين: الجاحظ، ج1/105.

<sup>2</sup> - ينظر: تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، ص: 235-240.

<sup>3</sup> - ينظر: العمدة: ابن رشيق القيرواني، ص: 73-74.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 77.

المعنى إلى المتلقي في أبهى صورة من اللفظ، ليتمكن الناظم من التعبير عن مكنونات نفسه وأفكارها وخواطرها، بما يقتضيه المقام وأحوال المخاطبين، فبحثوا في المفردة باعتبارها البنية الأساسية التي يتألف منها التركيب، فدرسوا أحوالها المختلفة: من تذكير وتأنيث، وإفراد وجمع، وحللوا بنيتها الصرفية، وطريقة نظم ألفاظها، والتغيرات التي تطرأ على التراكيب من تقديم عنصر أو تأخير، أو حذف عنصر من عناصر الجملة واعتباره ضرباً من التوسع في اللغة والإيجاز، كما درسوا الأساليب (الالتفات، الإيجاز، الاعتراض، التكرار) مبينين الغاية من إيرادها، وإن شهد بعضها تداخلاً مع غيرها من الفنون، فالأمر عائد إلى اختلاف رؤى البلاغيين وتباين منهجهم البلاغيين، فهناك من اتبع من سبقه وهناك من سلك طريق التجديد.

المبحث الثاني: نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني والتأسيس للدرس البياني.

نحنا عبد القاهر الجرجاني بالدرس البلاغي منحى جديدا، اتسم بحسن الطرح والتبويب، ودقة ضبط المفاهيم، والعمق في التحليل، ما مكنه من الوقوف على دقائق التراكيب اللغوية ولطائفها البيانية التي استجلاها بفضل ذائقته الأدبية ومعرفته باللغة وعلومها، وإطلاعه على آراء السابقين ومعارفهم، حيث استفاد من بعض أفكارهم وصيرها لبنة أساسية في بناء نظرية النظم، في حين فند أفكارا وأقام عليها حججا دامغة، فقد حسم قضية اللفظ والمعنى، وصحح التصور الخاطئ الذي اتصل بالنحو، وكشف عن جماليات الأساليب البلاغية من تقديم وتأخير وحذف وذكر.. ؛ فدافعه الرئيسي كان خدمة القرآن الكريم والبحث في سر إعجازه الذي حصره في نظمه البديع، محددًا معايير البلاغة من خلال الشعر العربي الأصيل الذي استدل به على الوجه الإعجازي الذي تبناه، مؤكدا تفرد الأسلوب القرآني الذي عجزت عن مجاراته قرائح الشعراء وبراعة الخطباء، حيث تبلورت المباحث البلاغية ( علم المعاني وعلم البيان) في رحاب كشفه وتقصيه لمسألة الإعجاز، فقد رأى المهيري أن «عمل الجرجاني ينتمي إلى هذا الصنف من التأليف التي رام أصحابها أن يجعلوا من إعجاز القرآن مسألة بلاغية بحتة».(1)

واستطاع عبد القاهر ترجمة فكره البلاغي في كتابيه (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة)، حيث رأى محمود شاكر أنهما «أصليين جليلين، أسسا قواعد النظر في علم بلاغة الألسنة عامة، وبلاغة اللسان العربي المبين خاصة»(2)، حيث حلل الخطاب الأدبي وبيّن المزايا التي اشتمل عليها، مظهرًا اختلاف الصورة التركيبية لكل ضرب من القول لاختلاف صورته الذهنية في نفس المتكلم، وغرضه من ذلك التنقيب عن المعاني المستورة داخل كل تأليف، وبسطها للمتلقي لتنمية ملكته الذوقية، وتزويده بالآليات الإجرائية التي تمكنه من تحليل النصوص واستنباط مزاياها الأسلوبية.

<sup>1</sup> - مساهمة في التعريف بأراء عبد القاهر الجرجاني في اللغة والبلاغة، عبد القادر المهيري، حوليات الجامعة التونسية، عدد 11، يناير 1974، ص: 89

<sup>2</sup> - أسرار البلاغة، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، تح: أبو فهر محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ط1، 1991، ص: 03.

- نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني:

إن سعي عبد القاهر للكشف عن مكامن الإعجاز دفعه لإرساء نظرية النظم التي شرح من خلالها أساليب التعبير وضروبه واختلاف صياغة التراكيب لاختلاف صور المعاني القائمة في النفس والسياقات المحيطة بها، ولم تنبثق النظرية دفعة واحدة وإنما كانت نتاجا لجهود فكرية متواصلة من قبل أعلام سابقين؛ إذ ملم الجرجاني شتاتها ورسم حدودها وأبرز معالمها، فعدت مكتملة الأجزاء في إطار علمي منظم.

فقد أفاد عبد القاهر من جهود نخاة سابقين كالخليل وسيبويه وأبي علي الفارسي، ومن مدونات البلاغيين وخاصة الجاحظ، وهو ما عبر عنه محمد محمد أبو موسى بقوله «ونحن نؤكد أن عبد القاهر وهو يضع هذا العلم الشريف، كان يجمع بين معاني النحو التي نبغ فيها سيبويه، وأوصاف البلاغة التي نبغ فيها الجاحظ».<sup>(1)</sup>

فجوهر البلاغة عنده تجلّى في الشعر ومعاني النحو التي استقاها من علم السابقين، وبلور رؤياه بالتطرق والفصل في العديد من المفاهيم: اللفظ والمعنى وعلاقتهما بالنظم، اللغة والفكر، وخاصة التصوير كوسيلة خادمة للمعنى، حيث استنكر الوضعية التي آل إليها علم النحو وقصره على تتبع أواخر الكلم من بناء وإعراب، وإغفالهم المعاني النحوية الوظيفية داخل التراكيب، والعلاقات القائمة بين الألفاظ والتي على أساسها يتحقق النظم.

وعرف الجرجاني النظم بقوله «واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها»<sup>(2)</sup>، ففي قوله تأكيد على ارتباط صحة الأساليب بالقواعد النحوية ومعاني النحو وضرورة معرفة مواقع الكلمات وما يعتري نظام الجملة من تغيرات يستوجبها مقتضى الحال ليستقيم التأليف .

<sup>1</sup> - مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1998، ص: 43.

<sup>2</sup> - دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، ص: 127.

فربط عبد القاهر علم النحو بالبلاغة فيه إعادة بعث للنحو وإخراج له من وسم الشكلية والمعارية، وقصر وظيفته على ضبط أواخر الكلم، فكان « أول عالم أخرج النحو من نطاق شكلية وجفافه، وسما به فوق الخلافات والتحملات حول الإعراب والبناء، وبعث فيه دفء اللذة الشعرية والعقلية معا، وأخضعه لفكرة النظم، وأخضع فكرة النظم إليه ».<sup>(1)</sup>

فقد كان للتعليق النحوي أثر كبير في صياغة عبد القاهر لنظرية النظم، حيث قسم الكلام وأوضح طرق التأليف بين أجزائه، فقال «معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها بسبب من بعض، والكلم ثلاث: اسم وفعل، وحرف، وللتعلق فيما بينهما طرق معلومة، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام: تعلق اسم باسم، وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف بهما»<sup>(2)</sup>، فلا بد للناظم من مراعاة المواقع النحوية للكلمات وترتيبها وفق معانيها في النفس لتشكيل تأليفا خاصا، وإلا أصابها الضعف وفساد النظم لوجود خلل في نظامها النحوي .

فالألفاظ المفردة تحمل شحنات دلالية خارج السياق، في حين ينحصر مدلولها داخل التركيب اللغوي، لتكسب قيمته داخله، لذا يستوجب على المؤلف معرفة معاني الألفاظ وحسن اختيار الأنسب منها ليتحقق الغرض التواصل والجمالي، إلى جانب القدرة على تجسيد المعاني النفسية داخل التراكيب من خلال المعرفة بالوظائف النحوية « وإحداث هذا التوافق بين المعاني النفسية والتراكيب الدالة عليها لا يتم إلا بمعرفة عميقة للوظائف النحوية لأدوات النفي أو أدوات الشرط أو أدوات النداء أو الاستفهام، وما يمكن أن يحدثه وضع أداة مكان أداة من تغيير في المعنى، وكذلك ندرك أثر نوعية الكلمة وموقعيتها في المعنى، فالكلمة المعرفة غير الكلمة المنكرة ».<sup>(3)</sup>

وشكل المستوى النفسي ركيزة في فكره البلاغي حيث ظهر ذلك في تحديده للفرق القائم بين نظم الحروف ونظم الكلم، فقال «نظم الحروف هو تواليها في النطق فقط، وليس نظمها بمقتضى عن معنى، ولا الناظم لها بمقتضى في ذلك رسما من العقل، اقتضى أن يتحرى في نظمه لها ما يتحرره ... وأما نظم الكلم، فليس الأمر فيه كذلك، لأنك تقتضي في نظمها آثار المعاني، وترتيبها على حساب ترتيب

<sup>1</sup> - فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، فتحي أحمد عامر، منشأة المعارف، الاسكندرية، د/ط، 1988، ص: 81.

<sup>2</sup> - دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، ص: 57.

<sup>3</sup> - دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، أحمد درويش، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د/ط، ت، ص: 88.

المعاني في النفس»<sup>(1)</sup>، فترتيب الكلمات وفق نسق معين يكون مرهونا بالمعاني المختزنة في النفس، فتناسق دلالتها يكون بحسب مقتضى العقل.

ليؤكد في موضع آخر على أهمية ترتيب المعاني في النفس وأسبقيتها على الألفاظ، حتى لا يكون هناك اهتمام برونق الألفاظ وإغفال للمعاني، وهي المسألة التي غال فيها الأدباء والنقاد قبله، ليجعل من الألفاظ أوعية تستوعب هذه المعاني، فقال « وأنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك، لم تحتج إلى أن تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني، وتابعة لها، ولاحقة بها، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس، علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق ».<sup>(2)</sup>

وحظيت ثنائية اللفظ والمعنى باهتمام الجرجاني لارتباطها بقضية الإعجاز القرآني، وأسهمت في بلورة معالم نظريته، حيث انقسمت الآراء حول الوجه الاعجازي للقرآن الكريم: أهو قائم في لفظه أم في معانيه؟ ليقر عبد القاهر بأن إعجازه تجلّى في مزايا وخصائص ظهرت في نظمته، ويشير لفضيلة الصياغة الأدبية وحسن الملاءمة بين الألفاظ والمعاني، والقدرة على إحداث تلاؤم بين اللفظة واللفظة التي تليها ليتولد تناسب وانسجام في التركيب، مستبعدا مزية اللفظة خارج السياق، معلنا اكتساب دلالتها من خلال علاقتها التجاورية مع غيرها، حيث قال « وهل قالوا: لفظة متمكنة ومقبولة، وفي خلافه: قلقنة ونابية، ومستكرهة، إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناها، وبالقلق والنبو عن سوء التلاؤم، وأن الأولى لم تلق بالثانية في معناها، وأن السابقة لم تصلح أن تكون لفقا للتالية في مؤداها »<sup>(3)</sup>، فانشغال المؤلف باللفظ دون المعنى وإغفاله للعلاقات القائمة بين الألفاظ، يوقعه في المعاطلة وفساد النظم والانغلاق في الدلالة لما يحمله من لبس.

ومثل لذلك بيت الفرزدق:

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمَلَّكَ  
أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ

<sup>1</sup> - دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ص: 102.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 105.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 98.

فقال « فانظر أيتصور أن يكون ذمك للفظه من حيث أنك أنكرت شيئا من حروفه، أو صادفت وحشيا غريبا، أو سوقيا ضعيفا؟ أم ليس إلا لأنه لم يرتب الألفاظ في الذكر، على موجب ترتب المعاني في الفكر، فكدر وكدر ومنع السامع أن يفهم الغرض إلا بأن يقدم ويؤخر، ثم أسرف في إبطال النظام، وإبعاد المرام، وصار كمن رمى بأجزاء تتألف منها صورة، ولكن بعد أن يراجع فيها باب من الهندسة، لفرط ما عاى بين أشكالها، وشدة ما خالف بين أوضاعها»<sup>(1)</sup>، فسوء تموقع الكلمات نجم عنه خلل في المعنى وفساد في التأليف ولم يشفع للشاعر عنايته بجرس الألفاظ وتلاؤم حروفها وسلامتها من الغرابة أو العامية والسخف، لأنه وقع في شرك مخالفة القواعد النحوية من تقديم أو تأخير أو حذف أو إضمار أو فصل بين ركني الجملة مما أخرجه من دائرة النظم الصحيح .

فاللفظة الواحدة قد تستحسن في موضع وتستجهن في موضع آخر لارتباطها بما يجاورها من كلمات، وهو ما أكدته بقوله « اتضح إذن، اتضاحا لا يدع للشك مجالا، أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ، ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك، وتوحشك في موضع آخر»<sup>(2)</sup>، فتجلت جودة اللفظ داخل النسق اللغوي بمراعاة العلاقات الوظيفية بين الكلمات، ومواقعها وصحة مطابقتها للقواعد النحوية، واكتسابها للمعاني الإضافية السياقية إلى جانب دلالتها المعجمية، مما يضيفي جمالية في الخطاب الأدبي، فلا مزية للفظه لذاتها من حيث تلاؤم حروفها وخفتها في النطق؛ وإنما في تلاؤمها مع اللفظة التي تليها لترجم من خلالها المعاني الذهنية المكنونة في النفس .

وذم عبد القاهر الإكثار من المحسنات اللفظية التي تثقل التراكيب ولا تخدم المعاني، فقال «وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيسا مقبولا، ولا سجعا حسنا، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه، وحتى تجده لا يبتغي به بدلا، ولا تجد عنه حولا، ومن ههنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه، وأحقه بالحسن وأولاه، ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه، وتأهب لطلبه»<sup>(3)</sup>، ففي نصه تشخيص للوضع الذي صير إليه الخطاب الإبداعي من تكلف الشعراء للبديع

<sup>1</sup> - أسرار البلاغة: الجرجاني، ص: 20-21.

<sup>2</sup> - دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص: 99.

<sup>3</sup> - المصدر السابق، ص: 11.



واقحامه في كل بيت شعري ظنا منهم أنه مناط الحسن والجودة، مما نجم عنه إخلال بالمعاني لتعمد ذكره بهدف تزيين اللفظ وتحميله، فتحول إلى غاية يبتغيها الناظم لذاتها بعد أن كان وسيلة يستعان بها لتوضيح المعاني والتعبير عن المشاعر والخواطر، تنبع من الطبع ويراعى بها شروط إنتاج الخطاب، ومقتضى الحال.

فاختلاف الصورة التركيبية للكلام وطريقة اتحاد أجزائه مرتبط ارتباطا وثيقا بالصورة الذهنية لدى الناظم، ومدى تمكنه من اختيار الألفاظ المناسبة التي تعرب عن مكنونات نفسه، فتتلاحم المباني وتتولد العلاقات المعنوية بينها، وفي ذلك يقول الجرجاني « واعلم أن مما هو أصل في أن يدق النظر، ويغمض المسلك ؛ في توخي المعاني التي عرفت: أن تتحد أجزاء الكلام، ويدخل بعضها في بعض ؛ ويشتد ارتباط ثان منها بأول، وأن يحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعا واحدا، وأن يكون حالك فيها حال الباني، يضع يمينه هاهنا في حال ما يضع ييساره هناك، نعم وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأولين . وليس لما شأنه أن يجيء على هذا الوصف حد يحصره ؛ وقانون يحيط به ؛ فإنه يجيء على وجوه شتى ؛ وأنحاء ومختلفة»<sup>(1)</sup>، فعقد مماثلة بين المؤلف والباني لاشتراك عملهما، فانتقاء الباني للنبات المناسبة وإحكام رصف بعضها جنب بعض ليقيم بنيانا ثابت الأركان كفعل الناظم في صياغته للتراكيب من تحير الألفاظ الموافقة للمعاني، وضم بعضها إلى بعض مع توخي معاني النحو فتتولد الصلة، بحيث لا تتم دلالة الأولى بمعزل عن الثانية، فكل تغيير في اللفظ يصحبه تغيير في المعنى، لذا حرص على إحداث ملاءمة بين الألفاظ والمعاني .

وأوضح عبد القاهر مفهومه للفصاحة ورفض قصرها على اللفظ دون المعنى، وتضييق مجالها في التلاؤم اللفظي فقط، حيث أورد قولهم بأنه « لا معنى للفصاحة سوى التلاؤم اللفظي، وتعديل مزاج الحروف، حتى لا تتلاقى في النطق حروف تثقل على اللسان، كالذي أنشده الجاحظ من قول الشاعر:

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٍ      وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ<sup>(2)</sup>

<sup>1</sup> - دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ص: 137.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 107.

فأبطل هذا الرأي الذي يخرج الفصاحة من دائرة البلاغة ويحصر الفضيلة للألفاظ دون المعاني، واستدل لذلك بقوله «لأنه يؤدي إلى أن لا يكون للمعاني التي ذكروها في حدود البلاغة، من وضوح الدلالة، وصواب الإشارة وتصحيح الأقسام، وحسن الترتيب والنظام، والإبداع في طريقة التشبيه والتمثيل، والإجمال ثم التفصيل، ووضع الفصل والوصل موضعهما، وتوفية الحذف والتأكيد، والتقديم والتأخير شروطهما مدخل فيما له كان القرآن معجزا حتى ندعي أنه لم يكن معجزا من حيث هو بليغ، ولا من حيث هو قول فصل، وكلام شريف النظم بديع التأليف، وذلك أنه لا تعلق لشيء من هذه المعاني بتلاؤم الحروف»<sup>(1)</sup>.

فالتدرج في التحليل وذوقه الأدبي مكنه من الوصول إلى حقيقة اللغة ليقر «بأنها ليست مجموعة من الألفاظ بل مجموعة من العلاقات»<sup>(2)</sup>.

وأشار الجرجاني إلى ما عرفته البلاغة العربية حتى وقته من تداخل في بعض المصطلحات... إلى جانب عدم الاستفاضة والعمق في التحليل، مما حال دون الظفر بكنوزها ومزاياها، فقال « ولم أزل منذ خدمت العلم، أنظر فيما قاله العلماء في معنى " الفصاحة " و " البلاغة " و " البيان " و " البراعة "، وفي بيان المغزى من هذه العبارات، وتفسير المراد بها، فأجد بعض ذلك كالرمز والإيماء، والإشارة في خفاء، وبعضه كالتنبية على مكان الخبيء ليطلب، وموضع الدفين لبحث عنه فيخرج»<sup>(3)</sup>، فأوضح مسائل هذا العلم واستدل عليها بشواهد قرآنية وشعرية، راسما معالمه ومبلورا مباحثه.

#### - علم المعاني عند عبد القاهر الجرجاني :

درس عبد القاهر طرائق التعابير المختلفة وبحث في أسرار بلاغتها، سعيًا منه لبلورة مفهوم للنظم وإرساء له على أسس مضبوطة، من خلال الوقوف على دقائق التراكيب والتنقيب عن جمالياتها، فربط النحو بالبلاغة وقرن أداء المعاني وتحقيق الغاية التواصلية بصحة الأساليب وتوخي معاني النحو، فقال « فلست بواجد شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا، وخطؤه إن كان خطأ، إلى النظم، ويدخل تحت هذا الاسم، إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه ووضع في حقه، أو عومل

<sup>1</sup> - دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ص: 108-109.

<sup>2</sup> - في الميزان الجديد، محمد مندور، مؤسسات ع، بن عبد الله، تونس، ط1، 1988، ص: 201.

<sup>3</sup> - المصدر السابق، ص: 91.

بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له، فلا ترى كلاما قد وصف بصحة النظم أو فساده، أو وصف بمزية وفضل فيه، إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة، وذلك الفساد، وتلك المزية، وذلك الفضل، إلى معاني النحو وأحكامه»<sup>(1)</sup>، فجعل النحو مقياسا يعرف به صحيح التراكيب من سقيمها؛ إذ على الناظم الإحاطة بأساليب اللغة من تقديم وتأخير، وذكر وحذف.. واختيار الوسيلة الأنجح لتأدية المعاني، مع مراعاة القرائن المقامية «وذلك أنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه، غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه، فينظر في الخبر... فيعرف لكل من ذلك موضعه، ويحيى به حيث ينبغي له وينظر في الحروف التي تشترك في معنى، ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى؛ فيضع كلا من ذلك في خاص معناه... وينظر في الجمل التي تسرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل،... ويتصرف في التعريف والتنكير، والتقديم والتأخير في الكلام كله، وفي الحذف والتكرار، والإضمار والإظهار فيضع كلا من ذلك مكانه، ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له»<sup>(2)</sup>.

فقد أجمال الجرجاني في هذا النص مباحث علم المعاني، واستلهم من التراكيب النحوية لطائف بلاغية، حيث اهتم بالمباني ومواقع الألفاظ ومدى مطابقة الأساليب للأصل أو مخالفته، مؤكداً أن اختار لفظ دون آخر، أو أداة دون غيرها، يكون وفق معرفة عميقة بوظائفها النحوية.

فانبرى عبد القاهر لدراسة فروق التراكيب ووجوهه مشيراً إلى أن كل اختلاف في التراكيب يصحبه اختلاف في المعاني؛ حيث «كان هاجسه من أول طلب العلم هو التعرف على الشيء الذي صار به الكلام الحسن حسناً»<sup>(3)</sup>، فبيّن المزايا البلاغية في الخطاب الأدبي من تقديم وتأخير، أو حذف وذكر، أو فصل ووصل.. الذي يرد خدمة للدلالة ومقتضيات المقام، فجاءت معالجته للمباحث البلاغية كالتالي:

<sup>1</sup> - دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص: 127.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 127.

<sup>3</sup> - مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني، محمد محمد أبو موسى، ص: 31.

- التقديم والتأخير:

يبيّن عبد القاهر أهمية التقديم والتأخير وأثره في إبراز جمالية التراكيب فقال: «هو باب كثير الفوائد جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بدعة، ويفضي بك إلى لطيفة؛ ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان»<sup>(1)</sup>، فالألفاظ تنتظم وفق نمط معين يبتغيه الناظم؛ وأي تغيير في رتبها من تقديم جزء أو تأخيرها يكون بغرض خدمة الدلالة، ومراعاة مقتضى الحال والموقف، فقلوه (واسع التصرف بعيد الغاية) بمعنى متغير الاستعمال لعلل بيانية يسوقها المتكلم في تأليفه ويراعي بها الأحوال النفسية للمخاطبين ومستوياتهم الفكرية وجعل التقديم على وجهين<sup>(2)</sup>:

- تقديم على نية التأخير وهو ما يبقى المقدم فيه على حكمه الذي كان له قبل التقديم مثل: منطلقٌ زيدٌ.

- تقديم لا على نية التأخير وهو ما ينقل المقدم من حكم إلى حكم ومن إعراب إلى إعراب مثل: زيدٌ ضربه، أصله: ضربتُ زيدا، فقدم المفعول به وجعل مبتدأ.

ورأى أنه من الخطأ تقسيم التقديم الكلام إلى مفيد وغير مفيد، وأن يعلل الغرض من إيرادها إلى العناية أو التوسعة لتستقيم للشاعر قوافيه وللكاتب أسجاعه، فقد انتقد حصر النحاة لفائده الدلالية في العناية والاهتمام، فقال «واعلم أنا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئا - يجري مجرى الأصل - غير العناية والاهتمام، قال صاحب الكتاب، وهو يذكر الفاعل والمفعول: وكأنهم يقدمون الذي بيانه أهم، وهم بشأنه أعنى، وإن كانا جميعا يهماهم ويعنيانهم»<sup>(3)</sup>.

فشاع تداول هذا الغرض البلاغي (العناية والاهتمام) بين النحاة، وأصبح ملازما لكل تركيب تضمن تقديمًا أو تأخيرًا دون تمحيص أو استنباط لمعان إضافية، مما ولد انغلاقا في المباني وتصريحا للمعاني الظاهرية للتراكيب فقط، وهو ما أكده الجرجاني بقوله «قد وقع فيه ظنون الناس أنه يكفي أن يقال: " أنه قدم للعناية، ولأن ذكره أهم " من غير أن يذكر من أين كانت تلك العناية؟ ولم كان أهم؟

<sup>1</sup> - دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص: 148.

<sup>2</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ص: 148.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 148-149.

ولتخليهم ذلك، فقد صغر أمر " التقديم والتأخير " في نفوسهم، وهونوا الخطب فيه، حتى إنك لترى أكثرهم يرى تتبعه والنظر فيه، ضرباً من التكلف ؛ ولم تر ظناً أزرى على صاحبه من هذا وشبهه <sup>(1)</sup>.

لم يستسغ الجرجاني نظرية السابقين للتقديم والتأخير، وأوضح أن وروده في التركيب يكون لعلل بيانية يستوجبها المقام، فيتم ترتيب الألفاظ داخل النظم وفق ترتيب المعاني في النفس ؛ إذ « أن التقديم والتأخير في الكلام يكون لعلل لغوية يقتضيها ترتيب معاني الكلام، وكل صورة من هذه الصور تدل على معنى معين، وتصور صورة ذهنية لا تتعدها إلى غيرها ؛ ذلك لأن التقديم والتأخير لا يأتيان للاهتمام والعناية فحسب، بل يأتيان لتحرير المعاني وضبطها <sup>(2)</sup>، فالفروق في المعاني والدلالات الخفية تفهم من التراكيب النحوية، فكل تأليف خرج عن الأصل فقدم عنصر من عناصره أو أخر إلا وحمل أسراراً ومزايا بلاغية، وهو ما استجلاه الجرجاني في دراسته، فبحث في التقديم والتأخير مع الاستفهام بالهمزة، ومع النفي، وفي الخبر المثبت، وفي طائفة من العبارات .

فكشف عن المزية الدلالية من تقديم الاسم أو الفعل بعد همزة الاستفهام، فقال « وهذه مسائل لا يستطيع أحد أن يمتنع عن التفرقة بين تقديم ما قدم فيها، وترك تقديمه، ومن أبين شيء في ذلك الاستفهام بالهمزة . فإن موضع الكلام على أنك قلت: أفعلت ؟ فبدأت بالفعل كان الشك في الفعل نفسه، وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده . وإذا قلت: أنت فعلت ؟ فبدأت بالاسم كان الشك في الفاعل من هو ؟، وكان التردد فيه <sup>(3)</sup>، فالتقديم لم يكن بغرض العناية بأمر المقدم والاهتمام به كما عرف عند المتقدمين، وإنما قدم الاسم أو الفعل ليوضح الغاية التي يبتغيها المتكلم، فإن قدم الفعل كان الشك فيه والاستفهام عن أصل الحدث، وإن قدم الاسم كان الشك في الفاعل والتردد فيه .

ومثل لتقديم المسند إليه مع الاستفهام التقريري والإنكاري، فقال « يبين ذلك قوله تعالى، حكاية عن قول نمرود ﴿ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِلَهُ هِيمٌ ﴾ [ الأنبياء: 62 ] لا شبهة في أنهم لم يقولوا ذلك له عليه السلام، وهم يريدون أن يقر لهم بأن كسر الأصنام قد كان، ولكن أن يقر بأنه منه

<sup>1</sup> - دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص: 149.

<sup>2</sup> - نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني، وليد محمد مراد، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 1983، ص: 66-67.

<sup>3</sup> - المصدر السابق، ص: 151.

كان ؛ وقد أشاروا له إلى الفعل في قولهم أأنت فعلت هذا ؟ وقال هو عليه السلام في الجواب: " بل فعله كبيرهم هذا " <sup>(1)</sup>، فلم يسألوا عن الفعل لأنه وقع وشاهدوا أثره المتمثل في الأصنام المحطمة ولكن سؤالهم كان عن الفاعل والمحطم لها لهذا قدم في التركيب .

وشرح عبد القاهر دلالة التقديم والتأخير مع النفي فقال « إذا قلت: ( ما فعلت ) كنت نفيت عنك فعلا لم يثبت أنه مفعول، وإذا قلت: ( ما أنا فعلت ) كنت نفيت عنك فعلا ثبت أنه مفعول، تفسير ذلك: أنك إذا قلت: ( ما قلت هذا ): كنت نفيت أن تكون قد قلت ذاك، وكنت نوظرت في شيء لم يثبت أنه مقول . وإذا قلت: ( ما أنا قلت هذا ): كنت نفيت أن تكون القائل له، وكانت المناظرة في شيء ثبت أنه مقول » <sup>(2)</sup>، حيث تغيرت دلالة التركيب بتغير العنصر الذي ورد بعد أداة النفي، فلما ولي حرف النفي فعل كان المعنى النفي المطلق لأن الفعل لم يثبت وقوعه حيث نفيت فعلا لم يثبت أنه مفعول، بينما إذا جاء اسم بعد حرف نفي دل على ثبوت الفعل وعدم تعيين الفاعل ؛ حيث نفيت عن نفسك وأثبتته لأحد غيرك .

وبيّن أن تقديم المسند إليه وتهيئة المتلقي لاستقباله يضيف على التركيب حسنا ورونقا، وفي ذلك يقول « ليس إعلامك الشيء بغتة، مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه، والتقدمة له، لأن ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام، في التأكيد والإحكام . ومن ههنا قالوا: إن الشيء إذا أضمر ثم فسر، كان ذلك أفخم له من أن يذكر، من غير تقدم إضمار » <sup>(3)</sup>.

كما يقدم المحدث عنه بغرض تأكيد الخبر وتحقيقه، قال الجرجاني « ويشهد لما قلنا، من أن تقديم المحدث عنه يقتضي تأكيد الخبر وتحقيقه له، أنا إذا تأملنا وجدنا هذا الضرب من الكلام، يجيء فيما سبق فيه إنكار من منكر، نحو أن يقول الرجل: (لَيْسَ لِي عِلْمٌ بِالَّذِي تَقُولُ)، فتقول له : (أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْأَمْرَ عَلَى مَا أَقُولُ وَلَكِنَّكَ تَمِيلُ إِلَى خَصْمِي) » <sup>(4)</sup>، فتقديم المسند إليه جاء استجابة للظروف السياقية ومراعاة لحالة المتلقي التي حملت إنكارا للخبر، ما دفع المتكلم لتأكيد وتحقيقه .

<sup>1</sup> - دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص: 152.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 160.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 165-166.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 166.

شيد عبد القاهر الجرجاني صرح التقديم والتأخير من خلال المزج بين روافد متباينة: الاستفهام، النفسي والخبر، ليستجلي خصائص النظم ويبرز الأغراض البلاغية التي اقتضت العدول عن الأصل ومخالفة النظام المعهود .

#### - الحذف:

عقد عبد القاهر بابا للحذف في كتابه ( دلائل الإعجاز )، درس من خلاله التراكيب النحوية وما يعتريها من حذف وإسقاط لبعض أجزائها، موضحا دواعي وروده وضوابطه، ملتصقا جماليته في النظم ورونقه حيث كشف عن معاني الألفاظ التي طواها التعبير، وضمنها المتكلم في خطابه معولا على قدرة السامع في استنباط المحذوف وتقديره من خلال استناده على القرائن السياقية أو الحالية بغية الظفر بالمعنى .

وأكد الجرجاني على صعوبة مسلكه ؛ إذ لا بد للمؤلف أن يكون عليما باللغة وآلية بنائها وأسرارها حيث يرد الحذف في خطابه خدمة للدلالة واستجابة لمقتضى الحال، فأى تكلف في الإسقاط يؤدي إلى فساد في النظم وغموض في المعاني، وهو ما أكد به بقوله « هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر ؛ فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة؛ وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبين »<sup>(1)</sup>، فهناك علاقة وطيدة بين صياغة التراكيب والدلالة، فإن تمكن الناظم من إيراد الحذف موضعه بلغ بذلك الغاية وأكسب التأليف حسنا وقوة، وأسر النفوس بسحره .

أوضح عبد القاهر المواضع التي يطرد فيها حذف المبتدأ ( القطع والاستئناف ) وما يحدثه من جمال في المعنى بعد الحذف، فقال « يبدأون بذكر الرجل، ويقدمون بعض أمره، ثم يدعون الكلام الأول، ويستأنفون كلاما آخر، وإذا فعلوا ذلك أتوا في أكثر الأمر، بخبر من غير مبتدأ، مثال ذلك قوله:

<sup>1</sup> - دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص: 177.

وَعَلِمْتُ أَنِّي يَوْمَ ذَا      كَ مَنْ أَزَلُّ كَعْبًا وَهَذَا  
قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الْحَدِيدَ      دَنَمَرُوا حَلَقًا وَقَدْ أ<sup>(1)</sup>

ذكر الشاعر استعداده للنزال وتهيئة نفسه لمقارعة الخصوم، ثم استأنف حديثه عن القوم ولباسهم للدروع، فتشبهوا بالنمر في أفعالهم في الحرب، فحذف المبتدأ والأصل: هم قوم .  
ومثل أيضا « بقول الشاعر:

سَأَشْكُرُ عَمْرًا إِنْ تَرَاحَتْ مِنِّي      أَيَادِي لَمْ تَمْنَنْ وَإِنْ هِيَ جَلَتْ  
فَتَى غَيْرُ مُحْجُوبِ الْغِنَى عَنْ صَدِيقِهِ      لَا مُظْهِرُ الشُّكْوَى إِذَا النُّعْلُ زَلَّتِ<sup>(2)</sup>

فحذف المبتدأ والأصل أن يقول: هو فتى، مما أكسب التركيب حسنا، ولم يكن ليلغ مراتب  
البيان لو ذكر المحذوف وصرح به.

كما استشهد «بقول الشاعر:

سَرِيعٌ إِلَى ابْنِ الْعَمِّ يَلْطِمُ وَجْهَهُ      وَلَيْسَ إِلَى دَاعِي النَّدَى بِسَرِيعِ  
حَرِيصٌ عَلَى الدُّنْيَا مُضِيعٌ لِدِينِهِ      وَلَيْسَ لِمَا فِي بَيْتِهِ بِمُضِيعِ<sup>(3)</sup>

وعلق عبد القاهر على هذه الأبيات مؤكدا بلاغة الحذف في التركيب ودوره في الإيفاء  
بالدلالة، فقال « فتأمل الآن هذه الأبيات كلها، واستقرها واحدا واحدا، وانظر إلى موقعها في نفسك،  
وإلى ما تحده من اللطف والظرف، إذا مررت بموضع الحذف منها، ثم قبلت النفس عما تجد وألطففت  
النظر فيما تحس به، ثم تكلف أن ترد ما حذف الشاعر، وأن تخرجه إلى لفظك، وتوقعه في سمعك،  
فإنك تعلم أن الذي قلت كما قلت، وأن ربّ حذف هو قلادة الجيد، وقاعدة التجويد ... »<sup>(4)</sup>

وتعددت الأغراض البلاغية لحذف المفعول به وتباينت تبعاً لغاية المتكلم والهدف من صياغته  
لِلرسالة التخاطبية، فقد يرد بغرض دفع التوهم عن السامع، أو طلباً للاختصار، أو للعناية في إثبات  
الفعل لفاعله، وهو ما صرح به عبد القاهر في قوله « وإن أردت أن تزداد تبيننا لهذا الأصل، أعني:

<sup>1</sup> - دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص: 178.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 180.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 182.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 182.



وجوب أن تسقط المفعول لتتوفر العناية على إثبات الفعل لفاعله، ولا يدخلها شوب، فانظر إلى قوله تعالى ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْكُنُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (23) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ [ القصص: 23-24 ]، ففيها حذف المفعول في أربعة مواضع، إذ المعنى: وجد عليه أمة من الناس يسقون أغنامهم أو مواشيهم، وامرأتين تذودان غنمهما، وقالتا لا نسقي غنمنا، فسقى لهما غنمهما<sup>(1)</sup>، فحذف المفعول به لعلم السامع به وتمكنه من تقديره وذكر الفعل والفاعل؛ لأن الغرض تصوير مشهد مقدم الفتاتين وحادثة السقي.

كما قد يستغني المتكلم عن ذكر لفظ ما ثم يقدم على ذكره وتفسيره في موضع آخر، ومثل ذلك قول البحري:

لَوْ شِئْتَ لَمْ تُفْسِدْ سَمَاحَةَ حَاتِمٍ كَرَمًا، وَلَمْ تَهْدِمِ مَآثِرَ خَالِدٍ

وبيّن عبد القاهر موضع الحذف وغرضه البلاغي فقال «الأصل، لا محالة، لو شئت أن لا تفسد سماعة حاتم لم تفسدها، ثم حذف ذلك من الأول استغناء بدلالته في الثاني عليه؛ ثم هو على ما تراه وتعلمه من الحسن والغرابة وهو على ما ذكرت لك من أن الواجب في حكم البلاغة، ألا ينطق بالمحذوف، ولا يظهر إلى اللفظ؛ فليس يخفى أنك لو رجعت فيه إلى ما هو أصله فقلت: ( لو شئت أن لا تفسد سماعة حاتم لم تفسدها)، صرت إلى كلام غث، وإلى شيء يعجزه السمع وتعافيه النفس»<sup>(2)</sup>، فأضفى الحذف الذي اقتضاه المقام على التركيب حسنا، حيث أضمر اللفظ ثم فسر لأن ذكره يؤدي إلى فساد في النظم.

يحذف المفعول به بعد فعل المشيئة وحروف الجزاء بغرض البيان بعد الإبهام، ومثل له بقوله تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَّيْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ النحل: 09 ]، وفسرها بقوله « والتقديم في ذلك كله على ما ذكرت، فالأصل: لو شاء أن يهديكم أجمعين لهداكم »<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص: 189-190.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 191.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 191.

استطاع عبد القاهر الولوج في خبايا التراكيب التي اعترأها الحذف، فلم يتوقف عند حدود تقدير المحذوف، بل التمس الأغراض البلاغية من توظيفه، ويبيّن سر عدول المتكلم عن الذكر إلى الحذف لدواعي سياقية وأداء للمعنى في أبهى صورة.

#### - الخبر :

أوضح عبد القاهر اختلاف الصورة التركيبية لاختلاف أغراض ومقاصد المتكلم، فتعدد وجوه الخبر وطرق الأداء اللغوي؛ حيث تتلاحم الألفاظ فيما بينها فتتولد العلاقات الوظيفية لتشكّل ضرباً خاصاً من التأليف، ولا يدرك فروق الخبر إلا من علم باللغة ودقائق التعبير، حيث قسم الجرجاني الخبر إلى قسمين فقال « أول ما ينبغي أن يعلم منه أنه ينقسم إلى خبر هو جزء من الجملة لا تتم الفائدة دونه، وخبر ليس بجزء من الجملة، ولكنه زيادة في خبر آخر سابق له، فالأول خبر المبتدأ ( كَمُنْطَلِقُ ) في قولك: ( زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ )... والثاني هو الحال كقولك: ( جَاءَنِي زَيْدٌ رَاكِبًا )، وذاك لأن الحال خبر في الحقيقة، من حيث أنك تثبت بها المعنى لذي الحال ... ألا تراك قد أثبتت الركوب في قولك: ( جَاءَنِي زَيْدٌ رَاكِبًا ) لزيد، إلا أن الفرق أنك جئت به لتزيد معنى في إخبارك عنه بالمجيء، وهو أن تجعله بهذه الهيئة في مجيئه ؛ ولم تجرد في إثباتك للركوب»<sup>(1)</sup>.

فاختلفت الصيغة التركيبية للخبر في الجملة الأولى ( زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ )، حيث تكونت من ركنين أساسيين: مسند إليه ومسند لتدل على الإخبار، في حين تجاوزت دلالة الجملة الثانية الإخبار عن المجيء لتضيف دلالة أخرى وهي وصف هيئة المخبر عنه، فزيادة لفظ في المبنى ترتبت عنه دلالة إضافية إلى جانب الدلالة الأولية للتركيب .

يبيّن عبد القاهر أن الإخبار بالجملة الفعلية يختلف عن الإخبار بالجملة الاسمية دلالة وقصداً «وبيانه أن موضوع الاسم على أن تثبت به المعنى للشيء، من غير أن يقتضي تحدد شيء بعد شيء، وأما الفعل فموضوعه، على أنه يقتضي تحدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء»<sup>(2)</sup>، فحمل الاسم دلالة الثبات بينما دل الفعل على التجدد والتغير .

<sup>1</sup> - دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص: 200.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 200.

ويستوجب على المتكلم في عملية اختياره للألفاظ أن يراعي مقتضيات السياق والمقام، ويستحضر حال المتلقي ومدى تقبله أو إنكاره للخطاب، فتتولد بذلك عبارات وجمل مختلفة الأغراض، حيث نبه الجرجاني إلى تعدد وجوه الخبر تبعاً لمقاصد المؤلف، فقال « ذلك أنا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه، غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه، فينظر في الخبر، إلى الوجوه التي تراها في قولك: زيدٌ منطلقٌ، وزيدٌ ينطلقُ، وينطلقُ زيدٌ، ومنطلقُ زيدٌ، وزيدٌ المنطلقُ، والمنطلقُ زيدٌ، وزيدٌ هو المنطلقُ، وزيدٌ هو منطلقٌ »<sup>(1)</sup>، فهو يهتم بالجانب التداولي؛ أي بالفروق في البنى التركيبية والسياقات المحيطة بها، فقد يظن القارئ لأول وهلة أن الجمل مشتركة في الدلالة وهي: الاخبار بانطلاق زيد، ولكن الجرجاني يغوص في التراكيب ليستلهم منها فروقا جوهرية تنم عن براعته ودقة تحليله، حيث شرحها بقوله « ومن فروق الإثبات أنك تقول " زيد منطلق " و " زيد المنطلق " و " المنطلق زيد "، فيكون لك في كل واحد من هذه الأحوال غرض خاص، وفائدة لا تكون في الباقي ... اعلم أنك إذا قلت: زيد منطلقٌ، كان كلامك مع من لم يعلم أن انطلقا كان، لا من زيد ولا من عمرو، فأنت تفيده ذلك ابتداءً، وإذا قلت: زيد المنطلقُ، كان كلامك مع من عرف أن انطلقا كان، إما من زيد، وإما من عمرو، فأنت تعلمه أنه كان من زيد لا من غيره »<sup>(2)</sup>، فاختلف مبنى الجمل تبعاً لحال السامع، فقوله ( زيد منطلق ) يخاطب بها من لا يعلم الانطلاق ولا ممن كان، وقوله ( زيد المنطلق ) حملت دلالة تخصيص الانطلاق بزيد دون غيره، أما قوله ( المنطلق زيد ) فقد علم المتلقي بفعل الانطلاق ولكن لم يتبين فاعله فتم التأكيد له بأنه زيد .

فتمددت طرق صياغة الجمل وخضعت لقواعد النحو ودلت على القدرة أو الكفاية اللغوية للمتكلم « فالجمل التي يتم توليدها وفقاً لقواعد الكفاءة الذاتية، إنما هي جمل أصولية لأنها تنتمي إلى الكفاءة الذاتية الصحيحة، التي لا يخطئ صاحبها، لأنها راسخة في ذهنه رسوخ السليقة، وينبغي على المتكلم أن يراعي قواعد صحتها، لكي يكون كلامه صحيحاً وجمله سليماً »<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص: 127.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 203.

<sup>3</sup> - أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث ( في مجالي: مفهوم اللغة والدراسات النحوية )، حسام البهناوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د/ط، 1994، ص: 32.

استطاع عبد القاهر التماس الفروق الدلالية بين الجمل، مؤكداً أن الخبرة بمباني التراكيب هي خبرة بالأغراض والمعاني المنطوية داخلها؛ « فلكل بنية تركيبية، إذن، معناها وقصدها وغايتها التداولية، ولكل صيغة لفظية وظيفة إبلاغية توجبها ملابسات الخطاب وأغراضه، ومن أهم تلك الملابسات والأغراض مراعاة حال السامع والفائدة التي يجنيها من الخطاب ».<sup>(1)</sup>

وتطرق الجرجاني لمبحث التعريف والتنكير ضمن معالجته لفروق الخبر، وبين المزايا البلاغية التي يضيفها على التأليف، فتتكرر لفظ أو تعريفه يكون بموجب دلالي يبتغيه المتكلم؛ ومقتضى سياقي حيث تلتحم الألفاظ والمعاني لتتحدد الوظائف، فينسجم الخطاب لتوخيه معاني النحو.

وقد جعل التعريف ضرباً فقال « المعرفة خمسة: المضمّر نحو: "أنت" والتاء في "ضربت"، والكاف في "غلامك" والثاني: العلم، نحو: زيد وعمرو، وكل اسم وضع في أول أحواله لشيء بعينه، لا يقع على كل ما يشبهه، فهو علم... والثالث: ما فيه الألف واللام نحو: الرجل والفرس، ولام التعريف تكون للعهد... وللجنس كقولك: الرجل خير من المرأة، والرابع: المبهّم، وهو نوعان: أحدهما: أسماء الإشارة... النوع الثاني: الموصولات... والخامس من المعرفة: المضاف إلى كل واحد من هذه الأربعة نحو: غلام زيد وغلامك، وكل مضاف إلى معرفة معرفة، وما عدا هذه الخمسة فهو نكرة ».<sup>(2)</sup>

وكشف عن الأغراض البلاغية من تعريف المسند (الخبر) والتي استلهمها من النسق اللغوي ومن ذلك: قصر المعنى على المسند إليه للمبالغة والكمال، فقال « واعلم أنك تجد الألف واللام في الخبر على معنى الجنس، ثم ترى لذلك وجوهاً، أحدهما: أن تقصر جنس المعنى على المخبر عنه لقصدك المبالغة، وذلك قولك: (زيد هو الجواد، وعمرو هو الشجاع) تريد أنه الكامل؛ إلا أنك تخرج الكلام في صورة توهم أن الجود أو الشجاعة لم توجد إلا فيه، وذلك لأنك لم تعتد بما كان من غيره لقصوره عن أن يبلغ الكمال »<sup>(3)</sup>، أما الغرض الثاني الذي أشار إليه فهو أن يرد الخبر معرفاً بالألف واللام ليبدل على تخصيص المعنى للمسند إليه بدعوى الانفراد دون المبالغة كما يعرف الخبر (بالألف واللام) إذا كان يفيد أمراً مشاعاً لا يخفى على أحد ومثل لذلك بقول حسان:

<sup>1</sup> - التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص: 192-193.

<sup>2</sup> - الجمل: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، تح: علي حيدر، دمشق، د/ط، 1972، ص: 31.

<sup>3</sup> - دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص: 204-205.

وإنَّ سَنَامَ الْجَدِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ      بَنُو بَنَاتٍ مَخْزُومٍ وَوَالِدُكَ الْعَبْدُ

وعلق الجرجاني على البيت بقوله « أراد أن يثبت العبودية، ثم يجعله ظاهر الأمر فيها معروفا بها، ولو قال: (ووالدك عبد)، لم يكن قد جعل حاله في العبودية حالة ظاهرة متعارفة »<sup>(1)</sup>، فالتعريف خدم الدلالة التي يبتغيها حسان من نظمه للقصيدة والقصد الذي يصبو إليه من هجاء أبي سفيان بن الحارث، فارتقى بنسب النبي ﷺ وأثبت العبودية لأبي سفيان وهو أمر معلوم للعارفين بالأنساب كعلم أبي بكر الصديق به، فهو إقرار بالمعنى الظاهر غير المنكور .

ومن أغراض تعريف المسند: إرادة التخييل والوهم الذي يجليه السياق وتبرز من خلاله قيمة النظم، ويفهم ذلك من قوله « ويزداد هذا المعنى [ أي معنى الوهم ] ظهوراً، بأن تكون الصفة التي يريد الإخبار بها عن المبتدأ، مُجَرَّاةً على موصوف، كقول ابن الرومي :

هُوَ الرَّجُلُ الْمَشْرُوكُ فِي جُلِّ مَالِهِ      وَلَكِنَّهُ بِالْجَدِّ وَالْحَمْدِ مُفْرَدُ

تقديره، كأنه يقول للسامع: فكر في رجل لا يتميز عفاة وجيرانه ومعارفه عنه في ماله، وأخذوا ما شاؤوا منه، فإذا حصلت صورته في نفسك، فاعلم أنه ذلك الرجل ». <sup>(2)</sup>

ويعمد المتكلم إلى تنكير الألفاظ لقصد بلاغي يضمه في خطابه، فتجريد الكلمة من قيد التعريف يحمل في طياته معاني وصوراً، تمكن عبد القاهر من استنباطها من نصوص شعرية، ومما استوقفه قول البحري :

بَلَّوْنَا ضَرَائِبَ مَنْ قَدْ نَرَى      فَمَا إِنْ رَأَيْنَا لِفَتْحِ ضَرْبًا  
هُوَ الْمَرْءُ أَبَدَتْ لَهُ الْحَادِثَا      تْ عَزَمَّا وَشَيْكًا وَرَأْيَا صَلِيًّا  
تَنْقَلُ فِي خُلُقِي سُودِدِ      سَمَاحًا مُزَجَّى وَبَاسًا مَهِيًّا

حيث حلله بقوله « فإذا رأيتها قد راقتك وكثرت عندك، ووجدت لها اهتزازاً في نفسك، فعد فانظر في السبب، واستقص النظر، فإنك تعلم ضرورة أن ليس إلا أنه قدّم وأخر، وعرف ونكر، وحذف وأضمر، وأعاد وكرّر، وتوخى على الجملة وجهها من الوجوه التي يقتضيها علم النحو، فأصاب

<sup>1</sup> - دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص: 207.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 207-208.

في ذلك كله، ثم لطف موضع صوابه، وأتى مأتى يوجب الفضيلة»<sup>(1)</sup>، فبلغ الشاعر القصد وأجاد النظم عندما توخى معاني النحو في تراكيبه، فأورد كلمتي (ضرائب) و (سؤدد) نكرتين لتناسب مع المعنى المتوخى، وهو إفادة معنى العموم والشمول.

وأرجع عبد القاهر الحسن في أبيات إبراهيم بن العباس إلى التقديم والتأخير والتنكير الذي مس ألفاظه، والتي رصفت في نظام بديع لتعبر عن المعاني والمشاعر الكامنة في نفسه، والتي عبر عنها الشاعر بقوله:

|                                       |                                             |
|---------------------------------------|---------------------------------------------|
| وَسُلِطَ أَعْدَاءُ وَغَابَ نَصِيرُ    | فَلَوْ إِذْ نَبَا دَهْرٌ وَأُنْكَرَ صَاحِبُ |
| وَلَكِنْ مَقَادِيرُ جَرَتْ وَأُمُورُ  | تَكُونُ عَنِ الْأَهْوَازِ دَارِي بَنَجْوَةٍ |
| لَأَفْضَلَ مَا يُرْجَى أَخٌ وَوَزِيرُ | وَإِنِّي لَأَرْجُو بَعْدَ هَذَا مُحَمَّدًا  |

وعقب عليها الجرجاني بقوله « فإنك ترى ما ترى من الرونق والطلاوة، ومن الحسن والحلاوة، ثم تتفقد السبب في ذلك، فتجده إما كان من أجل تقديمه الظرف الذي هو: " إذ نبا " على عامله الذي هو " تكون "، وأن لم يقل: "فلو تكون عن الأهواز داري بنجوة إذ نبا الدهر " ... ثم أنكر " الدهر " ولم يقل " فلو إذ نبا الدهر "، ثم ساق هذا التنكير في جميع ما أتى به بعد»<sup>(2)</sup>، فقد أجاد الشاعر تصوير معاناته وترجم حزنه، بعدما فقد مكانته وتحاذل عنه الأصدقاء، وتكالب عليه الأعداء، حيث سيق كل ذلك في نظم بديع؛ إذ أضفت ظاهرة التقديم والتأخير بعدا جماليا للنص الشعري، وحمل تنكير الألفاظ (دهر، صاحب، أعداء، نجوة، مقادير، أمور، أخ ووزير) دلالات إضافية استوجبتها المقام، فورود كلمة (دهر) نكرة أفاد معنى الإستنكار، وهو ما أكده أحد الباحثين بقوله «نكر دهرًا ليشير بهذا إلى أنه دهر منكر مجهول، فليس هو الدهر الذي عهده الشاعر في أيام نعمته، وولايته على الأهواز وقد كان الشاعر عاملا عليها من قبل الوثائق بالله، ثم عزل في وزارة محمد بن عبد الملك الزيات، فهو ضائع ضجر بدهر غادر وصاحب خائن»<sup>(3)</sup>، ونكر كلمة (نجوة) لتدل على نجوة مجهولة فهو يتمنى الإقامة بمكان بعيد عن الأهواز لتنجلي تعاسته ويتمكن من التكيف مع واقعه الصعب.

<sup>1</sup> - دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص: 130.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 131.

<sup>3</sup> - خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط4، 1996، ص: 215.

## - الفصل والوصل:

اهتم عبد القاهر الجرجاني في دراسته للتراكيب بالعلاقات القائمة بين الجمل، والمعاني المختزنة داخلها، إلى جانب ما يحيط بها من سياقات خارجية، وقرائن لفظية، كما كشف عن مواضع الفصل والوصل وما ينجم عنها من تماسك وترابط بين الأفكار، وأثر في بلوغ قصدية المؤلف ؛ فقد أشكل هذا الباب على العديد من الدارسين لغموضه وصعوبة الإحاطة بمادته، التي تستوجب ذوقا ومعرفة باللغة وأسرارها، فلأهميته جُعل حدا للبلاغة .

فصل الجرجاني جوانب هذا الفن، و بيّن أهميته فقال « اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل، من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها، والمجيء بها منشورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى، من أسرار البلاغة ومما لا يأتي لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخالص وأقوام طبعوا على البلاغة، وأتوا فنا من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد ».(1)

حيث جعل الجملة المعطوفة ضربين أحدهما «أن يكون للمعطوف عليها موضع من الإعراب وإذا كانت كذلك فحكمها حكم المفرد ؛ ... وإذا كانت الجملة الأولى واقعة موقع المفرد، كان عطف الثانية عليها جاريا مجرى عطف المفرد على المفرد »(2)، فالجملة التي لها محل من الإعراب هي التي يمكن تأويلها بمفرد وتأخذ حكمه الإعرابي ؛ مما يعني «أن الجرجاني ينطلق من عطف المفرد على المفرد كأصل يبني عليه عطف الجملة على الجملة، خاصة في العطف على الجملة التي لها محل من الإعراب».(3)

أما الضرب الثاني من عطف الجمل، فهي التي لا محل لها من الإعراب حيث قال «أن تعطف على الجملة العارية الموضع من الإعراب، جملة أخرى كقولك: (زيدٌ قائم وعمرو قاعدٌ... ) لا سبيل لنا إلى أن ندعي أو (الواو) أشركت الثانية في إعراب قد وجب للأولى بوجه من الوجوه، وإذا كان كذلك، فينبغي أن تعلم المطلوب من هذا العطف المغزى منه، ولِمَ لم يستو الحال بين أن تعطف وبين أن تدع

<sup>1</sup> - دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص: 239.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 239.

<sup>3</sup> - لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، مُجد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991، ص: 101.

العطف»<sup>(1)</sup>، فقد أوضح أن العطف بين الجملتين لم يتم لاشتراكهما في الحكم الإعرابي، وإنما لجامع عقلي ورابط معنوي جرى مجرى التشبيه والنظير أو النقيض للخبر عن الأول .

وضرب الجرجاني مثالا لذلك فقال «إذا قلنا: ( زيد قائم وعمرو قاعد )، فإننا لا نرى ههنا حكما نزعم أن ( الواو ) جاءت للجمع بين الجملتين فيه، فإننا نرى أمرا آخر نحصل معه على معنى الجمع؛ وذلك إلا نقول (زيد قائم وعمرو قاعد) حتى يكون عمرو بسبب من زيد وحتى يكونا كالنظيرين والشريكين، بحيث إذا عرف السامع حال الأول عناه أن يعرف حال الثاني»<sup>(2)</sup>، فالجملتان الأولى تستوجب استحضارا للجملتان الثانية لوجود رابط معنوي بينهما وهو ما عبر عنه بقوله ( معنى الجمع ) الذي جرى مجرى النظير .

في حين يقتضي الجامع العقلي الذي يجري مجرى النقيض أن يكون المخبر عنه في الجملتين واحدا، ومثل له بقوله «ذلك أنك إذا قلت: ( هو يضر وينفع )، كنت قد أفدت ( بالواو ) أنك أوجبت له الفعلين جميعا وجعلته يفعلهما معا، ولو قلت: ( يضر ينفع ) من غير ( واو ) لم يجب ذلك، بل قد يجوز أن يكون قولك ( ينفع ) رجوعا عن قولك ( يضر ) وإبطالا له»<sup>(3)</sup>، فلا يمكن ترك العطف بين الجملتين لما قد يحدثه من فساد في المعنى وتقديم تصور خاطئ عن المخبر عنه .

أما الفصل عند عبد القاهر فقد تعددت مظاهره من اتصال إلى غاية وانفصال إلى غاية، موضحا أن الفصل يكون بين الجملتين المتحدتين اتحادا تاما بحيث تكون الجملة الثانية مؤكدة للتي قبلها أو مبينة لها، واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿الْم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 1-2] فقال « قوله: ( لَا رَيْبَ فِيهِ ) بيان وتوكيد وتحقيق لقوله ( ذَلِكَ الْكِتَابُ ) وزيادة تثبت له وبمنزلة أن تقول: ( هو ذلك الكتاب هو ذلك الكتاب )، فتعيد مرة ثانية لتثبته ؛ وليس يثبت الخبر غير الخبر، ولا شيء يتميز به عنه فيحتاج إلى ضام يضمه إليه، وعاطف يعطفه عليه»<sup>(4)</sup>، فيترك العطف لورود الجملة الثانية مؤكدة للجملة الأولى، أو بيانا لها، أو بدلا منها، فالاتحاد بين التوكيد والمؤكد، والبيان والمبين، والبدل والمبدل عنه لا يحتاج إلى رابط .

<sup>1</sup> - دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص: 239-240.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 240.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 241.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 242-243.



ويرد الفصل أيضا بين الجملتين المتباينتين والمتباعدتين، كاختلافهما في الصدر والعجز حكاية وخبرا ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: 15]، قال الجرجاني «كان العطف ممتنعا، لاستحالة أن يكون الذي هو خبر من الله تعالى، معطوفا على ما هو حكاية عنهم، ... وإلى أن يكونوا قد شهدوا على أنفسهم بأنهم مؤاخذون، وأن الله تعالى يعاقبهم عليه»<sup>(1)</sup>، امتنع العطف لاختلاف صيغة الخطاب حيث وردت الأولى حكاية عن المنافقين، أما الثانية فخبرا من الله عز وجل، ولو عطفت لفسد المعنى لعدم تماثلهما .

كما يترك العطف بين الجملتين إذا اختلفتا في الخبر والإنشاء لفظا ومعنى أو معنى فقط، ومثل الجرجاني لذلك بقوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ امْكُثُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 13]، فصلت الجملة الأولى ( أنؤمن كما آمن السفهاء ) عن الجملة الثانية ( ألا إنهم هم السفهاء )، لاختلاف الصياغة التركيبية للجملتين، حيث جاءت الأولى إنشائية (استفهام) والثانية خبرية، ولا يعطف الخبر على الاستفهام.<sup>(2)</sup>

ومن دواعي الفصل بين الجمل وجود سؤال مقدر في الخطاب يستنبطه المتلقي من خلال جواب ظاهر يثيره، نحو قول الشاعر:

قَالَ لِي كَيْفَ أَنْتَ قُلْتُ عَلِيلٌ      سَهْرٌ دَائِمٌ وَخُزْنٌ طَوِيلٌ

وضح عبد القاهر ذلك بقوله « لما كان في العادة، إذا قيل للرجل: كيف أنت ؟ فقال: عليل، أن يسأل ثانيا فيقال: ما بك وما علتك ؟ قدر كأنه قد قيل له ذلك، فأتى بقوله: سهر دائم: جوابا عن هذا السؤال المفهوم من فحوى الحال ».<sup>(3)</sup>

وبعدما فرغ عبد القاهر من وضع أصول هذا الفن وقوانينه، جعل الفصل والوصل في الجمل على ثلاثة ضروب:<sup>(4)</sup>

<sup>1</sup> - دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص: 246.

<sup>2</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ص: 247.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 250.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 254.

- جملة حالها مع التي قبلها، حال الصفة مع الموصوف، والتأكيد مع المؤكد، فلا يكون فيها العطف البتة، لشبه العطف فيها لو عطف، بعطف الشيء على نفسه .

- وجملة حالها مع التي قبلها، حال الاسم يكون غير الذي قبله، إلا أن يشاركه في حكم، ويدخل معه في معنى مثل أن يكون كلا الاسمين فاعلا، أو مفعولا أو مضافا إليه، فيكون حقها العطف.

- وجملة ليست في شيء في الحالين، بل سبيلها مع التي قبلها سبيل الاسم مع الاسم لا يكون منه في شيء، فلا يكون إياه مشاركا له في المعنى ... وحق هذا ترك العطف البتة .

#### - القصر:

أشار عبد القاهر إلى جمالية القصر في الأساليب وأوضح الفروق البلاغية بين صيغه والدلالة التي يفيدها كل تركيب، وتعمق في استنباط ذلك مقارنة بجهود اللغويين السابقين والتي اقتضت على تحديد موضع القصر وأركانه ؛ إذ « نجد شذرات يسيرة منه لدى بعض اللغويين تتعلق بدلالة اجتماع " ما وإلا " في جملة واحدة، أو توضح معنى " إنما " في الكلام، لكن المعالجة الموسعة والنابعة من منطلق فكري معين هي التي نجدها عند عبد القاهر فدراسته لدلالة النفي والاستثناء في الأسلوب، ودلالة " إنما "، وما قد يكون بين كلا النوعين من الأساليب من تشابه واختلاف، كل ذلك كان في إطار نظريته العامة في " النظم " التي جاءت تطبيقاتها دراسة تفصيلية لخصائص التعبير في العربية، ودلالاتها في شتى المواقع ».<sup>(1)</sup>

وشرح عبد القاهر الفرق الدلالي في استعمال أداة (إنما) في أسلوب القصر فقال « تحيي الخبر لا يجله المخاطب ولا يدفع صحته، أو لم ينزل هذه المنزلة، تفسير ذلك أنك تقول للرجل: ( إنما هو أخوك، وإنما هو صاحبك القديم )، لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحته، ولكن لمن يعلمه ويقر به، إلا أنك تريد أن تنبهه للذي يجب عليه من حق الأخ، وحرمة الصاحب ».<sup>(2)</sup>

<sup>1</sup> - البحث البلاغي عند العرب تأصيل وتقييم، شفيع السيد، دار الفكر العربي، القاهرة، د/ط، ت، ص: 150.

<sup>2</sup> - دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص: 328.

ومثل لذلك بقول ابن قيس الرقيات:

إِنَّمَا مُضْعَبُ شِهَابٍ مِنَ اللَّهِ      تَجَلَّيْتُ عَنْ وَجْهِهِ الظَّلْمَاءُ

وعقب عليه بقوله «ادعى في كون الممدوح بهذه الصفة أنه أمر ظاهر معلوم للجميع، على عادة الشعراء، إذا مدحوا أن يدعوا في الأوصاف التي يذكرون بها الممدوحين أنها ثابتة لهم، وأنهم لم يصفوا إلا بالمعلوم الظاهر الذي لا يدفعه أحد»<sup>(1)</sup>، حيث أفادت (إنما) تخصيص الصفة بالممدوح وجعلها ملازمة له معلومة لدى الجميع .

ويرد القصر بالنفي والاستثناء ليفيد دلالة مغايرة عن دلالة (إنما)؛ إذ إن «الخبر بالنفي والإثبات نحو: (ما هذا إلا كذا)، و(إن هو إلا كذا) فيكون للأمر ينكره المخاطب ويشك فيه، فإذا قلت: (ما هو إلا مصيب)، أو (ما هو إلا مخطئ)، قلته لمن يدفع أن يكون الأمر على ما قلته، وإذا رأيت شخصا من بعيد فقلت: (ما هو إلا زيد)، لم تقله إلا وصاحبك يتوهم أنه ليس زيدا وأنه إنسان آخر، ويجد في الإنكار أن يكون زيدا»<sup>(2)</sup>، فالمقام الذي يستخدم فيه النفي والاستثناء يكون لمخاطبة المنكر للخطاب والشاك فيه بينما تستعمل (إنما) للخبر الذي يقر به المخاطب ولا ينكره .

وكشف عبد القاهر عن النكتة البيانية التي تضمنها القصر بالنفي والإثبات فقال «متى رأيت شيئا من المعلوم الذي لا يشك فيه قد جاء بالنفي، فذلك لتقدير معنى صار به حكم المشكوك فيه، فمن ذلك قوله تعالى ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ (22) إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ» [فاطر: 22-23]، إنما جاء - والله أعلم - بالنفي والإثبات ... وكان المعنى في ذلك أن يقال للنبي ﷺ ؛ إنك لن تستطيع أن تحول قلوبهم عما هي عليه من الإباء، ولا تملك أن توقع الإيمان في نفوسهم، مع إصرارهم على كفرهم ... فأخرج اللفظ مخرجه إذا كان الخطاب مع من يشك، ف قيل ﴿إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾»<sup>(3)</sup>، فأفاد قصر أمر على آخر عن طريق النفي والإثبات لجهل المخاطب بالكلام أو لإنكاره له، كما قد ينزل الخبر المعلوم منزلة المجهول لدواعي سياقية .

<sup>1</sup> - دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص: 329-330.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 331.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 332.

وعقد موازنة بين القصر المحقق بـ "إن وإلا" والقصر المحقق بواسطة الأداة "إنما" وذلك في تفسيره لقوله تعالى ﴿قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كُنَّا يَعْبُدُ آبَاءَنَا﴾ [إبراهيم: 10]، فقال إنه سبحانه وتعالى «إنما جاء - والله أعلم - "بأن وإلا" دون "إنما" فلم يقل: إنما أنتم بشر مثلنا؛ لأنهم جعلوا الرسل كأَنهم بادعائهم النبوة، قد أخرجوا أنفسهم عن أن يكونوا بشرا مثلهم، وادعوا أمرا لا يجوز أن يكون لمن هو بشر، ولما كان الأمر كذلك، أخرج اللفظ مخرجه، حيث يراد إثبات أمر يدفعه المخاطب ويدعي خلافه، ثم جاء الجواب من "الرسل" الذي هو قوله تعالى ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ تَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [إبراهيم: 11]»<sup>(1)</sup>، فلم يرد التعبير بـ (إنما) التي تفيد قصر الصفة عن الموصوف أو قصر الموصوف عن الصفة ونفي الشركة، لتعبر عن أمر معروف لدى المخاطب، ولكن جاء التعبير بـ (إن وإلا) ليوضح موقفهم وإنكارهم سمة البشرية عن الأنبياء مراعاة للمقام.

وتناول مسألة حصر المبتدأ في الخبر فقال «واعلم أن قولنا في الخبر إذا أخر نحو: (ما زيد إلا قائم): أنك اختصت القيام من بين الأوصاف التي يتوهم كون زيد عليها، ونفيت ما عدا القيام عنه، فإنما نعني أنك نفيت عنه الأوصاف التي تنافي القيام، نحو أن يكون (جالسا)، أو (مضطجعا)، أو (متكئا) أو ما شاكل ذلك ولم نرد أنك نفيت ما ليس من القيام بسبيل؛ إذ لسانا ننفي عنه بقولنا: (ما هو إلا قائم) أن يكون (أسود)، أو (أبيض)، أو (طويلا)، أو (قصيرا) ...»<sup>(2)</sup>، فعبارة (ما زيد إلا قائم) أفادت الاختصاص المقيد بزمان ومكان معلومين بين المتكلم والمخاطب، فخص زيد بالقيام دون الجلوس أو الاضطجاع؛ وليس معناه نفي الصفات الأخرى عن زيد ككونه عالما أو شجاعا أو كريما، إذ لا يمكن حصر موصوف في صفة واحدة وتجريده من بقية الأوصاف.

#### - علم البيان عند عبد القاهر الجرجاني:

اتخذ الشعراء والخطباء من الصورة البيانية وسيلة للتعبير عن أفكارهم والإعراب عن خواطهم ومشاعرهم، فصيرت الدلالة الظاهرية للتركيب إلى متمثل صوري يغذيه الخيال، لتبلغ به مراتب البيان لما جمعه من سمو المعاني، وجزالة الألفاظ، وروعة التناسق في نظم بديع؛ والذي يكون خادما لموضوع

<sup>1</sup> - دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص: 331.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 340.

الخطاب فيوضحه، ويسهم في انسجامه وحبك أجزائه، مما يضيف جمالا على التأليف وأثرا في نفس المتلقي.

واهتم عبد القاهر الجرجاني بالدلالة الباطنية للتركيب وكشف عنها؛ حيث أرجع محاسن الكلام إلى الصور البيانية ( التشبيه، التمثيل والاستعارة )، فقال هي « أصول كبيرة، كأن جل محاسن الكلام -إن لم نقل كلها - متفرعة عنها، وراجعة إليها وكأنها أقطاب تدور عليها المعاني في متصرفاتها، وأقطار تحيط بها من جهاتها ».<sup>(1)</sup>

فتعددت أساليب التعبير؛ إذ يفصح المتكلم عن قصده بتأليف الألفاظ على الحقيقة يبتغي بها المعنى الظاهري، أو يرتبها وفق نظم مخصوص فيحملها على المجاز والتأويل، فيعبر المتلقي من المعنى الأولي للعبارة إلى معنى المعنى الذي يبرز جمالية التصوير والصياغة، فقد قسم الجرجاني الكلام إلى قسمين فقال: « الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد بالخروج على الحقيقة فقلت: خرج زيد ...، وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل»<sup>2</sup>، فالتعبير الحقيقي يصل به للمعنى من غير واسطة، بينما التركيب الذي يضمن دلالة خفية فإنك تستنبطها من خلال قرينة لفظية أو بإعمال للعقل، حيث شكل النظم ركيزة لهذه الصور التي جاءت خدمة لمقاصد وأغراض المتكلم، ودرسها عبد القاهر دراسة مستفيضة وضح أركانها وأثرها الجمالي، مستحدثا مفاهيم جديدة خاصة ما تعلق بالمجاز الحكمي ( العقلي ) الذي أسس قواعده واستدل على وجوده .

- الاستعارة: اعتبر عبد القاهر الاستعارة من أقسام البديع وضربا من التشبيه فقال « التشبيه كالأصل في الاستعارة وهي شبيهة بالفرع له، أو صورة مقتضبة من صوره »<sup>(3)</sup>، حيث أدرك العلاقة القائمة بين المستعار له والمستعار منه وهي التشبيه على حد المبالغة .

<sup>1</sup> - أسرار البلاغة: الجرجاني، ص: 27.

<sup>2</sup> - دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص: 272.

<sup>3</sup> - المصدر السابق، ص: 29.

وعرف الجرجاني الاستعارة فقال « اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي، معروف تدل عليه الشواهد على أنه اختص به حين الوضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غير لازم، فيكون هناك كالعارية »<sup>(1)</sup>، ووضح عملية النقل الذي يتم بين الطرفين في العبارة الاستعارية وأنه ليس نقلاً مجرداً كما اعتبره بعض الأعلام (الرماني)، وإنما هو نقل قائم على فكرة الادعاء أي: ادعاء معنى الاسم وإثباته للفظ المستعار له، وأبطل ما ذهب إليه الرماني في تصوره للاستعارة فقال « وإطلاقهم في الاستعارة أنها نقل للعبارة عما وضعت له، من ذلك، فلا يصح الأخذ به، وذلك أنك إذا كنت لا تطلق اسم " الأسد " على الرجل، إلا من بعد أن تدخله في جنس الأسود، من الجهة التي بينا، لم تكن نقلت الاسم عما وضع له بالحقيقة، لأنك إنما تكون ناقلاً إذا أنت أخرجت معناه الأصلي من أن يكون مقصودك، ونفضت به يدك ؛ فأما أن تكون ناقلاً له عن معناه، مع إرادة معناه، فمحال متناقض »<sup>(2)</sup>، فنقل لفظ من معناه الوضعي إلى معنى آخر يكون لعلاقة مشابهة بين طرفيه، عجز التعبير الحقيقي عن بلوغ القصد، فاتخذ المجاز مسلكاً للتصوير وتوضيح الدلالة .

واهتمامه بالاستعارة نابع من إدراكه لأهميتها وبعدها الجمالي، وكثرة ورودها في كلام العرب منظومه ومنشوره، حيث كشف عن غرضها البلاغي فقال « فإنك لترى بها الجماد حياً ناطقاً، والأعجم فصيحاً، والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جلية، وإذا نظرت في أمر المقاييس وجدتها ولا ناصر لها منها، ولا رونق لها ما لم تزينها، وتجد التشبيهات على الجملة غير معجبة ما لم تكنها، إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل، كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون، وإن شئت لطفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها إلا الظنون »<sup>(3)</sup>، فجمايلة الاستعارة تجلت في تشخيص المعنى وتجسيمه، وتزيين الكلام وإيراده بصورة موجزة، إلى جانب الجدة في بلورة المعاني واستعمال اللفظة الواحدة لمعاني كثيرة .

وفصل في الاستعارة فقسماً إلى مفيدة وغير مفيدة، وبدأ بحديثه عن الاستعارة غير المفيدة لقصر باعها وقلة اتساعها فقال « وموضع هذا الذي لا يفيد نقله، حيث يكون اختصاص الاسم بما

<sup>1</sup> - دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص: 30.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 403.

<sup>3</sup> - أسرار البلاغة: الجرجاني، ص: 43.

وضع له من طريق أريد به التوسع في أوضاع اللغة، والتنوُّق في مراعاة دقائق في الفروق في المعاني المدلول عليها، كوضعهم للعضو الواحد أسامي كثيرة بحسب اختلاف أجناس الحيوان، نحو وضع (الشفة) للإنسان و(المشفر) للبعير ... فإذا استعمل الشاعر شيئاً منها في غير الجنس الذي وضع له فقد استعاره ونقله عن أصله وجاز به موضعه»<sup>(1)</sup>، واعتبر الاستعارة في هذا الموضع غير مفيدة لعدم وجود التشبيه وتحقيقها للغاية الجمالية، حيث تمتاز اللغة العربية بكثرة مفرداتها وغزارة معانيها؛ إذ يطلق على اللفظ الواحد أسامي عديدة بحسب اختلاف الأجناس، واستعمال لفظ في غير موضعه دون قصد التشبيه قد يحدث توها لدى السامع لذا جعلها غير مفيدة، في حين توسع في دراسة الاستعارة المفيدة لما تضيفه من رونق في العبارة وتبليغ للمعاني وشرحها بقوله «وأما المفيد فقد بان لك باستعارته فائدة ومعنى من المعاني، وغرض من الأغراض، لولا مكان تلك الفائدة وذلك الغرض "التشبيه" إلا أن طريقه يختلف حتى تفوت النهاية، ومذاهبه تتشعب حتى لا غاية»<sup>(2)</sup>، فهي تقوم على استعارة لفظ لتأدية معنى معين شريطة وجود علاقة مشابحة بين ركنيها .

ولم يقتصر على هذا التقسيم، بل جعل الاستعارة المفيدة قسماً: استعارة في الاسم، واستعارة في الفعل، حيث نظر إلى الاستعارة في الاسم من جهة ذكر أحد طرفيها والإبقاء على قرينة دالة على الطرف الآخر المحذوف وجعل الاسم المستعار على ضربين: «أحدهما: أن تنقله عن مسماه الأصلي إلى شيء آخر ثابت معلوم فتجربه عليه، وتجعله متناولاً له تناول الصفة - مثلاً - للموصوف، وذلك قولك: رأيت أسداً، وأنت تعني: رجلاً شجاعاً ... فالاسم في هذا متناول شيئاً معلوماً يمكن أن ينص عليه، فيقال: أنه عني بالاسم وكني به عنه، ونقل عن مسماه الأصلي، فجعل اسماً له على سبيل الإعارة، والمبالغة في التشبيه»<sup>(3)</sup>، فكانه في هذا النص يشير إلى ما أطلق عليه البلاغيون المتأخرون بالاستعارة التصريحية من ذكر للمشبه به وحذف للمشبه بغرض المبالغة في التشبيه، أما الضرب الثاني

<sup>1</sup> - أسرار البلاغة: الجرجاني، ص: 30 .

- التنوُّق: تنوُّق في الأمر أي: تأنَّق فيه، وبعضهم لا يقول: تنوَّق والاسم منه: النيقة، وفي المثل: خرقاء ذات نيقة، يضرب للجاهل بالأمر، وهو مع جهله يدَّعي المعرفة ويتأنَّق في الإرادة، ذكره أبو عبيد ابن سيدة: تنوَّق في أموره: تجود وبالغ مثل تأنَّق فيها، نقلاً عن محقق أسرار البلاغة (الهنداوي)، أسرار البلاغة في علم البيان، عبد القاهر الجرجاني، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص: 31.

<sup>2</sup> - المصدر السابق، ص: 32-33.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 44.

فهو « أن يؤخذ الاسم على حقيقته، ويوضع موضعاً لا يبين فيه شيء يشار إليه فيقال: هذا هو المراد بالاسم، والذي استعير له وجعل خليفة لاسمه الأصلي ونائباً منابه، مثاله قول لبيد:

وَعَدَاةَ رِيحٍ قَدْ كَشَفَتْ وَقِرَّةً  
إِذْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا

وذلك أنه جعل للشمال يداً، ومعلوم أنه ليس هناك مشار إليه يمكن أن تجري عليه اليد كإجراء (الأسد) و(السيف) على الرجل»<sup>(1)</sup>، المشبه مذكور والمشبه به محذوف وأبقي على قرينة لفظية دالة عليه على سبيل الاستعارة المكنية وهي المصطلح الذي عرف عند المتأخرين.

وشرح الاستعارة في الفعل فقال « فإذا استعير الفعل لما ليس له في الأصل، فإنه يثبت باستعارته له وصفاً هو شبيه بالمعنى الذي ذلك الفعل مشتق منه، بيان ذلك أن يقول: (نطقت الحال بكذا) ... فتجد في الحال وصفاً هو شبيه بالنطق من الإنسان، وذلك أن (الحال) تدل على الأمر ويكون فيها أمارات يعرف بها الشيء، كما أن النطق كذلك »<sup>(2)</sup>، فشبهت الدلالة بالنطق بجامع كمال الوضوح وتحقيق الفائدة ؛ حيث استعير لفظ ( النطق ) ولم يصرح به وإنما ذكر فعله ليبرز بذلك المعنى المراد، ونبه عبد القاهر إلى قرينة الاستعارة في الفعل والتي تصرف الفعل عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر يريد المتكلم، ومثل لذلك فقال «وذلك نحو قول ابن المعتز:

جُمِعَ الْحَقُّ لَنَا فِي إِمَامٍ  
قَتَلَ الْبُخْلَ وَأَحْيَا السَّمَاخَا

(قتل) و(أحيا) إنما صارا مستعارين بأن عديا إلى البخل والسماح، ولو قال: (قتل الأعداء وأحيا)، لم يكن (قتل) استعارة بوجه، ولم يكن (أحيا) استعارة على هذا الوجه »<sup>(3)</sup>، القتل والحياة أمور مرتبطة بالكائن الحي واستعمالهما لوصف معنوي شكل استعارة بديعة وأكسب التركيب حسناً ورونقاً.

الاستعارة عند عبد القاهر الجرجاني مجاز لغوي عماده التشبيه ؛ إذ لا تتحقق الفائدة بغيا به ووجودها في التركيب يكون لغاية بلاغية عجز التعبير الحقيقي عن بلوغها، فهي وسيلة تصويرية تكسب النظم جمالية وتكشف عن القدرة البيانية لصاحبها.

<sup>1</sup> - أسرار البلاغة: الجرجاني، ص: 45.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 51.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 53.



- التشبيه والتمثيل:

يعد التشبيه من الفنون البيانية التي كثر تداولها في كلام العرب لأثره في تقريب المعاني، وتحقيق اتلافها من خلال عقد مماثلة بين أمرين اشتركا في صفة أو أكثر، ورسم عبد القاهر معالمه وقسمه إلى قسمين فقال « اعلم أن الشئين إذا شبه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين: أحدهما: أن يكون من جهة أمر بين لا يحتاج إلى تأول، والآخر: أن يكون الشبه محصلا بضرب من التأول »<sup>(1)</sup>، فسمى الأول: تشبيهها صريحا، والثاني: تمثيلا وجعله فرعا عن التشبيه وحصر الفرق بينهما في وجه الشبه حيث جعله في التشبيه مدركا بالحواس بينما يكون في التمثيل عقليا يحتاج إلى التأويل وإعمال الفكر لتجلية أركانه وشرح ذلك بقوله « فمثال الأول: تشبيه الشيء بالشيء من جهة الصورة والشكل، نحو أن يشبه الشيء إذا استدار بالكرة في وجهه، وبالحلقة في وجه آخر، وكالتشبيه من جهة اللون، كتشبيه الحدود بالورد، والشعر بالليل، والوجه بالنهار، وتشبيه سقط النار بعين الديك، وما جرى في هذا الطريق ... »<sup>(2)</sup>، والملاحظ من الأمثلة التي ذكرها ورود وجه الشبه حسي أي مدركا بإحدى الحواس، وقد يكون وجه الشبه معنويا متعلقا بالغريزة والطباع، ومثل له الجرجاني فقال « ... وهكذا التشبيه من جهة الغريزة والطباع، كتشبيه الرجل بالأسد في الشجاعة، وبالذئب في النُّكر، والأخلاق كلها تدخل في الغريزة نحو: السخاء، والكرم، واللؤم، وكذلك تشبيه الرجل بالرجل في الشدة والقوة وما يتصل بهما »<sup>(3)</sup>، فالصفة المشتركة بين طرفي التشبيه مرتبطة بالغريزة والطبع غير مدركة بالحس.

ووضح عبد القاهر التشبيه التمثيلي بقوله « هو الشبه الذي يحصل بضرب من التأول، كقولك: (هذه حجة كالشمس في الظهور)، وقد شبّهت الحجة بالشمس من جهة ظهورها، كما شبّهت فيما مضى الشيء بالشيء من جهة ما أردت من لون أو صورة أو غيرها، إلا أنك تعلم أن هذا التشبيه لا يتم لك إلا بتأول »<sup>(4)</sup>، والجامع بين المشبه ( الحجة ) والمشبه به ( الشمس ) عقلي، يدرك عن طريق التأول، وبَيَّنَّه الجرجاني بقوله « ... وذلك أن تقول: حقيقة ظهور الشمس وغيرها من الأجسام، أن لا يكون دونها حجاب أو نحوه، مما يحول بين العين وبين رؤيتها، ولذلك يظهر الشيء

1 - أسرار البلاغة: الجرجاني، ص: 90.

2 - المصدر نفسه، ص: 90.

3 - المصدر نفسه، ص: 91-92.

4 - المصدر نفسه، ص: 92.

لك إذا لم يكن بينك وبينه حجاب ولا يظهر لك إذا كنت من وراء حجاب، ثم تقول: إن الشبهة نظير الحجاب فيما يدرك بالعقول، لأنها تمنع القلب رؤية ما هي شبهة فيه، كما يمنع الحجاب العين أن ترى ما هو من ورائه»<sup>(1)</sup>، فوجه الشبه بين الحجة والشمس هو الإدراك حيث تدرك الشمس إذا ارتفع الحجاب مثلما تدرك الحجة إذا ارتفعت الشبهة، فجاء وجه الشبه عقليا غير حقيقي «أي: غير متقرر في ذات الموصوف، فلا يكون بينا في نفسه، بل يحتاج في تحصيله إلى تأول، لأن المشبه لم يشارك المشبه به في صفته الحقيقية»<sup>(2)</sup>.

واعتمد في تفريقه بين التشبيه والتمثيل على وضوح وجه الشبه وخفائه، وعلى مدى وجوده في الطرفين، فيهدف التشبيه الصريح لتشبيه شيء بشيء من جهة الصورة والشكل واللون والهيئة والحركة والصوت، بينما يكون وجه الشبه في التمثيل عقلي وبيان ذلك «أن التشبيه يشترك طرفاه في جنس وجه الشبه ونفس الصفة التي جمعت بينهما، أما التمثيل فإن طرفيه يشتركان في لازم الصفة ومقتضاها، لا في حقيقتها وذاتها، فقولنا: "خد كالورد" تشبيه، حيث اشترك طرفاه في جنس الحمرة وحقيقتها أما قولنا: "كلام ألفاظه كالعسل حلاوة" فتمثيل، لأن الطرفين لم يشتركا في جنس الحلاوة، بل في لازمها ومقتضاها، أي الحكم والأثر الناتج عنها، وهو اللذة والاستطابة وميل النفس»<sup>(3)</sup>، فوجه الشبه في التشبيه بَيِّنٌ ظاهر لأن المشبه والمشبه به اشتركا في صفة حقيقية، بينما في التمثيل يكون الاشتراك بين الطرفين في لازم الصفة .

ويتفرع الشبه العقلي التمثيلي عند عبد القاهر إلى مفرد، ومركب، ومتعدد، حيث عمد إلى تفصيل كل ضرب فقال عن المفرد «إن هذا الشبه العقلي ربما انتزع من شيء واحد، كما مضى من انتزع الشبه للفظ من حلاوة العسل»<sup>(4)</sup>، فوجه شبه مفرد ولكنه عقلي يدرك بالتأويل .

وشرح الضرب الثاني (وجه الشبه العقلي التمثيلي المركب) بقوله «وربما انتزع من عدة أمور يجمع بعضها إلى بعض، ثم يستخرج من مجموعها الشبه، فيكون سبيله سبيل الشيئين يمزج أحدهما بالآخر، حتى تحدث صورة غير ما كان لهما في حال الأفراد، لا سبيل الشيئين يجمع بينهما وتحفظ

1 - أسرار البلاغة: الجرجاني، ص: 92.

2 - البيان العربي دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، بدوي طبانة، ص: 250.

3 - دراسات بلاغية، بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1998، ص: 164.

4 - أسرار البلاغة: الجرجاني، ص: 101.

صورتها»<sup>(1)</sup>، فوجه الشبه صورة منتزعة من متعدد ومثل له بقوله تعالى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: 05]، فقال «الشبه منتزع من أحوال الحمار، وهو أنه يحمل الأسفار التي هي أوعية العلوم، ومستودع ثمر العقول، ثم لا يحس بما فيها ولا يشعر بمضمونها ولا يفرق بينها وبين سائر الأحمال التي ليست من العلم في شيء، ولا من الدلالة عليه بسبيل، فليس له مما يحمل حظ سوى أنه يثقل عليه، ويكد جنبيه، فهو كما ترى مقتضى أمور مجموعة ونتيجة لأشياء ألفت وقرن بعضها إلى بعض»<sup>(2)</sup>، فهناك عدة أجزاء جمعت في نظم بديع لتشكل صورة مركبة حيث شبه اليهود في عدم انتفاعهم وعملهم بما جاء في التوراة بالحمار الحامل للكتب الضخمة دون إدراكه لماهيتها واختلافها عن غيرها من الأحمال لذا لم ينتفع بما حوته من معارف.

أما الضرب الثالث فهو وجه الشبه العقلي التمثيلي المتعدد «ومثال ما يحيى فيه التشبيه معقودا على أمرين إلا أنهما لا يتشابكان هذا التشابك قولهم: (هو يصفو ويكدر) و(يمر ويحلو)...، لأنك وإن كنت أردت أن تجمع له الصفتين فليست إحداها ممتزجة بالأخرى، لأنك لو قلت: هو يصفو، ولم تتعرض لذكر الكدر، أو قلت (يحلو) ولم يسبق ذكر (يمر)، وجدت المعنى في تشبيهك له بالماء في الصفاء وبالغسل في الخلاوة بحاله وعلى حقيقته»<sup>(3)</sup>.

وجعل مراتبا للتمثيل فقال «ثم إن ما طريقه التأول يتفاوت تفاوتاً شديداً، فمنه ما يقرب مأخذه ويسهل الوصول إليه، ويعطي المقادة طوعاً، حتى أنه يكاد يداخل الضرب الأول الذي ليس من التأول في شيء، وهو ما ذكرته لك - ومنه يحتاج فيه إلى قدر من التأمل، ومنه ما يدق ويغمض حتى يحتاج في استخراجها إلى فضل روية ولطف فكرة»<sup>(4)</sup>، ويرجع تفاوت مستويات التمثيل وارتقائها سلم البيان إلى وجه الشبه من ناحية خفائه ووضوحه، وهو الأمر الذي أشار إليه عبد الفتاح فيود فقال «ويرجع ذلك التفاوت إلى أمرين: - الأمر الأول: مقدار الخفاء الذي أحوج إلى التأول ... والثاني: الشيوع والندرة... فإن شاع التمثيل على ألسنة العامة إلى حد استوى الناس جميعاً في إدراك وجهه

<sup>1</sup> - أسرار البلاغة: الجرجاني، ص: 101.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 101.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 102.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 93.

واستخراجه كما في المثال الأول، كان في المرتبة الأدنى من مراتب التمثيل... وإن قل شيوعه كما في المثال الثاني: كلام ألفاظه كالماء في السلاسة... كان في المرتبة الوسطى... وإن ندر ولم يرد إلا على السنة الخاصة كما في قولهم: (هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفها) كان في المرتبة العليا<sup>(1)</sup>، فالقدرة البيانية للمتكلم وإبداعه في خلق صورة أدبية بطرح جديد وفريد يعتمد فيه إخفاء وجه الشبه ليعول في ذلك على ذائقة المتلقي ومهارته في استنباطه مما يجلي المزية البلاغية للتمثيل في أسمى صورها .

ونبه عبد القاهر إلى مسألة مهمة وهي امتناع فك التركيب الذي يبنى عليه التشبيه التمثيلي المركب مهما كثرت جملة، لأنها تعتبر لبنات أساسية تسهم في تشكيل صورته المكتملة، ومثل لذلك بقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس: 24]، قال « كيف كثرت الجمل فيه ؟ حتى إنك ترى في هذه الآية عشر جمل إذا فصلت. وهي وإن قد دخل بعضها على بعض حتى كأنها جملة واحدة، فإن ذلك لا يمنع من أن تكون صور الجمل معنا حاصلة تشير إليها واحدة واحدة، ثم إن الشبه منتزع من مجموعها، من غير أن يمكن فصل بعضها عن بعض، وإفراد شطر من شطر، حتى إنك لو حذفت منها جملة واحدة من أي موضع كان أخل ذلك بالمعنى من التشبيه »<sup>(2)</sup>، كثرت الجمل لأن وجه الشبه منتزع من متعدد ولو حذف بعضها لفسد المعنى المتوخى من التشبيه التمثيلي الذي جعل وسيلة لتصوير الدلالة وإبراز الجمالية، وكثرت الجمل في التشبيه أو قلتها مرتبط بالمعاني ومقاصد المتكلم « أي: إن التشبيه كلما كان أكثر جمالا، كان أوغل في كونه عقليا، أي كانت حاجته إلى العمل العقلي أكثر - ربما أن يكون عبد القاهر قد قصد ذلك، ولم يقصد أن الإيغال في كونه عقليا محضا يحتاج إلى جمل أكثر، لأن الواقع أن كثرة الجمل في التشبيه وقلتها ليست تابعة للعقلية والحسية، ولكنها تابعة للمعاني التي يستدعي الغرض تأليف التشبيه منها، فقد يستدعي الغرض تأليفه من جملة، وقد يستدعي تأليفه من أكثر »<sup>(3)</sup>، فالجرجاني يخص التمثيل بالتشبيهات المركبة التي يكون فيها وجه الشبه

<sup>1</sup> - دراسات بلاغية، بسيوني عبد الفتاح فيود، ص: 156.

<sup>2</sup> - أسرار البلاغة: الجرجاني، ص: 109.

<sup>3</sup> - دراسات في البلاغة العربية، عبد العاطي غريب علام، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ط1، 1997، ص: 106-107.

عقلياً منتزعا من عدة أمور والتي تأتلف فيما بينها لتشكيل نظاماً فريداً يأسر المتلقي ويحفزه على استجلاء المراد من الصورة التمثيلية .

وكشف عبد القاهر عن التأثير الذي يحدثه التمثيل في نفوس المخاطبين، ووضح الجمالية التي يضيفها في الخطاب فقال « واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه، أن " التمثيل " إذا جاء أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها وشب من نارها وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفتدة صباة وكلفا، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا »<sup>(1)</sup>، فتأثيره الجمالي يكمن في تحسينه للمعاني والارتقاء بها لتغدو ذوات مناقب وشرف؛ من خلال نقل المعنى الخفي إلى الجلي الواضح، والمعنى المعقول إلى المعنى المحسوس، والمعنى المكنى إلى المعنى المصرح به، فتتلقفه النفوس لميلها للأمور المحسوسة المدركة نقيض الأمور المعقولة، لتستقر في فكرهم وتتداولها ألسنتهم، ثم يبين خدمة التمثيل لفنون الكلام والأغراض التي يهدف المتكلم الإبانة عنها كالممدح، والذم والحجاج، والافتخار، والاعتذار والوعظ التي تساق في نظم تمثيلي بديع .

#### - المجاز :

سعى عبد القاهر إلى بلورة المفاهيم المتعلقة بالمجاز ورسم الحدود الفاصلة بين أنواعه، مستحدثاً ضرباً جديداً ( المجاز الحكمي ) الذي التبس بغيره من فنون البيان وكثر الجدل حول وجوده، فوضح أنواعه بقوله « واعلم أن " المجاز " على ضربين: مجاز من طريق اللغة، ومجاز من طريق المعنى المعقول، فإذا وصفنا بالمجاز الكلمة المفردة كقولنا: اليد مجاز في النعمة والأسد مجاز في الإنسان ... كان حكماً أجريناه على ما جرى عليه من طريق اللغة، لأننا أردنا أن المتكلم قد جاز باللفظة أصلها الذي وقعت له ... ومتى وصفنا بالمجاز الجملة من الكلام، كان مجازاً من طريق المعقول دون اللغة »<sup>(2)</sup>، فالمجاز عنده ضربان: مجاز لغوي يتمثل في استعمال لفظ في غير ما وضع له في أصل اللغة ومجاز عقلي مرتبط بإسناد الفعل لغير فاعله الحقيقي، وقد تعمق في دراسة النوعين ومثل لهما بشواهد شعرية ؛ حيث اعتبر المجاز اللغوي « كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها، لملاحظة بين الثاني والأول، فهي

<sup>1</sup> - أسرار البلاغة: الجرجاني، ص: 115.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 408.

مجاز وإن شئت قلت: كل كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له، من غير أن تستأنف فيها وضعاً، لملاحظة بين ما تجوز بها إليه، وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز»<sup>(1)</sup>، إشارته للعلاقة الموجودة بين المعنى الأصلي للفظ والمعنى المجازي في قوله ( لملاحظة بين الثاني والأول ) فيه تنبيه لشقي المجاز اللغوي، فإن كانت العلاقة التي تربط طرفيه مشابهة فهي استعارة، وإن لم يكن التشبيه قائماً وخرجت لملايسات أخرى فهو مجاز مرسل، والذي لم يسمه الجرجاني كمصطلح ولكنه وقف عنده وعالجه، وتحلى ذلك في قوله « اعلم أن طريق المجاز والاتساع في الذي ذكرناه قبل، أنك ذكرت الكلمة وأنت لا تريد معناه، ولكن تريد معنى ما هو ردف له أو شبيهه، فتجوزت بذلك في ذات الكلمة وفي اللفظ نفسه»<sup>(2)</sup>، فذكره لكلمة ( الردف ) فيه توضيح لما يلحق الكلمة من معاني لازمة لها غير معناها الأصلي لربط غير المشابهة، حيث تتعدد العلاقات في المجاز المرسل، فلا بد من وجود مناسبة بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي ؛ أي « أن يكون هناك تلازم وتربط يجمع بين المعنيين ويسوغ استعمال أحدهما في موضع الآخر ».<sup>(3)</sup>

وكشف عبد القاهر عن العلاقات في المجاز المرسل كالسببية فقال « ومعنى " الملاحظة "، أن الاسم يقع لما تقول إنه مجاز فيه، بسبب بينه وبين الذي تجعله حقيقة فيه، نحو أن " اليد " تقع للنعمة، وأصلها الجارحة، لأجل أن الاعتبار اللغوية تتبع أحوال المخلوقين وعاداتهم، وما يقتضيه ظاهر البنية وموضوع الجبلة، ومن شأن النعمة أن تصدر عن " اليد "، ومنها تصل إلى المقصود بها »<sup>(4)</sup>، ولما كانت اليد هي سبب المنح والبذل ومصدر العطاء جاز الانتقال من معناها الوضعي ( الجارحة ) إلى معناها المجازي ( النعمة )، وضرب مثالا آخر عن المجاز ذي العلاقة السببية فقال « حيث قالوا: " رعينا الغيث " يريدون النبت الذي الغيث سبب في كونه »<sup>(5)</sup>، فعبر بالسبب ( الغيث ) وأريد المسبب ( النبات ) لأن الغيث لا يرعى ولكنه سبب ظهور النبات .

1 - أسرار البلاغة: الجرجاني، ص: 351-352.

2 - دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص: 295.

3 - علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان، بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1998، ص: 145.

4 - أسرار البلاغة: الجرجاني، ص: 395.

5 - المصدر نفسه، ص: 397.

وأشار إلى العلاقة الجزئية فقال « ... ولا كنحو ما بين الجزء من الشخص، كتسميتهم الرجل " عينا " إذا كان ربيئة»<sup>(1)</sup>، حيث أطلق الجزء ( العين ) وأريد به الكل (الشخص) للدلالة الإنسان المستطلع للأوضاع الجامع للأخبار والمعلومات.

وتطرق عبد القاهر للعلاقة المحلية في سياق حديثه عن الخلط الذي وقع فيه بعضهم حول المجاز القائم على المشابهة والمجاز القائم على ملابسات غير المشابهة فقال « ... ومثاله أن أبا القاسم الآمدي قال في فصل يجيب فيه عن شيء اعترض به على البحري في قوله:

فَكَأَنَّ مَجْلِسَهُ اخْتَجَبَ مَخْفِلٌ      وَكَأَنَّ خُلُوتَهُ اخْفِيَتْ مَشْهَدٌ

أن المكان لا يسمى مجلسا إلا وفيه قوم، ثم قال: " ألا ترى إلى قول مهلهل:

وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ يَا كَلِيبَ الْمَجْلِسُ

على الاستعارة، فأطلق لفظ " الاستعارة " على وقوع " المجلس " هنا، بمعنى القوم الذين يجتمعون في الأمور، وليس " المجلس " إذا وقع على القوم من طريق التشبيه، بل على وقوع الشيء على ما يتصل به، وتكثر ملابسته إياه وأي شبه يكون بين القوم ومكانهم الذين يجتمعون فيه ؟ إلا أنه لا يعتد بمثل هذا فإن ذلك قد يتفق حيث ترسل العبارة «<sup>(2)</sup>، فلم يحمل المعنى على الاستعارة لعدم وجود مشابهة بين المجلس والقوم الجالسين فيه بل اعتبره مجازا لملابسة التجاور والقرب بين المحل والحال فيه .

أشاد عبد القاهر بالمجاز العقلي ووضح بعده الجمالي فقال « وهذا الضرب من المجاز على حدته كنز من كنوز البلاغة، ومادة الشاعر المفلق والكاتب البليغ في الإبداع والإحسان، والاتساع وطرق البيان ... »<sup>(3)</sup>، فحصر استعماله في طبقة الشعراء والكتاب لإحاطتهم بأسراره ومعرفتهم بدقائق اللغة العربية وما تعلق بقواعدها ونظام جملها وهو الأمر الذي قد يجهله العامة ؛ فأبي خلل في إيراد صاحبه فساد في النظم وإبهام في المعنى .

<sup>1</sup> - أسرار البلاغة: الجرجاني، ص: 397.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 401-402.

<sup>3</sup> - دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص: 297.

وعرفه بقوله « وحده: أن كل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضعه من العقل لضرب من التأول، فهي مجاز ومثاله ما مضى من قولهم: " فعل الربيع "، وكما جاء في الخبر " إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً أو يلم "، قد أثبت الإنبات للربيع، وذلك خارج عن موضعه من العقل، لأن إنبات الفعل لغير القادر لا يصح في قضايا العقول «<sup>(1)</sup>، فإسناد الفعل لغير فاعله الحقيقي يخضع لقصدية المتكلم وقدرة المتلقي على التأويل؛ لأن فيه إعمال للعقل في محاولة لفك النظام اللغوي وبنيته التركيبية بعد عملية الإسناد المجازية لعناصره .

واستدل عبد القاهر على ثبوت المجاز العقلي وأن مرجعه إلى العقل ولا علاقة للغة فيه فقال «وإذ قد تبين لك المنهاج في الفرق بين دخول المجاز في الإنبات، وبين دخوله في المثبت وبين أن يتنظمهما، وعرفت الصورة في الجميع، فاعلم أنه إذا وقع في الإنبات فهو متلقى من العقل، فإذا عرض في المثبت فهو متلقى من اللغة «<sup>(2)</sup>، فالجواز العقلي يكون بإثبات شيء لشيء لأنه حكم، والمتصرف في الإنبات هو العقل الذي يحدد الروابط والصلات وليس للغة فيه حظ، فنقل دلالة المثبت أو المسند الحقيقية إلى المجاز يكون لغرض دلالي .

ورد على المنكرين لصدور الفعل لغير القادر بقوله « ومما ينتهي في البيان إلى الغاية أن يقال للسائل: هبك تغالطنا بأن مصدر ( فَعَلَ ) نقل أولاً عن موضوعه في اللغة، ثم اشتق منه، فقل لنا ما تصنع بالأفعال المشتقة من معان خاصة، كنسج، وصاغ، ووشى، ونقش ؟ أتقول إذ قيل: " نسج الربيع "، و" صاغ الربيع " و" ووشى " : إن المجاز في مصادر هذه الأفعال، التي هي النسيج، والوشى، والصوغ أم تعترف أنه في إثباتها فعلاً للربيع ؟ وكيف يقول: " إن في أنفسها مجازاً "، وهي موجودة بحقيقتها ؟ «<sup>(3)</sup>، فالجواز الحكمي عنده راجع إلى الإسناد لا إلى المسند .

وذكر أمثلة للمجاز العقلي كقول الشاعر:

وَشَيَّبَ أَيَّامَ الْفِرَاقِ مَفَارِقِي      وَأُنْشَرْنَ نَفْسِي فَوْقَ حَيْثُ تَكُونُ

<sup>1</sup> - أسرار البلاغة: الجرجاني، ص: 385.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 373.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 378.



وقوله:

أَشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الْكَبِيرِ  
رَكَرُ الْعَدَاةِ وَمَرُّ الْعَشِيِّ

علق على هذين المثالين بقوله «المجاز واقع في إثبات الشيب فعلا للأيام، ولكر الليالي، وهو الذي أزيل عن موضعه الذي ينبغي أن يكون فيه، لأن من حق هذا الإثبات، أعني إثبات الشيب فعلا، أن لا يكون إلا مع أسماء الله تعالى ... وأما المثبت فلم يقع فيه مجاز، لأنه الشيب وهو موجود كما ترى»<sup>(1)</sup>.

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها المجاز الحكمي واستشهد بها عبد القاهر قوله تعالى ﴿ثَوَّقِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ إِذْنِ نَهَا وَيُضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: 25]، وقوله تعالى ﴿وَإِذَا ثَلَيْتَ عَلَيْهِمْ عَآئِشَهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: 02]، وقوله تعالى ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾ [التوبة: 124]، وقوله تعالى ﴿وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: 02]، وقوله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَفْقَلْتُ سَحَابًا نَقَالًا سُقْنَاهُ لِغُلَامٍ مَّيِّتٍ﴾ [الأعراف: 57].

ووضح موضع الشاهد في الآيات الكريمة بقوله «أثبت الفعل في جميع ذلك لما لا يثبت له فعل إذا رجعنا إلى المعقول، على معنى السبب، وإلا فمعلوم أن النخلة ليست تحدث الأكل، ولا الآيات توجد العلم في قلب السامع لها، ولا الأرض تخرج الكامن في بطنها من الأثقال، ولكن إذا حدثت فيها الحركة بقدرة الله، ظهر ما كنز فيها وأودع في جوفها»<sup>(2)</sup>، فأسندت الأفعال في الآيات الكريمة لغير فاعلها الحقيقي وأخرج الحكم عن موضعه في العقل ليحمل على التأول .

اهتم عبد القاهر بالمجاز كفن بياني كثر تداوله في كلام العرب، فرسم حدوده ووضح أقسامه مستجليا الفروق الفاصلة بين كل قسم ؛ حيث عد المجاز اللغوي كل كلمة استعملت في غير ما وضعت له في اللغة لمناسبة بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي، وجعله ضربان: ضرب قائم على المشابهة وهو الاستعارة، وآخر قائم على ملابسات أخرى غير المشابهة، كما تمكن من ابتكار نوع آخر من المجاز وهو المجاز الحكمي المتمثل في اسناد الفعل لغير فاعله الحقيقي، واستدل على وجوده في القرآن الكريم وشعر العرب ليبطل بذلك الآراء التي تنفي وجوده .

<sup>1</sup> - أسرار البلاغة: الجرجاني، ص: 370-371.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 386.

- الكناية:

اعتبر عبد القاهر الكناية ضرباً من الاتساع في الكلام، وعدها وسيلة للتفنن في الأساليب وابتكار المعاني لما تضيفه من جمالية وتأثير في المتلقي، الذي يعتمد إلى تفكيك خطابات المتكلم وينقب عن الدلالة الخفية والغير المصرح بها في ظاهر العبارة فيبرز بذلك حسننها وبلاغتها، حيث عرفها بقوله « أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلاً عليه ؛ ومثال ذلك قولهم: "هو طويل النجاد"، يريدون: طويل القامة، و"كثير رماد القدر"، يعنون: كثير القرى، وفي المرأة: "نؤوم الضحى" والمراد أنها مترفة خدومة، لها من يكفيها أمرها»<sup>(1)</sup>، وقف على الدلالة الاصطلاحية للكناية وكشف عن الدلالة الباطنية للتراكيب والتي تدل عليها القرائن التي تمنع إرادة المعنى الحقيقي للعبارة الذي بتحقيقه يكون فساد للقصد الذي يبتغيه المتكلم، حيث أدرك صعوبة هذا الباب ووعورة مسكله وما يترتب عليه من ضيق في العبارة وانغلاق في المعنى، فوصفه بأنه « قد تناهى في الغموض والخفاء إلى أقصى الغايات؛ وإنك لا ترى أغرب مذهبا، وأعجب طريقا، وأحرى بأن تضطرب فيه الآراء منه »<sup>(2)</sup>، فمرد الغموض يكمن في عدم قدرة المتلقي على تجاوز المعنى الظاهري للعبارة وبلوغ المعنى الباطني (معنى المعنى) ويرجع ذلك لعدة عوامل منها جهله بالسياقات المحيطة بالخطاب، أو عجز المتكلم عن صياغة خطاب إبداعي يفصح فيه عن مقاصده؛ وأشار عبد القاهر لهذه المسألة عند تمثيله ببيت العباس بن الأحنف والذي يقول فيه:

سَأَطْلُبُ بُعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرُبُوا      وَتَسْكُبَ عَيْنَايَ الدُّمُوعَ لِتَجْمُدَا

وعقب عليه عبد القاهر بقوله « بدأ فدل بسكب الدموع على ما يوجب الفراق من الحزن والكمد، فأحسن وأصاب لأن من شأن البكاء أبدا أن يكون أمانة للحزن، وأن يجعل دلالة عليه وكناية عنه »<sup>(3)</sup>، فاستحسن الشطر الأول من البيت والذي وظف فيه الشاعر الأسلوب الكنائي ليعبر فيه عن حزنه وكمده، ولكنه اعترض على الشطر الثاني والذي لم يوفق فيه الناظم ولم يبلغ بالكناية غايته، إذ « التمس أن يدل على ما يوجب دوام التلاقي من السرور، بقوله " لتجمدا " وظن أن الجمود

<sup>1</sup> - دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص: 113.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 278.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 276-277.

يبلغ له في إفادة المسرة والسلامة من الحزن، ما بلغ سكب الدمع في الدلالة على الكآبة والوقوع في الحزن، ونظر إلى أن الجمود خلو العين من البكاء، وانتفاء الدموع عنها ... ولذلك لا ترى أحدا يذكر عينه بالجمود، إلا وهو يشكوها ويذمها وينسبها إلى البخل»<sup>(1)</sup>، ففسد المعنى لأن الكناية لم تحتل مكانها المناسب في النظم ودلت على معنى مغاير لا يقصده المتكلم .

فيستدل بالمعاني الأولى في الجمل على المعاني الثواني ولا يتأتى ذلك بالقراءة السطحية للنص بل بالغوص في عوالمه والتدقيق فيه للوصول إلى معنى المعنى، فلا يمكن أن تصل إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ولا بالمعنى الأولي وبيانه « أنك في جميع ذلك لا تفيد غرضك الذي تعني من مجرد اللفظ، ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره، ثم يعقل السامع من ذلك المعنى، على سبيل الاستدلال، معنى ثانيا هو غرضك كمعرفتك من ( كثير رماد القدر ) أنه مضياف ».<sup>(2)</sup>

ومثل الجرجاني بقول الشاعر:

وَمَا يَكُ فِيَّ مِنْ عَيْبٍ فَإِنِّي      جَبَانُ الْكَلْبِ مَهْزُولُ الْفَصِيلِ

ووضح موضع الكناية بقوله « فكما أنه إنما كان من فاخر الشعر ومما يقع في الاختيار لأجل أن أراد أن يذكر نفسه بالقري والضيافة، فكفى عن ذلك بجبن الكلب وهزال الفصيل وترك أن يصرح فيقول: ( قد عرف أن جنابي مألوف وكلبي مؤدب لا يهر في وجوده من يغشاني من الأضياف ؛ وإني أنحر المتألى من إبلي وأدع فصاها هزلى ) »<sup>(3)</sup>، فكانت الكناية أبلغ من التصريح، فعبارة ( جبان الكلب مهزول الفصيل ) تضمنت المعنى الدفين المخبوء وهي صفة الكرم والجود وحسن الضيافة .

ونخلص مما سبق أن عبد القاهر الجرجاني صاغ نظرية النظم وحدد معالمها من خلال مزجه بين علمي النحو والبلاغة وجعلها وجهاً لإعجاز القرآن الكريم، ودرس طرق التعبير المختلفة باحثاً عن أسرار جودتها حيث تطرق لمسائل علم المعاني من تقديم وتأخير، وحذف وذكر، وفصل ووصل ملتصاً جمالياتها وعلل ورودها مخالفاً بذلك نظرة السابقين المكتفية بالبحث في أصل العبارة دون الغوص في دقائق الأساليب والأغراض البلاغية الكامنة فيها، وفصل في مباحث علم البيان (الاستعارة، التشبيه

<sup>1</sup> - دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص: 277.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 272.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 306.

والتمثيل، المجاز والكناية ) وأرجع محاسن الكلام إليها، ووضح جوانب كل مبحث وأقسامه، وكشف عن لطائف بيانية اهتمت إليها بفضل ذوقه الأدبي فريد ثبتت ركائز الدرس البلاغي وتلقفها أعلام البلاغة من بعده .

- المبحث الثالث: الدرس البياني بعد عبد القاهر الجرجاني حتى نهاية القرن السادس الهجري .  
اتخذ الزمخشري ( ت 538هـ ) من أفكار عبد القاهر الجرجاني ودراسته البلاغية مورداً، نهل منه الآليات الإجرائية والبيانية التي مكنته من تفسير القرآن الكريم وبيان وجوه إعجازه، حيث كشف عن دقائق معنوية في التراكيب اللغوية موضحاً أبعادها الجمالية الناتجة عن توخي معاني النحو، فقد طغى الجانب التطبيقي في معالجته للمباحث البلاغية في تفسيره " الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل " مقارنة بالجانب النظري؛ حيث انصب جهده على استخراج الوجوه البلاغية في الآيات القرآنية لتكون دليلاً على الإعجاز، وهو ما عبر عنه مازن المبارك بقوله « تسلم الزمخشري إرث الجرجاني الضخم وما اشتمل عليه من آراء بلاغية شرح الجرجاني بها وجوه إعجاز القرآن، وعلل بها صور الجمال الأدبي، فوجد الزمخشري في كل ذلك ما يرضي نزعة العقلية، وهو العالم المعتزلي، ووجد ما يرضي إحساسه بالجمال وتذوقه لصوره، وهو الأديب الذواق، فانصرف إلى وضع تفسير القرآن الكريم، يكشف به عما في آيات الكتاب المعجز من أسرار بلاغية ودقائق معنوية، وأتى بذلك بما لم يسبق إليه ».<sup>(1)</sup>

وعمد في تحليله للنصوص والكشف عن خصائصها التعبيرية إلى استثارة ذهن المتلقي، ودفعه لالتماس النكت البيانية بغية تنمية ذاكرته الأدبية، عن طريق السؤال والجواب يسمى نحتاً ( الفنقلة)، لأنه يقول: فإن قلت ... قلت ... يبعث التشويق ويرسخ المعاني في النفس، فقد تضمن كل سؤال نكتة وفائدة خفية لا يظفر بها إلا من تمكن من علوم العربية، مؤكداً على صعوبة مسلك علم التفسير وأنه لا يتصدى له إلا من برع في علمي المعاني والبيان فقال: « فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلم وإن بز أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار، وإن كان من (ابن القرية) أحفظ ... واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه، لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق؛ إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن؛ وهما علم المعاني وعلم البيان، وتمهل في ارتيادها آونة، وتعب في التنقيح عنهما أزمدة »<sup>(2)</sup>، فللبلاغة دور في استجلاء أسرار القرآن وبيان وجوه إعجازه؛ إذ « يعد الكشاف من المصادر الأساسية التي أسست

<sup>1</sup> - الموجز في تاريخ البلاغة، مازن المبارك، دار الفكر، د/ط، ت، ص: 105-106.

<sup>2</sup> - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري: جار الله أبي القاسم محمود بن عمر، تح: عادل أحمد عبد الموجود وأخرون، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998، ج1/96.

لنظرية النظم، فقد قدم إجراء نقديا استطاع أن يقف به على جماليات النص القرآني من خلال نظمه المتميز». (1)

#### - علم المعاني عند الزمخشري :

اهتم الزمخشري بدراسة التراكيب القرآنية والوقوف على المزايا الأسلوبية للتعبير والقيم الجمالية لها، وما تبعته في نفسية المتلقي موضحا العلاقات القائمة بين الألفاظ المنتظمة داخل سياق معين، تخضع فيه لقواعد علم النحو وأحكامه ؛ فأى عدول عن الأصل يكون لغاية دلالية وغرض بلاغي يتغيه الناظم .

ودرس في مؤلفه (الكشاف) مباحث البلاغة كالتقديم والتأخير، والحذف، والفصل والوصل، والالتفات ..، حيث يرى شوقي ضيف أنه أول من فرق بين علم المعاني والبيان فقال «الزمخشري أول من ميز بين هذين العلمين فجعل لكل منهما مباحثه الخاصة واستقلاله الذي يشخصه». (2)

ولم يكن يعنى بوضح الحدود والمفاهيم بقدر اهتمامه بتحليل النظم القرآني وإبراز جماليته وتفرد؛ ولعل ذلك راجع إلى الجهد التنظيري الذي وضعه عبد القاهر الجرجاني من قبل وأسس بنيانه «فقد طبق فكر عبد القاهر وبلاغته تطبيقاً أظهر به سمو التراكيب في الآيات الكريمة، وروعة المعنى فيها» (3)، ومن المسائل البلاغية التي تطرق إليها:

#### - التقديم والتأخير:

أدرك الزمخشري أهمية النحو في استجلاء المعاني، موضحا العلاقات النحوية الناتجة عن انتظام الألفاظ داخل نسق لغوي معين، حيث تترتب عناصر الجمل وفق نمط مخصوص، وكل تغيير في الرتبة يصحبه تغيير في الدلالة هو الأمر الذي يفصح عنه السياق والمعرفة بقرائن الأحوال، فتقديم كلمة في موضع وتأخيرها في موضع آخر يكون لغرض بلاغي يتغيه المتكلم، حيث اهتم بآيات كثيرة « سطع فيها التقديم والتأخير بتقديم الخبر على المبتدأ في الجملة الاسمية، وتقديم المفعول في الجملة الفعلية،

1 - النقد والإعجاز دراسة، محمد تحريشي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د/ط، 2004، ص: 191.

2 - البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، ص: 222.

3 - التراكيب النحوية من وجهة البلاغية عند عبد القاهر، عبد الفتاح لاشين، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، د/ط، ص: 185.

فأرجع ذلك إلى ما اصطلح هو عليه بمصطلح " الاختصاص " وفيه تختص الصفة أو الفعل بالشئ أو الشخص دون غيره، ويتضمن ذلك الاختصاص دلالات مختلفة بحسب السياق الذي يكون فيه»<sup>(1)</sup>، ومن الشواهد التي أوردها في تقديم الظرف الدال على الاختصاص قوله تعالى ﴿ذَلِكَ حَثْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: 44]، فقال « تقديم الظرف يدل على الاختصاص، يعني: لا يتيسر مثل ذلك الأمر العظيم إلا على القادر الذات الذي لا يشغله شأن عن شأن، كما قال تعالى ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بِكُمْ إِلَّا كَتَبَ وَاحِدٌ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [لقمان: 28]»<sup>(2)</sup>، ومثل أيضا لتقديم الظرف بقوله تعالى ﴿إِنْ إِلَهَ إِلَّا هُمْ (25) ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ﴾ [الغاشية: 25-26]، قال « فإن قلت: ما معنى تقديم الظرف؟ قلت: معناه التشديد في الوعيد وأن إياهم ليس إلا إلى الجبار المقتدر على الانتقام، وأن حسابهم ليس بواجب إلا عليه، وهو الذي يحاسب على النقيير والقطمير، ومعنى الوجوب: الوجوب في الحكمة»<sup>(3)</sup>.

ومثله قوله تعالى ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ [التغابن: 1]، قال الزمخشري « قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله -عز وجل-، وذلك لأن الملك على الحقيقة له، لأنه مبتدئ كل شيء ومبدعه، والقائم به، والمهيمن عليه، وكذلك الحمد، لأن أصول النعم وفروعها منه»<sup>(4)</sup>.

وفسر قوله تعالى ﴿أَلْزَمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَاهِرُونَ﴾ [هود: 28]، قال « يعني: أنكرهمكم على قبولها ونفسركم على الاهتداء بها، وأنتم تكروها ولا تختارونها، ولا إكراه في الدين؟»<sup>(5)</sup>، ولأن الغرض هو إنكار الفعل لذلك قدم على الاسم، ليتنبه السامع ويرتدع، وقدم الجار والمجرور في قوله ( لها كارهون) لأنهم يخلصون البيئة والمعرفة بالكراهية ولا يطيقون سماعها.

ووضح الزمخشري الفرق بين قوله تعالى ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: 11]، وقوله تعالى ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ [الزمر: 14]، قال الزمخشري « الأول إخبار بأنه مأمور من جهة الله بإحداث العبادة والإخلاص، والثاني: إخبار بأنه يختص الله وحده دون

<sup>1</sup> - قضايا اللغة في كتب التفسير المنهج - التأويل - الإعجاز، المهادي الجطللاوي، كلية الآداب، سوسة، دار محمد علي الحامي، الجمهورية التونسية، ط1، 1998، ص: 531.

<sup>2</sup> - الكشف: الزمخشري، ج5/607.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج6/366.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج6/130.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ج3/194.

غيره بعبادته مخلصا له دينه، ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة وأخره في الأول، فالكلام أولا واقع في الفعل نفسه وإيجاده، وثانيا فيمن يفعل الفعل لأجله»<sup>(1)</sup>، ففي الآية الثانية قدم المفعول لفظ الجلالة (الله) على فعله (أعبد) لتخصيص الله عز وجل بالعبادة والإخلاص.

وكشف الغاية البلاغية من التقديم في قوله تعالى ﴿وَضُنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعُهُمْ خُصُومُهُمْ مِّنَ اللَّهِ﴾ [الحشر: 02]، قال «فإن قلت: أي فرق بين قولك: وذننوا أن حصونهم تمنعهم أو مانعهم، وبين النظم الذي جاء عليه؟ قلت: في تقديم الخبر على المبتدأ دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها إياهم، وفي تصوير ضميرهم اسما لأ (وإسناد الجملة إليها: دليل على اعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة ومنعة لا يبالي معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع في معازرتهم، وليس ذلك في قولك: وذننوا أن حصونهم تمنعهم»<sup>(2)</sup>، فقارن بين النظم القرآني الذي وضح اعتقاد المشركين في أنهم في حصون منيعة وبين التعبير بقولك: (وذننوا أن حصونهم تمنعهم أو مانعهم) ليوضح تفوق وبلاغة التعبير القرآني .

#### - الحذف:

تحدث الزمخشري عن ظاهرة الحذف التي تعتري التراكيب مشيرا للأثر النفسي الذي تحدثه في المتلقي، مؤكدا أن إسقاط عنصر من عناصر الجملة يكون لغرض بلاغي، حيث تدل القرائن السياقية على العنصر المحذوف لتتجلى بلاغته في الحذف دون الذكر، ومن الأمثلة التي ذكرها قوله تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نَرُدُّ﴾ [الأنعام: 27]، قال «(لو ترى) جوابه محذوف تقديره: "ولو ترى لرأيت أمرا شنيعا"»<sup>(3)</sup>، فورد الحذف بغرض المبالغة .

وقد يرد بغرض التعظيم ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾ [الأنعام: 93]، فقال «و"لو ترى" جوابه محذوف، أي: رأيت أمرا عظيما»<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج5/296.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج6/74.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج2/335.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج2/373.



ومن حذف المفعول قوله تعالى ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي إِلَّا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا شَيْخَ كَبِيرٍ﴾ [القصص: 23]، قال «فإن قلت: لم ترك المفعول غير مذكور في قوله: (يسقون) و(تذودان) و(لا نسقي)؟ قلت: لأن الغرض هو الفعل لا المفعول، ألا ترى أنه إنما رحمهما لأنهما كانتا على الذياد وهم على السقي؛ ولم يرحمهما لأن مذودهما غنم ومسقيهم إبل مثلاً وكذلك قولهما (لا نسقي حتى يصدر الرعاء) المقصود فيه السقي لا المسقي»<sup>(1)</sup>، فحذف المفعول به لقدرة المتلقي على تبيينه وتقديره وليتم العناية بالفعل وتصوير مشهد السقي، وهو من الطرق التعبيرية المعهودة عند العرب بإسقاط عنصر من عناصر التركيب لوجود قرينة لفظية أو سياقية دالة عليه طلباً للاختصار واختصاراً لنباهة السامع في إدراك المحذوف، ليعمل بذلك فكره ويتمكن من فتح باب التأويل والغوص في دقائق التعابير .

#### - التعريف والتنكير:

وضح الزمخشري العلاقة الوثيقة بين النحو والبلاغة، مؤكداً أن جودة الأساليب تكمن في توخي معاني النحو، فكل تعريف للكلمة أو تنكير لها يكون لغاية دلالية يقصدها المتكلم، ووقف عند صور متعددة للتعريف بـ (أل) والتي تفيد الجنس أو العهد، أو الشمول أو الاستغراق، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 02]، قال «فإن قلت: ما معنى التعريف فيه؟ قلت: هو نحو التعريف في: أرسلها العراك، وهو تعريف الجنس ومعناه الإشارة إلى ما يعرفه كل أحد من أن الحمد ما هو، والعراك ما هو، من بين أجناس الأفعال، والاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس وهم منهم»<sup>(2)</sup>.

وقوله تعالى ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: 02]، قال «معناه: أن الكتاب هو الكتاب الكامل، كأن ما عداه من الكتب في مقابله ناقص، وأنه الذي يستأهل أن يسمى كتاباً، كما تقول: هو الرجل، أي الكامل في الرجولية، الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال»<sup>(3)</sup>، ومعنى (الكمال) الذي ذكره، أو (الحقيقة) كما عند البعض، إنما هو دلالة تابعة لا أصلية، جاء بها في معرض

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 4/491.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1/112.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 1/142.

تفصيل موقع (ذلك الكتاب) من (الم) من جهة الإعراب، ولم يتحدث عن طبيعة (ال) في لفظ (الكتاب) ! والظاهر أنها للعهدية، فالكتاب المقصود كتاب مخصوص بعينه هو (القرآن)..

وفسر قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ﴾ [البقرة: 13]، قال «أي: كما آمن الكاملون في الإنسانية، أو جعل المؤمنين كأنهم الناس على الحقيقة، ومن عداهم كالبهائم في فقد التمييز بين الحق والباطل».<sup>(1)</sup>

وذكر لام العهد في تفسيره لقوله تعالى ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾ [آل عمران: 36]، قال «وليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت لها، واللام فيها للعهد»<sup>(2)</sup>، ورأى غيره أن اللام في الموضعين للجنس.

كما كشف الزمخشري عن الأغراض البلاغية التي يسفر عنها التنكير ويوضحها السياق، كإفادة الندرة والقلة في قوله تعالى ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيًّا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة: 12]، قال «فإن قلت: لم قيل: أذن واعية على التوحيد والتنكير؟ قلت: للإيدان بأن الوعاة فيهم قلة، ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم؛ للدلالة على أن الأذن الواحدة إذا عت وعقلت عن الله فهي السواد الأعظم عند الله، وأن ما سواها لا يبالي بهم بالة وإن ملأوا ما بين الخافقين»<sup>(3)</sup>، ودل تنكير المسند إليه على الإشاعة والتعميم في قوله تعالى ﴿وَأَنفُسُ يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: 48]، قال «فمعنى التنكير: أن نفساً من الأنفس لا تجزي عن نفس منها شيئاً من الأشياء، وهو الإقنات الكلي القطاع للمطامع»<sup>(4)</sup>، ففيه تحذير من يوم القيامة حيث يجزى كل إنسان نظير عمله، فلا يدفع عنه العقاب الأقربون ولا نصير يكفله، فهو مصير يعم جميع الأنفس من اهتدى منها ومن لم يهتد.

وقد يشيع التنكير نوعاً من الفرادة والتميز كما في قوله تعالى ﴿حَمَّ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: 07]، فمعنى «التنكير أن على أبصارهم نوعاً من الأغطية غير ما يتعارفه الناس، وهو غطاء التعامي عن آيات الله، ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 1/182.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1/551.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 6/196-197.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 1/265.

لا يعلم كنهه إلا الله»<sup>(1)</sup>، فتكثير لفظ ( غشاوة ) أشار إلى النوعية ؛ أي: نوع فريد من الأغشية وهو غطاء التعامي عن آيات الله والحق، حيث عميت عيونهم عن إدراك الآيات الشرعية والكونية وتمسكت بالضلالة فاستحقت بذلك العذاب الأليم .

ومن المعاني التي أفادها التنكير معنى التعظيم والتكثير لقوله تعالى ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ [ الأعراف: 113 ]، قال « كأنهم قالوا: لابد لنا من أجر، والتكثير للتعظيم ؛ كقول العرب: إن له لإبلا، وإن له لغنما، ويقصدون الكثرة ».<sup>(2)</sup>

ووضح الزمخشري جمالية التنكير في لفظ (ذهاب) من قوله تعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴾ [ المؤمنون: 18 ]، قال « من أوقع النكرات وأحزها للمفصل، والمعنى: على وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه، وفيه إيذان باقتدار المذهب، وأنه لا يتعابى عليه شيء إذا أراده، وهو أبلغ في الإيعاد من قوله ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مُّعِينٍ ﴾ [ الملك: 30 ] »<sup>(3)</sup>، حملت الآية الكريمة دلالة التهديد والوعيد، وكشفت عن قدرة الله تعالى في إذهاب الماء وتغييره جزاء غيهم وجحودهم بأنعم الله، تنبيها لما قد يترتب عن ذلك من هلاك للأنفس والمواشي .

#### - القصر:

عرض الزمخشري لأسلوب القصر في تفسيره، ووضح طرائقه وآلياته ؛ حيث فسر قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ تُسْلِمُونَ ﴾ [ الأنبياء: 108 ]، قال « إنما: لقصر الحكم على شيء، أو لقصر شيء على حكم، كقولك: إنما زيد قائم ؛ وإنما يقوم زيد، وقد اجتمع المثالان في هذه الآية؛ لأن (إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ) مع فاعله بمنزلة: إنما يقوم زيد، و(أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ) بمنزلة: إنما زيد قائم، وفائدة اجتماعهما: الدلالة على أن: الوحي إلى رسول الله - ﷺ - مقصور على استئثار الله بالوحدانية »<sup>(4)</sup>، ففي قوله تحديد لمفهوم القصر بأنه قصر حكم على شيء أو قصر شيء على حكم، ويكون بعدة طرق منها: القصر بـ ( إنما ) ومثاله قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا

1 - الكشف: الزمخشري، ج 1/169.

2 - المصدر نفسه، ج 2/486.

3 - المصدر نفسه، ج 4/223.

4 - المصدر نفسه، ج 4/170.

تَحْنُ مُصْلِحُونَ(11) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿ [ البقرة: 11-12 ]، قال الزمخشري «و(إنما): لقصر الحكم على شيء، كقولك: إنما ينطلق زيد، أو لقصر الشيء على الحكم كقولك: إنما زيد كاتب، ومعنى "إنما نحن مصلحون": أن صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت من غير شائبة قاذح فيها من وجوه الفساد»<sup>(1)</sup>، أفاد القصر تخصيص أنفسهم بصفة الصلاح وانضمامهم داخل فئة المصلحين، ليرد عليهم الله تعالى "ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون"، وفسر الزمخشري الآية بقوله «رد الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين أبلغ رد وأدله على سخط عظيم، والمبالغة فيه من جهة الاستئناف وما في كلتا الكلمتين (ألا وإن) من التأكيدين وتعريف الخبر وتوسيط الفصل»<sup>(2)</sup>.

وقد وضع الطاهر بن عاشور الفائدة الدلالية من توظيف (إنما) فقال «أفاد إنما هنا قصر الموصوف على الصفة ردا على قول من قال لهم لا تفسدوا، لأن القائل أثبت لهم وصف الفساد إما باعتقاد أنهم ليسوا من الصلاح في شيء أو باعتقاد أنهم قد خلطوا عملا صالحا وفسادا، فردوا عليهم بقصر القلب، وليس هو قصرا حقيقيا لأن قصر الموصوف على الصفة لا يكون حقيقيا ولأن حرف إنما يختص بقصر القلب كما في دلائل الإعجاز، واختير في كلامهم حرف إنما لأنه يخاطب به مخاطب مصر على الخطأ»<sup>(3)</sup>.

وتفيد (إنما) إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره، كقوله تعالى ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ [ التوبة: 60 ]، وتعني «قصر لجنس الصدقات على الأصناف المحدودة وأنها مختصة بها، لا تتجاوزها إلى غيرها، كأنه قيل: إنما هي لهم لا لغيرهم، ونحو قولك: إنما الخلافة لقريش، تريد: لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم»<sup>(4)</sup>، حيث أفاد القصر حصر الصدقات في الأصناف الثمانية المذكورة في الآية دون غيرهم من الناس .

1 - الكشف: الزمخشري، ج1/180.

2 - المصدر نفسه، ج1/181.

3 - تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور: مُجَدِّد الطاهر، الدار التونسية للنشر، تونس، د/ط، 1984، ج1/285.

4 - المصدر السابق، ج3/59-60.

والاختصاص مع (إنما) يكون مؤخرا دائما مما يسفر عن اختلاف في الدلالة عند تقديم المفعول به أو تأخير، ووضح الزمخشري ذلك عند تفسيره لقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28]، قال «فإنك إذا قدمت اسم الله وأخرت العلماء كان المعنى: إن الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم وإذا عملت على العكس انقلب المعنى إلى أنهم لا يخشون إلا الله، كقوله ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحزاب: 39]، وهما معنيان مختلفان».<sup>(1)</sup>

ويستخدم ضمير الفصل لإفادة القصر والاختصاص نحو قوله تعالى ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 05]، قال «و(هم) فصل، وفائدته: الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة، والتوكيد، وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره».<sup>(2)</sup>

كما يلجأ للتقديم كآلية لإفادة القصر، لقوله تعالى ﴿وَجُودَةٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: 22]، فسرهما الزمخشري بقوله «تنظر إلى ربها خاصة لا تنظر إلى غيره، وهذا معنى تقديم المفعول ألا ترى إلى قوله ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ [القيامة: 12]... كيف دل فيها التقديم على معنى الاختصاص».<sup>(3)</sup>

ولذلك فالقصر من المباحث البلاغية التي تطرق إليها الزمخشري، ويتجلى عنده في قصر حكم على شيء، أو قصر شيء على حكم، ومن الطرق الدالة عليه عنده: القصر بإنما، والنفي والاستثناء، والتقديم، وضمير الفصل.

## - الفصل والوصل:

حظي مبحث الفصل والوصل باهتمام البلاغيين لأهميته في استجلاء المعاني، وإسهامه في انسجام الأفكار وتسلسلها، حيث أقرنت جودة التراكيب بمدى علم الناظم بمواقع الجمل، ومواطن العطف والاستئناف، وكيفية إيقاع حروف العطف مواقعها أو تركها للإيفاء بالدلالة وبلوغ المقصد؛ إذ لا يتم الإحاطة بجوانبه إلا لمن أوتي علما بالبلاغة وفنون القول، وذوقا أدبيا يمكنه من التنقيب عن خفايا المعاني المحجوبة داخل التراكيب، وقد بسط عبد القاهر الجرجاني قضايا هذا الفن ورسم معالمه،

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 5/154.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1/161.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 6/270.

ليستلهمه الزمخشري من بعده ويطبقه على آيات الذكر الحكيم، موضحا مواطن الفصل والوصل وأسباب كل منهما، حيث ذكر الفصل في تفسيره لقوله تعالى ﴿فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾ (24) «إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ» [المدثر: 24-25]، قال «فإن قلت: فلم لم يوسط حرف العطف بين الجملتين؟ قلت: لأن الأخرى جرت من الأولى مجرى التوكيد من المؤكد»<sup>(1)</sup>، فاتحاد الجملتين استوجب إسقاط العطف؛ لأن التوكيد من المؤكد كالشيء الواحد لا يصح العطف فيه.

وورد الفصل في قوله تعالى ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَعُوذْنَا مِنْهُمْ كَمَا عَوْثُوا نَبِرًا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِلَّا نَجْبُونَ﴾ [القصص: 63]، قال الزمخشري «وإخلاء الجملتين من العاطف، لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الأولى»<sup>(2)</sup>، فترك العطف لوجود مناسبة واتحاد في المعنى بين الجملتين.

وكشف عن جمالية الفصل في إحداث تلاحم وتماسك بين أجزاء النظم وإبراز الدلالات المعنوية، ففسر قوله تعالى ﴿الْم﴾ (1) «ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ» [البقرة: 1-2]، قال «والذي هو أرسخ عرقا في البلاغة أن يضرب عن هذه المحال صفحا، وأن يقال: إن قوله: (لم) جملة برأسها، أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها، و(ذلك الكتاب) جملة ثانية، و(لا ريب فيه) ثالثة، و(هدى للمتقين) رابعة، وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة، وموجب حسن النظم، حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق، وذلك لجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض، فالثانية متحدة بالأولى معتنقة لها، وهلم جرا إلى الثالثة والرابعة؛ بيان ذلك أنه نبه أولا على أنه الكلام المتحدى به، ثم أشير إليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال، فكان تقريراً لجهة التحدي، وشدا من أعضاده، ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب، فكان شهادة وتسجيلا بكماله»<sup>(3)</sup>، ففيه قوله بيان لسبب الفصل بين الجمل وهو اتحاد معانيها حيث تناولت موضوعا واحدا: كلام الله المتحدى به، المنعوت بغاية الكمال الذي ينفي عنه شبهة الريب والنقص، والإخبار بأنه هداية للمتقين.

وتحدث عن الوصل مبينا الفروق الدلالية في إيراد حرف العطف أو تركه، ففسر قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 05]، قال «فإن قلت: لم جاء مع العاطف؟ وما الفرق بينه وبين قوله ﴿أُولَئِكَ كَانُوا فِي سُبُلٍ مُتَقَرَّبَةٍ إِلَى اللَّهِ أَقْرَبَ مِنْ سُبُلِ الْأُولَى﴾ [الأعراف: 179]، قلت:

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 6/257.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 4/519.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 1/149-150.

قد اختلف الخبران ههنا فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين ثمة فإنهما متفقان ؛ لأن التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيهم بالبهايم شيء واحد، فكانت الجملة الثانية مقررّة لما في الأولى فهي من العطف بمعزل<sup>(1)</sup>، فعلل وجود العاطف في الآية الأولى باختلاف الخبرين، في حين ترك العطف في الآية الثانية لوجود مناسبة بين الجملتين، فكانت الجملة الثانية تقريراً لمعنى الجملة الأولى .

ولاحظ الفرق في استعمال الواو وتركها في آيات سورة البقرة حيث وردت ثلاث آيات هي:

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: 215]، وقوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ [البقرة: 217]، وقوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: 219] مجردة من الواو، وأعقبها ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [البقرة: 219]، ثم ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَمِّ﴾ [البقرة: 220] ... مقرونة بالواو، فقال « فإن قلت: ما بال ( يسألونك ) جاء بغير الواو ثلاث مرات، ثم مع الواو ثلاثاً؟ قلت: كان سؤالهم عن تلك الحوادث الأول وقع في أحوال متفرقة، فلم يؤت بحروف العطف؛ لأن كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ، وسألوا عن الحوادث الآخر في وقت واحد جيء بحرف الجمع لذلك، كأنه قيل: يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر، والسؤال عن الإنفاق، والسؤال عن كذا وكذا<sup>(2)</sup>، إدراك الزمخشري لهذه الفروق الدلالية يبرز مهارته التحليلية ومقدرته في تذوق الأساليب .

#### - الالتفات:

يعد الالتفات من الأساليب البيانية المتداولة عند العرب، حيث تعمق الزمخشري في دراسته وقدم له تعريفاً بلاغياً تبناه البلاغيون من بعده، كفن واضح المعالم ودعموه بالشواهد، وذكره الزمخشري في تفسيره لقوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 05]، قال « فإن قلت: لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب ؟ قلت: هذا يسمى الالتفات في علم البيان، وقد يكون من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلم، كقوله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِّ وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ [يونس: 22]، وقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرٌ سَحَابًا فُسْقَتْهُ﴾ [فاطر: 09]»<sup>(3)</sup>، فبين المفهوم الاصطلاحي للالتفات المتمثل في انتقال الكلام من التكلم إلى الخطاب أو الغيبة، ومن

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 1/161.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1/435.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 1/118-119.

الخطاب إلى الغيبة أو التكلم، ومن الغيبة إلى الخطاب أو التكلم، مبرزاً ما يحدثه التنويع في الضمائر من جمالية في الأسلوب، حيث جعل الالتفات في قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِّ وَجَعَلْنَاهُمْ﴾، وفي الآية خلاف في القول بالالتفات فيها بناء على الخلاف في تحديد عود الضمير في كل من المنتقل إليه والمنتقل عنه: هل المخاطب في (كنتم) هو نفسه المقصود بالضمير في (بهم)؟، أما قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتَمِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ﴾، ففيها التفات من الغيبة في (أرسل) إلى التكلم بنون العظمة في (سقناه).

واستشهد بأبيات امرئ القيس فقال « وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة أبيات<sup>1</sup> :

|                                  |                                                      |
|----------------------------------|------------------------------------------------------|
| تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بِالْأَثْمِدِ | وَنَامَ الْخَلِيُّ وَلَمْ تَرْقُدِ                   |
| وَبَاتَ وَبَاتَتْ لَهُ لَيْلَةٌ  | كَلَيْلَةَ ذِي الْعَائِرِ الْأَرْمَدِ                |
| وَذَلِكَ مِنْ نَبَأِ جَاءِنِي    | وَخَبَرْتُهُ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ <sup>(2)</sup> . |

وانتقل التعبير عند امرئ القيس من صيغة لأخرى؛ حيث التفت من الخطاب في الأول إلى الغيبة في الثاني، ومن الغيبة في الثاني إلى التكلم في الثالث.

ومما يبرز وضوح تصور الزمخشري للالتفات تحديده لوظيفته البلاغية وتعليل سبب وروده، حيث اعتبره فنا كلامياً يهدف لتحريك السامع وكسر رتابة الخطاب، فمعهود عند العرب تفننهم في الكلام « لأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجراءاته على أسلوب واحد، وقد تختص مواقعه بفوائد»<sup>(3)</sup>، وقد أخذ السكاكي بتصور الزمخشري للالتفات واستدل بشواهد، وهو ما صرح به محمد محمد أبو موسى بقوله « وجرت كتب المتأخرين في دراسته على مذهبين في الالتفات، مذهب الجمهور، ومذهب السكاكي، والواقع أن المذهب المنسوب إلى السكاكي هو طريقة الزمخشري وارتضاها السكاكي وسار عليها»<sup>4</sup>،

<sup>1</sup> - ديوان امرئ القيس، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ص: 185

<sup>2</sup> - الكشف: الزمخشري، ج1/119.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج1/120.

<sup>4</sup> - البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، عابدين، القاهرة، ط2، 1988، ص: 443.



حيث عالج الزمخشري في تفسيره الكثير من مسائل علم المعاني، والتي كان لها أثر في بلورة الدرس البلاغي وازدهاره، ومنهلاً لأعلام متأخرين استلهموا منها أفكارهم وأسسوا من خلالها تصوراتهم.

#### - علم البيان عند الزمخشري :

أولى الزمخشري عناية بالغة بأساليب القول والطرق التي تؤدي بها المعاني؛ إذ يتم نظمها داخل تركيب تصويري يرد فيه المعنى الواحد بصياغات متفاوتة، تتسم بالفنية ووضوح الدلالة، وتراعى فيه مقتضيات السياق، وقد درس فنون البيان ووضح وجه الجمال فيها كالتشبيه، والمجاز، والاستعارة، والكناية، مؤكداً دورها في خدمة أغراض المتكلم، والتأثير على المتلقي من خلال ما تحدثه من وظائف تبليغية وجمالية .

#### - التشبيه والتمثيل:

وضح الزمخشري مدلول التشبيه بقوله « إن العرب تأخذ أشياء فرادى، معزولاً بعضها من بعض، لم يأخذ هذا بحجرة ذاك فتشبهها بنظائرها، كما فعل امرؤ القيس وجاء في القرآن، وتشبه كيفية حاصلة في مجموع أشياء قد تضامت، وتلاصقت حتى عادت شيئاً واحداً بأخرى مثلها، كقوله تعالى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوَنُّةَ﴾ [ الجمعة: 05]»<sup>(1)</sup>، فالتشبيه عنده قائم على المماثلة بين شيئين يشتركان في صفة أو أكثر، وتوسع في نظريته حيث جعل التشبيه والتمثيل مترادفان يحملان المدلول ذاته، وعرج على أنواع التشبيه: كالتشبيه المفرد في قوله تعالى ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ [هود: 24]، شرحه بقوله « شبه فريق الكافرين بالأعمى والأصم، وفريق المؤمنين بالبصير والسميع، وهو من اللف والطباق وفيه معنيان: أن يشبه الفريق تشبيهين اثنين، كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعناب، وأن يشبهه بالذي جمع بين العمى والصمم، أو الذي جمع بين البصر والسمع، على أن يكون الواو في ( الأصم )، وفي ( السميع ) : لعطف الصفة على الصفة ».<sup>(2)</sup>

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 1/200.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 3/191.

ومثله قوله تعالى ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ [هود: 42] قال معلقا « يريد موج الطوفان؛ شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها»<sup>(1)</sup>، فوردت أركان التشبيه مفردة: المشبه (الموج) والمشبه به (الجبال) ووجه الشبه (الارتفاع)، مما يدل على اهتمام الزمخشري بالجانب التصويري في فهمه للتشبيه خصوصا، والبيان عموما.

وذكر الزمخشري التشبيه البليغ عند تفسيره لقوله تعالى ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَيٌّ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: 18]، قال « طريقة قولهم: "هم ليوث" للشجعان وبحور للأسخياء، إلا أن هذا في الصفات، وذاك في الأسماء... فإن قلت: هل يسمى في الآية استعارة؟ قلت: مختلف فيه؛ والمحققون على تسميته تشبيها بليغا، لا استعارة؛ لأن المستعار له مذكور، وهم المنافقون والاستعارة إنما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له»<sup>(2)</sup>، ففي نصه تحديد للفرق بين التشبيه البليغ والاستعارة، فالتشبيه البليغ يذكر فيه طرفا التشبيه (المشبه، المشبه به) وتحذف فيه الأداة ووجه الشبه كتشبيه المنافقين بالصم والبكم والعمي، بينما تطلق الاستعارة على ما حذف فيه المستعار له (المشبه).

أما التشبيه المقلوب فقد عده من الوسائل التصويرية التي يقتضيها المقام وتفرضها أحوال الكلام، وظهر ذلك في تحليله لقوله تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ [البقرة: 275]، قال « فإن قلت: هلا قيل إنما الربا مثل البيع، لأن الكلام في الربا لا في البيع، فوجب أن يقال: إنهم شبهوا الربا بالبيع فاستحلوه، وكانت شبهتهم أنهم قالوا: لو اشترى الرجل ما لا يساوي إلا درهما بدرهمين جاز، فكذلك إذا باع درهما بدرهمين؟ قلت: جيء به على طريق المبالغة، وهو أنه قد بلغ في اعتقادهم في حل الربا أنهم جعلوه أصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا به البيع»<sup>(3)</sup>، فشبه المشركون الربا بالبيع وقدم المشبه به ليوضح اعتراضهم على أحكام الله وشرعه في تحليل البيع وتحريم الربا وهي نظيره، ليأتي الرد القرآني بأن الله تعالى عليم بمصالح العباد وما ينفعهم موضحا مفسدا الربا وأثرها السلبي على الفرد والمجتمع.

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 3/201.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1/195-196.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 1/506.

وتحدث عن التشبيه المفرق والتشبيه المركب؛ موضحا البنية التركيبية ل كليها ومواقع الاختلاف بينهما، فقال في تفسير قوله تعالى ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: 31]، «يجوز في هذا التشبيه أن يكون من المركب والمفرق؛ فإن كان تشبيها مركبا فكأنه قال: من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس بعده نهاية، بأن صور حاله صورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير، فتفرق مراعا في حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة، وإن كان مفرقا فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء، والذي ترك الإيمان، وأشرك بالله بالساقط من السماء، والأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة، والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاري المتلفة»<sup>(1)</sup>، حيث ترد عناصر التشبيه المفرق مفردة يربطها جامع مشترك، بينما تكون أركان التشبيه المركب صورة منتزعة من متعدد، وبيانه عند الزمخشري أنه «كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحداً، بأخرى مثلها؛ كقوله تعالى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا الثَّورَةَ﴾ [الجمعة: 05]، الغرض تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التوراة، وآياتها الباهرة، بحال الحمار في جهله بما يحمل من أسفار الحكمة، وتساوي الحالتين عنده من حمل أسفار الحكمة وحمل ما سواها من الأوقار، لا يشعر من ذلك إلا بما يمر بديه من الكد والتعب؛ وكقوله ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الكهف: 45] المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر»<sup>(2)</sup>، فالتشبيه المركب عنده هو تشبيه تمثيلي يتشكل من عناصر متعددة تتلاحم فيما بينها وتتآلف لتكون صورة فنية بديعة، تتوضح من خلالها المعاني وتبرز فيها المقدرة البيانية للناظم وامتلاكه لآليات تعبيرية متعددة تمكنه من صياغة تراكيب متباينة، فتزداد استعماله لمصطلح (التشبيه المركب)، إذ لا يرى فرقا بين التشبيه والتمثيل.

وفسر قوله تعالى ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرٌ نَارِيٌّ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا﴾ [يونس: 24]، قال «هذا من التشبيه المركب، شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها، وانقراض نعيمها بعد الإقبال، بحال نبات الأرض في جفافه، وذهابه حطاما بعدما التف وتكاثف،

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 4/192.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1/200.

وزين الأرض بخضرته ورفيفه»<sup>(1)</sup>، فبلاغة النظم تجلت في توظيف التشبيه كوسيلة للتعبير عن سرعة زوال الدنيا ونعيمها، حيث شبهت بصورة مركبة من عناصر متعددة، متمثلة في نزول المطر من السماء وتشقق الأرض بالنبات مما يقتات به الإنسان والأنعام، فإذا اقترب موعد الاستفادة منه آتاه أمر الله فصير حطاما حصيدا، فهو مثل بليغ يهدف لتقريب المعاني للأذهان لما فيه من دعوة للتفكير والإقبال على الحق .

ومن صور التشبيه المركبة قوله تعالى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بِعْنَاءٍ﴾ [العنكبوت: 41]، فسر الزمخشري بقوله « الغرض تشبيه ما اتخذوه متكلا ومعتمدا في دينهم، وتولوه من دون الله، بما هو مثل عند الناس في الوهن، وضعف القوة، وهو نسج العنكبوت؛ ألا ترى إلى مقطع التشبيه وهو قوله " إن أوهن البيوت لبيت العنكبوت "»<sup>(2)</sup>، فهو مثل ضربه الله للذين اتخذوا آلهة من دونه يرجون منهم النفع ودفع الضرر، مشبها إياهم ببیت العنكبوت التي نسجت أضعف البيوت لتحتمي به، فسوء اختيارها يماثل سوء اختيار الكافرين وفساد معتقدتهم .

ووضح الزمخشري الغاية البلاغية من ضرب الأمثال، فقال « ولضرب العرب الأمثال، واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق، حتى تريك المتخيل في صورة المحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه مشاهد، وفيه تبكيت للخصم الألد، وقمع لسورة الجامح الأبي، ولأمر ما أكثر الله في كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله، وفشت في كلام رسول الله - ﷺ - وكلام الأنبياء والحكماء»<sup>(3)</sup>، فتتجلى جمالية المثل في تقريب المعاني إلى الأذهان، وتمكين المخاطب من تمثل المعاني المجردة في صورة محسوسة، وتدفعه للإذعان لما تحمله من شحنة اقناعية تجسدت في تشكيل تصويري بليغ .

#### - المجاز:

اعتبر الزمخشري المجاز ضربا من التوسع في اللغة، معللا سبب وروده لمقتضيات سياقية عجز التعبير الحقيقي عن بلوغها، حيث كشف عن جماليته في التراكيب دون أن يهتم بالمصطلحات

1 - الكشف: الزمخشري، ج 3/129.

2 - المصدر نفسه، ج 4/549.

3 - المصدر نفسه، ج 1/190-191.

والتسميات، ولكن تحليله يؤكد فهمه العميق لها، فقد ذكر علاقات المجاز المرسل في تفسيره للآيات القرآنية كالجزية في قوله تعالى ﴿ اَقِمِ الصَّلَاةَ لِلْأَلْوَكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ﴾ [الإسراء: 78]، قال « صلاة الفجر، سميت قرآنا وهو القراءة ؛ لأنها ركن، كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتا»<sup>(1)</sup>، حيث ذكر الجزء (القرآن) ليدل به على الكل (الصلاة) .

والعلاقة الكلية في تفسيره لقوله تعالى ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ ﴾ [البقرة: 19]، قال «فإن قلت: رأس الأصبع هو الذي يجعل في الأذن، فهلا قيل أناملهم، قلت: هذا من الاتساعات في اللغة التي لا يكاد الحاصر يحصرها ... ففي ذكر الأصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الأنامل»<sup>(2)</sup>، فوظف الكل ( الأصابع ) ليراد به الجزء ( الأنامل ) للتعبير عن حالة المنافقين في عدم انتفاعهم بسمعهم وأبصارهم وشدة إعراضهم عن الحق .

أما إقامة السبب مقام المسبب فوضحه في تفسيره لقوله تعالى ﴿ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَآمَرَاتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ [البقرة: 282]، فقال « فإن قلت: كيف يكون ضالها مرادا لله تعالى؟ قلت: لما كان الضلال سببا للإذكار، والإذكار مسببا عنه، وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما، كانت إرادة الضلال المسبب عن الإذكار إرادة للإذكار؛ فكأنه قيل: إرادة أن تذكر إحداها الأخرى إن ضلت، ونظيره قولهم: أعددت الخشبة أن يميل الحائط فادعمه، وأعددت السلاح أن يجيء عدو فأدفعه»<sup>(3)</sup>، فعلل سبب إقامة السبب مكان المسبب لوجود التباس واتصال بينهما؛ لأن ذكر واحد منهما يستوجب استحضر الآخر .

وذكر العلاقة الآلية في قوله تعالى ﴿ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ [ القصص: 47]، قال « ولما كانت أكثر الأعمال تزاوُل بالأيدي: جعل كل عمل معبرا عنه باجتراح الأيدي وتقديم الأيدي وإن كان من أعمال القلوب، وهذا من الاتساع في الكلام وتصيير الأقل تابعا للأكثر،

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري ، ج 542/3.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 205/1.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 513/1.

وتغليب الأكثر على الأقل»<sup>(1)</sup>، وعبر بلفظ ( الأيدي ) مجازا للدلالة على الأعمال المزاولة ؛ ولأنها الآلية المعتمدة في ذلك وتشمل النوايا والمعتقد .

وأشار الزمخشري إلى العلاقة المحلية في تفسيره لقوله تعالى ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴾ [ العلق: 17 ]، قال « والنادي: المجلس الذي ينتدي فيه القوم؛ أي: يجتمعون، والمراد: أهل النادي»<sup>(2)</sup>، فذكر المحل والمراد الأشخاص الحاليين به، وهو أسلوب معهود عند العرب في تسمية الشيء باسم غيره لوجود ملابسة بينهما .

ومن علاقات المجاز المرسل اعتبار ما كان، وهو تسمية الشيء باسم ما كان عليه من قبل، كقوله تعالى ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ﴾ [ النساء: 02]، قال « فإن قلت: فما معنى قوله ( وآتوا اليتامى أموالهم )، قلت: إما أن يراد باليتامى الصغار، وبإيتائهم الأموال أن لا يطمع فيها الأولياء، والأوصياء، وولاة السوء وقضاته ويكفوا عنها أيديهم الخاطفة، حتى تأتي اليتامى إذا بلغوا سالمة غير محذوفة، وإما أن يراد الكبار تسمية لهم يتامى على القياس أو لقرب عهدهم إذا بلغوا بالصغر، كما تسمى الناقة عشراء بعد وضعها»<sup>(3)</sup>، فأمر الله تعالى بإعطاء أموال اليتامى حال بلوغهم، وعبر عنهم بلفظ (اليتام) لما كانوا عليه من قبل .

ومما يتمثل من المجاز قوله تعالى ﴿ قَالَ أَحْذَرْنِي أَرْزِي أَغْصِرُ خَمْرًا ﴾ [يوسف: 36]، قال الزمخشري « ﴿ أَغْصِرُ خَمْرًا ﴾: يعني: عنباً، تسمية للعنب بما يؤول إليه»<sup>(4)</sup>، فعبر بلفظ ( الخمر ) مجازا ليدل على الحال التي يصير إليها العنب بعد العصر .

فتحليل الزمخشري لمختلف صور المجاز المرسل وكشفه عن علاقاته وملابساته يدل على مقدرته البيانية الفذة وتمكنه من النفاذ لخبايا النصوص؛ كما تحدث عن المجاز العقلي حيث عبر عنه بالمجاز الإسنادي تارة، والمجاز الحكمي تارة أخرى، فقال في تفسيره لقوله تعالى ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً ﴾ [النمل: 13]، « المبصرة: الظاهرة البينة، جعل الإبصار لها وهو في الحقيقة لتأملها ؛ لأنهم لا بسوها وكانوا بسبب منها بنظرهم وتفكيرهم ... أو جعلت كأنها تبصر فتهدى ؛ لأن العمي لا تقدر على

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 511/4.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 406/6.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 10/2.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 283/3.

الاهتداء فضلاً أن تهدي غيرها، ومنه قولهم: كلمة عيناء، وكلمة عوراء ؛ لأن الكلمة الحسنة ترشد، والسيئة تغوي»<sup>(1)</sup>، فأسند الإبصار لآيات مجازا والحقيقة إسنادها للمتفكرين في الحجج والبراهين البينة دالة على الحق والمبطل لما يدعوه، فالفعل يسند إلى الفاعل المجازي لما بينه وبين الفاعل الحقيقي من ملابسات ومقاربات ؛ حيث يلابس الفاعل، والمفعول به، والمصدر، والزمان والمكان « فيقال في المفعول به: عيشة راضية، وماء دافق، وفي عكسه: سيل مفعم، وفي المصدر: شعر شاعر، وذيل ذائل، وفي الزمان: نهاره صائم، وليله قائم، وفي المكان: طريق سائر، ونهر جار، وأهل مكة يقولون: صلى المقام، وفي المسبب: بنى الأمير المدينة»<sup>(2)</sup>، فجميع الأمثلة فيها إسناد للفعل لغير فاعله.

وفسر قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَحَتِ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: 16]، قال « فإن قلت: كيف أسند الخسران إلى التجارة وهو لأصحابها؟ قلت: هو من الإسناد المجازي، وهو أن يسند الفعل إلى شيء يتلبس بالذي هو في الحقيقة له، كما تلبست التجارة بالمشتريين، فإن قلت: هل يصح ربح عبدك وخسرت جاريته، على الإسناد المجازي ؟ قلت: نعم إذا دلت الحال، وكذلك الشرط في صحة، رأيت أسداً، وأنت تريد المقدم، إن لم تقم حال دالة يصح»<sup>(3)</sup>، أسند الريح للتجارة والحقيقة إسناده للتاجر وعلل الزمخشري وروده لتوافر القرائن والأحوال التي تبيح هذا الإسناد، وهو أسلوب شائع في كلام العرب حيث يجرى الحكم الخاص بالعقلاء على غيرهم من غير العقلاء أو الجماد لوجود ملابسة بينهما في بعض الوجوه تسمح بتعدي الحكم إليهم.

#### - الاستعارة:

يرى الزمخشري أن الاستعارة « إنما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له، ويجعل الكلام خلوا عنه صالحاً لأن يراد به المنقول عنه والمنقول إليه، لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام»<sup>(4)</sup>، فهي قائمة على حذف أحد طرفي التشبيه ( المشبه أو المشبه به ) مع إبقاء قرينة دالة عليه، وتقع عنده في الأسماء والصفات والأفعال، حيث حلل الصور الاستعارية ووضح الجامع بين المستعار له والمستعار منه ؛ ففسر قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾ [البقرة: 16]، فقال « معنى: اشتراء الضلالة بالهدى

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج4/434.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1/188-189.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 1/167.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج1/196.

اختيارها عليه، واستبدالها به على سبيل الاستعارة، لأن الاشتراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر<sup>1</sup>، حيث عبر عن استبدال المنافقين للكفر بالإيمان بشراء الضلالة بدلا من الهدى فخرس سعيهم، كالتاجر الذي يستبدل سلعته النفيسة بأقل منها مما يسفر عن خسارته .

وكشف الزمخشري عن الفرق بين الاستعارة والتشبيه في تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ [البقرة: 187]، قال « فإن قلت: أهذا من باب الاستعارة، أم من باب التشبيه ؟ قلت: قوله (من الفجر): أخرجه من باب الاستعارة، كما أن قولك: رأيت أسدا مجاز، فإذا زدت: (من فلان) رجع تشبيها، فإن قلت: فلم زيد (من الفجر)، حتى كان تشبيها ؟ وهلا اقتصر به على الاستعارة التي هي أبلغ من التشبيه، وأدخل في الفصاحة ؟ قلت: لأن من شرط المستعار أن يدل عليه الحال أو الكلام، ولو لم يذكر (من الفجر) لم يعلم أن الخيطين مستعاران فزيد (من الفجر): فكان تشبيها بليغا، وخرج من أن يكون استعارة<sup>(2)</sup>، فمن شروط الاستعارة عنده أن تدل عليها أحوال الكلام وقرائنه، فقد جرى التعبير على ما يوهم طرح المشبه وإسقاطه ليظن أنه من باب الاستعارة، ثم تأتي عبارة (من الفجر) لترفع ذلك التوهم وتدخله في باب التشبيه؛ حيث شبه ضوء الفجر بالخييط الأبيض وسواد الليل بالخييط الأسود مع حذف الأداة فهو تشبيه بليغ، واكتفى بذكر (الخييط الأبيض من الفجر) دون ذكر (الخييط الأسود من الليل)؛ لأن في بيان أحدهما بيان للآخر .

ومن الاستعارة قوله تعالى ﴿ وَأَشْتَغَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ [مريم: 04]، قال الزمخشري « شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته وانتشاره في الشعر، وفُشُوهُ فيه وأخذه منه كل مأخذ، باشتعال النار ثم أخرجه مخرج الاستعارة<sup>(3)</sup>، فذكر المشبه (الشيب) وحذف المشبه به (النار) وأبقى على لازمة من لوازمه (اشتعل) على سبيل الاستعارة المكنية، والجامع بينهما هو سرعة الانتشار.

ووضح الأسلوب الاستعاري في قوله تعالى ﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنِّي أَلْأَلُ نَسْلَهُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلَمُونَ ﴾ [يس: 37]، قال « سلخ جلد الشاة: إذا كشطه عنها وأزاله، ومنه: سلخ الحية لخرشائها ؛ فاستعير

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 1/187.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1/389.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 4/6.



لإزالة الضوء، وكشفه عن مكان الليل وملقى ظله»<sup>(1)</sup>، استعير لفظ (السلخ) للتعبير عن إزالة الضوء عن الكون، بجامع ما يترتب عن كل منهما من ظهور الشيء بعد خفاء، فبكشط الجلد يظهر لحم الشاة وبغروب الشمس تحل الظلمة وهي الأصل للموجودات، بينما النور حال طارئ عليها.

#### - الكناية:

تعد الكناية أداة فنية للتعبير عن المعنى بشكل غير صريح، لما قد يحمله التصريح من جفاء للذوق والخلق أو أسباب أخرى، وقد اعتبرها الزمخشري شعبة من شعب البلاغة ووضح الفرق بينها وبين التعريض بقوله «فإن قلت: أي فرق بين الكناية والتعريض؟ قلت: الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له كقولك: طويل النجاد والحماثل لطول القامة، وكثير الرماد للمضياف، والتعريض أن تذكر شيئاً تدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج إليه: جئتكم لأسلم عليكم ولأنظر إلى وجهك الكريم ولذلك قالوا: وحسبك بالتسليم مني تقاضيا وكأن إمالة الكلام إلى عرض جانب يدل على الغرض ويسمى التلويح؛ لأنه يلوح منه ما يريد»<sup>(2)</sup>.

ومن الأمثلة التي ذكرها مجيء لفظ (السوء) كناية عن (البرص) في قوله تعالى ﴿وَاصْمُ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجَ يَمْصَأَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ءَايَةٌ أُخْرَىٰ﴾ [طه: 22]، قال «السوء: الرداءة والقبح في كل شيء، فكنى به عن البرص... وكان جذيمة صاحب الزباء أبرص، فكنوا عنه بالأبرص، والبرص أبغض شيء إلى العرب، وبهم عنه نفرة عظيمة، وأسماعهم لاسمه مجاعة، فكان جديراً بأن يكنى عنه، ولا نرى أحسن ولا ألطف ولا أحز للمفاصل من كنايات القرآن»<sup>(3)</sup>.

وبيّن الزمخشري ورود الصفات مقام الموصوفات في أداء المعنى كقوله تعالى ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾ [القمر: 13]، قال «أراد السفينة وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنبأ منها وتؤدي مؤداها، بحيث لا يفصل بينهما»<sup>(4)</sup>، فهي كناية عن موصوف وهي: السفينة.

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 177/5.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 113/1.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 77/4.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 657/5.

وذكر الكناية عن الصفة في تفسيره لقوله تعالى ﴿حُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ [القمر: 07]، قال « فخشوع الأبصار: كناية عن الذلة والانخزال ؛ لأن ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران في عيوئهما»<sup>(1)</sup>، فتم العدول عن التصريح بصفة الذلة إلى الإشارة إليها بشيء مترتب عليها وملازم لها، وهو خشوع الأبصار .

ووضح المزية المعنوية للتعريض في قوله تعالى ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضَمِ إِذْ تَسُوْرُوا الْمِحْرَابَ﴾ [ص: 21]، قال « فإن قلت: لم جاءت على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح ؟ قلت: لكونها أبلغ في التوبيخ من قبل أن التأمل إذا أداه إلى الشعور بالمعرض به، كان أوقع في نفسه وأشد تمكنا من قلبه، وأعظم أثرا فيه، وأجلب لاحتشامه وحيائه، وأدعى إلى التنبه على الخطأ فيه من أن يبادره به صريحا، مع مراعاة حسن الأدب بترك المجاهرة، ألا ترى إلى الحكماء كيف أوصوا في سياسة الولد إذا وجدت منه هنة منكرة بأن يعرض له بإنكارها عليه ولا يصرح، وأن تحكي له حكاية ملاحظة لحاله إذا تأملها استسمح حال صاحب الحكاية فاستسمح حال نفسه، وذلك أزجر له؛ لأنه ينصب ذلك مثالا لحاله ومقياسا لشأنه، فيتصور قبح ما وجد منه بصورة مكشوفة»<sup>(2)</sup>، فهو يشير إلى بلاغة هذا الضرب من البيان، وبعده التعليمي والتربوي، فهو يسد مواضع الخلل ويقوم المسار دون أن يصرح بصاحبه، مما يرفع عنه الاحراج ويدفعه للامتنال لما طلب منه .

#### - علم البديع عند الزمخشري:

اختلفت رؤى الدارسين حول معالجة الزمخشري لألوان البديع، فمنهم من حصر اهتمامه بعلمي المعاني والبيان لما لهما من أهمية في استنطاق دلالة التراكيب وإبراز مزاياها الأسلوبية، وجعل علم البديع من منظوره متمما لهما، ومنهم من ضيق مجال دراسته لتشمل ثلاثة فنون بديعية معللين ذلك بعدم عنايته بالصنعة البديعية، ومن ذلك قول الجويني « والزمخشري حين يرى أن القرآن مختص بعلمين هما المعاني والبيان فهو في هذا يتأثر بعبد القاهر الذي يرى مزية الكلام الجمالية في معناه، وأما اللفظ فهو خادم المعنى، ولهذا فلن تظفر هنا بأكثر من ثلاثة ضروب من أضرب البديع على كثرتها، وليس

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 655/5.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 253/5.

الزمخشري بهذا منكرًا للصنعة البديعية، فيها يحسن الكلام ولكنها قشر من اللب، وما اللب إلا الظلال المعنوية والنفسية التي يوجبها نظم الكلام»<sup>(1)</sup>.

واعترض محمد بن محمد أبو موسى على رأي الجويني في وجود ثلاثة ضروب من البديع فقط<sup>(2)</sup>، كاشفا عن وجود فنون بديعية متباينة عاجلها الزمخشري في تفسيره كالطباق في قوله تعالى ﴿الْأَنبِيَاءُ هُمْ أَشْفَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 13]، قال «ذكر السفه وهو الجهل، فكان ذكر العلم معه أحسن طباقا له»<sup>(3)</sup>، حيث ورد الطباق بين لفظي (العلم والجهل) لوجود تضاد بينهما، وذكر اللف والنشر في تفسيره لقوله تعالى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: 185]، قال «فقوله: (ولتكمّلوا) علة الأمر بمراعاة العدة، و(لتكبروا) علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر، و(ولعلكم تشكرون): علة الترخيص والتيسير وهذا نوع من اللف لطيف المسلك، ولا يكاد يهتدي إلى تبينه إلا النقيب المحدث من علماء البيان»<sup>(4)</sup>، حيث يعتمد اللف على ذكر الأشياء المتعددة ثم ذكر ما يتصل بها بالترتيب الأول للأول والثاني للثاني وهكذا.

ومن المشكلة قوله تعالى ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي - وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: 116]، قال الزمخشري «المعنى تعلم معلومي، ولا أعلم معلومك، ولكنه سلك بالكلام طريق المشكلة، وهو من فصيح الكلام وبينه»<sup>(5)</sup>، ووقعت المشكلة في اللفظ الثاني (نفسك) منسوبة إلى الله وفيها مشكلة للنفس الأولى، والمراد يعلم الله ما في نفسي ولا أعلم ما عند الله عز وجل .

وفسر قوله تعالى ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: 22]، قال «قوله (من سبأ نبأ) من جنس الكلام الذي سماه المحدثون البديع، وهو من محاسن الكلام الذي يتعلق باللفظ، بشرط أن يجيء مطبوعا، أو يصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده، ولقد جاء ههنا زائدا على الصحة فحسن وبدع لفظا ومعنى ألا ترى أنه لو وضع مكان (نبأ) بخبر، لكان المعنى صحيحا، وهو

<sup>1</sup> - منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، مصطفى الصاوي الجويني، دار المعارف، مصر، ط2، د/ت، ص: 259.

<sup>2</sup> - ينظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، محمد بن محمد أبو موسى، ص: 573.

<sup>3</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 1/183.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 1/384.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ج 2/315.

كما جاء أصح لما في النبأ من الزيادة التي يطابقها وصف الحال»<sup>(1)</sup>، فهو يشير إلى الجنس الواقع في لفظتي ( سبأ ونبأ ) وما يحدثه من أثر جمالي في التركيب، مستحسننا ورود البديع في الخطابات شريطة مجيئها طبعاً دون كلفة .

والتوقف عند هذه الفنون البديعية فيه تدليل على اهتمام الزمخشري بها، وإبرازه للحسن الذي تضيفه على اللفظ والمعنى مجتمعين، مما يؤكد وجودها كفن متداول في أساليب العرب وكلامها، حيث غلب الجانب التطبيقي في دراسة الزمخشري لمباحث البلاغة (المعاني والبيان) ؛ إذ جعلهما ركيزتين لمعرفة وجوه إعجاز القرآن الكريم خاصة ما تعلق ببديع نظمه وتأليفه، فطبق نظرية النظم تطبيقاً واسعاً ركز فيه على بيان روائع التركيب القرآني من خلال معالجته لأساليبه من تقديم وتأخير، وحذف، تعريف وتنكير، ووصل وفصل ...، موضحاً الجمال الحادث عن مراعاة معاني النحو، ملتصقاً الأغراض البلاغية الناتجة عن مخالفة أصل العبارة بغية بلوغ مقاصد الناظم، كما تطرق للفنون البيان من تشبيه وتمثيل، ومجاز، واستعارة، وكناية موضحاً دورها في تصوير المعاني وتوضيح الدلالة وتقريبها للأذهان، فيغدو المعنى الخفي جلياً، والغائب مشاهداً، والبعيد قريباً متمثلاً .

#### - الدرس البلاغي عند ابن عطية الأندلسي (ت 546هـ) :

عمد ابن عطية الأندلسي في تفسيره إلى بيان معاني القرآن الكريم والوقوف على مقاصده، والكشف عن دقة تراكيبه، وجمالية أساليبه، وبديع تصويرو، وقد مكنه من ذلك ما امتاز به من تمكن وتنوع معرفي وعلمي؛ إذ عالج العديد من القضايا الفقهية واللغوية، وفق منهج منظم وعرض دقيق، ومن المسائل البلاغية التي ذكرها:

#### - الأساليب الإنشائية:

استجلى ابن عطية الأغراض البلاغية التي تتضمنها الأساليب الإنشائية، مدركاً خروجها عن معانيها الحقيقية إلى معان يقتضيها السياق، فقد بين دلالة الأمر في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحْلُوا شَعَثَرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقُلُودَ وَلَا ءَمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامَ يَنْتَعُونَ فَضلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [ المائدة: 2]، قال ابن عطية« وقوله تعالى ( فاصطادوا) صيغة أمر، ومعناه الإباحة بإجماع

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 4/447.

من الناس»<sup>(1)</sup>، ففي الآية بيان لحدود الله وفرائضه التي أوجبها، والأفعال التي نهى عنها في الحج، حيث أفاد الأمر في قوله تعالى ( فاصطادوا ) إباحة الصيد بعد تحللهم من الإحرام، وخص الصيد لرغبتهم الشديدة فيه.

وقوله تعالى ﴿ ذَرُّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [ الحجر: 3 ]، فسرهما بقوله «وقوله ( ذرهم يأكلوا ) الآية وعيد وتهديد، وما فيه من المهادنة منسوخ بآية السيف، وقوله: ( فسوف يعلمون ) وعيد ثان، وحكى الطبري عن بعض العلماء أنه قال: الأول في الدنيا، والثاني في الآخرة، فكيف تطيب حياة بين هذين الوعيدين؟»<sup>(2)</sup>، فحمل الأمر دلالة تهديد ووعيد للكافرين لانغماسهم الشديد في الدنيا وملذاتها، وإعراضهم عن الحق وعدم استجابتهم للنصح، وتأکید أن طلب النجاة يستوجب الاستعداد للآخرة.

ومثله قوله تعالى ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [ الأنفال: 12 ]، قال « ( فاضربوا الأعناق ) لفظه لفظ أمر ومعناه الخبر عن صورة الحال»<sup>3</sup>، ففيه بيان لفضل الله عز وجل على المؤمنين في تثبيتهم يوم بدر، وتأييدهم بالملائكة، وإلقاء الرعب في قلوب الكافرين، وإخبار عن قتال المؤمنين لعدوهم.

ووضح خروج النداء إلى أغراض بلاغية أخرى، ففسر قوله تعالى ﴿ قَالَ فَمَنْ رَّبُّكُمْ يَا مُوسَى ﴾ [ طه: 49 ]، قال « وقوله ( يا موسى ) بعد جمعه مع ( هارون ) في الضمير، نداء بمعنى التخصيص والتوقيف، إذ كان صاحب عظم الرسالة ولزيم الآيات»<sup>(4)</sup>، فوجه فرعون خطابه إلى موسى وهارون عليهما السلام بضمير مشترك ( فمن ربكما؟ ) ثم خص موسى عليه السلام بالنداء لعلمه أن موسى عليه السلام صاحب الرسالة وهارون عليه السلام وزيره ومعينه.

<sup>1</sup> - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن غالب، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ج2/148.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج3/350.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج2/508.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج4/46.

وقوله تعالى ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [ الحجر: 6 ]، قال « وقولهم ( يا أيها الذي نزل عليه الذكر) كلام على جهة الاستخفاف، أي بزعمك ودعواك، وهذه المخاطبة كما تقول لرجل جاهل أراد أن يتكلم فيما لا يحسن: يا أيها العالم لا تحسن تتوضأ»<sup>(1)</sup>، فكشف هذا النداء سوء أدب الكافرين وسخريتهم من النبي ﷺ وتكذيبهم للحق.

وأشار ابن عطية إلى الأغراض التي يفيدها الاستفهام، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [ البقرة: 28 ]، قال « لفظه استفهام وليس به، بل هو تقرير وتوبيخ، أي: كيف تكفرون بالله ونعمه عليكم وقدرته هذه؟ ... ومن قال: إن (كيف) تقرير وتعجب، فمعناه إن هذا الأمر إن عن فحقه أن يتعجب منه لغرابته وبعده عن المألوف من شكر المنعم»<sup>(2)</sup>، فهو استفهام بمعنى التعجب والتوبيخ والإنكار من كفرهم وقد خلقهم الله من العدم، ومن الله عليهم بأصناف النعم، ويميتهم، ثم يحييهم ليجازيهم على أعمالهم.

وفسر قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَوَلَمْ نُعْثِقْكُمْ مِنْ حَلْقًا جَدِيدًا ﴾ [ الإسراء: 49 ]، قال « وقوله ( إذا كنا عظاما ) هذه الآية في إنكارهم البعث، وهذا منهم تعجب وإنكار واستبعاد»<sup>(3)</sup>، فأفاد الاستفهام معنى المجد والإنكار منهم للبعث والحساب.

وأفاد الاستفهام التعجب والاستبعاد في قوله تعالى ﴿ قَالَ أَهَسَّرُنْتُ مُنِي عَلَى أَنْ مَسَّنِي الْكِبَرُ فَمِمَّ تُبَشِّرُونُ ﴾ (54) قَالَوا بِشَرِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تُكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ ﴾ [ الحجر: 54-55 ]، وضح ابن عطية ذلك بقوله « وقول إبراهيم عليه السلام ( فبم تبشرون) تقرير على جهة التعجب والاستبعاد لكبرهما، أو على جهة الاحتقار وقلة المبالاة بالمسرة الدنيوية لمضي العمر واستيلاء الكبر، قال مجاهد: عجب من كبره ومن كبر امرأته، وقد تقدم ذكر سنه وقت البشارة»<sup>(4)</sup>، والاستفهام في قوله ( فبم تبشرون) تعجيب من البشارة وقد مسه الكبر وزوجته، وقد يحمل دلالة أخرى وهي الاندهاش من الخير والسؤال عنه لتبتيته سرورا به بعد الانتظار الطويل لتحقيقه.

<sup>1</sup> - المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي، ج3/351.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج1/113-114.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج3/462.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج3/366.

### - التقديم والتأخير:

أشار ابن عطية إلى مواضع التقديم والتأخير في التركيب القرآني، موضحا الغرض البلاغي منه، ففسر قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:5]، قال «وقدم المفعول على الفعل اهتماما»<sup>(1)</sup>، فهو يرى أن المفعول (إياك) قد قدم على العامل (نعبد، نستعين) بغرض الاهتمام به، بينما رأى الزمخشري أنه تخصيص؛ أي: تخصيص الله عز وجل بالعبادة وطلب الاستعانة.

ومثله قوله تعالى ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ [طه: 129]، حيث وضحه بقوله «ثم أعلم عز وجل قبله، أن العذاب كان يصير لهم لازما، لولا كلمة سبقت من الله تعالى، في تأخيره عنهم إلى أجل مسمى عنده، فتقدير الكلام: ولولا كلمة سبقت في التأخير، وأجل مسمى، لكان العذاب لازما، كما تقول لكان حتما أو واجبا واقعا، لكنه قدم وأخر لتشابه رؤوس الآي»<sup>(2)</sup>، ففيه تقديم وتأخير، تقديره: (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لازما وأجل مسمى)، وفي ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عليه لتكذيبهم له، وتأخير العذاب ليوم القيامة فيه تكريم له ﷺ.

### - الحذف:

يعد الحذف من الأساليب المعهودة في كلام العرب؛ فيستعينون به لتحقيق أغراض بلاغية، تسهم في تقوية الكلام وتوضيح المعاني، وقد جاء القرآن الكريم وفق منهج العرب في الكلام، واتخذ من الحذف أسلوبا، وقد وقف ابن عطية عند مواضع الحذف، ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِعُضٍّ كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَرَبُّكُمْ إِلَيْهِمْ لَعَلُّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 73]، قال «الإشارة بذلك إلى الإحياء الذي تضمنه قصص الآية، إذ في الكلام حذف تقديره: فضربه فحيي»<sup>(3)</sup>، فجاء الحذف بغرض الإيجاز وتقديره: (فضربه فحيي وأخبر بمن قتله)، وهو ما يقع في القصص القرآني من حذف لدلالة القرائن والسياق عليه.

<sup>1</sup> - المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي، ج 1/72.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 4/69.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 1/165.

من الحذف قوله تعالى ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ [الشمس: 13]، قال ابن عطية « (ناقة الله وسقياها) نصب بفعل مضمر تقديره: احفظوا أو ذروا أو اذرخوا على معنى: اذرخوا الإخلال بحق ذلك... وقدم تعالى التكذيب على العقر لأنه كان سبب العقر»<sup>(1)</sup>، حيث ورد الحذف في سياق التحذير من إيذاء الناقة والإغراء بحمايتها امتثالاً لأمر الله عز وجل.

وقوله تعالى ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ يَدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: 26]، قال « وقيل: المراد ب(بيدك الخير) والشر فحذف لدلالة أحدهما على الآخر، كما قال (تقيكم الحر) [النحل: 81]، قال النقاش: (بيدك الخير) أي النصر والغنيمة، فحذف لدلالة أحدهما»<sup>(2)</sup>، وذكر (الخير) وحذف (الشر) استجابة للمقام، لأنه مقام ترجي المسلمين الخير والنصر من الله، وأيضاً للإيجاز فذكر أحدهما يقتضيان بذكر الآخر.

وفسر قوله تعالى ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى يَتِيَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كُتِبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [هود: 17]، قال « وفي هذه الآية معادلة محذوفة يقتضيها ظاهر اللفظ تقديرها: أفمن كان على يينة من ربه كمن كفر بالله وكذب أنبياءه؟ ونحو هذا - في معنى الحذف - ».<sup>(3)</sup>

ووضح ابن عطية الحذف في قوله تعالى ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: 73]، قال « وقال الزجاج عن المبرد: جواب (إذا) محذوف، تقديره بعد قوله: (خالدين) فيها سعدوا، وقال الخليل: الجواب محذوف تقديره: حتى جاؤوها فتحت أبوابها»<sup>(4)</sup>، ففي الآية تصوير لمشهد المؤمنين وهم يساقون إلى الجنة تكريماً لعملهم، وحذف جواب الشرط وتقديره: (حتى إذا جاؤوها سعدوا) بغرض التفخيم والتعظيم لما يلقونه فهم رأوا أمراً عظيماً ونعيماً كبيراً لا يحيطه الوصف.

<sup>1</sup> - المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي، ج 5/488-489.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1/417.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 3/159.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 4/543.



- المجاز:

يعتبر المجاز من الوسائل البيانية التي اعتمدها العرب في توضيح المعاني وإخراجها في صورة محسوسة، فقد أدرك ابن عطية حقيقته؛ حيث فسر قوله تعالى ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [البقرة: 22]، قال « وقوله تعالى ( أنزل من السماء ماء) يريد: السحاب سمى بذلك تجوزاً، لما كان يلي السماء ويقاربها، وقد سمو المطر سماء للمجاورة، ومنه قول الشاعر:

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضٍ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا

فتجوز أيضاً في (رعيناه)، فبتوسط المطر جعل السماء عشياً<sup>(1)</sup>، فأطلق السماء وأراد بها المطر لأنه ينزل منها فالعلاقة هي: المكانية، وقوله ( رعيناه) يشير إلى أثر المطر وهو نبات الأرض، فهو مجاز علاقته السببية، وقد أدرك ابن عطية مسوغات النقل المجازي للألفاظ وإن لم يصرح بمصطلحاته.

وفسر قوله تعالى ﴿وَأُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَحَتِ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: 16]، قال « وقوله تعالى ( فما ربحت تجارتهم) ختم للمثل بما يشبه مبدأه من لفظة الشراء وأسند الربح إلى التجارة، كما قالوا: ليل قائم ونهار صائم، والمعنى: فما ربحوا في تجارتهم<sup>(2)</sup>»، فنلمس من قوله فهمه للمجاز العقلي القائم على إسناد الفعل لغير فاعله وإن لم يصرح باسمه.

- التشبيه:

تناول ابن عطية في تفسيره التشبيه وحلل أركانه، مستجلباً جماليته في إخراج المعاني الخفية وتجسيدها في صورة حية، مما يسهم في توضيح المعاني وتقريبها، فقد فسر قوله تعالى ﴿حُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ [القمر: 7]، قال «وشبههم بالجراد المنتشر، وقد شبههم في أخرى بـ ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: 4]، وفيهم من كل هذا شبه، وذهب بعض المفسرين إلى أنهم أولاً كالفرش حين يمجون بعض ببعض ثم في رتبة أخرى كالجراد إذا توجهوا نحو المحشر والداعي<sup>(3)</sup>»، فيه تصوير لمشهد يوم القيامة وهيئة بعث الموت من قبورهم، حيث جاء تشبيههم

<sup>1</sup> - المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي، ج1/105 .

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج1/98.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج5/213.

بالجراد المنتشر لكثرتهم وتدافعهم واستتار بعضهم ببعض خوفا وترقبا، بينما شبهوا بالفراش لضعفهم وتفرق أجزائهم.

وصور التعبير القرآني مشهد هلاك قوم عاد، قال تعالى ﴿ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ [القمر: 20]، وفسره ابن عطية قال «وقوله (تنزع الناس) معناه: تنقلهم من مواضعهم نزعا فتطرحهم، وروي عن مجاهد: أنها كانت تلقي الرجل على رأسه فيفتت رأسه وعنقه وما يلي ذلك من بدنه، فلذلك حسن التشبيه بـ (أعجاز) النخل، وذلك أن المنقعر وهو الذي ينقلب من قعره، فذلك التشعث والشعب التي لأعجاز النخل، كان يشبهها ما تقطع وتشعث من شخص الإنسان»<sup>(1)</sup>.

وأشار إلى تشبيه شيئين بشيئين، فيقوم بذكر طرفين ويحذف طرفين لدلالة أحدهما على الآخر، وعده غاية البلاغة ونهاية الإيجاز، ومثاله قوله تعالى ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الْيَتِيمِ الَّذِي يَدْعُو بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ﴾ [البقرة: 171]، قال «المراد تشبيه واعظ الكافرين وداعيهم، والكافرين الموعوظين بالراعي الذي ينطق بالغنم أو بالإبل، فلا تسمع دعاءه ونداءه ولا تفقه ما يقول، هكذا فسر ابن عباس وعكرمة والسدي وسيبويه، قال القاضي أبو محمد: فذكر بعض هذه الجملة وترك البعض، ودل المذكور على المحذوف وهذه نهاية الإيجاز»<sup>(2)</sup>، فهو تشبيه مركب التحمت أجزاؤه لتشكيل صورة فريدة، حيث شبت حالة الكفار وهم يتلقون دعوة النبي ﷺ معرضين عنها من غير إدراك وتبصر بالحقائق بحالة الأغنام وهي تسمع نداء الراعي من غير فهم، وقد أشار ابن عطية إلى جمالية هذا التشبيه التي تجلت في إيجازه.

ومثله قوله تعالى ﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: 117]، قال «المثال القائم بالنفوس من إنفاقهم الذي يعدونه قرية وحسبة وتحنشا، ومن حبطه يوم القيامة، وكونه هباء منثورا وذهابه، كالمثال القائم بالنفس من زرع قوم نبت وأخضر، وقوي الأمل فيه فهبت عليه ريح فيها صر محرق، فأهلكته فوقع التشبيه بين شيئين وشيئين، ذكر الله عز وجل أحد الشيئين المشبه بهما، وليس الذي يوازي

<sup>1</sup> - المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي، ج 216/5.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 238/1.

المذكور الأول، وترك ذكر الآخر، ودل المذكوران على المتروكين، وهذه غاية البلاغة والإيجاز»<sup>(1)</sup>، فشبه إنفاق الكافرين في أعمال الخير وانتظارهم للشواب بريح فيها برد شديد أصابت زرع قوم فأهلكته وأثقلت زرعهم بعدما كانوا يأملون الخير الكثير، والجامع بينهما هو خيبة الرجاء.

#### - الاستعارة:

يرى ابن عطية أن الاستعارة مبنية على التشبيه فهي فرع منه، حيث عمد إلى تحليل الأسلوب الاستعاري موضحا بلاغة استعمال اللفظ في غير موضعه، لوجود علاقة بين المستعار منه والمستعار له أجازت هذا النقل، ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: 181]، قال «والذوق مع العذاب مستعار، عبارة عن المباشرة، إذ الذوق من أبلغ أنواعها وحاسته مميزة جدا»<sup>(2)</sup>، فاستعارة الذوق فيه تهكم على الكافرين وبيان لاستحقاقهم العذاب.

وفسر قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام: 36]، قال «يحتمل معنيين: قال الحسن: معناه: يبعثهم الله بأن يؤمنوا حين يوقفهم، قال القاضي أبو محمد: فتجيء الاستعارة في هذا التأويل في الوجهين: في تسميتهم موتى وفي تسمية إيمانهم وهدايتهم بعثا»<sup>(3)</sup>، فاطلاق لفظ (الموتى) على الكفار فيه تشبيه لجهلهم وكفرهم بالموت فهم لا يتدبرون الدلائل.

ومن الاستعارة قوله تعالى ﴿وَأَصْحُمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ؕ آيَةٌ أُخْرَى﴾ [طه: 22]، قال «ثم أمره الله عز وجل أن يضم يده إلى جنبه وهو الجناح استعارة ومجازا ومنه قول الراجز: "أضمه للصدر والجناح" ... وبعض الناس يقولون الجناح اليد وهذا كله صحيح على طريق الاستعارة»<sup>(4)</sup>، فلفظ (الجناح) مستعار (لليد)؛ لأن يد الإنسان كجناح الطائر.

<sup>1</sup> - المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي، ج 1/494-495.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1/548.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 2/289.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 4/42.

وقوله تعالى ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ [البقرة: 10]، قال «المرض عبارة مستعارة للفساد الذي في عقائد هؤلاء المنافقين وذلك إما أن يكون شكا وإما جحدا بسبب حسدهم مع علمهم بصحة ما يجحدون وبنحو هذا فسر المتأولون»<sup>(1)</sup>، فاستعير (المرض) لتصوير ما آلت إليه قلوب المنافقين من جهل وشرك وانحراف عن منهج الحق.

وجاء في قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَّبِعُونَهُ ظُلْمًا عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ ذَاخِرُونَ ﴾ [النحل: 48]، قال ابن عطية «ذكر الأيمان والشمائيل هنا على جهة الاستعارة لغير البشر أي تقدره ذا يمين وشمال وتقدره يستقبل أي جهة شئت ثم تنظر ظله فتراه يميل إما إلى جهة اليمين وإما إلى جهة الشمال وذلك في كل أقطار الدنيا»<sup>(2)</sup>.

ومثله قوله تعالى ﴿ فَأَلْمُورِيَّتِ قَدْحًا ﴾ [العاديات: 02]، قال ابن عطية «وقال عكرمة: الموريات قدحا هي الألسن، فهذا على الاستعارة، أي: إنها تقدح الحجج وتظهرها، ... وقال قتادة: الموريات الخيل تشعل الحرب، فهذا أيضا على الاستعارة البينة»<sup>(3)</sup>، فالموريات قدحا مستعار لإثارة الحرب؛ لأن الحرب تشبه النار.

#### - الكناية:

ذكر ابن عطية الأسلوب الكنائي في القرآن الكريم ووضح جماليته، ففسر قوله تعالى ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾ [القيامة: 26]، قال «والتراقي موازية للحلاقيم، فالأمر كله كناية عن حال الحشرة ونزاع الموت»<sup>(4)</sup>، ففيه إخبار عن حالة الاحتضار وما فيه من أهوال، ووردت الكناية بيانا لإشراق الموت ببلوغ النفس التراقي.

وتضمن التركيب القرآني كنايتين في قوله تعالى ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾ [الحجر: 65]، فقد أمر لوط عليه السلام بالخروج من المدينة مع أتباعه المؤمنين؛ لأن العذاب نازل بقومه، حيث كنى عن مواصلة السير والجِدّ فيه بعدم الالتفات، أما

<sup>1</sup> - المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي، ج 1/92.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 3/398.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 5/514.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 5/406.

الكناية الثانية فشرحها ابن عطية بقوله «و(الدابر) الذي يأتي آخر القوم في أدبارهم، وإذا قطع ذلك وأتى عليه فقد أتى العذاب من أولهم إلى آخرهم، وهذه الألفاظ دالة على الاستئصال والهلاك التام»<sup>(1)</sup>، فهي كناية عن هلاك واستئصال قوم لوط عليه السلام.

ووضح ابن عطية جمالية الكناية في قوله تعالى ﴿هَآئِثُمْ أُولَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامِنًا وَإِذَا حَلَوْا عَصُوا عَلَيْكُمْ الْأَمْرَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [آل عمران: 119]، قال: «قوله تعالى (عصوا عليكم الأنامل) عبارة عن شدة الغيظ مع عدم القدرة على إنفاذه، ومنه قول أبي طالب:

(يَعْضُّونَ غِيْضًا خَلَفْنَا بِالْأَنَامِلِ)

... وهذا العض هو بالأسنان، وهي هيئة في بدن الإنسان تتبع هيئة النفس الغائضة، كما أن عض اليد على اليد يتبع هيئة النفس النادمة فقط، إلى غير ذلك من عد الحصى والخط في الأرض للمهموم ونحوه»<sup>(2)</sup>، ففي قوله تعالى (عصوا عليكم الأنامل) كناية عن شدة غضب أعداء المسلمين وتحسرهم لعدم قدرتهم على إلحاق الضرر بهم، وفي ذلك بيان لحقيقتهم وما تخفيه صدورهم، وقد أوضح ابن عطية طرائق العرب في تصوير الحالات والمشاعر التي تعترى النفس من ندم وحسرة أو هم، فلا يصرحون بالمعنى الحقيقي وإنما يأتون بالمعنى الملازم له، وهو ما يضيفي على التعبير جمالية ورونقا.

ومن الكناية قوله تعالى ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 149]، فسرهما ابن عطية قال «والعرب تقول لمن كان ساعيا لوجه أو طالبا غاية ما، فعرضه ما غلبه وصدده عن وجهته وأوقفه موقف العجز عن بغيته وتيقن أنه قد عجز: سقط في يد فلان، وقال أبو عبيدة: يقال لمن قدم على أمر وعجز عنه سقط في يده»<sup>(3)</sup>، فهي كناية عن الندم.

<sup>1</sup> - المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي، ج3/368.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج1/497.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج2/455.

عالج ابن عطية في تفسيره العديد من القضايا البلاغية كخروج الأساليب الإنشائية عن معانيها الحقيقية إلى معان يقتضيها السياق، ودرس التقديم والتأخير مبرزاً أثرهما في التركيب، كما أدرك حقيقة المجاز ودوره في توضيح المعاني، وتناول الصور البيانية مستجلباً جمالياتها في إخراج المعاني الخفية وتجسيدها في صورة حية نابضة.

#### - الدرس البلاغي عند ابن الجوزي (ت 597هـ):

وضح ابن الجوزي حد البلاغة ناقلاً في ذلك أقوال العلماء، فقال « وقد تكلم العلماء في حد البلاغة فقال بعضهم: ( البلاغة) إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ، وقيل: (البلاغة) حسن العبارة مع صحة المعنى، وقيل: ( البلاغة) الإيجاز مع الإفهام، والتصرف من غير إضجار، قال خالد بن صفوان: أحسن الكلام ما قلت ألفاظه، وكثرت معانيه، وخير الكلام ما شوق أوله سماع آخره، وقال غيره إنما يستحق الكلام اسم البلاغة إذا سبق لفظه معناه، ومعناه لفظه، ولم يكن لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك»<sup>(1)</sup>، فالبلاغة تركز على حسن التأليف بين الألفاظ ومراعاة المقام وأحوال المخاطبين .

#### - الخبر والإنشاء:

وقف ابن الجوزي عند المعاني التي يخرج إليها الخبر، ففسر قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ [البقرة: 114]، قال «إنه خبر في معنى الأمر، وتقديره: عليكم بالجد في جهادهم كي لا يدخلها أحد إلا وهو خائف»<sup>(2)</sup>، فحمل الخبر دلالة الأمر بالجد في القتال حتى يمنعوا ظلم الكافرين، وصدّهم عن المساجد وتأدية العبادات.

وقوله تعالى ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: 227]، قال «أوعد شعراء المشركين، فقال (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا): أشركوا وهجوا رسول الله ﷺ والمؤمنين (أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) ...

<sup>1</sup> - زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي: أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي، المكتب الإسلامي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص: 296.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 83 .

ومعنى الكلام: أنهم ينقلبون إلى نار يخلدون فيها»<sup>(1)</sup>، فجاء الخبر بغرض التهديد والوعيد، فالظالمون مصيرهم النار.

وفسر قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنهَم نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن بَيْنِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [ الأنعام: 34 ]، قال « قوله سبحانه وتعالى ( ولقد كذبت رسل من قبلك ) هذه تعزية له على ما يلقي منهم، قال ابن عباس: ( فصبروا على ما كذبوا ) رجاء ثوابي، ( وأودوا ) حتى نشروا بالمناشير، وحرقوا بالنار ( حتى أتاها نصرنا ) بتعذيب من كذبهم»<sup>(2)</sup>، ففي الخبر تسليية للنبي ﷺ وطموين له مما لقيه من قريش من إعراض وتكذيب، وفيه تأكيد على التمسك بالصبر والتأسي بالأنبياء حتى يتحقق النصر والظفر الموعد.

#### - الإنشاء:

عالج ابن الجوزي أسلوب الاستفهام ووضح المعاني التي يخرج إليها، حيث فسر قوله تعالى ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْإِثْرِ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [ البقرة: 44 ]، قال « والألف في ( تأمرون ) ألف الاستفهام، ومعناه: التوبيخ»<sup>3</sup>، فحمل الاستفهام دلالة التوبيخ والتعجيب من حالهم، وهم يأمرون الناس بالتزام الطاعة ويغفلون أنفسهم، وكان الأولى توجيه النصح لأنفسهم.

وأفاد الاستفهام الإنكار في قوله تعالى ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْمِنُونَ النَّاسَ تَقِيرًا﴾ [ النساء: 53 ]، قال ابن الجوزي « هذا استفهام معناه الإنكار، فالتقدير: ليس لهم»<sup>4</sup>، ففي الآية بيان لشح اليهود وحسداهم فهم لا يتمنون الخير للمؤمنين، وجاء الاستفهام إنكاراً وتوبيخاً لما ادعوه من امتلاكهم الملك.

<sup>1</sup> - زاد المسير: ابن الجوزي، ص: 1039.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 434.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 58.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 292.

ووضح ابن الجوزي دلالة الاستفهام في قوله تعالى ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الحج: 44]، قال « والمعنى: كيف أنكرت عليهم ما فعلوا من التكذيب بالإهلاك؟ والمعنى: إني أنكرت عليهم أبلغ إنكار، وهذا استفهام معناه التقرير<sup>(1)</sup> ».

قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ [الأنبياء: 108]، قال ابن الجوزي « قال أهل المعاني: هذا استفهام بمعنى الأمر<sup>(2)</sup> »، ففيه قصر للألوهية على الله عز وجل والأمر بعبادته.

وأشار ابن الجوزي إلى المعاني التي يخرج إليها أسلوب الأمر، ومنها غرض التهديد حيث فسر قوله تعالى ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: 82]، قال « قوله عز وجل (فليضحكوا قليلاً) لفظه لفظ الأمر، ومعناه: التهديد<sup>(3)</sup> »، ففيه وعيد وتهديد للمنافقين بسوء العاقبة جزاء كفرهم وضلالهم واستغراقهم في ارتكاب المعاصي في الدنيا.

وفسر قوله تعالى ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: 2]، قال « لفظه لفظ الأمر، ومعناه الإباحة نظيره ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الجمعة: 10]، وهو يدل على إحرام متقدم<sup>(4)</sup> »، فأفادت صيغة الأمر معنى الإباحة، أي: إذا فرغتم من إحرامكم وأحللتم فيباح لكم الصيد.

كما وضح المعاني التي يخرج إليها النهي ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجرات: 11]، قال «أي: لا يستهزئ غني بفقر، ولا مستور عليه ذنبه بمن لم يستر عليه، ولا ذو حسب بلئيم الحسب، وأشبه ذلك مما يتنقصه به، عسى أن يكون عند الله خيراً منه<sup>(5)</sup> »، فخرج مخرج التوبيخ لما للسخرية من أثر في فساد أواصر الأخوة بين المسلمين.

<sup>1</sup> - زاد المسير: ابن الجوزي، ص: 960.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 946.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 598.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 352.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص: 1333.



### - التقديم والتأخير:

وقف ابن الجوزي عند مبحث التقديم والتأخير وبين موضع العنصر المقدم أو المؤخر، حيث فسر قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: 72]، قال «قوله تعالى (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا) هذه الآية مؤخرة في التلاوة، مقدمة في المعنى؛ لأن السبب في الأمر بذبح البقرة قتل النفس، فتقدير الكلام: وإذا قتلتم نفسا فادارأتم فيها، فسألتم موسى، فقال (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُذْبَحُوا بَقَرَةً) ونظيرها قوله عز وجل ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُمُ عَوْجًا﴾ [الكهف: 1]، أراد: أنزل الكتاب قيما، ولم يجعل له عوجا، فأخر المقدم وقدم المؤخر؛ لأنه من عادة العرب»<sup>(1)</sup>، فقدم الأمر بذبح البقرة على حادثة القتل، والتقدير: (وَإِذَا قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمْ فِيهَا فَقَلْنَا اذْبَحُوا بَقَرَةً واضربوه ببعضها)، والغرض من ذلك تقييد بني إسرائيل على جريمتهم، بالإضافة إلى تشويق النفوس إلى معرفة الغاية من ذبحها.

وقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: 26]، قال «قوله عز وجل (بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) فيه قولان: ... أن في الكلام تقدما وتأخيرا، تقديره: لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا، أي: تركوا القضاء بالعدل، وهو قول عكرمة»<sup>(2)</sup>.

وقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُجْزَوْنَ مَنَ هَاجَرُوا إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر: 9]، قال «فيها تقديم وتأخير، تقديره: والذين تبوؤوا الدار من قبلهم، أي: من قبل المهاجرين، والإيمان عطف على (الدار) في الظاهر، لا في المعنى، لأن (الإيمان) ليس بمكان يتبؤا، وإنما تقديره: وآثروا الإيمان، وإسلام المهاجرين قبل الأنصار»<sup>(3)</sup>، ففيه بيان للخصال التي اتسم بها الأنصار من جود وإيثار ومحبة لإخوانهم المهاجرين، فقد سكنوا دار الهجرة قبلهم.

### - الحذف:

أشار ابن الجوزي إلى الحذف في التركيب القرآني مقدرا المحذوف من ذلك تفسيره لقوله تعالى ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 127]، قال

<sup>1</sup> - زاد المسير: ابن الجوزي، ص: 69.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 1210.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 1416.

« قوله ( ربنا تقبل منا ) أي: يقولان: ربنا فحذف ذلك»<sup>(1)</sup>، فحذف الفعل ( يقولان ) وذكر مقول القول ( ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم )، حيث دل السياق على المحذوف.

قال تعالى ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: 79]، فمن الأقوال التي ذكرها « أن جماعة من أرباب المعاني قالوا: في الكلام محذوف مقدر، تقديره: فما هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا، يقولون: ما أصابك من حسنة، فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك فيكون هذا من قولهم، والمحذوف المقدر في القرآن كثير »<sup>(2)</sup>.

ومن الحذف قوله تعالى ﴿ وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: 60]، قال « قوله عز وجل ( ونحوفهم ) قال ابن الأنباري: مفعول ( نحوفهم ) محذوف، تقديره: ونحوفهم العذاب»<sup>(3)</sup>، فجاء الفعل ( نحوفهم ) بصيغة المضارع الدال على استمرار هذا التنبيه بإرسال الآيات، والوعيد بالعذاب، لعلمهم يرجعون لطريق الحق، ولكن استمروا في ظلمهم وضلالهم.

وذكر حذف المضاف في قوله تعالى ﴿ وَأُشْرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعُجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ [البقرة: 93]، قال «قوله عز وجل ( وَأُشْرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعُجْلَ ) أي: سقوا حب العجل، فحذف المضاف، وهو الحب، وأقام المضاف إليه مقامه، ومثله قوله عز وجل ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ﴾ [البقرة: 197]»<sup>(4)</sup>، ففي حذف المضاف بيان لتغلل حب العجل في قلوبهم واستحواذه على تفكيرهم حتى بلغ درجة العبادة.

وفسر قوله تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنعام: 27]، قال « والخطاب بهذه الآية للنبي ﷺ والوعيد للكفار، وجواب ( لو ) محذوف، ومعناه: لو رأيتهم في تلك الحال لرأت عجا»<sup>5</sup>، فحذف جواب الشرط وتقديره: (لرأيت أمرا عظيما)، ليترك للنفس تصور هذا الشهد الرهيب الذي لا يحيط به الوصف، وهم في حالة انكسار وذل وحزن، وندم على ما اقترفوا من ذنوب.

<sup>1</sup> - زاد المسير: ابن الجوزي، ص: 88.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 292.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 820.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 75.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص: 431.

- التشبيه:

تناول ابن الجوزي التشبيهات الموجودة في القرآن الكريم، مستجلبا جمالياتها ومحددًا الأركان المؤلفة لها، وقد عبر عنها باستعمال مصطلحات التالية: ( التشبيه والتمثيل والمثل)، ففسر قوله تعالى ﴿لَمَّا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ أَمْرٌ نَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا ﴾ [يونس: 24]، قال «هذا مثل ضربه الله للدنيا الفانية، فشبهها بمطر نزل من السماء فاختلط به نبات الأرض يعني التف النبات بالمطر وكثر»<sup>(1)</sup>، فالصورة التشبيهية مركبة من عناصر متضادة، حيث شبهت الحياة الدنيا بمطر نزل من السماء، فنبئت به أنواع النبات مما يقتات به الناس وتأكله الحيوانات، حتى إذا ظهر حسننها واعتقد أصحابها أنهم منتفعون بها، حلَّ بها الهلاك وكذلك الحياة في سرعة زوالها.

وقوله تعالى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾ [إبراهيم: 18]، بيّن معنى الآية بقوله «إن كل ما يتقرب به المشركون يحبط ولا ينتفعون به كالرماد الذي سفته الريح فلا يقدر على شيء منه، فهم لا يقدرّون مما كسبوا في الدنيا على شيء في الآخرة، أي: لا يجدون ثوابه ( ذلك الضلال البعيد) من النجاة»<sup>(2)</sup>، فشبهت أعمال الكافرين وعدم انتفاعهم بها يوم القيامة برماد مكسوس نثرته الرياح وتفرق بشكل لا يمكن جمعه، والجامع بينهما هو تلاشي الشيء المجموع وعدم الاستفادة منه.

وقال تعالى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ [الجمعة: 5]، قال «ثم ضرب لليهود الذين تركوا العمل بالتوراة مثلاً، فقال الله عز وجل (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ) أي كلفوا العمل بما فيها (ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا) أي لم يعملوا بموجبها، ولم يؤدوا حقها (كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا) وهي جمع سفر، والسفر: الكتاب، فشبههم بالحمار لا يعقل ما يحمل، إذ لم ينتفعوا بما في التوراة، وهي دالة على الإيمان بمحمد ﷺ»<sup>(3)</sup>، شبه اليهود في عدم استفادتهم بتعاليم التوراة بالحمار الذي يحمل الكتب الضخمة، ولا يعي ماهيتها ولا ينتفع بها.

<sup>1</sup> - زاد المسير: ابن الجوزي، ص: 621.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 744.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 1434.

- الاستعارة:

تعد الاستعارة وسيلة من وسائل التصوير الفني، الذي يهدف لإخراج المعنى الذهني والحالات النفسية المختزنة في صورة محسوسة مشخصة، حيث يضفي الأسلوب الاستعاري جمالية على التركيب لا تتحقق بالتعبير الحقيقي، وقد أدرك ابن الجوزي حقيقة الاستعارة ووضح العلاقة بين المستعار منه والمستعار له، ففسر قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: 106]، قال «أصل الذوق إنما يكون بالفم، وهذا استعارة منه، فكأنهم جعلوا ما يتعرف ويعرف مذوقاً على وجه التشبيه بالذي يعرف عند التطعم، تقول العرب: قد ذقت من إكرام فلان ما يرغبني في قصده، يعنون: عرفت، ويقول: ذق الفرس، فاعرف ما عنده»<sup>(1)</sup>، فاستعير لفظ (الذوق) للعذاب، والجامع بين ذوق الطعام وذوق العذاب هو الإحساس به، ولهذا التعبير وقع شديد على النفوس.

وفي قوله تعالى ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [المائدة: 64]، قال «ذكر إيقاد النار مثل ضرب لاجتهادهم في المحاربة، وقيل: أن الأصل في استعارة اسم النار للحرب، أن القبيلة من العرب كانت إذا أرادت حرب أخرى أوقدت النار على رؤوس الجبال، والمواضع المرتفعة، ليعلم استعدادهم للحرب، فيتأهب من يريد إعانتهم، وقيل: كانوا إذا تحالفوا على الجِدِّ في حربهم، أوقدوا نارا، وتحالفوا»<sup>(2)</sup>، فشبه تهيج الشر والتحريض على الفتنة بإيقاد النار، والجامع بينهما هما حالة السكون، فإن أقدم أحد على إشعالها حدث تهيج مخلفا هلاكاً وإزهاقاً في النفوس، فكان اللفظ المستعار أقوى وأبلغ دلالة.

وفسر قوله تعالى ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ﴾ [الكهف: 77]، قال «فإن قيل: كيف نسبت الإرادة إلى ما لا يعقل؟ فالجواب: أن هذا على وجه المجاز تشبيهاً بمن يعقل ويريد؛ لأن هيئته في التهيؤ للوقوع قد ظهرت كما يظهر من أفعال المريدین القاصدين فوصفت بالإرادة إذ كانت الصورتان واحدة، وقد أضافت العرب الأفعال إلى ما لا يعقل تجوزاً، قال الله تعالى ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ

<sup>1</sup> - زاد المسير: ابن الجوزي، ص: 215.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 396.

مُوسَى الْقَصْبُ أَخَذَ الْأَلْوَاخَ ﴿ [الأعراف: 154]، والغضب لا يسكت وإنما يسكت صاحبه»<sup>(1)</sup>، فشبه الجدار بالكائن الحي المالك للإرادة؛ وقد عمد التشخيص على إخراج المعنى وبعث الحياة فيه.

وقوله تعالى ﴿ وَأَشْتَقَلَّ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ [مريم: 4]، قال « يعني: انتشر الشيب فيه كما ينتشر شعاع النار في الحطب، وهذا من أحسن الاستعارات»<sup>(2)</sup>، فشبه انتشار الشيب في الرأس باشتعال الرأس والجامع بينهما السرعة والشمول.

#### - الكناية:

أدرك ابن الجوزي أثر الكناية في تجسيد المعاني وتقريب المفاهيم، حيث اتسمت بجملة من خصائص مكنيتها من التأثير في المتلقين، وتوجيه انتباههم لأمر معين، ففسر قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا لَوْطًا سَيِّئًا ﴾ [هود: 77]، قال « قوله عز وجل ( وضاق بهم ذرعا) ذكر ابن الأنباري أن فيها ثلاثة أقوال منها: أن معناه: وقع به مكروه عظيم لا يصل إلى دفعه عن نفسه، فالذرع كناية عن هذا المعنى»<sup>(3)</sup>، ففيه تصوير بديع لما اعتري لوطا عليه السلام من ضيق وغم وعجز عن الدفاع عن ضيوفه أمام قوم عرفوا بتشبههم بالفاحشة، فكان التعبير بالكناية (ضاق بهم ذرعا) أدل على هذا الموقف.

وقوله تعالى ﴿ فَإِنَّمَا يَسْتَرْزِنُهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الدخان: 58]، قال « وفي قوله عز وجل ( فإنما يسرناه) أي: سهلناه، والكناية عن القرآن ( بلسانك) أي: بلغة العرب ( لعلهم يتذكرون) أي: لكي يتعضوا فيؤمنوا»<sup>(4)</sup>، فاعتبر ابن الجوزي قوله تعالى ( بلسانك) كناية عن اللغة، ويمكن أن نلمس اعتبارا آخر وهو أن لفظ ( اللسان) وهو الجارحة قد أطلق وأريد به ( اللغة)؛ إذ يعد آلة الكلام وما يستعمل فيه، ومقصد الآية وهو تيسير القرآن الكريم حتى يتمكن تبدره وتذكره.

فسر قوله تعالى ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ [يونس: 122]، ونقل فيها أقوال العلماء ثم بين أن أثر القدم على اليد قال « فإن قيل: لم أثر القدم هاهنا على اليد، والعرب

<sup>1</sup> - زاد المسير: ابن الجوزي، ص: 864-865 .

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 877.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه ، ص: 664.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 1292 .

تستعمل اليد في موضع الإحسان؟ فالجواب: أن القدم ذكرت هاهنا للتقدم، لأن العادة جارية بتقديم الساعي على قدميه، والعرب تجعلها كناية عن العمل الذي يتقدم فيه ولا يقع فيه تأخر، قال ذو الرمة: لَكُمْ قَدَمٌ لَا يُنْكِرُ النَّاسُ أَنَّهَا مَعَ الْحَسَبِ الْعَادِيِّ طَمَّتْ عَلَى الْبَحْرِ»<sup>(1)</sup>.

اعتبر ابن الجوزي التركيب القرآني ( قدم صدق) كناية عن السعي والمضي في القيام بالعمل، ويمكن أن يكون مجازاً فأطلق لفظ ( القدم) على ( السبق) لكونها سببه وآلته فسمي المسبب باسم السبب.

أسهم ابن الجوزي في إثراء الدرس البلاغي من خلال معالجته للعديد من القضايا البلاغية، فدرس الأساليب الإنشائية وبين المعاني التي تخرج إليها، وفسر معاني التراكيب التي تتضمن تقديماً، أو تأخيراً، أو حذفاً، موضحاً جمالياتها، كما تناول الصور البيانية وأثرها في استجلاء المعاني وتقريبها.

#### - الدرس البلاغي عند فخر الدين الرازي ( 606هـ ) :

أشاد فخر الدين الرازي بجهد عبد القاهر الجرجاني وبراعته في استنباط أصول علم البيان وقوانينه، وتبنيته لركائزه من خلال ربط التراكيب اللغوية بمعاني النحو، لتظهر بها جودة النظم، وتوضح أغراض المتكلم، حيث استلهم الرازي المادة البلاغية منه، وقام بتلخيص كتابيه ( دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة )، ولاحظ غياب الترتيب والتبويب فيهما ووجود الإطناب، ما دفعه لتأليف كتابه " نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز "، الذي كشف عن أدبيته الفذة ومقدرته التحليلية التي سلك بها منهجاً فريداً حمل في طياته تقسيمات وتفريعات جديدة .

فقد امتاز بدقة التفكير والقدرة على تشيعب المسائل وحصر أقسامها والإحاطة بجوانبها، يقول الصفدي « أتى في كتابه بما لم يسبق إليه، لأنه يذكر المسألة ويفتح باب تقسيمها وقسمة فروع ذلك التقسيم، ويستدل بأدلة السير والتقسيم، فلا يشذ منه عن تلك المسألة فرع لها بها علاقة، فانضبطت له القواعد وانحصرت معه المسائل »<sup>2</sup>، حيث جمع خلاصة السابقين ( الرماني، الجرجاني، الزمخشري ..) في علومهم النقلية والعقلية، وأسس تصوره البلاغي متبنياً بعضها ومفنداً البعض الآخر،

<sup>1</sup> - زاد المسير: ابن الجوزي، ص: 616.

<sup>2</sup> - كتاب الواقي بالوفيات، الصفدي: صلاح الدين خليل بن أبيك، تح: محمد بن عبيد الله محمد بن محمود، دار فرانز شتاينر بفسبادن، ط2، 1974، ج 249/4.

مفصلاً مباحث علمي المعاني والبيان كحديثه عن التقديم والتأخير، والالتفات والفصل والوصل والمجاز والتشبيه والاستعارة والكناية ...

#### - التقديم والتأخير:

وضح الرازي أن العدول في نظام الجملة من تقديم عنصر من عناصرها أو تأخيرها، يكون لغرض بلاغي يتبعه المتكلم، وبيانه « أن الشيء إذا قدم على غيره، إما أن يكون على النية مؤخرًا، وهو كخبر المبتدأ إذا قدم عليه، والمفعول إذا قدم على الفاعل، وإما أن لا يكون على نية التأخير، ولكن على أن تنقل الشيء من حكم إلى حكم آخر، مثل أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل منهما أن يكون مبتدأ، ويكون الآخر خبرًا له، فتقدم مرة هذا على ذاك، وأخرى ذاك على هذا، ... قال سيبويه عندما يذكر الفاعل والمفعول: كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعًا يهملانهم ويعنيانهم»<sup>(1)</sup>، ففي نصه إشارة لأضرب التقديم والتأخير، فقد يقدم عنصر في الجملة وحقه التأخير؛ ولكنه يحافظ على حكمه الإعرابي كتقديم المفعول على الفعل بغرض العناية أو التخصيص أو تعجيل المسرة أو غيرها من الأغراض، أما الضرب الثاني فهو التقديم الذي يصحبه تغيير في الحكم الإعرابي بغية الوصول للأداء التعبيري المقصود، في حين دل استشهاده بنص سيبويه على مقدرة الفذة في النفوذ لدقائق التراكيب، واستخراج المعاني المبطنة التي ضمنت عن وعي داخل الخطاب، حيث اتخذ المتكلم من التقديم وسيلة للتبليغ، لتحقيق بذلك غايات الخطاب الوظيفية والجمالية، وإلا كان خرق نظام الجملة وتغيير رتب عناصرها دون مصوغ بلاغي ضربًا من اللغو يسفر عن فساد في النظم وغموض في المعاني.

فلم يحصر الرازي أغراض التقديم في العناية والاهتمام بشأن المقدم فقط، وإنما التمس أغراضًا أخرى في ثنايا تحليله للتراكيب، ومنها التقرير قال « فأما التقرير، فإذا قلت: (أأنت فعلت ذاك) كان غرضك أن تقر بأنه الفاعل كقوله تعالى حكاية عن قوم نمرود ﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِلَهُهِمْ﴾ [الأنبياء: 62]، فلا شبهة في أنه ليس غرضهم أن يقر لهم بوجود كسر الأصنام، ولكن بأن يقر بأن

<sup>1</sup> - نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، الرازي: فخر الدين محمد بن عمر، تح: نصر الله حاجي مفتي أوغلي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص: 181.

الفعل كان منه، لا من غيره»<sup>(1)</sup>، فالتقديم خدم الغرض الدلالي لأن الشك كان في الفاعل والمسبب للحدث، وليس الفعل لأنه كان ماثلاً وموجوداً أمامهم .

وقد يرد التقديم بغرض الإنكار، وبينه الرازي بقوله « أما الإنكار فكقوله تعالى ﴿ أَفَأَصْفَنكُمْ رَسُولُكُمْ بِالْبَيْنِ ﴾ [ الإسراء: 40 ] ... فالإنكار ههنا في نفس الفعل وأما إذا قدم الاسم ففيه يتوجه الإنكار إلى الفاعل، كقولك: لمن انتحل شعرا: "أأنت قلت هذا الشعر؟ كذبت، لست ممن يحسن مثله"؛ فأنكرت أن يكون القائل هو، ولم تنكر الشعر»<sup>(2)</sup>، ففي التركيب يتم مراعاة العنصر الذي يرد بعد همزة الاستفهام، فإن كان فعلا خص بالإنكار والتوبيخ لحدوثه، وإن كان اسما أنكر على صاحبه وشكك في قدرته على القيام به.

وكما تحدث عن التقديم والتأخير في الاستفهام تحدث أيضا عن التقديم والتأخير في النفي، قال « النفي إذا أدخلته على الفعل فقلت: " ما ضربت زيدا"، كنت قد نفيت فعلا لم يثبت له مفعول، لأنك نفيت عن نفسك ضربا واقعا بزيد، وذلك لا يقتضي كونه مضروبا، بل ربما لا يكون مضروبا أصلا، وإذا أدخلته على الاسم، كقولك: " ما أنا ضربت زيدا"، لم تقله إلا وزيد مضروب، وكان القصد أن تنفي أن تكون أنت الضارب»<sup>(3)</sup>، فإذا جاء الفعل بعد حرف النفي حمل نفي حدوثه، أما إذا جاء الاسم بعدها أثبت حدوث الفعل لكنه نفى صدوره عن المتكلم وقيامه به.

ويكون التقديم والتأخير في الخبر المثبت ويحمل معاني ودلالات « فإذا قدمت الاسم فقلت: (زيد قد فعل) و(أنا فعلت) اقتضى أن يكون القصد إلى الفاعل، وقولي: القصد إلى الفاعل يحمل وجهين: الأول: أن يكون الغرض تخصيص ذلك الفعل بذلك الفاعل. الثاني: أن لا يكون المقصود هو التخصيص، بل لأجل أن تقديم ذكر المحدث عنه بحديث أكد لإثبات ذلك الفعل له»<sup>(4)</sup>، فتحليل البنية التركيبية للأساليب ومعرفة رتبها ومواقعها داخل نظام الجمل، له أهمية كبيرة في الكشف عن المعاني والوصول إلى أغراضها الدلالية، وهو ما التمسه الرازي في تحليله للتركيب اللغوية، مؤكداً أن التقديم والتأخير وسيلة تعبيرية يستعين به المتكلم في عملية تكوينه للخطاب؛ إذ يكون حريصا على

<sup>1</sup> - نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، الرازي، ص: 182.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 183.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 186.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 187.



وضع كل لفظة موضعها الأنسب في التركيب، الذي يضيف عليها رونق الصياغة وحسن الرصف، مما يدفع المتلقي لاستنباط الغرض الدلالي من التقديم والباعث من مخالفة الأصل.

#### - الفصل والوصل:

أشار الرازي إلى أهمية الفصل والوصل في الكشف عن معاني التراكيب، جاعلا حد البلاغة في الظفر بمباحثه والإحاطة بجزئياته ؛ إذ ضبط معاقد هذا الباب بقوله « فائدة العطف، التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه، ثم من الحروف العاطفة ما لا يفيد إلا هذا القدر، وهو الواو، ومنها ما يفيد مع ذلك فائدة زائدة مثل: "الفاء"، و"ثم" فإنهما يفيدان الترتيب، فأما "الفاء" فمن غير التراخي، وأما "ثم" فمع التراخي، و"أو" فإنه يفيد التردد، وغرضنا ههنا متعلق بالبحث عما لا يفيد إلا الاشتراك»<sup>(1)</sup>، ففي قوله تفصيل لمعاني حروف العطف والدلالات التي تصفيها داخل النظم، فهي تفيد الاشتراك ومعاني أخرى، بينما "الواو" تفيد الاشتراك فقط وعليها يقوم مبحث الفصل والوصل، حيث بين الرازي المواضع التي يتم فيها الربط بين الجمل، والمواضع التي يترك فيها العطف، مؤكداً أن الوصل يقتضي ضوابط معينة تدخل في منطق الاستعمال وجب مراعاتها، قال «العطف إما في المفردات أو في الجمل، أما في المفردات، فإنه يقتضي التشريك في الإعراب، ليستدل به على التشريك فيما يوجب الإعراب، وأما في الجمل، فالجملة: إما أن يكون قوتها في المفرد، كقولك: "مررت برجل خلقه حسن، خلقه قبيح"، فقد أشركت بين الجملتين في الإعراب، وهو الجر بكونهما صفة لنكرة ليستدل به على التشريك في المعنى، وهو كون كل واحد منهما تقييدا للموصوف وتخصيصا به»<sup>(2)</sup>.

فقد جعل من عطف المفرد على المفرد أصلا بنى عليه عطف الجملة على الجملة، فوصل الجمل التي لها محل من الإعراب يعني مشاركة المعطوف للمعطوف عليه في حكمه الإعرابي ووظيفته النحوية الدلالية، فالمثال الذي ضربه ( مررت برجل خلقه حسن، خلقه قبيح ) وردت الجملتان في محل جر صفة الرجل، فالقصد بالوصل التشريك في الحكم الإعرابي .

<sup>1</sup> - نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: الرازي، ص: 197.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 197.

وجعل الرازي الجمل ثلاثة أقسام « إما أن يكون معنى إحدى الجملتين لذاته متعلقا بمعنى الجملة الأخرى، أو لا يكون، فإن لم يكن، فإما أن يكون بين الجملتين مناسبة أو لا يكون فالأقسام لا تزيد على هذه الثلاثة »<sup>(1)</sup>.

فيترك العطف بين الجملتين إذا كانت الجملة الثانية توكيدا للجملة الأولى أو صفة لها، وعلل الرازي سبب الفصل بقوله « لما كان التعلق الذاتي حاصلًا استغني عن لفظ يدل على ذلك التعلق »<sup>(2)</sup>، ومثل له قوله تعالى ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [يوسف: 31]، حيث أسقط العاطف للاتحاد تام والامتزاج المعنوي بين التركيبين؛ لأن إثبات كونه ملكا تأكيد لنفي أن يكون بشرا.

ويجب الفصل عندما لا تكون المناسبة بين الجملتين « لأن العطف للتشريك، فحيث لا يكون مشاركة أصلا استحال العطف »<sup>(3)</sup>، واستشهد لذلك ببيت أبي تمام الذي سقط رونقه بسبب انعدام المناسبة بين أجزائه، قال « عابوا أبا تمام في قوله:

لَا وَالَّذِي هُوَ عَالِمٌ أَنَّ النَّوَى صَبْرٌ وَأَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمٌ

فإنه لما لم يكن بين مرارة النوى وبين كرم أبي الحسين مناسبة، ولم يحز ذكر العاطف »<sup>(4)</sup>، فالمناسبة شرط مهم لوجود العاطف وبدونها يختل المعنى؛ لأن « الواجب أن تكون مناسبة حاصلة في الجملتين بين المخبر عنهما فقط، أو المخبر بها فقط، لأجل كونهما متشابهين نحو: " زيد كاتب وعمرو ناثر "، أو أن تكونا متضادين نحو: " زيد طويل وعمرو قصير "، أو أن تكون المناسبة حاصلة من الجهتين جميعا، نحو قولنا: فلان يقول ويفعل، ويضر وينفع، ويأمر وينهى، ويسئ ويحسن، فإدخال العاطف في مثل هذا ضروري جدا لجعل فاعل الجملتين واحد »<sup>(5)</sup>، حيث يقتضي الوصل وجود جامع بين الجملتين، فلا يقع العطف موقعه حتى يكون معنى الجملة الثانية نظيرا أو مناقضا لمعنى الجملة الأولى، أو يكون الفاعل واحدا في الجمل فيذكر العاطف .

<sup>1</sup> - نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: الرازي ، ص: 197.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 198.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 198.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 198.

<sup>5</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ص: 198-199.

وهناك موضع آخر يتوجب الوصل، وضحه الرازي بقوله «وأما إذا لم يتعلق إحدى الجملتين بالأخرى تعلقا ذاتيا، ولكن بينهما مناسبة، فهنا يجب ذكر العاطف»<sup>(1)</sup>، فيوجد مناسبة في المعنى وارتباط بين المحدث عنه والمحدث به .

#### - الالتفات :

يعد الالتفات من الفنون البلاغية التي عهدتها العرب ووظفوها في تراكيبهم، إذ عرفوا بحب الافتنان والتصرف في وجوه الكلام، الذي يظهر مقدرتهم في صياغة التعابير وتمكنهم منها، فلكل موضع من مواضع الالتفات غاية دلالية ونكتة خاصة يتضمنها، وقد كشف الرازي عن المزايا الأسلوبية من توظيفه عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضَ رَوْسِي أَنْ تُمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ [ لقمان: 10 ]، قال « والعدول عن المغاية إلى النفس فيه فصاحة وحكمة، أما الفصاحة فمذكورة في باب الالتفات من أن السامع إذا سمع كلاما طويلا من نمط واحد، ثم ورد عليه نمط آخر يستطيه، ألا ترى أنك إذا قلت قال زيد كذا وكذا، وقال خالد كذا وكذا، وقال عمرو كذا وكذا، ثم إن بكرا قال قولاً حسناً يستطاب لما قد تكرر القول مرارا»<sup>(2)</sup>، فالانتقال من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم حمل جمالية أسلوبية وميزة بيانية تجلت في كسر رتابة الخطاب، وتحريك نشاط السامع مما يؤدي إلى تمكين المعنى، حيث جاء التنويع في الضمائر استجابة للمقام ومقتضيات الأحوال .

أما الحكمة الواردة في الآية فوضحها بقوله « أما الحكمة فمن وجهين: أحدهما: أن خلق الأرض ثقيل، والسماء في غير مكان قد يقع لجاهل أنه بالطبع، وبث الدواب يقع لبعضهم أنه باختيار الدابة ؛ لأن لها اختيار فنقول: الأول طبيعي والآخر اختياري للحيوان، ولكن لا يشك أحد في أن الماء في الهواء من جهة فوق ليس طبعاً، فإن الماء لا يكون بطبعه فوق ولا اختياراً، إذ الماء لا اختيار له فهو بإرادة الله تعالى ... الثاني: هو أن إنزال الماء نعمة ظاهرة متكررة في كل زمان متكررة في كل مكان، فأسنده إلى نفسه صريحاً ليتنبه الإنسان لشكر نعمته فيزيد له من رحمته»<sup>(3)</sup>، فالتحول في البنية التركيبية

<sup>1</sup> - نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: الرازي، ص: 198.

<sup>2</sup> - تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الرازي: مُجد فخر الدين، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 1981، ج 144-145

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 145/25

من الغيبة إلى التكلم حمل دلالة مهمة، تمثلت في إظهار قدرة الله تعالى في خلق السموات والأرض وتثبيت القشرة الأرضية بالجبال وبث الدواب، إلى جانب الإشارة إلى نعمة كبيرة وهي: إنزال الماء من السماء، والذي يتوقف على وجوده حياة البشر والأنعام، ولا ارتباطه بمشيئة الله وقدرته وجب على الإنسان الشكر حتى ينعم بفضل الله تعالى ورحمته .

وتوقف الرازي عند أسلوب الالتفات في قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُبِيرُ سَحَابًا فُسُقَّةً إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأُحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ اللَّهُ شُورٌ﴾ [ فاطر: 09 ]، قال «قال ( أرسل ) إسنادا للفعل إلى الغائب وقال ( سقناه ) بإسناد الفعل إلى المتكلم وكذلك في قوله ( فأحيينا ) وذلك لأنه في الأول عرف بنفسه بفعل من الأفعال وهو الإرسال، ثم لما عرف قال: أنا الذي عرفني سقت السحاب وأحييت الأرض، ففي الأول كان تعريفا بالفعل العجيب، وفي الثاني تذكيرا بالنعمة فإن كمال نعمة الرياح بالسوق والإحياء»<sup>(1)</sup>، فانتقل الأسلوب من المغاية إلى المتكلم ليظهر قدرة الله تعالى في إرسال الرياح لتحريك السحاب، فينزل المطر بإذنه على الأرض القاحلة، فتشقق ويخرج منها النبات والزرع وتبث فيها الحياة، وهو القادر على بعث العباد يوم القيامة وإحيائهم من جديد .

ووضح الرازي الحكمة من الانتقال من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (2) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3) مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [ الفاتحة: 2-5 ]، بأنه جاء استجابة للمقام فمن أول السورة إلى قوله (إياك نعبد) ثناء والثناء في الغيبة أولى، فلما شرع العبد في الصلاة بهذا الثناء، اقتضى المقام كرم الله له وإجابته في تحصيل القرية منه، فنقله سبحانه في قوله (إياك نعبد) إلى آخر السورة من مقام الغيبة إلى مقام الحضور .<sup>(2)</sup>

ولم تقتصر دراسة الرازي على مباحث علم المعاني وإنما توسعت لتشمل مباحث علم البيان؛ حيث استفاد في تحديد معالم كل فن، ممثلا لها بشواهد قرآنية وشعرية، معولا على ذائقته الأدبية في إبراز محاسن نظمها وأثرها في التركيب، مؤكدا أن ورود الصور البيانية يكون خدمة للمقام وتحقيقا للغاية الوظيفية والجمالية، لعجز التعبير الحقيقي عن تبليغ الدلالة المقصودة، ومن الفنون التي ذكرها:

<sup>1</sup> - تفسير الفخر الرازي، الرازي، ج 07/26.

<sup>2</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ج 255/1-256.

## - المجاز:

تداولت العرب المجاز في خطاباتها كضرب من التوسع في اللغة، لتفننها في صياغة التراكيب ونظم الكلام، وعرفه الرازي قال « المجاز هو " مَفْعَل " من جاز الشيء يجوزُه إذ تعدّاه، وإذا عَدَلَ باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي، أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً»<sup>(1)</sup>، واشترط لوجوده شرطين: أحدهما: النقل عن المعنى اللغوي الأصلي، والثاني: المناسبة أو العلاقة<sup>(2)</sup>، فلا يمكن استعمال لفظ في غير موضعه الأصلي دون وجود علاقة بين معناه الحقيقي والمعنى المنقول له، ومثال ذلك قول العرب: (رعينا الغيث) وهم يريدون (النبات)؛ ولأن الغيث سبب في وجود النبات وظف مجازاً للدلالة عليه.

وقسم الرازي المجاز ثلاثة أقسام، قال « المجاز إما أن يكون داخلاً في الإثبات أو في المثبت أو فيهما جميعاً، مثال ما وقع في الإثبات، قوله تعالى ﴿وَإِذَا ثَلِثْتَ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُمُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [ الأنفال: 2]، ... وقوله ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [ الزلزال: 2]، ... قوله ﴿تَوَتَّىٰ أْكُلَهَا﴾ [ إبراهيم: 25] ... فهذه الأفعال مستندة إلى غير الفاعل لأن الآيات لا تزيد العلم، ولا الأرض تخرج الأثقال، ولا النخلة توتّي الأكل»<sup>(3)</sup>، فالجواز في الإثبات هو المجاز العقلي أو الحكمي ويكون بإسناد الفعل لغير فاعله الحقيقي، فالآيات، والأرض، والنخلة لا إرادة لها ولا يصدر عنها الفعل على الحقيقة، وإنما الهادي، والمخرج، والمؤتي هو الله عز وجل، ومثل بقول الشاعر:

أَشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الْكَبِيرِ      كَرُّ الْغَدَاةِ وَمَرُّ الْعَشِيِّ

وعلق عليه بقوله «فالمجاز واقع في إثبات الشيب فعلاً لكرّ الغداة ومرّ العشيّ، لأنه فعل الله عز وجل في الحقيقة»<sup>(4)</sup>، فأسند الشيب لتعاقب الأيام مجازاً والحقيقة أنه واقع بإرادة الله عز وجل .

1 - نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: الرازي، ص: 87.

2 - المصدر نفسه، ص: 87-88.

3 - المصدر نفسه، ص: 89.

4 - المصدر نفسه، ص: 89-90.

أما المجاز في المثلث فهو استعمال اللفظ في غير موضعه الأصلي، ووضحه الرازي بقوله «ومثال ما دخل المجاز في المثلث دون الإثبات، قوله تعالى ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [فاطر: 90]، جعل خضرة الأرض ونضرتها بما فيها من النبات والأزهار حيوةً، فالمجاز دخل في المثلث، وأما في الإثبات فعلى الحقيقة، لأن فاعل ذلك هو الله تعالى»<sup>(1)</sup>، فوقع المجاز في لفظ الحياة؛ حيث جعلت خضرة الأرض وبهجتها بما يظهره الله تعالى فيها من نبات والأزهار حياة لها، فجعل ما ليس بحياة حياة لها على سبيل المجاز.

وكشف الرازي عن العلاقة القائمة بين اللفظ المنقول عنه (المعنى اللغوي) والمنقول له (المعنى المجازي)، مبينا وجه ملازمة بينهما والتي حصرها في اثني عشر وجهاً:<sup>(2)</sup>

- أحدهما: إطلاق السبب على المسبب والأسباب أربعة: القابل، والصورة، والفاعل، والغاية ...
- ثانيهما: إطلاق اسم المسبب على السبب: كتسمية المرض الشديد، والمذلة العظيمة بالموت .
- ثالثهما: تسمية الشيء باسم ما يشابهه كتسمية الشجاع أسداً.
- رابعها: تسمية الشيء باسم ضده، كقوله تعالى ﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: 40].
- خامسها: تسمية الجزء باسم الكل كإطلاق اللفظ العام، مع أن المراد منه الخصوص.
- سادسها: تسمية الكل باسم الجزء.
- سابعها: تسمية إمكان الشيء باسم وجوده، كما يقال للخمر التي في الدنّ: إنها مسكرة .
- ثامنها: إطلاق اللفظ المشتق بعد زوال المشتق منه، كقولنا للإنسان بعد فراغه من الضرب: إنه ضارب.
- تاسعها: المجاورة، كنقل اسم الراوية من الجمل ما يحمل عليه: من ظرف الماء.
- عاشرها: المجاز بسبب أهل العرف تركوا استعماله فيما كانوا يستعملونه فيه.
- حادي عشر: المجاز بسبب الزيادة والنقصان.

<sup>1</sup> - نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: الرازي، ص: 90.

<sup>2</sup> - المحصول في علم أصول الفقه، الرازي: فخر الدين محمد بن عمر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1992، ج1/323-325-326-327 .

- ثاني عشر: تسمية المتعلق باسم المتعلق، كتسمية المعلوم علما، والمقدور قدرة .

فتفصيله لعلاقات المجاز المرسل فيه إبراز لمعرفته الدقيقة بالتركيب، وقدرته في النفاذ داخلها للتنقيب عن دلالتها، من خلال تحديده للملابسات بين التعبير الحقيقي والمجازي والقائمة على غير المشابهة، مع تأكيده على وجود قرائن تمنع إرادة المعنى الحقيقي.

#### - التشبيه :

يعتبر التشبيه من الألوان البيانية التي كثر توظيفها في أساليب العرب المنظومة والمنشورة، فهو وسيلة تصويرية تهدف لتقريب المعاني البعيدة، وإظهار المعنى الخفي في صورة جلية، وتستحضر الغائب كمشهد متمثل، وقد قسمه الرازي باعتبار طرفيه ( المشبه والمشبه به ) إلى أربعة أقسام:

- القسم الأول: وهو « الذي يكون المشبه والمشبه به محسوسين، كقوله تعالى ﴿ وَالْقَمَرَ قَدْرَئِلُهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ [ يس: 39]، قوله تعالى ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ [ الرحمن: 24] »<sup>(1)</sup>، حيث شبه القمر بالعرجون ليصور نهاية مسيرته الطويلة؛ أي: القمر في تقوسه وانحنائه وضموره ونحافته عاد كالعرجون القديم اليابس، والتشبيه هنا من قبيل تشبيه المحسوس بالمحسوس؛ لكون طرفيه مدركين بحاسة البصر؛ لأن القمر في نهاية رحلته، وآخر منازلها يبدأ بالتقوس والاصفرار والدقة، حتى يعود كالعرجون القديم اليابس<sup>(2)</sup>، فالجامع بين القمر والعرجون القديم لم يكن الشكل فقط، وإنما اشتركا في معان أخرى لتتركب بها أجزاء صورة كاملة « لأن العرجون القديم لا يشارك القمر في الشكل فحسب، وإنما هناك معان أخرى، منها أن العرجون القديم كأنه شيء تائه لا يلتفت إليه، وكذلك القمر في هذه المرحلة تراه ضالا في السماء، لا تتعلق به الأبصار، ومنها أن كلا منهما كان موضع العناية وتعلق الأنظار، فالعرجون كان حامل الثمر والنفع، والقمر كان مرسل النور والهداية، وقوله ( حتى عاد ) يطوي قصة رحلة طويلة، بدأها هلالا ثم مضى في مسيرة طويلة حتى عاد...»<sup>(3)</sup>، أما الآية الثانية فتضمنت تشبيه محسوس ( السفن الضخمة ) بمحسوس ( الجبال ) لصفة مشتركة بينهما وهي العظم وال ضخامة.

<sup>1</sup> - نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: الرازي، ص: 103.

<sup>2</sup> - ينظر: القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1985، ص: 46.

<sup>3</sup> - التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، 1993، ص: 26.

- القسم الثاني: وهو « تشبيه المعقول بالمعقول، كتشبيه الموجود العاري عن الفوائد بالمعدوم، أو تشبيه الشيء الذي تبقى فوائده بعد عدمه بالموجود »<sup>(1)</sup>، ويقوم على تشبيه المعاني الكلية التي تدرك بالعقل، كتشبيه العلم بالحياة والجهل بالموت .

- القسم الثالث: وهو « تشبيه المعقول بالمحسوس كقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾ [النور: 39] »<sup>(2)</sup>، ويتم من خلال إيضاح الأمور المعنوية بالصور المحسوسة المرئية، ففي الآية تصوير لأعمال الكافرين في بطلانها وعدم انتفاعهم بها، حينما يكونون بحاجة ماسة لها بصورة سراب ببيعة يحسبه الظمآن ماء، فالجامع بينها ذلك التلهف والتعلق لبلوغ الهدف الذي يعقبه خيبة المطلب وتلاشي الأمل.

- القسم الرابع: وهو تشبيه المحسوس بالمعقول وذهب الرازي إلى عدم جوازه « لأن العلوم العقلية مستفادة من الحواس ومنتهية إليها، ولذلك قيل: من فقد حسا فقد فقد علما وإذا كان المحسوس أصلا للمعقول فتشبيبه به يكون جعلاً للفرع أصلاً، والأصل فرعاً وهو غير جائز، ولذلك لو حاول محاول المبالغة في وصف الشمس بالظهور، والمسك بالطيب، فقال: الشمس كالحنة في الظهور، والمسك كخلق فلان في الطيب، كان سخيفاً من القول »<sup>(3)</sup>، فالمعقول فرع المحسوس ومعرفة المحسوس أيسر من تمثيل المعقول، لذا يرد المشبه به في الغالب من المحسوسات لتحقيق به غاية التشبيه المتمثلة في الإيضاح والبيان وتمكين المعنى في نفس المتلقي، حيث يسهم الخيال في ضبط وصياغة الأمور العقلية في صورة حسية بديعة تدركها العقول.

#### - الاستعارة :

عرف الرازي الاستعارة بأنها « ذكر الشيء باسم غيره، وإثبات ما لغيره له، لأجل المبالغة في التشبيه »<sup>(4)</sup>، فهي لا تقوم عنده على نقل اللفظ من أصله اللغوي إلى معنى آخر بغرض الإبانة فقط، وإنما هي إثبات لمعنى لا يعلمه السامع من اللفظ ذاته وإنما من معنى اللفظ، حيث كشف هذا التعريف وجوه الاختلاف بين الاستعارة وغيرها من فنون البيان، فقولته ( ذكر الشيء باسم غيره ) تميز لها عن

<sup>1</sup> - نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: الرازي، ص: 104.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 104.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 104-105.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 133.



التشبيه محذوف الأداة، وقوله ( إثبات ما لغيره له ) توجيه للعناية بالاستعارة التخيلية، وقوله ( لأجل المبالغة في التشبيه ) تمييز لها عن باقي أنواع المجاز المرسل غير مقيد بعلاقة المشابهة .

وقسم الاستعارة إلى عدة أنواع معرفا كل نوع وممثلا له، فعرف الاستعارة الأصلية تعريفا مقتضبا فقال « قد عرفت أن الاستعارة الأصلية إنما تكون في أسماء الأجناس »<sup>(1)</sup>، فاسم الجنس في الاستعارة الأصلية قد يكون اسما جامدا لذات، أو اسما جامدا لمعنى أي: ما يدل على شيء معنوي، أو اسم جنس حقيقة .

ووضح الاستعارة بالكناية بقوله « هذا إنما يكون إذا لم يصح بذكر المستعار، بل بذكر بعض لوازمه تنبيهها به عليه، كقول أبي ذؤيب:

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا      أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

فكأنه حاول استعارة السبع للمنية، لكنه لم يصح بها، بل ذكر لوازمها تنبيهها بها على المقصود»<sup>(2)</sup>، فذكر المشبه ( المنية ) وحذف المشبه به ( الأسد ) وأبقى على لازمة من لوازمه (أنشبت أظفارها ) على سبيل الاستعارة المكنية، وهو المفهوم الذي اتفق عليه البلاغيون المتأخرون من أن الاستعارة المكنية هي تشبيه حذف منه المشبه به وأبقى على قرينة دالة عليه .

وحدد الفرق بين الاستعارة الترشيفية والمجردة بقوله « المعتبر في الاستعارة إما جانب المستعار منه، وهو أن يراعي جانبه وتولييه ما يستدعيه وتضم إليه ما يقتضيه أو جانب المستعار له، فالأول هو الترشيع، كقول النابغة<sup>3</sup>:

وَصَدْرُ أَرَاخِ اللَّيْلِ عَازِبٌ هَمِّهِ      تَضَاعَفْتُ الْأَحْزَانُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ

<sup>1</sup> - نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: الرازي، ص: 142.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 147.

<sup>3</sup> - ديوان النابغة الذبياني، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ص: 41

... وأما الثاني: فهو التجريد، كقوله تعالى ﴿فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ [النحل: 112] <sup>(1)</sup>، فتظهر بلاغة الاستعارة الترشيفية في تحقيقها للمبالغة وقيامها على تناسي التشبيه بذكر اللفظ المستعار، أما الاستعارة المجردة فهي التي قرنت بما يلائم المشبه حيث شبه أثر الجوع وما يخلفه من نخافة والاصفرار باللباس الذي يحيط بالكل لتظهر بذلك بلاغة الأسلوب الاستعاري .

#### - الكناية :

وضح الرازي مدلول الكناية بقوله « اعلم أن اللفظة إذا أطلقت وكان الغرض الأصلي غير معناها، فلا يخلو إما أن يكون معناها مقصودا أيضا ليكون دالا على ذلك الغرض الأصلي، وإما أن لا يكون كذلك، فالأول هو كناية، والثاني هو المجاز » <sup>(2)</sup>، فوضع حدود التمايز بين الكناية والمجاز فيطلق اللفظ في الكناية ويراد به غير معناه الذي وضع له مع جواز إرادة المعنى الأصلي لعدم وجود قرينة مانعة من ذلك، بينما يعرف المجاز بأنه استعمال لفظ في غير موضعه الأصلي مع وجود قرينة لفظية أو معنوية تمنع إرادة المعنى الحقيقي.

وكشف في موضع آخر عن الفرق بين الكناية والتعريض في محاولة منه لرسم معالم هذا الفن البلاغي، وفصله عن غيره من الفنون التي تداخلت مفاهيمها عند البعض، قال « الفرق بين الكناية والتعريض أن الكناية أن تذكر الشيء بذكر لوازمه، كقولك: فلان طويل النجاد، كثير الرماد، والتعريض أن تذكر كلاما يحتمل مقصودك ويحتمل غير مقصودك، إلا أن قرائن أحوالك تؤكد حملته على مقصودك » <sup>(3)</sup>، فلا يصرح بالشيء مباشرة في الكناية وإنما يكون بذكر لوازمه، فينتقل بها من المعنى الظاهر إلى المعنى الخفي غير المصرح به، بينما التعريض هو كلام يحمل معنى إضافي، يطوف حوله المتكلم يكاد يصرح به ولا يفعل، ويفهم من سياقه أنه تعريض بالمخاطب، ولا يستدعي استحضار صورة بعيدة عن الذهن .

<sup>1</sup> - نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: الرازي، ص: 145-146.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه ، ص: 160.

<sup>3</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 140/6.

وانفرد في تقسيمه للكناية على أساس الإثبات والنفي في المعنى، قال « وأما الكناية في الإثبات، فهي ما إذا حاولوا إثبات معنى من المعاني لشيء، فيتركون التصريح بإثباته له، ويثبتونه لما به تعلق كقوله:

إِنَّ السَّمَاخَةَ وَالْمَرْوَةَ وَالنَّدَى      فِي قُبَّةٍ ضُرِبَتْ عَلَى ابْنِ الْحَشْرِجِ<sup>(1)</sup>

فأثبت الشاعر عدة أوصاف لممدوحه (السماخة، المروءة، الندى) ولم يصرح بها، وإنما عدل عنها إلى الأسلوب الكنائي فجعلها في قبة ضربت عليه، فكان التعبير بذلك أبلغ من التصريح، بينما اعتبرها غيره كناية عن نسبة، وذلك بنسبة الكرم إلى الثياب مما يعني ثبوتها للممدوح.

هذا مثاله عن الإثبات، أما عن النفي فقال «ومثاله في جانب النفي قول من يصف امرأة بالعفة :

يَبِيتُ بِمَنْجَاةٍ مِنَ اللَّوْمِ بَيْتُهَا      إِذَا مَا يُبُوتُ بِالْمَلَامَةِ حُلَّتِ

فتوصل إلى نفي اللوم عنها بأن نفاه من بيتها<sup>(2)</sup>، فالشاعر لم يصفها مباشرة بالعفة، وإنما كنى عن ذلك بنسبة العفاف إلى بيتها مثبتا بذلك براءتها، فالكناية ضرورة تعبيرية يلجأ إليها الناظم لتحقيق أغراض معينة كالتهمك، أو عدم التجريح، أو تجنب إظهار معنى لنبوه عن الذوق مما يضيف رونقا وحسنا على التركيب.

<sup>1</sup> - نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: الرازي، ص: 160-161.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 161.

إن عناية فخر الدين الرازي بقضية الإعجاز القرآني دفعه للبحث في أسرار نظم المعجز ؛ حيث اتخذ من المباحث البلاغية وسيلة لبلوغ المقاصد الدلالية والظفر بالمعاني، وذلك من خلال الكشف عن جمالية العدول التركيبي والغاية من تقديم عنصر على آخر أو ترك ذكره وغيرها من الأساليب، كما بحث في الصور البيانية والفنية التي تضيفها على التراكيب.

## الفصل الرابع:

### مستويات البحث البياني في الدرس الإعجازي من التأسيس حتى نهاية القرن السادس الهجري

- المبحث الأول: مباحث المفردة القرآنية في الدرس الإعجازي من التأسيس حتى نهاية  
القرن السادس الهجري.

- المبحث الثاني: مباحث التركيب القرآني في الدرس الإعجازي من التأسيس حتى  
نهاية القرن السادس الهجري.

- المبحث الثالث: مباحث الأسلوب القرآني في الدرس الإعجازي من التأسيس حتى  
القرن السادس الهجري.

- المبحث الرابع: جمالية التصوير القرآني في الدراسات الإعجازية من التأسيس حتى  
نهاية القرن السادس الهجري.

## المبحث الأول: مباحث المفردة القرآنية في الدرس الإعجازي من التأسيس حتى نهاية القرن السادس الهجري

اهتم البيانون بقضية الإعجاز القرآني، وبادروا للكشف عن وجوه إعجازه، جاعلين من البلاغة آلية للظفر بأسراره البيانية ولطائفه التي حجت عن العامة لضعف مداركهم وإلمامهم بعلوم العربية من نحو وتصريف ومعاني وبيان... الأمر الذي حال بينهم وبين فهم معاني ومقاصد الذكر الحكيم وأوقعهم في كثير من اللبس والغموض؛ إذ تشعبت مسالكهم واختلفت تأويلاتهم بالرغم من وحدة الخطاب؛ ما دفع الأعلام للبحث عن دقائق التراكيب منطلقين من المفردة باعتبارها لبنة أساسية في تشكيل البنية الخطابية لما تحمله من معاني وعلاقات نتيجة تألفها وتجاورها مع غيرها من المفردات في نظم مخصوص «فالأداء القرآني يمتاز بالتعبير عن قضايا ومدلولات ضخمة في حيز يستحيل على البشر أن يعبروا فيه عن مثل هذه الأغراض، وذلك بأوسع مدلول وأدق تعبير، مع التناسق العجيب بين العبارة والمدلول»<sup>(1)</sup>، ما جعل العرب عاجزين عن الإتيان بمثل نظمه بالرغم من نزوله بما عهدوه من ألفاظ وأساليب ليقينهم أنه خطاب إلهي لا يمكن تحديده، فكل كلمة في القرآن وضعت موضعها الأخص الملائم للسياق، فلو جيء بمرادفها لم تفد الدلالة ذاتها «فالتعبير القرآني تعبير فني مقصود، كل لفظة بل كل حرف فيه وضع وضعا فنيا مقصودا، ولم ترع في هذا الوضع الآية وحدها، ولا السورة وحدها، بل روعي في هذا الوضع التعبير القرآني كله»<sup>(2)</sup>.

فقد اتسمت الألفاظ القرآنية بتلاؤم حروفها وفصاحتها وبعدها عن الغرابة، إلى جانب جمال وقعها في السمع واتساع دلالتها لما لا تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى<sup>(3)</sup>، حيث يختزن اللفظ اليسير أو اللفظة الواحدة المعاني الكثيرة وهي خاصية تفرد به القرآن الكريم، وظهرت مزية ألفاظه داخل نظمه الفريد «فكتاب الله لو نزع منه لفظة، ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد، ونحن تبين لنا البراعة في أكثره، ويخفى علينا وجهها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق، وجودة القرينة وميز الكلام»<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - من أسرار التعبير في القرآن صفاء الكلمة، عبد الفتاح لاشين، دار المريخ للنشر، الرياض، د/ط، 1983، ص: 06.

<sup>2</sup> - التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، دار عمار، عمان، الأردن، ط4، 2006، ص: 10.

<sup>3</sup> - ينظر: التعبير الفني في القرآن، بكري شيخ أمين، دار الشروق، بيروت، ط3، 1979، ص: 181.

<sup>4</sup> - المحرر الوجيز: ابن عطية، ج52/1.

فلا يمكن الإحاطة بالمعنى المراد دون الوقوف على الدلالة المعجمية للكلمة والمعاني الثانوية التي اكتسبتها داخل السياق، إلى جانب تبين صيغها الصرفية والتغيرات التي تطرأ على معناها، أو عدولها عن الأصل، ومعرفة حركاتها الإعرابية، فكلها عوامل تساعد على الظفر بالدلالة المقصودة، وهو مسلك لا بد لكل مفسر من الإمام بجوانبه، وفي ذلك يقول عبد الحميد الفراهي « المعرفة بالألفاظ المفردة هي الخطوة الأولى في فهم الكلام، وبعض الجهل بالجزء يفضي إلى زيادة جهل بالمجموع، وإنما يسلم المرء عن الخطأ إذا سد جميع أبوابه، فمن لم يتبين معنى الألفاظ المفردة في القرآن أغلق عليه باب التدبر، وأشكل عليه فهم الجملة، وخفي عنه نظم الآيات والسورة ».<sup>(1)</sup>

وقد وعى علماء البلاغة أهمية الألفاظ ودورها في تشكيل الدلالة الكلية للخطاب، فلو وضع لفظ في غير موضعه لنتج عنه فساد في نظم أو تكلف في الصياغة أو لبس في المعنى، مما يسفر عن تأويلات خاطئة لا يبتغيها الناظم، فجمايلية التراكيب لا تظهر إلا بضم الكلمات بعضها إلى بعض بطريقة مخصوصة لتشكل العلاقات بينها فتكتسب معاني إضافية تبرزها القرائن السياقية؛ بحيث يتناسب الكلام مع مقتضيات المقام، ويوضح الخطابي ذلك بقوله « اعلم أن عمود البلاغة هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به، الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه: إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة ».<sup>(2)</sup>

فاستعمال الألفاظ في القرآن الكريم كان دقيقاً ظهرت فيه الفروق في بنيات النظم وأساليبه، وهو ما تفتن إليه البيانون عند دراستهم لتراكيبه، حيث تساءلوا عن السر في اختيار لفظة دون غيرها رغم وجود كلمات أخرى تماثلها في المعنى؟ ليؤكدوا بعد دراستهم وجود فوارق لغوية بين الكلمات التي تظهر في أول وهلة أنها مترادفة، فالبيان القرآني « له القول الفصل فيما اختلفوا فيه حين يهدي إلى سر الكلمة لا تقوم مقامها كلمة سواها من الألفاظ المقول بترادفها ».<sup>(3)</sup>

<sup>1</sup> - مفردات القرآن نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية، عبد الحميد الفراهي، تح: محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2002، ص: 50.

<sup>2</sup> - بيان إعجاز القرآن : الخطابي، ص : 29

<sup>3</sup> - الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق دراسة قرآنية لغوية وبيانية، عائشة عبد الرحمن ( بنت الشاطئ )، ص: 209.

وتقوم هذه الدراسة على إبراز طريقة معالجة البيانين للمفردة القرآنية من خلال توضيحهم لمدلولها وأسرار اختيارها دون غيرها من الألفاظ المماثلة لها أو القريبة منها من حيث المعنى، وبيان أبنيتها الصرفية واشتقاقاتها المختلفة والتي تضيف دلالات إضافية للتركيب، إلى جانب الكشف عن أحوالها المتباينة من أفراد وتنشئة وجمع أو تأنيث وتذكير أو تعريف وتنكير وما ينتج عنها من دلالات دقيقة ولطائف بيانية تظهر تفرد الأسلوب القرآني.

#### - المفردة القرآنية ومدلولها (الفروق اللغوية):

حدد البيانون الفروق اللغوية بين الألفاظ التي يحسب كثير من الناس أنها متساوية في التعبير عن المعاني، موضحين غرضها وجمالياتها في التركيب، وخصوصية استعمالها دون غيرها من الكلمات، فقد ذكر الزمخشري الاختلاف الدلالي في توظيف القرآن لكلمات بعينها دون غيرها، حيث كشف عن جمالية التعبير القرآني في قوله تعالى ﴿وَأَوَّاهُوا للنِّسَاءِ صَدُقْتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَنُفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ [النساء: 04]، فقال « ففيل: فإن طبن ولم يقل: فإن وهبن أو سمحن، إعلاماً بأن المراعى هو تحافي نفسها عن الموهوب طيبة، وقيل "فإن طبن لكم عن شيء منه"، ولم يقل "فإن طبن لكم عنها" بعثاً لمن على تقليل الموهوب »<sup>(1)</sup>، فوظف القرآن لفظ ( طبن ) لما في ذلك من حث على إعطاء الصداق للنساء كاملاً فإن قدمن بعضه لأزواجهن فلا حرج في ذلك، وجاء ذلك مناسباً للسياق .

والتمس السر الجمالي من ورود لفظ ( فانجست ) في قوله تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَمَ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَّ وَأَوْرَثْنَا عِلْمَهُمُ الْمَنُّ وَالسَّلَوى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: 160] فقال « ( فانجست ) : فانفجرت، والمعنى واحد وهو الانفتاح بسعة وكثرة ... فإذا قلت: فهلا قيل: فضرِب فانجست ؟ قلت: لعدم الإلباس، وليجعل الإنجاس مسبباً عن الإيحاء بضرِب الحجر ؛ للدلالة على أن الموحى إليه لم يتوقف عن إتباع الأمر، وأنه من انتفاء الشك عنه، بحيث لا حاجة إلى الإفصاح به»<sup>(2)</sup>، في حين يرى البعض أن الانجاس يختص بأول

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 1/19.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 521/2-522.



الانبثاق وينصب من ضيق المخرج، في حين يكون الانفجار في آخره ويأتي بالماء الكثير؛، بينما جاء الانبجاس مع عصيانهم وتمردهم وخروجهم على أنبيائهم، لما فيه من ضعف الانبثاق ودقة خروج الماء .

وعلل الزمخشري مجيء كلمة ( النور ) بدل ( الضوء ) في قوله تعالى ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمٍ لَا يَبْصُرُونَ﴾ [البقرة: 17]، قال « فإن قلت: هلا قيل ذهب الله بضوئهم؛ لقوله (فَلَمَّا أَضَاءَتْ)، قلت: ذكر النور أبلغ؛ لأن الضوء فيه دلالة على الزيادة، فلو قيل: ذهب الله بضوئهم، لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا، والغرض إزالة النور عنهم رأسا وطمسه أصلا»<sup>(1)</sup>، فشبه المنافقون بمستوقد النار الذي طمس الله نوره؛ فلم يهتد بضوء النار ولم يستفد من الحرارة التي تنفثها، فكان ذلك تصويرا لحالتهم من إظهارهم للإيمان وإخفائهم للكفر، ومجيء لفظة (النور) بدل (الضوء) فيه استجابة لمقتضيات السياق وإزالة لتوهم قد يقع فيه السامع بأن ذهاب الضوء وهو حالة من حالات النور والذي تصحبه قوة إنارة يمكن أن يترك نورا، فجاء التعبير القرآني (ذهب الله بنورهم) إعلانا بذهابه كلياً، فقلوبهم ساهية عن الحق بعيدة عن الهداية.

ووضح سبب مجيء كلمة ( الدراية ) في قوله تعالى ﴿وَمَا تَذَرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَذَرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: 34]، قال « جعل العلم لله والدراية للعبد لما في الدراية من معنى الختل والحيلة»<sup>(2)</sup>، ناسب لفظ (الدراية) الدلالة المقصودة؛ إذ لا يمكن للبشر معرفة أحداث مستقبلية أو موعد ومكان مفارقتهم للحياة ومن ادعى معرفة ذلك فقد كذب واحتال على الناس؛ لأنها أمور استأثر الله بعلمها ولا يمكن أن يحيطوا بها علما.

وتبين الخاصية الدلالية من توظيف كلمة (المقت) في قوله تعالى ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: 03]، قال « واختير لفظ المقت لأنه أشد البغض وأبلغه، ... ولم يقتصر أن جعل البغض كبيراً حتى جعل أشده وأفحشه»<sup>(3)</sup>، فعبر بلفظ (المقت) دون البغض والكره لتوضيح الآثار المترتبة على القول الذي يخالفه العمل.

وكشف عن الميزة المعنوية في إيراد لفظ (العبادة) في قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: 05]، قال « والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل، ومنه: ثوب ذو عبدة: إذ كان في غاية الصفاقة وقوة

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 1/193.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 5/26.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 6/103.

النسج، ولذلك لم تستعمل إلا في الخضوع لله تعالى، لأنه مولى أعظم النعم، فكان حقيقاً بأقصى غاية الخضوع»<sup>(1)</sup>، ففي الآية تخصيص لله سبحانه بالعبادة والتوحيد وإعلان للخضوع التام لأوامره وطلب الإعانة منه على الطاعة وقضاء الحوائج.

وكشف البيانون عن الفروق اللغوية بين الألفاظ والباعث في اختيار القرآن للفظ دون غيره، كالفرق بين لفظتي (الخشية) و(الخوف) في قوله تعالى ﴿مَنْ خَشِيَ﴾ - الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿[ق: 33]، وحدده الرازي بقوله « وفي الآية لطائف معنوية الأول: (الخشية) و(الخوف) معنهما واحد عند أهل اللغة ؛ لكن بينهما فرق وهو أن الخشية من عظمة المخشي ؛ وذلك لأن تركيب حروف (خ ش ي) في تقاليبها يلزمه معنى الهيبة ؛ يقال شيخ للسيد والرجل الكبير السن، وهما جميعاً مهيبان، و(الخوف) خشية من ضعف الخاشي ؛ وذلك لأن في تركيب (خ و ف) في تقاليبها يدل على الضعف تدل عليه (الخيفة) و(الخفية) ولولا قرب معنهما لما ورد في القرآن (تضرعاً وخفية) و(تضرعاً وخيفة) والمخفي فيه ضعف كالحائف إذا علمت هذا تبين لك اللطيفة»<sup>(2)</sup>.

وحدد الفرق بين كلمتي (الخلق) و(الجعل) في قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: 01]، منطلقاً من الدلالة النحوية للفعل (جعل) الذي يتعدى إلى مفعول واحد إذا حمل معنى (أحدث وأنشأ) ويتعدى إلى مفعولين إذا حمل معنى (صير)، قال «الفرق بين (الخلق) و(الجعل) أن الخلق فيه معنى التقدير، وفي (الجعل) معنى: التضمين والتصيير كإنشاء شيء من شيء، و تصيير شيء شيئاً، ومنه قوله تعالى ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زُجُجًا﴾ [الأعراف: 189]، وقوله ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا﴾ [الرعد: 38]، وقوله ﴿أَجْعَلِ اللَّهُ إِلَهًا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [ص: 05]، وإنما حسن لفظ (الجعل) ههنا ؛ لأن النور والظلمة لما تعاقبا صار كأن كل واحد منهما إنما تولد عن الآخر»<sup>(3)</sup>، فقدم لفظ (الخلق) في الآية لأنه يحمل دلالة الإيجاد، بينما يكون (الجعل) حالة منبثقة عن الخلق وضرب من تصيير شيء عن شيء، فالله تعالى أنشأ السموات والأرض، وخلق الظلمات والنور، وجعل من تعاقب الليل والنهار دليلاً ظاهراً على قدرته ووحدانيته واستحقاقه للعبادة دون غيره .

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 1/118.

<sup>2</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 28/177.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 12/159.

وذكر الرازي خصوصية استعمال القرآن الكريم للفظي ( الغفران ) و( التكفير ) في قوله تعالى ﴿رَبَّنَا فَاعْفُزْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [ آل عمران: 193 ]، قال « أما ( الغفران): فهو الستر والتغطية و( التكفير ) أيضا هو التغطية ... و( المغفرة ) و( التكفير ) بحسب اللغة معناهما واحد، أما المفسرون فذكروا فيه وجوها: أحدهما: أن المراد بهما شيء واحد، وإنما أعيد ذلك للتأكيد ؛ لأن الإلحاح في الدعاء والمبالغة فيه مندوب، وثانيها: المراد بالأول ما تقدم من الذنوب، والثاني: المستأنف وثالثهما: أن يريد بالغفران ما يزول بالتوبة، وبالكفران ما تكفره الطاعة العظيمة، ورابعها: أن يكون المراد بالأول ما أتى به الإنسان مع العلم بكونه معصية وذنباً، وبالثاني ما أتى به الإنسان مع جهله بكونه معصية وذنباً ». (1)

ووضح الزمخشري الفرق بين ( الخوف والحزن ) في قوله تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَإِلَيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [ القصص: 07 ]، قال « فإن قلت: ما الفرق بين الخوف والحزن ؟ قلت: الخوف غم يلحق الإنسان لمتوقع، والحزن: غم يلحقه لواقع وهو فراقه والإخطار به، فنهيت عنهما جميعاً، وأومنت بالوحي إليها، ووعدت ما يسليها ويطامن قلبها وملؤها غبطة وسرورا : وهو رده إليها وجعله من المرسلين» (2)، فالخوف مرتبط بالحوادث التي يترقبها الإنسان ويتوقع ضررها، لذا أوحى الله تعالى إلى أم موسى إن هي خافت عليه من جنود فرعون أن تلقيه في اليم، وأن لا تخاف عليه المكاره ولا تيأس من عودته ؛ لأنه سيرد إليها ويكون من المرسلين .

وفرّق بين ( البث والحزن ) في قوله تعالى ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزِّي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [ يوسف: 86 ]، قال «البث: أصعب من الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه إلى الناس أي ينشره، ومنه: بائه أمره وأبثه إياه» (3)، ففي توظيف كلمة ( البث ) تصوير للحالة النفسية الصعبة التي كان يمر بها سيدنا يعقوب عليه السلام من فقدانه ليوسف عليه السلام مما دفعه للتوجه بالدعوة والشكاية إلى الله عز وجل وتفويض أمره إليه.

وتساءل عن الفرق الدلالي بين لفظي ( النصب ) و( اللغوب ) في قوله تعالى ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [ فاطر: 34 ]، قال « فإن قلت: ما

<sup>1</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 151/9.

<sup>2</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 483/4.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 319/3.

الفرق بين النصب واللغوب، قلت: النصب التعب والمشقة التي تصيب المنتصب للأمر المزاو له، وأما اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب النصب، فالنصب نفس المشقة والكلفة، واللغوب: نتيجة ما يحدث منه من الكلال والفترة»<sup>(1)</sup>، حيث استجلى الاختلاف بينهما فالنصب: هو المشقة ترتبط بالبدن، بينما اللغوب حاصل بسبب النصب ويكون تعباً نفسياً .

ويبين الرازي الفرق بين ( السرعة ) و ( العجلة ) في تفسيره لقوله تعالى ﴿وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرِ﴾ [آل عمران: 114]، قال « فما الفرق بين السرعة والعجلة ؟ قلنا: السرعة مخصوصة بأن يقدم ما ينبغي تقديمه، والعجلة مخصوصة بأن يقدم ما لا ينبغي تقديمه، فالمسارعة مخصوصة بفرط الرغبة فيما يتعلق بالدين؛ لأن من رغب في الأمر آثر الفور على التراخي»<sup>(2)</sup>، فخصت ( السرعة ) بالخير والمبادأة إلى العمل بعد التفكير والتدبر واستكمال الرأي، بينما ارتبطت ( العجلة ) بالشر لما يترتب عنها من الضر والهلاك لصاحبها ؛ حيث وردت في مواضع الاستعجال بالإثم أو العذاب .

ووضح الزمخشري الفرق بين كلمتي ( الشح ) و ( البخل ) في قوله تعالى ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 09]، قال « الشح - بالضم والكسر - وقد قرئ بهما: اللؤم، وأن تكون نفس الرجل كزة حريصة على المنع ... وقد أضيف إلى النفس ؛ لأنه غريزة فيها، وأما البخل فهو المنع نفسه»<sup>(3)</sup>، فرغم اعتقاد البعض بتقارب لفظين إلا أن أحدهما سبب في تواجد الآخر، حيث حمل ( الشح ) معنى الحرص الشديد على الشيء والإلحاح في طلبه وبعد تحصيله يكون الامتناع عن إعطائه ليتولد بذلك البخل، فالشح عام يدل على منع الخير مطلقاً وهو مرتبط بالطبع والجلبة، بينما يكون البخل امتناعاً عن نوع معين من الأشياء كالمال .

وفسر مجيء لفظي ( السر والنجوى ) في قوله تعالى ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [التوبة: 78]، قال « ما أسروه من النفاق والعزم على إخلاف ما وعده، وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين، وتسمية الصدقة جزية وتديير منعها»<sup>(4)</sup>، فاقترن السر والنجوى في الآية الكريمة ليشار به إلى ما أخفاه المنافقون عن الناس وتداولوه فيما بينهم، بينما أشارت النجوى للكلام السيء الذي قيل عن الغائبين من المؤمنين .

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 158/5.

<sup>2</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 208/8.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 81/6.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 72/3.

وعلل الرازي اختيار التعبير القرآني للفظ ( أصحاب ) دون ( أرباب ) أو ( ملاك ) في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ [ الفيل: 01 ]، بأن « ... صاحب يكون من الجنس، فقوله: ( أصحاب الفيل ) يدل على أن أولئك الأقوام كانوا من جنس الفيل من البهيمة، وعدم الفهم والعقل، بل فيه من دققة، وهي: أنه إذا حصلت المصاحبة بين شخصين، فيقال للأدون: إنه صاحب الأعلى، ولا يقال للأعلى: إنه صاحب الأدون ... فقوله ( أصحاب الفيل ) يدل على أن أولئك الأقوام كانوا أقل حالا وأدون منزلة من الفيل، وهو المراد من قوله ( بَلْ هُمْ أَضَلُّ )<sup>(1)</sup>، فوجد التلاؤم بين المعنى الذي حملته كلمة ( أصحاب ) وبين الدلالة المقصودة من التركيب، والتي تعكس الصفات المشتركة بين المرء وصاحبه وكأن أصحاب الفيل بإعراضهم عن الحق وإصرارهم على هدم البيت الحرام أشبه البهائم التي لا تعقل ولا تدرك عواقب ما تصنع .

وأشار الرازي إلى الفرق الدلالي بين لفظي ( إله ) و ( الرب ) وخصوصية استعمالها في الخطاب القرآني، حيث فسر قوله تعالى ﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾ [ الأعراف: 205 ]، قال «... ولم يقل: واذكر إلهك ولا سائر الأسماء، وإنما سماه في هذا المقام باسم كونه ربا، وأضاف نفسه إليه، وكل ذلك يدل على نهاية الرحمة والتقريب والفضل والإحسان ... لأن لفظ الرب مشعر بالتربية والفضل»<sup>(2)</sup>، فلفظة ( الرب ) تحمل دلالات دققة من خلق الله للبشر وتدير شؤونهم وتسير الرزق إليهم وهدايتهم لطريق الحق، ما جعلها ترد في مقام التربية والشفقة، بينما جاءت كلمة ( الله ) في مقام الألوهية والجبروت لتخصيصهم بالعبادة والإخلاص .

#### - دلالة الصيغ الصرفية:

يكتسب التأليف رونقا باختيار المتكلم للصيغ الصرفية المناسبة التي تخدم المعنى العام، وتبرز أغراضه، فتفضيل الناطم لصيغة على أخرى يكون لاعتبارات عدة، كتوكيد المعنى أو تقويته أو تخصيصه أو إظهارا لمزايا أسلوبية أخرى، وقد اهتم البيانيون بالكشف عن الدلالة المعنوية للصيغ الموظفة في القرآن الكريم وعلاقتها بالسياق، مؤكدين أن كل تغيير في مباني الكلمات يصحبه تغيير في معانيها؛ إذ هناك ارتباط وثيق بين الصيغة والمعنى «فلاشك أنه لو لم يختلف المعنى لم يختلف الصيغة، إذ كل عدول

<sup>1</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 98/32.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 111/15.

من صيغة إلى أخرى، لا بد أن يصحبه عدول عن معنى إلى آخر إلا إذا كان ذلك لغة <sup>(1)</sup>، فتفكيك البنية التركيبية للمفردة من حيث شكل الحروف وتلاؤمها، وحسن موقعها وعلاقتها بالكلمات المجاورة لها، وتخيير وزن من الأوزان دون آخر، كلها عوامل مهمة للظفر بالمعاني، والوقوف على جمالياتها وبيديع نظمها .

فقد وضع الزمخشري سبب استعمال القرآن الكريم لصيغة ( فعل ) و ( افعل ) في قوله تعالى ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [ البقرة: 286 ]، بقوله « فإن قلت: لم خص الخير بالكسب، والشر بالاكْتساب ؟ قلت: في الاكْتساب اعتمال، فلما كان الشر مما تشتهيه النفس، وهي منجذبة إليه، وأمانة به كانت في تحصيله أعمل وأجد، فجعلت لذلك مكتسبة فيه، ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال <sup>(2)</sup>، ففي قوله ربط بين سياق الآية التي يحمل معنى الترغيب في الطاعة والتهيب من اقتراف المعاصي وتحميل المرء لجزاء عمله، وبين فهمه للطبيعة الإنسانية التي تميل للشر وتستثقل المبادرة للطاعة والعمل الخيري، فكان في توظيف التعبير القرآني للصيغتين أثر في توضيح الدلالة المقصودة، حيث دلت صيغة ( افعل ) على الاجتهاد والطلب والتصرف والمبالغة في معنى الفعل، وهو ما ذهب إليه ابن عطية عند تفسيره للآية قال «والذي يظهر لي في هذا أن الحسنات هي مما يكسب دون تكلف، إذ كاسبها على جادة أمر الله ورسم شرعه، والسيئات تكتسب ببناء المبالغة إذ كسبها يتكلف في أمرها خرق حجاب نهي الله تعالى ويتخطاه إليها، فيحسن في الآية مجيء التصريفيين إحرازاً لهذا المعنى <sup>3</sup>، فقد أدرك كل من العلمين (الزمخشري وابن عطية) الدلالة المعنوية التي أضفتها صيغة ( افعل ) على التركيب والتي تحققت بها الميزة الأسلوبية.

وكشف الزمخشري عن الغرض الدلالي من استعمال صيغة (فعل) في قوله تعالى ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ [ البقرة: 23 ]، قال « فإن قلت: لم قيل ( مما نزلنا ) على لفظ التنزيل دون الإنزال ؟ قلت: لأن المراد النزول على سبيل التدرج والتنجيم ... وذلك أنهم كانوا يقولون: لو كان هذا من عند الله مخالفا لما يكون من عند الناس، لم ينزل هكذا نجوما ... فقيل:

<sup>1</sup> - معاني الأبنية في العربية، فاضل صالح السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 2007، ص: 06.

<sup>2</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 520/1.

<sup>3</sup> - المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي، ج 393/1.

إن ارتبتم في هذا الذي وقع إنزاله هكذا على مهل وتدرّج، فهاتوا أنتم نوبة واحدة من نوبه، وهلموا نجما فردا من نجومه: سورة من أصغر السور، أو آيات شتى مفتريات وهذه غاية التبكيت ومنتهى إزاحة العلل»<sup>(1)</sup>، فورد لفظ ( نزل ) دون ( أنزل ) ليدل على نزول القرآن الكريم منجما على امتداد ثلاث وعشرين سنة، في حين خص الإنزال بالتوراة والإنجيل لنزولهما دفعة واحدة لقوله تعالى ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ [ آل عمران: 03 ]<sup>(2)</sup>.

كما وردت صيغة ( فعّل ) في قوله تعالى ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ [ الأنعام: 100 ]، فسرهما الزمخشري بقوله « وخرقوا له، أي: افتعلوا له بنين وبنات ... وقرئ: وخرقوا بالتشديد للتكثير، لقوله: بنين وبنات »<sup>(3)</sup>، فقد اختلق المشركون لله سبحانه وتعالى البنين والبنات، حيث أفادت كلمة ( خرّق ) التكثير، وتنزه سبحانه عن ذلك.

وقوله تعالى ﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ ﴾ [ البقرة: 49 ]، قال ابن عطية « وقرأ الجمهور ( يذبحون ) بشد الباء المكسورة على المبالغة، وقرأ ابن محيصن ( يذبحون ) بالتخفيف والأول أرجح إذا الذبح متكرر »<sup>(4)</sup>، حيث جاء الفعل ( ذبح ) على صيغة ( فعّل ) والذي فيه تضعيف لعين الفعل ليدل على التكثير والتكرار وليصور العذاب الذي كان يعاني منه بنو إسرائيل، فلما كان فرعون يكثر من فعل الذبح وردت الصيغة مناسبة لمقتضيات المقام .

ووضح الزمخشري السر في استعمال صيغة ( أفعل ) في قوله تعالى ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُوا ﴾ كيف كان عقبة المجرمين » [ الأعراف: 84 ]، قال « فإن قلت: أي فرق بين ماطر وأمطر ؟ قلت: يقال مطرهم السماء وواد ممتور ... ومعنى مطرهم: أصابتهم بالمطر، ... ويقال: أمطرت عليهم كذا، بمعنى: أرسلته عليهم إرسال المطر ... وأرسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا، يعني: الحجارة، ألا ترى إلى قوله: ﴿ فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ﴾ [ النمل: 58 ] »<sup>(5)</sup>، واختيرت لفظة ( أمطر ) على وزن ( أفعل )

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 218/1.

<sup>2</sup> - ينظر: تفسير الفخر الرازي: الخطيب الرازي، ج 170/7.

<sup>3</sup> - المصدر السابق، ج 380/2-381.

<sup>4</sup> - المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي، ج 140/1.

<sup>5</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 471/2.

للدلالة على العقاب الذي يحل بالقوم الكافرين، مما يظهر خصوصية التعبير القرآني في اختيار اللفظة المناسبة لمقتضيات السياق.

واختلفت دلالة الفعل ( قسط ) الثلاثي ودلالة ( أقسط ) المزيد، حيث جاء في قوله تعالى ﴿وَأِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمِينِ﴾ [النساء: 03]، قال ابن عطية « يقال: أقسط الرجل إذا عدل، وقسط إذا جار »<sup>(1)</sup>، فزيادة مبنى الفعل بحرف جعلته يحمل دلالة مغايرة عن دلالة الوضعية وهي معنى التضاد فأقسط ضد قسط وهو ما دل عليه السياق .

واستوفقت الزمخشري صيغتا ( أفعل ) و ( تفعل ) في قوله تعالى ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: 07]، قال « ومعنى تأذن ربكم: أذن ربكم، ونظيره تأذن وأذن: توعده وأوعده، وتفضل وأفضل، ولا بد من " تفعل " من زيادة في معنى ليس في " أفعل "، كأنه قيل: وإذ أذن ربكم إيدانا بليغا تنتفي عنده الشكوك وتنزاح الشبه »<sup>(2)</sup>.

ومن المعاني التي تحملها صيغة ( تفعل ): الدلالة على تكلف الأمر وتعاطيه ؛ ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [الانشقاق: 04]، فسرهما الزمخشري بقوله « " وتخلت " وخلت غاية الخلو، حتى لم يبق شيء في باطنها، كأنها تكلفت أقصى جهدها في الخلو، كما يقال: تكرم الكريم، وترحم الرحيم: إذا بلغ جهدهما في الكرم والرحمة، وتكلفا فوق ما في طبعهما »<sup>(3)</sup>، فلفظة (تخلت) أفادت القصد، من استجابة الأرض يوم القيامة لأمر الله وقذفها لما في بطنها من أموات وكنوز والتخلي عنهم.

فالزيادة في مبنى الكلمة يكسبها دلالات إضافية، كالتي وجدت في صيغة ( استفعل ) في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ رَوَدُّهُ عَنِ نَفْسِهِ فَأَسْتَعْصِمُ﴾ [يوسف: 32]، ذلك أن « الاستعصام: بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ، والتحفظ الشديد، كأنه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها، ونحوه

<sup>1</sup> - المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي، ج 2/06.

<sup>2</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 3/364.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 6/342.



استمسك، واستوسع الفتق، واستجمع الرأي، واستفحل الخطب»<sup>(1)</sup>، فصيغة ( استفعل ) تدل على طلب شيء ما ؛ فجاءت ( استعصم ) على وزنها لتدل على طلب العصمة .

ووقف ابن عطية عند الدلالة التي تتضمنها هاته الصيغة في قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ [البقرة: 60]، قال « و ( استسقى ) معناه: طلب السقيا، وعرف استفعل طلب الشيء، وقد جاء في غير ذلك كقوله تعالى ﴿وَأَسْتَقَىٰ اللَّهَ﴾ [التغابن: 06] بمعنى غني، وقولهم: استعجب بمعنى عجب، ومثل بعض الناس في هذا بقولهم: استنسر البغات واستنوق الجمل، إذ هي بمعنى انتقل من حال إلى حال»<sup>(2)</sup>، حيث تكمن من معرفة معنى صيغة (استفعل) المتمثل في طلب شيء ما، فحمل لفظ (استسقى) دلالة طلب السقيا ؛ إذ طلب موسى عليه السلام الماء لقومه فأمره الله بضرب عصاه لتنفجر منها عيوننا .

وقد كشف في موضع آخر عن الصيغة التي ترد فيها بعض الكلمات الدالة على الأصوات، وذلك في تفسيره لقوله تعالى ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرَوْنَ﴾ [النحل: 53]، قال « (تجأرون) معناه ترفعون أصواتكم باستغاثة وتضرع، وأصله في جؤار الثور والبقرة وصياحها، وهو عند جهد يلحقها أو أثر دم يكون من بقر تذبح، فذلك الصراخ يشبه به انتحاب الداعي المستغيث بالله إذ رفع صوته، ومنه قول الأعشى:

يُرَاوُحُ مِنْ صَلَوَاتِ الْمَلِيحِ — كَ طَوْرًا سَجُودًا وَطَوْرًا جَوَارًا

... والأصوات تأتي غالبا على فعال أو فاعل<sup>(3)</sup>، فاستعير لفظ ( جؤار ) ليعبر به عن صياحهم ورفع أصواتهم بالدعاء والاستغاثة، وتخصيص ابن عطية لصيغتي (فعال وفعيل) في دلالتها على الأصوات دليل على استقراره للمفردات ومعرفته بكلام العرب وفقهه بأسراره .

ووضح الزمخشري سر استعمال الفعل دون الاسم في قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّتْ وَيَقْبُضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا أَلْزَمَهُنَّ إِنَّهُنَّ يَكْلِيْنَ شَيْءً بِصِيرٍ﴾ [الملك: 19]، قال « فإن قلت: لم قيل: "ويقبضن" ولم يقل: وقابضات ؟ قلت: لأن الأصل في الطيران هو صف الأجنحة ؛ لأن الطيران في

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 281/3.

<sup>2</sup> - المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي، ج 151/1.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 400/3.

الهواء كالسباحة في الماء، والأصل في السباحة مد الأطراف، وبسطها وأما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك، فجيء بما هو طار غير أصل بلفظ الفعل، على معنى أنه صافات، ويكون منهن القبض تارة، كما يكون من السابح»<sup>(1)</sup>، ففي الآية حث للمشركين على التدبر في الخلق وإبراز لقدرة الله عز وجل ووحدانيته في خلق الطير وإفرادها بميزة التحليق والطيوان، فاستعمل لفظ (صافات) بصيغة الاسم للدلالة على ثبوت صف أجنحتهم عند الطيوان، بينما وردت (يقبضن) فعلا للدلالة على التجدد وعدم ثبات تلك الحركة، فهي طارئة تعينها على زيادة السرعة من خلال قبض أجنحتها؛ حيث تمكنها من تحقيق توازنها لكي لا تتأثر بالجاذبية الأرضية .

وتتبع البيانيون الدلالة المستمدة من صيغتي اسم الفاعل واسم المفعول عند تفسيرهم لآيات الذكر الحكيم، حيث علل الرازي إشار التعبير القرآني لصيغة ( فاعل ) دون غيرها من الصيغ، في قوله تعالى ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ۖ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [ هود: 12 ]، قال «أن الضائق يكون بضيق عارض غير لازم، لأن رسول الله ﷺ كان أفسح الناس صدرا، ومثله قولك: ( زيد سيد جواد )، تريد السيادة والجواد الثابتين المستقرين، فإذا أردت الحدوث قلت: ( سائد وجائد )، والمعنى: ضائق صدرك لأجل أن يقولوا " لولا أنزل عليه " <sup>(2)</sup>، فلما كانت حالة الضيق عارضة وغير ملازمة لشخصية النبي ﷺ وإنما ظهرت نتيجة حدث صدر من قبل المشركين، جيء بصيغة ( اسم الفاعل ) لتدل على الحدوث لا الثبوت وتعبر عن الغرض المقصود .

وجاء اسم الفاعل أيضا في قوله تعالى ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [ النمل: 27 ]، حيث عدل عن التعبير بالفعل ( أكذبت ) إلى التعبير باسم الفاعل ( كاذبين ) لسر دلالي أوضحه الزمخشري بقوله « إلا أن ( كنت من الكاذبين ) أبلغ، لأنه إذا كان معروفا بالانحراط في سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة وإذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما أخبر به فلم يوثق به » <sup>(3)</sup>، فاستعمال صيغة اسم الفاعل معرفة بـ ( أل ) جاءت مناسبة لمقتضيات السياق ومقام التهديد ؛ إذ أراد النبي

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 175/6.

<sup>2</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 201/17.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 450/4.

سليمان - عليه السلام - معرفة صحة ما أخبر عنه، وإن كانت صفة الكذب ملازمة للهدد وهي ما يفيد اسم الفاعل، أم صفة طارئة عليه وهو ما أفاده الفعل.

وورد في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: 03]، حيث جاء التعبير بالفعل (الذين صدقوا) ثم عدل عن التعبير بالفعل إلى صيغة اسم الفاعل (الكاذبين) لفائدة دلالية شرحها الرازي بقوله « في قوله (الذين صدقوا) بصيغة الفعل وقوله (الكاذبين) باسم الفاعل فائدة مع أن الاختلاف في اللفظ أدل على الفصاحة، وهي أن اسم الفاعل يدل في كثير من المواضع على ثبوت المصدر في الفاعل ورسوخه فيه، والفعل الماضي لا يدل عليه ... فإنه لا يفهم من صيغة الفعل التكرار والرسوخ، ومن اسم الفاعل يفهم ذلك، إذا ثبت هذا نقول: وقت نزول هذه الآية كانت الحكاية عن قوم قريبي العهد بالإسلام في أوائل إيجاب التكليف، وعن قوم مستديمين للكفر مستمرين عليه، فقال في حق المؤمنين "الذين صدقوا"، وقال في حق الكافر "الكاذبين" بالصيغة المنبئة عن الثبات والدوام»<sup>(1)</sup>.

وأما قوله تعالى ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (53) إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (54) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (55) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾ [الشعراء: 53-56]، فقد قرئ (حذرون وحاذرون) بالصفة المشبهة واسم الفاعل لخصوصية دلالية وضحاها الرازي بقوله « واعلم أن الصفة إذا كانت جارية على الفعل وهي اسم الفاعل واسم المفعول - كالضارب والمضروب - أفادت الحدث وإذا لم تكن كذلك وهي المشبهة أفادت الثبوت، فمن قرأ (حذرون) ذهب إلى أنا قوم من عادتنا الحذر واستعمال الحزم، ومن قرأ (حاذرون) فكأنه ذهب إلى معنى إنا قوم ما عهدنا أن نحذر إلا في عصرنا هذا»<sup>(2)</sup>، فالقراءة باسم الفاعل (حاذر) يفيد التجدد والحدث، فحمل السلاح يستلزم ثبوت الفعل ويفيد تجدد حمل السلاح والانتباه، وفيه تصوير لمطاردتهم للمؤمنين بالسلاح، في حين أفادت (حذر) على وزن (فعل) معنى الثبوت فالحذر ملازم لهم وهو خصلة متأصلة فيهم؛ إذ يفتخرون باستعدادهم وتأهبهم للمواجهة، ورغم ذلك لم يفدهم ذاك الاستعداد من وقوع أمر الله.

<sup>1</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 30/25.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 137/24.

وقد يعدل عن استخدام اسم الفاعل إلى الصفة المشبهة الدالة على الوصف الثابت خدمة لمقتضيات المقام، ومن ذلك قوله تعالى ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ [الأعراف: 64]، قال الزمخشري «(عمين) عمي القلوب غير مستبصرين وقرئ: (عامين)، والفرق بين العمي والعامي أن "العمي" يدل على عمي ثابت، و"العامي" على عمي حادث»<sup>(1)</sup>، فدل لفظ (عمين) على وصف ثابت في الموصوف (قوم نوح) المتمثل في إعراضهم عن الحق، وعدم إصغائهم للمواعظ، وتجنبهم للأدلة الواضحة، حتى حل عليهم العقاب، فأبرزت الصفة المشبهة تلك الدلالات، بينما الوصف في اسم الفاعل غير ثابت ذلك أن «صفة الفاعل تدل على وصف الفاعل بالحدث منقطعا متجددا»<sup>(2)</sup>.

في حين التمس الزمخشري الفرق الدلالي بين اللفظتين (طاهرة) و(مطهرة) في قوله تعالى ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: 25]، قال «فإن قلت: هلا قيل طاهرة؟ قلت: في "مطهرة" فخامة لصفتهن، ليست في طاهرة، وهي الإشعار بأن مطهرا طهرهن، وليس ذلك إلا الله عز وجل المرید بعباده الصالحين أن يخولهم كل مزية فيما أعد لهم»<sup>(3)</sup>، حيث حملت الصيغة الصرفية لكلمة (مطهرة) وهي صيغة اسم مفعول معنى التعدية فأثبتت صفة الطهر بالإضافة إلى إثبات فاعل لها وهو الله عز وجل، فكان ذلك مزيد تفخيم وتشريف للأزواج الموصوفة، بينما كلمة (طاهرة) فدللت على الزوم أي إثبات صفة الطهر للأزواج فقط.

ونقل ابن الجوزي قول الزجاج في إفادة لفظة (مطهرة) دلالة التكثير فقال «قال الزجاج: ومطهرة أبلغ من طاهرة؛ لأنه للتكثير»<sup>(4)</sup>.

أما صيغة اسم المفعول فقد وردت في قوله تعالى ﴿قَالَ لَنْ أُنْخِذَ إِلَهاً عَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: 29]، قال الزمخشري «فإن قلت: ألم يكن: لأسجنك، أخصر من "لأجعلنك من المسجونين" ومؤديا مؤداه؟ قلت: أما أخصر فنعم، وأما مؤداه فلا؛ لأن معناه: لأجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم في سجوني، وكان من عادته أن يؤخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الأرض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع، فكان ذلك أشد من القتل وأشد»<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 2/457.

<sup>2</sup> - اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، د/ط، 1994، ص: 99.

<sup>3</sup> - المصدر السابق، ج 1/234.

<sup>4</sup> - زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ص: 50.

<sup>5</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 4/387.

حيث جاءت لفظة ( المسجونين ) بصيغة اسم المفعول لتدل على قرب حدوث هذا الوصف، ولما تحمله من شدة في التهديد والترهيب بدخول سجن عرف مصير وعذاب مسجونيه، فناسب ذلك المقام.

وقد عدل عن صيغة ( مفعول ) الدالة على معنى الحدوث إلى صيغة ( فعيل ) الدالة على ثبات الحدث وتأصله في قوله تعالى ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ ﴾ [ القمر: 44 ]، قال الرازي « فيه فائدتان: إحداهما الكثرة والأخرى الاتفاق، كأنه قال نحن كثير متفقون فلنا الانتصار ولا يقوم غير هذه المفردة، إنما قلنا إن فيه فائدتين لأن الجمع يدل على الجماعة بحروفه الأصلية من " ج م ع " وبوزنه وهو فعيل بمعنى مفعول على أنهم جمعوا جمعيتهم العصبية »<sup>(1)</sup>، فاستعمال الصفة المشبهة جاء نتيجة إدعاء الكافرين وحدة صفهم وكأنهم يد واحدة على من عاداهم، ليبطل الله ما قالوا ويؤكد هزيمة جمهم وتفكك أواصرهم .

وقد تحمل صيغة ( مفعول ) دلالة ( فاعل )، وهو ما ذكره ابن الجوزي في تفسيره لقوله تعالى ﴿ حِجَابًا مُّسْتَوْرًا ﴾ [ الإسراء: 45 ]، قال « وفي معنى " مستورا " قولان: أحدهما: أنه بمعنى ساتر، قال الزجاج: وهذا قول أهل اللغة، قال الأخفش: وقد يكون الفاعل في لفظ المفعول، كما تقول: إنك مشؤوم علينا، وميمون علينا، وإنما هو شائم ويامن، لأنه من " شَأْمُهُمْ " و " يَمَنُّهُمْ "، والثاني: أن المعنى: حجابا مستورا عنكم لا ترونه، ذكره الماوردي، وقال ابن الأنباري: إذا قيل: الحجاب: هو الطبع على قلوبهم، فهو مستور عن الأبصار، فيكون " مستورا " باقيا على لفظه »<sup>(2)</sup>، فجاءت لفظة ( مستورا ) على وزن ( مفعول ) لتدل على حجاب ساتر يمنع وصول الهداية إلى قلوب المشركين، فلا وعظ ولا تذكير ينفذ إلى قلوبهم ما يجعل الكفر متأصلا في نفوسهم متجذرا فيها، وهذا المثال مما قال فيه البلاغيون بالإسناد العقلي، مثلما قالوا به في ( في عيشة راضية ) و ( خلق من ماء دافق ) و ( اجعل هذا البلد آمنا ).. والمراد : ( في عيشة ذات رضا )، و ( خلق من ماء ذي دفق )، و ( اجعل هذا البلد ذا أمن )...

وتحمل صيغ المبالغة دلالة التكثير والمبالغة، حيث جاء لفظ ( رحمن ) على وزن ( فعالن ) ليدل على المبالغة، واختص بالله سبحانه وتعالى لرحمته بجميع خلقه، ووضحه الزمخشري بقوله « وفي ( الرحمن )

<sup>1</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 68/29.

<sup>2</sup> - زاد المسير: ابن الجوزي، ص: 815.

من المبالغة ما ليس في الرحيم، لذلك قالوا: رحمن الدنيا والآخرة، ورحيم الدنيا، ويقولون: إن الزيادة في البناء لزيادة المعنى»<sup>(1)</sup>.

وفسر الرازي قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: 276]، قال «فاعلم: أن الكفار (فعال) من الكفر، ومعناه من كان ذلك منه عادة، والعرب تسمي المقيم على الشيء بهذا فتقول: فلان فعال للخير أمار به، والأثيم (فعليل) بمعنى فاعل، وهو الآثم وهو أيضا مبالغة في الاستمرار على اكتساب الآثام والتمادي فيه، وذلك لا يليق إلا بمن ينكر تحريم الربا فيكون جاحدا»<sup>(2)</sup>، فدلّت لفظة (كفار) التي وردت على صيغة (فعال) على إصرارهم على الكفر، بينما أفادت لفظة (أثيم) التي جاءت على وزن (فعليل) تماديهم في ارتكاب الآثام ومداومة أكلهم للربا رغم التحذير والوعيد .

كما جاءت صيغة (فعليل) في قوله تعالى ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: 32]، قال ابن عطية «(العليم) معناه: العالم ويزيد عليه معنى من المبالغة والتكثير من المعلومات في حق الله عز وجل»<sup>(3)</sup>، فأفادت لفظة (العليم) على وزن (فعليل) إحاطة الله التامة بشؤون خلقه وحكمته في تدبير أمورهم .

ووردت صيغة (فعال) في سورة الشعراء في قصة موسى على لسان فرعون ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (34) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (35) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْتَثْ فِي الْوَدَّائِنِ خَشْرَيْنَ (36) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ﴾ [الشعراء: 34-37]، حيث فسرهما الرازي بقوله «أشاروا عليه بإنفاذ حاشرين يجمعون السحرة ظنا منهم بأنهم إذا كثروا غلبوه وكشفوا حاله، وعارضوا قوله (إن هذا لساحر عليم) بقولهم (بكل سحار عليم) فجاءوا بكلمة الإحاطة وبصيغة المبالغة ليطيّبوا قلبه وليسكنوا بعض قلقه»<sup>(4)</sup>، فلفظ (سحار) مبالغة لمن يمارس السحر، وجاءت مناسبة للمعنى المراد وعكست غضب فرعون وسعيه للنيل من موسى عليه السلام حيث وصفه من بأنه ساحر، فأراد الملاء

<sup>1</sup> - الكشف، ج 108/1-109.

<sup>2</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 103/3-104.

<sup>3</sup> - المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي، ج 122/1.

<sup>4</sup> - المصدر السابق، ج 132/24.

أن يخففوا من غضبه بإحضار سحرة ماهرين متمكنين في السحر ليقيموا الحجة على موسى عليه السلام .

وأشار ابن عطية إلى لطيفة دلالية في لفظة ( تَوَاب ) والتي جاءت على وزن ( فَعَال ) في قوله تعالى ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [ البقرة: 37 ]، قال « وبنية (التواب ) للمبالغة والتكثير، وفي قوله (إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ) تأكيد، فائدته أن التوبة على العبد إنما هي نعمة من الله، لا من العبد وحده لئلا يعجب التائب، بل الواجب عليه شكر الله تعالى على توبته عليه ». (1)

وكشف الرازي عن دلالة هاته الصيغة في قوله تعالى ﴿ قُلْتُ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [نوح: 10]، قال « قلنا المراد إنه كان غفاراً في حق كل من استغفروه، كأنه يقول: لا تظنوا أن غفاريته إنما حدثت الآن بل هو أبداً هكذا كان، فكأن هذا هو حرفته وصنعتة» (2)، فوظفت لفظة (غفاراً) على وزن ( فعال) في النظم لتدل على كثرة المغفرة ترغيباً من نوح عليه السلام لقومه بالطاعة، ودفعهم للإيمان بإعلان مغفرة الله تعالى لمن تاب .

في حين جاءت لفظة ( غفور ) على وزن فعول في قوله تعالى ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ﴾ [الكهف: 58]، قال الرازي « ( الغفور) البليغ المغفرة، وهو إشارة إلى دفع المضار، ( ذو الرحمة ) الموصوف بالرحمة، وإنما ذكر لفظ المبالغة في المغفرة لا في الرحمة؛ لأن المغفرة ترك الإضرار، وهو تعالى قد ترك مضار لا نهاية لها مع كونه قادراً عليها، أما فعل الرحمة فهو متناه؛ لأن ترك ما لا نهاية له ممكن، أما فعل ما لا نهاية له فمحال » (3)، فبناء (غفور) يفيد كثرة وقوع الفعل ودوامه، فالله تعالى يغفر لعباده مرة بعد مرة .

ومن الألفاظ التي جاءت على صيغة ( فعول ) لفظة ( طهور ) في قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾ [ الفرقان: 48 ]، قال ابن عطية «(الطهور ) بناء مبالغة في طاهر وهذه المبالغة اقتضته في ماء السماء وفي كل ما هو منه وبسييله أن

<sup>1</sup> - المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي، ج 1/131

<sup>2</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 30/138

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 21/143

يكون طاهرا مطهرا وفيما كثرت فيه التغاير، كماء الورد وعصير العنب أن يكون طاهرا ولا مطهرا»<sup>(1)</sup>، فبيّن الله عز وجل فضله على عباده بأن أنزل عليهم الغيث ليحيي به الأرض ويستفيد منه الناس والأنعام، ووصف الماء بالطهر؛ لأنه طاهر في نفسه المطهر لغيره .

ووقف ابن عطية عند صيغة ( مفعال ) في قوله تعالى ﴿ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا ﴾ [الأنعام: 06]، قال « ( مدرارا ) بناء تكثير كمذكار ومثلاث، ومعناه يدر عليهم بحسب المنفعة، لأن الآية إنما سياقها تعديد النعم وإلا فظاهرها يحتمل النعمة ويحتمل الإهلاك، وتحتمل الآية أن تراد السماء المعروفة على تقدير وأرسلنا مطر السماء لأن مدرارا لا يوصف به إلا المطر»<sup>(2)</sup>، فجاءت ( مدرارا ) على وزن ( مفعال ) لتفيد المبالغة والتكثير وتوافق المقام الذي فيه تذكير بالنعم التي منّها الله عليهم ومنها نعمة المطر والتي قابلوها بالجحود والإنكار.

ووردت لفظة ( ميثاق ) على وزن ( مفعال ) في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ﴾ [البقرة: 63]، قال ابن الجوزي « والميثاق: مفعال من التوثق بيمين أو عهد أو نحو ذلك من الأمور التي تؤكد القول »<sup>(3)</sup>، فوافقت صيغة ( مفعال ) سياق التخويف والدعوة بالتزام العهد المؤكد بتوحيد الله عز وجل والعمل بأوامره .

وقد استعمل التعبير القرآني صيغة ( فعلة ) للدلالة على المبالغة، قال تعالى ﴿ وَيَلْ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٌ ﴾ [الهمزة: 01] قال الزمخشري «الهمزة: الكسر، كالهزم واللمز: الطعن ... والمراد: الكسر من أعراض الناس والغض منهم واغتيالهم؛ والطعن فيهم، وبناء " فعلة " يدل على أن ذلك عادة منه قد ضرى بها، ونحوهما: اللعنة والضحكة»<sup>(4)</sup>، فلفظة ( الهمزة ) و ( اللمزة ) دلت على الكثرة والمبالغة في اتصافهم بذلك الفعل من انتقاصهم للناس والسخرية منهم واغتيالهم، والطعن في أعراضهم، حتى غدت صفة راسخة فيهم، وقد علق ابن المنير على كلام الزمخشري بقوله « وما أحسن مقابلة الهمزة اللمزة بالخطمة ؛ فإنه لما وسمه بهذه السمة بصيغة أرشدت إلى أنها راسخة فيه ومتمكنة منه أتبع المبالغة بوعيده بالنار التي سماها بالخطمة لما يلقي فيها، وسلك في تعيينها صيغة مبالغة على وزن الصيغة التي

<sup>1</sup> - المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي، ج 213/4.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 269/2.

<sup>3</sup> - زاد المسير: ابن الجوزي، ص: 66.

<sup>4</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 428/6.



ضمنها الذنب، حتى يحصل التعادل بين الذنب والجزاء، فهذا الذي ضرى بالذنب جزاؤه هذه الحطمة التي هي ضارية بحطم كل ما يلقي إليها»<sup>(1)</sup>، فتكرار صيغة المبالغة ووصف الآثام وما يترتب عنها من جزاء، كان نتيجة المناسبة بين المباني والمعاني التي أحدث تناسقا فنيا بديعا .

ووضح الزمخشري سبب العدول عن المصدر ( تبتلا ) إلى ( تبتيلا ) في قوله تعالى ﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: 08]، قال « فإن قلت: كيف قيل ( تبتيلا ) مكان ( تبتلا )، قلت: لأن معنى تبتل: بتل نفسه فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل»<sup>(2)</sup>، في حين رأى الرازي أن العدول ارتبط بالمعنى الذي حمله (تبتيلا) دون ( تبتلا )، قال « الواجب أن يقال: وتبتل إليه تبتلا أو يقال بتل نفسك إليه تبتيلا لكنه تعالى لم يذكرهما واختار هذه العبارة الدقيقة وهي أن المقصود بالذات إنما هو التبتل فأما التبتيل فهو تصرف والمشتغل بالتصرف لا يكون متبتلا إلى الله ؛لأن المشتغل بغير الله لا يكون منقطعاً إلى الله، إلا أنه لا بد أولاً من التبتيل حتى يحصل التبتل، كما قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَهُمْ صُبُلًا﴾ [العنكبوت: 69]، فذكر التبتل أولاً إشعاراً بأنه المقصود بالذات، وذكر التبتيل ثانياً إشعاراً بأنه لا بد منه ولكنه مقصود بالغرض»<sup>(3)</sup>، فدل النظم على التفرغ لعبادة الله تعالى وتوحيده والإقبال على الطاعة والإنابة إليه، وتفويض الأمر إليه، فكان ( التبتيل ) تعويداً للنفس على الطاعة .

وبيّن ابن عطية البنية التركيبية للفظ ( الطوفان ) في قوله تعالى ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ [الأعراف: 133] إن «( الطوفان ): مصدر من قولك: طاف، يطوف فهو عام في كل شيء يطوف إلا أن استعمال العرب له كثير في الماء والمطر الشديد ...»<sup>(4)</sup>.

وحملت لفظة ( مهلك ) بنية المصدر الميمي في قوله تعالى ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [النمل: 49]، قال الرازي « قرئ مهلك بفتح الميم واللام وكسر اللام، من هلك ومهلك بضم الميم من أهلك، ويحتمل المصدر والمكان والزمان»<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> - حاشية ابن المنير على الكشف، ج 428/6.

<sup>2</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 244/6.

<sup>3</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 178/30.

<sup>4</sup> - المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي، ج 443/2.

<sup>5</sup> - المصدر السابق، ج 203/24.

وجاءت لفظة ( كَبَّكَبَ ) على وزن ( فَعْلَل ) في قوله تعالى ﴿ فَكَبَّكَبُوا فِيهَا هُمْ وَالْقَاوُونَ ﴾ [الشعراء: 94]، ووضح الزمخشري مدلولها بقوله « والكبكبة: تكرير الكب، جعل التكرير في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى، كأنه إذا ألقى في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها »<sup>(1)</sup>، فصورت لفظة ( كبكبوا ) حالة هؤلاء الضالين وهم يسقطون في جهنم بعضهم فوق بعض حتى يبلغوا الدرك الأسفل منها .

وورد في التعبير القرآني لفظة ( الحيوان ) بدل ( الحياة ) في قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ﴾ [العنكبوت: 64]، حيث كشف الزمخشري سر اختيارها والذي يعود إلى طبيعة مبنائها بقوله « وفي بناء ( الحيوان ) زيادة معنى ليس في بناء ( الحياة )، وهي ما في بناء ( فعلان ) من معنى الحركة والاضطراب كالنزوان والنغصان واللهبان وما أشبه ذلك، والحياة: حركة، كما أن الموت سكون، فمجيئه على بناء دال على الحركة، مبالغة في معنى الحياة، ولذلك اختيرت على الحياة »<sup>(2)</sup>، فزيادة مبنى ( الحيوان ) فيه زيادة لمعناها ودلالة على الخلود والاستقرار في دار الآخرة بما تشمل عليه من حركة ونشاط وابتهاج وتحدد في ألوانها، نقيض الحياة الدنيا وما تشمل عليه انكسار ورتابة صورها بالإضافة إلى زوال نعيمها المؤقت الذي يتشبه به الكافرون .

#### – الأفراد والتشبيه والجمع:

بحث البيانون في أوضاع المفردة القرآنية من حيث الأفراد والتشبيه والجمع، وبينوا أهمية ذلك في تحقيق الانسجام التألفي بين مباني الألفاظ ومعانيها، وربطها بمقتضيات السياق، مما يبرز جمالياتها وأثرها في خدمة الغرض الدلالي، حيث فسر الزمخشري قوله تعالى ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الروم: 46]، كاشفاً عن الفرق الدلالي في توظيف كلمتي ( الرياح ) و( الريح )، قال « الرياح: هي الجنوب والشمال والصبأ وهي رياح الرحمة، وأما الدبور فريح العذاب ومنه قوله - ﷺ - " اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا " وقد عدد الأغراض في إرسائها، وأنه أرسلها للبشارة بالغيث ولإذابة الرحمة، وهي نزول

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 4/400.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 4/560.

المطر وحصول الخصب الذي يتبعه، والروح الذي مع هبوب الريح وزكاء الأرض»<sup>(1)</sup>، فجيء بلفظ (الرياح) جمعا ليدل على قدرة الله سبحانه وتعالى ووحدانيته في إرسال الرياح رحمة بعباده وبشارة بنزول المطر الذي فيه حياة للناس والدواب ونماء للنبات، وانطلاق للسفن ومزاولة للتجارة، في حين ورد لفظ (الريح) مفردا في سياق العذاب فهي ترسل للقوم الذين صدوا عن سبيل الله وكفروا بآياته وكذبوا الرسل واستعجلوا العذاب فجاءهم ما كانوا يوعدون به.

والتمس الرازي السر الدلالي من إفراد كلمة العذاب في قوله تعالى ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ [القمر: 21]، قال «هذا الموضع جمع نذير الذي هو مصدر معناه إنذار، فما الحكمة في توحيد العذاب حيث لم يقل: فكيف كان أنواع عذابي ووبال إنذاري؟ نقول: فيه إشارة إلى غلبة الرحمة الغضب، وذلك لأن الإنذار إشفاق ورحمة، فقال: الإنذارات التي هي نعم ورحمة تواترت، فلما لم تنفع وقع العذاب دفعة واحدة، فكانت النعم كثيرة، والنقمة واحدة»<sup>(2)</sup>، فتجلت رحمة الله تعالى في إرسال الرسل وتأنيدهم بالمعجزات والحجج لهداية الناس، واستمرار الإنذار وإمهالهم، ليحل عليهم العقاب بعد تمسكهم بالكفر والطغيان.

وتساءل عن سر مجيء الكلمة الواحدة (الجنة) مرة بالجمع ومرة بالإفراد، في قوله تعالى ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [الرعد: 35]، وقوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر: 45]، قال «فما الحكمة فيه؟ نقول: أما (الجنة) عند التوحيد فلائها لاتصال المنازل والأشجار والأنهار كجنة واحدة، وأما حكمة الجمع فلائها بالنسبة إلى الدنيا وبالإضافة إلى جناها جنات لا يحصرها عدد»<sup>(3)</sup>، فناسبت الألفاظ المعاني والسياق الذي وردت فيه.

ووقف الرازي عند الغرض المعنوي من إفراد كلمة (النور) وجمع كلمة (الظلمات) في قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: 01]، قال «لقائل أن يقول: لم ذكر (الظلمات) بصيغة الجمع و(النور) بصيغة الواحد؟ فنقول: أما حمل (الظلمات) على الكفر و(النور) على الإيمان، فكلامه ههنا ظاهر لأن الحق واحد والباطل كثير، وأما حملها على الكيفية المحسوسة، فالجواب أن (النور) عبارة عن تلك الكيفية الكاملة القوية، ثم إنَّها تقبل التناقص قليلا قليلا، وتلك المراتب كثيرة، فلهذا السبب عبر عن (الظلمات)

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 4/583-584.

<sup>2</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 49/29.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 28/200.

بصيغة الجمع»<sup>(1)</sup>، فجاءت لفظة (النور) مفردة لتعبر على طريق الهداية الواحد وسبيله اتباع أوامر الله وطاعته، بينما جاءت (الظلمات) جمعا لتدل على تشعب طرق الباطل وتعدد مصادره وكثرة سالكيه.

ووضح الزمخشري سبب جمع كلمة (الشافع) وإفراد كلمة (الصديق) في قوله تعالى ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (97) إِذْ تُسَوِّىكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (98) وَمَا أَصْلَاحُ إِلَّا الْمُجْرِمُونَ (99) فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ (100) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: 97-101]، قال «فإن قلت: لم جمع الشافع ووجد الصديق؟ قلت: لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق، ألا ترى أن الرجل إذا امتحن بإرهاق الظالم نهضت جماعة وافرة من أهل بلده لشفاعته ورحمة له وحسبه، وإن لم يسبق له بأكثرهم معرفة؟ وأما الصديق وهو الصادق في وداده، الذي يهمله ما أهمك فأعز من بيض الأنوق»<sup>(2)</sup>، فمجيء لفظة (الشافع) دل على النصرة التي يتلقاها المرء في حالة تعرضه للظلم، فيتكاثف الأشخاص المحيطون به ليرفعوا عنه ذلك الضيم ويستردون له حقوقه، في حين أفردت لفظة (الصديق) لتدل على قلة عدد المخلصين الصادقين في المحبة والنصح.

ووردت لفظة (شجرة) مفردة في قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِذْتُ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: 27]، قال الزمخشري «فإن قلت: لم قيل "من شجرة" على التوحيد، دون اسم الجنس الذي هو الشجر؟ قلت: أريد تفصيل الشجر وتفصيلها شجرة شجرة، حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة إلا قد برت أقلاما»<sup>(3)</sup>، فأفردت كلمة (شجرة) بغرض التفصيل لتثبت أن كل ما في الأرض من شجر، لو برت أقلاما وأمدت من البحر إمدادا ما نفذت كلمات الله؛ لأنها غير متناهية لتدل على عظمة الله في خلقه وتدبير شؤونه وقصور الناس عن إدراك ذلك.

وفسر الزمخشري سبب مجيء لفظة (وليكم) مفردة في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: 55]، قال «فإن قلت: قد ذكرت جماعة، فهلا قيل: إنما أولياؤكم؟ قلت: أصل الكلام: إنما وليكم الله، فجعلت الولاية لله على طريق الأصلة، ثم نظم في سلك إثباتها له إثباتها لرسول الله ﷺ والمؤمنين على سبيل التبع، ولو قيل:

<sup>1</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 160/12.

<sup>2</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 401/4-402.

<sup>3</sup> - المصدر السابق، ج 21/5.

إنما أولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن في الكلام أصل وتبع»<sup>(1)</sup>، فأثبتت المولاة لله ورسوله وللمؤمنين، وأفرد لفظ (وليكم) رغم تعدده ليفيد أن الولاية لله بالأصالة وللرسول ﷺ والمؤمنين بالتبع، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويخلصون العبادة .

وعلى قراءة ابن عباس ( كتابه ) مفردة في قوله تعالى ﴿أَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمِنٌ بِاللَّهِ وَمَلَكَيْهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: 285]، قال « وقرأ ابن عباس " وكتابه " يريد القرآن أو الجنس، وعنه الكتاب أكثر من الكتب، فإن قلت: كيف يكون الواحد أكثر من الجمع؟ قلت: لأنه إذا أريد بالواحد الجنس، والجنسية قائمة على وحدان الجنس كلها لم يخرج منه شيء، فأما الجمع فلا يدخل تحته إلا ما فيه الجنسية من الجموع »<sup>(2)</sup>، فالنكتة في إفرد كلمة (الكتاب) هي الإشارة إلى وحدة أصول الأديان والتقائهما حول غاية واحدة: الدعوة لتوحيد الله وطاعته، وتوجيه الخلق إلى مراد الحق وتوضيح تعاليمه من عبادات ومعاملات ليسلكوا بها طريق الهداية ويحققوا الفوز العظيم .

وفسر ورود لفظة ( نفس ) مفردة منكورة في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: 18]، قال « فإن قلت: ما معنى تنكير النفس والغد؟ قلت: أما تنكير النفس فاستقلال للأنفس النواظر فيما قدمن للآخرة، كأنه قال: فلتنظر نفس واحدة في ذلك، وأما تنكير الغد فلتعظيمه وإيهام أمره، كأنه قيل: لغد لا يعرف كنهه لعظمه»<sup>(3)</sup>، ففي الآية دعوة لمحاسبة النفس ولزوم طاعة الله تعالى، واتباع أوامره، وشرائعه وحدوده، والاجتهاد في ذلك، وحث على التوبة لمن اقترف ذنبا، ومجيء كلمة ( نفس ) مفردة فيه دلالة على قلة الأنفس الناضرة للآخرة والمقبلة على الطاعة، وكثرة المنشغلين بدنيا وملذاتها .

وقد ترد اللفظة مفردة لتحمل معنى الجنسية، كمجيء لفظة ( إماما ) مفردة في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا لِمَتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: 74]، قال الزمخشري « أراد: أئمة، فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس، كقوله تعالى " ثم يخرجكم طفلا "[غافر: 67]، أو أراد اجعل كل واحد منا إماما، أو أراد جمع أم، كصائم وصيام، أو أرادوا

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 2/258.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1/519.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 6/84.

اجعلنا إماما واحدا لاتحادنا واتفاق كلمتنا»<sup>(1)</sup>، فلفظة (إمام) مفردة لأنها بصيغة المصدر لتشمل الدعوة كل فرد منهم .

ومثله قوله تعالى على لسان زكريا عليه السلام ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ [مريم: 04]، فجاء التعبير بلفظ (العظم) دون العظام لأن « (العظم) عمود البدن وبه قوامه وهو أصل بنائه، ... ووحدته لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية، وقصده إلى أن هذا الجنس الذي هو العمود والقوام وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن، ولو جمع لكان قصدا إلى معنى آخر، وهو أنه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها»<sup>(2)</sup>، التعبير بصيغة المفرد وتعريف الكلمة بـ (أل) الاستغرافية يدل على وهن بعض عظامه وليس كلها .

ووردت لفظة (نعمة) مفردة في قوله تعالى ﴿ وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ ﴾ [المائدة: 07]، وبين الرازي علة إفرادها بقوله « إنما قال: ( واذكروا نعمة الله عليكم ) ولم يقل: نعم الله عليكم ؛ لأنه ليس المقصود منه التأمل في إعداد نعم الله، بل المقصود منه التأمل في جنس نعم الله؛ لأن هذا الجنس جنس لا يقدر غير الله عليه، فمن الذي يقدر على إعطاء نعمة الحياة والصحة والعقل والهداية والصون من الآفات، والإيصال إلى جميع الخيرات في الدنيا والآخرة »<sup>(3)</sup>، فأمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بتدبر نعمه التي أسبغها عليهم الدنيوية كالرزق والصحة والدينية بهدايتهم لطريق الحق، ولاستدامتها لا بد من شكر الله ومحبته، فكلمة (نعمة) ضمت في طبائرها الكثير من المعاني، قال ابن عطية «( نِعْمَةُ اللَّهِ ) اسم جنس يجمع الإسلام وجمع الكلمة وعزة الحياة وغنى المال وحسن المال»<sup>(4)</sup>.

وتتبع الزمخشري مواضع إفراد وجمع لفظة ( الصلاة )، حيث أفردت في المقام الأول في قوله تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [المؤمنون: 1-2] ثم جمعت في قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [المؤمنون: 09]، « ليفاد الخشوع من جنس الصلاة، أي صلاة كانت وجمعت آخرها، لتفاد المحافظة على أعدادها ؛ وهي: الصلوات الخمس، والوتر، والسنن المرتبة مع كل صلاة، وصلاة الجمعة والعيدين، والجنائز والاستسقاء، والكسوف والخسوف، وصلاة

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 4/374.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 4/5-6.

<sup>3</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 11/183.

<sup>4</sup> - المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي، ج 2/165.

الضحى، والتهجد، وصلاة التسابيح، وصلاة الحاجة، وغيرها من النوافل»<sup>(1)</sup>، فدل الأفراد على جنس الصلاة التي تستوجب الخشوع سواء أكانت فرضاً أم نافلة والذي يعد أساساً لصحتها، بينما أفادت صيغة الجمع ( الصلوات ) تعدادها والدعوة للمحافظة عليها وإتمام أركانها في أكمل صورة .

وشكلت البنية الصرفية عاملاً في إفرد الألفاظ أو جمعها، ووضح الرازي ذلك في تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [ السجدة: 09 ]، قال « ذكر في السمع المصدر، وفي البصر والفؤاد الاسم، ولهذا جمع الأبصار والأفئدة ولم يجمع السمع ؛ لأن المصدر لا يجمع وذلك لحكمة، وهو أن السمع قوة واحدة، ولها فعل واحد، فإن الإنسان لا يضبط في زمان واحد كلامين، والأذن محله ولا اختيار لها فيه، فإن الصوت من أي جانب كان يصل إليه، ولا قدرة لها على تخصيص القوة بإدراك البعض دون البعض »<sup>(2)</sup>، فاستند في بيانه لسر إفرد لفظ ( السمع ) إلى تعليقات علمية وهي قدرة الصوت على نفاذ إلى الأذن وعدم القدرة على حجبها، فهو صوت مسموع لدى الجميع، بينما ورد (البصر) و( الفؤاد ) بصيغة الجمع ؛لأن رؤية الناس للأشياء تختلف وإدراكهم وتدريبهم لحقائق الأمور متباينة من شخص لآخر .

وجاءت لفظة ( البحر ) مفردة، بينما لفظتي ( الجوّاري والأعلام ) جمعاً في قوله تعالى ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ [ الرحمن: 24 ]، لغاية دلالية بيّنها الرازي بقوله « في جمع الجوّاري وتوحيد البحر وجمع الأعلام فائدة عظيمة، وهي أن ذلك إشارة إلى عظمة البحر، ولو قال في البحار لكانت كل جارية في بحر، فيكون البحر دون بحر يكون فيه الجوّاري التي هي كالجبال وأما إذا كان البحر واحداً وفيه الجوّاري التي هي كالجبال يكون ذلك بحراً عظيماً وساحله بعيداً فيكون الإنجاء بقدرة كاملة »<sup>(3)</sup>.

ووضح الزمخشري سبب إفرد لفظة ( عزا ) في قوله تعالى ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ إِلَهًا لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (81) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ [ مريم: 81-82 ]، قال « فإن قلت: لم وُحِدَ ؟ قلت: وُحِدَ توحيد قوله عليه السلام " وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ "، لاتفاق كلمتهم، وأنهم كشيء

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 4/220.

<sup>2</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 25/175-176.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 29/105.

واحد، لفرط تضامهم وتوافقهم»<sup>(1)</sup>، فجيء بلفظ (العز) بصيغة المصدر لتصوير الاعتقاد الخاطيء للكافرين بعبادتهم للأصنام وطلب العون منها، ووقعت لفظة (الضد) موقع المصدر فلم تجمع لتؤكد فساد اعتقادهم وخذلان آلهتهم عن نصرتهم يوم القيامة .

وأفردت لفظة (ظهر) في قوله تعالى ﴿إِنْ تُثُوبًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحریم: 04]، وفسر الزمخشري سبب ذلك بقوله «الملائكة على تكاثر عددهم، وامتلاء السماوات من جموعهم بعد نصره الله وناموسه وصالحى المؤمنين (ظهر) فوج مظاهر له، كأنهم يد واحدة على من يعاديه»<sup>(2)</sup>، فجاءت لفظة (ظهر) بدل (ظهراء) لتناسب السياق؛ إذ وردت على وزن فيعل لتفيد الكثرة والمبالغة في اتحادهم لنصرة النبي ﷺ، وقوله تعالى (فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا) فيه عدول عن التثنية إلى الجمع.

وقد يعدل عن الأفراد إلى التثنية لغاية دلالية، ومثاله قوله تعالى ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: 64]، فسرهما الزمخشري بقوله «فإن قلت: لم ثبتت اليد في قوله تعالى "بل يده مبسوطتان" وهي مفردة في "يد الله مغلوله"؟ قلت: ليكون رد قولهم وإنكاره أبلغ وأدل على إثبات غاية السخاء له ونفي البخل عنه، وذلك أن غاية ما يبذله السخي بماله من نفسه أن يعطيه بيديه جميعا فبني المجاز على ذلك»<sup>(3)</sup>، فعرف عن الخير أنه يقدم باليمين وغلب على اليهود اعتقادهم بالجسمية<sup>(4)</sup>، فقالوا عن عطاء الله منقطع بصيغة الأفراد (يد)، فبين الله كذبهم في نسبة البخل وفي إضافته إلى الوحدة، وتثنية لفظ (اليد) مبالغة في الوصف ليفيد كثرة السخاء، وبأن إضافته إلى اليدين جميعا، فالله يمن على عباده بفضل منقطع النظر ويمنح سائله حاجتهم.

ومما جاء به النظم القرآني مفردا بدل المثنى قوله تعالى ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: 16]، حيث وردت لفظة (الرسول) بصيغة المفرد بينما ثبتت في قوله تعالى ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ [طه: 47]، ووضح الزمخشري علة الأفراد في الموضع الأول والتثنية في الموضع الثاني، قال «الرسول يكون بمعنى المرسل، وبمعنى الرسالة، فجعل ثم

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 4/53-54.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 6/159.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 2/267.

<sup>4</sup> - ينظر: حاشية ابن المنير على الكشف، ج 2/267.



بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته، وجعل ههنا بمعنى الرسالة فجاز التسوية فيه - إذا وصف به - بين الواحد والتثنية والجمع، كما يفعل بالصفة في المصادر نحو: صوم وزور»<sup>(1)</sup>، فكلمة (الرسول) في اللغة تأتي للفرد والمثنى والجمع، وقد جاءت بصيغة المفرد في سورة الشعراء لتناسب مقتضيات السياق، فهي بمعنى الرسالة وقد اشترك موسى وهارون -عليهما السلام- في وحدة التبليغ والشرعية فوحد الخطاب، بينما تثبت في سورة طه لأنها دلت على الوصفية .

وفسر الزمخشري قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (116) فَقُلْنَا يَبْأَدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ [ طه: 116-117 ]، قال « وإنما أسند إلى آدم وحده فعل الشقاء دون حواء بعد اشتراكهما في الخروج ؛ لأن في ضمن شقاء الرجل، وهو قيم أهله وأميرهم شقاءهم، كما أن في ضمن سعادته سعادتهم، فاختصر الكلام بإسناده إليه دونهما»<sup>(2)</sup>، فكان الخطاب موجها لآدم في البداية، ثم تم اشراك حواء فيه (يخرجنكما)، ليفرده بعدها ويقصر الشقاء على آدم فقال ( فتشقى ) ولم يقل (تشقيا) لما عرف من أمر رعاية ونفقة الرجل لأهله وقيامه على شؤونهم فبسعادته تسعد وبشقائه تشقى، فالمستند في هذا التأويل الحال والواقع.

وقد يثنى الضمير للدلالة على الجنس، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ﴾ [ النساء: 135 ]، ويثنى الزمخشري خصوصية هذا التركيب بقوله « فإن قلت: لم ثنى الضمير في ( أولى بهما )، وكان حقه أن يوحد، لأن قوله " إن يكن غنيا أو فقيرا " في معنى إن يكن أحد هذين ؟ قلت: قد رجع الضمير إلى ما دل عليه قوله: " إن يكن غنيا أو فقيرا "، لا إلى المذكور، فلذلك ثنى ولم يفرد، وهو جنس الغني وجنس الفقير، كأنه قيل: فالله أولى بجنسي الغني والفقير، أي بالأغنياء والفقراء»<sup>(3)</sup>، فجاء التعبير بصيغة المبالغة ( قَوَّامِينَ ) لتفيد الكثرة المدامة على إقرار الحق وتحقيق العدالة، والحرص على تأدية الشهادة الصحيحة ولو على الأقربين، وفي تثنية الضمير ( بهما ) التي تعود على الغني والفقير أمر بالتسوية بينهما في الشهادة، فالله يتولى كل منهما، والسبب في العدول مراعاة الجنس.

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 4/382.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 4/113.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 2/162.

وجاء عدول عن الجمع إلى المثنى في قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: 30]، وبيانه « أن السماء كانت لاصقة بالأرض لا فضاء بينهما، أو كانت السماوات متلاصقات، وكذلك الأرضون لا فرج بينهما ففتقها الله وفرج بينهما، وقيل: ففتقناها بالمطر والنبات بعد ما كانت مصمتة ؛ وإنما قيل: كانتا دون كن، لأن المراد جماعة السماوات وجماعة الأرض»<sup>(1)</sup>، فعبر عن سبع سماوات وسبع أرضين بصيغة التثنية فقال (كانتا) ولم يقل (كن)، حيث « قال: "كانتا" ؛ لأنه جعلهما صنفين، كنحو قول العرب: "هما لقاحان سودان"، وفي كتاب الله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ [فاطر: 41] »<sup>(2)</sup>، فالعدول عن الجمع إلى المثنى معهود في الاستعمال اللغوي.

#### - التذكير والتأنيث:

يخضع التذكير والتأنيث في اللغة العربية لضوابط وقواعد مستوحاة من كلام العرب، بحيث يترتب عن الاختلال بها والخروج عنها فساد في النظم ولبس في المعاني، لذا وجبت المطابقة بين ركني الجملة (المسند والمسند إليه)، ولكن الناظم أحيانا قد يعدل عن المطابقة بينهما عن قصد، بغرض إحداث أثر معين أو لدواع بلاغية وأسلوبية، ولأن القرآن الكريم جاء على وفق معهود العرب في الكلام، جاءت ألفاظه مطابقة لبعضها تذكيرا وتأنيثا، وإن وجد عدول فهو لسر بياني كشفه البيانين وبينوا تأويله، ومثاله قوله تعالى ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: 78]، حيث اشير للشمس باسم إشارة مذكر ووضح الزمخشري سبب ذلك، قال « فإن قلت: ما وجه التذكير في قوله: "هذا ربي"، والإشارة للشمس ؟ قلت: جعل المبتدأ مثل الخبر لكونهما عبارة عن شيء واحد، كقولهم: ما جاءت حاجتك، ومن كانت أمك ... وكان اختيار هذه الطريقة واجبا لصيانة الرب عن شبهة التأنيث، ألا تراهم قالوا في صفة الله: "علام"، ولم يقولوا: علامة، وإن كان "علامة" أبلغ ؛ احترازا من علامة التأنيث»<sup>(3)</sup>، فقد كان إبراهيم - عليه السلام - يجهل حقيقة الخالق عز وجل فجعله في أكبر شيء يمكن أن تبصره عينه، كنوع من الاستدلال والتدبر انطلاقا من المخلوق للوصول إلى الخالق، وفي إشارته

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 4/140.

<sup>2</sup> - كتاب معاني القرآن، الأخفش الأوسط: أبو الحسن سعيد بن مسعدة، تح: هدى محمود قراعة . مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1990، ج 2/448.

<sup>3</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 2/367.

إلى الشمس باسم إشارة مذكر حمل دلالة التنزيه والتعظيم، فلمستند في التأويل هنا الاعتقاد والاحتراز من الوقوع في ما ينقص من الأدب مع الله، ويمكن أن يحمل الكلام على إرادة الشيء أو الكوكب، فيقدر على النحو: هذا الشيء ربي أو هذا الكوكب ربي.. فيكون حملا على المعنى.

وأشير إلى لفظ ( الرحمة ) باسم الإشارة المفرد المذكر ( هذا ) في قوله تعالى ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنِّي ﴾ [الكهف: 98]، وأوله الزمخشري قال « " هذا " إشارة إلى السد، أي: هذا السد نعمة من الله و(رحمة): على عباده، أو هذا الإقذار والتمكين من تسويته »<sup>(1)</sup>، حيث جاءت ( رحمة ) على وزن ( فعلة )، وأول الزمخشري الإخبار بالمذكر عن المؤنث بالحمل على المعنى، أي المشار إليه هو السد ليدل على القدرة والتمكين.

ونقل الرازي عدة آراء تبين سبب تذكير لفظة ( قريب ) في قوله تعالى ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: 56]، وجعلها في وجوه<sup>(2)</sup>:

الأول: أن الرحمة تأنيثها ليس بحقيقي وما كان كذلك فإنه يجوز فيه التذكير والتأنيث عند أهل اللغة .

الثاني: قال الزجاج: إنما قال ( قريب ) لأن الرحمة والغفران والعفو والانعام بمعنى واحد فقوله ( إن رحمة الله قريب من المحسنين ) بمعنى إنعام الله قريب وثواب الله قريب فأجري حكم أحد اللفظين على الآخر.

الثالث: قال النضر بن شميل: الرحمة مصدر ومن حق المصادر التذكير كقوله ( فمن جاءه موعظة ) .

الرابع: أن يكون التأويل إن رحمة الله ذات مكان قريب من المحسنين .

وتطابق الصفة الموصوف في التأنيث والتذكير، حيث وردت المغايرة في قوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ أُنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ﴾ [آل عمران: 40]، فجاء بلفظ ( عاقر ) بدل ( عاقرة )، وفسر ابن الجوزي ذلك بقوله « قال اللغويون: والعاقر من الرجال والنساء: الذي لا يأتيه الولد وإنما قال: " عاقر " ولم يقل: " عاقرة " ؛ لأن الأصل في هذا الوصف للمؤنث والمذكر فيه كالمستعار،

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 3/616.

<sup>2</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 14/142-143.

فأجري مجرى " طالق " <sup>(1)</sup>، فلم تلحق علامة التأنيث بلفظ ( عاقر ) لملازمة هذا الوصف للمؤنث واختصاصه بهن .

ويرد لفظ ( الفردوس ) مذكرا وإنما أنث في قوله تعالى ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (10) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفَرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [ المؤمنون: 10-11 ]، لسر دلالي وضحه الزمخشري بقوله « أنث الفردوس على تأويل الجنة، وهو: البستان الواسع الجامع لأصناف الثمر ». <sup>(2)</sup>

وجاء في قوله تعالى ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾ [ يوسف: 76 ]، حيث عاد الضمير ( استخرجها ) على لفظ مؤنث، والمقصود في الآية هو ( الصواع ) وهو لفظ مذكر، وقد فسر الزمخشري سبب ذلك قال « فإن قلت: لم ذكر ضمير الصواع مرات ثم أنثه ؟ قلت: قالوا: رجع بالتأنيث على السقاية، أو أنث الصواع ؛ لأنه يذكر ويؤنث، ولعل يوسف كان يسميه سقاية وعبده صواعا » <sup>(3)</sup>، فذكر الضمير عندما كان عائدا على الصواع وأنث عندما عاد على السقاية، وهو من باب الاتساع فيعبر مرة بهذا ومرة بهذا.

#### - التعريف والتذكير:

اهتم البيانون بمسألة التعريف والتذكير أثناء دراستهم للتراكيب اللغوية، ووضحوا أحوال المسند إليه والمسند مؤكدين أن اختيار الكلمة نكرة أو معرفة يكون لدواع دلالية، ولكي يتحقق التناسب بين المبني والمعنى المتوخى؛ إذ عالجوا المفردة القرآنية من ناحية بنيتها التركيبية وتعريفها وتنكيرها، وبينوا أغراضها البلاغية التي تدرك من خلال السياق وقرائن الأحوال .

فمن مواضع التعريف ما جاء في قوله تعالى ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [ فاطر: 15 ]، وفسر الزمخشري سبب مجيء لفظة ( الفقراء ) معرفة بقوله « فإن قلت: لم عرف الفقراء ؟ قلت: قصد بذلك أن يريهم أنهم لشدة افتقارهم إليه هم جنس الفقراء، وإن كانت الخلائق كلهم مفتقرين إليه من الناس وغيرهم ؛ لأن الفقر مما يتبع الضعف » <sup>(4)</sup>، وجه الخطاب للناس

<sup>1</sup> - زاد المسير: ابن الجوزي، ص: 193.

<sup>2</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 4/221.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 3/309-310.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 5/148-149.

عامة فجميع الموجودات تفتقر إلى الله ومن بينها جنس البشر على اختلاف أحوالهم وأشكالهم؛ فهم دائماً يحتاجون العون والتيسير في طلب الرزق وقضاء الحوائج، وسبب التنكير عند الزمخشري عائد إلى الطبيعة والجبللة التي خلق الله عليها الخلق، فالمستصحب في التأويل هو الحقيقة والواقع.

وورد لفظ ( المفلحون ) معرفاً في قوله تعالى ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [ البقرة: 05 ]، ووضح الزمخشري دلالة التعريف، قال « ومعنى التعريف في ( المفلحون ): الدلالة على أن المتقين هم الناس الذين عنهم بلغك أنهم يفلحون في الآخرة ... أو على أنهم الذين إن حصلت صفة المفلحين، وتحققوا ما هم، وتصوروا بصورتهم الحقيقية، فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة<sup>(1)</sup>، فجاء الإشارة بالبعد (أولئك) بيانا للبعد في المنزلة وعلوها عند الله، فقد أفاد التعريف القصر، أما ضمير الفصل فدل على التوكيد، أي: إثبات المسند للمسند إليه دون غيره، فصفة الفلاح مقصورة عليهم لم تتجاوزهم إلى غيرهم .

كما جاءت لفظة ( القرى ) معرفة في قوله تعالى ﴿ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ ﴾ [الأعراف: 101]، وبين ابن عطية الغاية من ذلك، قال « قال القاضي أبو محمد: ( القرى ) هي خبر الابتداء، وفي ذلك معنى التعظيم لها ولمهلكها، وهذا كما قال في ( ذَلِكَ الْكِتَابُ ) [ البقرة: 2 ] أنه ابتداء وخبر، وكما قال ﷺ ( أولئك الملائكة )، وكقول أبي الصلت تلك المكارم وهذا كثير، وكأن في اللفظ معنى التحسر على القرى المذكورة، والمعنى: نقص عليك من أنباء الماضين لتبين العبر وتعلم المثالات التي أوقعها الله بالماضين<sup>(2)</sup>، فوردت لفظة ( القرى ) في الآيات السابقة وأصبحت معهودة لدى المتلقي معلومة، وتم تعريفها وأشير إليها باسم الإشارة ( تلك ) لتدل على البعد، وهو بعد من نوع آخر، إنه بعد في الزمان وبعد في الذاكرة، ذاكرة النسيان..

ومن التعريف بالإضافة قوله تعالى ﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [ الأنعام: 127 ]، وقد وضع الرازي الغرض الدلالي من هذا التعريف بقوله « إضافة الدار إلى الله تعالى نهاية في تشريفها وتعظيمها وإكبار قدرها، فكان ذكر هذه الإضافة مبالغة في تعظيم الأمر<sup>(3)</sup>، ويمكن أن يحمل لفظ (السلام) على المصدرية، فيكون معنى (السلام) حينها إما (السلامة) لأنهم يسلمون فيها من كل مكروه أو شر، أو (التسليم) لأنه يسلم عليهم فيها..

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 1/161.

<sup>2</sup> - المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي، ج 2/434.

<sup>3</sup> - المصدر السابق، ج 13/198.

ووردت كلمة (حرب) نكرة في قوله تعالى ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة: 279]، لتدل على التعظيم أي حرب عظيمة، قال الزمخشري «كان هذا أبلغ، لأن المعنى: فأذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله»<sup>(1)</sup>، فالآية تابعة لسياق تحريم الربا والكف عن أخذ أموال الناس بالباطل، حيث أفاد التنكير غرض التهويل والتعظيم للمتمسكين بها، ليتوعدهم بحرب عظيمة لزيادة المبالغة في التهديد.

وجاء في قوله تعالى ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل: 69]، فتنكير لفظ (شفاء) أفاد التعظيم، قال الزمخشري «وتنكيره: إما لتعظيم الشفاء الذي فيه، أو: لأن فيه بعض الشفاء وكلاهما محتمل»<sup>(2)</sup>، فدلت الآية على وحدانية الله عز وجل وبديع صنعه في تمكين النحل من إنتاج عسل مختلف الألوان ليكون مصدر شفاء، وتنكير كلمة (شفاء) في سياق الإثبات يفيد التعظيم لا العموم؛ إذ هو شفاء لبعض الأمراض.

وقد يحمل تنكير الكلمة دلالة التفخيم والتعظيم كقوله تعالى ﴿أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: 15]، فلفظة (الخلق) الأولى جاءت معرفة بينما لفظة (خلق) الثانية نكرة لحكمة وضحاها الزمخشري قال «فإن قلت: لم نكر الخلق الجديد، وهلا عرف كما عرف الخلق الأول؟ قلت: قصد في تنكيره إلى خلق جديد له شأن عظيم وحال شديد، حق من سمع به أن يهتم به ويخاف، ويبحث عنه ولا يقعد على لبس في مثله»<sup>(3)</sup>، ففي الخطاب تقييد للكافرين المنكرين للبعث وإحياء الناس من جديد، ومجيء كلمة (خلق) نكرة أفادت تهوين أمرهم والتقليل من شأنهم، فالله الذي خلق الناس من العدم قادر على بعثهم مرة أخرى.

ومثله قوله تعالى ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ عَائِلَتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 01]، حيث وضع الزمخشري دلالة التنكير قال «أراد بقوله: (ليلاً) بلفظ التنكير تقليل مدة الإسرائ، وأنه أسرى به في بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة، وذلك أن التنكير فيه قد دلّ على معنى البعضية، ويشهد لذلك

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 508/1.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 451/3.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 595-594/5.

قراءة عبد الله وحذيفة (من الليل)؛ أي: بعض الليل، كقوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدُ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء: 79]، يعني: الأمر بالقيام في بعض الليل<sup>(1)</sup>، فقد استعان بالقراءات القرآنية في فهم المعنى.

ومن الأغراض البلاغية التي يفيدها التنكير: التعظيم والتكثير، قال تعالى ﴿فِيهَا فَكْهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكَامِ﴾ [الرحمن: 11]، وفسرها الرازي بقوله «التنكير للتكثير أي كثيره، كما يقال لفلان مال أي عظيم، وقد ذكرنا وجه دلالة التنكير على التعظيم، وهو أن القائل كأنه يشير إلى أنه عظيم لا يحيط به معرفة كل أحد، فتنكيره إشارة إلى أنه خارج عن أن يعرف كنهه»<sup>(2)</sup>، حيث وردت لفظة (فاكهة) نكرة لتدل على كثرتها وجاء (النخل) معروفا بيانا لشرفه؛ فهو قوت للناس وفاكهة لهم.

وقد يدل التنكير على التهويل، ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَالْعَصْرِ - (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: 1-2]، قال الرازي «إنما قال (لفي خسر) ولم يقل: لفي الخسر؛ لأن التنكير يفيد التهويل تارة والتحقير أخرى، فإن حملنا على الأول كان المعنى إن الإنسان لفي خسر عظيم، لا يعلم كنهه إلا الله، وتقديره أن الذنب يعظم بعظم من في حقه الذنب؛ أو لأنه وقع في مقابلة النعم العظيمة... وإن حملنا على الثاني كان المعنى أن خسران الإنسان دون خسران الشيطان»<sup>(3)</sup>، حيث أقسم الله - عز وجل - بالعصر وهو دليل من دلائل قدرته على خسران الإنسان مستثنيا المؤمنين الذين يعملون الصالحات الثابتين على الحق والصابرين، وجيء بجواب القسم مؤكدا (إن الإنسان لفي خسر) ولفظ (خسر) نكرة، ليفيد التهويل والإنذار بالمصير المحيط بمعظم الناس.

وحمل الرازي دلالة التنكير على التفخيم أو التحقير في قوله تعالى ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ [الفيل: 03]، قال «لم قال: (طيرا) على التنكير؟ والجواب: أما للتحقير فإنه مهما كان أحقر كان صنع الله أعجب وأكبر، أو للتفخيم كأنه يقول طيرا وأي طير ترمي بحجارة صغيرة فلا تخطئ المقتل»<sup>(4)</sup>، فمعنى إفادتها للتحقير أنها في نظر الناس صغيرة حقيرة ولكنها خلفت أثرا عظيما في إهلاك قوم طاغين، فهي نوع من الطيور ليست معهودة عند العرب أرسلت لمهمة معينة.

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 492/3.

<sup>2</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 94/29.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 87/32.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 99/32.

وفيد التنكير معنى الكمال كقوله تعالى ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا﴾ (12) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا [المزمل: 12-13]، قال الرازي « التنكير في قوله ( وعذابا ) يدل على أن هذا العذاب أشد مما تقدم وأكمل»<sup>(1)</sup>، ففي الآية وعيد للمكذبين بالقيود والنار والطعام البشع بالإضافة لأصناف أخرى من العذاب دلت عليها كلمة ( عذاب ) النكرة.

كما رأى في تنكير لفظ ( صبر ) في قوله تعالى ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: 126]، دلالة الكمال قال « إن قوله ( صبرا ) مذكور بصيغة التنكير، وذلك يدل على الكمال والتمام، أي: صبرا كاملا تاما كقوله تعالى ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوةٍ﴾ [البقرة: 96]، أي: على حياة كاملة تامة»<sup>(2)</sup>، حيث خدم التنكير السياق وصور معاناة السحرة بعد إيمانهم وما تلقوه من محنة من فرعون، فدعوا الله بصبر عظيم يثبت فؤادهم ويعينهم على المواجهة، أما تنكير لفظ (حياة) في الآية الثانية فصور حرص الكافرين الشديد على البقاء والتشبث بالحياة لعدم استعدادهم للرحيل، فدل التنكير على حياة كاملة متطاوله. وقد يحمل المعنى الآخر وهو التحقير والتقليل، فلأنهم يخافون الموت فهم حريصون على (حياة)، أية حياة ! لا يهم كيف هي! المهم ان يحيوا ولا يموتوا، ولو كانت كحياة العجموات ! وهو بعكس دلالة التنكير في قوله تعالى (ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون)، فهي حياة وأي حياة! الحياة الكاملة في الأمان والاطمئنان.. كما أن التعريف في لفظ (القصاص) له دلالاته الخاصة.. ليكتمل المقصد والغرض من تشريع هذا الحكم الملل بالتقوى في هذه الآية من خلال التقديم والتأخير أولا ونداء أولي الألباب آخرا والتعريف والتنكير في لفظي (القصاص) و(حياة)، فيا لعظمة الأسلوب القرآني.

ووضح الزمخشري الغاية من تنكير لفظ ( ليال ) في قوله تعالى ﴿وَالْفَجْرُ (1) وَلَيَالٍ عَشْرٌ﴾ [الفجر: 1-2]، قال « أراد بالليالي العشر: عشر ذي الحجة، فإن قلت: فما بالها منكراً من بين ما أقسم به ؟ قلت: لأنها ليال مخصوصة من بين جنس الليالي: العشر بعض منها، أو مخصوصة بفضيلة ليست لغيرها، فإن قلت: فهلا عرفت بلام العهد؛ لأنها ليال معلومة معهودة ؟ قلت: لو فعل ذلك لم تستقل بمعنى الفضيلة الذي في التنكير ؛ ولأن الأحسن أن تكون اللامات متجانسة، ليكون الكلام

<sup>1</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 181/30.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 218/14.



أبعد من الألغاز والتعمية»<sup>(1)</sup>، ورد القسم بألفاظ معرفة (الفجر)، (الشفع)، (الوتر)، (الليل)، بينما جاءت لفظة (ليال) نكرة لتدل على عظمة وفضل تلك الأوقات عن غيرها .

وتعددت أغراض ومقاصد التنكير، ومن ذلك قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُجَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ [الكهف: 31]، حيث وضع الزمخشري الغاية من التنكير قال « وتنكير ( أساور ) لإبهام أمرها في الحسن»<sup>(2)</sup>، وعد الله تعالى المتقين بجنان عدن ولباس من سندس وإستبرق، وأساور كثيرة لا يدركون شكلها لذا جيء بها بصيغة التنكير .

والتمس الغرض من تنكير لفظة ( أرض ) في قوله تعالى ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ [يوسف: 09]، قال « ( أرضا ) : أرضا منكراً، مجهولة، بعيدة من العمران، وهو معنى تنكيرها وإخلائها من الوصف، وإبهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة »<sup>(3)</sup>، برز من خلال الآية موقف إخوة يوسف -عليه السلام - منه وطريقة تفكيرهم في التخلص منه وإلقائه في أرض بعيدة عن إقامة والدهم مجهولة لذا جاءت نكرة .

وخالف ابن عطية الزمخشري فيما ذهب إليه قال « وقالت فرقة: هو نصب على الظرف وذلك خطأ لأن الظرف ينبغي أن يكون مبهما وهذه هنا ليست كذلك بل هي أرض مقيدة بأنها بعيدة أو قاصية ونحو ذلك فزال بذلك إبهامها، ومعلوم أن يوسف لم يخل من الكون في أرض، فبين أنها أرض بعيدة غير التي هو فيها قريب من أبيه »<sup>(4)</sup>.

وقد أورد السمين الحلبي القولين وبيّن موافقة أبي حيان الأندلسي (الشيخ) ابن عطية، لينتصر هو لقول الزمخشري ويورد قولاً آخر، قال « إنها مفعول ثان، وذلك إن تضمن ( اطرحوه ) أنزلوه، وأنزلوه يتعدى لاثنتين، قال تعالى ( أنزلي منزلاً مباركاً ) وتقول: أنزلت زيدا الدار، والطرح: الرمي، ويعبر به عن الاقتحام في المخاوف»<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 367/6.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 584/3.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 258/3.

<sup>4</sup> - المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي، ج 222/3 -.

<sup>5</sup> - الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي: أحمد بن يوسف، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، داطت، ج 444-445.

وكشف الزمخشري عن النكتة البيانية من تنكير لفظ ( عذاب ) في قوله تعالى ﴿يَأْتِي أَحْزَفُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونُ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [ مريم: 45 ]، قال «لم يخل ذلك من حسن الأدب ؛ حيث لم يصرح بأن العقاب لاحق له وأن العذاب لاصق به، ولكنه قال (أَحْزَفُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابٌ)، فذكر الخوف والمس ونكر العذاب، وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب، وذلك أن رضوان الله أكبر من الثواب نفسه»<sup>(1)</sup>، حيث أظهرت الآية اللطف والأدب الجميل في تعامل إبراهيم - عليه السلام - لأبيه ومحاولة إقناعه متدرجا في نصحه ؛ إذ أخبره بعلمه للحق مما يوجب اتباعه، ثم نهاه عن عبادة الأصنام مذكرا إياه بعقاب الله عز وجل ومصيره الذي ينتهي بولاية الشيطان.

وجاءت لفظة ( حسنة ) نكرة في قوله تعالى ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [ البقرة: 201 ]، ووضح الرازي الغاية من تنكيرها قال « لما ذكر على سبيل التنكير فقال: أعطني في الدنيا حسنة، كان المراد منه حسنة واحدة، وهي الحسنة التي تكون موافقة لقضائه وقدره ورضاه وحكمه وحكمته، فكان ذلك أقرب إلى رعاية الأدب والمحافظة على أصول اليقين»<sup>(2)</sup>، فتم تنكير ( حسنة ) في سياق الدعاء لتشمل حسنات الدنيا ونعمها وحسنات الآخرة من الجنة ونعيمها، فكان الدعاء شاملا جامعاً لكل مطلب دنيوي من عافية، ورزق، وعلم، وصرفٍ لكل شرٍّ، أما حسنة الآخرة فاخترلت حسنات عديدة كالفوز بالجنة وسهولة الحساب .

وعقد البيانيون مقارنة بين الآيات التي وردت فيها اللفظة معرفة أو منكرة، وبينوا الحكمة والغرض البياني من ذلك، فمجيء الكلمة نكرة يكون لقصد دلالي وإيفاء بالمعاني التي تعجز عن بلوغها في حالة التعريف، ووضح الرازي ذلك عند تحديده للفرق بين لفظة ( الريح ) معرفة ومنكرة في آتي عذاب قوم عاد في سورتين مختلفتين، قال « قال تعالى وهنا ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ [ القمر: 19 ]، وقال في الذاريات ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [ الذاريات: 41 ]، فعرف الريح هناك ونكر هاهنا ؛ لأن العقيم في الريح أظهر من البرد الذي يضر النبات أو الشدة التي تعصف الأشجار ؛ لأن الريح العقيم التي لا تنشئ سحاباً ولا تلقح شجراً وهي كثيرة الوقوع، وأما الريح المهلكة

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 24/4.

<sup>2</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 205/5.

الباردة فقلما توجد، فقال الريح العقيم أي من الجنس المعروف<sup>(1)</sup>، حيث جيء بلفظة (الريح) بصيغة التنكير مناسبة لسياق التعذيب، والذي فيه توضيح لمهلك عاد بريح وصفت بالصرر تعظيما لأمرها والأثر الذي أحدثته؛ إذ اقتلعتهم من أماكنهم اقتلاعاً، فهي نوع من الرياح غير المعهودة نزلت عقاباً لتكذيبهم بالحق، أما ورود لفظة (الريح) معرفة في الآية [41 من الذاريات] فلأنها ريح معروفة عند الناس ووصفها بالعقيم؛ لأنها لا تنثر سحاباً ولا تلقح شجراً.

ويبين الأثر المترتب عن تنكير لفظ (البلد) في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: 126]، وتعريفه في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا وَاجْعَلْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: 35]، حيث وقعت الدعوة الأولى ولم يكن المكان بلداً معموراً، بينما وقعت الدعوة الثانية بعدما صار بلداً مأهولاً، لذلك دعا له بالأمن والسلامة، كما حمل التنكير معنى المبالغة في حين دل التعريف على طلب الأمن لا طلب المبالغة.<sup>(2)</sup>

وتساءل الزمخشري عن سر تنكير (صيب) وتعريف السماء في قوله تعالى ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَنُقُرٌ﴾ [البقرة: 19]، ليكشف عن المزية الأسلوبية قائلاً «وتنكير صيب؛ لأنه أريد نوع من المطر شديد هائل، ... فإن قلت: قوله: (من السماء) ما الفائدة من ذكره، والصيب لا يكون إلا من السماء؟ قلت: الفائدة فيه أنه جاء بالسماء معرفة فنفي أن يتصوب من سماء، أي من أفق واحد من بين سائر الآفاق، لأن كل أفق من أفاقها سماء، كما أن كل طبقة من الطباق سماء».<sup>(3)</sup>

ومن بلاغة النظم القرآني مجيء لفظة القصاص معرفة ولفظة (حياة) نكرة في قوله تعالى ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَّأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 179]، قال الزمخشري «ومن إصابة محز البلاغة بتعريف القصاص وتنكير الحياة؛ لأن المعنى: ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة عظيمة، وذلك أنهم كانوا تقتلون بالواحد الجماعة، ... فلما جاء الإسلام بشرع القصاص كانت فيه

<sup>1</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 46/29.

<sup>2</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ج 60/4.

<sup>3</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 203/1.

حياة أي حياة، أو نوع من الحياة، وهي الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل»<sup>(1)</sup>، فجاء في الآية بيان للحكمة من تشريع القصاص في تركيب موجز اختزل الكثير من المعاني، ففي تطبيقه حماية للنفوس وحقن للدماء الناتج عن الارتداع والامتنال لأمر الله تعالى، وتخليص للناس من عادة ذميمة متمثلة في الثأر الذي يحصد الكثير من الأرواح، لذا عبر بلفظ ( حياة ) نكرة استجابة لمقتضيات السياق .

ووضح الزمخشري الغاية من تعريف ( الحسنة ) وتنكير ( السيئة ) في قوله تعالى ﴿ فَإِذَا جَاءَهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ﴾ [الأعراف: 131]، قال «فإن قلت: كيف قيل فإذا جاءهم الحسنة وإذا وتعرّف الحسنة، وإن تصبهم سيئة إن وتنكير السيئة؟ قلت: لأن جنس الحسنة، وقوعه كالواجب ؛ لكثرة واتساعه، وأما السيئة فلا تقع إلا في الندرة منها؛ ومنه قول بعضهم: قد عددت أيام البلاء، فهل عددت أيام الرخاء؟»<sup>(2)</sup>، حيث جيء بلفظة (الحسنة) معرفة مسبقة بـ (إذا) والفعل الماضي لتفيد اليقين بوقوع الشرط وتعكس موقف فرعون وقومه ونظرهم للنعم واستحقاقهم لها، فهي كثيرة الحصول عندهم، ما جعلهم يمتنعون عن شكر المنعم -عز وجل -، أما لفظة ( سيئة ) فوردت نكرة مسبقة بـ (إن) لتدل على التردد في وقوع الإصابة بها، فالمصائب غير مألوفة بالنسبة لهم لذا ربطوا حلولها بموسى - عليه السلام - ومن اتبعه .

تعد المفردة القرآنية اللبنة الأساسية في التركيب القرآني، لذا اهتم البيانيون بدراساتها والكشف عن قيمتها التعبيرية ووظيفتها الدلالية وحسن موقعها المناسب للسياق، حيث عمدوا إلى تحليل بنيتها الصرفية مستخلصين المعاني الإضافية التي أضفتها داخل النظم، مؤكدين تفرد التعبير القرآني المعجز؛ فكل كلمة وضعت موضعاً فنيا مقصوداً أكسبها مزية مع ما يجاورها من المفردات، والذي يجعلها على قدر واحد من البيان في أداء المعنى، فلو استبدلت بغيرها من الألفاظ المماثلة لها في المعنى والتي يظن البعض ترادفها، ما كانت لتؤدي الغرض المراد مما ينتج دلالة مغايرة، كما بحثوا في الحالات التي ترد فيها المفردة القرآنية: الإفراد والتثنية والجمع، والتأنيث والتذكير والتعريف والتنكير، موضحين أن عدم المطابقة بين ركني الجملة ( المسند والمسند إليه ) يكون لدواعٍ أسلوبية وجمالية بيانية اقتضاها السياق.

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 373/1.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 493/2.

### المبحث الثاني: مباحث التركيب القرآني في الدرس الإعجازي من التأسيس حتى نهاية القرن السادس الهجري

بحث البيانين في طرائق التعبير وضروبه، والكيفية التي تنتظم بها الألفاظ ضمن أنساق معينة، تخضع لمعاني النحو وارتفاعات سياقية محيطية بالخطاب، والتي تمنحه قيمة إبلاغية وفنية، فالنظم في جوهره « يقوم على التلازم والانسجام بين الأجزاء واثلافها على نحو يوفر التماسك التركيبي، ويجعل أي تغيير في بناء النص يؤدي إلى تداعيه، أو إلى تغيير معانيه وسماته »<sup>(1)</sup>، فكل تغيير في التركيب من تقديم عنصر من عناصره، أو تأخير، أو ذكره، أو حذفه يكون لغرض بلاغي يبتغيه الناظم، فالعدول من تعبير إلى تعبير يصحبه عدول من معنى إلى معنى ؛ حيث تتغير صياغة التركيب بتغير مقاصده وأغراضه، فتتألف الألفاظ والمعاني لتصور الخواطر والانفعالات والاهتمامات « وهذه الخواطر لا تنكشف إلا بالتدقيق في منازع الصياغة وأحوال المباني، وأن البحث في هذه الخواطر والمنازع والصور هو نفسه البحث في أحوال المباني »<sup>(2)</sup>، فلا يمكن الظفر بالمعاني دون الغوص في البنى التركيبية، والبحث في مواقع ألفاظها وكيفية ترتيبها والعلاقات النحوية التي تنتج عن ضم بعضها إلى بعض، والتغيرات التي يمكن أن تطرأ عليها فتتقلها من مستوى تألوفي مألوف يؤطره النظام النحوي إلى مستوى إبداعي تتجلى جماليته في العدول عن الأصل المعتمد، والذي يكون استجابة لمقتضيات المقام وسياق القول .

فلم تقتصر دراسة البيانين للقرآن الكريم على مفرداته بل شملت تراكيبه ؛ حيث بحثوا في خصائص نظمه ودقائق تعبيره، وما ينضوي عليه من دلالات إعجازية وأسرار بيانية، فالمعاني القرآنية تكون أكثر مطابقة لمقتضيات الأحوال وفق نسق محكم ونظم عجيب تتنوع فيه الأساليب من تقديم وتأخير وحذف وقصر، لتعرب عن معان جديدة، وهو ما ستعتمد هذه الدراسة إلى بيانه وتوضيح جوانبه .

<sup>1</sup> - الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، ابتسام أحمد حمدان، مراجعة: أحمد عبد الله فرهود، دار القلم العربي، حلب، سورية، ط1، 1997، ص: 71.

<sup>2</sup> - دلالات التراكيب دراسة بلاغية، محمد محمد أبو موسى، ص: 08.

#### - التقديم والتأخير:

سعى البيانون في مدوناتهم إلى بيان الأغراض البلاغية من مخالفة التراكيب لأصل الوضع وعدولها عن النظام التأليفي المعهود، فتقديم عنصر من عناصر الجملة أو تأخيرها يكون لغاية دلالية يتغيها الناظم؛ فلا يتم رصف الألفاظ عشوائيا دون مراعاة المعاني المختزنة داخلها، أو الموقع الوظيفي الذي تحتله في سياق التركيب الجملي؛ بل لابد أن تعكس الأفكار، والتصورات والمشاعر المكنونة داخل النفس وفق نسق معين، لتشكل بذلك علاقات نحوية وارتباطات دلالية تخضع للظروف المحيطة بالخطاب.

واسترعى هذا الفن اهتمام البيانين لما تضمنه من جمالية وأسرار عجز البعض عن بلوغها والإحاطة بجوانبها، حيث اقتضت دراسة السابقين على بيان موضع العنصر المقدم أو المؤخر، أو الاكتفاء بتعليل سبب التقديم والتأخير في العناية والاهتمام دون الغوص في تحليل التراكيب واستجلاء الأغراض التي ضمنت في النص، فكل ترتيب يختلف دلالاته باختلاف المقاصد والمقام، وهو ما كشف عنه الأعلام في تفسيرهم لآيات الذكر الحكيم مؤكداين دور معاني النحو في بناء النظم، والفنية التي يضيفها تقديم المسند، أو المسند إليه، أو مكملات الإسناد.

فتقديم المفعول على العامل ورد في سياقات عديدة، ومن ذلك تقديم المفعول على الفعل في قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 04]، فسر الزمخشري سبب التقديم بقوله «وتقديم المفعول لقصد الاختصاص كقوله تعالى ﴿قُلْ أَفْقِرُ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ﴾ [الزمر: 64]، ﴿قُلْ أَعْيُرُ اللَّهِ أُنْغِي رَبًّا﴾ [الأنعام: 164]، والمعنى: نخصك بالعبادة، ونخصك بطلب المعونة»<sup>(1)</sup>، في حين رأى ابن عطية أن الغاية الدلالية من تقديم المفعول (إياك) على الفعل (نعبد) أمر مرتبط بدافع عقدي؛ ذلك أن «نطق المؤمن به إقرار بالربوبية، وتذلل وتحقيق لعبادة الله، إذ سائر الناس يعبدون سواه من أصنام وغير ذلك، وقدم المفعول على الفعل اهتماما، وشأن العرب تقديم الأهم»<sup>(2)</sup>، حيث اتفق ابن عطية مع سيبويه في أن الاهتمام بالعنصر المقدم هو الدافع لتغيير مواقع عناصر الجملة، بينما ذهب الزمخشري إلى أن تقديم المفعول على الفعل حمل دلالة التخصيص، أي: تخصيص وإفراد الله تعالى

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 1/117-118.

<sup>2</sup> - المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي، 1/72.

بالعبادة والاستعانة به دون غيره، والقول بالاختصاص الذي قال به الزمخشري -وهو الأكثر دقة في توجيه التقديم- تخصيصاً لعموم القول بالأهمية أو تفسيراً له، وكلاهما مرتبطان بالعقيدة والعبادة.

وقدم المفعول به (أنفسهم) على الفعل (يظلمون) في قوله تعالى ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 40]، قال ابن عطية «وظلمهم أنفسهم كان بالكفر، ووضع العبادة في غير موضعها، وقدم المفعول على (يظلمون) للاهتمام، وهذا نحو (إِيَّاكَ تَعْبُدُ) [الفتح: 05] وغيره»<sup>(1)</sup>، ففي الآية تفصيل للعذاب الذي تلقته الأمم السابقة (قوم لوط، ثمود، قارون، قوم نوح، فرعون وقومه)، حيث قدم المفعول به (كلا) على عامله (أخذنا)، كما قدم المفعول به (أنفسهم) على عامله (يظلمون) لبيان سبب هلاكهم النابع من ظلمهم لأنفسهم وتحذيراً لمرتكي الخطايا المتمسكين بطريق الغي من عواقب هذا الفعل.

بينما أرجع الزمخشري سبب تقديم المفعول به في قوله تعالى ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: 177] إلى الاختصاص، قال «تقديم المفعول به للاختصاص كأنه قيل: وخصوا أنفسهم بالظلم لم يتعداها إلى غيرها»<sup>(2)</sup>، فتخصيص النفس بالظلم حمل دلالة التحذير والوعيد من سوء العاقبة والجزاء.

ولم تخرج تعليلاته في تقديم المفعول عن دائرة الاختصاص، ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَؤُلَاءِ هُمْ يَرَوْنَ عَذَابَ الْبَارِئِ وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: 40]، قال «فلا تنقضوا عهدي، وهو قولك: زيدا رهبت، وهو أوكد في إفادة الاختصاص من (إِيَّاكَ نَعْبُدُ)»<sup>(3)</sup>، حيث أفاد تقديم المفعول به (يأي) على عامله (فارهبون) تعظيم الله عز وجل وتفخيمه وتخصيصه بالخشية وحده.

وعمد الزمخشري في موضع آخر إلى إعمال فكر القارئ في البحث عن غرض تقديم المفعول (يأي) على الفعل (فاعبدون) في قوله تعالى ﴿يَعْبُدِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّيْ فَاعْبُدُون﴾ [العنكبوت: 56]، ليهديه للجواب، قال «فإن قلت: ما معنى الفاء في (فاعبدون) وتقديم

<sup>1</sup> - المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي، ج 4/318.

<sup>2</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 2/533.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 1/258.

المفعول؟ قلت: الفاء جواب شرط محذوف ؛ لأن المعنى: إن أرضي واسعة فإن لم تخلصوا العبادة لي في أرض فأخلصوها لي في غيرها، ثم حذف الشرط وعوض من حذفه تقديم المفعول، مع إفادة تقديمه معنى الاختصاص والإخلاص<sup>(1)</sup>، ففي الآية تحريض للمستضعفين من المؤمنين بالهجرة لبلد آخر يتمكنون فيه من ممارسة شرائعهم الدينية دون قيد أو خوف، وناسب تقديم المفعول على الفعل هذا المعنى، أي: تخصيص الله عز وجل بالعبادة والإخلاص .

وقوله تعالى ﴿ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّثْلًا وَحِدًا نُنْبِئُكَ إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴾ [ القمر: 24 ]، فقدم المفعول به على الفعل ليتوافق مع السياق المراد، ووضح الرازي ذلك بقوله « إذا كان بشرا منصوبا بفعل، فما الحكمة في تأخر الفعل في الظاهر؟ نقول قد قدم مرارا أن البليغ يقدم في الكلام ما يكون تعلق غرضه به أكثر وهم كانوا يريدون تبين كونهم محقين في ترك الاتباع فلو قالوا أنتبّع بشرا يمكن أن يقال: نعم اتبعوه وما يمنعكم من اتباعه، فإذا قدموا حاله وقالوا: هو نوعنا بشر ومن صنفنا رجل ليس غريبا نعتقد فيه أنه يعلم ما لا نعلم، أو يقدر مالا نقدر، وهو واحد وحيد وليس له جند وحشم وخيل وخدم، فكيف نتبعه ؟ فيكونون قد قدموا الموجب لجواز الامتناع من الاتباع »<sup>(2)</sup>، فأشار إلى تقديم المفعول (بشرا) في الاستفهام الإنكاري، أي ( فقالوا: أبشرا منا واحدا نتبع؟ )، وفي ذلك توضيح لتصور الكفار لحقيقة الرسول الذي يجب أن يكون ملكا حتى يصح اتباعه وليس بشرا مثلهم، فكان انتظام الألفاظ موافق لهذا الاعتقاد؛ وكاشفا عن نفسية هؤلاء الكفرة وما حوته نفوسهم من الكبر والغرور، كما وجد تقديم آخر وهو تقديم الظرف ( الجار والمجرور ) على الوصف في قوله تعالى (أَبَشَرًا مِّثْلًا وَحِدًا نُنْبِئُكَ).

وورد تقديم المفعول في الاستفهام الإنكاري في قوله تعالى ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ [ الأنعام: 14 ]، قال الزمخشري « أولى " أغير الله " : همزة الاستفهام دون الفعل الذي هو: " اتخذ " ؛ لأن الإنكار في اتخاذ غير الله وليا، لا في اتخاذ الولي، فكان أولى بالتقديم »<sup>(3)</sup>، فجاء نظم الآية مركبا من: ( فعل أمر ( قُلْ )، وهمزة استفهام (أ)، ومفعول به أول مقدم ( غير )، ومضاف إليه لفظ الجلالة (الله)، وفعل مضارع ( اتَّخذ )، ومفعول به ثان

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 4/558.

<sup>2</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 29/50.

<sup>3</sup> - المصدر السابق، ج 2/329.



(وليًا)، حيث قدم المفعول به الأول (غير) على عامله (أخذ)، والمقصود إنكار اتخاذ غير الله وليا وليس على اتخاذ الولي ذاته.. ولو قدر أحدهم التعبير عن المعنى بالقول: ( قل: أوليا غير الله أأخذ؟) لأفاد تخصيص الله بالولاية.

انتظمت الألفاظ في قوله تعالى ﴿ أَتُفَكَّا ۚ هَآءِ ٱللَّهُ ذُوْنَ ٱللَّهِ تُرِيدُوْنَ ﴾ [ الصافات: 86]، بتقديم المفعول لأجله (إفكا)، وقد تكون حالا، على المفعول به ( آلهة )، ثم تقديمهما على الفعل (تريدون) لبيان شدة الإنكار، وقد أوضح الزمخشري مزية هذا التقديم، قال « " أفككا " مفعول له، تقديره: أتريدون آلهة من دون الله إفكا، وإنما قدم المفعول على الفعل للعناية، وقدم المفعول له على المفعول به؛ لأنه كان الأهم عنده أن يكافحهم بأنهم على إفك وباطل في شركهم »<sup>(1)</sup>، فكان التقديم وسيلة للإنكار والتوبيخ على ما أقدم عليه قوم إبراهيم - عليه السلام - من اتخاذ آلهة غير الله، وجيء بصيغة الاستفهام ليعكس تلك الجرأة في الإرادة والاتخاذ، ويحمل دلالة التهيب لهم بالعقاب لتمسكهم بشركهم، فالتقديم عند الزمخشري للعناية والاهتمام، كما في توجيهه للتقديم في الآية، وليس الغرض التخصيص دائما كما أشاع عنه البعض.. وربما يؤيده ما قاله عن تقديم الظرف (الجار والمجرور) في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴾ [ الصافات: 83]، فلم يقل: وإن إبراهيم لمن شيعته..

وجعل الرازي العناية والاهتمام سببا في تقديم المفعول به في قوله تعالى ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآءِيلَ وَرَأْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ [ المائدة: 70]، قال « ما الفائدة من تقديم المفعول ... الجواب: قد عرفت أن التقديم إنما يكون لشدة العناية، فالتكذيب والقتل وإن كانا منكراين إلا أن تكذيب الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وقتلهم أقبح، فكان التقديم لهذه الفائدة »<sup>(2)</sup>، سيق النظم في الآية مساق تفصيل؛ إذ كشف طريقة تعامل بني إسرائيل مع رسلهم؛ فتقدم المفعول به (فريقا) على عامله (كذبوا) و(يقتلون) تقبيحا لعملهم وبيانا لعتوهم وعدم استجابتهم للحق.

والتمس الرازي دافعا آخر في تغيير رتبة المفعول به في موضع والاحتفاظ بها في موضع ثانٍ رغم وحدة الخطاب، حيث فسر قوله تعالى ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، 216/5.

<sup>2</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 59/12.

قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا» [الأحزاب: 26]، قال «والحامل على مثل هذا الكلام شدة الاهتمام ببيان المفعول، وههنا كذلك لأنه تعالى لما ذكر حال الذين ظاهروهم وأنه قذف في قلوبهم الرعب، فلو قال تقتلون إلى أن يسمع السامع مفعول تقتلون يكون زمان وقد وقد يمنعه مانع فيفوته فلا يعلم أنهم هم المقتولون، فأما إذا قال فريقا مع سبق في قلوبهم الرعب إلى سمعه يستمع إلى تمام الكلام وإذا كان الأول فعلا ومفعولا قدم المفعول لفائدة عطف الجملة الثانية عليها الأصل فعدم تقديم الفعل لزوال موجب التقديم إذا عرف حالهم وما يجيء بعده يكون مصروفا إليهم، ولو قال بعد ذلك وفريقا تأسرون فمن سمع فريقا ربما يظن أن يقال فيهم يطلقون، أو لا يقدرّون عليهم فكان تقديم الفعل ههنا أولى»<sup>(1)</sup>، عمدت الآية إلى تصوير الهزيمة النفسية التي تعرض لها الكفار والخوف الذي تملكهم وحملهم على النزول من حصونهم وأدى لهزيمتهم العسكرية، وكان لترتيب الألفاظ أثر في إظهار هذا النصر؛ إذ تقدم المفعول به (فريقا) على عامله (تقتلون) ليوضح غرابة حال هذا الفريق الذي استسلم رغم امتلاكه لآيات النصر من تحصين وسلاح، ولندرة تلك الحالة ورد التقديم اهتماما، بينما احتفظ المفعول برتبته في قوله تعالى (تأسرون فريقا)؛ لأنها حالة مألوفة من أسر النساء والأطفال فهم أشد ضعفا ولا غرابة في ذلك، فلم يستوجب تقدما .

وأوضح الزمخشري مزية تقديم المفعول به على الفاعل في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: 28]، قال «فإن قلت: هل يختلف المعنى إذا قدم المفعول في هذا الكلام أو آخر؟ قلت: لا بد من ذلك، فإنك إذا قدمت اسم الله وأخرت العلماء كان المعنى: إن الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم وإذا عملت على العكس انقلب المعنى إلى أنهم لا يخشون إلا الله، كقوله تعالى ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحزاب: 39]، وهما معنيان مختلفان»<sup>(2)</sup>، فإن قارنا بين التركيب الأصلي والتركيب المعدول إليه وجدنا تباينا في المعاني تبعا لمقاصد الخطاب، والذي استوجب طريقة مخصوصة في انتظام الألفاظ داخل النسق، حيث جيء بـ (إنما) لإفادة الحصر وقدم لفظ الجلالة (الله) على الفاعل (العلماء)، لبيان أن العلماء هم أشد خشية لله، ونيلهم لهذه المنزلة كان نتاج علمهم بشرع الله ومعرفتهم بأسمائه وصفاته عز وجل، فأفاد التقديم حصر الفاعلية، بينما لو احتفظ المفعول برتبته: (إنما يخشى الله العلماء) لاختلف المعنى ولصار: لا يخشى

<sup>1</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، 2050/25

<sup>2</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 154/5.

العلماء إلا الله، وهذا غير صحيح فقد وجد من العلماء من يخشون غير الله، فكل تغيير في مواقع الألفاظ يتبعه اختلاف في المعنى .

وجاء التقديم في قوله تعالى ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ﴾ [ الأنعام: 100 ]، حيث قدم المفعول به الثاني على المفعول به الأول لإفادة التعظيم، قال الزمخشري « إن جعلت " الله شركاء " مفعولي جعلوا، نصبت الجن بدلا من شركاء، وإن جعلت ( الله ) لغوا، كان " شركاء الجن " مفعولين قدم ثانيهما على الأول، فإن قلت: ما فائدة التقديم ؟ قلت: فائدته استعظام أن يتخذ الله شريك من كان ملكا أو جنيا أو إنسيا أو غير ذلك، ولذلك قدم اسم الله على الشركاء »<sup>(1)</sup>، فإذا حللنا البنية التركيبية للآية نجد تقديم لفظ الجلالة: الجار والمجرور على المفعول الأول تبكيئا وتعجبا مما اقترفوا، وإنكار الجعل لله لا إلى مطلق الجعل، كما قدم المفعول الثاني ( شركاء ) على المفعول به الأول (الجن) لاستعظام اتخاذ الشريك سواء أكان من الجن أم غيره، فمجيء التركيب على الأصل ( وجعلوا الجن شركاء لله ) لن يفيد الدلالة التي قدمها التقديم والتأخير، وإنما يكون المنكر كون الجن هم الشركاء لا مطلق الجعل من دون الله، وقد اتفق الرازي مع الزمخشري في الوجه الذي ذكره ( استعظام اتخاذ شريك لله سبحانه وتعالى )، وأضاف إليه عبارة سيبويه في أنهم يقدمون الأهم والذي هم بشأنه أعنى<sup>(2)</sup>، وحل عبد القاهر الجرجاني هذا التقديم تحليلا دقيقا قال « ليس بخاف أن لتقديم ( الشركاء ) حسنا وروعة ومأخذا من القلوب، أنت لا تجد شيئا منه إن أنت أخرت، فقلت: ( وجعلوا الجن شركاء لله )... بيانه أنا وإن كنا نرى جملة المعنى ومحصوله، أنهم جعلوا الجن شركاء وعبدوهم مع الله تعالى، وكان هذا المعنى يحصل مع التأخير، حصوله مع التقديم، فإن تقديم ( الشركاء ) يفيد هذا المعنى ويفيد معه معنى آخر، وهو أنه ما كان ينبغي أن يكون لله شريك لا من الجن ولا من غير الجن، وإذا أخر فقليل: ( جعلوا الجن شركاء لله )، لم يفد ذلك، ولم يكن فيه شيء أكثر من الإخبار عنهم، بأنهم عبدوا الجن مع الله تعالى؛ فأما إنكار أن يعبد مع الله غيره، وأن يكون له شريك من الجن وغير الجن، فلا يكون في اللفظ مع تأخير ( الشركاء ) دليل عليه»<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج2/380.

<sup>2</sup> - ينظر: تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 120/13.

<sup>3</sup> - دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ص: 289

وقدم المفعول به الثاني على الأول في قوله تعالى ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: 43]، وقد قال الزمخشري عنه « فإن قلت: لم أخرج هواه والأصل قولك: اتخذ الهوى إلها؟ قلت: ما هو إلا تقديم المفعول الثاني على الأول للعناية، كما تقول: علمت منطلقا زيدا: لفضل عنايتك بالمنطلق»<sup>(1)</sup>، فتضمن التركيب شقين: الأول مركب من استفهام إنكاري (أرأيت من اتخذ الهه هواه) تقدم فيه عنصر من عناصره؛ حيث يتعدى الفعل (اتخذ) إلى مفعولين قدم المفعول الثاني (إلها) على المفعول الأول (الهوى) بغرض التعجيب المشوب بالإنكار من حال الذين اتخذوا إلههم هواهم، في حين جعل الزمخشري الغاية من التقديم هي: العناية بالعنصر المقدم، أما الشق الثاني فهو قوله تعالى ﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ فيه تقديم الجار والمجرور (عليه) وهو استفهام أنكر حزن وحرص النبي ﷺ على هداهم مؤكدا أن مثلهم لا يرجى اعتدائه .

بحث الرازي عن المزية النحوية والبلاغية من التقديم والتأخير في قوله تعالى ﴿قُلْ لَّوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا أَنْتُمْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ [الأنعام: 100]، فنحويا «كلمة (لو) من شأنها أن تختص بالفعل لأن كلمة (لو) تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره، والاسم يدل على الذوات والفعل هو الذي يدل على الآثار والأحوال والمنتفى هو الأحوال والآثار لا الذوات فثبت أن كلمة (لو) مختصة بالأفعال... أما البحث المتعلق بعلم البيان فهو: أن التقديم بالذكر يدل على التخصيص فقوله: (أنتم تملكون) دلالة على أنهم المختصون بهذه الحالة الخسيسة والشح الكامل»<sup>(2)</sup>، فقد ترتبت عناصر الجملة الشرطية كالتالي: (لو): حرف شرط غير جازم، ثم أعقبها الضمير المنفصل (أنتم) الذي جاء في محل رفع فاعل لفعل محذوف يفسره ما بعده، ثم الفعل (تملكون)، ثم المفعول به (خزائن) ...، ثم أعقبها جملة جواب الشرط (إذا لأمسكنم خشية الانفاق) والتي سبقت بـ (إذا) لتقوية المعنى، والملاحظ تقدم (أنتم) على (تملكون) لغرض دلالي هو: التخصيص، أي: تخصيصهم بصفة البخل وتأصلها في نفوس الكافرين لمخافتهم الفقر ولو امتلكوا العديد من النعم، فكان التقديم وسيلة لإثبات هذا المعنى وإقرار تلك الصفة.

والأصل في المفعول به أن يتأخر عن الفعل والفاعل، ولكنه جاء مقدما في قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَبْنَىٰ إِبْرَاهِيمُ رُبَّهُ بِكَلَمَاتٍ فَتَنَّمْنُ﴾ [البقرة: 124] لفائدة بلاغية، وضحا ابن عطية بقوله «و" ابتلى

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 353/4.

<sup>2</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 64-63/21.

"معناه: اختبر، و"إبراهيم"، يقال إن تفسيره بالعربية: أب رحيم ... وقدم على الفاعل للاهتمام، إذ كون الرب مبتلياً معلوم، فإنما يهتم السامع بمن "ابتلى"، وكون ضمير المفعول متصلاً بالفاعل، موجب تقديم المفعول، فإنما بني الكلام على هذا الاهتمام»<sup>(1)</sup>، ويمكن استجلاء غرض آخر من تقديم ما حقه التأخير، ففي تقديم المفعول به (إبراهيم) على الفاعل (ربه) تشريف لسيدنا إبراهيم بإضافة اسم ربه وهو الهاء في قوله (ربه)، أي: رب إبراهيم الذي كلفه بأوامر ونواهي فنجح في أداء ما أختبر فيه.

إن تغيير مواقع ركني الجملة الاسمية (المسند والمسند إليه) يكون لمقتضى بلاغي، حيث قدم الخبر (مانع) على المبتدأ (الحصون) في قوله تعالى ﴿وَطُؤُوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِّنَ اللَّهِ﴾ [الحشر: 02]، قال الزمخشري «فإن قلت: أي فرق بين قولك: وطئوا أن حصونهم تمنعهم أو مانعهم، وبين النظم الذي جاء عليه؟ قلت: في تقديم الخبر على المبتدأ دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها إياهم، وفي تصوير ضميرهم اسماً لـ (أن) وإسناد الجملة إليها: دليل على اعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة ومنعة لا يبالى معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع في معازتهم، وليس ذلك في قولك: وطئوا أن حصونهم تمنعهم»<sup>(2)</sup>، ففارق بين النظم القرآني الذي وضع اعتقاد اليهود في أنهم في حصون منيعة وبين التعبير بقولك: (وطئوا أن حصونهم تمنعهم أو مانعهم) ليوضح تفوق وبلاغة التعبير القرآني، حيث أفاد تقديم الخبر دلالة التأكيد فهو محط الفائدة والعناية .

ووضح في موضع آخر دلالة تقديم الخبر عند تفسيره للتركيب القرآني ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنتَ عَنِ الْهَيْتِ يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْبَثْتَ فَمَا تَكْتُبُ﴾ [مريم: 64]، قال «لأنه كان أهم عنده وهو عنده أعنى، وفيه ضرب من التعجب والإنكار، لرغبته عن آلهته وأن آلهته ما ينبغي أن يرغب عنها أحد»<sup>3</sup>، حيث اعتمد إبراهيم - عليه السلام - على فن الاستدراج في محاورته لأبيه ليوضح له بطلان ما يعبد من أصنام لا تسمع ولا تغني عنه شيئاً، وليبين له عواقب مخالفة طريق الحق بأسلوب لين يعكس بره وإحسانه؛ إذ تكررت صيغة النداء (يا أبت) في خطابه، بينما قابل أزر دعوة النبي بالإنكار، فجعل

<sup>1</sup> - المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي، ج 205/1.

<sup>2</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 74/6.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 25/4.

الزنجشري (أنت) مبتدأ و (راغب) خبر، وهو مذهب الكوفة، وتقديم الخبر على المبتدأ كان بغرض العناية والاهتمام، ليتناسب مع سياق التعجب والإنكار من الرغبة عن ألفتهم.

وجاء تقديم خبر ( إِنَّ ) على اسمها في قوله تعالى ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفُّوا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [التغابن: 14]، وفسر الزنجشري معنى الآية بقوله « إن من الأزواج أزواجاً يعادين بعولتهن ويخاصمنهم ويجلبن عليهم، ومن الأولاد أولاداً يعادون آباءهم ويعقونهم ويجرعونهم الغصص والأذى " فاحذروهم " »<sup>(1)</sup>، تضمنت البنية التركيبية تقديم خبر ( إِنَّ ) ( من أزواجكم ) على اسمها ( عدوا ) اهتماماً بالخبر وتشويقاً إلى الاسم وتمكيناً لمضمون الخبر في الدهن لما حملة من غرابة وأهمية .

تغيرت مواقع الألفاظ في قوله تعالى ﴿ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (6) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْفِتْنَةِ (7) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ ﴾ [الهمزة: 08]، حيث تأخر خبر ( إِنَّ ) ليتقدم الجار والمجرور ويتحقق الوصف المراد، حيث وضع الرازي « أن الآية تفيد المبالغة في العذاب من وجوه ( أحدهما ) أن قوله: ( لينبذن ) يقتضي أنه موضع له قعر عميق جداً كالبر، و ( ثانيها ) أنه لو شاء يجعل ذلك الموضع بحيث لا يكون له باب لكنه بالباب يذكرهم الخروج، فيزيد في حسرتهم، ( وثالثها ) أنه قال ( عليهم مؤصدة )، ولم يقل ( مؤصدة عليهم ) يفيد أن المقصود أولاً كونهم بهذه الحالة، وقولهم مؤصدة عليهم لا يفيد هذا المعنى بالقصد الأول»<sup>(2)</sup>، ففي الآيات وصف للنار وتوسع في بيان العذاب الذي ينتظر الكافرين، وحتى يتحقق ذلك جرى تقديم وتأخير في نظم الآية ( إنها عليهم مؤصدة ) حيث تصدرت بـ ( إِنَّ ) بغرض تهويل الوعيد أو الشك عن تلقيهم لهذا المصير، ثم أعقبها تقديم للجار والمجرور ( عليهم ) على الخبر ( المؤصدة ) لإفادة القصر، أي: أنها مؤصدة عليهم هم بالذوات، ولو جرى التعبير على الأصل ( إنها مؤصدة عليهم ) لدل على عدم حصر النار على الكفار وأنها مؤصدة على غيرهم أيضاً.

إن الاحتفاظ بمواقع الألفاظ داخل النسق أو تغييرها يكون وفقاً لمقاصد الخطاب واستجابة لمقتضيات المقام، حيث ورد في قوله تعالى ﴿ قَالَتْ إِحْدَهُمَا يَأْتِيَتِ اسْتَعْجِلُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَعْجَلَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ [القصص: 26]، فوقع لفظ ( خير ) اسماً لإنّ و ( القوي، الأمين ) خبراً لها، وعلل الزنجشري

<sup>1</sup> - الكشف: الزنجشري، ج 135/6.

<sup>2</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 95/32.

سر هذا الاختيار بقوله « فإن قلت: كيف جعلت (خير من استأجرت) اسماً لأنّ و(القوي الأمين) خبراً ؟ قلت: هو مثل قوله:

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا وَهَالِكًا      أَسِيرٌ ثَقِيفٌ عِنْدَهُمْ فِي السَّلَاسِلِ

في أن العناية هي سبب التقديم، وقد صدقت حتى جعل لها ما هو أحق بأن يكون خبراً اسماً، وورود الفعل بلفظ الماضي للدلالة على أنه أمر قد جرب وعرف، ومنه قولهم: (أهون ما أعملت لسان مخ)»<sup>(1)</sup>، فجعل (خير) مسنداً إليه و(القوي الأمين) خبراً مع صحة أن يكون (القوي الأمين) هو الخبر لتساويهما في التعريف الدال على العموم في كليهما؛ حيث جاء (خير) معروفاً بالإضافة (اسم الموصول: الذي)، و(القوي، الأمين) معروفاً بالألف واللام، ولكن إشاراً هذا التعبير كان لغرض سياقي، فسيقت الجملة مساق التعليل لجملة (يا أبت استأجره) فالعناية بوصف الأجير أهم لتقرب نفس السامع إليه، وربما قدمت (الخيرية) وأخرت تعليلها تشويقاً، إحياءً بشعور في نفسها تجاه موسى عليه السلام، ولذلك جاء الجواب من والدها مباشرة بقوله: (إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين..) فكأنه فهم وأحس بهذا الشعور.. فالأب كل أب يأمل في أن يزوج كريمته لخير رجل، فقدمت بذكر لخيرية.. ولأن أحب وصفين للمرأة في الرجل الذي ترغب فيه، فيكون بهما في نظرها خير الرجال، هو القوة التي بها يحميها، والأمانة التي تمنعه من خيانتها في قليل أو كثير.. فأخرت بمقتضى التشويق الإخبار والإفصاح عن الوصفين.. وكأن في هذا التعبير ضرباً من الكناية!

وتساءل عن سبب تقدم المبتدأ في قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ - أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمُرُّونَ﴾ [الأنعام: 02]، رغم وروده نكرة وخبره شبه جملة والأصل أن يتأخر، قال « فإن قلت: المبتدأ النكرة إذا كان خبره ظرفاً وجب تأخيره، فلم جاز تقديمه في قوله (وأجل مسمى عنده) ؟ قلت: لأنه تخصص بالصفة فقارب المعرفة، كقوله ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ﴾ [البقرة: 221]، فإن قلت: الكلام السائر أن يقال: عندي ثوب جيد، ولي عبد كيس، وما أشبه ذلك: فما أوجب التقديم ؟ قلت: أوجبه أن المعنى: وأي أجل مسمى عنده ؛ تعظيماً لشأن الساعة، فلما جرى فيه هذا المعنى وجب التقديم »<sup>(2)</sup>، فخولف الاستعمال الغالب من تقديم الخبر الظرف على

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 4/493-494.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 2/322.

كل مبتدأ نكرة موصوفة بغية الاهتمام بالمسند إليه ؛ لأن تقديمه منكرا أفاد معنى التعظيم، أي: أجل عظيم مسمى عنده، وما ذكره الزمخشري هو أحد مسوغات الابتداء بالنكرة.. ويمكن التقدير على النحو: (ثم قضى أجلا، وهو أجل مسمى عنده..) فيصير (أجل) خبرا لمبتدأ محذوف مقدر (هو)، إذا كان الأجل المقصود واحدا في الموضوعين.

ومن صور التقديم والتأخير في التركيب اللغوي، تقديم الجار والمجرور أو الظرف على متعلقه لأغراض بلاغية يقصدها الناظم والتي لن تتحقق بالتزام الترتيب الأصلي، ولأن القرآن الكريم جاء على سنن العرب في الكلام ورد فيه هذا النوع من التقديم، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: 04]، بين الزمخشري غرض التقديم بقوله « وفي تقديم "بالآخرة" وبناء يوقنون على (هم) تعريض بأهل الكتاب، وبما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته، وأن قولهم ليس بصادر عن إيقان، وأن اليقين ما عليه من آمن بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك»<sup>(1)</sup>، فجاء في الآيات السابقة تعداد لصفات المؤمنين من إيمانهم بالله عز وجل، وبكتابه، وأنبيائه، ومن إقامتهم للصلاة، وإنفاقهم للأموال، وإثباتا ليقينهم باليوم الآخر من خلال تقديم المعمول (الجار والمجرور: بالآخرة) على عامله (يوقنون) بيانا لرسوخ هذا الاعتقاد في نفوسهم وتمكينه في ذهن السامع، وتعريضا بالكفار لشكهم وتكذيبهم بيوم الحساب.

وتقدم الظرف في قوله تعالى ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 04] بغرض الاختصاص، قال الزمخشري « فإن قلت: الكلام العربي الفصيح أن يؤخر الظرف الذي هو لغو غير مستقر ولا يقدم، وقد نص سيبويه على ذلك في كتابه، فما باله مقدما في أفصح الكلام وأعربه؟ قلت: هذا الكلام إنما سيق لنفي المكافأة عن ذات الباري سبحانه؛ وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف، فكان لذلك أهم شيء وأعناؤه، وأحقه بالتقدم وأحراه»<sup>(2)</sup>، فقامت البنية التركيبية للآية على المفردات التالية: (لم الجازمة، فعل ناقص (يكن)، جار ومجرور متقدم على متعلقه (له)، خبر (يكن) مقدم (كفوا)، اسم (يكن) مؤخرا (أحد)، ولو جرى الكلام على الأصل: (ولم يكن أحد كفوا له) لتأخر الجار والمجرور لأنه لغو؛ ولم يقع خبرا فيكون وعاء للاستقرار، وإنما تقدم لأنه محط القصد بنفي المكافئ والمماثل لله عز وجل، في حين تأخر اسم (يكن) على خبره لرعاية الفاصلة.

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 157/1.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 461/6.



وجاء الجار والمجرور مقدما في قوله تعالى ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: 44]، لإفادة الاختصاص وهو ما أكدّه الزمخشري بقوله «تقديم الظرف يدل على الاختصاص، يعني: لا يتيسر مثل ذلك الأمر العظيم إلا على القادر الذات الذي لا يشغله شأن عن شأن»<sup>(1)</sup>، حيث جرى التعبير على طريق الاختصاص من خلال الفصل بين الموصوف (حشر) والصفة (يسير) بالجار والمجرور (علينا)، ودل تقديمه على قدرة الله تعالى في إحياء الخلق وجمعهم لحسابهم على أعمالهم.

وكشف الرازي عن الغرض من تقديم الجار والمجرور على الفعل في قوله تعالى ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يُعْطُونَكَ إِن كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللّٰهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: 84-85]، قال «إنما قال (فعليه توكّلوا) ولم يقل (توكّلوا عليه)؛ لأن الأول يفيد الحصر، كأنه عليه السلام أمرهم بالتوكّل عليه ونهاهم عن التوكّل على الغير، والأمر كذلك، لأنه لما ثبت أن كل ما سواه فهو ملكه وملكه تحت تصرفه وتسخيره وتحت حكمته وتدييره، امتنع في العقل أن يتوكّل الإنسان على غيره، فلهذا السبب جاءت هذه الكلمة بهذه العبارة»<sup>(2)</sup>، ففي تقديم الجار والمجرور على عامله تخصيص الله عز وجل بالتوكّل دون غيره.

ووضح ابن عطية سبب تقديم الجار والمجرور على الفعل في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا مِن طَبِئَتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِءَاخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْنِصُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَنِّي حَمِيدٌ﴾ [البقرة: 267]، واستدل على ذلك بقول الجرجاني قال «وقال الجرجاني في كتاب نظم القرآن: قال فريق من الناس: إن الكلام تم في قوله: "خبث"، ثم ابتدأ خبرا آخر في وصف الخبيث، فقال: "تنفقون" منه، وأنتم لا تأخذونه إلا إذا أغمضتم، أي ساهلتم... وكأن هذا المعنى عتاب للناس وتقريع، والضمير في "منه" عائد على "الخبث"، قال الجرجاني وقال فريق آخر: بل الكلام متصل إلى قوله "فيه" ... فالضمير في "منه" عائد على "ما كسبتم"، ويجيء "تنفقون" كأنه في موضع نصب الحال، وهو قولك: إنما أخرج أجاهد في سبيل الله»<sup>(3)</sup>، ففي الآية دعوة لوجوب الإنفاق من الطيب من الكسب والنهي عن الإنفاق من الخبيث.. والنهي كأنه منصب تخصيصا على تقصد الخبيث للإنفاق منه..، لذا قدم الجار والمجرور على الفعل.

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 607/5.

<sup>2</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 152/17.

<sup>3</sup> - المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي، ج 362/1.

ومثله قوله تعالى ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَتْلَفٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل: 05]، حيث تقدم الجار والمجرور على الفعل لإفادة الاختصاص، قال الزمخشري « فإن قلت: تقديم الظرف في قوله "ومنها تأكلون" مؤذن بالاختصاص، وقد يؤكل من غيرها، قلت: الأكل منها هو الأصل الذي يعتمد عليه الناس في معاشهم، وأما الأكل من غيرها من الدجاج، والبط، وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجاري مجرى التفكه، ويحتمل أن طعمتكم منها؛ لأنكم تحرثون بالبقر فالحب والثمار التي تأكلونها منها وتكتسبون بإكراء الإبل وتبيعون نتاجها وألبانها وجلودها»<sup>(1)</sup>، إن الاهتمام بالعنصر المقدم كان الباعث في تقديم الجار والمجرور (منها) على الفعل (تأكلون) ليتناسب ذلك مع مقتضى السياق، ذلك أنهم كانوا شديدي الرغبة في أكل اللحوم، ومجيء الفعل بصيغة المضارع دل على كثرة الفعل، فهي من الأعمال المتكررة بالنسبة لهم، كما ورد في الآية: تقديم الخبر (لكم) على المبتدأ (دفع)، وتقديم الظرف (فيها) على المبتدأ المؤخر (دفع)، والأصل: (دفع لكم فيها) وهذا الأولى بالحمل في هذا المقام، مقام الامتنان..

وأفاد تقديم شبه الجملة على الفعل في قوله تعالى ﴿مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أُعْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح: 25]، التحذير والوعيد من ارتكاب الذنوب والخطايا، وهو ما ذهب إليه الزمخشري قال « تقديم (مما خطيئاتهم) لبيان أن لم يكن إغراقهم بالطوفان ؛ فإدخالهم النار إلا من أجل خطيئاتهم»<sup>(2)</sup>.

وتأخر الجار والمجرور حيناً وتقدم في قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143]، فقال (شهداء على الناس) ثم قال (الرسول عليكم شهيدا)، وعلل الزمخشري ذلك بقوله « لأن الغرض في الأول إثبات شهادتهم على الأمم، وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم»<sup>(3)</sup>، تقدم في التركيب شهادة أمة النبي ﷺ على الناس فجاءت البنية التركيبية موافقة للأصل حيث تكونت من: فعل ناقص واسمه (لتكونوا) ثم خبره (شهداء) ثم الجار والمجرور (على الناس)، فكان لهذا الترتيب بيان لفضلها على بقية الأمم، أما في شهادة الرسول ﷺ على أمته بالتبليغ فكان لتقدم الجار والمجرور (عليكم) على الخبر (شهيدا) أثر في

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 424/3.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 219/6.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 339/1.

إظهار المعنى وتخصيصهم وتشريفهم بشهادته - صلى الله عليه - عليهم، وما كان التزام الجار والمجرور برتبته ليفيد هذا المعنى .

علل الرازي سبب تقديم الاسم على الجار والمجرور في قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [ البقرة: 02 ]، وتأخيره في قوله تعالى ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴾ [ الصافات: 47 ]، بقوله «لأنهم يقدمون الأهم فالأهم، وههنا الأهم نفى الريب بالكلية عن الكتاب، ولو قلت: لا ريب فيه لأوهم أن هناك كتاباً آخر حصل الريب فيه لا هاهنا، كما قصد في قوله: ( لا فيها غول ) : تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا، فإنها تغتال العقول كما تغتالها خمرة الدنيا»<sup>(1)</sup>، حيث انتظمت عناصر الجملة المنفية ( لا ريب فيه ) وفق نسق معين بتأخير الجار والمجرور ( فيه ) على الاسم ( ريب ) بغرض نفى الريب عن الكتاب - القرآن الكريم - فقط، أما تقديم الجار والمجرور على الاسم (لا فيها غول ) أفاد تفضيل المنفي عنه وهي خمر الجنة عن المنفي :خمور الدنيا، لما في الأولى من مزية عدم إذهاب العقل وتعطيل وظائفه .

تتألف الجملة الفعلية من ركن إسنادي مكون من فعل وفاعل وقد تضاف إليه متممات أخرى، أما الجملة الاسمية فتتركب من مبتدأ وخبر، وقد بحث البيانون سر العدول عن التركيب الفعلي إلى الاسمي والغاية من تصدر الاسم بدل الفعل، نحو قوله تعالى ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [ الزمر: 23 ]، قال الزمخشري « وإيقاع اسم الله مبتدأ وبناء (نزل ) عليه فيه: تفخيم لأحسن الحديث، ورفع منه، واستشهاد على حسنه، وتأکید لاستناده إلى الله وأنه من عنده، وأن مثله لا يجوز أن يصدر إلا عنه، وتنبيه على أنه وحي معجز مباين لسائر الأحاديث»<sup>(2)</sup>، فافتتاح التركيب باسم الجلالة يؤذن بتفخيم أحسن الحديث المنزل بأن منزله هو الله عز وجل، ثم الإخبار عن لفظ الجلالة بخبر فعلي أفاد تقوية الحكم وتخصيصه، أي: تخصيص تنزيل الكتاب بالله تعالى، ولو جرى التعبير بتركيب فعلي ( نزل الله أحسن الحديث ) ما حمل نفس التأكيد.

<sup>1</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 21/2.

<sup>2</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 300/5.

ولم يحد الرازي عن غرض العناية والاهتمام في تحليله للتركيب القرآني ﴿جَأْتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُجَلِّئُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر: 33]، قال «فما الفائدة في تقديم الجنات على الفعل الذي هو الدخول وإعادة ذكره بالهاء في يدخلونها؟ وما الفرق بين هذا وبين قول القائل يدخلون جنات عدن؟ نقول: السامع إذا علم أنه له مدخلا من المداخل وله دخول ولم يعلم عين المدخل، فإذا قيل له: أنت تدخل فيل إلى أن يسمع الدار أو السوق يبقى متعلق القلب بأنه في أي المداخل يكون، فإذا قيل له: دار زيد تدخلها فيذكر الدار يعلم مدخله، وبما عنده من العلم السابق بأن له دخولا يعلم الدخول فلا يبقى له توقف ولا سيما الجنة والنار، فإن بين المدخلين بونا بعيدا»<sup>(1)</sup>، تقديم الاسم (جنات عدن) في التركيب بغرض الاهتمام بالمقدم؛ فالسامع يتطلع لمعرفة جزاء المتقين فجاء التقديم لبيان ذلك.

وجاء في قوله تعالى ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذريات: 47]، والأصل (بنينا السماء بأيدٍ)، وبين الرازي سر تقديم الاسم عن الفعل في الآية بقوله «الصانع قبل الصنع عند الناظر في المعرفة، فلما كان المقصود إثبات العلم بالصانع، قدم الدليل، فقال: والسماء المزينة التي لا تشكون فيها، بنيناها فاعرفونا بها إن كنتم لا تعرفونها»<sup>(2)</sup>، فكان تقديم المفعول (السماء) على العامل (بنينا) بغرض الاهتمام وبياناً لقدرته تعالى التي تجلت في بديع خلقه وحثاً لإعمال الفكر والتدبر في دلائل قدرته للوصول لمعرفة الخالق عز وجل، واهتمامه بالتقديم يعكس بعداً عقلياً استدلالياً، ويزر تأثير التوجيه البياني بالجانب الفلسفي أو الفكري للمفسر، بل وحتى بالصبغة العامة للمحيط العلمي، يتجلى ذلك بالمقارنة مع السابقين في القرون الأربعة الأولى خاصة.

ومن خلال تتبع التراكيب القرآنية التي حللها البيانون نجد التماسهم للأغراض البلاغية التي تضمنتها، فمعالجتهم للتقديم والتأخير لم يكن بمعزل عن السياق العام، بل كان مرتبطاً بالكشف عن المعاني في ضوء العلاقات النحوية وبمعونة قرائن الأحوال، متجاوزين الحدود الضيقة في التحليل كتحديد العنصر المقدم أو المؤخر، أو الاكتفاء بمعرفة الصواب والخطأ في الجملة، وإنما اتخذوا من الذوق ومعرفتهم بأساليب التعبير سبيلاً للغوص في التراكيب وسر أغوارها، مشيرين إلى ذلك التناسق القائم بين الألفاظ

<sup>1</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 26/26.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 226/28.

وما يحدثه تبديل الرتب بينها من معان متجددة والتي ما كانت لتظهر لولا هذا التحول المحدث، مؤكداً أن التقديم والتأخير وسيلة لتأدية المعاني القائمة في النفس، وأن الكلام إذا استقام من غير تغيير في النظم لم يصح فيه التقديم والتأخير ؛ لأنه سيكون ضرباً من التكلف.

#### - الحذف:

يعد الحذف من الأساليب المعهودة في كلام العرب؛ حيث يعتمد إليه الناظم لتحقيق أغراض بلاغية معينة، فإسقاط عنصر من عناصر الجملة يكون وفق ضوابط يقتضيها السياق، و بإقامة دليل على المحذوف حتى يتمكن السامع من تقديره، فقد نجد الكلمة ذاتها ذكرت في موضع وحذفت في آخر لدواعي سياقية، كي تتحقق الميزة الجمالية من ترتيب الألفاظ بطريقة مخصوصة .

ولصعوبة مسلكه اكتفى بعض الدارسين بالإشارة إلى المحذوف، وتعليل استعماله بأنه ضرب من الاتساع أو طلب للاختصار، دون التعمق في تحليل التراكيب والتي تختلف باختلاف الظروف المحيطة بها والعلاقات القائمة بين ألفاظها، فأغراض المتكلم ومقاصده تختلف من تعبير لآخر، وهو ما تفتن إليه البيانون في دراستهم للبنى التركيبية موضحين سبب العدول عن الأصل وسحر هذا الفن .

وقد جاء القرآن الكريم موافقاً لنهج العرب في الكلام واعتمد الحذف أسلوباً ؛ إذ يقع الحذف في الاسم أو الفعل أو الحرف أو التركيب الواحد أو أكثر منه، ومن صوره حذف المسند إليه أو المسند في الجملة الاسمية لتحقيق أغراض بلاغية، ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرَىٰ﴾ [الضحى: 05]، حدد الزمخشري الغاية من حذف المبتدأ بقوله « فإن قلت: ما هذه اللام الداخلة على سوف ؟ قلت: هي لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة، والمبتدأ محذوف تقديره: ولأنت سوف يعطيك ربك،... فلام القسم لا تدخل على المضارع إلا مع نون التأكيد، فبقي أن تكون لام ابتداء، ولام الابتداء لا تدخل إلا على الجملة من المبتدأ والخبر، فلا بد من تقدير مبتدأ وخبر، وأن يكون أصله: ولأنت سوف يعطيك، فإن قلت: ما معنى الجمع بين حرفي التوكيد والتأخير ؟ قلت: معناه أن العطاء كائن لا محالة وإن تأخر، لما في التأخير من المصلحة »<sup>(1)</sup>، فتحليل الزمخشري يكشف مدى إدراكه لدقائق التعابير وأثر النحو في تحليلها؛ إذ استبعد أن تكون (اللام) لام قسم لأنها لا تدخل مع

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 6/391-392.

المضارع إلا مع نون التوكيد، فاعتبرها لام ابتداء لأنها تدخل على جملة من مبتدأ وخبر تعين عليه تقدير المبتدأ بـ (أنت)، كما حذف في التركيب المفعول به الثاني للفعل (يعطيك) لإفادة عموم العطاء فلم يقيد بعطاء معين، فهي شاملة لعطاء الدنيا والآخرة من نصر وتمكين، وكثرة المسلمين والشفاعة لهم يوم القيامة، فكان الحذف وسيلة للتعبير عن الوعد بالعطاء المستمر الذي لا ينقطع .

وحذف المبتدأ في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (116) مَتَّعَ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿ [ النحل: 116-117 ]، وقدره الرازي بقوله « إن ما هم فيه من نعيم الدنيا يزول عنهم عن قريب، فقال: " متاع قليل "، قال الزجاج ( 311هـ ) المعنى: متاعهم متاع قليل، وقال ابن عباس: بل متاع كل الدنيا متاع قليل، ثم يردون إلى عذاب أليم، وهو قوله "ولهم عذاب أليم" (1)، حيث تكون التركيب من: مبتدأ محذوف تقديره: ( متاعهم ) أو ( متاع كل الدنيا )، وخبر: ( متاع ) الموصوف ( بقليل )، ليوضح هوان مسعى المفتريين ويحقر مكاسبهم الدنيوية ويتوعدهم بالعذاب الموجه.

واختلف المفسرون في تقدير المسند إليه المحذوف في قوله تعالى ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ آمَنُوا حِيراً لَكُمْ﴾ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَحْدٌ ﴿ [ النساء: 171 ]، قال الرازي « وقوله ( ثلاثة ) خبر مبتدأ محذوف، ثم اختلفوا في تعيين ذلك المبتدأ على وجوه، الأول: ما ذكرناه، أي: ولا تقولوا الأقانيم ثلاثة، الثاني: قال الزجاج ( ت 311هـ ): ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة، وذلك لأن القرآن يدل على أن النصارى يقولون: إن الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة، والدليل عليه قوله تعالى ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [ المائدة: 116 ]، الثالث: قال الفراء ( ت 207هـ ): ولا تقولوا هم ثلاثة كقوله " سيقولون ثلاثة " وذلك لأن ذكر عيسى ومريم مع الله تعالى بهذه العبارة يوهم كونهما إلهين (2)، فاختلف المفسرين في تقدير المحذوف يعكس اضطراب النصارى في تحديددهم لحقيقة التثليث، ويمكن تقديره بـ: ( آلهتنا ثلاثة )، وحذف المبتدأ جاء بغرض النهي عن مطلق العدد الذي يفضي للمساواة فما ظنك بمن صرح بالشركة، فتخصيص النهي بالفعل ( ولا تقولوا ) يظهر بطلان هذا المعتقد .

<sup>1</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 134/20.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 118/11.

كما يحذف الخبر في التركيب لمقتضى بلاغي يستوجب المقام، ومن ذلك قوله تعالى ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [الرعد: 35]، وحدد الرازي المحذوف بقوله «اعلم أنه تعالى لما ذكر عذاب الكفار في الدنيا والآخرة، أتبعه بذكر ثواب المتقين، وفي قوله: (مثل الجنة) أقوال: (الأول): قال سيبويه (ت 180 هـ): (مثل الجنة) مبتدأ وخبره محذوف، والتقدير: (فيما قصصنا عليكم مثل الجنة)، و(الثاني): قال الزجاج (ت 311 هـ): (مثل الجنة: جنة: من صفتها كذا وكذا)، والثالث: مثل الجنة مبتدأ وخبره تجري من تحتها الأنهار، كما يقول صفة زيد اسم، والرابع: الخبر هو قوله (أكلها دائم) لأنه الخارج عن العادة كأنه قال (مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار) كما تعلمون من حال جناتكم إلا أن هذه أكلها دائم»<sup>(1)</sup>، فإذا فصلنا البنية التركيبية حسب تقدير سيبويه نجدها كالتالي: (فيما قصصنا مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها) حيث انتظمت عناصرها من خبر مقدم محذوف: (فيما قصصنا عليك)، ومبتدأ مؤخر: (مثل الجنة)، وصفات: (تجري من تحتها الأنهار، أكلها دائم وظلها)، بينما التركيب عند الزجاج قائم على: مبتدأ (مثل الجنة)، وخبر محذوف مقدر: (جنة)، وصفات: (من صفتها كذا وكذا)، وسواء أكان المحذوف مبتدأ أم خبراً فقد عمل على تحريك مخيلة السامع في تكهن حقيقة الجنة بالرغم من الوصف المادي المدرك في الحياة الدنيا كالأكمل، والأنهار والظل، إلا أن الإحاطة بالوصف الدقيق لا يمكن أن تدركه العقول لأنه نعيم دائم.

ومن حذف الخبر قوله تعالى ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ [الأنفال: 41]، قال الزمخشري «"فإن لله": مبتدأ خبره محذوف تقديره: فحق، أو واجب أن لله خمسة، وروى الجعفي عن أبي عمرو؛ "فإن لله" بالكسر - وتقويه قراءة النخعي (فله خمسة). والمشهورة أكد وأثبت للإيجاب، كأنه قيل: فلا بد من ثبات الخمس فيه، ولا سبيل إلى الإخلال به والتفريط فيه، من حيث إنه إذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات، كقولك: ثابت واجب، حق لازم وما أشبه ذلك، كان أقوى لإيجابه من النص على واحد»<sup>(2)</sup>، صيغ النظم بحذف الخبر الذي تعددت تقديراته (حق،

<sup>1</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 60/19.

<sup>2</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 581/2.

واجب، ثابت، ... ) بغرض التقوية والتوكيد، فهو خمس ثابت في الغنائم وجب صرفه لمستحقه المذكورين، لذا وجب الامتثال.

وجاء حذف الخبر أيضا في قوله تعالى ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: 08]، قال الزمخشري « يعني: أفمن زين له سوء عمله من هذين الفريقين، كمن لم يزين له »<sup>(1)</sup>، فجاء الاستفهام الإنكاري ليوضح الفرق الشاسع بين المؤمن المتمسك بالحق والكافر المعجب بسوء عمله، وتكون من: (من: اسم موصول في محل رفع المبتدأ)، وخبر محذوف تقديره: (أفمن زين له سوء عمله من هذين الفريقين كمن لم يزين له) أو (أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله)، ولم يذكر لدلالة سياق الكلام عليه.

تنظم الجملة الفعلية وفق نسق معين وتتضافر فيها الألفاظ والمعاني لتحقيق الغرض المقصود، فلاستغناء عن عنصر من عناصرها لا يكون إلا لمسوغ سياقي، فلا تحذف كلمة إلا وحذفها أبلغ وأحكم للصياغة الفنية؛ إذ ورد في القرآن الكريم حذف للفعل، و الفاعل، والمتممات الأخرى: المفعول به، الموصوف والصفة، المضاف والمضاف إليه ...، مما أكسب التراكيب أبعادا جمالية ومعنوية.

فمن صور حذف الفعل قوله تعالى ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ [الشمس: 13]، قدر ابن الجوزي المحذوف قال « نصب الناقة على التحذير، وكل تحذير فهو نصب، قال ابن قتيبة: احذروا ناقة الله وشربها، وقال الزجاج: المعنى: ذروا ناقة الله »<sup>(2)</sup>، فحذف الفعل بغرض الإشعار باللهفة وأن الزمن يتقاصر عن ذكر المحذوف؛ لأن التركيب سيق مساق التحذير والإغراء، أي: (ذروا ناقة الله والزموا سقياها) فذكر المفعول (ناقة الله) ونهى عن إلحاق أي أذى بها، وحذف الفعل لإفادة التعميم فلا تتم أذيتها بأي شكل.

ودل حذف الفعل على شدة الموقف، قال تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: 12]، وهو ما أكدته الرازي «قال تعالى "ربنا أبصرنا وسمعنا" يعني: يقولون أو قائلين (ربنا أبصرنا)، وحذف يقولون إشارة إلى غاية

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 141/5.

<sup>2</sup> - زاد الميسر: ابن الجوزي، ص: 1557.



خجالتهم؛ لأن الخجل عظيم الخجالة لا يتكلم»<sup>(1)</sup>، ففي الآية تصوير لحالة منكري البعث الذين يمتلكهم الحزني والندم والحزن، فكان حذف الفعل ( يقولون ) أبلغ في بيان ذلك الانكسار وعدم القدرة على الكلام والاعتذار بعد أن أقيمت عليهم البينة، كما حذف جواب ( لو ) وتقديره: ( لو رأيت المجرمين على تلك الحال لرأيت أمرا عظيما )، وترك الجواب للتهويل؛ إذ يتيح لكل سامع تخيل هذا المشهد الرهيب وهم يساقون للحساب أذلاء.

وحذف الفعل في قوله ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلَغَهُ مَأْمَنَهُ﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿[التوبة: 06]، فسر الزمخشري بقوله « ( أحد ) مرتفع بفعل الشرط مضمورا يفسره الظاهر، تقديره: وإن استجارك أحد استجارك، ولا يرتفع بالابتداء؛ لأن ( إن ) من عوامل الفعل لا تدخل على غيره، والمعنى: إن جاءك أحد من المشركين بعد انقضاء الأشهر، لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق، فاستأمنك ليسمع ما تدعو إليه من التوحيد والقرآن، وتبين ما بعثت له فأمنه " حتى يسمع كلام الله " ويتدبره ويطلع على حقيقة الأمر " ثم أبلغه " بعد ذلك داره التي يأمن فيها، إن لم يسلم »<sup>(2)</sup>، حيث ورد ( أحد ) فاعلا لفعل محذوف يفسره ( استجارك )، ودليل حذفه ( إن ) الشرطية التي تختص بالدخول على الأفعال، وأصل التركيب: وإن استجارك أحد من المشركين فأجره، فكان الغرض من الحذف تقليص الكلمات الفاصلة بين طلب الاستجارة وبين الأمر بالاستجابة، فدل ذلك على سرعة الإجابة حتى يتمكن المجار من سماع كلام الله ومعرفة تعاليم الإسلام .

أما الفاعل فهو المسند إليه في الجملة الفعلية ويحذف إذا كان معلوما للمخاطب، أو دلت عليه القرائن، أو يحذف لأغراض بلاغية أخرى، ومن أمثلة حذفه في القرآن الكريم، قوله تعالى ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ (83) وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ﴾ [الواقعة: 83-84]، قال ابن الجوزي « (إذا بلغت الحلقوم) يعني: النفس، فترك ذكرها لدلالة الكلام، وأنشدوا من ذلك: إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ »<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 178/25.

<sup>2</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 15-14/3.

<sup>3</sup> - زاد الميسر: ابن الجوزي، ص: 1393.

فحذف فاعل ( بلغت ) وتقديره: الروح، فلم يتقدم له ظاهر يفسره، وإنما دلت القرينة الحالية وهي: الموت، ولا يبلغ التراقي عند الموت إلا الروح، وكأن قرب مفارقتها للجسد كان الباعث لطي لفظها من التركيب .

وحذف الفاعل في قوله تعالى ﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ [ ص: 32 ]، قال ابن الجوزي « قال المصنف: وأهل اللغة يقولون: يعني الشمس، ولم يجر لها ذكر، ولا أحسبهم أعطوا في هذا الفكر حقه، لأنه في الآية دليل على الشمس، وهو قوله: "بالعشي"، ومعناه: عرض عليه بعد زوال الشمس حتى توارت الشمس بالحجاب »<sup>(1)</sup>، فالأصل: (حتى توارت الشمس)، فحذف الفاعل لظهوره وتعيينه للموارد حيث ناسب الحذف السياق .

ومن الحذف الذي يعتري التراكيب حذف المفعول به لدواعي سياقية مما يضيفي على التعابير جمالية وروعة، ومن صوره في القرآن الكريم، قوله تعالى ﴿ وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [ النساء: 09 ]، وكشف ابن عطية الغرض البلاغي من الحذف بقوله « ومفعول يخشى محذوف لدلالة الكلام عليه، وحسن حذفه من حيث يتقدر فيه التخويف بالله تعالى، والتخويف بالعاقبة في الدنيا، فينظر كل متأول بحسب الأهم في نفسه »<sup>(2)</sup>، فقد اختلف المفسرون في بيان المعاني التي تضمنتها الآية؛ إذ حضت الأوصياء على المحافظة على أموال اليتامى من خلال استحضارهم لصورة أبنائهم من بعدهم، بينما رأى آخرون أنها تدعو لعدم الإسراف في الوصية وتضييع الورثة الضعفاء وتركهم في وضع صعب، وحتى يتفق نظم الألفاظ مع المعنى المراد حذف مفعول ( ليخش ) حتى تذهب نفس السامع في تقديره كل مذهب ؛ فيتصور كل شخص الشيء الذي يخافه على ذريته، وفي وصفهم بالضعف دفع للأوصياء بالامتنال لأوامر الله وبعث للرحمة في قلوبهم .

كما يحذف المفعول به بغرض الإيجاز قال تعالى ﴿ وَتَادِي أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ﴾ [ الأعراف: 44 ]، وهو ما أثبتته الزمخشري بقوله « فإن قلت: هلا قيل: " ما وعدكم ربكم "، كما قيل: " ما وعدنا ربنا ؟ "، قلت: حذف ذلك

<sup>1</sup> - زاد الميسر: ابن الجوزي، ص: 1212.

<sup>2</sup> - المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي، ج 13/2.

تخفيفاً، لدلالة " وعدنا " عليه، ولقائل أن يقول: أطلق ليتناول كل ما وعد الله من البعث، والحساب، والثواب، والعقاب، وسائر أحوال القيامة ؛ لأنهم كانوا مكذابين بذلك أجمع، ولأن الموعد كله مما ساءهم، وما نعيم أهل الجنة إلا عذاب لهم فأطلق ذلك «<sup>(1)</sup>»، حمل سؤال أهل الجنة أهل النار دلالة التقرير والتوبيخ وقد تضمنت بنيته التركيبية حذفاً للمفعول به الأول ( الضمير ( ك ) والأصل: ( ما وعدكم ) لدلالة السياق عليه، وفي إطلاق الفعل تضمين لجميع الأمور التي أنكر الكفار حدوثها.

وقد يدل الحذف على عظمة المحذوف ومثاله قوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِن ثَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَعَيْرٍ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۗ﴾ [ الحج: 05]، حيث وضح الزمخشري سبب حذف المفعول به بقوله « وورود الفعل غير معدى إلى المبين: إعلام بأن أفعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يكتننه الذكر ولا يحيط به الوصف»<sup>(2)</sup>، ففي الآية إثبات لحقيقة البعث وإقامة الحجة على المنكرين بدليل عقلي، وهو: أصل نشأة الإنسان والرعاية التي تحيط به في مراحل تكوينه، وجاء مفعول ( لنبيّن ) محذوفاً لبيان حكمة الله تعالى وقدرته التي لا يحيط بها وصف، فهو الذي خلقهم أول مرة ثم يميتهم ثم يبعثهم من جديد .

ومثله قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ۗ﴾ [ الحج: 38]، حيث دل الحذف على عظمة المحذوف وفخامته، وهو ما ذهب إليه الرازي قال « ذكر ( إن الله يدافع عن الذين آمنوا ) ولم يذكر ما يدفعه حتى يكون أفخم وأعظم وأعم »<sup>(3)</sup>، فقد تضمنت الآية بشارة للمؤمنين بالنصر والتمكين؛ حيث ورد الفعل ( يدافع ) بصيغة المفاعلة ليدل على المبالغة في الدفع لعظم المكائد التي يحكيها الكفار، ولم يصرح بما يدفعه اختصاراً لدلالة المقام عليه، وأشار ابن عطية إلى قراءة أبي عمرو وابن كثير ( يدفع ) قال « فحسن في الآية ( يدفع ) لأنه قد عن المؤمنين من يدفعهم ويؤذيهم فتجيء معارضته ودفعه ومدافعة عنهم»<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 2/445.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 4/177.

<sup>3</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 39/23.

<sup>4</sup> - المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي، ج 4/124.

ويحذف المفعول به إن وجد عليه دليل ومن ذلك قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 152]، قدره الرازي قال «واعلم أن المفعول الثاني من مفعولي الاتحاد محذوف، والتقدير: اتخذوا العجل إلهًا ومعبودًا ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ قَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ قَسِيٍّ﴾ [طه: 88]»<sup>(1)</sup>، حيث حذف المفعول الثاني وتقديره: (إن الذين اتخذوا العجل إلهًا) ليصور شناعة الاتحاد وبطلان هذا الاعتقاد، فكان الحذف صونا للفظ (إله) من ذكره صفة المفعول الأول (العجل)، وبيان ما يلحقهم من ذلة وغضب .

كما دلت القرينة اللفظية على المحذوف في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ﴾ [الحجر: 10]، قال الرازي «في الآية محذوف، والتقدير: ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلا أنه حذف ذكر الرسل لدلالة الإرسال عليه»<sup>2</sup>، فجاء الخطاب تسلياً للنبي ﷺ لما تعرض له من تكذيب من قومه؛ حيث سبق الفعل (أرسلنا) بلام القسم و(قد) لتحقيق سبق إرسال الرسل من الله عز وجل، وحذف المفعول (رسلاً) اختصاراً لعلم المخاطب به .

ومن حذف المفعول به قوله تعالى ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي إِلَّا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: 23]، إذ يرى الزمخشري أن في ترك المفعول وعدم ذكره في قوله (يسقون) و(تذودان) و(لا نسقي) طلب للفعل لا للمفعول ودليله أنه رحمهما لأنهما كانتا على الذيادة وهم على السقي، ولم يرحمهما لأن مذودهما غنم ومسقيهم إبل، وكذلك قولهما: لا نسقي حتى يصدر الرعاء المقصود فيه السقي لا المسقي.<sup>(3)</sup>

ووضح الزمخشري الغرض البلاغي من حذف مفعولي (زعم) في قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: 22]، قال «وقوله: (الذين كنتم تزعمون) معناه: "تزعمونهم شركاء"، فحذف المفعولان [...] وإنما يقال لهم ذلك على وجه التوبيخ، ويجوز أن يشاهدوهم إلا أنهم حين لا ينفعوهم، ولا يكون منهم ما رجوا من الشفاعة، فكأنهم

<sup>1</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 14/15.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 166/19.

<sup>3</sup> - ينظر: الكشف: الزمخشري، ج 491/4.

غيب عنهم، وأن يحال بينهم وبينهم في وقت التوبيخ ؛ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بهم الرجاء فيها، فيروا مكان خزيهم وحسرتهم»<sup>(1)</sup>، فورد في الاستفهام التوبيخي (أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون) حذف لمفعولي (زعم) والتقدير: (تزعموهم شركاء)؛ حيث حذف المفعول الثاني ليعم كل ما يرجونه من الآلهة التي يزعمونها من نصرة وشفاعة ليضيع عملهم ويخيب ظنهم، فعدم الوجود اللفظي للمفعولين في التركيب ناسب عدم الوجود الفعلي والمعنوي وقت الحاجة إليهم.

وذكر الزمخشري في حذف المفعول به في قوله تعالى ﴿أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: 01]، وجهين قال « وفي قوله (لَا تَقْدُمُوا) من غير ذكر مفعول وجهان: أحدهما: أن يحذف ليتناول كل ما يقع في النفس مما يقدم، والثاني: ألا يقصد قصد مفعول ولا حذفه، ويتوجه بالنهي إلى نفس المقدمة، كأنه قيل: لا تقدموا على التلبس بهذا الفعل، ولا تجعلوه منكم بسبيل قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [غافر: 68] »<sup>(2)</sup>، حذف المفعول به في الآية ليفيد العموم أي: لا تقدموا أي عمل على حكم الله ورسوله، ويمكن أن يكون المراد النهي عن التقديم من دون ذكر المتعلق، وتوقف عبد القاهر الجرجاني عند المعنى الثاني في باب الحذف وأورد له أمثلة متنوعة، مما يثبت تأثر الزمخشري بفكره البلاغي.

وعقد موازنة بين التراكيب التي جرى فيه ذكر المفعول به والتي حذف منها لمقاصد معينة، ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى ﴿لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ [الكهف: 02]، قال « أنذر: متعد إلى مفعولين كقوله ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ [النبأ: 40]، فاقتصر على أحدهما، وأصله: " لينذر " الذين كفروا " بئسا شديدا " ... فإن قلت: لم اقتصر على أحد مفعولي " أنذر " ؟ قلت: قد جعل المنذر به هو الغرض المسوق إليه، فوجب الاقتصار عليه؛ والدليل عليه تكرير الإنذار في قوله ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [الكهف: 04] متعلقا بالمنذرين من غير ذكر المنذر به، كما ذكر المبشر به في قوله تعالى " أن لهم أجرا حسنا " استغناء بتقدم ذكره »<sup>(3)</sup>، حيث حذف في التركيب المفعول به الأول والتقدير: ( لينذر الكافرين بأسا شديدا ) بغرض التعميم ؛ لأن البأس لا ينذر وإنما يُنذَرُ به تهويلا وتهديدا للمشركين لتشكيكهم بالقرآن وعدم إيمانهم به، والحذف في الموضعين، والاستدلال بالمذكور في

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج2/332.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 5/554.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج3/565.

الأول على المحذوف في الثاني، والاستدلال بالمذكور في الثاني على المحذوف في الأول، يسميه الزركشي بـ(الحذف المقابلي)، وسماه البقاعي بـ(الاحتباك) واشتهر بعد ذلك بهذا الاسم، فالزحشري بينه في هذا الموضع وإن لم يسمّه !

وشاع في كلام العرب حذف المفعول به إذا كان عامله فعل المشيئة ولم يكن في تعلقه غرابة، نحو قوله تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾ [البقرة: 20]، قال الزحشري «ومفعول " شاء " محذوف، لأن الجواب يدل عليه، والمعنى: ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بها، ولقد تكاثر هذا الحذف في " شاء " و " أراد " لا يكادون يبرزون المفعول إلا في الشيء المستغرب كنحو قوله " فلو شئت أن أبكي دما لبكيتي ... »<sup>(1)</sup>، فالغرض من حذف المفعول به هو البيان بعد الإبهام لما له من وقع في النفس فهي تتطلع إلى معرفته. وهذا الشطر من بيت الذي ذكره الزحشري هو أيضا موجود عند الجرجاني في الدلائل وقد وقف عند العلة في الحذف فيه، والتي أفاد منها الزحشري..

ومن الحذف قوله تعالى ﴿وَالضُّحَى (1) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (2) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى: 03]، قال الرازي « وفي حذف الكاف وجوه: أحدهما: حذفت الكاف اكتفاء بالكاف الأولى في (ودعك)؛ ولأن رؤوس الآيات بالياء، فأوجب اتفاق الفواصل حذف الكاف، وثانيهما: فائدة الإطلاق أنه ما قلاك ولا قلى أحدا ممن أحبك إلى يوم القيامة، تقريراً لقوله: ( المرء مع من أحب ) »<sup>(2)</sup>، فكان الغرض من الحذف مراعاة الفاصلة القرآنية في حين ذكر الزحشري باعثاً آخر من الحذف، قال « حذف الضمير من ( قلى ) كحذفه من الذاكرات في قوله ﴿وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّكِرَاتِ﴾ [الأحزاب: 35]، يريد: والذاكراته، ونحوه: ( فأوى ... فهدى ... فأغنى )، وهو اختصار لفظي، لظهور المحذوف »<sup>(3)</sup>، حيث حذف الضمير المتصل ( ك ) الذي وقع مفعولاً به في الفعل (قلى) والأصل: ( قلاك ) ليحقق غرضين الأول: لفظي تمثل في مراعاة الفاصلة القرآنية والتي لها تأثير بارز في نفس المتلقي بما تحدثه من توافق صوتي، والغرض الثاني: معنوي تمثل في إعلاء شأن النبي ﷺ وتكريمه بنفي البغض عنه، فلم يتصل الضمير بالفعل ( قلى )، بينما جاء الضمير متصلاً في الفعل (ودعك) لبيان رعاية الله عز وجل لنبيه.

<sup>1</sup> - الكشف: الزحشري، ج 1/208.

<sup>2</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 31/210.

<sup>3</sup> - المصدر السابق، ج 6/391.

ومثله قوله تعالى ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ [النبا: 19]، حيث نقل الرازي قول الواحدي في أن التعبير «من باب تقدير حذف المضاف والتقدير: فكانت ذات أبواب»<sup>(1)</sup>، ففي التركيب حذف للفاعل الذي سد مسده نائب الفاعل لبيان عظمة المحذوف لفظ الجلالة (الله عز وجل)، كما حذف المضاف (ذات أبواب) بغرض تحويل يوم الفصل والإشارة إلى مظهر من مظاهره بانشقاق السماء ونزول الملائكة .

وحذف المضاف في قوله تعالى ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [البقرة: 210]، وتقديره: يأتي أمره أو عذابه، ووضح الرازي سبب الحذف قال «هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بما وعد من العذاب والحساب، فحذف ما يأتي به تهويلا عليهم، إذ لو ذكر ما يأتي به كان أسهل عليهم في باب الوعيد، وإذا لم يذكر كان أبلغ لانقسام خواطرهم وذهاب فكرهم في كل وجه»<sup>(2)</sup>، فسيق الاستفهام الإنكاري بغرض الوعيد والتهديد، إذ حذف المضاف وحل مقامه المضاف إليه والتقدير: (يأتيهم أمر الله أو عذاب الله)، وفي حذفه دفع للقارئ لتصور كبيرهم وجرأتهم على الحق، وتأويل الرازي إتيان الله تعالى بإتيان عذابه أو أمره، وهو قول الكثيرين، لكن ثمة من يحمل الإتيان على حقيقته، أي: إتيان الله تعالى نفسه، بحمل الكلام على ظاهره من غير تأويل..

بينما حذف المضاف إليه في قوله تعالى ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٍ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: 10]، وضح الزمخشري المحذوف بقوله «لا يستوي منكم من أنفق " قبل فتح مكة قبل عز الإسلام وقوة أهله ودخول الناس في دين الله أفواجا وقلة الحاجة إلى القتال والنفقة فيه، ومن أنفق من بعد الفتح، فحذف لوضوح الدلالة »<sup>(3)</sup>، ففي التركيب حذف المضاف إليه (بعد الفتح) ودل عليه قوله (من قبل الفتح) بغرض الاختصار.

<sup>1</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 12/31.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 233/5.

<sup>3</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 45/6.

ويحذف الموصوف في التركيب بغية الإيفاء بالقصد ومن ذلك قوله تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَيِّنُ- الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 09]، ووضح الزمخشري الغاية من حذفه بقوله « للحالة التي هي أقوم الحالات، وأسدها، أو للملة أو الطريقة، وأينما قدرت لم تجد مع الإثبات ذوق البلاغة الذي تجده مع الحذف، لما في إبهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع إيضاحه »<sup>(1)</sup>، هذا المعنى (كون البلاغة في الحذف) تحدث عنه بإسهاب الجرجاني في باب الحذف، فورد في التركيب ذكر للصفة ( التي هي أقوم ) وحذف للموصوف الذي دل عليه لفظ (يهدي)، والتقدير: (يهدي للطريق التي هي أقوم أو للملة الأقوم)، والغرض من حذفه: الإيجاز من جهة والتفخيم من جهة أخرى فالمستمسكين بتعاليم القرآن وهديه لن يضلوا أبدا .

ويحذف الموصوف إن قام عليه دليل ومثاله قوله تعالى ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾ [القمر: 13]، قدر الرازي المحذوف قال « أي سفينة، حذف الموصوف وأقام الصفة مقامه، إشارة إلى أنها كانت من ألواح مركبة موثقة بدسر، وكان انفكاكها في غاية السهولة، ولم يقع ؛ فهو بفضل الله »<sup>(2)</sup>، فحذف الموصوف ( الفلك ) صور جو الخوف والرعب الذي عايشه قوم نوح وقد حل بهم العذاب حيث أحيط بهم الماء من كل جانب والريح العاصفة تضرب الماء فيرتفع، فكان كل شيء ينذر بالهلاك، بينما أنجى الله نوحا عليه السلام والذين آمنوا معه وهم يركبون سفينة مركبة من ألواح ودسر، كان انفكاكها أمرا سهلا ولكن الله تعهدا بالرعاية فلم تتأذ لذا كان حذف الموصوف أبلغ من ذكره.

ولحذف المنادى أثر في بلورة الدلالة ومن ذلك قوله تعالى ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نُسِيْنَا أَوْ أَخْطَاْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا وَلَا تُحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ [البقرة: 286]، فورد عن المؤمنين أربعة أدعية ذكر لفظ ( ربنا ) في الثلاث الأولى وحذف في الدعاء الرابع لغرض معين، وضحه الرازي بقوله « إنما حذف النداء إشعارا بأن العبد إذا واطب على التضرع نال القرب من الله تعالى، وهذا سر عظيم يطلع منه على أسرار أخرى »<sup>(3)</sup>، فذكر لفظ (ربنا) في الأدعية السابقة ليجسد ذلك البعد بينما حذفه فدل على القرب .

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 496/3.

<sup>2</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 39/29.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 162/7.



ويحذف في التركيب اللغوي الاسم والفعل والحرف بغية تحقيق فائدة دلالية، وقد تناول البيانيون هذه الجوانب من الحذف، ووضحوا علّة ورودها، فمن حذف الحرف قوله تعالى ﴿قَالُوا تَاللّٰهِ تَقْتُلُوْا تَذْكُرُوْا يُوْسُفُ حَتّٰى تَكُوْنَ حَرْصًا اَوْ تَكُوْنَ مِنَ الْهٰلِكِيْنَ﴾ [يوسف: 85]، قال ابن عطية « المعنى: تالله لا تفتأ فتحذف لا في هذه الموضع من القسم لدلالة الكلام عليها، فمن ذلك قول امرئ القيس:

فَقُلْتُ: يَمِيْنُ اللّٰهُ اَبْرَحُ قَاعِدًا وَلَوْ قَطَعُوْا رَاسِيْ لَدَيْكَ وَاَوْصَالِيْ<sup>(1)</sup>.

فحذف حرف (لا) في الآية والأصل: (لا تفتأ)، مثلما حذف في بيت امرئ القيس والتقدير: (لا أبرح) لدلالة السياق عليه وتمكن المخاطب من معرفته، فكان حذفه أبلغ من ذكره، ويبيّن سمين الحلبي الدال على الحذف قال « قوله تعالى (تفتأ): هذا جواب القسم في قوله: (تالله) وهو على حذف (لا)، أي: لا تفتأ، ويدل على حذفها أنه لو كان مثبتا لاقترن بلام الابتداء ونون التوكيد معا عند البصريين، أو إحداهما عند الكوفيين وتقول: (والله أحبك) تريد: لا أحبك، وهو من التورية فإن كثيرا من الناس مبادر ذهنه إلى إثبات المحبة، و(تفتأ) هنا ناقصة بمعنى لا تزال فترفع الاسم وهو الضمير، وتنصب الخبر وهو الجملة من قوله (تذكر)، أي: لا تزال ذاكر له<sup>(2)</sup>.

وفسر الرازي سبب حرف العطف في قوله تعالى ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّٰهِ مَغْلُوْلَةٌ غَلَّتْ اَيْدِيْهِمْ وَاُلْعَنُوْا بِمَا قَالُوْا﴾ [المائدة: 64]، قال « حذف العطف وإن كان مضمرا، إلا أنه حذف لفائدة، وهي أنه لما حذف كان قوله ( غلت أيديهم ) كالكلام المبتدأ به، وكون الكلام مبتدأ به يزيد قوة ووثاقة ؛ لأن الابتداء بالشئ يدل على شدة الاهتمام به، وقوة الاعتناء بتقريره<sup>(3)</sup>، فالحذف في الآية ورد تكذيبا لقولهم وإثباتا لكرمه عز وجل وسعة عطائه ؛ إذ يمن على من يشاء من عباده، بينما البخل وعدم الإحسان وصف متأصل في نفوس اليهود، وحذف العطف معناه الفصل، وللفضل أسباب وموجبات، من بينها أن تكون الجملة الثانية(المفصولة) جوابا عن سؤال مقدر ناتج عن الجملة الأولى، وهو المعروف بالاستئناف البياني، فكأنه لما قالوا قولتهم: (يد الله مغلولة) قال قائل: وهل هي حقا كذلك؟ أو: وكيف الرد عليهم؟ فجاء الجواب: (غلت أيديهم ولعنوا..)، والرازي هنا عبر عنه بالابتداء ولم يشر إلى السؤال.. وقد عبر البلاغيون عن هذا الموجب بـ(شبه كمال الاتصال).. والفصل كما هو معروف

<sup>1</sup> - المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي، ج 272/3.

<sup>2</sup> - الدر المنصور: السمين الحلبي، ج 546/6.

<sup>3</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 44-45.

من أعقد أبواب البلاغة، حتى قال البعض: البلاغة معرفة الفصل من الوصل.. وقد بسط الجرجاني الحديث عن هذا في دلائله، مما يظهر التواصل المعرفي والتكامل بين البلاغيين الذي أسهم في إرساء وإثراء الدرس البياني.

ووقف الزمخشري عند قراءة علي وابن مسعود رضي الله عنهما لقوله تعالى ﴿وَنَادُوا يَمْطَلِكُ لِيَقْضَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَرْكُتُونَ﴾ [الزخرف: 77]، بـ ( يا مال ) بحذف الكاف للترخيم، حيث قال « حسن الترخيم أنهم يقتطعون بعض الاسم لضعفهم وعظم ما هم فيه »<sup>(1)</sup>، فساهم الحذف في تجسيد صورة الانكسار وخضوع أهل النار، وكأنهم لشدة ما لاقوا ضعفت قواهم فلم يتمكنوا من إتمام الكلمة.

وكما يكون الحذف للمفردة فقد يكون للتركيب أو الجملة؛ إذ نلمسه في حذف الأجوبة، قال تعالى ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: 73]، فحذف جواب الشرط ووضح الزمخشري سبب حذفه قال « وإنما حذف لأنه في صفة ثواب أهل الجنة، فدّل بحذفه على أنه شيء لا يحيط به الوصف، وحق موقعه ما بعد خالدين »<sup>(2)</sup>، ويمكن تقدير جواب الشرط المحذوف بـ: ( حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها حصلوا على النعيم المقيم )، حيث جعل الحذف دليلاً على سعة العطاء، فهو نعيم دائم تقصر العقول عن إدراكه مما فتح الأفاق أمام تصوراتهم التي ذهبت كل مذهب لعظم هذا الجزاء، ولكي يتحقق الترغيب بما أعده الله عز وجل للمؤمنين فيكون ذلك باعثاً للامتثال .

ورد جواب الشرط محذوفاً في قوله تعالى ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: 165]، حيث قدر الزمخشري المحذوف وكشف الغاية من حذفه قال « لو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم أن القدرة كلها لله على كل شيء، من العقاب والثواب دون أندادهم، ويعلمون شدة عقابه للظالمين إذا عاينوا العذاب يوم القيامة، لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم »<sup>(3)</sup>، فحذف جواب الشرط وتقديره: ( لما اتخذوا من دونه أندادا ) والغرض من حذفه: التهويل ولتذهب النفس في تصويره

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 5/456-457.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 5/325.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 1/354.

كل مذهب، فعندما يرى الكافرون العذاب المعد لهم يوم القيامة وأن القدرة لله عز وجل وحده تصبهم حسرة وندامة لا يمكن وصفها، بينما ذهب ابن عطية أن الغرض من الحذف في الآية هو المبالغة، قال « وقد حذف جواب ( لو ) مبالغة، لأنك تدع السامع يسمو به تخيله، ولو شرحت له لو طنت نفسه إلى ما شرحت ... ».(1)

ورأى الرازي أن الغرض من حذف جواب الشرط في قوله تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ آلِ نَارٍ فَسَاءَ جَوْزَ الْأَيْدِي رَدًّا وَلَا تَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّهَا وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [ الأنعام: 27 ] هو: التفخيم، قال «قوله: ( ولو ترى ) يقتضي له جوابا، وقد حذف تفخيما للأمر وتعظيما للشأن، وجاز حذفه لعلم المخاطب به، وأشباهه كثيرة في القرآن والشعر، ولو قدرت الجواب، كان التقدير: لرأيت سوء منقلبهم، أو لرأيت سوء حالهم، وحذف الجواب في هذه الأشياء أبلغ في المعنى من إظهاره »(2)، واتفق ابن الجوزي مع تخريج الرازي في أن الترك في هذا الموضع أبلغ من الذكر، قال « والخطاب بهذه الآية للنبي صلى الله عليه وسلم، والوعيد للكفار، وجواب " لو " محذوف ومعناه: لو رأيتم في تلك الحال، لرأيت عجا »(3)، فحذف جواب (لو) لتذهب النفس في تصويره كل مذهب، فالصورة المفزعة للعذاب يختلف تصويرها من متلقٍ لآخر، فكان ذلك أبلغ في التخويف .

ومن حذف الجواب قوله تعالى ﴿ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور: 10]، فلم يقيد الشرط بجواب وإنما جاء على الإطلاق ليحقق الغاية من التركيب، قال الزمخشري «جواب (لو) متروك، وتركه دال على أمر عظيم لا يكتنه، ورب مسكوت عنه أبلغ من منطوق به»(4)، ويمكن تقدير جواب الشرط المحذوف بـ: ( لعاجلكم بالعقوبة )، ولم يذكر لدلالة السياق عليه حيث جاء في مقام الامتنان للأحكام التي شرعت للحفاظ على روابط الأسرة وصونا للأنساب .

وكشف الرازي عن الغرض من حذف جواب الشرط في قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾ [ التوبة: 59 ]، قال « واعلم أن جواب " لو " محذوف، والتقدير: لكان خيرا لهم وأعود عليهم، وذلك لأنه غلب عليهم النفاق ... وترك الجواب في هذا المعرض أدل على التعظيم والتهويل، وهو كقولك للرجل: لو جئتنا، ثم

1 - المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي، ج 1/235.

2 - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 12/200.

3 - زاد المسير: ابن الجوزي، ص: 431.

4 - الكشف: الزمخشري، ج 4/272.

لا تذكر الجواب: أي: لو فعلت ذلك لرأيت أمرا عظيما»<sup>(1)</sup>، ففي الآية دعوة لرضا بالقضاء والقدر والامتثال لأوامر الله ورسوله، حيث حذف جواب الشرط وتقديره: ( لكان خيرا لهم ) تهويلا لعدم قناعتهم بنصيبهم من قسمة الغنائم.

وقد يحذف جواب الشرط بغرض الإيجاز ووجود ما يدل عليه، مثاله قوله تعالى ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ [ الأنبياء: 39]، قال ابن عطية « حذف جواب ( لو ) إيجازا لدلالة الكلام عليه وأبهم قدر العذاب ؛ لأنه أبلغ وأهيب من النص عليه وهذا محذوف نحو قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ﴾ [الرعد: 31]، ويقدر المحذوف في جواب هذه الآية لما استعجلوه ونحوه»<sup>(2)</sup>، فتضمنت الآية وصفا لغفلة الكافرين وسوء تفكيرهم، حيث حذف جواب " لو " وتقديره: ( لما استعجلوا العذاب )، وعلّة حذفه دليل الآية السابقة عليه قال تعالى ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، فاستعجلوا الوعد، فنزل بهم ما كانوا به يكذبون وأحاط بهم العذاب من كل جانب .

يعد أسلوب القسم من الأساليب المتداولة في كلام العرب، ويؤتى به لتأكيد الكلام، وإبراز المعاني، وتوضيح مقاصد المتكلم، ويتألف من: أداة القسم، المقسم به، وجواب القسم وقد يحذف عنصر من عناصره لغرض ما، إذ حذف المقسم عليه في قوله تعالى ﴿ق وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ (1) بَلْ عَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَاْفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [ ق: 1-2]، قال الرازي « فإن قيل: فما الحكمة في هذا الاختصار العظيم، في موضع واحد حذف المقسم عليه والمضرب عنه، وأتى بأمر لا يفهم إلا بعد الفكر العظيم ولا يفهم مع الفكر إلا بتوفيق العزيز؟ فنقول: إنما حذف المقسم عليه ؛ لأن الترك في بعض المواضع يفهم منه ظهور لا يفهم من الذكر ؛ وذلك لأن من ذكر الملك العظيم في مجلس وأثنى عليه يكون قد عظمه، فإذا قال له غيره هو لا يذكر في هذا المجلس يكون بالإشاد إلى ترك الذكر دالا على عظمته»<sup>(3)</sup>، وهذا الذي قال عنه الجرجاني: «فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتحدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم

<sup>1</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 101/16.

<sup>2</sup> - المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي، ج 83/4.

<sup>3</sup> - المصدر السابق، ج 149/28.

تبين<sup>(1)</sup> فهو من أسس للقاعدة وتوسع في بسطها والتمثيل لها واستحضرها الزمخشري وابن عطية والرازي في تفاسيرهم، وكل كانت له طريقته في البيان والتوسع والعرض ! وفي الآية حذف لجواب القسم وتقديره: (لتبعثن)، ودل ذلك على حقيقة البعث التي لا تخفى على أولي الأبواب الذين يتفكرون في الكون وآيات قدرته عز وجل، ففي حذف الجواب حث لإعمال العقل للوصول إلى ما أقسم الله تعالى عليه .

فشملت دراسة الزمخشري للحذف المفردات والجمل، حيث وضع الغرض من حذف الجملة المعطوفة في قوله تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ أَلْتَئَثًا عَشْرَةً عَيْنًا ﴾ [الأعراف: 160]، قال « فإن قلت: فهلا قيل: فضرِب فانبجست ؟ قلت: لعدم الإلباس، وليجعل الانبجاس مسببا عن الإيحاء بضرِب الحجر، للدلالة على أن الموحى إليه لم يتوقف عن اتباع الأمر<sup>(2)</sup>، حيث حذف المعطوف عليه في الآية والتقدير: (ضرِب فانبجست ) للدلالة على سرعة الانبجاس، فقد حصل مباشرة بعد الإيحاء بالأمر بالضرِب .

وقد يحذف في النظم أكثر من جملة ومن ذلك لقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا (35) فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمْزَلُهُمْ تَدْمِيرًا ﴾ [الفرقان: 35-36]، وقدر الزمخشري الجمل المحذوفة قال « والمعنى: فذهبا إليهم، فكذبوها، فدمرناهم ... »<sup>(3)</sup>، تضمنت الآية دلالة الوعيد والتخويف للكافرين والمعرضين عن الحق حتى لا يكون مصيرهم ماثلا لقوم موسى عليه السلام، وإسقاط عناصر من التركيب كان بغرض الإيجاز والتسريع في إعلام السامع بالمصير الذي لحقهم جزاء غيهم.

ومثله قوله تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَوَّلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾ [يوسف: 45]، حيث حذف في التركيب جمل لعدم تعلق الغرض بذكرها طلبا للإيجاز قدرها ابن الجوزي قال «فخاطب الملك وحده بخطاب الجمع تعظيما، وقيل خاطبه وخاطب أتباعه، وفي الكلام اختصار، والمعنى: فأرسلوه فأتى يوسف فقال: يا يوسف يا أيها الصديق ... »<sup>(4)</sup>، حيث عرف حذف العناصر

<sup>1</sup> - دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ص: 177.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 522/2.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 350/4.

<sup>4</sup> - زاد المسير: ابن الجوزي، ص: 700.

الجزئية في القصة القرآنية والتي يمكن إدراكها من السياق وقرائن الأحوال، ليتم التركيز على العناصر الأساسية مما يدفع القارئ لإعمال الفكر في تقدير المحذوف والوصول لمواطن العبرة؛ والمحذوف في الآية هو: ( فأرسلني أيها الملك إليه، فأرسله فأثى السجن، فقال: يا يوسف ... )، وحذف بغرض الإيجاز وعدم تعلق الغرض بذكره .

#### - القصر:

يعد القصر من الأساليب الخيرية التي تسهم في تثبيت المعاني وترسيخها في ذهن السامع، فتزيل عنه كل شك وتصوب كل فكر؛ حيث تتفاعل ألفاظه وأدواته لترسم المعنى المراد الذي يختلف باختلاف السياقات المحيطة به، فهو « فن دقيق المجرى، لطيف المغزى، جليل المقدار، كثير الفوائد، غزير الأسرار، يستعمله الأديب ليأتي أسلوبه مصورا قويا يوحي إلى القارئ بمعان شتى ».(1)

ووقف البيانون في تحليلهم للتراكيب القرآنية عند هذا الفن وبينوا جماليته ودوره في تأدية المعاني، فتخصيص شيء بشيء يكون بطريقة مخصوصة منها النفي والاستثناء، نحو قوله تعالى ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران: 07]، قال الزمخشري « أي: لا يهتدي إلى تأويله الحق الذي يجب أن يحمل عليه إلا الله وعباده الذين رسخوا في العلم »(2)، حيث جاء القصر في التركيب عن طريق النفي والاستثناء وهو على شقين: الأول: ( ما يعلم تأويله إلا الله ) فقصر معرفة المتشابه على الله عز وجل، والثاني: ( وما يذكر إلا أولو الأبواب )، حيث خص التذكر بأولي الأبواب.

ومن القصر قوله تعالى ﴿ لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: 286]، فسر الزمخشري بقوله « الوسع: ما يسع الإنسان ولا يضيق عليه ولا يخرج فيه، أي: لا يكلفها إلا ما يتسع فيه طوقه، ويتيسر عليه دون مدى الطاقة والمجهود »(3)، فخص التكليف بالوسع والطاقة، لتتجلى رحمة الله تعالى بعباده بعدم تكليفهم بما لا يطيقون.

<sup>1</sup> - من بلاغة النظم العربي دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، عبد العزيز عبد المعطي عرفه، عالم الكتب، بيروت، ط2، 02، 1984، ج 2، ص: 08.

<sup>2</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 1/529.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 1/520.

ووظف القصر في أساليب الإنذار والتبليغ ومن ذلك قوله تعالى ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [المائدة: 99]، ففي الخطاب «تشديد في إيجاب القيام بما أمر به، وأن الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ، وقامت عليكم الحجة، ولزمتكم الطاعة، فلا عذر لكم في التفريط»<sup>(1)</sup>، ففيه تخصيص الرسول صلى الله عليه وسلم بالإبلاغ، وإرشاد الناس لطريق الحق أما الهداية فهي من عند الله عز وجل، وهذا لا ينفي أن يكون للنبي ﷺ أعمالا غير الإبلاغ كالتعبد مثلا.

كما جاء القصر في قوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر: 21]، وضح الزمخشري معنى الآية بقوله «ذكر الخزائن تمثيل، والمعنى: وما من شيء ينتفع به العباد إلا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه والإينعام به، وما نعطيهِ إلا بمقدار معلوم نعلم أنه مصلحة له؛ فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور»<sup>(2)</sup>، ففي الآية بيان لقدرته تعالى وحكمته، فكل المقدورات من أرزاق الخلق ومنافعهم تدرج تحت قدرته فهي غيب مكنون لا يملكها أحد إلا الله، إذ ينزلها الله بقدر معلوم رحمة بعباده.

ومثله قوله تعالى ﴿وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 10]، فكان القصر سبيلا لتصويب ذلك الاعتقاد في جعل الملائكة سبب النصر، قال الزمخشري «يريد: ولا تحسبوا النصر من الملائكة؛ فإن الناصر: هو الله، لكم وللملائكة، أو ما النصر بالملائكة وغيرهم من الأسباب إلا من عند الله، والمنصور من نصره الله»<sup>(3)</sup>، فهو قصر عن طريق النفي والاستثناء (وما النصر إلا من عند الله)، فخص النصر بالله عز وجل، فالنصر مهما تعددت أسبابه فهو من عند الله وحده.

وورد القصر في قوله تعالى ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (6) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ [الغاشية: 6-7]، قال الزمخشري «أو أريد: أن لا طعام لهم أصلا، لأن الضريع ليس بطعام للبهائم فضلا عن الإنس؛ لأن الطعام ما أشبع أو أسمن، وهو منها بمعزل، كما تقول: ليس لفلان ظل إلا

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 2/299.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 3/402.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 2/559.

الشمس، تريد: نفي الظل على التوكيد»<sup>(1)</sup>، فوظف القصر في التركيب لبيان طعام الكافرين يوم القيامة، فقصر طعامهم على الضريع؛ إذ ليس لهم طعام إلا هذا الذي لا يعده أحد طعاما.

وفسر ابن عطية دلالة القصر في قوله تعالى ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ آعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: 117]، قال «ثم أخبر عما صنع في الدنيا وقال في تبليغه وهو أنه لم يتعد أمر الله في أن أمرهم بعبادته وأقر بربوبيته»<sup>(2)</sup>، فبين عيسى عليه السلام أنه لم يتجاوز فيما قاله حد التبليغ لما أمره الله عز وجل به بإفراده تعالى بالتوحيد والعبادة خلاف ما ادعوه قومه، فكان القصر بالقصر بالنفى والاستثناء موضحا لهذا المعنى.

ومن صور القصر في التراكيب القرآنية القصر بـ (إنما) ومثاله قوله تعالى ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [هود: 12]، فسر الزمخشري معنى الآية بقوله «أي: ليس عليك إلا أن تنذرهم بما أوحى إليك وتبلغهم ما أمرت بتبليغه، ولا عليك ردوا أو تهاونوا أو اقترحوا»<sup>(3)</sup>، حيث بينت الآية تعنت الكافرين على الحق وطلبهم للخوارق والآيات (الكنز أو نزول الملك) فجاء التعريض بهم، وبيان مهمة النبي ﷺ وهي الإنذار (إنما أنت نذير)، أي أنت نذير ولست مسؤولا عن إيقاع الإيمان في قلوبهم.

ومثله قوله تعالى ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ [يونس: 20]، قال الزمخشري «أي: هو المختص بعلم الغيب المستأثر به، لا علم لي ولا لأحد به»<sup>(4)</sup>، فمجيء (إنما) أفاد اختصاص الله عز وجل بمعرفة الغيب وحده.

وورد القصر في قوله تعالى ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَأَنَّهُ إِثْمُ عَلَى الَّذِينَ يُدْلُونَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 181]، قال الرازي «فاعلم أن كلمة (إنما) للحصر، والضمير في قوله: (إنمه) عائد إلى التبديل، والمعنى: أن إثم ذلك التبديل لا يعود إلا إلى المبدل»<sup>(5)</sup>، فدعت الآية للحفاظ على

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 364/6.

<sup>2</sup> - المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي، ج 263/2.

<sup>3</sup> - المصدر السابق، ج 186/3.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 124/3.

<sup>5</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 69/5.



الوصية وتوعدت المبدلين لها، فقصر الإثم على المبدلين، وقد كشفت عن طبيعة النفس البشرية التي تميل إلى الطمع والكسب، فجاء بـ (إنما) للتحذير وتصحيح معتقد من ظن أن الإثم في مخالفة الوصية واقع على الميت لا الورثة المبدلين بعد سماعهم وعلمهم بها.

وحلل الرازي البنية التركيبية لقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ - وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: 90]، قال «واعلم أن هذه الآية دالة على تحريم شرب الخمر من وجوه، أحدها: تصدير الجملة بإنما، وذلك لأن هذه الكلمة للحصر، فكأنه تعالى قال: لا رجس ولا شيء من عمل الشيطان إلا هذه الأربعة...»<sup>(1)</sup>، ففي التركيب قصر الأشياء المحرمة (الخمر، والميسر، والأنصاب، والأزلام) على الرجس، أي: أن هذه الأشياء ليست إلا رجسا، لذا وجب الاجتناب، وجيء بأداة القصر (إنما)؛ لأن الخطاب موجه للمؤمنين وهم لا ينكرونه وفي تحريمها لطف بالعباد وصونا لهم من الضرر الذي تلحقه.

ووضح الدلالة التي أضفتها (إنما) على التركيب في قوله تعالى ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: 06]، قال «قوله " فإنما " تقتضي الحصر فينبغي أن يكون جهاد المرء لنفسه فحسب ولا ينتفع به غيره وليس كذلك، فإن من جاهد ينتفع به ومن يريد هو نفعه... والحصر ههنا معناه أن جهاده لا يصل إلى الله منه نفع، ويدل عليه قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ)»<sup>(2)</sup>، فجاء القصر عن طريق (إنما)، حيث قصر (الجهاد) على (نفس المجاهد)، لبيان أن المشاق التي يلاقيها في جهاده في سبيل الله أو جهاده لنفسه منفعتها عائدة إليه، وأنه لا يصل إلى الله منها شيء، وفي ذلك تثبيت للإيمان ودعوة لإتقان الأعمال.

ويتحقق القصر بتقديم المعمول على العامل ومثاله قوله تعالى ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: 59]، قال الرازي «أن قوله (وعنده مفاتيح الغيب) يفيد الحصر، أي عنده لا عند غيره، ولو حصل موجود آخر واجب الوجود لكان مفاتيح الغيب حاصلة أيضا عند ذلك الآخر، وحينئذ يبطل الحصر، وأيضا فكما أن لفظ الآية يدل على هذا التوحيد، فكذلك البرهان العقلي يساعد عليه، وتقديره: أن المبدأ لحصول العلم بالآثار والتتائج والصنائع هو العلم بالمؤثر والمؤثر الأول في

<sup>1</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 87/12.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 33/25.

كل الممكنات هو الحق سبحانه»<sup>(1)</sup>، فورد في الآية قصر عن طريق التقديم، حيث تقدم فيه المسند (وعنده) على المسند إليه (مفتاح الغيب) ليفيد أن مفاتيح الغيب عنده عز وجل فلا يشاركه فيها أحد، كما ورد القصر عن طريق النفي والاستثناء (لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ) لقصر صفة المعرفة عليه سبحانه وتعالى، حيث أفاد تكرار القصر تقرير الحقيقة وتأكيدا في تفرد عز وجل بمفاتيح الغيب .

وأفاد تقديم الجار والمجرور على عامله دلالة القصر في قوله تعالى ﴿قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنَّا عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ جَعَلْنَا اللَّهَ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبُّنَا أَفَتَمَحَّ بَيْنُنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: 89]، وحلل الرازي خطاب شعيب عليه السلام لقومه قال «واعلم أنه عليه الصلاة والسلام ختم كلامه بأمرين الأول: بالتوكل على الله، فقال: (على الله توكلنا)، فهذا يفيد الحصر، أي: عليه توكلنا لا على غيره، وكأنه في هذا المقام عزل الأسباب وارتقى عنها إلى مسبب الأسباب، والثاني: الدعاء، فقال: (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق)»<sup>(2)</sup>، ففي التركيب قصر بطريق التقديم (على الله توكلنا) فقدم الجار والمجرور على الفعل (توكلنا)، ليفيد تخصيص الله عز وجل بالتوحيد وتفويض الأمر له عز وجل.

وقدم لفظ الجلالة (الله) في قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ يَقْدِرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [المزمل: 20] لإفادة الاختصاص، قال الزمخشري «ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ومعرفة مقادير ساعاتهما إلا الله وحده؛ وتقديم اسمه -عز وجل- مبتدأ مبني عليه (يقدر)؛ هو الدال على معنى الاختصاص بالتقدير، والمعنى: إنكم لا تقدرون عليه»<sup>(3)</sup>، فالله تبارك وتعالى هو الذي يعلم مقادير ساعات الليل والنهار .

وجاء القصر بتوسط ضمير الفصل في قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 05]، قال الزمخشري «(وهم) فصل، وفائدته: الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة، والتوكيد، وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره»<sup>(4)</sup>، فتركت أجزاء النظم (أولئك هم المفلحون) من: اسم الإشارة، وضمير فصل، واسم معرف (المفلحون) لإفادة حصر صفة الفلاح فيهم ولمن سلك سبيلهم ودفعاً للمتوهم خلاف ذلك .

<sup>1</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 12/13.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 188/14.

<sup>3</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 248/6.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 161/1.

ووضح سر القصر في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل: 105]، قال «أي: أولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب؛ لأن تكذيب آيات الله أعظم الكذب، أو أولئك هم الذين عادتكم الكذب لا يبالون به في كل شيء، لا تحجبهم عنه مروءة ولا دين»<sup>(1)</sup>، فورد في الآية قصر بـ (إنما) تلتها جملة فعلية (يفتري الكذب)، لتخص الافتراء على الذين لا يؤمنون؛ إذ تأصل الافتراء المتجدد في نفوس الكافرين، كما أردفت بجملة قصر أخرى (أولئك هم الكاذبون) والذي جاء فيها القصر بطريق ضمير الفصل (هم) وتعريف المسند (الكاذبون) لتخصيصهم بصفة الكذب.

ومن القصر قوله تعالى ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [العنكبوت: 52]، قال الرازي «(أولئك هم الخاسرون) يقتضي الحصر أي من أتى بالإيمان بالباطل والكفر بالله فهو خاسر»<sup>(2)</sup>، فمجيء القصر عن طريق ضمير الفصل بيان لخسارتهم العظيمة فكأنهم تفردوا بالخسران، فخسارتهم لا تعادل أي خسارة.

وورد قصر الصفة على الموصوف قصرًا حقيقياً في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا يَتَّعِ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: 254]، حيث أوضح الزمخشري الغاية من النظم على هذا النسق، قال «أراد والتاركون الزكاة هم الظالمون، فقال "والكافرون" للتغليظ كما قال في آخر آية الحج: "ومن كفر" مكان: ومن لم يحج؛ ولأنه جعل ترك الزكاة من صفات الكفار، في قوله: "وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة"»<sup>(3)</sup>، فورد القصر عن طريق ضمير الفصل، حيث قصر الخبر على المبتدأ ولو قصر الكفر على الظالمين لكان كل ظلم كافر.

ومثله قوله تعالى ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: 03]، قال الرازي «ثم إن الكفار لما وصفوه بذلك بين تعالى أن الموصوف بهذه الصفة هو ذلك المبغض على سبيل الحصر فيه، فإنك إذا قلت: زيد هو العالم يفيد أنه لا عالم غيره»<sup>(4)</sup>، فأبطل وصف (الأبتر) عن النبي ﷺ عن طريق

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 475/3.

<sup>2</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 81/25.

<sup>3</sup> - المصدر السابق، ج 480/1.

<sup>4</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 133/32.

القصر، حيث أفاد ضمير الفصل (هو) قصر صفة الأبر على الموصوف وهو شائئ النبي صلى الله عليه وسلم.

كما يدخل ضمير الفصل على صفات الله تعالى فتفيد قصر هذه الصفات عليه قصرا حقيقيا، ومن ذلك قوله تعالى ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]، قال الرازي « يفيد الحصر، فما معنى هذا الحصر . مع أن العباد أيضا موصوفون بكونهم سميعين بصيرين ؟ فنقول: السميع والبصير لفظان مشعران بحصول هاتين الصفتين على سبيل الكمال، والكمال في كل الصفات ليس إلا الله، فهذا هو المراد من هذا الحصر ». (1)

نخلص مما سبق أن قضية إعجاز القرآن الكريم كانت الباعث في اهتمام البيانيين بالنظم القرآني وبحثهم في تراكيبه وتنوع أساليبه، والطريقة التي انتظمت بها ألفاظه فتقديم لفظة أو تأخيرها يكون لغاية دلالية ؛ حيث تعمقوا في تحليلهم للبنى التركيبية ولم يحصروا الغاية من مجيء التقديم والتأخير في العناية والاهتمام بالعنصر المقدم فقط، وإنما كشفوا عن أغراض بلاغية أخرى كالتخصيص الذي كثر وروده في تفسير الرمخشري، الإنكار والتوبيخ، التعظيم، التعريض ...، أما الحذف فيكون أبلغ من الذكر في مواضع يستوجبها المقام، مما يفضي على التراكيب جمالية وروعة لا تظهر بذكر المحذوف، في حين جاءت معالجتهم للقصر مبنية على ضوابط منها معرفتهم بطرقه والفروق بين أدواته والغرض من إيرادها، حيث تلقفوا ما أسسه عبد القاهر الجرجاني في البيان القرآني وسر إعجازه، وجعلوا منها أصولا وضوابط، انطلقوا منها ليدعوا في تحليلهم للخطاب القرآني، والوقوف على أسرار ولطائفه بما لم يبرز أحد قبلهم، ولم يصل إلى مستواهم أحد بعدهم.

<sup>1</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 155/27.

### المبحث الثالث: مباحث الأسلوب القرآني في الدرس الإعجازي من التأسيس حتى نهاية القرن السادس الهجري

عكف البيانون في دراستهم للخطاب القرآني على استجلاء أسرار البيانية التي تفرد بها ؛ فهو كتاب هداية معجز أنزله الله عز وجل على نبيه ﷺ ليبين للناس طريق الحق، من خلال معالجته للعديد من القضايا سواء ما تعلق بتثبيت العقيدة في نفوس الناس، أو بيان الأحكام الشرعية، أو ما تعلق بالآداب والمعاملات، كل ذلك ورد في نظام محكم متسق المباني والمعاني ؛ حيث سقت عباراته بدقة مختارة وتنوعت أساليبه بحسب المقام، فهو يعرض المعنى الواحد بعدة أساليب بين إجمال وبيان، وكذا إنجاز مع وفاء بالمعنى ودقة في التصوير، فخطابه ينفذ لجميع النفوس على اختلاف مستوياتها ومداركها.

وقد أدرك البيانون أهمية هذا الانتقال بين الأساليب، لما يحدثه من جمالية وفنية نتيجة المخالفة السطحية بين المنتقل عنه والمنتقل إليه، فكان التنويع في الضمائر باعثا في تجديد لغة الخطاب وجذبا للمتلقي، مما يسهم في بلورة المعاني وتوضيح المقاصد، كما أن الإتيان بالجميل المعترضة يكون استجابة لمقتضيات المقام؛ إذ تضيف المعاني الفرعية فنية فتلتحم أجزاءها لتشكيل المعنى الكلي للخطاب، إضافة إلى أن تكرار الألفاظ والجميل يكون لأغراض بلاغية مقصودة، وهذا ما تعمد الدراسة إلى بيانه من خلال الوقوف عند أساليب القرآن الكريم ( الالتفات، الاعتراض، التكرار ) لتكشف عن الأغراض والدوافع السياقية التي أدت إلى هذا التنويع في طرق التعبير.

#### - الالتفات :

يعد الالتفات من الأساليب البلاغية التي حظيت باهتمام البيانين لما يضيفه من خصوصية في النظم وجمالية في التركيب عبر الانتقال بين الضمائر فلا يسري التعبير وفق نمط واحد، بل ينتقل من أسلوب لآخر دفعا للسآمة وتجييدا لنشاط السامع بغية تمكين المعاني وتبليغها، وهي فائدة عامة يشترك فيها كل خطاب بالإضافة إلى أغراض أخرى يفصح عنها السياق ؛ وقد شاع عن العرب تداولها لهذا الفن وتمكنها من تنويع الأساليب وتصريف القول، وافتنانها في الكلام ؛ إذ يمثل الالتفات « خاصية بارزة في حركة الصياغة موضعيا، حيث تتحور اللفظة في موضعها تحورا غير مألوف يفرز دلالة فيها كثير مما لا يتوقعه المتلقي، وفيها كثير من إمكانات المبدع في استعمال الطاقات التعبيرية الكامنة في

اللغة»<sup>(1)</sup>، فتلك التغيرات التركيبية تصحبها تغيرات دلالية تظهر فنية اللغة العربية وتبرز طاقتها الإيحائية؛ حيث عمد البيانون في دراستهم لبلاغة النظم القرآني إلى إبراز جمالية هذا الأسلوب، وبيان أغراضه، وتحليل بنيته مشيرين إلى اللطائف البلاغية الداعية للعدول، ومن صوره:

الالتفات من التكلم إلى الغيبة، نحو قوله تعالى ﴿طه (1) مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2) إِلَّا تَذِكْرٌ لِّمَن يَخْشَى (3) تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ [طه: 1-4]، قال الزمخشري «فإن قلت: ما فائدة النقلة من لفظ المتكلم إلى لفظ الغائب؟ قلت: غير واحدة منها: عادة الافتتان في الكلام وما يعطيه من الحسن والروعة، ومنها أن هذه الصفات إنما تسردت مع لفظ الغيبة، ومنها أنه قال أولاً (أنزلنا) ففخم بالإسناد إلى ضمير الواحد المطاع، ثم ثنى بالنسبة إلى المختص بصفات العظمة والتمجيد فضوعفت الفخامة من طريقين»<sup>(2)</sup>، ففي الآية التفات من التكلم (أنزلنا) إلى الغيبة (تنزيلاً ممن خلق الأرض والسماوات العلى)، والغرض من هذا العدول إظهار الفخامة وإثبات صفات الجلالة لله عز وجل.

وانتقل النظم القرآني من التكلم إلى الغيبة في قوله تعالى ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (1) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ [الكوثر: 1-2]، حيث ذكر الرازي الفائدة البيانية من ورود الخطاب على طريق الالتفات؛ إذ عده من أمهات أبواب الفصاحة، وأن صرف الكلام من المضمير إلى المظهر فيه إظهار للعظمة والمهابة، بالإضافة إلى أن قوله تعالى (فَصَلِّ لِرَبِّكَ) تصريح بالتوحيد في الطاعة والعمل لله تعالى، ولو جاء التعبير بـ (فصل لنا) لما أفاد أن الصلاة لله وحده بل حمل دلالة التشريك<sup>(3)</sup>، فالتفت الله تعالى عن التكلم بنون العظمة (إنا أعطيناك) إلى الغيبة في (ربك) لترغيبه ﷺ في أداء العبادة وشكر المنعم على نعمه.

ومثله قوله تعالى ﴿حَمَّ (1) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) إِنَّا أُنزِلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (3) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (4) أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (5) رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الدخان: 1-6]، فيه التفات من ضمير المتكلم (إننا أنزلناه... إننا كنا... عندنا) إلى صيغة الغيبة أو بإظهار اسم الرب مضافاً إلى ضميره، وأوضح الزمخشري سبب العدول قال «والأصل (إننا كنا

<sup>1</sup> - جدلية الأفراد والتركيب في النقد العربي القديم، محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر، لوجمان، مصر، ط1، 1995، ص: 188.

<sup>2</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 4/67.

<sup>3</sup> - ينظر: تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 32/131.

مرسلين رحمة منا ) فوضع الظاهر موضع الضمير إيذاناً بأن الربوبية تقتضي الرحمة على المربوبين»<sup>(1)</sup>، فكان للالتفات أثر في إبراز رحمته تعالى بعباده بإرساله للرسول وإنزاله للكتب ليهديهم لطريق الحق، ولتقوم الحجة عليهم ويكون مصيرهم مقرونا بالأعمال التي قاموا بها في الحياة الدنيا .

وبيّن الرازي فائدة العدول عن التكلم إلى المغاية في قوله تعالى ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتُوتَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ [البقرة: 253]، قال « قوله ( منهم من كلم الله ) أهيب وأكثر وقعا من أن يقال: ( منهم من كلمنا ) ولذلك قال ( وكلم الله موسى تكليما ) فلهذا المقصود اختار لفظ الغيبة، وأما قوله ( وآتيناه عيسى ابن مريم البينات ) فإنما اختار لفظ المخاطبة، لأن الضمير في قوله ( وآتيناه ) ضمير التعظيم، وتعظيم المؤتى يدل على عظمة الإيتاء»<sup>(2)</sup>، ففي الآية بيان للفضل الذي خص الله عز وجل به بعض الأنبياء، فجاء التعبير بضمير المتكلم ( فضلنا بعضهم على بعض ) للتعظيم، ثم عدل إلى ضمير الغيبة بذكر لفظ الجلالة ( منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ) إشارة إلى عظم هذا الفضل حيث خص الله عز وجل موسى عليه السلام بالتكليم، ثم عدل من الغيبة إلى التكلم فقال ( وآتيناه عيسى بن مريم البينات ) لتخصيصه بالآيات المعجزة .

وجرى الأسلوب على طريق الالتفات في قوله تعالى ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَمٌ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رُبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ(92) وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴾ [ الأنبياء: 92-93]، حيث انتقل من الخطاب إلى الغيبة ووضح الزمخشري سر العدول قال « إن الكلام حرف على الغيبة على طريقة الالتفات، كأنه يعني عليهم ما أفسدوه إلى آخرين ويقبح عندهم فعلهم، ويقول لهم: ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله، والمعنى: جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعا، كما يتوزع الجماعة الشيء ويقسمونه، فيطير لهذا النصيب ولذا نصيب، تمثيلا لاختلافهم فيه، وصيرورتهم فرقا وأحزابا شتى»<sup>(3)</sup>، فجاء التعبير عنهم بصيغة الخطاب عندما كان الناس أمة واحدة متمسكين بالدين والتوحيد، بينما انصرف التعبير إلى الغيبة عندما تفرقوا واتبعوا أهواءهم، فكان الغرض من العدول توبيخهم وتقبيح صنيعهم .

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 5/465.

<sup>2</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 6/218.

<sup>3</sup> - المصدر السابق، ج 4/164.

ومن صوره أيضا قوله تعالى ﴿ ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [ النحل: 69]، قال الرازي «إن هذا رجوع من الخطاب إلى الغيبة، والسبب فيه أن المقصود من ذكر هذه الأحوال أن يحتج الإنسان المكلف به على قدرة الله تعالى ... فكأنه تعالى لما خاطب النحل مما سبق ذكره خاطب الإنسان، وقال: إنا ألهمنا هذا النحل لهذه العجائب، لأجل أن يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه»<sup>(1)</sup>، التفتت الأسلوب من المخاطبة في قوله تعالى ( ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا ) إلى المغيبة في قوله ( يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه )، والغرض من هذا العدول بيان عظمته عز وجل وبديع خلقه ؛ حيث مكن هذا المخلوق الصغير من إنتاج عسل صاف بعد أن يقطع مرحلة من البحث والتنقيب عن الرحيق، ليكون بذلك آية ودليلا على وحدانيته تعالى وتفرد في تسيير الكون .

ونقل الكلام عن الخطاب إلى الغيبة في التعبير عن حادثة الإفك، قال تعالى ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ﴾ [ النور: 12]، حيث قال ( ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم) ولم يقل: ( ظننتم بأنفسكم ) ليتحقق المقصد من الخطاب، والذي كشف عنه الزمخشري بقوله « ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات، وليصرح بلفظ الإيمان ؛ دلالة على أن الاشتراك فيه مقتض ألا يصدق مؤمن على أخيه، ولا مؤمنة على أختها قول غائب ولا طاعن، وفيه تنبيه على أن حق المؤمن إذا سمع قالة عن أخيه، أن يبنى الأمر فيها على الظن لا على الشك وأن يقول بملء فيه بناء على ظنه بالمؤمن الخير " هذا إفك مبين " هكذا بلفظ المصريح ببراءة ساحته، كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال»<sup>(2)</sup>، ففي هذا العدول تربية للنفوس ودعوة لتعديل السلوك بحسن الظن بالناس، حيث جيء بـ ( لولا ) التحضيضية لتشديد التوبيخ وتشنيع الخائضين في أعراض المؤمنين .

وجاء الالتفات في مقام المدح والثناء، قال تعالى ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِّن رَّبَا لِّرَبُّوْا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرُبُّوْا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ [ الروم: 39]، فسر الزمخشري بقوله « قوله تعالى " فأولئك هم المضعفون " التفات حسن، كأنه قال لملائكته وخواص خلقه: فأولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم: هم مضعفون، فهو أمدح لهم من أن يقول: فأنتم المضعفون»<sup>(3)</sup>،

<sup>1</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 74/20.

<sup>2</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 274/4.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 581/4.



ففي التركيب عدول من المخاطب ( ما آتيت من ربا .... ما آتيت من زكاة .... تريدون ) إلى الغائب ( هم المضعفون ) تنويها بعظم الأجر الذي يناله المؤمنون المتصدقون يوم القيامة؛ حيث جيء بضمير الفصل وتعريف الطرفين لقصر جنس المضعفين على هؤلاء، فهم محتصون بالجزء الوفير دون غيرهم . وذكر الزمخشري فائدة الالتفات من الخطاب إلى الغيبة في قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [ النساء: 64]، قال « وعدل عنه إلى طريق الالتفات، تفخيما بشأن رسول الله ﷺ وتعظيما لاستغفاره، وتنبيها على أن شفاعته من اسمه الرسول من الله بـمكان<sup>(1)</sup> »، حيث عدل عن الخطاب ( جاءوك ) إلى الغيبة ( واستغفر لهم الرسول )، وفي ذلك بيان لعلو منزلته ﷺ وحث على طاعته واتباع أوامره والتأكيد على أن باب التوبة مفتوح أمام التائبين.

ودل الالتفات على التعظيم في قوله تعالى ﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴾ (34) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿ [ ق: 34-35]، قال الرازي « قال تعالى " ادخلوها بسلام " على سبيل المخاطبة، ثم قال ( لهم ) ولم يقل ( لكم )، ما الحكمة فيه ؟ الجواب ... هو أنه من باب الالتفات والحكمة الجمع بين الطرفين، كأنه تعالى يقول: أكرمهم به في حضورهم، ففي حضورهم الحبور، وفي غيبتهم الحور والقصور<sup>(2)</sup> »، ففي الآية بشارة وتكريم للمؤمنين ؛ إذ انتقل الأسلوب من الخطاب ( ادخلوها بسلام ) إلى الغيبة ( لهم ما يشاءون فيها ) لبيان عطاء الله الغير محدود .

وعدل عن الخطاب إلى الغيبة في قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (169) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَفْقَهُونَ شَيْئًا وَلَا يَمْتَدُونُ ﴿ [ البقرة: 169-170]، قال الزمخشري « لهم: الضمير للناس، وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات للنداء على ضلالهم، لأنه لا ضال أضل من المقلد، كأنه يقول للعقلاء: انظروا إلى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون<sup>(3)</sup> »، التفت سبحانه من خطابهم إلى الغيبة للتنبيه إلى فرط جهلهم وحمقهم في اتباع دين آبائهم وإعراضهم عن الحق، فتم التعبير عنهم بالمغايبة للتقليل من شأنهم وعدم الاهتمام بهم.

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج2/100.

<sup>2</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج28/181.

<sup>3</sup> - المصدر السابق، ج1/356.

كما جاء الالتفات من الغيبة إلى التكلم ومثاله قوله تعالى ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِيتِي فَآرَهُبُونَ﴾ [النحل: 51]، حيث نقل الأسلوب إلى صيغة التكلم (فإياي فارهبون) بدل التعبير بصيغة الغيبة (فإياه فارهبون) لتحقيق القصد، قال الزمخشري «نقل للكلام عن الغيبة إلى التكلم؛ وجاز لأن الغالب هو المتكلم، وهو من طريق الالتفات، وهو أبلغ في التهيب من قوله: (وإياه فارهبوه)، ومن أن يجيء ما قبله على لفظ المتكلم»<sup>(1)</sup>، فجعل الغرض منه تحقيق المهابة وإدخال الرهبة في القلوب، بينما أضاف الرازي دلالة الحصر والتي أفادها تقديم المفعول به (إيتي) على الفعل (فارهبون) لتدل على التخصيص؛ أي: لا يرهب الخلق إلا من الله عز وجل، وهذا ما جاء في نصه قال «والتقدير: أنه لما ثبت أن الإله واحد وثبت أن المتكلم بهذا الكلام إليه، فحينئذ... يحسن منه أن يعدل من الغيبة إلى الحضور، ويقول (فإياي فارهبون) وفيه دققة أخرى وهي أن قوله (فإياي فارهبون) يفيد الحصر، وهو ألا يرهب الخلق إلا منه، وأن لا يرغبوا إلا في فضله وإحسانه»<sup>(2)</sup>.

وبرز أسلوب الالتفات في عرض الآيات الكونية الدالة على قدرته تعالى، ودقة تكوينه، وإبداعه وحكمته في تصريف شؤون الخلق، ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَهُ إِلَى بَلَدٍ مُمِيتٍ فَأَخْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ اللَّهُ شُورُ﴾ [فاطر: 09]، حيث أسند فعل الإرسال إلى ضمير الغيبة، ثم عدل عن ذلك إلى ضمير المتكلم عند إسناد فعلي السوق وإحياء الأرض، وفسر الزمخشري سبب هذا العدول بأنه لما كان «سوق السحاب إلى البلد الميت، وإحياء الأرض بالمطر بعد موتها: من الدلائل على القدرة الباهرة، قيل: فسقنا، وأحيينا، معدولا بهما عن لفظ الغيبة إلى ما هو أدخل في الاختصاص وأدل عليه»<sup>(3)</sup>، فالانتقال من الغيبة إلى التكلم فيه بيان لكمال اقتداره سبحانه، وتخصيصه عز وجل بهذه الأفعال: لإرسال الرياح لتحريك السحاب، وإنزال المطر كي تعود للأرض بهجتها وخضرتها دليل على عظمته، فالله تعالى قادر على إحياء الأرض بعد موتها، وكذلك يحيي الناس ويبعثهم يوم القيامة، ففي تعداد نعمه عز وجل موعظة للمتفكرين.

والتفت النظم القرآني من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ ثُبَاتٍ شَتَّى﴾ [طه: 53]، قال الزمخشري «انتقل

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 441/3.

<sup>2</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 50/20.

<sup>3</sup> - المصدر السابق، ج 143/5.

فيه من لفظ الغيبة إلى لفظ المتكلم المطاع، لما ذكرت من الافتنان، والإيذان بأنه مطاع تنقاد الأشياء المختلفة لأمره، وتدعن الأجناس المتفاوتة لمشيئته، لا يتمتع شيء على إرادته»<sup>(1)</sup>، انصرف الكلام من الغيبة ( جعل ... سلك ... وأنزل ) إلى التكلم في قوله ( أخرجنا ) بإسناد فعل الإنبات إليه سبحانه دفعا لمن توهم أن المطر هو المسبب للإنبات، حيث جاء التعبير بضمير المتكلم للتنبيه على عظم شأن هذا الإخراج والذي لا يقع إلا بمشيئته سبحانه وإبرازا لدلائل قدرته تعالى، فخلق الأرض وتسخير السماء وإخراج النبات نعم أنعمها على عباده فلا متحكم فيها إلا هو.

ومثله قوله تعالى ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حِدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ [ النمل: 60 ]، حيث وضع الرازي الحكمة من انتقال الأسلوب من الغيبة إلى التكلم، قال « يقال ما حكمة الالتفات في قوله: (فأنبتنا)؟، جوابه: أنه لا شبهة للعاقل في أن خالق السموات والأرض ومنزل الماء من السماء ليس إلا الله تعالى، وربما عرضت الشبهة في أن منبت الشجرة هو الإنسان، فإن الإنسان يقول أنا الذي ألقى البذر في الأرض الحرة وأسقيها الماء وأسعى في تشميسها، وفاعل السبب فاعل للمسبب، فإذا أنا المنبت للشجرة فلما كان هذا الاحتمال قائما، لا جرم أزال هذا الاحتمال، فرجع من لفظ الغيبة إلى قوله: (فأنبتنا)، وقال: (ما كان أن تنبتوا شجرها) ؛ لأن الإنسان قد يأتي بالبذر والسقي والتشميس ثم لا يأتي على وفق مراده، والذي يقه على وفق مراده فإنه يكون جاهلا بطبعه ومقداره وكيفيته فكيف يكون فاعلا لها؛ فلهذه النكتة حسن الالتفات ههنا»<sup>(2)</sup>، ففي الآية بيان لقدرته تعالى في خلق السموات والأرض وإنزال الماء وإخراج النبات ذو حقائق مختلفة الأشجار والألوان والطعم ؛ حيث التفت الخطاب من الغيبة إلى التكلم في قوله ( فأنبتنا ) بإسناد الإنبات إليه عز وجل حتى لا ينصرف ضمير الغائب إلى الماء، فالإنبات ما كان ليتحقق لولا مشيئة الله عز وجل، فحمل ذلك دلالة التوبيخ لعدم صونهم للنعم وتدبرهم لدلائل قدرته تعالى، وإنكارا لهم لاتخاذهم آلهة غير الله .

وعلل الرازي ظاهرة الالتفات في قوله تعالى ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۚ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ يَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ [ لقمان: 10 ]، قال « والعدول من المغايبة إلى النفس فيه فصاحة وحكمة، أما الفصاحة فمذكورة من باب الالتفات من أن

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج4/86-87.

<sup>2</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج24/206.

السامع إذا سمع كلاماً طويلاً من نمط واحد، ثم ورد عليه نمط آخر يستطيعه ألا ترى أنك إذا قلت قال زيد كذا وكذا، وقال خالد كذا وكذا، وقال عمرو كذا، ثم إن بكر قال قولاً حسناً يستطاب لما قد تكرر القول مراراً»<sup>(1)</sup>، فإضافة إلى الغرض الذي ذكره الرازي وهو غرض عام نلتمسه من كل التفات، جاء الالتفات من الغيبة ( خلق السماوات ... وألقى في الأرض رواسي ) إلى التكلم ( أنزلنا ) بإسناد الإنزال إلى ضمير الله سبحانه وتعالى لبيان أهمية النعمة ( الماء ) والدعوة لشكر المنعم عليها .

ووقع الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، وقد تنوعت أغراضه تنوعاً واسعاً استجابة لمقتضيات السياق، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى (1) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (2) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكَّى (3) أَوْ يَذْكُرُ فَتَنَّهُ الذِّكْرَى ﴾ [عبس: 1-4]، قال الزمخشري « وفي الإخبار عما فرط منه، ثم الإقبال عليه بالخطاب: دليل على زيادة الإنكار، كمن يشكو إلى الناس جانياً جنى عليه، ثم يقبل على الجاني إذا حمى في الشكاية مواجهها له بالتوبيخ وإلزام الحجة »<sup>(2)</sup>، فجاءت الآية في سياق عتاب الله عز وجل لنبيه ﷺ لانشغاله عن عبد الله بن أم مكتوم، فقد التفت النظم من الغيبة ( عبس وتولى، أن جاءه الأعمى ) إلى الخطاب ( وما يدريك )، إكراماً له ﷺ من أن ينسب إليه العبوس والتولي فجيء بهما بصيغة الغيبة، بينما جاء الخطاب ليوضح أهمية التذكير والوعظ في ترسيخ الإيمان وتثبيت التعاليم .

ومثله قوله تعالى ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ (21) فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد: 22]، ووضح الزمخشري الغرض من هذا العدول فقال: « وقد نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب على طريقة الالتفات ؛ ليكون أبلغ في التوكيد »<sup>(3)</sup>، فعدل عن الغيبة ( فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم ) إلى الخطاب ( فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم )، لتوبيخ المنافقين على جبنهم ومخالفتهم لأوامر الرسول ﷺ وتقريرهم على اختلاق أعذار واهية للتهرب من الجهاد .

<sup>1</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 144/25-145.

<sup>2</sup> - الكشاف: الزمخشري، ج 314/6.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 525/5.

والتفت التعبير القرآني من ضمير الغيبة إلى ضمير الخطاب في قوله تعالى ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (88) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ [مریم: 88-89]، وفسر الزمخشري سبب هذا الانتقال بقوله « وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة، وهو الذي يسمى الالتفات في علم البلاغة، زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله، والتعرض لسخطه، وتنبيهه على عظم ما قالوا »<sup>(1)</sup>، فعدل الأسلوب من الغيبة ( وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ) إلى الخطاب ( لقد جئتم شيئا إدًّا ) تعريضا بهم وتوبيخا لهم لافتراءهم في نسبة الولد إلى الله عز وجل .

وجاء الخطاب للإنسان على طريق الالتفات، في قوله تعالى ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (5) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (6) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ﴾ [التين: 4-7]، حيث التفت الله عز وجل من الغائب في قوله ( إلا الذين آمنوا ..... غير ممنون ) إلى المخاطب ( فما يكذبك بعد بالدين )، قال الزمخشري « فإن قلت: " فما يكذبك " من المخاطب به ؟ قلت: هو خطاب للإنسان على طريقة الالتفات ؛ أي: فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وإنكاره بعد هذا الدليل، يعني أنك تكذب بالجزاء ؛ لأن كل مكذب بالحق فهو كاذب »<sup>(2)</sup>، فالانتقال من الغيبة إلى الخطاب فيه إنكار وتعجيب من الإنسان المكذب بالبعث والجزاء بعد أن أنعم الله عز وجل عليه وخلق في أحسن تقويم، فجاء بالالتفات بغرض التوبيخ والتبكي.

ومثله قوله تعالى ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا (6) أَن رَّءَاهُ اسْتَعْثَى (7) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ [العلق: 6-8]، قال الزمخشري « " كلا " ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه، وإن لم يذكر لدلالة الكلام عليه (أن رآه) أن رأى نفسه، يقال: في أفعال القلوب: رأيتني وعلمتني وذلك بعض خصائصها، ومعنى الرؤية: العلم، ولو كانت بمعنى الإبصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين، و " استغنى " هو المفعول الثاني " إن إلى ربك الرجعى " واقع على طريق الالتفات إلى الإنسان، تحديدا له وتحذيرا من عاقبة الطغيان، والرجعى: مصدر كالبحرى بمعنى الرجوع »<sup>(3)</sup>، ففي الآية التفات من الغيبة ( ليطغى ... رآه ... استغنى ) إلى المخاطبة ( إن إلى ربك الرجعى ) بغرض التهديد والوعيد؛ إذ فيه تحذير للظالم من

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج4/58.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج6/402.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج6/405.

عذاب مرتقب نتيجة طغيانه وجحوده بفضل الله تعالى عليه وتذكيرا له بأن مآل الخلق جميعا لله سبحانه، فيكون ذلك باعثا للاستقامة وتعديل السلوك .

ونخلص مما سبق إلى أن معالم أسلوب الالتفات قد اتضحت وتمايزت واستوت كفن بلاغي، بعدما شهدت تداخلا مع مباحث بلاغية أخرى في مراحل تأليفية سابقة، حيث أدرك البيانون المقصد من إيراده ولم يحصروا جماليته في كسر رتبة الخطاب وتحديد نشاط المتلقي فحسب، بل بحثوا عن مسوغات سياقية وأغراض بلاغية يؤديها، مؤكدين أهميته كآلية أسلوبية ذات قدرة إيجابية تسهم في تشكيل المعنى الكلي للخطاب .

#### -الاعتراض :

يعد الاعتراض من الأساليب المعهودة في كلام العرب؛ إذ يضيف جمالية بما يحققه من معان فرعية تلتحم فيها أجزاء التراكيب، فتتعاضد الجمل السابقة واللاحقة لتشكل المعنى الكلي للخطاب، والذي يخضع لمقتضيات النظم ومتطلبات المقام، إضافة إلى ما تسهم فيه الجملة المعترضة من تأكيد للكلام وتقديره في نفوس السامعين تؤدي أغراضا بلاغية أخرى، سعى البيانون للكشف عنها من خلال تحليلهم للخطاب القرآني مبينين مواقعها وعلاقاتها بمعاني الكلام المعترضة فيه .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ [ الواقعة: 75-76]، فالجملة المعترضة هي قوله تعالى ( لو تعلمون ) حيث وضع الرازي فائدة هذا الاعتراض بقوله « هو كلام اعتراض في أثناء الكلام، تقديره: وإنه لقسم عظيم لو تعلمون لصدقتم، فإن قيل: فما فائدة الاعتراض ؟ نقول: الاهتمام بقطع اعتراض المعترض؛ لأنه لما قال ( وإنه لقسم ) أراد أن يصفه بالعظمة بقوله عظيم، والكفار كانوا يجهلون ذلك ويدعون العلم بأمور النجم، وكانوا يقولون لو كان كذلك فما باله لا يحصل لنا علم وظن فقال ( لو تعلمون ) لحصل لكم القطع »<sup>(1)</sup>، كما ذهب ابن عطية إلى أن الاعتراض هو قوله تعالى ( لو تعلمون )، قال « ( وإنه لقسم ) تأكيد للأمر وتنبية من المقسم به، وليس هذا باعتراض بين الكلامين، بل هذا معنى قصد التهم به، وإنما الاعتراض قوله ( لو

<sup>1</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج190/29.

تعلمون»<sup>(1)</sup>، ففي الآية اعتراضان: الأول ( إنه لقسم لو تعلمون عظيم ) ورد بين القسم ( فلا أقسم بمواقع النجوم ) وبين جوابه ( إنه لقرآن كريم ) وفيه بيان لقدرته تعالى وكمال حكمته، وقد رده ابن عطية ولم ير فيه اعتراضاً، والثاني ( لو تعلمون ) ورد بين الموصوف (قسم) والصفة ( عظيم ) والغرض منه تعظيم ما أقسم الله به من مواقع النجوم وبيان أثر ذلك في النفوس .

وورد أسلوب الاعتراض في قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [ آل عمران: 135 ]، حيث وقعت الجملة المعترضة ( ومن يغفر الذنوب إلا الله ) بين قوله تعالى " والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم " وقوله تعالى " ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون "، ووضح الزمخشري الغرض البلاغي من إيراد، قال « ومن يغفر الذنوب إلا الله ": وصف لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة، وأن التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له ... وتنشيط للتوبة، وبعث عليها، وردع عن اليأس والقنوط، وأن الذنوب وإن جلت فإن عفوه أجلّ وكرمه أعظم، والمعنى: أنه وحده معه مصحات المغفرة، وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه<sup>(2)</sup>، ففي الآية بيان لصفات المتقين من مسارعتهم للتوبة عند ارتكابهم للمعصية، وقد أفاد توسط الجملة المعترضة ( ومن يغفر الذنوب إلا الله ) الحث على الاستغفار، وتخصيص الله تعالى بالمغفرة وحده، وفي ذلك فتح لباب التوبة أمام العصاة، وهو ما أكدته ابن عطية قال « ثم اعترض أثناء الكلام قوله - تعالى - ( وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ) اعتراضاً موقفاً للنفس، داعياً إلى الله، مرجحاً في عفوه إذا رجع إليه ».<sup>(3)</sup>

ومنه قوله تعالى ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمُ وَغَىٰ اللَّهُ فُتُوكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [ المائدة: 23 ]، موضع الاعتراض قوله تعالى ( أنعم الله عليهما )، قال الرازي « في قوله ( أنعم الله عليهما ) وجهان: الأول: أنه صفة لقوله: ( رجلان )، والثاني: أنه اعتراض وقع في البين يؤكد ما هو المقصود من الكلام »<sup>(4)</sup>، فإذا أخذنا بالوجه الثاني بكون الجملة ( أنعم الله عليهما ) اعتراضاً، فقد أفاد تأكيد الرجلين وحثهما للقوم بالغزو بعد إعداد الأسباب والتوكل على الله بعدما شاهدا منهم ذلك التقاعس والخضوع .

<sup>1</sup> - المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي، ج 5/251.

<sup>2</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 1/628.

<sup>3</sup> - المصدر السابق، ج 1/510.

<sup>4</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 11/204.

وأفاد أسلوب الاعتراض التأكيد في قوله تعالى ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِئَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيلَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكَ فَنُفِىَ الْيَوْمَ بِالنَّاسِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [ المائدة: 03 ]، فالجملة المعترضة قوله تعالى ( ذلكم فسق )، قال الرازي هو « اعتراض وقع في البين، والغرض منه تأكيد ما ذكر من معنى التحريم، فإن تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل ... »<sup>(1)</sup>، حيث جاء تحريمها حماية وصونا للعباد من الضرر الموجود بها وأكدت الجملة المعترضة ( ذلك فسق ) هذا التحريم .

ومثله قوله تعالى ﴿ تَمَنِّيَ أَزْوَاجٌ مِنَ الصَّانِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْرِ اثْنَيْنِ قُلْ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أُمُّ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ بَيَّنِّي بَعْلَمَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [ الأنعام: 143 ]، قال الزمخشري « فإن قلت: كيف فصل بين بعض المعدود وبعضه، ولم يوال بينه ؟ قلت: قد وقع الفاصل بينهما ؛ اعتراضا غير أجني من المعدود، وذلك أن الله عز وجل منّ على عباده بإنشاء الأنعام لمنافعهم وبإباحتها لهم، فاعتراض بالاحتجاج على من حرّمها، والاحتجاج على من حرّمها ؛ تأكيد وتسديد للتحليل، والاعتراضات في الكلام لا تساق إلا للتوكيد»<sup>(2)</sup>، ففي الآية بيان لأصناف الأنعام التي أنعمها الله تعالى على عباده وهي ثمانية أنواع من إبل وبقر وغنم، وأسلوب الاعتراض عند الزمخشري هو: فصل بين بعض المعدود وبعضه، والبعض الأول هو (من الصّان اثنين ومن المعز اثنين) والثاني هو: (ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين)، فيكون ما بينهما اعتراضا، بغرض تقريرهم وتوبيخهم؛ إذ لم يستندوا في تحريمها على دليل بَيِّن بل كان ذلك من نسج كذبهم وافترائهم، فمطالبتهم بدليل التحريم فيه تعجيز لهم لأنهم لا يملكونه.

وقوله تعالى ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [ البقرة: 25 ]، قال الزمخشري « فإن قلت: كيف موقع قوله " وأتوا به متشابها " من نظم الكلام ؟ قلت: هو كقولك: فلان أحسن بفلان ونعم ما فعل، ورأى من الرأي كذا وكان صوابا، ومنه قوله تعالى " وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون " [ النمل: 34 ]، وما أشبه ذلك من الجمل التي تساق في الكلام

<sup>1</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 143/11.

<sup>2</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 406/2.



معتزلة للتقرير»<sup>(1)</sup>، فجاء الاعتراض ( وأتوا به متشابها ) في سياق تعداد النعم التي أعدها الله لعباده في الجنة، وقد أفاد تقرير تشابه ثمار الجنة بثمار الدنيا وذلك لميل النفوس للمألوف وحبها له .

ووقع الاعتراض بين المبتدأ والخبر في قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [ الأعراف: 42 ]، قال الزمخشري « ( لا نكلف نفسا إلا وسعها ) : جملة معترضة بين المبتدأ والخبر ؛ للترغيب في اكتساب ما لا يكتنه وصف الواصف من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو في الوسع»<sup>(2)</sup>، فجملة ( لا نكلف نفسا إلا وسعها ) معترضة بين المسند إليه ( الذين ) والمسند ( أولئك أصحاب الجنة )، والغرض من ذلك طمأنة المؤمنين بأن الجنة تكون بالإيمان المقترن بالعمل الصالح الذي لا يخرج عن حدود الاستطاعة وتبشيرهم بالجنة وتئيس الكافرين من دخولها .

وجاء الاعتراض في قوله تعالى ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ [ المنافقون: 01 ]، حيث وضع الزمخشري الغرض من توسط الجملة المعترضة ( والله يعلم إنك لرسوله ) التركيب، قال « فإن قلت: أي فائدة من قوله تعالى " والله يعلم إنك لرسوله " ؟ قلت: لو قال: قالوا: نشهد إنك لرسول الله والله يشهد إنهم لكاذبون، لكان يوهم أن قولهم هذا كذب ؛ فوسط بينهما قوله: " والله يعلم إنك لرسوله " ليميط هذا الإيهام»<sup>(3)</sup>.

ومثله قوله تعالى ﴿ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ قَضَلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [ النساء: 73 ]، فالجملة المعترضة هي ( كأن لم تكن بينكم وبينه مودة )، قال الزمخشري « قوله " كأن لم تكن بينكم وبينه مودة " : اعتراض بين الفعل الذي هو ( ليقولن ) وبين مفعوله وهو ( يا ليتني ) والمعنى كأن لم تتقدم له معكم مودة ؛ لأن المنافقين كانوا يوادون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر، وإن كانوا ييغون لهم الغوائل في الباطن، والظاهر أنه تهكم لأنهم كانوا أعدى عدو للمؤمنين وأشداهم حسدا لهم، فكيف يوصفون بالمودة إلا على وجه العكس تهكما بحالهم»<sup>(4)</sup>، ففي الآية كشف حقيقة هؤلاء المنافقين وتحذير من شرورهم، وفي توسط الجملة المعترضة بين فعل القول

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 1/233.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 2/443.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 6/122.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 2/106-107.

(ليقولن) وبين المقول (يا ليتني كنت معهم) سخرية وتعجب من حالهم، وقد تخلفوا عن القتال متمنين خسارة المسلمين فلما ظفروا بالنصر تحسروا لأنهم لم ينالوا حظا من الغنائم، فإن أصاب المؤمنين شدة فرح المنافقون وإن نالوا الفرح حزنوا لذلك وهذا ما يثبت عداوتهم، وهذا ما أكده ابن عطية قال «المنافق يعاطي المؤمنين المودة، ويعاهد على التزام كلف الإسلام، ثم يتخلف نفاقا وشكا وكفرا بالله ورسوله، ثم يتمنى عندما يكشف الغيب الظفر للمؤمنين، فعلى هذا يجيء قوله تعالى "كأن لم تكن بينكم وبينه مودة" التفاتة بليغة، واعتراضا بين القائل والمقول بلفظ يظهر زيادة في قبح فعلهم»<sup>(1)</sup>.

ووقع الاعتراض في قوله تعالى ﴿ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 11]، قال الرازي «اعلم أن هذا كلام معترض بين ذكر الوارثين وأنصبتهم وبين قوله (فريضة من الله) ومن حق الاعتراض أن يكون ما اعترض مؤكدا ما اعترض بينه ومناسبه، فنقول: إنه تعالى لما ذكر أنصباء الأولاد وأنصباء الأبوين، وكانت تلك الأنصباء مختلفة والعقول لا تهتدي إلى كمية تلك التقديرات، والإنسان ربما خطر بباله أن القسمة لو وقعت على غير هذا الوجه كانت أنفع له وأصلح... فالله تعالى أزال هذه الشبهة بأن قال: إنكم تعلمون أن عقولكم لا تحيط بمصالحكم، فرما اعتقدتم في شيء أنه صالح لكم وهو عين المضرة وربما اعتقدتم فيه أنه عين المضرة ويكون عين المصلحة»<sup>(2)</sup>، ففي الآية بيان للطريقة الشرعية المعتمدة في قسمة الموارث، وتصحيح للقوانين التي ترسخت في إذهان العرب فيما يتعلق بالموارث وتوريثهم للرجال الأقوياء وعدم تخصيصهم حصصا للنساء والصبيان الضعفاء، وفي ذلك بيان لقصور إدراكهم الذي تعثره الأهواء والأعراف القديمة، وقد دلت الجملة المعترضة بين الوارثين وأنصبتهم وبين قوله (فريضة من الله) على وجوب الانقياد لهذا القسمة التي قضى بها الله تعالى؛ فهو العالم بمصالح عباده.

ومن صوره أيضا قوله تعالى ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَذَا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَضَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: 14]، قال الزمخشري «فإن قلت: فقوله تعالى (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَذَا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَضَّلَهُ فِي عَامَيْنِ) كيف اعترض به بين المفسر والمفسر؟ قلت: لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الأم وما تعانيه من المشاق والمتاعب في حمله وفصاله هذه المدة المتطاولة، إيجابا للتوصية بالوالدة

<sup>1</sup> - المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي، ج 2/77-78.

<sup>2</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 9/225.

خصوصاً وتذكيراً بحقها العظيم مفرداً»<sup>(1)</sup>، حيث جاءت الجملتان المعترضتان ( حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين ) بين عنصرين متلازمين المفعول به الأول (الإنسان) والمفعول به الثاني ( أن أشكر لي ولوالديك )، بغرض التنبيه والحث على طاعة الوالدين؛ إذ عمدت إلى استحضار معاناة الأم وما تلاقيه في سبيل رعاية أولادها ليكون باعثاً على الإحسان إليها .

وورد الاعتراض في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَلِيَّاتِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (87) لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (88) وَقُلْ إِنِّي أَنَا الْكَذِبُ الْمُبِينُ (89) كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴾ [ الحجر: 87-90]، ووضعه قوله تعالى (لا تمدن عينيك)، حيث كشف الرازي الغاية التي سيق من أجلها هذا المعترض قال « فإن قيل :كيف توسط بين المشبه والمشبّه به قوله (لا تمدن عينيك) إلى آخره ؟ قلنا: لما كان ذلك تسليّة لرسول الله ﷺ عن تكذيبهم وعداوتهم، اعترض بما هو مدار لمعنى التسليّة من النهي عن الالتفات إلى دنياهم والتأسف على كفرهم»<sup>(2)</sup>، ففي الآية بيان للفضل الذي آتاه الله عز وجل لرسوله ﷺ، حيث أفادت الجمل المعترضة في قوله تعالى (لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (88) وَقُلْ إِنِّي أَنَا الْكَذِبُ الْمُبِينُ ) تقليل شأن النعيم الدنيوي الذي يتمتع به الكافرون؛ لأن مصيره إلى زوال والحث للتطلع للنعيم الأبدي .

كما جاء الاعتراض بغرض التسليّة عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ [ البلد: 02]، قال الزمخشري « أقسم الله سبحانه بالبلد الحرام وما بعده على أن الإنسان خلق مغموراً في مكابدة المشاق والشدائد ؛ واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله (وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ) يعني: ومن المكابدة أن مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد الحرام كما يستحل الصيد في غير الحرم ... وبعث على احتمال ما كان يكابد من أهل مكة، وتعجيب من حالهم في عداوته، أو سلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالقسم ببلده، على أن الإنسان لا يخلو من مقاساة الشدائد؛ واعترض بأن وعده فتح مكة تنميماً للتسليّة والتنفيس عنه»<sup>(3)</sup>، فجملته ( وأنت حل بهذا البلد ) معترضة بين القسم وجوابه جاءت تنبيهاً للنبي صلى الله عليه وآله وبشارة له بالنصر القريب .

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج5/12.

<sup>2</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج19/217.

<sup>3</sup> - المصدر السابق، ج6/375.

ومنه قوله تعالى ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: 98]، فالجملة المعترضة هي (عليهم دائرة السوء)، قال الزمخشري «(عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ) : دعاء معترض، دعا عليهم بنحو ما دعوا به، كقوله عز وجل ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة: 64]»<sup>(1)</sup>، فكشفت الآية ما يضره بعض الأعراب من نفاق وتربص بالمسلمين والدعاء عليهم بالشر وسوء المآل، فجاءت الجملة المعترضة لترد عليهم ذلك الدعاء وتأكيده أن المكر لا يحيق إلا بأهله.

وكشف الزمخشري عن غرض آخر للاعتراض في قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يُضَعِّفُ لَهُمُ الْعَذَابَ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ [هود: 20]، قال «وقوله "يضاعف لهم العذاب" اعتراض بوعيد»<sup>(2)</sup>، ففي توسط الجملة المعترضة (يضاعف لهم العذاب) بيان للحكمة من تأخير عذابهم في الدنيا وهي مضاعفته لهم في الآخرة.

وأفاد الاعتراض التنزيه في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُسُوعِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: 191]، قال الزمخشري «وسبحانك: اعتراض للتنزيه من العبث، وأن يخلق شيئاً بغير حكمة»<sup>(3)</sup>، فبينت الآية صفات أولي الألباب من ذكرهم الله عز وجل في جميع أحوالهم قياماً وقعوداً واضطجاعاً وتفكيرهم في بديع خلقه؛ حيث وردت الجملة المعترضة (سبحانك) تنزيهاً وتأكيذاً على أن كل شيء خلق بقدر.

ووقع الاعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه في قوله تعالى ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ (17) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿ [الروم: 17-18]، والجملة المعترضة هي (وله الحمد في السماوات والأرض)، قال الرازي «كلام معترض بين المعطوف والمعطوف عليه وفيه لطيفة، وهو أن الله تعالى لما أمر العباد بالتسبيح كأنه بين لهم أن تسبيحهم الله لنفعهم لا لنفع يعود على الله، فعليهم أن يحمدا الله إذا سبحوه»<sup>(4)</sup>، فالخطاب موجه للمؤمنين بتسبيح الله عز وجل في مواقيت معينة (الصباح، الظهر، العصر والمغرب والعشاء)، وتم الفصل بينها بالجملة

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 3/84.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 3/191.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 1/677-678.

<sup>4</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 25/108.

المعتزلة ( وله الحمد في السماوات والأرض ) لبيان أن جميع المخلوقات تحمده على نعمه وآلائه وأن الزمن الذي تكون فيه راحة الناس من مشاغلهم يتوجب الحمد .

ومثله قوله تعالى ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ [ الكهف: 63 ]، قال الرازي « ( وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره ) اعتراض وقع بين المعطوف والمعطوف عليه، والتقدير: فإني نسيت الحوت واتخذ سبيله في البحر عجباً، والسبب في وقوع هذا الاعتراض ما يجري مجرى العذر والعلة لوقوع ذلك النسيان ». <sup>(1)</sup>

ويتضح مما سبق أن دراسة البيانيين لأسلوب الاعتراض شملت تحديد موقعه في التركيب اللغوي (بين القسم وجوابه، أو بين الموصوف والصفة، أو بين المعطوف والمعطوف عليه، أو بين المبتدأ والخبر...)، ثم بيان الأغراض البلاغية التي أفادها ( التعظيم، التقرير، دفع الإيهام...)، مؤكداً أن وجوده في النظم هو من متطلبات المقام وليس بغرض تحسين الكلام فقط، فالمعاني التي يضيفها لها أثر كبير في تكوين المعنى الكلي للخطاب.

#### - التكرار :

يشكل التكرار خاصية من خصائص الأسلوب القرآني ووسيلة معتمدة في تثبيت المعاني وتقريب الأحكام، فقد ورد في مواطن عديدة: في الوعظ، والوعد والوعيد، والتذكير بآلاء الله ونعمه وغيرها، حيث تتعاضد الوحدات التركيبية فيما بينها لتحقيق الغرض الأساسي المتمثل في هداية الناس وإرشادهم لطريق الحق، ولن يكون ذلك إلا بالتذكير الدائم حتى يستقيم الأمر ويترسخ العنصر المكرر في النفس، إلى جانب ما يضيفه من جمالية في التراكيب وتوضيح المعاني الإضافية، مما يسهم في بلورة المعنى الكلي للخطاب، فكل تكرار ورد في النص القرآني إلا وله قصد وغرض بلاغي، وهو ما عمد البيانيون إلى بيانه في مدوناتهم التفسيرية، مشيرين إلى موضع التكرار وغايته الدلالية .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّمَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191) رَبِّمَا إِنَّكَ مَنِ تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [ آل عمران: 191-192 ]، حيث وضح الزمخشري الغاية من تكرار الاسم

<sup>1</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 148/21.

الجليل ( ريتا )، قال «وتكرير ( ريتا ) من باب الابتغال، وإعلام بما يوجب حسن الإجابة وحسن الإثابة، مع احتمال المشاق في دين الله، والصبر على صعوبة تكاليفه، وقطع لأطماع الكسالى المتمنين عليه، وتسجيل على من لا يرى الثواب موصولاً إليه، بالعمل بالجهل والغباء»<sup>(1)</sup>، فقد قرن أولو الألباب العبادة بالتفكير في الآيات الكونية الدالة على عظمة الخالق، فوجودها كان لحكمة وسبيلاً للوصول لحقيقة المنشئ سبحانه، وفي ذلك نوع من التوبيخ للمعرضين عن التدبر في خلقه، وحمل تكرار (رينا) معنى التضرع فلا نجاة إلا بمشيئته وتوفيقه تعالى .

وتكرر اسم ( نوح ) عليه السلام في قوله تعالى ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (105) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (106) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (107) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (108) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (109) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ [ الشعراء: 105-110 ]، حيث فسر الزمخشري الغاية من التكرار، قال « وكرره ليؤكد عليهم ويقرره في نفوسهم، مع تعليق كل واحدة منها بعلّة، جعل علة الأول كونه أميناً فيما بينهم، وفي الثاني حسم طمعه عنهم»<sup>(2)</sup>، حيث جاء اسم ( نوح عليه السلام ) مكرراً بياناً للمكانة التي يحتلها بينهم ؛ فهم يعرفون نشأته ونسبه وصدقه وأمانته وكلها عوامل تدفعهم للتصديق برسالته، فهو لا يرجو منهم الثواب وبذلك قطع عليهم سبيل الحجة والإنكار.

وتكرر اسم الإشارة ( أولئك ) في قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 05]، قال الزمخشري « وفي تكرار ( أولئك ) تنبيه على أنهم كما ثبتت لهم الأثرة بالهدى، فهي ثابتة لهم بالفلاح؛ فجعلت كل واحدة من الأثرين في تمييزهم بالثابة التي لو انفردت كفت مميزة على حياها»<sup>(3)</sup>، ففي تكرار ( أولئك ) تخصيص للمتقين بصفتي الهدى والفلاح؛ ثواباً لما اتصفوا به من إقام الصلاة، والإيمان بالغيب، والإنفاق في سبيل الله، والإيمان بما أنزل الله على رسوله ومن قبله من الرسل، والتصديق باليوم الآخر، والإشارة إليهم بالبعيد ( أولئك ) دليل على علو منزلتهم، حيث أفاد تكراره تأكيد هذه الأوصاف فيهم .

بينما تكرر الفعل ( كذب ) في قوله تعالى ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ (12) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَبُ لَيْكَةِ الْأَحْزَابِ (13) إِنَّ كُلَّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾ [ ص: 12 -

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 680/1.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 403/4-404.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 160/1.

[14]، حيث حُلّل الزمخشري البنية التركيبية للآية ووضح سبب التكرار، قال « ولقد ذكر تكذيبهم أولاً في الجملة الخبرية على وجه الإبهام، ثم جاء بالجملة الاستثنائية فأوضحه فيها، بأن كل واحد من الأحزاب كذب جميع الرسل ؛ لأنهم إذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوهم جميعاً، وفي تكرير التكذيب وإيضاحه بعد إبهامه، والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية أولاً وبالاستثنائية ثانياً، وما في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص أنواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العقاب وأبلغه»<sup>(1)</sup>، فجاء الخطاب تسلية للنبي ﷺ عمّا لقيه من تكذيب من قومه، وبيان أن تكذيب الرسل سمة متأصلة في نفوس الكافرين، وإن كذبوا رسولا فقد كذبوا جميع الرسل لأن دعوتهم واحدة هي الدعوة للتوحيد .

ومن تكرار الفعل قوله تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْعَتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ خَفِيٌّ عَنْهَا ﴾ [الأعراف: 187]، قال الزمخشري « فإن قلت: لم كرر ( يسألونك ) وإنما علمها عند الله ؟ قلت: للتأكيد، ولما جاء به من زيادة قوله: ( كأنك خفي عنها )، وعلى هذا تكرير العلماء الحذاق في كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة زائدة، ومنهم: محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة - رحمهما الله - «<sup>(2)</sup>، فتكرار السؤال عن الساعة بيان لحقيقة تغت الكافرين وإعراضهم عن الحق، رغم يقينهم بأن علم الساعة من الأمور التي استأثر الله عز وجل بعلمها، وفي إخفاء موعدها بعث للنفس على الطاعة والبعد عن المعصية.

وورد التكرار في قوله تعالى ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِّنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْقَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُتْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: 49]، حيث تكرر قوله ( بإذن الله ) مرتين، والغرض من ذلك ما ذكره الزمخشري قال « وكرر ( بإذن الله ) دفعا لوهم من توهم فيه اللاهوتية»<sup>(3)</sup>، ولأن الإحياء خارج عن قدرة البشر كرر عيسى عليه السلام قوله ( بإذن الله ) ليدفع توهم الألوهية عنه .

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 247/5.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 540/2.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 560/1.

واستجلى الزمخشري الغرض من تكرير (الذين ظلموا) في قوله تعالى ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رَجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: 59]، قال «وفي تكرير: (الذين ظلموا) زيادة في تقبيح أمرهم، وإيدان بأن إنزال الرجز عليهم لظلمهم»<sup>(1)</sup>، ففي تكرار (الذين ظلموا) تأكيد لاتصافهم بالظلم واستحقاقهم للعذاب؛ نتيجة بغيهم ومخالفتهم للأوامر قولاً وفعلاً، وفي ذلك عبرة للذين من بعدهم فلا ينتهجوا نفس السبيل .

وتكررت عبارة (الذين كذبوا شعيباً) في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 92]، ووضح الرازي الغاية من التكرار قال «وإنما كرر قوله (الذين كذبوا شعيباً) لتعظيم المذلة لهم وتفضيع ما يستحقون من الجزاء على جهلهم، والعرب تكرر مثل هذا في التفخيم والتعظيم، فيقول الرجل لغيره: أخوك الذي ظلمنا، أخوك الذي أخذ أموالنا، أخوك الذي هتك أعراضنا»<sup>(2)</sup>، ففي التكرار مبالغة واستعظام لتكذيبهم؛ إذ جعلت الخسارة محصورة فيهم (الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين) تهكماً عمماً قالوه من قبل عن خسارة أتباع شعيب، ويكون مصيرهم العذاب والاستئصال .

كما وقف الرازي عند التكرار في قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (12) وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ (13) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِقُونَ ﴿ [الروم: 12-14]، قال «وأعاد قوله (ويوم تقوم الساعة)؛ لأن قيام الساعة أمر هائل فكرره تأكيداً للتخويف منه، واعتاد الخطباء تكرير يوم القيامة في الخطب لتذكير أهواله»<sup>(3)</sup>، حيث جاء التكرار بغرض التأكيد والتهويل؛ فيوم القيامة يوم عظيم يجازى فيه الناس على أعمالهم ليكشف عن مصيرهم، ففريق في الجنة وفريق في السعير، وفي تكرار (يوم تقوم الساعة) دفع للنفس للإقبال على الطاعة والالتزام بها، خاصة بعد تصوير مشهد المجرمين وهو مشهد مفزع يدعو للاتعاظ .

وتكررت عبارة التوحيد (لا إله إلا الله) في قوله تعالى ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: 18]، قال الرازي «فائدة هذا التكرير الإعلام بأن المسلم يجب أن يكون أبداً في تكرير هذه الكلمة، فإن أشرف كلمة يذكرها

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 1/273.

<sup>2</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 14/190.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 25/103.



الإنسان هي هذه الكلمة، فإذا كان في أكثر الأوقات مشغولاً بذكرها وبتكريرها كان مشغولاً بأعظم أنواع العبادات، فكان الغرض من التكرير في هذه الآية حث العباد على تكريرها»<sup>(1)</sup>، ففي تكرارها ترسيخ لأمر عقدي بتوحيد الله عز وجل وتخصيصه بالألوهية، وهو ما ذهب إليه الزمخشري قال « فإن قلت: لم كرر قوله ( لا إله إلا الله ) قلت: ذكره أولاً للدلالة على اختصاصه بالوحدانية، وأنه لا إله إلا تلك الذات المتميزة، ثم ذكره ثانياً بعدما قرن بإثبات الوحدانية إثبات العدل، للدلالة على اختصاصه بالأمرين، كأنه قال: لا إله إلا هذا الموصوف بالصفتين، لذلك قرن به قوله: (العزیز الحكيم) لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل»<sup>(2)</sup>، ففي قوله ( لا إله إلا الله ) إقرار بالتوحيد وإفراد الله عز وجل بالألوهية التي دلت عليها الآيات في الآفاق والأنفس، وشهد عليها خواص الخلق من الملائكة وأهل العلم، ثم كرر المشهود به ( لا إله إلا الله ) للتأكيد والتقرير .

وحمل تكرار النداء دلالات متعددة من ذلك قوله تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَقَوْمِ اَتُنَبِّئُونَ اَهْلَكُمْ سَبِيلَ الْرَّشَادِ (38) يَقَوْمِ اِنَّمَا هٰذِهِ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا مَتٰلَعٌ وَاِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ [ غافر: 38-39]، قال الزمخشري «فإن قلت: لم كرر نداء قومه ... قلت: أما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم وإيقاظ عن سنة الغفلة، وفيه: أنهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم، وهو يعلم وجه خلاصهم، ونصيحتهم عليه واجبة، فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم، ويستدعي بذلك أن لا يهتموه، فإن سرورهم سروره، وغمهم غمه، وينزلوا على تنصيحهم، كما كرر إبراهيم عليه السلام في نصيحة أبيه " يا أبت "»<sup>(3)</sup>، فكرر مؤمن آل فرعون نداء قومه ( يا قوم ) لاستمالة قلوبهم، وشد انتباههم لما سيلقى عليهم من الموعظة، وهي هدايتهم لطريق الرشاد وبيان طرق بلوغه، حرصا منه على إبعادهم عن طريق الضلالة، وإظهار أنه جزء منهم مهتم بمصيرهم .

وتكرر نداء المؤمنين في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (1) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات: 1-2]، حيث كشف الزمخشري عن الغرض الدلالي من التكرار، قال «إعادة النداء عليهم: استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد، وتطرية

<sup>1</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 223/7.

<sup>2</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 1/538.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 5/349-350.

الإنصات لكل حكم نازل، وتحريك منهم لئلا يفتروا ويغفلوا عن تأملهم، وما أخذوا به عند حضور مجلس رسول الله ﷺ من الأدب الذي المحافظة عليه تعود عليهم بعظيم الجدوى في دينهم»<sup>(1)</sup>، فتكرار نداء المؤمنين فيه بيان لآداب الواجب اتباعها مع النبي ﷺ والتحذير من مخالفة أوامره، فكان للنداء أثر في التنبيه والإيقاظ للالتزام بما طلب منهم .

بينما تكرر نداء أهل الكتاب في قوله تعالى ﴿ قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴾ (98) قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفُولٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [ آل عمران: 98-99]، قال الرازي « كرر في الآيتين ( قل يا أهل الكتاب)؛ لأن المقصود التوبيخ على ألطف الوجوه، وتكرير هذا الخطاب اللطيف أقرب إلى التلطف في صرفهم عن طريقتهم في الضلال والإضلال، وأدل على النصح لهم في الدين والإشفاق»<sup>(2)</sup>، فحمل تكرار نداء أهل الكتاب معنى التوبيخ والتهديد، فهم متمسكون بمسلكهم والذي فيه ضلالهم وضلال من تبعهم، رغم علمهم بآيات الله وطريق الحق، لذا جاء التكرار معاتباً لهم ومحذراً لهم من الاستمرار في هذا المسلك .

كما بحث البيانيون في الغايات الدلالية من تكرار الآيات في السورة الواحدة، ومثال ذلك قوله تعالى ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [ البقرة: 141]، وقد وردت من قبل في قوله تعالى ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [ البقرة: 134]، قال ابن عطية « وقوله تعالى ( تلك أمة ) الآية كررها عن قرب ؛ لأنها تضمنت معنى التهديد والتخويف، أي إذا كان أولئك الأنبياء على إمامتهم وفضلهم يجازون بكسبهم فأنتم أخرى، فوجب التوكيد، فلذلك كررها، ولترداد ذكرهم أيضاً في معنى غير الأول»<sup>(3)</sup>، فإذا ما تأملنا النظم القرآني وجدنا اختلاف المخبر عنه والسياق في الآيتين؛ حيث جاء قوله تعالى (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [ البقرة: 134] عقب وصية يعقوب عليه السلام لبنيه وإقرارهم بعبادة الله وتوحيده، بينما جاء قوله تعالى (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [البقرة: 141] لنفي ما ادعوه من اتباع الأنبياء عليهم السلام لديانة

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج5/556-557.

<sup>2</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج8/173.

<sup>3</sup> - المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي، ج1/217.

اليهود والنصارى، وقد أسهم التكرار في ترسيخ مضمون الآية في نفوس المخاطبين في أن الجزء من جنس العمل، وأن الأنبياء على فضلهم يجازون على أعمالهم، فكل نفس بما كسبت رهين .

وأشار إلى سر تكرار الآية ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 18]، قال « وكرر قوله تعالى ( فبأي آلاء ربكما تكذبان ) تأكيداً وتنبيهاً للنفوس وتحريكا لها، وهذه طريقة من الفصاحة معروفة ... وذهب قوم منهم ابن قتيبة وغيره إلى أن التكرار إنما هو لما اختلفت النعم المذكورة كمر التوقيف مع كل واحدة منها وهذا أحسن، قال الحسين بن الفضل: التكرار لطرد الغفلة والتأكيد»<sup>(1)</sup>، حيث تكررت الآية إحدى وثلاثين مرة، عقب آيات فيه تعداد عجائب خلق الله وبديع صنعه، ثم عقب آيات فيه ذكر النار وشدائدها، ثم عقب وصف الجنة وأهلها، وحمل هذا التكرار تنبيها لعظم هذه الآيات وتذكيرا للناس بها ودعوتهم لشكر المنعم عليها .

ووضح الزمخشري سبب تكرار الآيتين ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ [القمر: 40]، وقوله تعالى ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرٍ﴾ [القمر: 39]، قال « فائدته أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين إذكارا واتعاظا، وأن يستأنفوا تنبها واستيقاظا، إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه، وأن يقرع لهم العصا مرات، ويقعقع لهم الشن تارات ؛ لئلا يغلبهم السهو ولا تستولي عليهم الغفلة»<sup>(2)</sup>، حيث تكررت الآية ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ ثلاث مرات في سورة القمر ( الآية: 22-32-40) عقب كل قصة من القصص الأمم السابقة: قصة نوح عليه السلام، ثم قصة صالح عليه السلام مع قومه ثمود، ثم قصة نبي الله لوط عليه السلام، وفي تكرارها حث على التدبر والاعتبار من مصير السابقين وسبب هلاكهم، فيكون ذلك باعثا للتمسك بالحق، وتثبيتا لقلوب المؤمنين بأن النصر من عند الله، أما تكرار قوله تعالى ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرٍ﴾ فكان بغرض التبكيت والزجر وتأكيد استحقاق قوم لوط عليه السلام للعذاب نتيجة الفاحشة التي اقترفوها وفي ذلك تحذير ووعيد للأمم اللاحقة من ارتكابها .

وتكرر قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، في موضعين من سورة النساء قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ

<sup>1</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج5/226.

<sup>2</sup> - الكشف: الزمخشري، ج5/662.

أَفْتَرَىٰ إِنَّمَا عَظَمًا ﴿ [ النساء: 48]، وقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: 116]، وفسر الرازي غاية هذا التكرار قال «اعلم أن هذه الآية مكررة في هذه السورة، وفي تكرارها فائدتان: الأولى: أن عمومات الوعيد وعمومات الوعد متعارضة في القرآن، وأنه تعالى ما أعاد آية من آيات الوعيد بلفظ واحد مرتين، وقد أعاد هذه الآية الدالة على العفو والمغفرة بلفظ واحد في سورة واحدة، وقد اتفقوا على أنه لا فائدة في التكرير إلا التأكيد، فهذا يدل على أنه تعالى خص جانب الوعد والرحمة بمزيد التأكيد، وذلك يقتضي ترجيح الوعد على الوعيد»<sup>(1)</sup>، فتكرار الآية فيه تأكيد لقبول الله عز وجل للتوبة وغفرانه للذنوب جميعا إلا الشرك، وفيه حث على الطاعة والإقبال على التوبة.

وتكرر قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: 04]، وقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَكِيمًا﴾ [الفتح: 07]، قال الرازي «ما الفائدة في الإعادة؟ نقول: لله جنود الرحمة وجنود العذاب أو جنود الله إنزالهم قد يكون للرحمة، وقد يكون للعذاب فذكرهم أولى لبيان الرحمة بالمؤمنين قال تعالى "وكان بالمؤمنين رحيما"، وثانيا: لبيان إنزال العذاب على الكافرين»<sup>(2)</sup>، فقد جاءت الآية الأولى في مقام الفتح والنصر؛ حيث أنزل الله جنودا لتثبيت المؤمنين فهو العليم الحكيم، بينما وردت الآية الثانية عقيب ذكر المشركين والمنافقين بغرض التخويف والتهديد وتأكيد نصر الله عز وجل للمؤمنين .

وكما عالج الزمخشري التكرار في المفردات والجمل تنبه إلى الأثر الدلالي الذي يحدثه تكرار الحروف المؤلفة للكلمة، ومثاله قوله تعالى ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْفَوَائِدُ﴾ [الشعراء: 94]، قال «والكبكة: تكرير الكب، جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى، كأنه إذا ألقى في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها»<sup>(3)</sup>، فالتكرار يحدث هزة في نفوس المخاطبين، فهو يصور مشهدا عظيما يتدافع فيه الكفار ويتساقطون بلا نظام، حيث يلقي بعضهم على بعض، فهي إشارة صوتية تفتن إليها الزمخشري.

<sup>1</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 46/11.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 84/28-85.

<sup>3</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 400/4.

ومثله قوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَن زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُزُورِ﴾ [آل عمران: 185]، قال الزمخشري « والزحزة: التنحية والإبعاد تكرير الزح، وهو الجذب بعجلة»<sup>(1)</sup>، فدل الفعل زحرج وما يحمله من حروف مكررة، على تلك المحاولات المتكررة التي تتجاذب حياة الإنسان من إقبال على الطاعة وإحجام عنها بفعل الانغماس في شهوات الدنيا، حيث جاء التعبير بـ ( زحرج ) بغرض الترغيب بالطاعة والتمسك بها والتقليل من شأن الدنيا.

نخلص مما سبق إلى أن تحليل البيانيين لأساليب التعبير البياني، واستقصائهم لمواضع الالتفات أو الاعتراض أو التكرار من خلال تعمقهم في البنية التركيبية لكل شاهد، كان بغرض التدليل على سر إعجاز القرآن الكريم وهي القضية التي أثارت اهتمام المفسرين، وكانت باعثاً لنشأة المباحث البلاغية التي عرفت اكتمالا وتمايزا في هاته المرحلة مقارنة بمراحل تأليفية سابقة كان تداخل المفاهيم سمّتها الأبرز؛ إذ بحث البيانيون عن الأسرار البلاغية والدلالية للأساليب والأثر النفسي الذي تحدثه في نفوس المخاطبين، من خلال مزجها بين الجمالية الفنية وإيفاء المعاني وتحقيق مقاصد الخطاب، فكل التفات أو اعتراض أو تكرار جاء استجابة لمتطلبات المقام وليس بغرض تحسين الكلام فقط، بل هو جزء مهم في النسيج التركيبي .

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 1/670.

المبحث الرابع: جمالية التصوير القرآني في الدراسات الإعجازية من التأسيس حتى نهاية القرن السادس الهجري .

يعد التصوير سمة بارزة في التعبير القرآني، فهو يعتمد إلى إخراج المعاني المجردة في صور حسية شاخصة منزوعة من الواقع في تأليف عجيب وسبك بديع ينفذ إلى العقول، ويأخذ بمجامع القلوب؛ حيث تجتمع الكلمات والجمال لتشكل صورا ومشاهد تتسم بالفنية والحركة، فالتصوير « هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسنة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني، والطبيعة البشرية ... فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة؛ وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد؛ وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية، فأما الحوادث والمشاهد، والقصص والمناظر، فيردها شاخصة حاضرة، فيها الحياة، وفيها الحركة؛ فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخيل»<sup>(1)</sup>، فلتتحم الألفاظ والجمال لتؤلف صورا متكاملة المعالم، والتي ترتسم في مخيلة المتلقي من خلال تعبيرها الموحى المتضمن للمعاني .

وكان لعبد القاهر الجرجاني دور في بلورة هذا الفكر، لما يتمتع به من ذوق أدبي، ظهر في تفسيره لقوله تعالى ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم : 04]، قال « فإن قلت: فما السبب في أن كان ( اشتعل) إذا استعير للشيب على هذا الوجه كان له الفضل، ولم بان بالمزية من الوجه الآخر هذه البيونة؟ فإن السبب أنه يفيد مع لمعان الشيب في الرأس، الذي هو أصل المعنى: الشمول، وأنه قد شاع فيه، وأخذه من نواحيه، وأنه قد استقر به، وعمَّ جملته، حتى لم يبق من السواد شيء، أو لم يبق منه إلا ما لا يعتد به، وهذا ما لا يكون إذا قيل: (اشتعل شيب الرأس، أو الشيب في الرأس)، بل لا يوجد اللفظ حينئذ أكثر من ظهوره فيه على الجملة»<sup>(2)</sup>، فالتعبير عن انتشار الشيب في الرأس بالاشتعال الذي دل على الشمول والسرعة التي عمت الرأس في لحظة يظهر جمالية وبلاغة التصوير، ونظير هذا قوله تعالى ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ [القمر:12]، وضحاها بقوله « التفجير للعيون في المعنى، وأوقع على الأرض في اللفظ، كما أسند هناك الاشتعال إلى الرأس، وقد حصل بذلك على معنى الشمول ههنا مثل الذي هناك، وذلك أنه قد أفاد أن الأرض قد كانت صارت عيونا كلها، وأن الماء قد كان يفور من كل

<sup>1</sup> - التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط8، 1983، ص: 36.

<sup>2</sup> - دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ص: 144.

مكان فيها، ولو أجري اللفظ على ظاهره فقليل: ( وفجرنا عيون الأرض، أو ( العيون في الأرض)، لم يفد ذلك ولم يدل عليه، وكان المفهوم منه، أن الماء قد فار من عيون متفرقة في الأرض، وتبجس من أماكن فيها»<sup>(1)</sup>، فوقفه عبد القاهر وإحساسه بالحركة المتخيلة داخل التراكيب، شدت أنظار سيد قطب إليه، والذي قال عنه « رحم الله عبد القاهر لقد كان النبع منه على ضربة معول فلم يضربها». <sup>(2)</sup>

وقد أدرك البيانون من بعده أهمية التصوير في تجسيد المعاني المعقولة في صور حية نابضة؛ موضحين أبعادها الجمالية وكيفية انتظام أجزائها في نسق تعبيرى بديع، امتاز بدقة التشبيه، وروعة التمثيل، وبلاغة التشخيص، وإن اختلفت أغراض الكلام سواء في معالجته لقضايا معينة، أو في تعبيره عن مكونات النفس وما يخالجها من انفعالات ومواقف متباينة، أو في عرضه لمشاهد النعيم، أو الجزاء، أو مشاهد القيامة، في صورة واحدة من الكمال، ففسروا وبينوا معاني الآيات، ومن ذلك:

#### - التشبيه:

يعتبر التشبيه وسيلة من وسائل التصوير الفني الذي يستمد قوته من الخيال، فيعمد إلى تقريب المعاني الذهنية في أشياء حسية مدركة، من خلال عقد مماثلة بين أمرين اشتركا في صفة أو أكثر، فيفصح بذلك عن الأفكار ويحقق الغرض المراد من تأليف الكلام، بما يثيره من شد لانتباه المخاطب وتحريك لمخيلته، ولمس لإحساسه، ومن صور التشبيه التي وقف عندها البيانون قوله تعالى ﴿ طَلْعَهَا كَأَنَّه رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ [ الصافات: 65 ]، قال الزمخشري « وشبه برؤوس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهية وقبح المنظر؛ لأن الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس، لاعتقادهم أنه شر محض لا يخلطه خير، فيقولون في القبيح الصورة: " كأنه وجه شيطان "، " كأنه رأس شيطان "، وإذا صور المصورون: جاءوا بصورته على أقبح ما يقدر وأهوله، كما أنهم اعتقدوا في الملك أنه خير محض لا شر فيه، فشبهوا به الصورة الحسنة، قال الله تعالى ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [ يوسف: 31 ]، وهذا تشبيه تخيلي»<sup>(3)</sup>، وسبق أن وقف البيانون عند هذه الآية وعلى رأسهم أبي عبيدة<sup>4</sup>؛ فتشبيه شجرة الزقوم

<sup>1</sup> - دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ص: 144-145.

<sup>2</sup> - التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ص: 33.

<sup>3</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 5/213.

<sup>4</sup> - ينظر: إنباه الرواة على أنباء النحاة: القفطي، ج 3/278.

برؤوس الشياطين، هو تشبيه لأمر مجهول متوعد ( شجرة الزقوم ) بشيء متخيل ( رؤوس الشياطين )، معهود في كلام العرب؛ لأن قبح صورة الشيطان متصور في كل نفس مما يدفعها للنفور منه .

ومن التشبيه قوله تعالى ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ الذِّكْرِ مُعْرِضِينَ ﴾ (49) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ (50) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿ [ المدثر: 49-51 ]، قال الزمخشري « شبههم في إعراضهم عن القرآن واستماع الذكر والموعظة وشرادهم عنه، بحمر جدت في نفارها مما أفرعها، وفي تشبيههم بالحر: مذمة ظاهرة وتهجين لحالم بين<sup>(1)</sup>، فرسم التعبير القرآني صورة فريدة في تشبيه الكافرين المعرضين عن الحق والموعظة بالحر الوحشية التي اشتد نفورها من أسد يترصدها ويلحقها ليفترسها، والجامع بينهما هو سرعة النفور .

وكشف عز وجل عن هول يوم القيامة في صورة تشبيهية بديعة، قال ﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (4) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعُفُوشِ ﴾ [ القارعة: 4-5 ]، قال الزمخشري « شبههم بالفرش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة، والتطاير إلى الداعي من كل جانب، كما يتطاير الفراش إلى النار ...، وشبه الجبال بالعفن وهو الصوف المصبغ ألواناً؛ لأنها ألوان، وبالمنفوش منه؛ لتفرق أجزائها<sup>(2)</sup>، فصورت الآيتان مشهدين عظيمين لليوم الآخر: الأول: بعث الناس وخروجهم من قبورهم في حالة فرع واضطراب شديد متجهين إلى أرض المحشر كفرش متفرق منتشر في كل اتجاه يتهافت نحو النار ليجتمع، والثاني: تشبيه الجبال الراسخة القوية بالصوف متعدد الألوان المتناثر الممزق الذي يسهل تناثره لخفته .

وجاء التشبيه في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسْنَدَةٌ ﴾ [ المنافقون: 04 ]، قال الزمخشري « شبهوا في استنادهم، وما هم إلا أجرام خالية من الإيمان والخير بالخشب المسندة إلى الحائط؛ ولأن الخشب إذا انتفع به كان في سقف، أو في جدار أو غيرها من مظان الانتفاع، ومادام متروكا فارغا غير منتفع به أسند إلى الحائط؛ فشبهوا به في عدم الانتفاع، ويجوز أن يراد بالخشب المسندة؛ الأصنام المنحوتة من الخشب المسندة إلى الحيطان؛ شبهوا بها في حسن صوره وقله جدواهم<sup>(3)</sup>، ففي الآية بيان لحقيقة المنافقين وسوء ما يضمرونه، فجمال أجسامهم

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 263/6

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 421/6

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 124/6



وحسن قولهم يخالف ما في قلوبهم، لذا جاء تشبيههم بالخشب المسندة التي تأكلت وأسندت إلى الحائط فلا انتفاع يرجى منها، وكذلك نفوسهم خالية من الإيمان كالأشباح لا يرجى نفاذ الحق إليها .

وكشف التعبير القرآني عن مشهد النعيم الذي يتمتع به المؤمنون، قال تعالى ﴿وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ وَلَدُنْ مُّحَلَّلُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْثُورًا﴾ [الإنسان: 19]، قال الزمخشري « شبهوا في حسنهم، وصفاء ألوانهم، وانبثاثرهم في مجالسهم ومنازلهم باللؤلؤ المنثور ... وقيل: شبهوا باللؤلؤ الرطب إذا نثر من صدفه؛ لأنه أحسن وأكثر ماء »<sup>(1)</sup>، حيث يقوم على خدمة المؤمنين ولدان كاللؤلؤ المفرق المضيء لحسنهم وصفاء ألوانهم وانتشارهم.

#### - الاستعارة:

الاستعارة وسيلة تعبيرية تسهم في إكساب التراكيب جمالية وفنية؛ إذ تجسد الشيء المعنوي في صورة حسية، وتجعل الأشياء الجامدة حية نابضة شاخصة، فتجلي بذلك المعاني الخفية وتحقق الغايات الفنية، وتؤكددها وتثبتها في النفوس، بما تتمتع به من خاصية الإيحاء الذي يغيب في التعبير الحقيقي، فهي لا تكتسب ميزتها بمعزل عن السياق بل تتعاضد الألفاظ والمعاني والتعابير الحقيقية والمجازية لشكل المعنى الكلي للخطاب.

وقد بحث البيانين في أسرار النظم القرآني، وكشفوا عن جمالية الاستعارة، وأبعادها الدلالية، وكيفية انتظام أجزائها، ومن أمثلة ذلك:

قوله تعالى ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: 04]، حيث وضع الزمخشري جمالية التصوير، قال «شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته، وانتشاره في الشعر وفشوه فيه، وأخذه منه كل مأخذ، باشتعال النار، ثم أخرجه مخرج الاستعارة، ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته، وهو الرأس، وأخرج الشيب مميزاً، ولم يصف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا»<sup>(2)</sup>، في حين اعتمد الرازي تحليل عبد القاهر الجرجاني في أن استعارة (الاشتعال) للشيب، كان بغرض تصوير سرعة انتشاره، وشموله لجميع الرأس، وهو ما عبر عنه بقوله « يفيد مع لمعان الشيب في الرأس، أنه شمل وشاع وأخذ

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 6/281-282.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 6/4.

من نواحيه وعمّ جملته حتى لم يبق من السواد شيء أو إلا القليل، فهذه الفائدة مما لا تحصل إذا قيل: "اشتعل الشيب في الرأس"، بل لا يوجب اللفظ أكثر من ظهور الشيب فيه»<sup>(1)</sup>.

وجاء تصوير الغضب الذي يملك النفس باستعارة بديعة، قال تعالى ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضُّ أَخَذَ الْأَلْوَحَ﴾ [الأعراف: 154]، قال الزمخشري « كأن الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له: قل لقومك كذا، وألق الألواح، وجرّ برأس أخيك إليك، فترك النطق بذلك، وقطع الإغراء، ولم يستحسن هذه الكلمة، ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم، وذوق صحيح إلا لذلك؛ ولأنه من قبيل شعب البلاغة، وإلا فما لقراءة معاوية بن قرة: " ولما سكن عن موسى الغضب"، لا تجدد النفس عندها شيئاً من تلك الهزة، وطرفاً من تلك الروعة»<sup>(2)</sup>، ففي التعبير القرآني تشخيص للغضب؛ وكأنه كائن حي يدفع موسى عليه السلام، ويحركه ويملك أمره بالأمر والنهي، حتى إذا بلغ منه الغاية تركه، وهو من باب الاستعارة المكنية .

وجاء في قوله تعالى ﴿وَعَايَةً لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ [يس: 37]، قال الرازي « المستعار له: ظهور النهار من ظلمة الليل، والمستعار منه: ظهور المسلوخ عن جلده، والجامع: أمر عقلي وهو ترتب أحدهما على الآخر»<sup>(3)</sup>، ففيه تصوير لزوال الضياء وحلول الظلمة مكانه رويداً رويداً، كما يسلك جلد الشاة وينتزع، وفي ذلك إبراز لوحديته عز وجل وقدرته على إحياء الموتى .

ومن الاستعارة قوله تعالى ﴿بَلْ تَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: 18]، حيث أشار الرازي إلى اعتياد التعبير القرآني على تصوير دحض الباطل بالحق، ولهذا « استعار القذف والدمغ تصويراً لإبطاله، فجعله كأنه جرم صلب كالصخرة مثلاً، قذف به على جرم رخو فدمغه»<sup>(4)</sup>، فتم التعبير عن معنى الإبطال بصورة حسية ذات حركة، كان من أهم سماتها السرعة وكأن الحق في صراع محتدم مع الباطل وانتصر بعدما شج رأس الباطل وبلغ دماغه فهلك، وفي ذاك تأكيد على إعلاء الله للحق ونصر المؤمنين .

<sup>1</sup> - نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: الرازي، ص: 156.

<sup>2</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 514-515.

<sup>3</sup> - المصدر السابق، ص: 157.

<sup>4</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 148/22.

وجاء في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُؤْصَلَ وَيَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: 27]، قال الزمخشري «النقض: الفسخ وفك التركيب، فإن قلت: من أين ساغ استعمال النقص في إبطال العهد؟ قلت: من حيث تسميتهم العهد بالجل على سبيل الاستعارة، لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين... وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار، ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من روافده»<sup>(1)</sup>، فمن صفات المنافقين نقض العهد، وقد أستخدم لفظ النقص الذي يدل على حل طيات الجبل، ليعبر به عن إبطال العهد الذي كان يتم من قبلهم تدريجياً، وهو معهود في كلام العرب تشبيه العهد بالجبل .

وصور التعبير القرآني هلاك عاد، قال تعالى ﴿وَأَمَّا عَادُ فَاهْلَكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: 06]، فسرهما الزمخشري قال «"عاتية": شديدة العصف، والعنوة استعارة، أو عنت على عاد، فما قدروا على ردها بحيلة، من استتار ببناء، أو لياذ بجبل، أو اختفاء بحفرة؛ فإنها كانت تنزعهم من مكانهم وتهلكهم، وقيل: عنت على خزائنها، فخرجت بلا كيل ولا وزن»<sup>(2)</sup>، ففي الآية تصوير للعذاب الذي حل بعاد واهلاكهم بالريح العاتية، حيث نسب للريح صفة العنوة والطغيان لتجاوزها المقدار المعروف في الهبوب والبرد.

وصور الجمد في صورة حية شاحصة قال تعالى ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ (38) أَنْ اقْذِفِيهِ فِي الْكَنَابِثِ فَأَقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَكَ وَالْقَيْثُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: 38-39]، قال الزمخشري «لما كانت مشيئة الله تعالى وإرادته ألا تخطئ جرية ماء اليم الوصول به إلى الساحل وألقاه إليه، سلك في ذلك سبيل المجاز، وجعل اليم كأنه ذو تمييز، أمر بذلك ليطيع الأمر ويمثل»<sup>(3)</sup>، حيث شبه (اليم) بإنسان يلقي ويتلقى الأوامر فيستجيب، في ذلك تشخيص للجمد ومنحه للحياة .

وحلل الرازي الاستعارة في قوله تعالى ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعَمَلُ يُكْفِّرُهُمْ﴾ [البقرة: 93]، قال «وأشربوا في قلوبهم حب العجل، وفي وجه هذه الاستعارة وجهان: الأول: معناه تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب، وقوله (في قلوبهم) بيان لمكان الإشراف كقوله (إنما يأكلون في

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 1/246.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 6/194-195.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 4/81.

بطونهم نارا)، الثاني: كما أن الشرب مادة حياة ما تخرجه الأرض فكذا تلك المحبة كانت مادة لجميع ما صدر عنهم من الأفعال»<sup>(1)</sup>، ففي استعارة الإشراب بيان لتعلق قلوبهم بالعجل ومحبته لهم، كما يغمر الشراب جميع الجسد، حيث حذف المضاف ( الحب ) وأقيم المضاف إليه مقامه ( العجل )، تأكيداً لتمكن هذا الحب في قلوبهم وتفرد في نيل المكانة عندهم .

وصور التعبير القرآني مشهداً عظيماً من مشاهد يوم القيامة، قال تعالى ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: 99]، قال ابن عطية «استعارة "الموج" لهم عبارة عن الحيرة وتردد بعضهم في بعض كالمولاهين من هم وخوف ونحوه، فشبههم بموج البحر الذي يضطرب بعضه في بعض»<sup>(2)</sup>، فجسد اجتماع الخلائق وحالة اضطرابهم وتخطبهم بصورة أمواج البحر التي تتلاطم بعضها ببعض، في مشهد رهيب لا يمكن حصر مداه فكل الأمم محضرة تترقب مصيرها .

ومن الاستعارة قوله تعالى ﴿لَوْ يَحْجِدُونَ مَلَجًا أَوْ مَقَرَّتْ أَوْ مُدْخَلًا لَوْلَا إِلَهِهِ وَهُمْ يَحْمَحُونَ﴾ [التوبة: 57]، قال الزمخشري «يحمحون: يسرعون إسراعاً لا يردهم شيء؛ من الفرس الجموح، وهو الذي إذا حمل لم يرده اللجام»<sup>(3)</sup>، ففيه تصوير للجبن والخوف الشديد الذي تعتري المنافقين إذا نزلت عليهم المصائب، فيسرعون في الاختباء في حصن أو كهف أو نفق كالفرس الجموح الذي تعجز صاحبه عن منعه من العدو، فالجامع بين الأمرين: السرعة والخوف.

#### - التمثيل:

ووظف التعبير القرآني التمثيل كوسيلة تصويرية تخرج المعاني المجردة إلى معان محسوسة، ومن ذلك قوله تعالى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: 18]، ووضح الزمخشري سر هذا التمثيل بقوله «شبهها في حيويتها وزهاجها هباء منثوراً لبنائها على غير أساس من معرفة الله والإيمان به، وكونها لوجه برماد طيرته الريح العاصف»<sup>(4)</sup>، فيرتسم في ذهن المتلقي صورة لأعمال الكافرين وقد شبهت برماد عصفت به

<sup>1</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 202/3.

<sup>2</sup> - المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي، ج 544/3.

<sup>3</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 58/3.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 371/3.

الريح فنثرته في كل مكان، فلا يجمع شتاته، مثل أعمال ظن أصحابها أنها تنفعهم يوم القيامة ولم ينالوا منها شيئا.

ومثله قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (39) أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: 39-40]، قال الزمخشري « شبه أعمالهم أولا في فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيئا، ولم يكفه خيبة وكمدا أن لم يجد شيئا كغيره من السراب، حتى وجد عنده الزبانية تعتله إلى النار، ولا يقتل ظمأه بالماء، وشبهها ثانيا في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة، وفي خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والأمواج والسحاب»<sup>(1)</sup>، ففي التعبير القرآني صورتان بديعتان: الأولى: مثلت بطلان أعمال الكافرين برجل اشتد عطشه في صحراء شاسعة، فإذا أنهكه التعب ظن السراب ماء فإذا بلغه اكتشف حقيقته وغاب ظنه، وكذلك الكافر الذي يعتقد صلاح عمله وأنه ينفعه يوم القيامة ينصدم بزواله، أما الصورة الثانية: فشبهت أعمال الكافرين ببحر عميق يعلوه موج من فوقه موج ثم سحاب حتى إذا أخرج الرجل يده لم يكد يراها لشدة الظلمة، ومثله الكافر الذي تراكمت في قلبه ظلمة الجهل، والشرك، والريبة، ظلمات فوق ظلمات تمنع نفاذ الحق إليها.

وجاء بيان عدم انتفاع الكافرين بأعمالهم التي قاموا بها في الدنيا؛ لأنهم لم يبتغوا بها مرضاة الله عز وجل، قال تعالى ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: 23]، فسرهما الزمخشري بقوله « ليس ههنا قدوم ولا ما يشبه القدوم، ولكن مثلت حال هؤلاء وأعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم، وإغاثة ملهوف، وقرى ضيف، ومنّ على أسير، وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه، فقدم على أشياءهم، وقصد إلى ما تحت أيديهم فأفسدها ومزقها كل ممزق، ولم يترك لها أثرا ولا عثيرا ... شبهه بالهباء في قلته وحقارته عنده، وأنه لا ينتفع به، ثم بالمنتشر منه؛ لأنك تراه منتظما مع الضوء، فإذا حركته الريح رأيت أنه قد تناثر وذهب كل

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 310/4.

مذهب»<sup>(1)</sup>، فشبهت الأعمال التي ظن أصحابها أنها تنفعهم يوم القيامة بغبار مفرق لا يمكن جمع شتاته، وكذلك أعمالهم تتلاشى فلا مقابل لها .

وضرب الله مثلاً للكافرين الذين يظنون أنهم يحسنون صنعا، وأن أعمالهم تعود عليهم بالنفع فأبطل اعتقادهم، قال تعالى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بِئِثًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبِئِثٌ الْعَنْكَبُوتُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: 41]، قال ابن عطية « شبه تعالى الكفار في عبادتهم الأصنام وبنائهم جميع أمورهم على ذلك بـ " العنكبوت " التي تبني وتجتهد وأمرها كلها ضعيف متى مسته أدنى هابة أذهبت فكذاك أمر أولئك وسعيهم مضمحل لا قوة له ولا معتمد»<sup>(2)</sup>، ففي الآية بيان للخذلان الذي يتعرض له الكافرون الذين عبدوا الأوثان، وظنوا أنها تنصرهم يوم القيامة، فصنيعهم كصنيع العنكبوت التي تقضي زمنا في نسج خيوط بيت تحتمي به، ولكن ما يلبث أن ينهار لضعفه ووهن أساسه.

وقدم النظم القرآني للكافرين مثلاً ارتبط بما كانت تعتقده العرب قديماً، قال تعالى ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَّهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ امْتَثِلْنَا﴾ [الأنعام: 71]، وضحه الزمخشري فقال « كالذي ذهب به مردة الجن، والغيلان و ( في الأرض ) المهمه، ( حيران ) نائها، ضالا عن الجادة، لا يدري كيف يصنع، ( له ) أي: لهذا المستهوي ( أصحاب ) رفقة، ( يدعوناه إلى الهدى ) إلى أن يهدوه الطريق المستوي، أو سمي " الطريق المستقيم " بالهدى، يقولون له: ( امثنا )، وقد اعتسف المهمه تابعا للجن، لا يجيبهم، ولا يأتيهم، وهذا مبني على ما تزعمه العرب، وتعتقد أن الجن تستهوي الإنسان، والغيلان تستولي عليه؛ كقوله ﴿الَّذِي يَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: 275]»<sup>(3)</sup>، فعرضت الآية صورة منفرة للشرك؛ حيث جسدت حيرة الكافر وتمسكه بالضلالة بصورة رجل اختطف الجن عقله، وألقته في صحراء مقفرة، فضل طريقه ولم يتمكن من العودة، في حين له أصحاب يدعون له لطريق الهداية وهو يرفض، متشبها بالكفر.

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 343/4

<sup>2</sup> - المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي، ج 318/4

<sup>3</sup> - المصدر السابق، ج 275/2

وجاء في قوله تعالى ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: 31]، تصوير لحالة الكافر ومصيره المرتقب، وقد حلل الزمخشري البنية التركيبية للصورة التشبيهية التمثيلية، قال «يجوز في هذا التشبيه أن يكون من المركب والمفرق، فإن كان تشبيها مركبا فكأنه قال: من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس بعده نهاية، بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير، فتفرق مزعا في حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة، وإن كان مفرقا فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء، والذي ترك الإيمان وأشرك بالساقط من السماء، والأهواء التي تتوزع أفكارها بالطير المختطفة، والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة»<sup>(1)</sup>، ففي الآية تصوير لفظة مآل الكافر الذي اتخذ الكفر سبيلا وترك طريق الإيمان، فشبه بمن سقط من السماء فاختطفته الطير ومزقت أعضائه في سرعة قياسية، أو كمن أخذته عاصفة شديدة من الريح فقذفته في مكان بعيد لا يستطيع العودة منه، وفي ذلك تجسيد لحالة الاضطراب والحيرة التي يعيشها الكافر، فهو يتخبط دون أن يتبين طريق النجاة.

وصف الله عز وجل حيرة المنافقين وتخطبهم في الضلالة بمستوقد النار، الذي يستأنس باشتعالها ثم ما تلبث أن تنطفئ ويعود إلى ظلامه المعهود، قال تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبَّحَتْ بِجَزَائِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (16) مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمٍ لَا يَبْصُرُونَ (17) صُمُّ بَكْمٌ عُمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (18)﴾ [البقرة: 16-18]، ثم قدم مثلاً آخر وهو من أخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وفزع من الصواعق؛ فإن خفقت اغتنموا الفرصة للسير، وإن غاب وميضها توقفوا مقيدين، قال تعالى ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمٌ وَرَعْدٌ وَنُقُرٌ يُجْعَلُونَ أَصْبَعُهُمْ فِيْءَادَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (19) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مِّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ لَئِنْ أَلَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 19-20]، وتوقف الزمخشري عند الصورتين متتبعا بلاغة هذا التدرج في التصوير، قال «فإن قلت: أي التمثيلين أبلغ، قلت: الثاني؛ لأنه أدل على فرط الحيرة وشدة الأمر وفظاعته؛ ولذلك أُخِر، وهم يتدرجون في نحو هذا من الأهون إلى الأغلظ»<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 4/192.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1/201-202.

وقدم عز وجل مثلاً للمؤمن والكافر، قال تعالى ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٍ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [فاطر: 12]، قال الزمخشري «ضرب البحرين: العذب والمالح مثلين للمؤمن والكافر، ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين ما علق بهما من نعمته وعطائه ... ويحتمل غير طريقة الاستطراد: وهو أن يشبه الجنسيتين بالبحرين، ثم يفضل البحر الأجاج على الكافر؛ بأنه قد شارك العذب في منافع من السمك واللؤلؤ وجري الفلك فيه، فهو في طريقة قوله تعالى ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: 74]»<sup>(1)</sup>.

وجاء التمثيل وسيلة لتصوير طريق الهداية التي يسلكه المؤمن وطريق الضلال الذي يهيم فيه الكافر، قال تعالى ﴿أَقْمَنَ يَمْشِي - مُكِبًا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي - سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: 22]، قال الزمخشري «فإن قلت: ما معنى (يمشي مكباً على وجهه)؟ وكيف قابل "يمشي على صراط مستقيم"؟ قلت: معناه: يمشي معتسفاً في مكان معتاد غير مستو فيه انخفاض وارتفاع، فيعثر كل ساعة، فيخر على وجهه منكباً، فحاله نقيض حال من يمشي سوياً، أي: قائماً سالماً من العثر والخرور، أو مستوي الجهة قليل الانحراف، خلاف المعتسف الذي ينحرف هكذا وهكذا على طريق مستو، ويجوز أن يراد الأعمى الذي لا يهتدي إلى طريق فيعتسف، فلا يزال ينكب على وجهه، وأنه ليس كالرجل السوي الصحيح البصر، الماشي في الطريق المهتدي له، وهو مثل للمؤمن والكافر»<sup>(2)</sup>، فترسم في المخيلة صورة رجل يمشي باعتدال في طريق مستوي، وآخر يمشي بصعوبة في طريق ذي اعوجاج لما فيه من ارتفاع وانخفاض فيتعثر ويسقط على وجهه، وكذلك الحال للذي سلك طريق الحق وأدرك تعاليمه فيمضي في ثقة، بينما الكافر يضل الطريق فيتخبط دون أن يتبين مساره.

وضرب الله مثلاً للكلمة الطيبة (كلمة التوحيد) بشجرة ثابتة باسقة متأصلة الجذور، بينما شبه الكلمة الخبيثة (الكفر) بالشجرة الخبيثة، قال تعالى ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: 26]، قال ابن عطية «التشبيه وقع بشجرة غير معينة، إذا وجدت فيها هذه الأوصاف، فالخبت أن تكون كالعضاء، أو كشجر السموم أو نحوها، إذا اجتثت أي اقتلعت، حيث جثتها بنزع الأصول وبقيت في غاية الوهء والضعف، لتقلبها أقل ربح، فالكافر يرى أن بيده شيئاً وهو لا يستقر ولا يغني عنه، كهذه الشجرة التي يظن بها على بعد أو للجهل بها أنها شيء

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 147/5-148.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 176/6-177.



نافع وهي خبيثة الجني غير باقية»<sup>(1)</sup>، فشبهت كلمة الكفر بالشجرة الخبيثة التي لا جذور متينة وراسخة لها، ولا ثمر ولا نفع منها لذا سهل اقتلاعها، مثل الكافر الذي لم يترسخ الإيمان في قلبه فعمله باطل لا خير يرجى منه.

وكان للتمثيل أثر مهم في إبراز أهمية الإنفاق الذي يراد به رضى الله عز وجل، والذي يضاعف الله به ثواب وأجر فاعله، قال تعالى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أُتْبِتَتْ سَعْيَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 261]، قال الزمخشري «مثل نفقتهم كمثل حبة، أو مثلهم كمثل باذر حبة، والمنبت هو الله، ولكن الحبة لما كانت سببا أسند إليها الإنبات كما يسند إلى الأرض وإلى الماء، ومعنى إنباتها سبع سنابل، أن تخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب، لكل واحدة سنبل، وهذا التمثيل تصوير للأضعاف، كأنها ماثلة بين عيني الناظر، فإن قلت: كيف صح هذا التمثيل والممثل به غير موجود؟ قلت: بل هو موجود في الدخن والذرة وغيرهما، وربما فرخت ساق البرة في الأراضي القوية المقلدة فيبلغ حبها هذا المبلغ، ولو لم يوجد لكان صحيحا على سبيل الفرض والتقدير»<sup>(2)</sup>، ففي الآية ترغيب في الإنفاق والإخلاص في تأديته لنيل الثواب؛ وجاء توضيح ذلك في صورة فريدة؛ حيث تلقى البذرة في الأرض الطيبة وتسقى بالماء، فتشقق وتخرج الساق، ثم تتشعب إلى سبع سنابل، في كل سنبل مئة حبة، وكذلك يضاعف الله عز وجل أجر المنفق المخلص.

وورد في قوله تعالى ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيْتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلَّتْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: 265]، فسرهما الزمخشري قال «والمعنى: ومثل نفقة هؤلاء في زكائها عند الله، (كمثل جنة): وهي البستان، (بربوة): بمكان مرتفع، وخصها لأن الشجر فيها أركى وأحسن ثمرا، (أصابها وابل): مطر عظيم القطر، (فآتت أكلها): ثمرتها (ضعفين) مثلما كانت تثمر بسبب الوابل، (فإن لم يصبها وابل فطلت): فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها، أو مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة، ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل

<sup>1</sup> - المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي، ج 3/336.

<sup>2</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 1/494.

والطل، وكما أن كل واحد من المطرين يضعف أكل الجنة، فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أو قليلة بعد أن يطلب بها وجه الله ويبدل فيها الوسع زاكية عند الله زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده»<sup>(1)</sup>.

وفي المقابل ضرب مثلاً للذين ينفقون أموالهم رياء ونفاقاً من غير تقوى، ويطلبون صدقاتهم بالمرّ والأذى، قال تعالى ﴿أَيُّودُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: 266]، قال الزمخشري «هذا مثل لمن يعمل الأعمال الحسنة لا يتغنى بها وجه الله، فإذا كان يوم القيامة وجدها محبطة، فيتحسر عند ذلك حسرة من كان له جنة من أبهى الجنان وأجمعها للثمار فبلغ الكبر، وله أولاد ضعاف والجنة معاشهم ومتعشهم، فهلك بالصاعقة»<sup>(2)</sup>، ففي الآية بيان لزوال العمل الذي يشوبه الرياء؛ حيث جسد المعنى بصورة رجل أنفق عمره في رعاية بستان ذي نخيل وأعنان، فلما كبر سنه وعجز عن رعايته وكان له أولاد ضعفاء، أصاب بستانه ريح شديدة فيها نار فأحرقت فضاء جهده كله، وكذلك المنافق يذهب إنفاقه هباء يوم القيامة؛ لأنه لا إخلاص فيه بعدما ظن أنه ينفعه .

ومثله من يقيم بنيانه على غير التقوى، قال تعالى ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِن اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَن أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَىٰ شِقَافٍ جُرُفٍ هَارٍ فَاتَّهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: 109]، وكشف الزمخشري بلاغة التعبير القرآني، قال «فإن قلت: فما معنى قوله: (فاتهار به في نار جهنم؟) قلت: لما جعل الجرف الهائر مجازاً على الباطل، قيل: فاتهار به في نار جهنم، على معنى: فطاح به الباطل في نار جهنم، إلا أنه رشح المجاز فجيء بلفظ (الانهيار) الذي هو للجرف؛ وليصور أن المبطل كأنه أسس بنياناً على شفا جرف من أودية جهنم فاتهار به ذلك الجرف فهوى في قعرها ... ولا ترى أبلغ من هذا الكلام، ولا أدل على حقيقة الباطل؛ وكنه أمره»<sup>(3)</sup>، ففي الآية بيان لبطلان عمل المرائي والمنافق؛ لأنه لم يصدر عن تقوى وإيمان راسخ، فشبه صنيعه بمن بنى بنياناً فاتهار به في جهنم.

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 1/497.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1/497.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 3/95.

وصور النظم القرآني حالة التردد والكبر المستقرة في قلوب بعض الناس، قال تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: 11]، قال الزمخشري « (على حرف) : على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه، وهذا مثل؛ لكونهم على قلق واضطراب في دينهم، لا على سكون وطمأنينة، كالذي يكون على طرف من العسكر، فإن أحس بظفر وغنيمه قر واطمأن، وإلا فر وطار على وجهه»<sup>(1)</sup>، فصورت حالة المذبذبين في تردددهم وعدم ثباتهم على الحق وضعف عقيدتهم، بصورة رجل على حافة جبل يقف بغير ثبات يوشك أن يقع، أما التركيب (على حرف): ففيه وصف لحالة الاضطراب لديهم ما بين ثبات وانقلاب عصفت به مواقف الحياة.

وبيّن الله تعالى فضله على المؤمنين، أن هداهم لطريق الحق ونجّاهم من الوقوع في النار، قال تعالى ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: 103]، قال الزمخشري « وكنتم مشفين على أن تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر، (فأنقذكم منها): بالإسلام، ... فإن قلت: كيف جعلوا على حرف حفرة من النار؟ قلت: لو ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا في النار، فمثلت حياتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالقعود على حفرها مشفين على الوقوع فيها، (كذلك): مثل ذلك البيان البليغ، (يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون): إرادة أن تزدادوا هدى »<sup>(2)</sup>، فصورت حالة المؤمنين بعد هدايتهم لطريق الحق بصورة رجل وقف على طرف حفرة يوشك أن يقع فيها، وهم أيضا ما كان بينهم وبين الوقوع في جهنم إلا أن يموتوا على كفرهم، ولكن الله منّ عليهم وأنقذهم منها .

ومثل التعبير القرآني لسرعة زوال الدنيا واندثار نعيمها بصورة فريدة، قال تعالى ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنزِلَتْ مِنِ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَطَنَ أَهْلِهَا أَنْتَبَهُمْ فَدَرَبُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: 24]، فسرّها الرازي بقوله « لعله تعالى إنما ضرب هذا المثل لمن لا يؤمن بالمعاد، وذلك لأننا نرى الزرع الذي قد انتهى إلى الغاية القصوى في التربية، قد بلغ الغاية في الزينة والحسن، ثم يعرض للأرض المتزينة به آفة، فيزول ذلك الحسن بالكلية، ثم تصير تلك الأرض موصوفة بتلك الزينة مرة أخرى، فذكر هذا المثل ليدل على أن من قدر على ذلك، كان قادرا على إعادة

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 4/179.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1/602-603.

الإحياء في الآخرة ليجازيهم على أعمالهم، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر»<sup>(1)</sup>، حيث اجتمعت عدة عناصر في نسق بديع لتعبر عن سرعة انقضاء الدنيا، فشبهت بالنبات ينمو ويتكاثر ويلتف بعضه ببعض، فإذا أصبح ذا رونق وحسن، وظن أهله أنهم قادرون على حصاده، أصابه أمر ما فأهلكه وجعله حطاما في حدث سريع ومفاجئ، وكذلك الحال بالنسبة للدنيا وحوادثها تزول بسرعة .

ومن صوره قوله تعالى ﴿ أَفَعَذَابُنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾ (176) فَإِذَا تَوَلَّى سَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿ [الصفات: 176-177]، قال الزمخشري « مثل العذاب النازل بهم بعدما أنذروه فأنكروه، بجيش أنذر بهجومه قومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا إلى إنذاره، ولا أخذوا أهبتهم، ولا دبروا أمرهم تدبيرا ينجيهم، حتى أناخ بفنائهم بغتة، فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم، وكانت عادة مغاويرهم أن يغيروا صباحا، فسميت الغارة صباحا وإن وقعت في وقت آخر، وما فصحت هذه الآية ولا كانت هذه الروعة التي تحس بها ويروك موردها على نفسك وطبعك إلا لحيثها على طريقة التمثيل ».<sup>(2)</sup>

وكان للتمثيل دور في إظهار عداوة إبليس لآدم وذريته وسعيه الدائم لصددهم عن طريق الحق، قال تعالى ﴿ وَأَسْتَفْزِرُّ مَنِ اسْتَعْظَمَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْتُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الإسراء: 64]، قال الزمخشري « فإن قلت: ما معنى: استفزاز إبليس بصوته وإجلاجه بخيله ورجله؟ قلت: هو كلام ورد مورد التمثيل، مثلت حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار أوقع على قومه، فصوت بهم صوتا يستفزهم من أماكنهم، ويقلقهم عن مراكزهم، وأجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استأصلهم، وقيل: بصوته: بدعائه إلى الشر »<sup>(3)</sup>، فتضمن التركيب أوامر ( استفزاز، أجلب، شاركهم، وعدهم)، والغرض منه: التهديد وإظهار العجز، وفي ذلك تصوير لعمق العداوة بين إبليس وذرية آدم وتوضيح محاولته المستمرة لإبعادهم عن الحق، معتمدا في ذلك على وسائل عدة، وكأنه يدفعهم لطريق الغي بصوته وفرسانه وقطعه للوعود الكاذبة، مما يجعل الصراع محتدما بين الحق الظاهر والباطل الزاهق.

<sup>1</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 77/17.

<sup>2</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 237/5.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 531/3.

وجاء تشبيه الكافرين المتشبهين بالباطل بصورة بديعة، قال تعالى ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهَي إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (8) وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: 8-9]، قال الزمخشري «مثل تصميمهم على الكفر، وأنه لا سبيل إلى ارعوائهم بأن جعلهم كالمغلولين المقمحين؛ في أنهم لا يلتفتون إلى الحق، ولا يعطفون أعناقهم نحوه، ولا يطأطئون رؤوسهم له، وكالحاصلين بين سدين، لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم، في أن لا تأمل لهم ولا تبصر، وأنهم متعالون عن النظر في آيات الله»<sup>(1)</sup>، ففي الآية تمثيل لحالة الكافرين الذين تركوا الحق وأصروا على الكفر بصورتين بديعتين: الأولى: شبه الكافرون بمن جعلت الأصفاد في أعناقهم وجمعت أيديهم مع أعناقهم، فأجبروا على رفع رؤوسهم إلى السماء فلا يستطيعون خفضها، فهم معرضون عن الحق واتباعه، أما الصورة الثانية: فهو تمثيل لسد طرق الإيمان عليهم كمن أحاطت به الحواجز من كل مكان فلا يجد منفذا ولا يتمكن من النجاة .

وشبه اليهود الذين لم ينتفعوا بتعاليم التوراة بالحمار الذي يحمل الكتب الضخمة، قال تعالى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: 05]، وكشف الرازي الغاية من هذا التمثيل، قال «فإنه تضمن التشبيه من اليهود لا لأمر يرجع إلى حقيقة الحمل المطلق بل لأمرين آخرين مع ذلك، أحدهما: تعديته إلى الأسفار، والآخر: اقتران الجهل بما فيها؛ لأن الغرض توجيه الذم إلى من أتبع نفسه في حمل ما يتضمن المنافع العظيمة ثم لا ينتفع به لجهله، وهذا المقصود غير حاصل من الحمل المطلق، بل من الحمل المشروط بالشرطين الآخرين»<sup>(2)</sup>، فالجامع بين اليهود الذي لم يلزموا التوراة وتشبيههم بالحمار الذي يحمل أسفاراً ولا يعي ماهية ما يحمل، هو عدم الانتفاع؛ إذ لم يجنوا سوى ثقل الحمل.

وأبطل القرآن الكريم مزاعم الكفار وادعائهم بأن النبي ﷺ شاعر؛ مبينا حقيقة الشعراء قال تعالى ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَمُؤُونَ (225) وَأَنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ مَا لَا يُفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: 224-226]، قال الزمخشري «ذكر الوادي والهيوم: فيه تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق ومجاوزة حدّ القصد فيه»<sup>(3)</sup>، فالشعراء يمتلكون القدرة

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 5/166.

<sup>2</sup> - نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: الرازي، ص: 114.

<sup>3</sup> - المصدر السابق، ج 4/425.

على تحريك الشعور واستثارة الوجدان من خلال تفننهم في الكلام وضروبه، فلا يبالون بحقيقة ما ينظمون إن كان غيا أو رشدا، فهم في كل واد يهيمون، والتعبير بـ ( الوادي ) هو: مثل لفنون الكلام، أما الهائم فالذي يسير بلا وجهة معينة، وهم أيضا وجهتهم تحددها المنفعة التي يرجونها .

وعرض القرآن الكريم مشهدا من مشاهد يوم القيامة، وهو مشهد الحشر واجتماع الخلائق في صعيد واحد، قال تعالى ﴿وَعَرِّضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: 48]، قال الزمخشري « شبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان، ( صفا ) : مصطفين ظاهرين، يرى جماعتهم، كما يرى كل واحد لا يحجب أحد أحدا»<sup>(1)</sup>، ففي قوله تعالى ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ إثبات لحقيقة البعث التي أنكرها الكافرون، حيث جسد مشهد اجتماع الخلائق في صورة عرضهم صفوفًا بين يد خالقهم لمحاسبتهم على أعمالهم .

كما صور مشهد عقاب الكافرين وعذابهم المحقق، قال تعالى ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ(7) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الملك: 7-8]، قال الزمخشري «( سمعوا لها شهيقا ) إما لأهلها ممن تقدم طرحهم فيها، أو من أنفسهم ...، وإما للنار تشبيها لحسيسها المنكر الفظيع بالشهيق، ( وهي تفور ) تغلي بهم غليان الرجل بما فيه، وجعلت كالمغناظة عليهم لشدة غليانها بهم، ويقولون: فلان يتميز غيظا ويتقصف غضبا، وغضب فطارت منه شقة في الأرض وشقة في السماء: إذا وصفوه بالإفراط فيه»<sup>(2)</sup>، ففي الآية تصوير لمشهد إلقاء الكفار في النار والتهامها لهم، حيث شبه صوت لهيها وسرعة فتكها بصورة إنسان استشاط غضبا وغيظا؛ إذ تكاد تتمزق أجزاؤه من هول ما حل به، وكذلك جهنم وكأنها شعرت بجنابة الكافرين، لذا أصدرت أصواتها.

#### - الكناية:

ترد الكناية في القرآن الكريم وفق قالب بياني محكم الاتساق؛ حيث تمتاز بالإيجاز البديع والتأليف الفريد الذي يجسد المعاني، ويبرزها في صورة محسوسة ذات حياة وحركة، فيكتسب التعبير رونقا وقوة التأثير وجمال النظم؛ إذ يدفع المتلقي للبحث عن المعنى المقصود من هذا التعبير المصرح به

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 3/591.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 6/172.

ليصل بذلك إلى المعنى الذي هو تاليه أو رديفه فيشير إليه ويدل عليه، وتلقف البيانين الأسلوب الكنائي في القرآن الكريم، وبينوا جماليته ودوره في إظهار المعاني وتحقيق المقاصد، ومن صورته:

قوله تعالى ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 110]، فسرهما الزمخشري بقوله « فيجوز أن يكون ذكر التقطيع؛ تصويراً لحال زوال الريبة عنها، ويجوز أن يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم، أو في القبور، أو في النار»<sup>(1)</sup>، ففي التعبير القرآني تصوير لحالة المنافقين وقلقهم، واضطرابهم، وخوفهم الدائم من أن يكشف المؤمنون أمرهم ويتم فضحهم، ولن يزول هذا التوتر والريبة حتى تقطع قلوبهم .

وجاء في قوله تعالى ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 24]، ففي الآية تحدٍ وتعجيز للكافرين أن يأتوا بمثل القرآن الكريم، وتصوير لنفوسهم التي جبلت على المعاندة؛ حيث فسر الزمخشري قوله تعالى ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ﴾، قال « هو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة، وفائدته الإيجاز الذي هو حلية القرآن، وتحويل شأن العناد بإنابة اتقاء النار منابه وإبرازه في صورته؛ مشيعاً ذلك بتحويل صفة النار وتفضيع أمرها»<sup>(2)</sup>، فاتقاء النار يستوجب ترك المعاندة؛ فهم لن يأتوا بمثل القرآن لا الآن ولا مستقبلاً، ولذا وجب عليهم الامتثال والإنابة، فالكناية مبنية على تصوير العناد بصورة النار للمبالغة في تحويل شأنه وتفضيع أمره بتحذير المخاطبين منه بصورة موجزة.

وصور التعبير القرآن عظم الكلام الذي تفوه به الكافرون، قال تعالى ﴿تَكَاذُ السَّمَوَاتُ يَمْضُرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا﴾ [مريم: 90]، قال الزمخشري « يكون استعظاماً للكلمة، وتحويلاً من فظاعتها، وتصويراً لأثرها في الدين وهدمها لأركانها وقواعده»<sup>(3)</sup>، ففي التعبير بيان لفظاعة وعظم ما تفوهوا به وما نسبوه إلى الله عز وجل بهتاناً وغياً.

ووضح الزمخشري الغاية من التعبير بالكناية دون التصريح باللفظ الأصلي في قوله تعالى ﴿فَضْرِبَ الرِّقَابِ﴾ [مُحَمَّد: 04]، قال «إن في هذه العبارة من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل، لما فيه من تصوير القتل بأشنع صورة، وهو حز العنق وإطارة العضو الذي هو رأس البدن وعلوه وأوجه

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 3/95-96.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1/224.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 4/58.

أعضائه»<sup>(1)</sup>، فالتعبير بالكناية دون ذكر القتل فيه تصوير للشدة والغلظة، وتحضيض بالقتل بأي وسيلة كانت بسيف أو رمح أو سهم .

وقوله تعالى ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج: 15]، قال الزمخشري « والمعنى: إن الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة، فمن كان يظن من حاسديه وأعدائه أن الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه، ويغيطه أنه يظفر بطلوبه، فليستقص وسعه وليستفرغ مجهوده في إزالة ما يغيطه، بأن يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيط كل مبلغ، حتى مد حبلا إلى سماء بيته، فاختنق، فلينظر وليصور في نفسه أنه إن فعل ذلك، هل يذهب نصر الله الذي يغيطه؟ وسمى "الاختناق" قطعاً؛ لأن المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه»<sup>(2)</sup>، ففي التركيب تصوير للحسد والغيط الذي يعتري الكافر، من نصر الله عز وجل لرسوله، فإن ظن غير ذلك فليربط حبلا إلى سقف بيته ثم ليقطع ليختنق به، ولينظر هل يذهب ذلك الغيط، وهو من باب التهكم، فالحسد متأصل فيه مطبوع على قلبه.

ومن الكناية قوله تعالى ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْقَلِيلُونَ﴾ [الأنبياء: 44]، قال الزمخشري « فيه تصوير ما كان الله يجريه على أيدي المسلمين، وأن عساكرهم وسراياهم كانت تغزو أرض المشركين، وتأتيها غالبية عليها، ناقصة عن أطرافها»<sup>(3)</sup>، ففي قوله تعالى ( نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) بيان لنصر المؤمنين وتوسيع حدود ملكهم وإنذار للكافرين.

وكان للكناية دور في تصوير الحالات النفسية، مثل قوله تعالى ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: 05]، قال الزمخشري « تخسيساً لحالها وتحقيراً لها، وتصويراً لها بصورة بعض الخطابات من المواهن»<sup>(4)</sup>، ففيه تحقير لزوجة أبي لهب، حيث وصفت بـ (حمالة الحطب) لسيعتها في إثارة الفتنة واشعالها وبث النميمة، وإصرارها على أذية النبي صلى الله عليه وسلم، لتبشر بالجزاء المستحق ( في جيدها حبل من مسد) كناية عن سوء عاقبتها، فقد حمل التركيب وعيدا لها ولزوجها .

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 5/516.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 4/180-181.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 4/147.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 6/458.



وعبر عن الندم بصور عديدة، ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَأَحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّهُ عَلَى مَا آتَاهُ فِيهَا وَهِيَ خَاطِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: 42]، ذكر الزمخشري أن «تقليب الكفين: كناية عن الندم والتحسر؛ لأن النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن، كما كنى عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد، ولأنه في معنى الندم عدّي تعديته بعلی، كأنه قيل: فأصبح يندم»<sup>(1)</sup>، فيرتسم في ذهن المتلقي صورة رجل جاحد أيدت جنته، وبددت أمواله ما جعل الندم الشديد والحسرة تملكه، فجسد هذا المعنى بصورة من يقلب كفيه ندما على ما اقترفه.

وورد في التعبير القرآني تصوير للندم والحسرة التي ألمت بقوم موسى عليه السلام عند عبادتهم للعجل، قال تعالى ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 149]، قال الزمخشري «(ولما سقط في أيديهم): ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل؛ لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرتة أن يعض يده غما، فتصير يده مسقوطة فيها؛ لأن فاه قد وقع فيها، و(سقط) مسند إلى (في أيديهم)، وهو من باب الكناية»<sup>(2)</sup>، فعبر به (سقط في أيديهم) عن شدة ندمهم وحسرتهم وحيرتهم؛ لأن من عادة من اشتد ندمه أن يعض يده غمًا فتصير يده كالمسقوطة فيها، فالندم الذي تملك قلوبهم ظهر أثره في حركة أيديهم.

وكشفت الكناية قسوة قلوب الكافرين وإعراضها عن الحق، قال تعالى ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 59]، فسرهما الزمخشري قال «كناية عن قسوة قلوبهم وركوب الصدأ والرّين إياها؛ فكأنه قال: كذلك تقسو وتصدأ قلوب الجهلة، حتى يسموا المحقين مبطلين، وهم أعرق خلق الله في تلك الصفة»<sup>(3)</sup>، ففيه تصوير لحالة جهلهم وإعراضهم عن التدبر كمن ختم قلبه فلا ينفذ شيء إليه .

ومن الكناية قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّزِينٍ﴾ (8) ثاني عطفه ليضلل عن سبيل الله له في الدنيا خزيًا ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ﴿[الحج: 8-9]، فسرهما الزمخشري قال «ثني العطف: عبارة عن الكبر والخيلاء، كتصغير الخدّ وليّ الجيد، وقيل عن الإعراض عن

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 588/3.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 510/2.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 589/4.

الذكر»<sup>(1)</sup>، فالتعبير بالثني العطف فيه تصوير لجهلهم وغرورهم وتكبرهم، وهذه الخصال المتأصلة في نفوسهم تدفعهم للإعراض عن الحق

وورد في قوله تعالى ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 23]، فسر الزمخشري (قضى نجه) بقوله «عبارة عن الموت؛ لأن كل حي لا بد له من أن يموت، فكأنه نذر لازم في رقبته، فإذا مات فقد قضى نجه، أي: نذره»<sup>(2)</sup>.

وعبر بالكناية في قوله تعالى ﴿سَلَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ [القلم: 16]، ووضح الزمخشري الغرض الدلالي من ذلك، قال «الوجه: أكرم موضع في الجسد، والأنف أكرم موضع في الوجه لتقدمه له، ولذلك جعلوه مكان العز والحمية، واشتقوا منه الأنفة... وقالوا في الدليل: جدع أنفه، ورغم أنفه، فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الإذلال والإهانة»<sup>(3)</sup>، فالتعبير بالوسم كناية عن التمكن منه مما يظهر عجزه وعدم قدرته على الذود عن نفسه، وترك علامة على وجهه واختيار الأنف خاصة فيه نوع من الإذلال والإهانة، وهو جزاء استحققه لتعنته وإصرارهم على الكفر وصد الناس عن الإسلام.

ومثله قوله تعالى ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (42) خَاشِعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِفُونَ﴾ [القلم: 42-43]، قال الزمخشري «مثل في شدة الأمر وصعوبة الخطب، وأصله في الروح والهزيمة»<sup>(4)</sup>، ففيه كناية عن الشدة وتصوير لهول يوم القيامة، الذي يجسد ترقبا وامتحان وخيبة للكافر.

ولم يكن التصوير الفني عند البيانيين محصورا في القوالب البيانية من تشبيه واستعارة وكناية، بل امتد ليشمل كل معنى مجسد في مخيلة المتلقي؛ إذ جاء في التعبير القرآني تصوير لمشاهد الطبيعة، ومشاهد القيامة، ومشاهد النعيم والعذاب، وتصوير للحالات النفسية والمعنوية، ومن ذلك قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (1) يَوْمَ تَرَوُنَّا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: 01]، فسرهما الزمخشري

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 4/179.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 5/60.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 6/184.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 6/189.

قال «أمر بني آدم بالتقوى، ثم علّل وجوبها عليهم بذكر الساعة، ووصفها بأهول صفة؛ لينظروا إلى تلك الصفة ببصائرهم، ويتصوروها بعقولهم، حتى يبقوا على أنفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم، بامثال ما أمرهم به ربهم»<sup>(1)</sup>، وفيه وصف لهول يوم القيامة، وعرض لمشاهدها من زلزلة الأرض وخروج الناس من قبورهم، وفيه أيضا تصوير لأحوال الناس، وتحسيد للمشاعر التي تتأبج من فزع وحيرة وهم يتربون مصيرهم، لذا جاء الخطاب بهدف التحذير والإنذار؛ حتى يستعد الناس لهذا اليوم العظيم .

ووصف هول يوم القيامة وفزع الناس وسعيهم لنجاة وتخليص أنفسهم دون الالتفات لأقرب الناس إليهم، قال تعالى ﴿يَوْمَ يُفْرُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (35) وَصَلْبَتِهِ وَنِسْئِهِ (36) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: 34-37]، قال الرازي «المراد: أن الذين كان المرء في دار الدنيا يفر إليهم ويستجير بهم، فإنه يفر منهم في دار الآخرة، ذكروا في فائدة الترتيب كأنه قيل: ( يوم يفر المرء من أخيه)، بل من أبويه فإنهما أقرب من الأخوين بل من الصاحبة والولد ... ثم إنه تعالى لما ذكر هذا الفرار أتبعه بذكر سببه فقال تعالى (لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ) ... فقال أهل المعاني: يغنيه أي ذلك الهم الذي بسبب خاصة نفسه قد ملأ صدره، فلم يبق فيه متسع لهم آخر، فصارت شبيها بالغمي في أنه حصل عنده من ذلك المملوك شيء كثير»<sup>2</sup>، فيصور التعبير القرآني مشهدا يوضح ارتباك الناس وتخطبهم، وسعي كل فرد منهم إلى تخليص نفسه من العقاب؛ حيث تضخم انشغالهم وبلغ حدا أنساهم الالتفات إلى الآخرين، أو البحث عن مصيرهم ولو كانوا أقرب الناس إليهم، فهو يوم شديد وأهواله عظيمة .

وبجazy الله عز وجل الناس على أعمالهم يوم القيامة ويفرح المتقون بهذا الجزاء، قال تعالى ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْأُجْنَةِ أَلْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكُهُونَ﴾ [يس: 55]، فسرهما الزمخشري قال «حكاية ما يقال لهم في ذلك اليوم، وفي مثل هذه الحكاية زيادة تصوير للموعود، وتمكين له في النفوس، وترغيب في الحرص عليه، وعلى ما يثمره»<sup>(3)</sup>، ففي الآية بيان لفضل الله تعالى وكرمه الذي يمنه على عباده المؤمنين، وقد جاء التعبير بالجملة الاسمية لبيان ثبات حالهم ونعيمهم، فهم في شغل يمنهم من التفكير في غيرهم.

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 4/173.

<sup>2</sup> - تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، ج 31/65.

<sup>3</sup> - المصدر السابق، ج 5/183.

وكان للحوار أثر بارز في رسم معالم الشخصيات الإنسانية، والكشف عن جوانبها النفسية وأفكارها الدفينة وخواطرها؛ مما أسهم في تصوير المعاني وتقريبها من الأذهان، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [آل عمران: 36]، قال الزمخشري « فإن قلت: فلم قالت: إني وضعتها أنثى وما أردت إلى هذا القول؟ قلت: قالت: تحسرا على ما رأت من خيبة رجائها، وعكس تقديرها، فتحزنت إلى ربها لأنها كانت ترجو وتقدر أن تلد ذكرا، ولذلك نذرتة محررا للسدانة، ولتكلمها بذلك على وجه التحسر والتحزن، قال الله تعالى (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ) تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بقدر ما وهب لها منه»<sup>(1)</sup>، ففي التعبير القرآني تصوير للحالة النفسية والمشاعر التي انتابت زوجة عمران، وما صاحبها من تحسر وتحزن واعتذار بعدما جاء الأمر مخالفا لتوقعها، ولكن جاء تصحيح هذا التوقع من خلال بيان رفعة هذه المولودة وتفخيم شأنها.

وجاء في قوله تعالى ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَزَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [الأعراف: 50]، قال الزمخشري « وإنما يطلبون ذلك مع يأسهم من الإجابة إليه حيرة في أمرهم، كما يفعل المضطر الممتحن»<sup>2</sup>، ففيه تصوير لمشهد من مشاهد يوم القيامة، فيه ذلة وانكسار للكافرين، واستغاثتهم بأصحاب الجنة ليمنوا عليهم بالماء والطعام، ولن يجابوا لذلك لأنها محرمة عليهم .

وعبر النظم القرآني عن مشهد عظيم من مشاهد اليوم الآخر، فبعد أن يحاسب الناس على أعمالهم يساق المتقون إلى الدار البقاء، قال تعالى ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ [الزمر: 73]، أما الكافرون فيساقون إلى جهنم جزاء غيهم، قال تعالى ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [الزمر: 71]، ووضح الزمخشري جمالية التعبير القرآني، قال « فإن قلت: كيف عبر عن الذهاب بالفريقين جميعا بلفظ السوق؟ قلت: المراد بسوق أهل النار: طردهم إليها بالهوان والعنف، كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل، والمراد بسوق أهل الجنة: سوق

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 1/550-551.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 2/448.

مراكبهم؛ لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين وحثها إسراعاً بهم إلى دار الكرامة والرضوان، كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين من بعض الملوك، فشتان ما بين السوقين»<sup>(1)</sup>، ففيه تصوير لمشهدين: الأول: سير المؤمنين جماعات إلى الجنة، واستقبالهم بحفاوة واستبشاراً من قبل الملائكة جزاء عملهم في الدنيا، والمشد الثاني: يساق فيه الكافرين بعنف إلى جهنم، تعتري وجوههم الذلة، فإذا ما بلغوها استقبلتهم خزنتها بالتوبيخ والزجر لكفرهم بالحق وعدم اتباعهم لما جاء به المرسلون .

ونخلص مما سبق إلى اعتماد الأسلوب القرآني للتصوير الفني كوسيلة لتوضيح المعاني، وتجسيدها في صورة حسية تزخر بالحياة والحركة، من خلال نظمها الفريد، وتأليفها البديع الذي تجتمع فيه الألفاظ والمعاني في نسق خاص، ليرتسم المشهد في مخيلة المتلقي وتثبت الأفكار، حيث كان للصيغ البيانية (التشبيه والاستعارة والكناية) دور في تصوير المعاني الذهنية وحالات النفسية، وجعلها شائعة تنبض بالحياة فتحقق بذلك أغراض الخطاب ويكتسب النظم جمالية وفنية، ومما يجدر الإشارة إليه أن التصوير الفني عند البيانيين لم يكن مقتصرًا على القوالب البيانية وإنما توسعت دائرته لتشمل ذلك التعبير الموحى لمشاهد القيامة والتعبير عن الحالات الإنسانية وتصوير أحوال الناس وانفعالاتهم وتعاملهم مع المواقف، والحوارات التي كانت تدور بينهم والتي لها أثر في رسم معالم الشخصية .

<sup>1</sup> - الكشف: الزمخشري، ج 325/5.



خاتمة

تطرق البحث لعدة قضايا تبرز مراحل نشأة الدرس البياني في رحاب الدراسات الإعجازية، فقد بدأت البلاغة على شكل ملاحظات حوتها مؤلفات النحويين وأصحاب المعاني، ثم تلتها جهود علماء البلاغة والإعجاز الذين جعلوا من البلاغة وجها للإعجاز، وتطرقوا لمباحثها من خلال عرضهم للقاعدة والتمثيل لها، ليزدهر الدرس البياني ويستوي في مصنفات عبد القاهر الجرجاني مؤسس نظرية النظم التي تلقفها العلماء وطبقوها وبينوا أسرارها؛ حيث بحثوا في مفردات القرآن الكريم، وتراكيبه، وأسلوبه، وبراعة تصويره، مستجلين أسرار ومقاصده.. ليخلص البحث إلى النتائج الآتية:

- لم ينشأ البيان دفعة واحدة كعلم قائم بذاته له ضوابطه وقوانينه، وإنما كان عبارة عن شذرات متفرقة مبثوثة في مصنفات اللغويين وأصحاب المعاني الذين سعوا إلى تفسير وبيان معاني القرآن الكريم، أما البحث الإعجازي فقد نشأ للرد على الطاعنين والمشككين في بلاغة ونظم القرآن الكريم.

- استمد البحث الإعجازي مادته من مصادر لغوية ويعد البيان جزءاً متأصلاً في اللغة.

- نشأ الدرس البياني في رحاب البحث الإعجازي وارتبط مسار تطورها؛ إذ قويت وشائج الصلة بينهما فالغاية من دراسة البيان معرفة وجوه إعجاز القرآن الكريم.

- استفاد الدرس البياني في البحث الإعجازي من علوم شتى أبرزها التفسير اللغوي، ثم علم المعاني، ثم علم القراءات القرآنية، كما كان لعلم النحو أثر في تحليل التراكيب وإبراز خصائصها التركيبية.

- تطور الدرس البياني تدريجياً ومر بمحطات عديدة، حيث شهدت المرحلة الأولى تدخلاً في المفاهيم والفنون؛ فالعلم كان في بداياته، لتصل بعدها إلى مرحلة التمايز على يد الجاحظ الذي غير مفاهيم البيان ووضح آلياته، وابن المعتز الذي أسهم في جعل البلاغة علماً مستقلاً، ثم تلتها مرحلة التأسيس على يد عبد القاهر الجرجاني ليلبغ الدرس البياني الذروة في القرن السادس التي لم تستطع القرون التي تلتها الزيادة عليها.

- البيان عند الجاحظ أعم من البلاغة فهو يعنى بجميع أصناف الدلالات التي تؤدي غرض الفهم والإفهام، أما البلاغة فتعنى بجمالية العبارة والأسلوب ومراعاة أحوال المخاطبين.

- لم يقتصر البديع عند ابن المعتز على وجوه تحسين الكلام اللفظية والمعنوية، بل شمل مباحث بلاغية أخرى كالتشبيه والاستعارة والكناية وغيرها، مما يعكس الثقافة الأدبية لذلك العصر؛ حيث استعمل البديع مرادفا للبلاغة.
- مزج ابن وهب بين الاتجاه الأصولي (الإمام الشافعي) والاتجاه البلاغي (الجاحظ) مشكلا رؤيته البيانية ذات النزعة العلمية، فقد استنبط القوانين التي تمكنه من تفسير الخطاب وتحقيق الإبلاغ وتداول المعرفة وبين وظائف البيان وأصوله وفروعه.
- ركز الرماني في مفهومه للبلاغة على فكرة إيصال المعنى والأثر النفسي المترتب عن ذلك إلى جانب حسن وبراعة التصوير.
- كان حديث القاضي عبد الجبار عن الإعجاز حديثا نظريا لانشغاله بعلم الكلام؛ حيث غلب على معالجته البلاغية روح الجدل والفلسفة.
- تعد مرحلة عبد القاهر مرحلة تأسيس للدرس البياني في رحاب الدرس الإعجازي بما أبدعه من نظرية النظم التي دعت إلى توخي معاني النحو بين التراكيب.
- عمد عبد القاهر الجرجاني إلى تحريك الملكة البيانية في البحث الإعجازي من خلال تحليله للتراكيب والكشف عن أسرارها، مستعينا في ذلك بذوقه الأدبي ومعرفته بدقائق العربية وعلومها.
- استفاد عبد القاهر الجرجاني في بلورته لنظرية النظم من جهود الأعلام السابقين، حيث جمع بين علم النحو الذي برع فيه سيبويه وعلم الشعر وأوصاف البلاغة اللذين برع فيهما الجاحظ، وأفكار علماء الإعجاز (الرماني، الخطابي)، وتصور القاضي عبد الجبار للفصاحة والنظم ومراعاة قواعد النحو، فكانت مصادر مهمة في تأسيس نظريته.
- تجاذب فكر عبد القاهر الجرجاني عدة مفاهيم: النفس، الفكر، والعقل، حيث ربطهم بالنظم والتأليف الذي فيه تجسيد للمعاني القائمة، كما أشار إلى المقام ودوره في الصياغة الأدبية وإبرازه للمزايا الأسلوبية.



- نما البحث الإعجازي ونما معه الدرس البياني ليصل إلى مرحلة النضج مع الإمام الزمخشري الذي جعل النظم وجهها من وجوه إعجاز القرآن الكريم، ففسر معانيه ووقف عند مفرداته، وتراكيبه، وبديع تصويره مظهرًا بذلك بلاغة نظمه.
- تلقف الزمخشري جهود عبد القاهر الجرجاني وطبق نظريته في تحليله للتراكيب، فكان له أثر بارز في بلورة مباحث البيان وتوضيح المزايا الدلالية للتراكيب.
- أسهم البيانيون ( ابن عطية الأندلسي، ابن الجوزي، وفخر الدين الرازي) في بسط وتقوية البحث البياني من خلال بحثهم في الإعجاز، فكانوا سندًا للزمخشري في مرحلة النضج.
- برز في كل مرحلة من مراحل تطور الدرس البياني أعلام تقاطعت مناهجهم البحثية تارة واختلفت أخرى، فمنهم من رسم منهجه البياني الخاص، وهناك من استلهم تصور علم آخر وأضفى لمسته عليه فكان امتدادًا فكريًا له، حيث برع في مرحلة ما قبل التأسيس الجاحظ وابن قتيبة وابن المعتز والرماني وغيرهم من الأعلام، أما مرحلة التأسيس فكان عمدتها عبد القاهر الجرجاني، بينما مثل مرحلة النضج الزمخشري، وابن عطية الأندلسي، وابن الجوزي، وفخر الدين الرازي.
- عرفت البلاغة العربية اتجاهين: الاتجاه الأدبي الذي اعتمد على المقاييس الفنية، والذوق الأدبي الرفيع في الحكم على النصوص الأدبية، والاتجاه الكلامي الذي اهتم بالتحديد الدقيق والتقسيم العقلي وضبط التعاريف وحصر المفاهيم، وكان لكلتا المدرستين دور في بناء الصرح البلاغي، ولكننا نجد للمتكلمين حضورًا بارزًا في الدرس الإعجازي الذي خدم الدرس البياني من خلال تصديدهم للطاعنين والبحث عن إعجاز القرآن وأسرار تراكيبه.
- اهتم التفسير اللغوي للقرآن بالدرس الإعجازي مما أسهم في إثراء وبلورة مباحث الدرس البياني.
- اختلف الاهتمام بالمفردة والتراكيب والأسلوب في كل مرحلة من مراحل البحث البياني، فعرفت المرحلة ما قبل التأسيس اهتمامًا بالمفردة من خلال الكشف عن دلالتها وبنيتها التركيبية ومقاييس فصاحتها، أما دراستهم للتراكيب والأساليب فلم تكن ذات عمق في التحليل،

في حين كانت مرحلة التأسيس أكثر دقة وتحليلاً للتراكيب، وإبراز لفردة الأساليب، وجمالية التصوير، لتمتد هذه المفاهيم لمرحلة النضج ويطبقها البيانويون في تفاسيرهم.

- كان للنحو دور بارز في خدمة الدرس البياني، فقد كان ركيزة أساسية في بناء عبد القاهر الجرجاني لنظريته، فجمالية النظم عنده تكمن في مراعاة العلاقات النحوية بين تراكيبه.
- التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية أسهم كثيراً في تنمية الحس البياني ونمو بحثه وإثراء مباحثه.

- اتضحت معالم أسلوب الالتفات وتمايزت في القرن السادس، واستوت كفن بلاغي، بعدما شهدت تداخلاً مع مباحث بلاغية أخرى في مراحل تأليفية سابقة، حيث أدرك البيانويون المقصد من إيرادهم ولم يحصرُوا جماليته في كسر رتابة الخطاب وتحديد نشاط المتلقي فحسب، بل بحثوا عن مسوغات سياقية وأغراض بلاغية يؤديها، مؤكدين أهميته كآلية أسلوبية ذات قدرة إيحائية تسهم في تشكيل المعنى الكلي للخطاب.

- تحليل البيانين لأساليب التعبير البياني، واستقصائهم لمواضع الالتفات أو الاعتراض أو التكرار من خلال تعمقهم في البنية التركيبية لكل شاهد، كان بغرض التدليل على سر إعجاز القرآن الكريم.

- يرد الالتفات أو الاعتراض أو التكرار استجابة لمتطلبات المقام وليس بغرض تحسين الكلام فقط، بل هو جزء مهم في النسيج التركيبي.

- أدرك البيانويون في المرحلة ما قبل عبد القاهر الجرجاني أهمية التصوير في تجسيد الأشياء المعنوية إلى أشياء محسوسة، لكنهم لم يتعمقوا في الكشف عن جماليته، بينما سلك عبد القاهر في دراسته للتصوير منحىً جديداً؛ بحيث يجعل الصور شاخصة نابضة بالحياة، وهو المنهج الذي سلكه الزمخشري والرازي.. في تفسيرهم للصور الفنية في القرآن الكريم.

- لم تنل الاستعارة عند قدامة دراسة عميقة وتفصيلاً مقارنة بدراسته للتشبيه، وإنما اكتفى بالتمثيل لها حيث ربطها بالمعازلة التي تعد ضرباً من عيوب الألفاظ.

- أدرك الرماني حقيقة النقل في الأسلوب الاستعاري الذي تتم بين الطرف المعنوي العقلي والطرف الحسي لتظهر به بلاغة التصوير.
- التصوير الفني عند البيانين في مرحلة النضج لم يكن مقتصرًا على القوالب البيانية، وإنما توسعت دائرته لتشمل ذلك التعبير الموحى لمشاهد القيامة والتعبير عن الحالات الإنسانية وتصوير أحوال الناس وانفعالاتهم وتعاملهم مع المواقف.
- شكل الحوار خاصة بارزة في الأسلوب القرآني فهو يصور حالات النفسية ويعبر عن المشاعر التي تنتابها.
- هذه أهم النتائج التي توصل إليها البحث، والتي يؤمل أن تكون جوابًا عن التساؤلات المطروحة في مقدمته، وتحقيقًا لأهدافه، عسى الله تعالى أن ينفع به، ويتجاوز عني ما كان من خطي وسهو وصلى الله وسلم على سيدنا محمد.



# قائمة المصادر والمراجع

أ- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

ب- قائمة المصادر والمراجع:

1. الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تح: مُحمَّد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، د/ط، ت.
2. أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، مُحمَّد زغلول سلام، مكتبة الشباب، القاهرة، ط1، د.ت.
3. أثر النحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، دار غريب، القاهرة، د/ط، 1998.
4. أدب الكاتب، ابن قتيبة: أبو مُحمَّد عبد الله بن مسلم، شرحه وقدمه: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988.
5. أسرار البلاغة في علم البيان، عبد القاهر الجرجاني، تح: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001.
6. أساس البلاغة، الزمخشري: جار الله محمود أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد، تح: مُحمَّد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998.
7. أسرار البلاغة، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن مُحمَّد الجرجاني، تح: أبو فهر محمود مُحمَّد شاكر، دار المدني، جدة، ط1، 1991.
8. الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، ابتسام أحمد حمدان، مراجعة: أحمد عبد الله فرهود، دار القلم العربي، حلب، سورية، ط1، 1997.
9. الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، مُحمَّد مُحمَّد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1997.
10. الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق دراسة قرآنية لغوية وبيانية، عائشة بنت الرحمن ( بنت الشاطي )، دار المعارف، القاهرة، ط3، د/ت.

11. إعجاز القرآن، الباقلاني: أبو بكر مُجَدِّد بن الطيب، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، د/ط، ت .
12. إعجاز القرآن، الإعجاز في دراسات السابقين دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، ط1، 1974.
13. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، مراجعة: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، ط3، 2003.
14. إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي: جمال الدين أبي الحسن علي، تح: مُجَدِّد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1955.
15. أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث ( في مجالي: مفهوم اللغة والدراسات النحوية )، حسام البهناوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د/ط، 1994.
16. البحث البلاغي عند العرب تأصيل وتقييم، شفيع السيد، دار الفكر العربي، القاهرة، د/ط، ت.
17. البحث العلمي حقيقته ومصادره ومادته ومناهجه وكتابته وطباعته ومناقشته، عبد العزيز بن عبد الرحمن بن علي الربيعة ، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2، 2000.
18. البديع تأصيل وتحديد، منير سلطان، منشأة المعارف، الإسكندرية، د/ط، 1986.
19. البديع، ابن المعتز: عبد الله، تعليق: إغناطيوس كراتشكوفسكي، دار المسيرة، بيروت، ط3، 1982.
20. البرهان في وجوه البيان، ابن وهب: أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم، تح: حفي مُجَدِّد شرف، مكتبة الشباب، القاهرة، د/ط، 1969 .

21. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب، المكتبة العلمية ، بيروت، لبنان، د/ط،ت.
22. البلاغة: أبو العباس محمد بن يزيد، تح: رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط2، 1985.
23. البلاغة الاصطلاحية، عبده عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1992.
24. البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط9، د/ت .
25. البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، محمد العمري، أفريقيا الشرق، المغرب، د/ط، 1999.
26. البيان العربي دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، بدوي طبانة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1958.
27. البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري، رابح دوب، دار الفجر، مصر، ط2، 1999.
28. البلاغة فنونها وأفنانها ( علم المعاني )، فضل حسن عباس، دار الفرقان، الأردن، ط4، 1992.
29. بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار وأثره في الدراسات البلاغية، عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، د/ط،ت.
30. البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، عابدين، القاهرة، ط2، 1988.
31. بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط9، 2009.
32. البلاغة والأصول دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي نموذج ابن جني، محمد مشبال، أفريقيا الشرق، المغرب، د/ط، 2007.

33. البيان والتبيين، الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر، تح: عبد السلام مُجَّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998.
34. تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط4، 1983.
35. تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة: أبو مُجَّد عبد الله بن مسلم، صححه وضبطه: مُجَّد زهري النجار، مكتبة الكليات الأزهرية، د/ط، ت.
36. تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة: أبو مُجَّد عبد الله بن مسلم، تح: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط2، 1973.
37. التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005.
38. التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري، وليد قصاب، دار الثقافة، الدوحة، قطر، د/ط، 1985.
39. التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، عبد الفتاح لاشين، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، د/ط، ت.
40. التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان، مُجَّد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، 1993.
41. التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط8، 1983.
42. التعبير الفني في القرآن، بكري شيخ أمين، دار الشروق، بيروت، ط3، 1979.
43. التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، دار عمار، عمان، الأردن، ط4، 2006.
44. التعريفات، أبو الحسن علي بن مُجَّد بن علي الحسيني الجرجاني، تح: مُجَّد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2003.



45. تفسير البغوي معالم التنزيل، البغوي: أبو مُحمَّد الحسين بن مسعود، تح: مُحمَّد عبد الله النمرو وآخرون، دار طيبة، الرياض، د/ط، 1409هـ.
46. تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور: مُحمَّد الطاهر، الدار التونسية للنشر، تونس، د/ط، 1984.
47. تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، السمرقندي: أبو الليث نصر بن مُحمَّد، تح: علي مُحمَّد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993.
48. تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري: أبو جعفر مُحمَّد، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية دار هجر، جيزة، ط1، 2001.
49. تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الخطيب الرازي: مُحمَّد فخر الدين، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 1981.
50. التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس، حمادي صمود، منشورات الجامعة التونسية، د/ط، 1981.
51. التلخيص في علوم البلاغة، القزويني: الخطيب، ضبطه وشرحه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، ط1، 1904.
52. تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، الباقلاني: أبو بكر مُحمَّد بن الطيب، تح: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 1987.
53. تنزيه القرآن عن المطاعن، القاضي عبد الجبار، تح: أحمد عبد الرحيم السايح، توفيق علي وهبة، مكتبة النافذة، الجيزة، ط1، 2006.
54. التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، أحمد سعد مُحمَّد، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، د/ت.
55. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي: عبد الرحمن بن ناصر، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2، 2002.

56. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي، تح: مُحمَّد خلف الله أحمد، مُحمَّد زغلول سلام، دار المعارف، مصر ط3، 1976.
57. الجاحظ حياته وآثاره، طه الحاجري، دار المعارف، مصر، ط2، 1969.
58. جدلية الأفراد والتركيب في النقد العربي القديم، مُحمَّد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر، ط1، 1995.
59. الجمل لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن مُحمَّد الجرجاني، تح: علي حيدر، دمشق، د/ط، 1972.
60. ابن جني النحوي، فاضل صالح السمرائي، دار النذير، د/ط، 1969.
61. جواهر الألفاظ، أبو الفرج قدامة بن جعفر، تح: مُحمَّد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1985.
62. الحجة للقراء السبعة، الفارسي: أبو علي الحسن بن عبد الغفار، تح: بدر الدين قهوجي، بشير حويجاي، دار المأمون للتراث، بيروت، ط1، 1984.
63. الحيوان، الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر، تح: عبد السلام مُحمَّد هارون، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1965.
64. الخصائص، ابن جني: أبو الفتح عثمان، تح: مُحمَّد علي النجار، دار الهدى، بيروت، لبنان، ط2، د/ت .
65. خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مُحمَّد مُحمَّد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط4، 1996.
66. خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم، مُحمَّد رجب البيومي، الشركة المصرية، د/ط، 1971.
67. دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، أحمد درويش، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د/ط، ت .

68. دراسات بلاغية، بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1998.
69. الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، مُجَّد حسين آل ياسين، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط1، 1980.
70. دراسات في البلاغة العربية، عبد العاطي غريب علام، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ط1، 1997.
71. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي: أحمد بن يوسف، تح: أحمد مُجَّد الخراط، دار القلم، دمشق، داط، ت.
72. دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، شرح وتقديم: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د/ط، 2003.
73. دلالات التراكيب دراسة بلاغية، مُجَّد مُجَّد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1987 .
74. الرؤية البيانية عند الجاحظ، إدريس بلمليح، دار الثقافة، المغرب، ط1، 1984.
75. رسائل الجاحظ، القسم الأول من الفصول المختارة في كتب الجاحظ، اختيار الإمام عبيد الله بن حسان، تح: عبد السلام مُجَّد هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991.
76. الرسالة، الشافعي: مُجَّد بن إدريس، تح: أحمد مُجَّد شاكر، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1938.
77. الرسالة العثمانية، الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر، ضمن رسائل الجاحظ السياسية، تقديم: علي أبو ملحم، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط الأخيرة، 2002.
78. زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي: أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي، المكتب الإسلامي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2002 .
79. زهر الآداب وثمر الألباب أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، تح: علي مُجَّد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، 1953.

80. سر صناعة الإعراب، ابن جني: أبو الفتح عثمان، تح: حسن هندأوي، دار القلم، دمشق، ط2، 1993.
81. سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي: أبو مُحمَّد عبد الله بن مُحمَّد، تعليق: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة ومطبعة مُحمَّد علي صبيح وأولاده، مصر، د/ط، 1952.
82. سيبويه إمام النحاة، علي النجدي ناصف، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1979.
83. الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تح: أحمد مُحمَّد شاكر، دار المعارف، مصر، ط2، 1967.
84. الصبغ البديعي في اللغة العربية، أحمد إبراهيم موسى، دار الكتاب العربي، القاهرة، د/ط، 1969.
85. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري: إسماعيل بن حماد، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1990.
86. صحيح البخاري، البخاري: أبو عبد الله مُحمَّد بن إسماعيل، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 2002.
87. الصنائع الكتابية والشعر، العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، تح: علي مُحمَّد البجاوي، مُحمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط2، د/ت.
88. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1992.
89. طبقات النحو وكتب التفسير، إبراهيم عبد الله رفيده، الدار الجماهيرية، ليبيا، ط3، 1990.
90. طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي: أبو بكر مُحمَّد بن الحسن، تح: مُحمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، د/ت.
91. الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، تقديم: مُحمَّد عبد الله دراز، محمود مُحمَّد شاكر، دار الفكر، دمشق، سورية، 2000.

92. علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان، بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1998.
93. علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، أحمد مصطفى المراغي، شركة القدس، القاهرة، ط1، 2012.
94. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق: أبو علي الحسن القيرواني، تح: مُحمَّد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط2، 1955.
95. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تح: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، مُحمَّد فؤاد عبد الباقي، دار الرشيد، الجزائر، د/ط، 2000.
96. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تح: مُحمَّد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، د/ط، ت.
97. فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، فتحي أحمد عامر، منشأة المعارف، الاسكندرية، د/ط، 1988.
98. فن البديع، عبد القادر حسين، دار الشروق، بيروت، ط1، 1983.
99. الفهرست، ابن النديم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د/ط، ت.
100. في البلاغة العربية علم المعاني - البيان - البديع، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، د/ط، ت.
101. في الميزان الجديد، مُحمَّد مندور، مؤسسات ع، بن عبد الله، تونس، ط1، 1988.
102. في وجوه البيان، ابن وهب: أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم، تح: حفي مُحمَّد شرف، مكتبة الشباب، القاهرة، د/ط، 1969.
103. قدامة بن جعفر والنقد الأدبي، بدوي طبانة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1969.

104. القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1985.
105. قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، عبد العزيز عبد المعطي عرفه، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1985.
106. القضايا البلاغية والأدبية واللغوية عند ابن قتيبة، لالو ترجمان أحمد، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2019.
107. قضايا اللغة في كتب التفسير المنهج - التأويل - الإعجاز، الهادي الجطلأوي، كلية الآداب، سوسة، دار مُجَدَّ علي الحامي، الجمهورية التونسية، ط1، 1998.
108. الكامل في اللغة والأدب، المبرد: أبو العباس مُجَدَّ بن يزيد، تعليق: مُجَدَّ أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1997.
109. كتاب سيويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، تح: عبد السلام مُجَدَّ هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، د/ط.
110. كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، الفراهيدي: الخليل بن أحمد، تح: عبد الحميد هندأوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002.
111. الكتاب: كتاب سيويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، تح: عبد السلام مُجَدَّ هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988.
112. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري: جار الله أبي القاسم محمود بن عمر، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998.
113. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو مُجَدَّ مكي بن أبي طالب القيسي، تح: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1984.

114. لسان العرب، ابن منظور، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1999.
115. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991.
116. اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، د/ط، 1994.
117. اللغة الفنية، ميدلتون موري وآخرين، تعريب: محمد حسن عبد الله، دار المعارف، د/ط-ت.
118. مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 1996.
119. ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد، المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد، تح: أحمد محمد سليمان أبو الرعد، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ط1، 1989.
120. متشابه القرآن، القاضي عبد الجبار، تح: عدنان محمد زرزور، دار التراث، القاهرة، د/ط، ت.
121. مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي، تح: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، د/ط، ت.
122. مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغته العربية، محمد حسين الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1999.
123. المجاز وأثره في الدرس اللغوي، محمد بدري عبد الجليل، دار النهضة العربية، بيروت، د/ط، 1980.
124. المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني: أبو الفتح عثمان، تح: على الجندي ناصف وآخرون، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة د/ط، 1994.
125. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن غالب، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001.

126. المحصول في علم أصول الفقه، الرازي: فخر الدين مُحمَّد بن عمر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1992.
127. المختصر في تاريخ البلاغة، عبد القادر حسين، دار غريب، القاهرة، ط2، 2000.
128. المختصر في تفسير القرآن الكريم، جماعة من علماء التفسير، مركز تفسير للدراسات القرآنية، المملكة العربية السعودية ، ط3، 1436هـ.
129. مداخل إعجاز القرآن، أبو فهر محمود مُحمَّد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، ط1، 2002.
130. مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني، مُحمَّد مُحمَّد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1998.
131. المذكر والمؤنث، المبرد: أبو العباس مُحمَّد بن يزيد، تح: رمضان عبد التواب، صلاح الدين الهادي، دار الكتب، د/ط، 1970.
132. مشكل إعراب القرآن، أبو مُحمَّد مكِّي بن أبي طالب القيسي، تح: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1984.
133. مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، الشاهد البوشيخي، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط2، 1995.
134. معاني الأبنية في العربية، فاضل صالح السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 2007.
135. معاني القرآن، الأخفش الأوسط: أبو الحسن سعيد بن مسعدة، تح: هدى محمود قراعة . مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1990.
136. معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: أبو إسحاق إبراهيم بن السري، تح: عبد الجليل عبده الشلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1988.



137. معاني القرآن، الفراء: أبو زكريا يحيى بن زياد، تح: مُجَدَّ علي النجار، أحمد يوسف النجاشي، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983 .
138. معاني القرآن، الكسائي: علي بن حمزة، تقديم: عيسى شحاته عيسى، دار القباء، القاهرة، د/ط، 1998.
139. معاني القرآن الكريم، النحاس: أبو جعفر، تح: مُجَدَّ علي الصابوني، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ط1، 1988.
140. ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان، مُجَدَّ عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط2، 1991.
141. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط2، 2007.
142. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن زكريا، تح: عبد السلام مُجَدَّ هارون، دار الفكر، د/ط، ت.
143. المعجم الوسيط، مجموعة من الباحثين، مكتبة الشروق الدولية (دم)، ط4، 2004.
144. مفتاح العلوم، السكاكي: أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر مُجَدَّ ، تعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987.
145. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن مُجَدَّ، تح: مركز الدراسات والبحوث، مكتبة نزار مصطفى الباز، د/ط، ت.
146. مفردات القرآن نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية، عبد الحميد الفراهي، تح: مُجَدَّ أجمل أيوب الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2002.
147. المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار، تح: مُجَدَّ مصطفى حلمي، أبو الوفا الغنيمي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، د/ط، د/ت.

148. مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين دراسة تاريخية فنية، أحمد عبد السيد الصاوي، منشأة المعارف، إسكندرية، د/ط، 1988.
149. المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين، فوزي السيد عبد ربه، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د/ط، 2005.
150. المقتضب، المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة الإحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط2، 1386.
151. الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة والشعر، محمد العمري، أفريقيا الشرق، المغرب، د/ط، 2001.
152. الموجز في تاريخ البلاغة، مازن المبارك، دار الفكر، د/ط، ت .
153. من أسرار التعبير في القرآن صفاء الكلمة، عبد الفتاح لاشين، دار المريخ للنشر، الرياض، د/ط، 1983.
154. من بلاغة النظم العربي دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، عبد العزيز عبد المعطي عرفه، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1984.
155. المنصف شرح الإمام أبي الفتح عثمان بن جني النحوي لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني النحوي البصري، تح: إبراهيم مصطفى عبد الله أمين، إدارة إحياء التراث، ط1، 1954.
156. منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، مصطفى الصاوي الجويني، دار المعارف، مصر، ط2، د/ت .
157. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تح: رفيق العجم وآخرون، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1996.
158. النحو وكتب التفسير، إبراهيم عبد الله فريده، الدار الجماهيرية، ليبيا، ط3، 1990.

159. نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني، وليد مُجّد مراد، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 1983.
160. نقد الشعر، أبو الفرج قدامة بن جعفر، تح: مُجّد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د/ط، ت
161. النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة، مُجّد مندر، نهضة مصر، القاهرة، د/ط، 1996.
162. النقد والإعجاز دراسة، مُجّد تحريشي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د/ط، 2004.
163. النكت في القرآن الكريم ( في معاني القرآن الكريم وإعرابه)، المجاشعي : أبو الحسن علي بن فضال، تح: عبد الله عبد القادر الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2007.
164. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، الرازي: فخر الدين مُجّد بن عمر، تح: نصر الله حاجي مفتي أوغلي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2004.
165. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د/ط، 1978.
166. الوافي بالوفيات، الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك، تح: مُجّد بن عبيد الله مُجّد بن محمود، دار فرانز شتاينر بفيسبادن، ط2، 1974.
- ت- الدواوين الشعرية:
167. ديوان جرير بشرح مُجّد بن حبيب، تح: نعمان مُجّد أمين طه، دار المعارف، القاهرة، ط3، د/ت
168. ديوان الخنساء، شرح: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2004.
169. ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2005.

170. ديوان طرفة بن العبد، عبد الرحمن المصطاوي، حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

171. ديوان امرئ القيس، تح: مُجَّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط5، د/ت.

172. ديوان النابغة الجعدي، تح: واضح الصمد، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1998.

173. ديوان النابغة الذبياني، تح: مُجَّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، د/ت.

#### ث- المجالات العلمية:

174. الاتجاهات اللغوية والبلاغية في التفسير، محي الدين بلتاجي، حولىة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد06، 1988.

175. مساهمة في التعريف بآراء عبد القاهر الجرجاني في اللغة والبلاغة، عبد القادر المهيري، حوليات الجامعة التونسية، عدد 11، يناير 1974.



# فہرس الآیات

## فهرس الآيات

| السورة  | الآية                                                                                                                                                             | رقم الآية | الصفحة      |
|---------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----------|-------------|
| الفاتحة | ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾                                                                                                                         | 2         | 329         |
|         | ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3) مُلْكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) ﴾                                                                                                         | 4-3       | 422         |
|         | ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾                                                                                                                      | 5         | 372-351     |
| البقرة  | ﴿ أَلَمْ (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾                                                                                           | 2-1       | 435-334     |
|         | ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ<br>وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾                                                   | 4         | 432         |
|         | ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾                                                                                         | 5         | 478-413-333 |
|         | ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾                                                             | 6         | 105         |
|         | ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ<br>غِشَاةٌ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾                                                   | 7         | 330-252     |
|         | ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾                                                                                                            | 10        | 356         |
|         | ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ<br>مُصْلِحُونَ (11) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا<br>يَشْعُرُونَ ﴾ | 12-11     | 332         |
|         | ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا                                                                                  | 13        | 347-330     |

فهرس الآيات

|                    |    |                                                                                                                                                                                                                          |  |
|--------------------|----|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--|
|                    |    | ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ﴿١٥﴾                                                                                                                                                                                                |  |
| 153-126            | 15 | ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ﴾                                                                                                                             |  |
| 353-343-93         | 16 | ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اسْتَرَوْا الضَّلَلَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَحَتِ جِجْرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾                                                                                                          |  |
| -122-88 -73<br>385 | 17 | ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾                                                                      |  |
| 338                | 18 | ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمِي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾                                                                                                                                                                              |  |
| 419-341-87         | 19 | ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَّجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِيٓ ءَادَانِهِمْ مِّنَ الصَّوْعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾                                         |  |
| 495-446            | 20 | ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ |  |
| 353                | 22 | ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾                                                                                                                          |  |
| 391-225            | 23 | ﴿فَاتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ۖ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾                                                                                                                 |  |
| 503                | 24 | ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾                                                                                      |  |

## فهرس الآيات

|                   |    |                                                                                                                                                                                                                                                                                                          |
|-------------------|----|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| 472-396           | 25 | ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ |
| 141               | 26 | ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾                                                                                                                                                                                                                     |
| 141               | 26 | ﴿مَا ذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾                                                                                                                                                                                                                                                                |
|                   | 27 | ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾                                                                                                                               |
| -253-79-65<br>350 | 28 | ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾                                                                                                                                                                       |
| 98                | 29 | ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾                                                                                                                                                                                                                                                         |
| 110               | 30 | ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾                                                                                                                                                                                                                                                         |
| 245               | 31 | ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾                                                                                                                                                     |
| 398-243           | 32 | ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾                                                                                                                                                                                                                                                                   |
| 399               | 37 | ﴿فَتَلَقَّى ءَادَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَةً فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾                                                                                                                                                                                                          |
| 423               | 40 | ﴿يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا                                                                                                                                                                                                                    |



## فهرس الآيات

|             |    |                                                                                                                                                                                                                         |
|-------------|----|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
|             |    | بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّيَ فَارْهَبُونِ ﴿١﴾                                                                                                                                                                 |
| 359-249-114 | 44 | ﴿اتَّامِرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنَسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ<br>الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾                                                                                                     |
| 330         | 48 | ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ<br>مِنْهَا شَفْعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾                                                                      |
| 391-86      | 49 | ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ<br>يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ<br>رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾                                   |
| 123         | 50 | ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ ﴿١﴾                                                                                                                                                                                           |
| 393         | 60 | ﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ<br>الْحَجَرَ﴾                                                                                                                                       |
| 121         | 61 | ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنَبِّئُ الْأَرْضُ ﴿١﴾                                                                                                                                                    |
| 122         | 62 | ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ مَنْ<br>ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ<br>رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ |
| 400         | 63 | ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ﴿١﴾                                                                                                                                                      |
| 66          | 65 | ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾                                                                                                                                                                                           |
| 351         | 73 | ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ<br>ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾                                                                                               |

## فهرس الآيات

|         |     |                                                                                                                                                        |
|---------|-----|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| 496     | 74  | ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾                                                             |
| 80      | 76  | ﴿قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ﴾                                                       |
| 257     | 81  | ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾                                     |
| 253     | 88  | ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾                                                         |
| 254-147 | 93  | ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾                                                                                                  |
| 416     | 96  | ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ﴾                                                                                                   |
| 120     | 98  | ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾                                 |
| 358     | 114 | ﴿أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾                                                                                      |
| 66      | 117 | ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾                                                                                                                                       |
| 428     | 124 | ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾                                                                                     |
| 259     | 125 | ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ﴾                                          |
| 419-148 | 126 | ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ |

## فهرس الآيات

|            |         |                                                                                                                                                                                                                                                                                              |
|------------|---------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| 361-253    | 127     | ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾                                                                                                                                                     |
| 253-114    | 130     | ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾                                                                                                                                  |
| 482        | 134     | ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾                                                                                                                                                                         |
| 94         | 138     | ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ﴾                                                                                                                                                                                                            |
| 482        | 141     | ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾                                                                                                                                                                         |
| 434        | 143     | ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾                                                                                                                                                                     |
| 450        | 165     | ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾                                                                                                                                                              |
| 116        | 168     | ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا﴾                                                                                                                                                                                                                         |
| 465        | 169-170 | ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (169) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ |
| 354-212-88 | 171     | ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾                                                                                                                                                                                          |

## فهرس الآيات

|                            |     |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                        |
|----------------------------|-----|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| -184-157-68<br>419-205-212 | 179 | ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾                                                                                                                                                                                                                                                                                                                     |
| 456-55                     | 181 | ﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَأَمَّا إِمْنُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾                                                                                                                                                                                                                                                                                |
| -117-70 -55<br>347         | 185 | ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ |
| 344                        | 187 | ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾                                                                                                                                                                                                                                                                                     |
| 246-220-94                 | 194 | ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾                                                                                                                                                                                                                                                                                                                   |
| 102                        | 196 | ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾                                                                                                                                                                                                                                                                                 |
| 362-147                    | 197 | ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ ﴾                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                     |
| 418-66                     | 201 | ﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾                                                                                                                                                                                                                                                                                 |
| 447                        | 210 | ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾                                                                                                                                                                                                                                               |
| 335                        | 215 | ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ﴾                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                   |

## فهرس الآيات

|         |     |                                                                                                                                                                                                                      |
|---------|-----|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| 335     | 217 | ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾                                                                                                                                                              |
| 335     | 219 | ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾                                                                                                                                                                         |
| 335     | 219 | ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾                                                                                                                                                                  |
| 335     | 220 | ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾                                                                                                                                                                                   |
| 128-112 | 223 | ﴿نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾                                                                                                                                                                                          |
| 121     | 232 | ﴿ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ<br>الْآخِرِ﴾                                                                                                                                 |
| 117     | 233 | ﴿وَالْوَلَدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾                                                                                                                                                     |
| 45      | 234 | ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ<br>أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾                                                                                           |
| 95      | 235 | ﴿وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾                                                                                                                                                                                |
| 120     | 236 | ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ<br>قَانِتِينَ﴾                                                                                                                                |
| 110     | 250 | ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾                                                                                                                                                                                |
| 247-73  | 257 | ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾                                                                                                                                  |
| 115     | 258 | ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾                                                                                                                                                          |
| 255     | 261 | ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ<br>أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضْعِفُ<br>لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلِيمٌ﴾ |

## فهرس الآيات

|         |     |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                             |
|---------|-----|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| 455-297 | 265 | ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبَّهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾                                                          |
| 498-255 | 266 | ﴿أَيُّودُ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَأَعْنَابٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ |
| 433     | 267 | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾                                                        |
| 494-269 | 275 | ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾                                                                                                                                                                                                       |
| 338-269 | 275 | ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾                                                                                                                                                                                                                                                             |
| 269     | 275 | ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾                                                                                                                                                                                                                              |
| 398     | 276 | ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾                                                                                                                                                                                                                                                                              |
| 147     | 281 | ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾                                                                                                                                                                                                                                                                        |
| 341     | 282 | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾                                                                                                                                                                                                                          |

## فهرس الآيات

|                    |       |                                                                                                                                                                                                                                                           |          |
|--------------------|-------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------|
| 116                | 282   | ﴿ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَآمَرَأَاتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾                                                                                           |          |
| 405                | 285   | ﴿ آمَنَ الرُّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَيْكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾                                                                                                                     |          |
| -390-263-61<br>448 | 286   | ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾                                                                                                                                                         |          |
| 454                | 286   | ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ﴾ |          |
| 156                | 7     | ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ ﴾                                                                                                                                     |          |
| 90                 | 7     | ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾                                                                                                                                                                    |          |
| 480-278            | 19-18 | ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (18) إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ ﴾                                                  | آل عمران |
| 79                 | 20    | ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ ﴾                                                                                                                                                                                    |          |
| 352                | 26    | ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾                                              |          |
| 108                | 27    | ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾                                                                                                                                                                               |          |

## فهرس الآيات

|            |       |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                             |
|------------|-------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| 508        | 36    | ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ<br>بِمَا وَضَعْتُ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ﴾                                                                                                                                                                                                                                                                                    |
| 411        | 40    | ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي غُلَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي<br>عَاقِرٌ ﴾                                                                                                                                                                                                                                                                                                                               |
| 479-438    | 49    | ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ<br>أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ<br>طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ<br>بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ<br>فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ |
| 81         | 55    | ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ وَرَافِعُكَ إِلَىٰ وَمُطَهِّرُكَ<br>مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾                                                                                                                                                                                                                                                                                                                 |
| 117        | 78    | ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ ﴾                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                         |
| 482        | 99-98 | ﴿ قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ<br>مَا تَعْمَلُونَ (98) قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ<br>اللَّهِ مَن ءَامَنَ تَبِعُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ<br>عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾                                                                                                                                         |
| 499        | 103   | ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا ﴾                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                  |
| 364-126-82 | 106   | ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ<br>فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾                                                                                                                                                                                                                                                                                           |
| 82         | 112   | ﴿ ضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الدِّلَّةَ أَيَّنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                       |



فهرس الآيات

|         |     |                                                                                                                                                                                                                      |
|---------|-----|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
|         |     | وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ ﴿٩٠﴾                                                                                                                                                                                         |
| 90      | 113 | ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿٩١﴾                                                                                                                                                 |
| 354-127 | 117 | ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩٢﴾    |
| 357     | 119 | ﴿هَآأَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامِنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ﴿٩٣﴾                |
| 186     | 133 | ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ ﴿٩٤﴾                                                                                                                                                                     |
| 471     | 135 | ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ |
| 80      | 152 | ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ﴿٩٦﴾                                                                                              |
| 124     | 180 | ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٩٧﴾                                                                                                            |
| 355     | 181 | ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩٨﴾                                                                                                         |
| 485     | 185 | ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَن زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا                                                         |

|     |         |                                                                                                                                                                                                                                                                                                               |        |
|-----|---------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------|
|     |         | الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٩١﴾                                                                                                                                                                                                                                                         |        |
| 477 | 191-192 | ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (191) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ |        |
| 387 | 193     | ﴿رَبَّنَا فَاعْفُ عَنَّا وَفُتِنَا مَعَ الْآبِرَارِ﴾                                                                                                                                                                                                                                                          |        |
| 256 | 195     | ﴿الَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَرِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقُتِلُوا وَقُتِلُوا لَا تُكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا تَدْخُلْنَهُمْ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾                                   |        |
| 342 | 2       | ﴿وَأَتُوا آلِيتِمَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾                                                                                                                                                                                                                                                                           | النساء |
| 392 | 3       | ﴿وَأِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي آلِيتِمَىٰ﴾                                                                                                                                                                                                                                                            |        |
| 384 | 4       | ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقْتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾                                                                                                                                                                                   |        |
| 442 | 9       | ﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾                                                                                                                                                               |        |
| 254 | 10      | ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِيتِمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾                                                                                                                                                                                |        |
| 474 | 11      | ﴿ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾                                                                                                                                                                                                                                |        |

## فهرس الآيات

|     |     |                                                                                                                                                                                                                         |
|-----|-----|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
|     |     | ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾                                                                                                                                                         |
| 169 | 23  | ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبنَاتُكُمْ وَأَخُوتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ﴾                                                                                                                                         |
| 112 | 43  | ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾                                                                                                                                                                           |
| 484 | 48  | ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾                                                                  |
| 359 | 53  | ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾                                                                                                                                           |
| 246 | 63  | ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾                                                                                                                                                             |
| 465 | 64  | ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ |
| 473 | 73  | ﴿وَلَئِنْ أَصْبَحَ نَفْضُكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾                                              |
| 362 | 79  | ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾                                                              |
| 484 | 116 | ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾                                                                     |
| 409 | 135 | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾       |

فهرس الآيات

|         |     |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                            |         |
|---------|-----|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------|
| 123     | 138 | ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                 |         |
| 438     | 171 | ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ أَنْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                   |         |
| 348     | 2   | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهَرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقُلُودَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَعُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضُونًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾                                                                                                                                                                                                                                                            |         |
| 429-88  | 3   | ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْمِ ۚ ذَلِكُمْ فِسْقٌ ۚ الْيَوْمَ يَنسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ |         |
| 472-110 | 3   | ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                              | المائدة |
| 116     | 6   | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾                                                                                                                                                                                                                                                                                                                  |         |
| 116     | 6   | ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                               |         |
| 471     | 23  | ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنِعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُم غُلِيُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا ۖ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾                                                                                                                                                                                                                                                                                               |         |

## فهرس الآيات

|                        |     |                                                                                                                                                                                       |
|------------------------|-----|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| 118                    | 44  | ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ ﴾                                                                                                  |
| 405                    | 55  | ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رُكْعُونَ ﴾                                            |
| 364                    | 64  | ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾                                     |
| 408                    | 64  | ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾                                                                                                                         |
| 425                    | 70  | ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ |
| 103                    | 72  | ﴿ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾                                                                                                                                         |
| 97                     | 75  | ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾                                                                                                                                                     |
| 457                    | 90  | ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحُمُرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَرْزَاقُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾             |
| 79                     | 91  | ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾                                                                                                                                                       |
| 455                    | 99  | ﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْأَبْلَغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾                                                                                        |
| -146-115-99<br>438-347 | 116 | ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾                                                         |
| 456-68                 | 117 | ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾                                                                                                                        |

فهرس الآيات

|            |    |                                                                                                                                                                                                   |         |
|------------|----|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------|
| 403        | 1  | ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمُوتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾                                                       | الأنعام |
| 431-102    | 2  | ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾                                                                                  |         |
| 400-109    | 6  | ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾                                                                                                                                                  |         |
| 126        | 12 | ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾                                                                                                                                         |         |
| 424        | 14 | ﴿قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ﴾                                                                                           |         |
| 126        | 16 | ﴿مَنْ يُصِرْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾                                                                                                                                                   |         |
| 444        | 22 | ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آيِنَ شُرَكَائِكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾                                                                           |         |
| 451-328-71 | 27 | ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُفِّقُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتَنَّا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾                                                      |         |
| 107        | 30 | ﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾                                                                                                                                           |         |
| 359        | 34 | ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُم نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّل لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ﴾ |         |
| 83         | 35 | ﴿فَإِنْ أَسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾                                                                                   |         |
| 355-82     | 36 | ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ                                                                                                              |         |

## فهرس الآيات

|     |     |                                                                                                                                                                                                                                                         |
|-----|-----|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
|     |     | إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿١﴾                                                                                                                                                                                                                                |
| 457 | 59  | ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾                                                                                                                                                                                            |
| 494 | 71  | ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى انْتَظِرْنَا﴾ |
| 410 | 78  | ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَارِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي﴾                                                                                                                                                                                                 |
| 184 | 82  | ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْآمَنُونَ﴾                                                                                                                                                                                                                            |
| 328 | 93  | ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾                                                                                                                                |
| 427 | 100 | ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ﴾                                                                                                                                                                                                    |
| 427 | 100 | ﴿وَحَرَّفُوا لَهُ بَيْنَ وَبَيْنَ بَغِيرِ عِلْمٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾                                                                                                                                                                |
| 90  | 122 | ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِنَّا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾                                                                                                                                                                                                                |
| 413 | 127 | ﴿هُم دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾                                                                                                                                                                    |
| 472 | 143 | ﴿ثُمَّ إِنَّهُ أَزْوَاجٌ مِنَ الضَّالِّينَ انْتَبِهْ انْتَبِهْ قُلْ<br>ءَالِذِكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ<br>الْأُنثَيَيْنِ نَبُؤِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾                                   |
| 403 | 164 | ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾                                                                                                                                                                                                                  |

## فهرس الآيات

|     |       |                                                                                                                                                                                                                                                                                |         |
|-----|-------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------|
| 223 | 40    | ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾                                                                                                                                                                                                    | الأعراف |
| 473 | 42    | ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾                                                                                                                                  |         |
| 442 | 44    | ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا ۖ فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾                                                                                                                           |         |
| 243 | 45-44 | ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (44) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾                                                                                                                               |         |
| 508 | 50    | ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾                                                                                                 |         |
| 411 | 56    | ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾                                                                                                                                                                                                                          |         |
| 321 | 57    | ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِّتُهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾                                                                                                                                                                                                        |         |
| 376 | 64    | ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾                                                                                                                                                                                                                                            |         |
| 244 | 78    | ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جُثَمِينَ﴾                                                                                                                                                                                                              |         |
| 244 | 79    | ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمُ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي﴾                                                                                                                                                                                                |         |
| 372 | 84    | ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾                                                                                                                                                                                          |         |
| 458 | 89    | ﴿قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنَّا عُذْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهَ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبُّنَا أَفَتَحْ |         |



## فهرس الآيات

|         |     |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                     |
|---------|-----|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
|         |     | بَيْنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿١٠٠﴾                                                                                                                                                                                                                                                           |
| 480     | 92  | ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا﴾ إِنْ كَانَ لَمْ يَغْنُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا إِنْ كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿١٠١﴾                                                                                                                                                                                                 |
| 413     | 101 | ﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا﴾                                                                                                                                                                                                                                                                                |
| 331     | 113 | ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾                                                                                                                                                                                                                                     |
| 259     | 123 | ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾                                                                                                                                                                                                                                                                      |
| 416     | 126 | ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ﴾                                                                                                                                                                                                                                                                      |
| 420     | 131 | ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾                                                                                                                                                                                                              |
| 401     | 133 | ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾                                                                                                                                                                                                                                                                                              |
| 505-255 | 149 | ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾                                                                                                                                                                        |
| 444     | 152 | ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾                                                                                                                                                                                   |
| 490-192 | 154 | ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ﴾                                                                                                                                                                                                                                                                         |
| 453     | 160 | وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَمَهُ قَوْمُهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ أَثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلَوى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن |

## فهرس الآيات

|        |     |                                                                                                                                                                                                                                                |         |
|--------|-----|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------|
|        |     | ﴿كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾                                                                                                                                                                                                             |         |
| 270    | 170 | ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾                                                                                                                                                                                                            |         |
| 186    | 171 | ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾                                                                                                                                                                                      |         |
| 423    | 177 | ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾                                                                                                                                                   |         |
| 334    | 179 | ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾                                                                                                                                                                       |         |
| 479-81 | 187 | ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ |         |
| 386    | 189 | ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾                                                                                                                                                                                                                   |         |
| 149    | 199 | ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾                                                                                                                                                                            |         |
| 152    | 199 | ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾                                                                                                                                                                            |         |
| 370    | 205 | ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾                                                                                                                                                                                          |         |
| 373    | 2   | ﴿وَإِذَا ثَلَيْتَ عَلَيْهِمْ ءَايَتَهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾                                                                                                                                                                                  |         |
| 455    | 10  | ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾                                                                                             | الأنفال |
| 108    | 11  | ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾                                                                                                                                                                                                                |         |

## فهرس الآيات

|        |    |                                                                                                                                                                                                                    |        |
|--------|----|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------|
| 349    | 12 | ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ |        |
| 108    | 17 | ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾                                                                                                                                                             |        |
| 439    | 41 | ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾                                                                                                                                            |        |
| 118    | 43 | ﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾                                                                                                                                                                  |        |
| 107    | 46 | ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾                                                                                                                                                                                             |        |
| 210    | 1  | ﴿بَرَاءةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾                                                                                                                                |        |
| 103    | 2  | ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾                                                                                                                                                                                          |        |
| 358    | 5  | ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾                                                                                                                                                                          |        |
| 441    | 6  | ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾                                                   |        |
| 101-82 | 11 | ﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾                                                                                                                                                                                     | التوبة |
| 233    | 33 | ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾                                                                                     |        |
| 492    | 57 | ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلَجًا أَوْ مَغْرَبًا أَوْ مُدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾                                                                                                                      |        |
| 451    | 59 | ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا﴾                                                                                                                                     |        |

## فهرس الآيات

|     |     |                                                                                                                                                                           |
|-----|-----|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
|     |     | اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿١٠٩﴾                                                                              |
| 332 | 60  | ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴾                                                                                                                     |
| 118 | 64  | ﴿ يَحْذَرُ الْمُتَّقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾                                                                          |
| 110 | 67  | ﴿ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾                                                                                                                                            |
| 370 | 78  | ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾                                                                  |
| 360 | 82  | ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾                                                                                       |
| 476 | 98  | ﴿ وَمَنْ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذْ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمْ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾                  |
| 106 | 109 | ﴿ أَفَمَنْ أَكْفَرُ أَكْفَرًا عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَكْفَرُ أَكْفَرًا عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارٍ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ |
| 503 | 110 | ﴿ لَا يَزَالُ بُنِيتُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾                                           |
| 118 | 122 | ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ﴾                                                                                                                      |
| 407 | 124 | ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هُدًىٰ إِيْمَانًا ﴾                                                                                                         |
| 220 | 127 | ﴿ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ ﴾                                                                                                                         |

## فهرس الآيات

|         |       |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                       |      |
|---------|-------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|------|
| 104     | 1     | ﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾                                                                                                                                                                                                                                                                                         | يونس |
| 436     | 20    | ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِيَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾                                                                                                                                                                                   |      |
| 56      | 22    | ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَبَیَّةٍ﴾                                                                                                                                                                                                                                                             |      |
| 363-339 | 24    | ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا﴾ |      |
| 80      | 50    | ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾                                                                                                                                                                                                                        |      |
| 64      | 59    | ﴿ءَاللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾                                                                                                                                                                                                                                                                                |      |
| 111     | 67    | ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾                                                                                                                                                                                                                                                                                                              |      |
| 149     | 71    | ﴿فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾                                                                                                                                                                                                                                                                                              |      |
| 433     | 85-84 | ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَقُومُ إِن كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّسْلِمِينَ﴾                                                                                                                                                                                                                           |      |
| 365     | 122   | ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ هُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾                                                                                                                                                                                                                                                              |      |
| 250     | 1     | ﴿الرَّ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ ءَايَتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾                                                                                                                                                                                                                                                      | هود  |
| 456-394 | 12    | ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ                                                                                                                                                                        |      |

## فهرس الآيات

|        |    |                                                                                                                                                                                                               |
|--------|----|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
|        |    | نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١﴾                                                                                                                                                              |
| 150    | 14 | ﴿١﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ مَا أُنْزِلَ بَعْلَمِ اللَّهِ وَأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٢﴾                                                             |
| 352    | 17 | ﴿٣﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴿٤﴾                                                                           |
| 476    | 20 | ﴿٥﴾ أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضْعِفُ لَهُمْ الْعَذَابَ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٦﴾ |
| 337-98 | 24 | ﴿٧﴾ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ﴿٨﴾                                                                                                                            |
| 327    | 28 | ﴿٩﴾ أَنْزَلْنَاهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كُرْهُونَ ﴿١٠﴾                                                                                                                                                            |
| 338    | 42 | ﴿١١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ ﴿١٢﴾                                                                                                                                                       |
| 91     | 43 | ﴿١٣﴾ قَالَ سَأُوَيِّ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ ﴿١٤﴾                                                                         |
| 69     | 44 | ﴿١٥﴾ وَقِيلَ يَارْضُ أَبْلَعِي مَاءَكَ وَيُسْمَاءُ أَفْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٦﴾                                  |
| 107    | 56 | ﴿١٧﴾ مَّا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴿١٨﴾                                                                                                                                                 |
| 269    | 67 | ﴿١٩﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جُثَمِينَ ﴿٢٠﴾                                                                                                                        |

## فهرس الآيات

|         |     |                                                                                                                                            |      |
|---------|-----|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|------|
| 365     | 77  | ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا<br>وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾                               |      |
| 152     | 102 | ﴿ وَكَذَلِكَ أَخَذُ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ ﴾                                                                                       |      |
| 120-92  | 4   | ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا<br>وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ |      |
| 417     | 9   | ﴿ أَفْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ<br>وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾              |      |
| 229     | 17  | ﴿ فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ﴾                                                                                                                   |      |
| 266-153 | 18  | ﴿ وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ<br>أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾                                            |      |
| 268     | 30  | ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَتَلْهَىٰ عَنْ<br>نَفْسِهِ ﴾                                            | يوسف |
| 487-370 | 31  | ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾                                                                                     |      |
| 373     | 32  | ﴿ وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾                                                                                        |      |
| 342     | 36  | ﴿ قَالَ أَخَذْتُهُمَا إِلَيَّ أَرْبَعِي أَعْصِرُ حَمْرًا ﴾                                                                                 |      |
| 433     | 45  | ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ<br>بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾                           |      |
| 412     | 76  | ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ<br>أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾              |      |

## فهرس الآيات

|                        |       |                                                                                                                                                                                         |         |
|------------------------|-------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------|
| 152                    | 78    | ﴿ فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ﴾                                                                                                                                                          |         |
| -111-100-71<br>210-188 | 82    | ﴿ وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾                                                                                                    |         |
| 449                    | 85    | ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنْ أَهْلِكَيْنِ ﴾                                                                                  |         |
| 368                    | 86    | ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَخُزْيِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾                                                                                  |         |
| 258                    | 90-89 | ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (89) قَالُوا أَعَيْنَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ ﴾                                                          |         |
| 115                    | 5     | ﴿ أَعِذَا كُنَّا تُرَابًا أَهِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾                                                                                                                               |         |
| 101                    | 25    | ﴿ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَبِعَمِّ عُقْبَى الدَّارِ ﴾                                                                                                                      |         |
| 452-71                 | 31    | ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَ سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى ﴾                                                                           |         |
| 439-403                | 35    | ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴾ | الرعد   |
| 367                    | 38    | ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا ﴾                                                                                                                                                       |         |
| 41                     | 41    | ﴿ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾                                                                                                                                                       |         |
| 239                    | 4     | ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ                                                                                                 | إبراهيم |



فهرس الآيات

|         |    |                                                                                                                                                                                                                                                       |
|---------|----|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| 217     |    | اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢١٧﴾                                                                                                                                                                          |
| 85      | 6  | ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ عَالٍ فَرْعَوْنَ يُسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ |
| 247-106 | 9  | ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾                                                                                                                                                                                                            |
| 308     | 10 | ﴿قَالُوا إِنَّا نَتَمَنَّاهُ إِلَّا بِشَرِّ مِثْلِنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾                                                                                                                                     |
| 91      | 18 | ﴿مِثْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾                                                                                                                                            |
| 158     | 19 | ﴿إِن يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾                                                                                                                                                                                                  |
| 158     | 21 | ﴿وَبَرِّزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾                                                                                                                                                                                                                        |
| 273     | 25 | ﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ يَأْذِنُ رَبُّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾                                                                                                                                |
| 496     | 26 | ﴿وَمِثْلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾                                                                                                                                            |
| 419     | 35 | ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾                                                                                                                                    |
| 148     | 47 | ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾                                                                                                                                                                                                |

## فهرس الآيات

|        |       |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                  |       |
|--------|-------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------|
| 349-41 | 3     | ﴿ ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾                                                                                                                                                                                                                              | الحجر |
| 350    | 6     | ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾                                                                                                                                                                                                                                |       |
| 455    | 21    | ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾                                                                                                                                                                                                                   |       |
| 350    | 55-54 | ﴿ قَالَ أَبَشِّرْهُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمِ تَبَشِّرُونِ (54) قَالُوا بِشَرِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَلْبِطِينَ ﴾                                                                                                                                                                |       |
| 356    | 65    | ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾                                                                                                                                                                           |       |
| 475    | 90-87 | ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ (87) لَا تُمَدِّنْ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (88) وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ (89) كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴾ | النحل |
| 434    | 5     | ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾                                                                                                                                                                                                                               |       |
| 293    | 9     | ﴿ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَلَكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾                                                                                                                                                                                                                                                                        |       |
| 256    | 48    | ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُوا ظِلُّهُ عَنْ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾                                                                                                                                                                |       |
| 466    | 51    | ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيتِي فَآرَهُبُونَ ﴾                                                                                                                                                                                                      |       |
| 393    | 53    | ﴿ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴾                                                                                                                                                                                                                                                          |       |

## فهرس الآيات

|             |             |                                                                                                                                                                                                 |         |
|-------------|-------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------|
| 268         | 66          | ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾                                               |         |
| 414         | 69          | ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾                                                                                                                |         |
| 167         | 73          | ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾                                                                    |         |
| 352         | 81          | ﴿سَرِيلٌ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾                                                                                                                                                                    |         |
| 53          | 98          | ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾                                                                                                                                             |         |
| 459         | 105         | ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾                                                                                        |         |
| 378         | 112         | ﴿فَادْفَقَهَا اللَّهُ لِبَاسٍ أَجْوَعٍ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾                                                                                                                   |         |
| 438         | -116<br>117 | ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ(116) مَتَّعَ قَلِيلٌ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾                                                                               |         |
| 414         | 1           | ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ |         |
| 448         | 9           | ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾                                            | الإسراء |
| 252-248-106 | 29          | ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾                                                                           |         |

## فهرس الآيات

|     |       |                                                                                                                                                                                                                  |
|-----|-------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| 106 | 29    | ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾                                                                                                                                                            |
| 268 | 36    | ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولٌ ۚ ﴾                                                                                                                           |
| 368 | 40    | ﴿ أَفَأَصْنَعُكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَيْنِ ﴾                                                                                                                                                                       |
| 171 | 46-45 | ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بَالًا خَرَةً حِجَابًا مَّسْتُورًا (45) وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ |
| 350 | 49    | ﴿ وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾                                                                                                                          |
| 243 | 50    | ﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴾                                                                                                                                                                         |
| 362 | 60    | ﴿ وَخَوْفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾                                                                                                                                                    |
| 500 | 64    | ﴿ وَأَسْتَفْزِرُّ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾     |
| 70  | 71    | ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِمْهَمٍّ ﴾                                                                                                                                                                     |
| 247 | 72    | ﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾                                                                                                                           |
| 83  | 77    | ﴿ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا ﴾                                                                                                                                                        |
| 341 | 78    | ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ﴾                                                                                                                            |

## فهرس الآيات

|         |     |                                                                                                                                                                               |       |
|---------|-----|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------|
| 415     | 79  | ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ﴾                                                                                                                           |       |
| 428     | 100 | ﴿قُلْ لَّوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسُ قَتُورًا﴾                                             |       |
| 361-244 | 1   | ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾                                                                                    |       |
| 445     | 2   | ﴿لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾                                                                                                                                                  |       |
| 445     | 4   | ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾                                                                                                                        |       |
| 205     | 11  | ﴿فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾                                                                                                                  |       |
| 417     | 31  | ﴿أَوَلَيْكَ لَهُمُ جَنَّتُ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُخَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾                                                         |       |
| 505-113 | 42  | ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾                                                                                  | الكهف |
| 339     | 45  | ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾                                                                                           |       |
| 502     | 48  | ﴿وَعَرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾                                    |       |
| 399     | 58  | ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾                                                                                                                                        |       |
| 477     | 63  | ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ |       |

## فهرس الآيات

|                                         |       |                                                                                                                                                              |      |
|-----------------------------------------|-------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|------|
| 364                                     | 77    | ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ﴾                                                                                                |      |
| 245                                     | 79    | ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ |      |
| 411                                     | 98    | ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾                                                                                                                           |      |
| 492                                     | 99    | ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾                                                       |      |
| 125                                     | 232   | ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾                                                                                                        |      |
| -217-156-127<br>-486-406-344<br>490-489 | 4     | ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾                                                                                                                             | مريم |
| 66                                      | 38    | ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾                                                                                                                                 |      |
| 401                                     | 45    | ﴿يَا بَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾                                                          |      |
| 429                                     | 64    | ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا بَرِّهِيْمُ لَنْ لَّمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا﴾                                          |      |
| 408                                     | 82-81 | ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لَّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (81) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾              |      |
| 469                                     | 89-88 | ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (88) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾                                                                                  |      |
| 503                                     | 90    | ﴿تَكَادُ السَّمُوتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ                                                                                      |      |

## فهرس الآيات

|         |       |                                                                                                                                                                                                                                                       |    |
|---------|-------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----|
|         |       | ﴿ الْجِبَالُ هَذَا ﴾                                                                                                                                                                                                                                  |    |
| 462     | 4-1   | ﴿ طه (1) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2) إِلَّا تَذِكْرَةً لِّمَن يَخْشَى (3) تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمُوتِ الْعُلَى ﴾                                                                                          |    |
| 345-355 | 22    | ﴿ وَأَضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ءَايَةً أُخْرَى ﴾                                                                                                                                                            |    |
| 491     | 39-38 | ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (38) أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوِّي وَعَدُوُّ لَهٗ وَالْقَيِّتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ |    |
| 409     | 47    | ﴿ فَاتِّبَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ ﴾                                                                                                                                             | طه |
| 270     | 51    | ﴿ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴾                                                                                                                                                                                                                              |    |
| 466     | 53    | ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى ﴾                                                                                       |    |
| 444     | 88    | ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمُ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴾                                                                                                                                                  |    |
| 409     | -116  | ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (116) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ                                                                                                                 |    |
| 409     | 117   | وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾                                                                                                                                                                                          |    |

## فهرس الآيات

|         |     |                                                                                                                                                                                                                                                     |          |
|---------|-----|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------|
| 351-273 | 129 | ﴿ وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَّاجِلًا ۖ ﴾<br>﴿ مُسَمًّى ﴾                                                                                                                                                          |          |
| 490     | 18  | ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۖ ﴾<br>﴿ وَلَكُمْ الْأُولَىٰ بِمَا تَصِفُونَ ﴾                                                                                                                        | الأنبياء |
| 158     | 22  | ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءِلَٰهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۖ ﴾                                                                                                                                                                                      |          |
| 410     | 30  | ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمُوتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا ۖ فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ ﴾                                                                                                                                             |          |
| 63      | 37  | ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ۖ ﴾                                                                                                                                                                                                               |          |
| 452     | 39  | ﴿ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ ۖ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾                                                                                                                   |          |
| 504     | 44  | ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّ نَارَ الْأَرْضِ تَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾                                                                                                                                                      |          |
| 367     | 62  | ﴿ ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا بُرْهِيمَ ۖ ﴾                                                                                                                                                                                           |          |
| 58      | 75  | ﴿ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا ۖ ﴾                                                                                                                                                                                                               |          |
| 83      | 81  | ﴿ وَلَسَلِيمُنَ الرِّيحِ عَاصِفَةٍ ﴾                                                                                                                                                                                                                |          |
| 360     | 108 | ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾                                                                                                                                                   |          |
| 506     | 2-1 | ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (1) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِمُسْمَرِينَ ۚ ﴾ | الحج     |



## فهرس الآيات

|         |     |                                                                                                                                                                                                                               |
|---------|-----|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
|         |     | بِسُكْرَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿١٠٣﴾                                                                                                                                                                             |
| 103     | 5   | ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنٰكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنَبَيِّنَ لَكُمْ﴾        |
| 443     | 5   | ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾                                                                                                                                       |
| 505     | 9-8 | ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِرٍ (8) ثَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ |
| 499     | 11  | ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾         |
| 504     | 15  | ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾                                       |
| 84      | 19  | ﴿هُذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾                                                                                                                                                                                 |
| 495-339 | 31  | ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾                                                                                          |
| 443     | 38  | ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾                                                                                                                            |

## فهرس الآيات

|         |       |                                                                                                                                             |          |
|---------|-------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------|
| 360     | 44    | ﴿ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٌ ﴾                                                                   |          |
| 118     | 48    | ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرَبَةٍ أُمَلِّيتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾                                       |          |
| 407     | 2-1   | ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خُشِعُونَ ﴾                                                               |          |
| 267     | 8     | ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ﴾                                                                                    |          |
| 407     | 9     | ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾                                                                                        |          |
| 412     | 10-11 | ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (10) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾                                              | المؤمنون |
| 331     | 18    | ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴾                        |          |
| 387     | 21    | ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ |          |
| 278     | 93-94 | ﴿ قُلْ رَبِّ إِنَّمَا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ (93) رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾                                  |          |
| 168-103 | 10    | ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾                                                       | النور    |
| 465     | 12    | ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾                 |          |
| 67      | 33    | ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾                                                                                          |          |

## فهرس الآيات

|         |       |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                               |         |
|---------|-------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------|
| 116     | 34    | ﴿وَأَتَوْهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَكُمْ﴾                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                          |         |
| 493-72  | 39-40 | ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَعْمَلُواْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَّحْسِبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَقَّعَهُ حِسَابُهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (39) أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ جُّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾ |         |
| 493     | 23    | ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾                                                                                                                                                                                                                                                                                                               |         |
| 453     | 35-36 | ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا (35) فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُواْ بِآيَاتِنَا فَدَمْهُمْ تَدْمِيرًا﴾                                                                                                                                                                                                           |         |
| 428     | 43    | ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾                                                                                                                                                                                                                                                                                                              | الفرقان |
| 400     | 48    | ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾                                                                                                                                                                                                                                                                              |         |
| 265     | 67    | ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾                                                                                                                                                                                                                                                                                               |         |
| 406-148 | 74    | ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾                                                                                                                                                                                                                                                          |         |
| 409     | 16    | ﴿فَاتَّبِعُوا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾                                                                                                                                                                                                                                                                                                                         |         |
| 396     | 29    | ﴿قَالَ لئن اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                    | الشعراء |

## فهرس الآيات

|     |             |                                                                                                                                                                                                                                                                                                            |
|-----|-------------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
|     |             | ﴿الْمَسْجُونِينَ﴾                                                                                                                                                                                                                                                                                          |
| 247 | 32          | ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾                                                                                                                                                                                                                                                        |
| 398 | 37-34       | ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ (34) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (35) فَأَلْوُوا أَرْجَاهُ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (36) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ﴾                                                  |
| 395 | 56-53       | ﴿فَارْسَلْ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (53) إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (54) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (55) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾                                                                                                                                     |
| 51  | 84          | ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾                                                                                                                                                                                                                                                            |
| 484 | 94          | ﴿فَكَبْكَبُوا فِيهَا هُمْ وَالْعَاوُنُ﴾                                                                                                                                                                                                                                                                    |
| 404 | -97<br>100  | ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (97) إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (98) وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ (99) فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (100) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾                                                                                                         |
| 478 | -105<br>110 | ﴿كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (105) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (106) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (107) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (108) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (109) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ |
| 146 | 165         | ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾                                                                                                                                                                                                                                                              |

فهرس الآيات

|         |             |                                                                                                                                                                                                                                     |  |
|---------|-------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--|
| 240     | -192<br>192 | ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾                                                             |  |
| 241     | -214<br>215 | ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (214) وَاحْفَظْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾                                                                                                                           |  |
| 501     | -224<br>225 | ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (225) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾                                                                                |  |
| 358-241 | 227         | ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾                                                                                                                                                                  |  |
| 247     | 10          | ﴿ كَانَتْهَا جَانَّ ﴾                                                                                                                                                                                                               |  |
| 342     | 13          | ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً ﴾                                                                                                                                                                                       |  |
| 347     | 22          | ﴿ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبِيٍّ يَقِينٍ ﴾                                                                                                                                                                                        |  |
| 394     | 27          | ﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾                                                                                                                                                                      |  |
| 402     | 49          | ﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ ﴾                                                                                  |  |
| 392     | 58          | ﴿ فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ ﴾                                                                                                                                                                                                    |  |
| 467-270 | 60          | ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمُوتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَلَمْ يَعْلَمِ اللَّهُ أَنَّهُ بَلَّ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ ﴾ |  |
| 387     | 7           | ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ ﴾                                                                                                                                                     |  |

النمل

## فهرس الآيات

|         |    |                                                                                                                                                                                                                                                            |          |
|---------|----|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------|
|         |    | فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ<br>مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٠﴾                                                                                                                                |          |
| 329-260 | 23 | وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْكُنُونَ<br>وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا<br>نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿١٠١﴾             |          |
| 430     | 26 | ﴿١٠٢﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرَّهٗ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجُرْتَ<br>الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿١٠٣﴾                                                                                                                                            | القصص    |
| 341     | 47 | ﴿١٠٤﴾ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمُ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴿١٠٥﴾                                                                                                                                                                               |          |
| 334     | 63 | ﴿١٠٦﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا<br>أَغْوَيْنَهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِبَّانًا يَعْبُدُونَ ﴿١٠٧﴾                                                                  |          |
| 249     | 76 | ﴿١٠٨﴾ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ﴿١٠٩﴾                                                                                                                                                                                                  |          |
| 249     | 76 | ﴿١١٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ﴿١١١﴾                                                                                                                                                                                                          |          |
| 249     | 77 | ﴿١١٢﴾ وَابْتَغَ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ﴿١١٣﴾                                                                                                                                                                                          |          |
| 395     | 3  | ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا<br>وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَذِبِينَ ﴿١١٥﴾                                                                                                                          |          |
| 457     | 6  | ﴿١١٦﴾ وَمَن جُهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ<br>الْعَالَمِينَ ﴿١١٧﴾                                                                                                                                                     | العنكبوت |
| 423     | 40 | ﴿١١٨﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا<br>وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ<br>وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيِظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا |          |

## فهرس الآيات

|         |       |                                                                                                                                                                                                    |       |
|---------|-------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------|
|         |       | أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١﴾                                                                                                                                                                        |       |
| 340-141 | 41    | ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾﴾             |       |
| 459     | 52    | ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيِّنًا وَبَيْنَكُمُ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١﴾﴾            |       |
| 459     | 53    | ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ﴿١﴾﴾                                                                                                                                                             |       |
| 423     | 56    | ﴿يُعِبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ ﴿١﴾﴾                                                                                                                  |       |
| 402     | 64    | ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ﴿١﴾﴾                                                                                                                                              |       |
| 98      | 68    | ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿١﴾﴾                                                                                                                                               |       |
| 401     | 69    | ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴿١﴾﴾                                                                                                                                     |       |
| 225     | 4-1   | ﴿الْمُ غَلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ(1) فِي بَضْعِ سِنِينَ ﴿١﴾﴾                                                                              |       |
| 480     | 14-12 | ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ (12) وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاؤُا وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كُفَرِينَ (13) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾ | الروم |
| 476     | 18-17 | ﴿فَسُبْحَنَّ اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (17) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١﴾﴾                                                       |       |

## فهرس الآيات

|     |    |                                                                                                                                                                                                                                    |       |
|-----|----|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------|
| 464 | 39 | ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِّن رَّبِّا لَّيْرُؤُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرُؤُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾                                           |       |
| 402 | 46 | ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّرَاتٍ ۖ وَلِيُذِيقَكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾                                             |       |
| 505 | 59 | ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾                                                                                                                                                              |       |
| 467 | 10 | ﴿ خَلَقَ السَّمُوتَ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۚ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رُؤُوسًا أَنْ يَمَيِّدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ۚ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ |       |
| 169 | 13 | ﴿ يُبَيِّنُ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾                                                                                                                                                              |       |
| 474 | 14 | ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوُلْدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴾                                                                     |       |
| 169 | 16 | ﴿ يُبَيِّنُ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمُوتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾                                                  | لقمان |
| 404 | 27 | ﴿ وَلَوْ أَنَّما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمَ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾                                                         |       |
| 89  | 28 | ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً ﴾                                                                                                                                                                      |       |



## فهرس الآيات

|     |     |                                                                                                                                                                   |         |
|-----|-----|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------|
| 88  | 32  | ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ<br>الدِّينَ﴾                                                                             |         |
| 385 | 34  | ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ<br>بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾                                                                      |         |
| 25  | 3-1 | ﴿الْم (1) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾                                                                                         |         |
| 407 | 09  | ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا<br>تَشْكُرُونَ﴾                                                                           | السجدة  |
| 440 | 12  | ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا<br>أَبْصِرْنَا وَغَمَمْنَا فَأَرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾   |         |
| 119 | 7   | ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ<br>وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَقًا غَلِيظًا﴾ |         |
| 89  | 19  | ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾                                                                                                  |         |
| 506 | 23  | ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ<br>مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾   | الأحزاب |
| 426 | 26  | ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ<br>وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾    |         |
| 446 | 35  | ﴿وَالذِّكْرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذِّكْرَاتِ﴾                                                                                                                  |         |
| 426 | 39  | ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾                                                                                                                         |         |
| 223 | 24  | ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾                                                                                               | سبا     |

## فهرس الآيات

|          |    |                                                                                                                                                                                                                  |      |
|----------|----|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|------|
| 92-49-36 | 33 | ﴿ بَلْ مَكْرٌ آلِيلٍ وَالنَّهَارِ ﴾                                                                                                                                                                              |      |
| 98       | 40 | ﴿ وَيَوْمَ يَخْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْلُؤَاءِ إِيَّاكُمْ<br>كَأَنُؤَاءِ يَعْبُدُونِ ﴾                                                                                                  |      |
| 69       | 48 | ﴿ قُلْ إِنْ رَّبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَؤْمُ الْغُيُوبِ ﴾                                                                                                                                                      |      |
| 440      | 8  | ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ<br>يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ<br>عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ | فاطر |
| 466      | 9  | ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسُقْنُهُ إِلَى بَلَدٍ<br>مَيَّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾                                                  |      |
| 478      | 12 | ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٍ سَائِغٌ شَرَابُهُ<br>وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾                                                                                                                |      |
| 413      | 15 | ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ<br>الْحَمِيدُ ﴾                                                                                                              |      |
| 90       | 19 | ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴾                                                                                                                                                                      |      |
| 90       | 20 | ﴿ وَلَا الظُّلُمَتُ وَلَا النُّورُ ﴾                                                                                                                                                                             |      |
| 426      | 28 | ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾                                                                                                                                                         |      |
| 436      | 33 | ﴿ جَنَّتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُجَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ<br>وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾                                                                                      |      |
| 369      | 34 | ﴿ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ<br>وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾                                                                                          |      |

## فهرس الآيات

|                    |             |                                                                                                                                                                                                              |        |
|--------------------|-------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------|
| 391                | 41          | ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمِصُّكَ السَّمُوتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ﴾                                                                                                                                             |        |
| 501                | 9-8         | ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴾ (8) وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ | يس     |
| 490-217            | 37          | ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾                                                                                                                             |        |
| 375-250            | 39          | ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾                                                                                                                                |        |
| 168                | 45          | ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾                                                                                                            |        |
| 488                | 55          | ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكُهُونٌ ﴾                                                                                                                                                |        |
| 435                | 47          | ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴾                                                                                                                                                         | الصفات |
| 170                | 49          | ﴿ كَانَتْهُمْ بَيْضَ مَكُونٍ ﴾                                                                                                                                                                               |        |
| -251-246-87<br>487 | 65          | ﴿ طَلَعَهَا كَانَتْهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾                                                                                                                                                                |        |
| 91                 | 78          | ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾                                                                                                                                                                     |        |
| 406                | 83          | ﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴾                                                                                                                                                                    |        |
| 425                | 86          | ﴿ أَنْفِكَ ءَالِهَةٌ ۚ ذُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾                                                                                                                                                            |        |
| 80                 | 153         | ﴿ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴾                                                                                                                                                                    |        |
| 500                | -176<br>177 | ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾ (176) فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿                                                                                                     |        |

فهرس الآيات

|         |       |                                                                                                                                                                                                             |       |
|---------|-------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------|
| 278-223 | 3-1   | ﴿صَّ وَالْفِرْعَانِ ذِي الدِّكْرِ (1) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (2) كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَعَلَىٰ حِينٍ مِّنَاصٍ﴾                                    | ص     |
| 386-257 | 5     | ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾                                                                                                                                                                     |       |
| 102     | 6     | ﴿وَأَنْطَلِقُ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾                                                                                                                               |       |
| 449     | 14-12 | ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ (12) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَبُ لَيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ (13) إِن كُلًّا إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُلَ فَحَقَّ عِقَابُ﴾ |       |
| 89      | 15    | ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾                                                                                                                               |       |
| 346     | 21    | ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾                                                                                                                                             |       |
| 361     | 26    | ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾                                                                                                      |       |
| 442     | 32    | ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾                                                                                                                 |       |
| 249     | 50    | ﴿جَنَّتِ عَدْنٌ مُّفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾                                                                                                                                                            |       |
| 81      | 57    | ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾                                                                                                                                                                  |       |
| 80      | 63    | ﴿أَتَخَذْتَهُمْ سَخِرِيًّا﴾                                                                                                                                                                                 |       |
| 314     | 11    | ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾                                                                                                                                        | الزمر |
| 327     | 14    | ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْهُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾                                                                                                                                                             |       |

## فهرس الآيات

|         |       |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                             |      |
|---------|-------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|------|
| 250     | 22    | ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾<br>﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾                                                                                                                                               |      |
| 435     | 23    | ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾                                                                                                                              |      |
| 41      | 60    | ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾                                                                                                                                                                                                                                                                        |      |
| 422     | 64    | ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ﴾                                                                                                                                                                                                                                                                             |      |
| 508     | 71    | ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوُوبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ |      |
| 450-352 | 73    | ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوُوبُهَا﴾                                                                                                                                                                                                            |      |
| 481     | 39-38 | ﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقُومُ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (38) يَقُومُ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعَ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾                                                                                                                                            |      |
| 142     | 49    | ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ﴾                                                                                                                                                                                                                                                                       | غافر |
| 104     | 67    | ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾                                                                                                                                                                                                                                                                                                |      |
| 445     | 68    | ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾                                                                                                                                                                                                                                                                                            |      |
| 93      | 21    | ﴿وَقَالُوا جُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾                                                                                                                                                                                                                                                                           | فصلت |

## فهرس الآيات

|     |     |                                                                                                                                                                                                                                                                             |         |
|-----|-----|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------|
| 147 | 40  | ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾                                                                                                                                                                                                                                                    |         |
| 460 | 11  | ﴿فَاطِرُ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنْ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾                                                                                          | الشورى  |
| 72  | 32  | ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ﴾                                                                                                                                                                                                                    |         |
| 25  | 16  | ﴿أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ﴾                                                                                                                                                                                                          | الزخرف  |
| 450 | 77  | ﴿وَنَادُوا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِثُونَ﴾                                                                                                                                                                                                   |         |
| 462 | 6-1 | ﴿حَمَّ (1) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (3) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (4) أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (5) رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ |         |
| 224 | 26  | ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (25) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾                                                                                                                                                                                                    | الدخان  |
| 269 | 45  | ﴿كَأَلْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾                                                                                                                                                                                                                                       |         |
| 59  | 49  | ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾                                                                                                                                                                                                                                 |         |
| 365 | 58  | ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾                                                                                                                                                                                                            |         |
| 256 | 23  | ﴿وَوَخَّتُمْ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاةً﴾                                                                                                                                                                                                     | الجاثية |
| 503 | 4   | ﴿فَضْرَبَ الرِّقَابَ﴾                                                                                                                                                                                                                                                       |         |
| 503 | 4   | ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾                                                                                                                                                                                                                                      | محمد    |
| 114 | 14  | ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾                                                                                                                                                                                            |         |

## فهرس الآيات

|         |       |                                                                                                                                                                                                     |         |
|---------|-------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------|
|         |       | ﴿وَاتَّبِعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾                                                                                                                                                                        |         |
| 31      | 21    | ﴿طَاعَةَ وَقَوْلَ مَعْرُوفٍ﴾                                                                                                                                                                        |         |
| 93      | 21    | ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾                                                                                                                                                                          |         |
| 484     | 4     | ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾               | الفتح   |
| 484     | 7     | ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَكِيمًا﴾                                                                                                                        |         |
| 120     | 20-19 | ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَكِيمًا﴾ (19)<br>﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ |         |
| 211     | 21    | ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾                                                                                                                                    |         |
| 481-446 | 1     | ﴿أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾                                                                                                                    | الحجرات |
| 360     | 11    | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾                                                                                          |         |
| 252     | 12    | ﴿أَيُّبُ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾                                                                                                                            |         |
| 219     | 1     | ﴿ق وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ﴾                                                                                                                                                                       | ق       |
| 219     | 2     | ﴿هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾                                                                                                                                                                              |         |
| 84      | 3     | ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكْ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾                                                                                                                                           |         |
| 414     | 15    | ﴿أَفَعَيَيْنَا بِأَلْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾                                                                                                                   |         |

## فهرس الآيات

|        |       |                                                                                                                                          |          |
|--------|-------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------|
| 386    | 33    | ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾                                                                             |          |
| 465    | 35-34 | ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ (34) هُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿                                  |          |
| 433    | 44    | ﴿ذَلِكَ حَشَرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾                                                                                                        |          |
| 418    | 41    | ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾                                                                            | الذاريات |
| 436    | 47    | ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾                                                                               |          |
| 219    | 2-1   | ﴿وَالطُّورِ (1) وَكُتِبَ مَسْطُورٌ﴾                                                                                                      | الطور    |
| 99     | 15    | ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾                                                                                         |          |
| 271    | 26    | ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ | النجم    |
| 346-44 | 7     | ﴿خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ﴾                                                       | القمر    |
| 486    | 12    | ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾                                                                                                        |          |
| 345    | 13    | ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾                                                                                           |          |
| 418    | 19    | ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَرًا﴾                                                                                         |          |
| 354    | 20    | ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾                                                                              |          |
| 346    | 21    | ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرٍ﴾                                                                                                       |          |
| 424    | 24    | ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِمَّا وَحَدَا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَلٌ وَسُغُرٍ﴾                                                     |          |



## فهرس الآيات

|             |       |                                                                                                                                                                                                                               |         |
|-------------|-------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------|
| 483         | 40    | ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾                                                                                                                                                           |         |
| 397         | 44    | ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٍ ﴾                                                                                                                                                                                 |         |
| 483         | 18    | ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾                                                                                                                                                                                   | الرحمن  |
| 215-195-186 | 24    | ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ ﴾                                                                                                                                                                 |         |
| 87          | 37    | ﴿ فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾                                                                                                                                                            |         |
| 184         | 72    | ﴿ خُورٍ مَقْصُورَتٍ فِي الْحَيَامِ ﴾                                                                                                                                                                                          |         |
| 139         | 22    | ﴿ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ ﴾                                                                                                                                                                                | الواقعة |
| 257         | 47    | ﴿ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾                                                                                                                                  |         |
| 43          | 48-47 | ﴿ أَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ (47) أَوْ بَآؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴾                                                                                                                                                                  |         |
| 142         | 56    | ﴿ هَذَا نُرْهِمُ يَوْمَ الدِّينِ ﴾                                                                                                                                                                                            |         |
| 470         | 77-75 | ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾                                                                                                      |         |
| 441         | 84-83 | ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُقُومَ (83) وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴾                                                                                                                                                |         |
| 447         | 10    | ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٍ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقْتِئِئُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ | الحديد  |
| 429         | 2     | ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ ﴾                                                                                                                                                                | الحشر   |
| 361         | 9     | ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ ﴾                                                                                                                                    |         |

## فهرس الآيات

|                       |    |                                                                                                                                                                         |           |
|-----------------------|----|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----------|
|                       |    | إِلَيْهِمْ ﴿١٠٠﴾                                                                                                                                                        |           |
| 361                   | 9  | ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾                                                                                                          |           |
| 405                   | 18 | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍّ﴾                                                                          |           |
| 228                   | 21 | ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خُشْعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾                                                          |           |
| 385                   | 3  | ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾                                                                                                       |           |
| 74                    | 10 | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَرَةٍ تُنَجِّكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾                                                                   | الصف      |
| 339-337               | 5  | ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾                                                                 | الجمعة    |
| 125-45                | 10 | ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾                                                                                                               |           |
| 473                   | 1  | ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ | المنافقون |
| -211-89-71<br>487-206 | 4  | ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسْنَدَةٌ﴾                                                   |           |
| 185                   | 4  | ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُوّ﴾                                                                                                                  |           |
| 291                   | 1  | ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾                                                                                                                                       | التغابن   |
| 393                   | 6  | ﴿وَأَسْتَغْنَى اللَّهُ﴾                                                                                                                                                 |           |

## فهرس الآيات

|         |       |                                                                                                                                                                                               |         |
|---------|-------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------|
| 430     | 14    | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾      |         |
| 147     | 2     | ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾                                                                                                                                                          | الطلاق  |
| 408     | 4     | ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ | التحريم |
| 502-192 | 8-7   | ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ (7) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾                                                                                           | الملك   |
| 394     | 19    | ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّتْ وَبَقِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا أَلْ رَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾                                                      |         |
| 64      | 22    | ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾                                                                                         |         |
| 331     | 30    | ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾                                                                                                        |         |
| 506     | 16    | ﴿سَنَسِمْهُ عَلَى الْخَرْطُومِ﴾                                                                                                                                                               |         |
| 89-75   | 42    | ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾                                                                                                                                                                  | القلم   |
| 506-89  | 43-42 | ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (42) خَشَعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ﴾  |         |

## فهرس الآيات

|     |       |                                                                                                              |         |
|-----|-------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------|
| 43  | 3     | ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴾                                                                          | الحاقة  |
| 491 | 6     | ﴿ وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوهَا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾                                                 |         |
| 215 | 7     | ﴿ كَانَتْهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾                                                                   |         |
| 192 | 11    | ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ ﴾                                                                             |         |
| 330 | 12    | ﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾                                             |         |
| 266 | 21    | ﴿ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾                                                                                   |         |
| 101 | 98    | ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (8) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴾                               | المعارج |
| 358 | 10    | ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾                                                 | نوح     |
| 434 | 25    | ﴿ مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴾ |         |
| 359 | 8     | ﴿ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾                                                  | المزمل  |
| 416 | 13-12 | ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا (12) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾                    |         |
| 458 | 20    | ﴿ وَاللَّهُ يَقْدِرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾                                                                |         |
| 75  | 4     | ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾                                                                                    | المدثر  |
| 334 | 25-24 | ﴿ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ (24) إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾                      |         |
| 488 | 51-49 | ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (49) كَانَتْهُمْ حُمْرُ                                        |         |

## فهرس الآيات

|     |       |                                                                                                                                                                                                                    |          |
|-----|-------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------|
|     |       | مُسْتَنْفِرَةٌ (50) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥٠﴾                                                                                                                                                                   |          |
| 278 | 6-3   | ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ (3) بَلَىٰ قَدَرِينِ<br>عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ (4) بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ<br>أَمَامَهُ﴾ (5) يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَمَةِ ﴿٥١﴾ | القيامة  |
| 335 | 12    | ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾                                                                                                                                                                         |          |
| 270 | 14    | ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾                                                                                                                                                                      |          |
| 85  | 21-20 | ﴿كَأَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ (20) وَتَذُرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾                                                                                                                                           |          |
| 356 | 26    | ﴿كَأَلَّا إِذَا بَلَغَتِ النَّوَاصِرُ﴾                                                                                                                                                                             |          |
| 75  | 29    | ﴿وَأَلْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾                                                                                                                                                                                |          |
| 103 | 34-33 | ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾ (33) أَوَلَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ﴿٣٤﴾                                                                                                                                        |          |
| 99  | 1     | ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا<br>مَّذْكُورًا﴾                                                                                                                           | الإنسان  |
| 273 | 2     | ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا<br>بَصِيرًا﴾                                                                                                            |          |
| 41  | 24    | ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾                                                                                                                                                                     |          |
| 129 | 33-30 | ﴿أَنْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ (30) لَا ظِلِيلَ وَلَا<br>يُغْنِي مِنَ الْهَبِّ﴾ (31) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ (32)<br>كَأَنَّهُ جِمْلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾                                 | المرسلات |
| 146 | 2-1   | ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (1) عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾                                                                                                                                                          | النبا    |

فهرس الآيات

|     |       |                                                                                                                                                         |          |
|-----|-------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------|
| 447 | 19    | ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾                                                                                                            |          |
| 445 | 40    | ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾                                                                                                              |          |
| 468 | 4-1   | ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (1) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (2) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي (3) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾                      |          |
| 147 | 17    | ﴿فُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾                                                                                                                    | عبس      |
| 507 | 37-34 | ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (35) وَصُحْبَتِيهِ وَبَنِيهِ (36) لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ |          |
| 392 | 4     | ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾                                                                                                                     | الانشقاق |
| 84  | 3     | ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾                                                                                                                             | الأعلى   |
| 81  | 5     | ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾                                                                                                                            |          |
| 80  | 17    | ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِلَهِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾                                                                                                   | الغاشية  |
| 292 | 26-25 | ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (25) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾                                                                                    |          |
| 76  | 7     | ﴿إِزْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾                                                                                                                               | الفجر    |
| 223 | 22    | ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾                                                                                                             |          |
| 475 | 2     | ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾                                                                                                                      | البلد    |
| 21  | 1     | ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحْلُهَا﴾                                                                                                                               | الشمس    |
| 21  | 9     | ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾                                                                                                                          |          |

## فهرس الآيات

|     |       |                                                                                                                                                                                                                                    |          |
|-----|-------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------|
| 352 | 13    | ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾                                                                                                                                                                      |          |
| 67  | 20-19 | ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (19) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾                                                                                                                                   | الليل    |
| 446 | 3     | ﴿وَالضُّحَى (1) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (2) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾                                                                                                                                                     | الضحى    |
| 437 | 5     | ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾                                                                                                                                                                                           |          |
| 469 | 7-4   | ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (5) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (6)﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ﴾ | التين    |
| 44  | 8     | ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَكَمِينَ﴾                                                                                                                                                                                         |          |
| 469 | 8-6   | ﴿كَأَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا (6) إِنَّ رَأَاهُ أَسْتَفْعَى (7)﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾                                                                                                               | العلق    |
| 342 | 17    | ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾                                                                                                                                                                                                             |          |
| 67  | 4     | ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾                                                                                                                                     | البينة   |
| 373 | 2     | ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾                                                                                                                                                                                              | الزلزلة  |
| 356 | 2     | ﴿فَالْمُورِيتِ قَدْحًا﴾                                                                                                                                                                                                            | العاديات |
| 488 | 5-4   | ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (4) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾                                                                                                                              | القارعة  |

## فهرس الآيات

|        |     |                                                                                            |          |
|--------|-----|--------------------------------------------------------------------------------------------|----------|
| 74     | 9   | ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾                                                                    |          |
| 281    | 4-3 | ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (3) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾                          | التكاثر  |
| 281    | 7-6 | ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (6) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾                      |          |
| 415    | 2-1 | ﴿ وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾                                        | العصر    |
| 359    | 1   | ﴿ وَيَلِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٌ ﴾                                                     | الهمزة   |
| 430    | 8   | ﴿ نَارُ اللَّهِ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (7) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوصَدَةٌ ﴾ |          |
| 389    | 1   | ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾                                 | الفيل    |
| 420    | 2-1 | ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (1) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾                       | الكوثر   |
| 438    | 3   | ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾                                                       |          |
| 128    | 1   | ﴿ قُلْ يَٰأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾                                                         | الكافرون |
| 102    | 1   | ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ وَتَبَّ ﴾                                                       | المسد    |
| 463    | 5   | ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾                                                       |          |
| 432-28 | 4   | ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾                                                      | الإخلاص  |





# فهرس الموضوعات

شكر وتقدير

إهداء

|          |       |
|----------|-------|
| أ.....   | مقدمة |
| 10 ..... | تمهيد |

الفصل الأول:

تجليات الدرس البياني عند علماء النحو والمعاني حتى نهاية القرن الخامس الهجري

|                                                                                         |    |
|-----------------------------------------------------------------------------------------|----|
| المبحث الأول: تجليات الدرس البياني عند علماء اللغة والنحو حتى نهاية القرن الخامس الهجري | 22 |
| - الدرس البياني عند سيويه (ت 180هـ).....                                                | 23 |
| - الأساليب الإنشائية .....                                                              | 24 |
| - المسند والمسند إليه .....                                                             | 27 |
| - الحذف .....                                                                           | 30 |
| - التعريف والتنكير .....                                                                | 32 |
| - القصص .....                                                                           | 33 |
| - الفصل والوصل .....                                                                    | 33 |
| - التشبيه والمجاز .....                                                                 | 34 |
| - تأكيد المدح بما يشبه الذم.....                                                        | 36 |
| - التجريد .....                                                                         | 37 |
| - الدرس البياني عند المبرد (ت 286هـ).....                                               | 37 |
| - التعقيد اللفظي والمعنوي .....                                                         | 38 |
| - الخبر وأضرابه.....                                                                    | 40 |
| - الأساليب الإنشائية .....                                                              | 40 |

|                                            |    |
|--------------------------------------------|----|
| الإيجاز .....                              | 42 |
| التقديم والتأخير .....                     | 44 |
| التشبيه .....                              | 45 |
| التشبيه المفرط .....                       | 46 |
| التشبيه المصيب .....                       | 46 |
| التشبيه المقارب .....                      | 47 |
| التشبيه البعيد .....                       | 47 |
| الاستعارة .....                            | 48 |
| المجاز .....                               | 49 |
| الكناية .....                              | 50 |
| الدرس البياني عند ابن جني (ت 392هـ) .....  | 51 |
| الأساليب الإنشائية .....                   | 52 |
| الاستفهام .....                            | 52 |
| النهي .....                                | 53 |
| الحذف .....                                | 53 |
| الالتفات .....                             | 55 |
| الإيجاز والإطناب .....                     | 56 |
| المجاز .....                               | 57 |
| الكناية .....                              | 60 |
| المبالغة .....                             | 61 |
| اللفظ والمعنى .....                        | 62 |
| الدرس البياني عند المجلشي ( ت 479هـ) ..... | 63 |

|     |                                                                                              |
|-----|----------------------------------------------------------------------------------------------|
| 63  | - الأساليب الإنشائية .....                                                                   |
| 66  | - القصر .....                                                                                |
| 68  | - الإيجاز .....                                                                              |
| 71  | - التشبيه .....                                                                              |
| 73  | - الاستعارة .....                                                                            |
| 75  | - الكناية .....                                                                              |
|     | - المبحث الثاني: تحليلات الدرس البياني عند أصحاب المعاني حتى نهاية القرن الخامس الهجري ..... |
| 77  | - الدرس البياني عند الفراء ( ت 207هـ) .....                                                  |
| 79  | - الاستفهام .....                                                                            |
| 80  | - التقديم والتأخير .....                                                                     |
| 82  | - الحذف .....                                                                                |
| 85  | - الالتفات .....                                                                             |
| 85  | - الفصل والوصل .....                                                                         |
| 86  | - التشبيه والتمثيل .....                                                                     |
| 89  | - الاستعارة .....                                                                            |
| 90  | - المجاز .....                                                                               |
| 93  | - الكناية .....                                                                              |
| 94  | - المشكلة .....                                                                              |
| 95  | - الدرس البياني عند أبي عبيدة ( ت 210هـ) .....                                               |
| 98  | - الاستفهام .....                                                                            |
| 100 | - الإيجاز .....                                                                              |

|     |                                                      |
|-----|------------------------------------------------------|
| 102 | - الإطناب .....                                      |
| 102 | - التقديم والتأخير .....                             |
| 103 | - الالتفات .....                                     |
| 105 | - التشبيه والتمثيل .....                             |
| 107 | - الاستعارة .....                                    |
| 109 | - المجاز .....                                       |
| 112 | - الكناية .....                                      |
| 113 | - الدرس البياني عند الزجاج ( ت 311هـ) .....          |
| 114 | - الاستفهام .....                                    |
| 116 | - الأمر .....                                        |
| 117 | - الخبر .....                                        |
| 118 | - الحذف .....                                        |
| 118 | - التقديم والتأخير .....                             |
| 119 | - العطف ودلالته .....                                |
| 120 | - التكرار .....                                      |
| 120 | - تصريف الكلام .....                                 |
| 121 | - التشبيه .....                                      |
| 123 | - المجاز والاستعارة .....                            |
| 124 | - المشاكلة .....                                     |
| 125 | - الدرس البياني عند أبي جعفر النحاس ( ت 338هـ) ..... |
| 125 | - الأساليب الإنشائية .....                           |
| 126 | - الحذف .....                                        |

- المشاكلة ..... 126
- التمثيل والتشبيه ..... 127
- الاستعارة ..... 127
- الكناية ..... 128

### الفصل الثاني:

#### تجليات الدرس البياني عند علماء البلاغة والإعجاز حتى نهاية القرن الخامس الهجري

- المبحث الأول: تجليات الدرس البياني عند علماء البلاغة حتى نهاية القرن الخامس الهجري ..... 131
- الدرس البياني عند الجاحظ ( ت 255هـ) ..... 131
- البلاغة ..... 132
- البيان ..... 133
- الفصاحة ..... 136
- الخبر ..... 138
- الإيجاز ..... 138
- الإطناب ..... 139
- التشبيه ..... 140
- المثل ..... 141
- الاستعارة ..... 141
- المجاز ..... 142
- الكناية ..... 143
- الدرس البياني عند ابن قتيبة ( ت 276هـ) ..... 145
- الخبر ..... 146

|     |                                                |
|-----|------------------------------------------------|
| 146 | - الأساليب الإنشائية .....                     |
| 146 | - الاستفهام.....                               |
| 147 | - الأمر .....                                  |
| 147 | - الدعاء.....                                  |
| 147 | - الحذف .....                                  |
| 148 | - التقديم والتأخير.....                        |
| 149 | - الإيجاز .....                                |
| 149 | - الإطناب.....                                 |
| 150 | - الالتفات.....                                |
| 151 | - التشبيه .....                                |
| 151 | - الاستعارة .....                              |
| 152 | - المجاز .....                                 |
| 153 | - الكناية .....                                |
| 154 | - الدرس البياني عند ابن المعتز ( ت 296هـ)..... |
| 156 | - الاستعارة .....                              |
| 156 | -التجنيس .....                                 |
| 157 | - المطابقة.....                                |
| 157 | - رد أعجاز الكلام على ما تقدمها.....           |
| 158 | - المذهب الكلامي .....                         |
| 158 | - الالتفات.....                                |
| 160 | - الاعتراض .....                               |
| 160 | - التعريض والكناية .....                       |

|     |                                                    |
|-----|----------------------------------------------------|
| 160 | - التشبيه .....                                    |
| 161 | - الدرس البياني عند ابن وهب ( ت 335هـ) .....       |
| 163 | - البيان .....                                     |
| 163 | 1- بيان الاعتبار .....                             |
| 163 | 2- بيان الاعتقاد .....                             |
| 164 | 3- بيان العبارة .....                              |
| 165 | 4- بيان بالكتاب .....                              |
| 165 | - البلاغة .....                                    |
| 166 | - الفصاحة .....                                    |
| 167 | - التقديم والتأخير .....                           |
| 168 | - الحذف .....                                      |
| 168 | - الالتفات .....                                   |
| 168 | - الفصل والوصل .....                               |
| 169 | - التشبيه .....                                    |
| 170 | - الاستعارة .....                                  |
| 171 | - التعريض .....                                    |
| 172 | - الدرس البياني عند قدامة بن جعفر ( ت 337هـ) ..... |
| 173 | - الفصاحة .....                                    |
| 174 | - التتميم .....                                    |
| 175 | - الالتفات .....                                   |
| 175 | - المساواة .....                                   |
| 176 | - الإشارة .....                                    |



|     |                                                  |
|-----|--------------------------------------------------|
| 177 | - التشبيه                                        |
| 179 | - التمثيل                                        |
| 179 | - الاستعارة                                      |
| 180 | - الإرداف                                        |
| 181 | - التكافؤ                                        |
| 181 | - المطابق والمجانس                               |
| 182 | - الدرس البياني عند أبي هلال العسكري ( ت 395هـ ) |
| 183 | - البلاغة                                        |
| 184 | - الإيجاز                                        |
| 184 | - المساواة                                       |
| 185 | - الإطناب                                        |
| 185 | - التشبيه                                        |
| 186 | - الاستعارة                                      |
| 187 | - ابن رشيق القيرواني ( ت 456هـ )                 |
| 187 | - البلاغة                                        |
| 188 | - الإيجاز                                        |
| 189 | - البيان                                         |
| 190 | - النظم                                          |
| 190 | - المجاز                                         |
| 191 | - التشبيه                                        |
| 192 | - الاستعارة                                      |
| 192 | - الدرس البياني عند ابن سنان الخفاجي ( ت 466هـ ) |

|     |                                                                                        |
|-----|----------------------------------------------------------------------------------------|
| 194 | - التقديم والتأخير .....                                                               |
| 194 | - التشبيه .....                                                                        |
| 195 | - الاستعارة .....                                                                      |
| 196 | - الكناية .....                                                                        |
|     | المبحث الثاني : تحليلات الدرس البياني عند علماء القرآن والإعجاز حتى نهاية القرن الخامس |
| 198 | الهجري .....                                                                           |
| 199 | - الإعجاز القرآني عند الجاحظ ( ت 255هـ).....                                           |
| 202 | - الإعجاز القرآني عند ابن قتيبة ( ت 276هـ).....                                        |
| 207 | - الإعجاز القرآني عند الواسطي ( ت 306هـ).....                                          |
| 207 | - الإعجاز والبلاغة عند الرماني ( 384هـ ) .....                                         |
| 210 | - باب الإيجاز .....                                                                    |
| 213 | - باب التشبيه .....                                                                    |
| 216 | - باب الاستعارة.....                                                                   |
| 218 | - باب التلاؤم .....                                                                    |
| 219 | - الفواصل .....                                                                        |
| 220 | - التجانس.....                                                                         |
| 220 | - التصريف .....                                                                        |
| 221 | - التضمين .....                                                                        |
| 222 | - المبالغة .....                                                                       |
| 223 | - باب البيان .....                                                                     |
| 224 | - الإعجاز والبلاغة عند الخطابي ( ت 388هـ).....                                         |
| 232 | - الإعجاز والبلاغة عند الباقلاني ( ت 402هـ).....                                       |

- الإعجاز والبلاغة عند القاضي عبد الجبار (ت 415هـ) ..... 241
- التقديم والتأخير ..... 244
- الإيجاز ..... 244
- المجاز ..... 245
- التشبيه ..... 246
- الاستعارة ..... 247
- الكناية ..... 247
- البلاغة عند ابن جرير الطبري (ت 310هـ) ..... 248
- الأساليب الإنشائية ..... 248
- الحذف ..... 250
- التشبيه ..... 250
- الاستعارة ..... 251
- الكناية ..... 252
- البلاغة عند أبي الليث السمرقندي (ت 375هـ) ..... 253

### الفصل الثالث:

البيان العربي أسسه ومباحثه من عبد القاهر الجرجاني إلى نهاية القرن السادس الهجري.

- المبحث الأول: خلاصة البحث البياني حتى ما قبيل عبد القاهر الجرجاني ..... 262
- المبحث الثاني: نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني والتأسيس للدرس البياني ..... 284
- نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني ..... 285
- علم المعاني عند عبد القاهر الجرجاني ..... 290
- التقديم والتأخير ..... 292
- الحذف ..... 295

|     |                                                                               |
|-----|-------------------------------------------------------------------------------|
| 298 | - الخبر .....                                                                 |
| 303 | - الفصل والوصل .....                                                          |
| 306 | - القصر .....                                                                 |
| 308 | - علم البيان عند عبد القاهر الجرجاني .....                                    |
| 309 | - الاستعارة .....                                                             |
| 313 | - التشبيه والتمثيل .....                                                      |
| 317 | - المجاز .....                                                                |
| 322 | - الكناية .....                                                               |
|     | - المبحث الثالث: الدرس البياني بعد عبد القاهر الجرجاني حتى نهاية القرن السادس |
| 325 | الهجري .....                                                                  |
| 326 | - علم المعاني عند الزمخشري .....                                              |
| 326 | - التقديم والتأخير .....                                                      |
| 328 | - الحذف .....                                                                 |
| 329 | - التعريف والتذكير .....                                                      |
| 331 | - القصر .....                                                                 |
| 333 | - الفصل والوصل .....                                                          |
| 335 | - الالتفات .....                                                              |
| 337 | - علم البيان عند الزمخشري .....                                               |
| 337 | - التشبيه والتمثيل .....                                                      |
| 340 | - المجاز .....                                                                |
| 349 | - الاستعارة .....                                                             |
| 345 | - الكناية .....                                                               |

|     |                                                       |
|-----|-------------------------------------------------------|
| 346 | - علم البديع عند الزمخشري .....                       |
| 348 | - الدرس البلاغي عند ابن عطية الأندلسي (ت 546هـ) ..... |
| 348 | - الأساليب الإنشائية .....                            |
| 351 | - التقديم والتأخير .....                              |
| 351 | - الحذف .....                                         |
| 353 | - المجاز .....                                        |
| 353 | - التشبيه .....                                       |
| 355 | - الاستعارة .....                                     |
| 356 | - الكناية .....                                       |
| 358 | - الدرس البلاغي عند ابن الجوزي (ت 597هـ) .....        |
| 358 | - الخبر والإنشاء .....                                |
| 359 | - الإنشاء .....                                       |
| 361 | - التقديم والتأخير .....                              |
| 361 | - الحذف .....                                         |
| 363 | - التشبيه .....                                       |
| 364 | - الاستعارة .....                                     |
| 365 | - الكناية .....                                       |
| 366 | - الدرس البلاغي عند فخر الدين الرازي ( 606هـ) .....   |
| 367 | - التقديم والتأخير .....                              |
| 369 | - الفصل والوصل .....                                  |
| 371 | - الالتفات .....                                      |
| 373 | - المجاز .....                                        |

- التشبيه ..... 375
- الاستعارة ..... 376
- الكناية ..... 378

#### الفصل الرابع:

##### مستويات البحث البياني في الدرس الإعجازي من التأسيس حتى نهاية القرن السادس الهجري

المبحث الأول: مباحث المفردة القرآنية في الدرس الإعجازي من التأسيس حتى نهاية القرن

- السادس الهجري ..... 382
- المفردة القرآنية ومدلولها (الفروق اللغوية) ..... 384
- دلالة الصيغ الصرفية ..... 390
- الأفراد والتثنية والجمع ..... 402
- التذكير والتأنيث ..... 410
- التعريف والتنكير ..... 412

المبحث الثاني: مباحث التركيب القرآني في الدرس الإعجازي من التأسيس حتى نهاية القرن

- السادس الهجري ..... 421
- التقديم والتأخير ..... 422
- الحذف ..... 437
- القصر ..... 454

المبحث الثالث: مباحث الأسلوب القرآني في الدرس الإعجازي من التأسيس حتى نهاية

- القرن السادس الهجري ..... 461
- الالتفات ..... 461
- الاعتراض ..... 470
- التكرار ..... 477

|                                                                                        |     |
|----------------------------------------------------------------------------------------|-----|
| المبحث الرابع: جمالية التصوير القرآني في الدراسات الإعجازية من التأسيس حتى نهاية القرن |     |
| السادس الهجري .....                                                                    | 486 |
| - التشبيه .....                                                                        | 487 |
| - الاستعارة .....                                                                      | 489 |
| - التمثيل .....                                                                        | 492 |
| - الكناية .....                                                                        | 502 |
| خاتمة .....                                                                            | 511 |
| قائمة المصادر والمراجع .....                                                           | 517 |
| فهرس الآيات .....                                                                      | 534 |
| فهرس الموضوعات .....                                                                   | 594 |

تناول هذا البحث نشأة الدرس البياني في رحاب الدراسات الإعجازية؛ حيث نمت مباحثه تدريجياً على يد علماء اللغة والبلاغة والإعجاز الذين عمدوا إلى تأويل معاني القرآن الكريم والبحث في أساليبه ودقة تراكيبه، وفنية تصويره، سعياً منهم لإثبات سر إعجازه وتفرد نظمته، حيث بدأت البلاغة على شكل ملاحظات حوتها مؤلفات النحويين وأصحاب المعاني ثم تلتها جهود علماء الإعجاز الذين جعلوا من البلاغة وجهاً للإعجاز وتطرقوا لمباحثها من خلال عرضهم للقاعدة والتمثيل لها، ليزدهر الدرس البياني ويستوي في مصنفات عبد القاهر الجرجاني مؤسس نظرية النظم التي تلقفها البيانون من بعده: الزمخشري والرازي... وطبقوها موضحين جمالية التراكيب.

### الكلمات المفتاحية:

الدرس البياني - الإعجاز - نظرية النظم - التصوير - البلاغة - الأسلوب - التركيب.

### Abstract:

This paper focuses on the emergence of stylistics in the studies that focus on Quran miracles. In this regard, its first milestones were established by linguists and rhetoric scholars who interpreted Quran meanings and investigated its styles, syntax, and images to prove its miracles and uniqueness. Rhetoric started as remarks introduced in the publications of the grammar and meaning scholars, and was followed by the works of miracles scholars who used rhetoric as argument to show the Quran miracles, and tackled its rules and manifestations. Thus, stylistics flourished and was compiled in the works of Abd al Qaher al Jarjani who established the Systems Theory, which was later adopted by the stylists, such as Al Zamakhshari and al Razi, who applied it to show the aestheticism of the structures.

**Keywords:** stylistics; miracles; Systems Theory; images; rhetoric; style; structure.

### Résumé:

Cet article se concentre sur l'émergence de la stylistique dans les études consacrées aux miracles coraniques. À cet égard, ses premières étapes ont été établies par des linguistes et des rhétoriciens qui ont interprété les significations coraniques et étudié ses styles, sa syntaxe et ses images pour prouver ses miracles et son caractère unique. La rhétorique a commencé comme des remarques introduites dans les publications des grammairiens et des exégètes, suivie par les travaux des spécialistes des miracles qui ont utilisé la rhétorique comme argument pour montrer les miracles coraniques, et ont abordé ses règles et ses manifestations. Ainsi, la stylistique a prospéré et a été compilée dans les œuvres d'Abd al-Qāhir al-Jurjānī qui a établi la Théorie des Systèmes, qui a été plus tard adoptée par les stylistes, tels qu'Al-Zamakhshari et Al-Rāzī, qui l'ont appliquée pour montrer l'esthétisme des structures.

**Mots-clés:** stylistique, miracles, Théorie des Systèmes, images, rhétorique, style, structure.